مؤلفات مارون عبود

المجموعة الكاملة

في النقد الأدبي

المجلد الخامس

دار مارون عبود

مؤلفات مارون عبود

المجموعة الكاملة

في النقد الأدبي

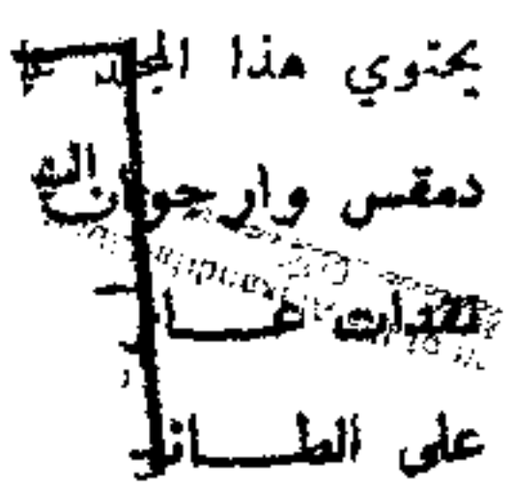

المجلد الخامس

دار مارون عبود

ص. ب. ٨٠٨٦ ١١

تلفون ٩٣٤٧١٤

مؤلفات مارون عبود

المجموعة الكاملة

مدخل للمؤلفات الكاملة

الاول : في الدراسة
ادب العرب ـ الرؤوس
الثاني : رواد النهضة الحديثة ـ الشعر العامي ـ جدد وقدماء
الثالث : النقد الاجتماعي
سبل ومناهج ـ حبر على ورق ـ آخر حجر
الرابع : النقد الادبي
على المحك ـ مجددون ومجترون ـ في المختبر
الخامس : دمقس وارجوان ـ نقدات عابر ـ على الطائر
السادس : في القصة
فارس آغا ـ الامير الاحمر
السابع : في الاقصوصة
احاديث القرية ـ وجوه وحكايات ـ اقزام جبابرة
الثامن : في النقد السياسي
من الجراب ـ قبل انفجار البركان ـ اشباح ورموز ـ مناوشات

التاسع : التراجم
احمد فارس الشدياق (صقر لبنان)
ابو العلاء المعري (زوبعة الدهور)
بديع الزمان الهمذاني
امين الريحاني
العاشر : رسائل واحاديث صحفية
الحادي عشر : من كل واد عصا
الثاني عشر : فهرس شامل للموضوعات ـ الاعلام ـ الاماكن ـ الامثلة

المؤلف

١٨٨٦ — ١٩٦٢

دمقس وأرجوان

تعليقات على هامش الشعر المعاصر

الكلمة

يبحث كل بطل من « المحاربين القدماء » عن ظل يتقيّل تحته ويهزّ بجذع النخلة فتساقط عليه رطباً جنياً ... ما أبقت الايام منهم غير طاقة لا تعدو الرواية . يذكرون للناس معاركهم الادبية التي بيّضوا فيهـــا وجه الوطن « ورفعوا اسم لبنان عالياً ! » ؟ أجل لقد أمسوا رواة لأنفسهم يروون من نظمهم ما يطابق مقتضى الحال ، ويمهّد لهم مرقداً يقبعون فيه . فابطالنا سخنوا من شدة البرودة .

سنحت لفطحلين منهم مناسبة يتنسّم فيها مجال القول : استقلال، نضال، صراع دولي ، جبل ملهم أنجبهم ، وقفوا في حضرة اكبر رجل في الدولة فما ألهمهم « المقام » ولا « الوسام » الا كلاماً مبتذلاً . شعراً سخيفاً بارداً يحمرّ له وجه من ينحلونه اياه ويتبرّأ منه .

إننا لمقبلون على سنوات عجاف ، على قحط وجدب أدبيين . « فالمحاربون القدماء » ألقوا سلاحهم . والنازلون الى الساحة ليس في أيديهم غير مخاريق

بأيديهم لاعبين ... ألفاظ معدودات ملمومات من هنا وهناك ، يرون كل الشعر فيها . تعابير والفاظ لا تتجاوز حبّات المسبحة ، وهم يتسلون بها دائماً وأبداً ، مستخيرين آلهة الشعر ، والفن لا يقوم على الخيرة ...

أما الجيل الطالع – رجال اليوم وغد – فيتخبطون واساتذتهم في ظلمات المناهج . يتعلّمون ليحملوا شهادات، لا ليسدوا فراغاً ستتركه البقية المتاصلة حتى الساعة ، ولولاهم لخلت الساحة . يتعلم هؤلاء الناشئون ليجعلوا من شهاداتهم مفاتيح لابواب « السراي » لا اسواراً تحمي ثقافتنا وتنمّيها . فماذا يحلّ بنا متى خلت الجبهة من الابطال ! ان الغد قاتم الأعماق خاوي المخترق . المشاتل خالية من الغرسات التي يعدها البستاني لنحل محل الشجرات التي تنقرض .

أما الإنتاج فخنفشاري ، يعجّ بألفاظ صاخبة ، ألفاظ يدللونها كما كان يدلّل سعيد ابي نواس رغيفه ... يرونها سدرة منتهى الفن ، وذروة الوحي الأسمى ، ولكنه وحي لا يحس آياته احد غيرهم . يحسبون الرعشة الفنية في عشرات الفاظ منها القعقاع ومنها المائع . يخالون انها توحي مما لم يوح الى موسى الكليم ، وتشع الهاماً كالعليقى التي رآها اذ كان يرعى الغنم ..

اجتاحت أدبنا ، وخصوصاً الشعر منه ، تيارات جارفة من الالفاظ والتعابير الجوفاء، حتى ضجّت الكلمات من طول عمر هذه السخرة ، وشكت طول السرى ، ولم تجد ويا للأسف من يقول لها : صبر جميل فكلانا مبتلى .

نعم والف صبر جميل على دفن الشعر في حبس الدم وقتله صبراً . فالكلام الذي لا يلابس الحياة لا يلهم شيئاً . ناهيك ان هذا الجديد قد شاخ كابن الرومي قبل الاوان . رجونا له صبوة ، فشاباً ، فكهولة ، فاذا به يقفز الى الهرم ولما يبلغ العشرين ربيعاً . فهل من نبع « جوفانس » جديد ؟!

كثيراً ما فكرت في هذه المجاعة الادبية التي حلت بأدبنا فاصبح غذاؤنا

الفاظاً خالية من عناصر الحيـــاة ، فتخيّلت ان الكلمة تجسدت ثانية وهي تستعدي وتستجير ، فقلت لها : ومن بك يا اختي .

فقالت : هؤلاء الذين يحمّلونني احمالاً ثقيلة لا يحرّكونها باحدى اصابعهم.

فقلت : وفي الادب ايضاً كتبة وفريسيون !! ما فعلوا بك يا عزيزتي .

فاجابت : يجلسونني في غير موضعي . ادلّهم على صاحبته فيقولون : لا انت أحلى . ونحن الكلمات مثل غيرنا من المخلوقات فاذا انتدبت إحداها لغير عملها قصّرت . فمن ينصفني من هؤلاء ؟!

قلت : اقعدي بعيداً يسلم رأسك .

فأجابت : ولكنهم يفتّشون عنّي بالفتيلة والسراج . فأنا اوروبية ، ولي اخوات كثيرات مسبّيات مثلي ...

فضحكت وقلت : لا تقولي هذا ، لم يبقَ في الدنيا حدود . صرنا نفطر في قارة ونتعشى في قارة . أمست الدنيا كلها بلداً واحداً . وقبل وبعد ، فدنيا الأدب لا شرق فيها ولا غرب . قوامها الفكر الانساني . ولكن قولي بربك ممن تشتكين ، وكيف حزت « الرعوية » العربية ؟

فأجابت : عَرّبوني غصباً عن رقبتي ، ويا ليتهم احسنوا . مسخوني يا شيخ !! أما في قلبكم رحمة .

قلت : وماذا تريدين ان نعمل ، يسرق بعضهم بعضاً ، واذا ادعى أحدهم ملكيّة كلمة دلّوه على الغارة التي شنها وسباكنّ فيها .

وبينا نحن في هذا الحوار إذ طلع علينا رجل مكتهل ، سلّم مبتسماً كأنه يعرفني ، ونظر الى الفتاة نظرة من يعرفها ثم ابتدرني قائلاً : أقرصنة ونحن في القرن العشرين .

قلت : وماذا تعني ؟

قال : أعني ان قومك غزوني وسبوا بناتي .

فقلت له : كان الغزو مألوفاً وكذلك السبي ، أما اليوم فانتفى . فلماذا لا تقول بلغة بلادك : إعارة وتأجير ؟ !

قال : ولكن احسنوا جوار السبايا فلا يتزوجهن من شاء .

قلت : ليس للسبية قول ، والويل للمقهور .

فهاج قولي «الكلمة» فصكّت وجهها ، وبكت. فقلت لها: وما يبكيك يا أُختي . لا تكوني قليلة العقل . سيّان عندك أكتبت بالحرف الشرقي أو بالحرف الغربي ، وسواء لديك أرصفت من اليمين الى اليسار ، او من اليسار إلى اليمين .

فتأوّهت وقالت : أهي مسألة يسار ويمين ، واشكال وحروف .

قلت : وأية مسألة اذن ؟

قالت : لا اريد أن أكون فارغة كالطبل ، ومن يرضى أن يكون في هذا الوجود بلا معنى ؟

قلت : مالك وكل هذا !! أنت كلمة .

فانفجرت باكية واخذت تنبش شعرها . ثم انتصبت أمامي كالمارد ، ووضعت أصابعها الخمس في وجهي وقالت:تقول اني كلمة ، من قال لك ذلك؟ أنا كائن حي مثلك، لا بل انا اطول عمراً واخلد وابقى من جميع ما خلق الله من لحم ودم . أنا كلمة ، فاذا كنت كلمة فكيف تستمدّون بي الخلود ولماذا تعللون أنفسكم ان تبقوا بي . انا كلمة !! وواحدة من بنات جنسي توقد حرباً تكون الملايين منكم طعاماً لها . نعم اني كلمة ولكني اصير جسداً لا يموت ساعة ينفخ فيّ الفنّان من روحه. نحن الكلمات نربأ بأنفسنا ان نكون هملاً ، كما يظن بعضكم ، نكون لا شيء قبل ان نتحد ونصير جسداً حياً ، قبل ان

نسمع صوت بوق الحياة ، أمـــا إذا نشرنا فإلى حياة لا موت بعدها . أنا كلمة وبي تنطق الصخور الصمّ وتتكلم القبور ، ويصبح الأبكم الأصمّ افصح الفصحاء .

نعم انا كلمة ، ولكن إذا أحسنتم التأليف بيني وبين اخواتي أخلق عالماً كله خير وحق وجمال . كيف تحسبني كلمة ولولاي لم يكن شيء مما كان ويكون ... الكلمة صار جسداً وحلّ فينا ، أما هكذا تقولون ثلاث مرات في النهار ؟ كل شيء مني يصدر وإليّ يرجع حتى القنبلة الذرية التي تشغل عقولكم اليوم . لا تقل لي بعد انت كلمة .

ولما أغرقت في الحدة هززت كتفيها بيديّ الثنتين وقلت بابتسام: انت كما قلت ، ومع ذلك لا تستطيعين الخلاص من أيدي هؤلاء . بالزيت يا أختي تمسح رؤوس الملوك . والزيت عينه يستعمل لمآرب اخرى ... فهوّني عليك . حنانيك ، لا تضرميها حرباً شعواء ، ان هذا لا يضيرك ، وحسبك هذا .

وكان جورج ديهاميل يصغي الينا منذ دخل علينا فقال: وأنا ماذا تعمل لي؟ فقلت له : أقبض على غرمائك ، وأثبت ملكيتك، وسبحان من له الملك.

سُوق الأدَب

ضمّنا مجتمع كحلقة يونس او النظّام ، فكنّا أشكالا وألواناً كرقعة عمر ابن الخطّاب ، نتذاكر شتّى الاغراض لا ندع غرضاً حتى نتعلق بآخر .ندوة جاحظي اسلوبها ، فمن حرباء الصحراء ، إلى عصافير الجنة ، ومن حديث صحابي الى نادرة مجّان ، فأخذ أديب طازج يراودني عن نفسي الأدبية فاذا هي خضراء كنفس داود ، لما أطل من برجه فاستقبلته التجربة .

انسقت للموضوع وكان أخذ وردّ فقال صاحبي :لماذا يقولون سوق الادب؟

قلت : لأن الادب خليق بهذا الاسم ، فالأدب حي مديد ، بيوته طويلة الدعائم ، كبيت جد الفرزدق المحتبي بفنائه زرارة ، وأبو الفوارس نهشل !

الا انه طبقات ! !

ففي الطبقة الارضية ترى دكان بائع الكمّون والبهار ، وعلب الكبريت والمكانس والحضر ، الى جانب حانوت الصائغ الحاذق ، وحانوت بائع الحمص الشامي والفول المصري والكباب والبيض المسلوق المصبوغ الى جانب المصوّر

العبقري ، وبائع المسك والعنبر بجانب طاهي الكروش ، وخيـــاط الجبب والسراويل يحاذي بائع زكر اللبان الحازرة والبيوض المذرة ، ودكان السكاف والصباغ والدباغ عن يمين حانوت خائط الثياب الإفرنجية كالفراك والردنكوت وثياب السهرات مقنعة ومكشوفة . وإلى يساره دكان السروجي . وقرب بائع الدمقس المفتّل الهدّاب ترى خوّاص الكراسي . وخصّاف النعال لصق بائع الحلي الثمينة ، والحجارة الكريمة .

وهناك من ينادي على الترمس أحلى من اللوز ... ومن يبيع قمر الدين وكل أصناف القديد : لحوم وسنموره ، وحنكليس وبزاق ومقانق ...

وحوالي هذه البناية اكواخ فيها كل سقط المتاع : كراسي مخلعـة ، وصناديق مكسرة ، وطرابيش وبرانيط عتيقة ، وطبنجات وخناجر اكلها الصدأ ، وسيوف مفللة وثياب جنود قديمة من عهد الهوّاري والأرناؤوط واواني صينية وفخـــارية شغل بيت شباب واللاذقية والصين واليابان ، وكاسات وصحون ذات فجوات وشقوق لا يفتأ اصحابها ينادون عليها انها من الطراز الأول الذي ذكره حسان بن ثابت .

وهناك حوانيت فيها بضائع اجنبية تفوح منها رائحة القطران ، وإلى جانبها المقاود واللجم ، والكيمات والحدوج ، وكل أجهزة النياق والحمير والبقر ، ولعبات اوربية ، ووجوه لليالي المرفع والبرباره .

وفي هذه الطبقة باعة للتوابيت يتضمنون الدفنـــات بأسعار مختلفة ... ويقومون بالمراثي والاذاعة في الصحف ، وحفلات الاربعين . .

أما الدلالون — وما أكثرهم في هـذا السوق — فتارة يقفون على شرف كخطباء الجاهليين ، وطوراً يذرعون الشارع طولاً وعرضاً كالمبشرين .

والطبقة الثانية فيها خياطون بارعون للسيدات ، وقفاً للمثل والنماذج الواردة من اوروبا « آخر ساعة » . وفيهـــا تجار يبيعون النحاس ذهباً ،

والقصدير فضة ، والشوح أبنوساً ، والزجاج كهرماناً . وفيها عمال يضعون الأزهار ويضفرونها باقات وطاقات وأكاليل للمآتم والأعراس . يعرضونها عليك كأنها من بنات الربيع ، وإذا أنكرت رائحتها العطرية اتهمت بالزكام ...

وفيها مزيفو الآثار القديمة كتماثيل هومير وفرجيل ودانتي وشكسبير وفريدريك — فريدريش أو فريدريخ في لغة المصريين — وشلر ، وكورنيل وراسين وموسه وغيرهم ..

وفيها أيضاً من يلحمون الخلاخيل والدمالج والمكاحل والخواتم وكل الحلي، ومن يرفأون ويرقعون ثم يبيعون القديم جديداً .

وأغرب ما في هذه الطبقة تجار الرقيق الأبيض الذين يبيعون جواري حساناً من كل شعوب الأرض . ومن أية بابةٍ شئت . علموهن لسان العرب وخلعوا عليهن الملاءة والأزار ، بيد أن رطانة العجم لا تزال بائنة فيهن ، فهن يلفظن الحاء خاء ويقلن « للخبز كبز » .

أما الطبقة الثالثة ففيها أمناء لا يساومون ، يبيعون القطن قطناً والزجاج زجاجاً وفيها سماسرة يستوردون البضاعة الأجنبية ويكشطون عنها وسمها المسجل — ماركتها — وينزّلون موضعه اسمهم الكريم .

فهؤلاء يعرضون في السوق بضائع مختلفة ويبيعونها رخيصة لأنهم لا يدفعون مكساً عملاً بالحديث الشريف : لا يدخل صاحب مكس الجنة .

انهم يطرحون هذه البضائع بين يديك ولا ثمن لها الا الحمد والثناء ، وليس عليك شرط الا ان تقول انها « وارد » المعمل الكبير الشهير الذي يتحف السوق بالطرف والنادرات ، الغاليات ، الغريبات العجيبات ، ومن بضائعهم سيّارات وطائرات من كل نوع ، ولكنهم يسمّون السيارة ناقة ، والطائرة فرساً ، لئلا يقال أنها ليست من نتاج العرب .

وفيها أيضاً تجار « يهود » يبيعون الصلبان والمسابح وشخوص العذراء مريم والرب يسوع ومار يوسف البار ، ومـــار اغناطيوس لويولا ، ومار منصور دي بول ، وكل أواني البيع المسيحية من شماعدين ومباخر وكؤوس وتيجان وحقاق وشماعات للقربان .

أما الطبقة العليا فهواؤها ثقيل ، لا يحتمله المصابون بالضغط العالي كأناتول فرانس ، وسلّمها طويل كما قال الشاعر العربي . حاول فريق استئجار غرف منها، وأناروها بالمصابيح الكهربائية فكانت كالنهار المستطير ، الا أنها فقدت روعة مصابيح امرىء القيس الصوفية ، فوقف السيّاح الأجانب ازاءهـــا كبدوي اسعد رستم امام الجمل في نيويرك ... مساكين هؤلاء التجار الكبار فهم دائماً على شفير الافلاس ، فالاختراعات القديمة تتهدد دائمـــاً مصنوعاتهم العتيقة . العالم في تطوّر وهم جامدون ، تشبهوا فقصروا ... كان الله فيعونهم على النجـــاة من الأزمة ، عسى ان تتخثن عليهم « الآلهة » وتعطيهم خبزهم اليومي ... فهم يحسدون احياناً باعة الحليب واللبن وسائر البقول ...

فتضاحك صاحبي وقال : اذن هم يحسدونني .

فقلت : نعم هم يحسدونك ، فبضاعتك نافقة ، لا بد من ان تبيع باقة بصل وثوم او ربطة فجل وبقدونس ، انت قوتك مكفول .

— اذن ماذا نصنع لتروج سوقنا الأدبية ؟

— لا تروج سوقنا ما لم نبتكر ، فقومنا لا يشترون ما نقلده ، والغرباء لا يحترمون من ينسج على منوالهم . السائـــح لا يشتري الا مصنوعات البلاد الخاصة ... ما اشبه الادب بالمائدة ، فاذا ظلت سفرتنا ذات ألوان غريبة فهيهات أن يدخل مطاعمنا احد. فلنميّز ولائمنا ولو بالهريسة والخبيصة، فذاك خير لنا من تقليد كمك اسبانيا وحساء الفرنجة .

— وما تقول بفلان ، أليس بالطاهي الاستاذ ؟

– بلى ، ولكن ارزه طبخ ثم جفّف وطبخ . . . ، فهو كمجدّرة جونية في ذلك الزمان . ولا تنس ان لحمه عتيق دائد وسمنه نباتي ، لا انكر ان صحفه بديعة الالوان والنقوش كالسفينة التي تخيّلها جبران ، واما طعامه فدون .

فقاطعني هنا صاحبي قائلاً : حقاً انك متعنّت .

فقلت له : حقاً انك ذكي جداً .

وانصرفنا .

الأدب الحديث

بين الاسلوب والتعبير ، والوزن والقافية

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

مصيبتنا كبيرة بادباء الظل، فبدلاً من ان يضحكوا كهندعمر يكشّرون عن أنيابهم لنهابهم ، كما يقول المثل . ليتهم ينقّون ادبهم من الزوان والقرّاص والخروع قبل ان يقيموا القيامة ويهجوا ويسبوا كصبيان الأزقة الوُقُح .

روى رينه بازين في مذكراته التي اذاعتها مجلة العالمين ، أن أناتول فرانس قال له : آه من النقد كم جعل لي أعداء . فما ترانا نقول نحن ، وادباؤنا رقاق الجلود ؟ فعداوة بيت الاعور واقعة لا محالة بينهم وبين الناقد ... فليفعلوا ما شاؤوا ، فستحكم الايام بيننا وهي أعدل الحاكمين .

ربّ يسّر ، لا تعسّر ، ربّ تمّم بالخير ، يا كريم ...

كان عندنا خوري عرف اسرار اللغة السريانية مثل مـــار افرام ، فصار مرجعاً لطلابها ابن حـــلّ . حضر مرة مناحة في احدى ضياع بلاد جبيل

الشهيرة ، وسها الناس عن دعوته ، كالعادة ، للغداء مع المطارين والاعيان ، على المائدة الخصوصية ، فمزّ عليه ذلك جداً . وحرد ابونا الخوري فجنّز وانسلّ من باب الكنيسة الخلفي ، فلحقه بعض الشمامسة غير دارين ببلوته العظيمة . والحوّا عليه بأسئلتهم الحاح الذباب على القاضي عبد الله بن سوار ، وكلها كانت في اشتقاقات اللغة السريانية فكان يجيبهم متحملاً المصيبتين ... واخيراً سأله احدهم عن اصل كلمة « آخ » السريانية قائـــلاً : آخ من اين يا معلمي ، فأجـــابه الخوري : آخ من ضيعتكم يا ابني ... وشمّر مسرعاً لا يلتفت خلفه .

وانا أقول : آخ من النقد ، بل الف آخ من ادب أصحابنا الذي لا يبيّض وجهنا عندهم ، حتى اشتقنا الى كلمة ثناء ملء الفم . فجيّد هذا الأدب فلتة كدعوة رئيس مار عبدا للطعام . ان رائحة العتق تهب علينا من ألفاظه ومعانيه ، تاركة في محيطنا العقلي شيئاً كالذي يتركه الجمل المقطرن حيث يمر . ان جلّ أدبنا الحديث بعيد عن القرن العشرين بُعْد الهاجع في وادي الجماجم عن صلعة صنين . فمثلنا الأعلى في النثر ، عبد الحميد ، والجاحظ ، والصاحب ، والقاضي الفاضل ، وفي الشعر ايمتنا البحتري وابو تمام وابو نواس والنابغة ، فيأتي نثرنا جافاً وشعرنا ناشفاً ، لا ماويّة ولا شخصية فيه . ومن أين تأتيه العافية وهو لم يطلبها الا من البوشرية ... ومتى خلا الادب من الشخصية خلا من الروعة والتأثير . وشر الدواهي ان هؤلاء الذين يقلدون الجاحظ قد ضيّعوا درب بيته . فليس الجاحظ حيث يقول: « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وحبب اليك التثبت وزيّن في عينك الانصاف ، واذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك البر واليقين ، وطرد عنك ذل اليأس الخ . »

ما هذا أسلوبه ليقول لنا مقلده الشيخ مصطفى صادق الرافعي : « كنت انت لها عاشقاً ، وبها صبّاً ، وفيها مدلّهاً ، ثم كانت هي تحب رجلاً غيرك ، وتصبو اليه وتفتتن به ، وقد احترقت عشقاً له الخ » كما أحترق أنا حين اقرأ

هذا التقليد المقرف ، فتعجز اطفائية بيروت عن اخمادي . . الحمد لله ان حياتي مكفولة ، ولا خوف على الايتام .

أفلا نعذر الادب العربي إذا صرخ مع الموارنة في جمعة الآلام بلسان المسيح : هل رأيتم من بلي واصابته مصيبتي ... ان المصيبتين متعادلتان يا سيّد ، فماهذه السفاسف التي نسمّيها ادباً بأخف آلاماً من الصليب ، فلتتشبه ام اللغات بأم يسوع ...

ويقولون عن هذا الكاتب — الرافعي — انه يقرأ الجاحظ قبل شروعه في عمله الانشائي ، فهل عرف اسلوب الجاحظ من يكتب كما رأيت ؟ لا . ان اسلوب الجـــاحظ في حديثه وشخصيته . إسمع الجاحظ الشخصي كيف يكتب في اقسام الطيور : « الملائكة تطير وليست من الطير ، وجعفر بن ابي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء ، وجعفر ليس من الطير ».

فمن يطلب الجاحظ فليفتش عنه في مثل حكاية القاضي عبد الله بن سوار ، وفي كتاب البخلاء ، من الجلد الى الجلد ، فهناك يجده بلحمه ودمه . الجاحظ يضع روحه فيما يكتب ، أما هؤلاء فلا ادري ماذا يضعون ...

وممن يعشقون اشد العشق هذا الاسلوب الجاحظي ، الاستاذ احمد حسن الزيات ، وقد سبق الرافعي مراحل حتى كادت تكون كل مقالاته الافتتاحية في « رسالته » من هذا الاسلوب المشرشر . ضع يدك على أي عدد شئت من الرسالة تقرأ فيه مثل هذا : « كان الملك جورج معنى جديداً من معاني الملكية الجديدة — لا ادري إذا كان يقال عنّي بعد صدور هذا المقال اني من أعداء الملك جورج ، رحمه الله ، وكانت بيننا ضغائن ، كما قيل فيّ منذ اسبوع لانني انتقدت قصيدتين قيلتا في فخامة الرئيس الاستاذ اده — « وفق » بين غطرفة الملك وتواضع الديمقراطية ، « وألّف » بين قيد الحكم ونوازع الحرية ، « وصالح » بين حفاظ التقاليد وطبيعة التطور ، « ولاءَم » بين ارادة العاهل

وسلطة الدستور ، « وواءَم » بين سياسة الدولة ورغبة الامة ، « واستبدل » بالسلطة الزمنية التى اماتها الزمان الخ « الرسالة عدد ١٣٤ » .

والزيّات كالرافعي ينقب كالخلد في تربة اللغة ، ويا ليته يُخرج تربة ناعمة بل حصى ورخفاً ، انه لا يخرج من مقالع اللغة الا المفردات الميتة كالبهاليل، ويظن ذلك فتحاً مبيناً ، ولا يسمعنا الا تعابير متحجّرة يزيدها الترشيح لها خشونة ويبوسة كقوله:« ايبست الأرحام المبلولة » فتخاله يحدثك عن أجربة متكرّشة مقرمشة .

وزميله الرافعي يهيم في الاودية الصفراء ، ويعود منها كتأبط شراً بكلمة الطنز ، فيقول في مقال « ابليس يعلم » : فان ابليس إذا أراد أن يسخر من العالم ويسمعه طنزه وتهكمه الخ ... ثم شرح الاستاذ طنزه هذا بحاشية قال فيها : الطنز : التهزؤ والتهكم .

وأنا أقول . ولعل منه كلمة « طظ » عند العامة « الرسالة عدد ١٣٩ ».

فهل من يدلنا على كلمة تفي بتقريظ تجديد سيدنا الرافعي وله الاجر.لعل عند الاستاذ ابلغ وأروع من هذه الطنز وشرحها ، فنثني بها عليه. اشهد انني فتّشت ولم أجد . أجار الله أدبنا الحديث من هؤلاء الذين يرمون الناس بمثل هذه الألفاظ فكأنهم يكتبون بالمنجنيق.

الأدب كالأحياء مواليد ووفيّات ، والألفاظ لا تؤخذ من القواميس بل تستشار القواميس بشأنها . اننا لا ندعو الى الفوضى ، بل نحاول طمر الخندق الذي حفره التنطع والتحذلق فحال بيننا وبين القرّاء والسامعين. فلننزل قليلاً عن عرشنا،وهم يصعدون الينا متى حدثناهم بفصيحهم ، فنتلاقى ونسير عصبة واحدة تحت لواء اللغة الفصحى الرطبة لا الجافة المكرورهة . ليس التجديد بإحياء كلمة مهجورة كطنز الرافعي ، فنحن في غنى عنها وعن شرحها، وعن شروى بشارة الخوري وأضرابها — اللهم في الشعر —فللشعر في كل أمةألفاظ يعرفها أصحاب الذوق.

اننا في حاجة الى ثورة ادبية لنريح هذه اللغة من بلاياها، ونرتاح من هؤلاء الفعلة الذين لا ينامون الليل ثم لا يصبحون بخير . فمن اتجه منهم صوب التجديد في شبابه هجر بيته الجديد في كهولته . وقعد في القبو حيث الرطوبة والعفن . اننا لا ندعوهم الى بدعة او فتنة ، اننا ندعوهم الى لسان الجاحظ والاصفهاني وفصحاء العرب مع نبذ ما بلي ورثّ ، وإحياء ما يدعو اليه الاستعمال ، ففي القديم ألفاظ تفيض حياة ، وفي اللغة العامية ألفاظ فصيحة رشيقة لا يغني غناءها ، فلنترك البهلول لما استعملته له ، فهي لم تتعدّ به حد الفصاحة .

هذه هي الخطة الرشيدة التي نرى فيها صوناً للغة الفصحى من ثورة الغوغاء عليها ، فاللغة العامية تصير فصحى بعناء يسير وتهذيب قليل ، فلننمِ سجايانا الادبية في ظل الفصاحة والاعراب والتفكير والتعبير المستقلين، لا في التفتيش عن الرواسم والأغراض القديمة ، فقد ضل من يطلب الادب في تعبير بجّه الف قلم ، فكما يكره أحدنا أولئك الذين يمضغون الكلام ويتشدقون به ، كذلك يبغض القارىء من يحدّثه بغير لسانه ، وتعبير من ايام سد مأرب .

فلا نبالِ بالقائلين : فلان اسلوبه غير عربي ، وفلان لغته عربية لا غبار عليها ، لأنه حدّثه بلغة الموتى . فما ارى هؤلاء المتشبثين بالقديم على علاته الا كأعمى وقع في عليقى ومن ينجيه ؟ للغة قواعد ، ولها معجم، ولك ذوق، ولسان ، واذن ، وعقل ، فسر على خيرة ذوقك ، وأرنا شخصيتك لنقول لك من انت .

يسافر التاجر الخبير كل عام الى اوربا ليرى ما نزل الى اسواقها من جديد، فهل يتبضّع غير ما ينفق عندنا ، فلماذا لا يفعل مثله ادباؤنا ، ان اتكالنا على عبقريتنا ، وحدها ، والتفاتنا دائماً الى الوراء لا ينفع ، ولا يكون إلا أدباً سخن المهب يلفح الوجه ، ويمص الماء من العود النضير . لسنا نعني بهذا ترك القديم بحملته ففي القديم ما لا يعتق ، ولا ننفخ في البوق لشن الغارة على آداب العالم ، وإن كنا نحن متهمين بالغزو ، ولكن الهجرة تهذب الطباع وتدمّث الاخلاق.

فكم من معتاز هاجر ثم عاد « مستر او سنيور » . لنتغرّب معتصمين بخواصنا الشرقية ، وإلا صار أدبنا لا غربياً ولا شرقياً . اننا نريد التطعيم وحسبنا خواص التربــة ومؤثرات الجو والمحيط فحتى الطيور تستفيد من الاستيطان . نحن لا نريد ان نلبس فرلين عقالاً ولا هيغو كوفية ولا شكسبير وغوت عباءة بل نريد أن يخلق اطلاعنا على آداب الامم والشعوب عنصراً جديداً كالملح الذي يصلح طعامنا ، وهو يتألف من عنصرين سامّين : الكلور والسوديوم .

ليس الفن والحياة فقاقيع صابون، كما يقول رومان رولان، حتى نلهو بتعابير الاقدمين ونرصّع بها كلامنا . اننا نحتاج الى الثقافة النقيّة حاجتنا الى نور الشمس ، وهذا لا نجده في آداب العرب وحدهم ، فالفرنجة لا يخجلون اذ يردّون عناصر أدبهم إلى مصدرها ، فلماذا نكون نحن كأجدادنا الذين يرون الفصاحة كلها في كلامهم ؟

ان بعض ادبائنا كالجواد المطوّل له ، يريد ان يجري فيرده الحبل ، انهم يحاولون التجديد ثم يرونه في التقليد ، ان التقليد كحامولة النهر تحاول أن تعارضها فتجرّك وتجرفك .

ان آداب العالم في تطور مستمر ففي كل عام اتجاه جديد ومدرسة حديثة، فهل عندنا شيء من هذا ؟

احدث جبران مدرسة لم تعش طويلاً ، اما الآن فمعظمنا لا يؤمنون بصلة الادب بالحياة ، ولذلك تسد بوجهنا أبواب الرزق، فنفتش تفتيشاً عما نكتب، ومن يفتش لا يجد .

واما الشعر فهو صريح الاوزان وقتيل القوافي . لست ثائراً على علم العروض او من دعاة الشعر المنثور الذي شبّهه أحد نقاد الفرنجة بالوطواط ، وتمثل بما قاله لافونتين على لسان هذا الحيوان : انا طير وهذان جناحاي ، انا فأرة فلتحيَ الجرذان ...

انني أرى في الأوزان العربية وحدة موسيقية يؤلف كل وزن منهـا لحناً خاصاً ، فمتى لفـّق شاعرنا ألفاظه ، واستقام الوزن كانت الموسيقى، ولهذا لا يبالي شاعرنا بالفاظه الا قليلاً، بينما نرى شعراء العالم يخلقون من توافق الالفاظ موسيقى يوفق اليها كل شاعر بحسب طبعه واجتهاده . فالانكليزي يلـــتزم التشديد مرات في البيت والفرنساوي يختار الفاظاً رنـّانة متحدة ومنفردة ، اما الشاعر العربي فاذا عبأ مفاعلتن مفاعلتن فعولن كان له شعر رنـّان وقصيدة عصماء ... ومتى رصف الفاظاً عربية ، وتعابير مأثورة ، وقوافي يأخذها بأذنها ليقعدهاحيث شاء ، كان من الشعراء الفحول الكبار !!

ما أرى هؤلاء الذين ينظمون هكذا الا كبائع الباذنجان . ينظر إلى قب ميزانه ومتى اعتدلت الكفتان كان الحق . امـــا الشاري فينظر إلى البضاعة ايضاً ، وكما تسوء بائع الباذنجان ان قلت له : باذنجانك مزرقّ أو ذابل، غيّر هذي ، ابدل تلك ، هكذا تسوء الشعراء ان أشرت إلى شيء من هـــذا ، فاسكت والامر لله .

ان الشعر الذي لا يختلف عن محليات الصحف الا بالوزن لا ينفع بقائله يوم القيامة ، يوم ينفخ في الصور فنقوم من قبورنا للدينونة الأدبية الرهيبة في الدهر العتيد .

تناقلت الصحف منذ اسابيع كلمة اديب افرنسي عن كساد الشعر وقلـّة الخير فيه . فمتى كان الشعر بضاعة ومحصولاً كالبطيخ والعنب والتين والشيت والمقصور،بل اي قيمة للكناري والحسون اذا قابلناهما بالسماني والترغلة ؟وهل يشترى الكناري بالاوقية كالدجاج والارانب . عفواً بل بالكيلو فقد تغيرت العيارات والموازين في اسواقنا ، وان كنا في الادب لا نزال نكيل بالاردبّ والغرارة والمدّ .

ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، فكلما ابتعد العالم عن الشاعر الحقيقي

اقترب من الهمجية والوحشية ، وليس الشاعر فرداً بل هو امة بأسرها ، هو عصورها كلها تتحرك وترتعش تحت اصابعه ، انها لا تحتاج الى يـــد لتخرج انغامها ، بل الى نفس مدرّبة على الفن تكتشف تلك الموسيقى . فلا الفـن وحده ولا العاطفة وحدها تبدعه بل يتحدان كلاهما فتنبثق منهما الروح ، وهو كل شيء في الادب ، وفي الشخص ، وفي كل ما هو كائن حتى في السماء التي اتفق فيها على الروح القدس ، ولولاه لما صار الكلمة جسداً وحلّ فينا .

ان مهمّة الشاعر اليوم ، كمهمة النبي امس ، محاربة المادة الطاغية التي خنقت ضمائر الشعوب فتنابذت وتفرّقت .

فما تقدم يدرك القارىء اللبيب اننا نطلب ادباً شخصياً رفيعاً في معانيه وتعابيره ، لا افرنجياً ولا جاهلياً ، ومتى عجز الشاعر عن الابداع فاته مـا نسميه شعراً . اننا نطلب لغة حية ترتعش في يد الجيل ، لا نريد عسلاً طيباً في وعاء سوء ، ولا وعاء مموهاً فيه طعام مخم . نريد ادباً لا الفاظاً قفاعية كما قال بديع الزمان ، نريد أدباً لا تحل فيه كل كلمة محل اختها ، ولا تتلبّد فيه القوافي كفساطين العجوز في شباط . نريده كالثوب الذي ينم عن معاني الجسم البديع حتى لا يصح بنا قول القـــائل : من لا يحسن صهيلا نهق . وقصارى الكلام نريد أدباً لا تقليد فيه ، فمن استطاع-فليفعل وإلا فليتوار ، فالمقـــلّدون ثقال الظل في كل ميدان من ميادين الحيـاة ، بل كل أرض كما قال الشاعر .

بَيْنَ الطَّبْلِ وَالزَّمْر

الحبشة ملء الفم والاذن في هذه الايام ، فلا حرج علينا اذا ذكرنا « بنت عمنا » ولو في الادب،وتمثلنا بقولهم : الحقيقة والصبح يضحان رويداً رويداً .

فهل يفهم هـــذا « ابناء عبقر » منا ويريحونا من شعوذاتهم الأدبية ؟ ما زالوا يؤمنون حتى اليقين ان كلامهم وحي يوحى ، فأي خوف عليهم حتى يحزنوا !! هب ان عقولنا نحن ، ابناء هذا الجيل النحس ، سميكة غليظة فالدهر جواد مسماح . فغداً او بعد غد يجود الزمان بمن هم أبصر منا بالفن الرفيع. وآية ذلك ان الناس خاطروا بنفوسهم لاكتشاف القطبين،أفيحجمون يوماً عن اكتشاف اقطاب الأدب ؟! أما ظلّ ابن الرومي مجهولاً الفاً واكثر من السنين حتى ارسل الله المازني والعقاد فجسا ذلك العرق الآري وأرَيانا شاعراً فوق العرب ...

كلـكم ، والحمد لهاذر بن ماذر شيطان النابغة ، عباقرة وغزاة وفاتحون في الادب ومن رجال الوحي والالهام ، فتشبهوا باختكم الزهرة . تأملوا كيف تصبر امها الحبلى بها بلا دنس ، على صفعة الهواء ووطأة الثلج ورعونة

البرد، لتفرح بها ساعة في الربيع يوم يأتيها شاعر مبدع مثلكم يعلم أن الطبيعة خلقتها له وحده فيخاطبها بلغة السماوات العلى ، ثم يخطبها ويضمها الى صدره الرحب كصدوركم ...

صبراً صبراً فالعجلة من الشيطان ، ولا يستفزكم المثل الحبشي الآخر : الحكمة المخزونة في القلب كنوز في ابريق . فتكسروا الجرة .. رويداً فالنور ولو كان في الابريق لا يختفي ، لا بد من أن يهزه عطشان — ولو كان فارغاً — فيرى بدل الماء نوراً ، ويطير الخبر حتى يلحق الغيم .

لقد أساء اخواننا الشعراء بادراكنا ظنّاً فما صبروا علينا ، ارادوا الالوهة عاجلاً فركضوا وراءها ملهفين واستعانوا بالطبل والزمر ليفهمونا . حقّاً ان دقاق الطبل ونافخ المزمار يضخمان صيت العرس ، ولو كان العريس كبشار والجاحظ سحنة .

ان حامل القلم ضيق الصدر يستعجل قبل أوانه ، ومصيبتنا بالبشر انهم لا يفهمون بالقلم العريض بل بالمساس . فماذا نفعل حتى يدركوا نبوغنا ، ويقدروه بسرعة الراديو رغماً عن أنوفهم ورقابهم .

لماذا نتعب لنحزر، فذلك الشاعر الخبيث حل المشكلة منذ الف ومئتي سنة، قد عرف ، كما قالت العرب ، من أين تؤكل الكتف ، فجاء صاحب « بانت سعاد » وخرج من عنده ظافراً اسمع صاحب الأغاني يحدثك عنه :

« كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ... وكان دنيء النفس ... فبلغ من دناءته أن اتى كعباً بن زهير فقال له : لقد علمت روايتي لكم وانقطاعي اليكم ، وقد ذهبت الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك ، فان الناس لاشماركم أروى واليها اسرع ».

فازهى الغراب ووقعت الجبنة من منقاره ، وقال كعب :

فمن للقوافي شأنهـــا من يحوكها اذا ما قضى كعب وفوّز جرول
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنحل منهـــا مثلمـــا تتنحل

وأخال سعيد عقل قرأ هذا الخبر جديداً فانتخى وتهوّس وقال في نفسه : ما حك جلدك مثل ظفرك ، فهرول توّاً إلى الجامعة الاميركية وانتصب على منبر العروة الوثقى ، ولا ادري اذا كان تلوّى ايضاً ، والقى كلمته « تطور الشعر الحديث » وأظنه ذكر يوم الريحاني « عندنا » فشدّ على بشارة الخوري . ثم من يدري فقد يكون ذكر ما جاء في قصيدة بشارة الحلبية عن الجديد :

بعض الجديد الذي يدعونه ادباً يموت في يومه .. ،

هذا اذا عاش يا استاذ . وسعيد ، وان لم يعرف الناس بعد ، يتزعم عصبة « افعوعل » فمضى يتدفق كالبحر في مقـــاله ، ولم ينفسح له المجال ليقول للناس كالبحتري : لماذا لا تقولون احسنت ... لانــه لم يحسن الدلالة على بضاعته . اراد ان يبيعها جملة، والحكمة بل العدل يقضي ان تكون تفاريق ، فالأزمة خانقة ... ولكن يظهر ان مخزنـــه محشو بها فاراد ان ينفّقها كلها ويستريح ، والجابر الله ...

•

ومثلما جرى في الجزيرة العربية حوالي سنة ٦٦٠ م ، حدث في فرنسا سنة ١٨٦٣ ، وبلا توطئة أنشر لك رسالتين ، وانت لبيب من الاشارة تفهم:

سيدي العزيز

٦ تشرين الأول سنة ١٨٦٣

اكون عارفاً لجميلك اذا افتكرت بي. امامي عمل جسيم مع المسيو ميشال لافي ، وهو لا يفعل ذلك ما لم تكن مقدمة « آراكا » مجهزة . ثم علي أن اكتب بضع صفحات للجزء الخامس من كتاب ... فانا مشغول بشكل فظيع ولولا هذا لكنت أسعى يا مولاي ، لرؤيتكم مراراً .

اتستطيع ان تكتب لي مقدمة صغيرة للكتاب – أي اراكا – ورأيك

فيه ، واذا كنت نكتب المقدمـــة فكم تكون صفحاتها ، وما هو الثمن الذي تطلبه

ثق يا سيدي انني اقدّر هذه الخدمة التي اسألك إياها بكل ما تستحق ، ولا أنسى ذكراها أبداً .

شارل بودلر

أما جواب النقاد « تين » فهذا هو :

سيدي العزيز

انا مشغول جداً ، وصحتي رديئة ، فلا استطيع القيام بمقالة كالتي سألتنيها . أنا من المعجبين ببو مثال الجرماني الانكليزي في الادراك العميق مع الحدة العصبية الغربية . ليس لبو أوتار عديدة ولكنه ينقر الثلاثة الأربعة التي له بطريقة مؤثرة جميلة فهو يدنو من هـــين ، ولكن كل شيء اسود في عينه فالكحول عمل عمله فيه ، الا انه مع ذلك عادل في تحليله ، أما « آراكا » التي هي كفلسفة بلزاك في سارافيتا ، وهيغو في مشاهداته فلا احبها ، الخ .

تين

لم ينشر بودلير هذه الرسالة لأنه لم يوفق كالحطيئة ، ولكن الصحف التي تمحص هناك وثائق الأدب نشرتها مع مكتوب بودلير منذ شهرين .

هل يستغرب الكاتب الفاضل الزحلاوي صاحب « ادباء معاصرون » طنطنات المقدمات عندهم التي هي كأغاني القرادين. وأنا لا اكتمه ان كتابه ، في نظري ، مقدمة ضخمة من تلك المقدمات التي آلمته . فحملته على الفئة المعارضة « لعبقري العصر وسيد شعراء العربية ، وإمام المتمردين ، وأخيراً استاذه العقاد ... » لا تترك لحسن الظن مجالاً .

في كتاب الزحلاوي ملاحظات تحترم وأسلوب حي ،وهو سفر نحن بحاجة

الى مثله ، اما لوثه العمامة على رأس العقاد ليصيّره « سيداً » فهذا كثير جداً، غفر الله لي وله .

العقـاد من رؤوس الكتاب العصريين وقد يكون قيدومهم وأوجههم ، وإن كان تفكيره خيراً من تعبيره . اما الشعر — ليته يسمع مني — فليطلقه، فشعره ليس من ابناء السلامة ، وإن يعش سنين معدودة فذلك عمل المنعشات والمقويات ، كحقن الزحلاوي ، وحمية طه حسين ، ولا أدري من غيرهـا ، بيد ان هذه الانابيب لا تخلق جباراً ، كما يتمنى العقاد ان يكون ، ولكنها تنعش الى حين .

وبعد فـلم ننته من تطبيل الحركة الادبية ، هنا وهناك ، فمنذ اسبوعين قرأت قطعة في صحيفة افرنسية كبرى ، عنوانهـا « هـل النقد الأدبي مأجور ، هاك ترجمتها .

« شكا فرنسيس جيمس النقد المرشو ، فهاج هـذا الخروج من الشاعر معارضات عنيفة ، وبينا الناس يتساءلون اذا كان جيمس ادعى حقاً نطرح على القراء هـذه المسألة : المسيو لوك دياتريش كان امس كاتباً غير معروف — كتوفيق الحكيم مثلاً — أخرج رواية « سعادة المحزونين » فعرضت في المكتبة بلا التوطئات المألوفة فظلت مهملة حتى أطرتها اقلام النقاد .قال فيها ناقد الماتين ما يأتي : كاتب ذو شأن يظهر مقدرة رجل وكاتب ... ينتقل بسهولة في كتابه من جمال شعري منقطع النظير الى خشونة مرة . وقال ناقد غرينغوار : في الكتاب معنى الحياة وكشف غوامضها ، فهو مزيج عجيب من الحقيقة والشعر اللذين هما من ميزات اكابر الكتاب. وقالت النوفل ليتربر ما اشبه ذلك.وهناك جرائد اخرى عدت لوك دياتريش اهلاً لجائزة بنكور . وهكذا اصبح كتاب سعادة المحزونين في طليعة الكتب الادبية الحديثة في بضعة ايام . واننا نترك للقارى الاستنتاج » انتهى .

ومثل هذا تفعل الصحف السويدية فتقترح منح جائزة نوبل لهذا وذاك ، لا ننسَ ان هناك خططاً لا بد من ترسمها للطامحين ... وهكذا كانوا يفعلون من قبل بالنابغة ، حكم عكاظ ، فيقيمون حوله سوراً من العوامل ، ويمهدون الطريق عنده لمن يريدون ان يكون شاعر الموسم ... ومثل هذا يفعل الذين يقرأون لطه حسين كما انبأنا الزحلاوي ، اقرأ ما كتبـــه ص ١٤٧ في صدد ديوان فوزي المعلوف .

وقد بلغني ، ولا غرابة ان بعض المتهافتين عندنا على جوائزنا التافهة كانوا يستعطفون قبل حين من يظنون انه سيحكم . قال لي صديق صحافي ، كلي الوقار والاحترام والظرف أيضاً : توقّح بعض اصحابنا الشعراء حتى كتبوا بأيديهم مقدمـــات قصائدهم ودفعوها الينا مع « درتهم الخالدة التي أطربت وأسكرت السامعين » ولو كانوا جواميس كما قال نيتشه.

وحضرت انا حفلة عكاظية فسمعت قصيدة شاعر خرج من المحفل مكسوفاً — لأن جماعته لم يحضروا كلهم — فكان التصفيق غير حاد ، والآهات خفيفة باردة ، ولم يستعده أحد بيتاً لأن داعيته كان يجانبي فاستحى مني .

وظهرت الصحف في الغد ، فاذا الشاعر حلّق ... وإذا الشاعر أسكر ، واذا التصفيق عواصف ، واذا أبيات القصيدة استعيدت كلها ... وصدق الخبر ايضاً شاعرنا العبقري فحدثني في الغد عن درته صانها الله ، كأنني لم أكن في المحفل . فقلت يا سبحان الله ، نحن اخفف عقلا من غواني شوقي .

مجهودَ باطل يبذله هؤلاء المفتونون ، فهذه الكلمات ينساها الناس ولا يبقى للأديب الا جماله الفني الحقيقي حين يقف عرياناً في الديمونة الرهيبة ، فلا يشفع به مـا قاله الناس فيه ، ولا يصم التصفيق الحاد اذن الناقد حين يخلو بنفسه ويضع تحت مجهره من يمتحن ، فيرى في خلوته ما لا يراه الناس من حسن وقبح ... فخير للأديب ان يقول ابياتاً لا يصفق لهـا احد فيرضي نفسه والفن من ان يقول مطولات مبتذلـــة يصفق لها الوف من الناس حتى

تحمر ايديهم وتنتفخ رقابهم ، ثم لا يتمالك النقّادة – اذا صبر على قراءتها – ان يحط شفته السفلى ويقلبها ...

وقصارى القول ان الشهرة الخالدة لا تؤخذ بالطبل والزمر ، وأثر الهرّاجين في النفوس ابن يومه ، أما أثر الفنان فيبقى ما دام الفن ، ومن رأى الناس في متحف يهرجون !

وأخيراً فلا يتوهمن بشارة اننـا برزناه ولا سعيد اننا شجبناه ، فلكل حادث حديث ، وعلى الناس ان يوسعوا صدرهم للنقد فلا تنشق مهما طغا النقد ، فالناقد لا يمن النظر في الفلس .

الى اللقاء .

عكاظ بيت الدين

كان اليوم الرابع من تشرين الأول – ١٩٤٩ – موسم ادب وشعر ، كان يوماً لا تنقضي غرر له وحجول كما قال الشاعر العربي . ذكرنا ذلك النهار اياماً كانت تنفتح فيها أبواب الخلفاء للشعراء فيدخلونهـــا افواجاً . دعا فخامة الرئيس الشيخ بشارة خليل الخوري نخبة مختارة من رجـال القلم الى قصر بتدين التاريخي بعد ان اعاد اليه رونقه وبهجته ، فدخلناه وطوفنا فيه ، فاذا بنا نرى انفسنا كأننا في أحد قصور الف ليلة وليلة فمن بهو الى بهو ، ومن عرصة بهيجة إلى عرصة أبهج ، وكلها من الطراز العربي الشرقي الانيق . قصر ملوكي تضيع الوف الزائرين في باحته وجنائنه وميادينه .

كانت دعوة الرئيس الكريمة ، فجاء حملة الاقلام من كل فج عميق واحدقوا بالشيخ الرئيس فكان كالماسة الغراء وسط اطار من الذهب . اضفى فخامته على زواره لطفاً واينساساً فازدادت الحفلة روعة وبهجة . فلم تكن تلتف حوله حلقة منهم ويؤخذ رسمها حتى ترفض وتتكون دائرة اخرى . فيذكر هذا المشهد بقول ابن الرومي :

الا بمقدار ما تنداح دائرةٌ في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

لا اتحدث عمّا اعد لهذه النخبة المختارة من مائدة ، فملكوت الأدب ليس أكلا وشربا بل وحيا وإلهاما .

ثم جلس فخامته للشعراء فانبروا للالقاء والايماء فأنشدوا قصائد أعدوها لهذا اليوم الاغر المحجل في تاريخ الادب ، فانشد الملاط قصيـــدة حافلة بالذكريات الحلوة المذبة ، لان بيت الدين مسرح طفولة فخامة الرئيس وملعب صباه وفتوته . لم تكن القصيدة فخمـــة كما عوّدنا الملاط أن ينظم ولكنها كانت عذبة الوقع في نفس من يحس جوها ويتمثله . واليك نموذجاً منها :

أبا القمرين هـاجت ذكرياتي ببيت الدين ساعـات السرور
ليـــالي العمر مخضر الحواشي حفي بالعشيرة والعشـــير
اتذكر مقعد « الجوزات » صيفاً وروحات « المقاصف والضهور »
وطوفك والرفـــاق على قناة تجر المـــاء من أصفى النهور
واوقاتاً على الشالوف تصغي إلى صفصـافه وصدى الغدير

●

اتذكر « قاعة العامود » قدماً وانت بقرب والدك المـــدير
نجيل العـــين في آثار قصرٍ وروعة فن صـــانعه القدير
الم تحلم بأنّ يوماً ستمسي وتصبح وارثـــاً مجد الامير
تجدد ما تجدد في بناء بهـذا الشرق منقطع النظير
ولا عجب أليس هناك قربى بمشتق البشارة من بشير ! !
سلاماً أيهـــا الباني بنـاء للبنان الطليق على صخور

●

امير المنبر الموهوب أكمل علاج الخلق بالحلم الوقير
لقد زعموا بكان الارز حرّاً بفخر الدين قبلاً او بشير
نعم حرّاً ولكن تحت نير وفي ذا العهد ساد بدون نير
وكم للارز في شرق وغرب سفير في سفير في سفير

ثم تلاه الشاعر بشارة الخوري المعروف بالاخطل الصغير فاجاد أكثر من صاحبه وبلغ مستوى عاليا في المديح لم يبلغه من قبل . ابتدأ رائعته بتجاهل العارف ولكنه لم يجيء على حقه فقال :

ابشير بين ضيوفه ورجاله يتبجح الميدان عن ابطاله
اخيال ماضيه يلوح لناظري فأرى حقيقته بعين خياله
ماضٍ على ما كان من هفواته دنيا من الامجاد تحت ظلاله

ثم نحا في المقطع الثاني نحو النابغة في الاسلوب وغيره فقال :

ما ابن العميد وقد تصدّر للندى ومنال قرن الشمس دون منال
إلى ان قال :
بأعز منه ولا أقول مغالياً الشيء يخبر عن حقيقة حاله

ثم كان في المقطع الاخير متنبئياً ، أي يمسك الحبل من طرفيه ، وتكون له من المدح حصة محترمة ، وهذا ما عودناه الاخطل الصغير في كل مجال فاسمع قوله :

يا رأس لبنان وغرة فجره وزعيم نهضته ، وسيف نضاله
اعطاك دهرك عقله ويمينه وقنعتُ منه بقلبه وشماله
فرفعتَ من لبنان راية مجده ورفعتُ راية شعره وجماله

ثم انشد الدكتور فياض قصيدته الغراء فاثنى ومدح ولم تلهه تلك الوقفة فقال فيها مطالياً :

جددت سوق عكاظ في عرصاتها وابحت للشعراء قدس مزار

ايكون للادباء في لبنانهم وهو المشع بساطع الأنوار
نادٍ فيرفع شأنهم ويضمهم ويقيهم في العيش كل عثار
لا يكبر التاريخ شعباً لم ينل ادباؤه حظاً من الاكبار
ومسطر التاريخ خص اديبه بالذكر قبل كميّه المغوار

وقد حددت موقف شعراء هذا الموقف الثلاثة على طريقة القدماء ، فقلت لمن سألني رأيي فيهم على الأثر : مدح الملاط مذكراً ، ومدح بشارة مبتهراً ، ومدح فياض مبتدراً .

لقد كان الشعراء الثلاثة مدققين فقالوا شعراً محككاً منمقاً لأنهم يعرضون بضاعتهم على سيد بصير بضروب الكلام، وهو اميره غير مدافع حين يتحدث في خطبه عن شؤون البلاد وشجونها . وحسبك ما حبر من خطب رائعة احلته المقام الأول في ادب النثر السياسي .

ثلاث صفحات طواها الدهر

شبّهت الناس بقطيع يهرول متى عسّ ذئب ، وتجلت لي صورة غـــنم « رابليه » كاملة يوم اذيع على الملإ نبأ حرب هتلر .

ابدأ بنفسي . ارأيت مرة في نومك ان اللصوص كبسوا بيتك ، وانت أضعف من ان تصرفهم عنه؟ هذا الذي اصابنا يوم ذاك . يقول المثل :المدوغ يخاف من جرّة الحبل ، وكيف بها اذا كانت حية رقطاء ؟ بل حية من نوع البوا تزدرد ازدراداً .. ما راءٍ كمن سمع . فقد دفنت بيدي مـا كدت لا احصي عدده في الحرب الاولى ، لست طوبيا البار ولا أحد اعضاء جمعيته ، ولكن الضرورة أحوجت . وهذه البيوت المتهدمة لا تزال قائمة في قريتي عين كفاع كأنها أفواه تخبر بما اصابنا من محن حرب غليوم ، فليس بملوم ولا جبان من ذعر في تلك الساعة .

كثير علي ان اعاني ويلات حربين ، وكيف أنسى أهوال الأولى ورسمي بعد تلك الحرب يناديني : تذكّر . كان التأهب عنيفاً فحسبنا ان هذه كتلك،

ثم تكشّف الوهم رويداً رويداً. انقشعت تلك الغيمة التي تدجت على الآفاق فعاد القطيع إلى المرعى . ونحن ماذا نعمل ؟ أنقف ؟ - نعم . واذا وقفنا عند كل كارثة الا نقف طول العمر ؟ اذن فلنمشِ .

قال واحد : بالك فاضٍ ، أهذا وقت ادب ؟ لمن تكتب ؟ الناس تهمّهم ماجريات السياسة ليرخص الرز ولا ينقطع السكر . . . سيّان عندهم أأحسن الشعراء أم قصروا . اتكون في غمرة الموت وتوّصي كالحطيئة !! ولئن فعلت كنت كمن ينوح في زفّة، ويزمّر في مناحة. أرح الكتاب والشعراء من حربك وحسبهم حرب واحدة .

هذا القائل هو مارون عبود الذي فزّعته الحرب ، أما مارون ذاك فقال: ومن يكفل لي انقضاء الحرب ، أليس الشيب ابن عم الموت ؟ أنقعد في دنيانا كمن يتلهّى في غرفة الانتظار ؟ أنتسلى بما على جدرانها من مشاهد ،وفي النفس الف مشهد ومشهد يحاول أن يخرج . أنقبل على تصفح ما لا يجدي والنفس تتمخض لتلد ما يقرأ ؟ إن التعقيم جناية . كما ان الإجهاض إثم ، وليس الطرح من أبناء السلامة .

إذن يجب ان نعمل وننتظر ذلك الضيف الثقيل بل الضيف العادل،فالظلم بالسوّية عدل في الرعيّة .

أخلق بنا في هذا المكان ان نعتبر بحكاية ذاك النائب الانكليزي : كان كسوف رهيب في احد القرون الغابرة فحسب العلماء المرضى العقول انه نذير القيامة فخاف النواب كلهم الا واحداً ظل يعمل فسئل : أما تبالي يا هو !! فأجاب : اعمل واجبي حتى إذا مرّ موكب العدم مشيت في ركابه وقد قمت بما عليّ

ما يضيرني إن تشبهت به وقلت مع مار بولس : لا حرب ولا اضطهاد ولا وثاقات ولا سجون تثنيني عن محبة سيّدي . . فلأمضين في مهمتي ، فلا

حرب ولا غارات جوّية ، ولا غازات خانقة ، تعوقني عن اداء رسالتي،ومتى فطست فما أنا بأول ولا بآخر من فطسوا ... ولمن اكتب انا ؟ أليس لنفر قليـــل من الناس ؟ أكتب ولي نظرتان : واحدة الى الوراء ، وأخرى الى الامام ، فاجعل اللهم غدنا خيراً من أمسنا .

اللهم غفراً لوالديّ اللذين أوجداني ، ولجدّي الذي علمني الحرف الأول ، ولي إن قصرت .

ولماذا ألوم والدي يا ترى ؟ فكيف تكون الارض اذا خلت من الانسان، انه الإله الذي يرى . المجد للإله الأرضي ، أبي العجائب ، المجد لهذا القصير العمر النابش مطامير الأب القديم الأجيال . انها حقيقة لا غبار عليها ، فأين طيور ابن بطوطة من طائرات هذا الإله الزائل ، أما نسمع صوته في كل مكان ؟ ما أبشع الأرض بلا الانسان ، وما اعظم صنع يدي هذا الإلهالترابي، انه يهدم ليبني ، ويموت ليحيا في الذرية خيراً وأبقى .

فليكس فارس

لقد وفيت بوعدي إذ عدت إلى عاليه. زرت اخي فليكس فارس الرابض على كتف المريجات الجاثم تحت أقدامها سهل البقاع ، حامـــلاً اليه اكليلي المتواضع : ثلاثة أغصان من الزيتون والسنديان والأرز . جلست في « العش المهجور » بعد ثلاثين عاماً وأكثر ، حيث جلسنا شباباً في ذلك الزمان . ولا تسل عن غبطتي برؤية البيت عامراً بأبناء النسر وأحفاده . وسألت عن أم الصقر فسار بي الأخ اميل اليها فنثرت الدموع فوراً ، ثم تجملت.وفي مطاوي الحديث أرتـــني أبياتاً نظمها « لها » فليكس على فراش المرض بحلب سنة ١٩١٥ ، وكأن هذه الذكرى آلمتها جداً فازدحمت وفود الالم في مقلتهـــا ، فأخذتها من يديها غير سالمة من البلل ، وهذا ما كتب فيها :

دع المسبر القاسي يغور بكليتي فقد سئمت نفسي قساوة آلامي

لقد طال هذا الحلم فامرع لعلني أرى اليوم في الدنيا نهاية احلامي
كفى الروح ما لاقت ليغفر ذنبها وتطهر من أدرانها في الشقا الطامي
اتيت الى الدنيا بقلبين واحد بصدري على ويل الورى خافق دامِ
وآخر في جنبي كقطعة جامد يبلبل أفكاري ويقتل اقدامي
بلاني الشقا من قبل ان ابتلي البقا فقد عشت في الدنيا خيالاً بامقام
وها انا ذا تحت القواطع ماثل الى الله ، فليغفر ذنوبي وآثامي

●

خدعتك ويا اماه، حتى اذا مضى زمان الضنى وفرت من دمعك الهامي
وان متُّ لا تبكي فعمري منقضٍ لدن يرقم المقدور آخر أيامي

واخيراً جلسنا معاً حيث كان يترجم فليكس (زاراتوسترا) وأخذ لنا رسم على ذكر الحبيب .

ينام فليكس اليوم وكل يوم، نومة الابد على ركبة جبل الكنيسة المشرف على سهل البقاع ذلك البساط العجيب . عن يمينه جبل الشيخ ، والى يساره جبل الارز ، وامامه جبل في عرنينه شمم ، ولكنه عاش نكرة طول هذا الدهر كبعض المتربعين في حلقاتهم الضيقة يحسبون انهم الدنيا ، أو كشعراء الفرح والترح الكبار في عيون ممدوحيهم فقط .

يوسف مراد الخوري .

وما فكرنا بما نكتب حتى انفرطت حبة ثانية من عقدنا ، مات يوسف مراد الخوري صاحب جريدة الشعب النيويوركية .

عرفت يوسف مراد يوم خرجت من المحبس الموقت ، فعرفت فيه كاتباً وشاعراً وسطاً ، ولغوياً من الطبقة العليا . ففي الحملة النقدية على الشاعر شبلي الملاط في جريدة لبنان لابراهيم الأسود كان هو أحد الزعيمين . كان مأتم يوسف مراد متواضعاً جداً —وما عليه فالكبرياء أم الخطايا الرئيسية، ولولاها

كنا بألف خير ولم نبتلَ بحرب الشياطين الأبدية — لم يرَ يوسف مراد يوماً أبيض ، عاش في اميركا ومات في لبنان وموتة أديب لا ظهر له في هذا البلد اشبه بموتة القاضي وبغلته ، والحكاية مشهورة . ولولا كلمة قالها المطران مبارك لكانت مناحة دميمة جداً اذا كان يوسف كاتباً وشاعراً وسطاً فهو في الصحافة فوق هذه المرتبة ، فاين كانت صاحبة الجلالة ؟ بل اين النقابة !! اذهبت مع وزارة الاستاذ كسيب ، لقد كان الخليل نقيباً أكبر منه وزيراً ولكنه لم يسمع مني ...

اعترتني كآبة خرساء، اقول عقدت لساني هنيهة، لما سارروا بنعش الفقيد. قلت بيني وبين نفسي : نشك ونؤمن ، ونكافح طفيليات كثيرة وحشرات تنخر جذوع المجتمع وفروعه ، ونتمرد على مـــا خضع له الآباء والجدود ، واخيراً نستسلم فيذهب بنا من بعدنا الى حيث يشاء كما قال يسوع لكبير تلاميذه.

. . . . . .

. . . . . .

●

وأمس جاءنا نبأ ثالث فكانت الفجيعة كبرى. انطوت صفحة من صفحات تاريخ الادب اللبناني المحض ، بموت رشيد نخله ، أمير الزجل .

كانت الشاعرية غارزة في عظامه حتى المخ وعجزت الفصحى عن حمل ما عنده من أنماط والوان فكلف اختهـا العامية فلبّته . فكل آثار رشيد نخله شعر ، فصيح وعامي ، وقصيدته الكبرى هي ابنه امين الاديب البديع .

عرفت ابا امين مجتمعاً اشده عام ١٩٠٨ ولديّ منه رسالة بذلك التاريخ،

وسأنشرها مع ما يحوم على حواشيها من فراشات الذكريات يوم تصير في يدي وثائق كافية لدرس شعره العامي والفصيح ، فلأبي أمين دين في عنقي . اما الآن فيحسن بي ان انشر لك بيتين من بدائع زجله ، وما أكثرها . قال :

قلبي وعيني ضعاف من غير شي في كلّ يوم بيفتحوا ورشي
العين تعشق كلمـــا شافت والقلب لاحقها على الطحشي

الا ترى ان بين هذين البيتين وبين بيت دعبل قرابة ملحة . قال دعبل :

لا تأخذا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ولكني اسألك ان تحكم عقلك وذوقك في ما قاله الشاعران ، ليبدو لك غنى الشاعر العامي ، وفقر الشاعر الفصيح ، وان كان هذا الأخير هو السابق الى هذه الصورة .

دفأ الله ضريح ابي أمين ، تلك النفس الكبيرة النائمـــة على موسيقى نهر الباروك ، وعسى ان نقضي لها ما وجب . فهذا شاعر أرانا لبنان في كل ما كتب ، اليس هو القائل :

ملء عين الزمن سيفنا والقلم

رحم الله تلك اليد المباركة .

●

يا سيدي وفتّونا وما عدتوا ذكرتونا

بهذه « الرّدة » كانت تندبه النائحات ، وقد أحسست بشاعرية « الامير » في هذا الهزج البلدي ، قد شعرت بانتفاضة لست أجد نعتاً لها ، اذا قلت هزّة فرح اخاف ان اتهم في ذوقي وعقلي . لم املك نفسي من اظهار اعجابي بهن ، فانتخين وازداد هزجهن على طريق القـــبر . كان مأتم رشيد حافلاً

كحياته ، رحم الله ذلك الرجل الذي انتزع الزعامة السياسية انتزاعاً

ومشى نعش رشيد ايضاً يحدوه المصلون والنادبون والنادبات ، ونام إمام الغزلين تحت قبّة عليها رمز المبشر بحبوا بعضكم بعضاً ، وقد اختص نفسه بهذا في حياته لأنه عمل بما علمه ذلك الفم النقي .

أمين تقي الدين

الوقت دقائق معدودات لا يتسع لخُذ وهات ، فلنوجز . ذكر الفتى عمره الثاني ... هكذا قال المتنبي ، ومن أحق بالذكر من أمـــين تقي الدين الذي خلف لنا أسرتين أدبيتين: أسرة عامة وهي هذه الذرية الأدبية التي كان لها الأمين أباً بالمثـل ، وفي ذلك يخاطبه الشاعر الملاط :

أجبني ، هات . أنشدني جديدا أتسكت يا أمير الصادحات ! !

نعم ، كان أمين أقدر شعراء جيله على إخراج موضوعـه المبتذل بشكل يستهويك ويغريك . يسلـم مخروقاً ويعطي مجدداً ، وهكذا ينجو الشعر وتنفرج الأزمة ولا يبرح الشاعر من قمته . فأمين طاه فنان يعد لك من إدام ضئيل ، ومؤونة هزيلة ، مأدبة تشبع العين والقلب .

كان شاعرنا نفاثاً في العقد البيانية التي يستعاذ بالله منهـــا ، يزاوج بين الألفاظ ويقرنها قراناً مباركاً داعياً لها بالرفاء، فتعيش أهنأ الأعمار وأطولها. أدّى رسالته في القطرين مبشراً بعهد الفصحى القديم الجديد ، فجمع في مجلته

محصولاً نقياً يوم كان البيدر خليطاً من قمح وزوان وشيلم ... قالوا عن أبي تمام انه في انتقائه شعر ديوان الحماسة أشعر منه في ديوانه ، واني لأظلم الأمين اذا قلت ذلك في مجلته « الزهور » فقد اعتدل ميزان انشائــه وانتقائه ، فما انحرف القلب ولا مالت الكفة .

أما الاسرة الخاصة فينكشف لك سرها متى عرفت ان امين تقي الدين هو الأرومة التي نبتت عليها فروع اسرة تقي الدين الأدبية المشمخرة . أما قام الى جانب امين ابن عمه أحمد فكان شاعراً مجيداً من الطراز الأول، ولا ننسَ أخا الأمين رشيداً فهو لو لم يطلّق الأدب لكان بزّ أبا نواس في الظرف والنكتة. ثم شبّ في كنف امين ابنا أخيه الأديبان الكبيران الاخوان خليل وسعيد تقي الدين وهما اليوم ملء عين الزمن . كسيفنا والقلم .

هكذا كان امين باكورة الادب اللبناني في حقليه العام والخاص ، وقــد رفعت هــذه الباكورة قبل ابانها قرباناً لالهة الشعر والادب فكانت كقربان هابيل برغم انف قابين .

كانت نفس امين الأبية حِمــلاً ثقيلاً عليه ، فكبرت همومه ولازمته كالتوابع ، فوصفها وأجاد . ذكرنا بالاعشى والمحلق حين قال :

أنا والهمّ صاحبان كلانا صادق الود حافظ للعهودِ
ما افترقنا حيناً من الدهر حتى جمع الدهر بيننا من جديدِ
نسهر الليــلَ صامتين لئلا يكشف الليل سرنا لحسودِ

وكيف لا يهم رجل هو مثال الطموح اللبناني والاباء العربي ، فيقول من قصيدة لصديقه حافظ ابراهيم :

خلع الشقاء عليّ كلّ لبوسهِ لمــا خلعت عباءة الاعرابي

ثم يتذكر شاعر الهمّ أياماً حلوة سمع اخبارها صبياً حول الموقدة فيقول:

كان في لبنان عهد طيب رحم الله الزمــان الطيبا

أليس امين ابن بعقلين التي تؤلف مع دير القمر وبتدين مثلثاً يذكرنا ، كلما ذكر بالامراء فخر الدين ويوسف وبشير . ان شاعر لبنان يحس مجد لبنان لأن منظر وكري نسريه القشعمين يصبّحه ويمسيه . سمع امين من آبائه وجدوده أن اللبناني ، في ذاك الزمان ، كان لبنانياً فقط ، فما له تبدل تلك الحال فقال :

وجعلنا الدين فينا فـــارقاً فتفرقنا بسه أيـــدي سبا
ويح لبنان اذا داعٍ دعا فبنوه عـــن بنيه غربا

ولمـــا طغى الأدب على مخيلته حـــدد لبنان ببيت عندما رثى الشاعر اديب مظهر فقال :

ذكرتك في بـــلد يزدهي بالادب الغض على فقـــره

ولما صدرت فتوى فرسايل وعدّ لبنان بالغاً غير رشيد ، لم يذعن شاعر لبنان لهذا الحكم ، وكيف يخضع وهو ربيب شماريخه ملاعب الحرية ، وابن بعقلين تلك الجنة المعلقة بل الحورية المتيمة بفتى احلام حريتها . كيف يعد لبنان قاصراً ويسكت شاعره ومدرهه ؟ ما كان جدود امين بكاذبين ، ولن يكون ذلك ؛ ودينهم ومعبودهم « الصدق » . فاسمعه كيف يحتج بعنف واباء بني معروف ، ويهتف بحضرة اول رئيس جمهورية لبنانية ، الاستاذ الدباس :

هل أرادوا بالرشد أن نملأ البحر سفينا ، ونملأ الأرض جندا ؟
أم أرادوا أن نقذف السم غازاً ثم أن نحصد الخـــلائق حصدا
ان يكن رشدنا الذي زعموه فمن الرشد كوننا اليوم ولدا

وأخيراً انتفض انتفاضة سموألية وقال :

ليس لبنان للاماني مرمى فتمد النفوس كالشاء عدا

ولم تطغَ لبنانية امين على عروبته ، بل آلمه ما يؤلمنا اليوم من تفرق كلمة العرب ، فنظم قصيدة عنوانها إلى امرىء القيس قال فيها :

سائل التاريخ عاماً ثم عامَا أي يوم خفر العرب الذماما
المروءات هـــدى أعمالهم والوفا الدين الذي فيهم تسامى
عبدوا الاصنام لكن عبدوا قبلها العرض فصانوه كراما
حبذا العرب ومن أوفى يدا حبذا العرب ومن امضى حساما
حيثما كانوا فهم أهل العلى لو هم لا يتحدّون الخصاما
انا لو كنت امرأ القيس بهم لأجدت القول فيهم والكلاما
وقفا نبك حبيباً لم أقل بل قفا نبك اتحاداً ووئاما

اننا نضع قبالة ان من البيان لسحرا ، ان من الشعر لنبوءة . ثم نسكت، ومن السكوت بيان وخطاب ، كما قال المنبي لكافوره .

رِشْدَلى

سَعيدعقل

١

كان سعيد عقل زعيم مدرسة مجازاً فصار زعيم مدرسة حقيقة . كان له « فرام » واحد فصار له فرامان ، « فرام » في زحله حيث يدير مدرسة تحت شفاعة مار افرام ... فيتحدث عن شعر كنار الروح ، ويتغنى بعبقريته الصوفية ، وان كان لا يفهم من لغته الا مقدار ما افهمه انا من الهندية . امـا مع « فرامه » البيروتي فيتحدثان في ساعات الفيض عن مار توما وخلاصته اللاهوتية التي يحلان على ضوئها « لاهوتية » سعيد عقل في الشعر .

سعيد عقل شاعر فذ يعرف قدسية سر الزواج في الأدب فيقارن بين الفاظه قراناً موفقاً جداً،ولكن أصحابنا المضللين كادوا يعمون عينيه وعيونهم وعيوننا بدخان بخورهم، ولولا القليل لاقاموا له هيكلاً ... ولعل ميل سعيد في هذه الفترة ، الى الفلسفة واللاهوت جاءه من ناحية هؤلاء الذين يهمون بتأليهه .

اذا اردنا ان ننقد سعيد عقل ، عفواً ، بل درس سعيد ، لأن سعيد فوق النقد في نظر هؤلاء ، فلا بد لنا من مقاييس جديدة . فالرطل والذراع لا يؤديان الى الغاية . لا بد لنا من اتباع النظام المتري ، لبعد تأثر شاعر المجدلية وبنت يفتاح وقدموس بشعراء الغرب . وهنا فضل سعيد الأكبر لانه قال شعراً صافياً كشعرهم ، وان أغار هو ومن لفّ لفّه على كلامهم ، بل على صورهم فضربوها دنانير عربية ... ومن احيا ارضاً مواتاً فهي لهُ ... اليس الشعر والنثر الفرنجيان بالنسبة الينا كالأرض الموات !! ولكن هذا الشاعر الخلاق المبدع — ولا أقول الكبير لانها لفظة عمت حتى خمت — يحب ما لا يحب ، ويكره ما يحب ، فلست أدري ما الذي رغّبه في « يها » بدلاً من أيها ؟! أليقول كما قالوا في العصر الحجري !!

جاءني يوماً أحد تلاميذي يسألني عن استعمال سعيد شيئاً ، وهل هذا الفعل موجود، فقلت له : نعم موجود، ولكنه فعل ميت ، والألفاظ كالناس منها الأحياء ومنها الأموات ، واذا كان في الشعراء متألّه كسعيد ، فهو يحاول احياء الموتى ... ثم سألني هذا الفتى عن ادخال ال على الفعل فقلت له : سعيد اشتط ، بادخالها على الفعل الماضي . العرب ادخلوها على الفعل المضارع لأنه يشبه الاسم،وما سمي الفعل المضارع فعلاً مضارعاً الا لانه ضارع اسم الفاعل ، في الوضع والمعنى ، واغراب سعيد لا يتجلى لنا في هذا فقط بل في الأسماء التي انتقاها عرائس مثل رندلى ، ومركيان ، ونياثار .

كانت عادة شاعرنا سعيد ان لا يمنح العالم كتاباً ما لم يضع للناس البلام في اوله خوفاً من ان يضلوا في دنياه ... اما في رندلى فتركنا وشأننا ، فاذا ما قرأنا قصيدة (ألعينيكِ) بدت لنا أولى حسنات سعيد الفنية ، وهي المحافظة على نغمة واحدة ، اذ جعل قوافيها كلها مفتوحة قبل الراء الساكنة فما شاهت موسيقاه ولا تعوهت . ولكنه اغرم ، والشعراء غاوون في كل وادٍ يهيمون بكلمة دد . اليست غريبة هذه اللفظة يا سعيد ، ان لها في نفوسنا تأثيراً غير

طيب . اما كانوا يقولون لك (ددّي) عندما كنت تتشيطن ! وهذه العسى تطمئنين ألست تشعر مثلي بكراهتها ؟ ! بل ماذا وجدت في هذا البيت كله حتى ابقيته :

يغلب النسرين والفــل عسى تطمئنين الى عطر نــدر

الست تراه كما اراه فارغاً لا مبنى ولا معنى . عفواً قلنا مقياس جديد ، وسعيد لا يقيم وزناً للمبنى والمعنى ، اذن فلنخاطبه بلغته قائلين : لا ايحاء فيه ، فكأنه لم يعمل في ساعة من ساعات اللاوعي ... الا تراه يظلع كالبعير الأعرج في موكب قصيدتك الراقص .

وفي قصيدة « اننا في الوجود » طرافة فنية لولا تلك « التلويحة بشال » ومثلها :

وقــــربت من ربوة ربوة سكرانة عن حالها تسأل

فلفظة قربت بتشديد الراء عامية لا تؤدي ما تعني ، ناهيك انها لا تليق بشعر صافٍ كشعرك . ومثلها سكرانة ، فلا يقولها من العرب غير بني سعد ، فلو أزلت حرف العلة من اسمك لجاز لك ما جاز لهم ...

وفي « قصر الحبيبة » البديع ألم تشعر بوقاحة هذه « الأحجر والأخيط » حتى تقول :

اخيط الضوء ترتقي بعــــلاه تبخـــترا

ثم ألا تقول لي كيف يتبختر الصاعد ! ! وكيف تقطف الشهب كالكرى. لا تتعسف يا صديقي ، فاللغة شموس حرون ، انك تخسر الكثير من جمال فنك حين تفعل ، وهذا ما أصابك حين قلت مرة أخرى : وذات قالت لي. وبعد فانك لست بارعاً في القص ، لأنك تغرب فيه ، والقص يقتضي البساطة التي هي ضد عقلك .

اما قصيدة « احبك » ، ولعل لمركيان فضلاً في هذه المادة المسجلة ،فهي من روائع الشعر العربي . كلها جميلة لا عيب فيها.وصف جميل وتصوير رائع، عاطفة متقدة أحر نار الجحيم ابردها ... يحب سعيد في ذلة الراكع ، ولا يقبل حتى بالعيون نعالها ، كما قال شاعر آخر ، وان كان يفعل أكثر، فسعيد شامخ حتى في غرامه ، وكأنه يمتن على من يحب . تصور واستوحِ ما شئت أيها القارىء ، حين تقرأ في هذه الرائعة : بسمات ثكالى ، وحسن كالطيف الكئيب ، وحبيب منكسر الطرف خائفاً من فرار الحبيب ، يمسح عبرته سراً . لكأني بسعيد في هذه القصيدة الفائقة الحسن صوفي ما شاهد بعد ... اما قوله :

وقربك لي معبد لا يمس يزار ويـــلمس من شاسع

فلا أدري كيف يلمس من شاسع ، فهل أقل من بوس خد الباب يا مؤمن!

وها هي دد تطلع عليّ ثانية في قصيدة « لا تبوحي » فتؤكد لي انني لم أكن بعيـــد الظن حين حسبتها من « ددّي » التي كانت تقال لنا حين نعبث فنزعج .

و «سلاف العصور» كاسمها،انها قصيدة تسكرك،فلا تفيق الا اذا تداويت منها ، بها ... أما قوله :

انا اشتقت حتى لألقى محياك في نقرة العـــود او في الغزل

فجملة « حتى لألقى »لا تؤدي فكرة الشاعر الا بعد إعمال الفكرة،وعلة ذلك هذا التعبير العـنيف . ثم لا ننس بلادة القافية .اما الاولى بمعنى الذين فما هكذا تكتب . « والساهيات النجوم » في قصيدة « أثر الغفوة » لا تعجبني لأنها تشين قصيدة هي يقظة الشعر بعد غفوته .

و « اشتال » في قصيدة « سمر » لا تليق بهذه البنية البارعة الجمال،وهي وإن صلحت في نثري الساذج فلا تلائم شعرك المنمق .

اما قصيدة « نجوم » فلم يعجبني فيها قولك : انت يا أنا . ذكرتني يا سعيد باغنية كنا نسمعها في الصبا : آه يا أنا ، ويش للعوازل عندنا . ناهيك انها اشبه بالحكي منها بالشعر ، ثم لا اعلم كيف ضبطت لم أغر — بفتح الغين— وهي فعل يائي ، أظنك تحسب اللغة طوع بنان الشعراء . حتى قلت أيضاً في القصيدة التي تليها : في انسحار .

وقصيدة مركيان جميلة كأكثر قصائد هذا الديوان الذي حقق فكرة الفن للفن ، وإذا كان لا بد لي دائماً مما يقال فهو لا يضير ولا يضر شعر سعيد،ولا شعر غيره شيئاً ، قال سعيد في هذه القصيدة :

ولو انني خيرت بين بقيتي وفتـــور مقله
ويروح هدبك يبتني دنيا ، وينسفها بوهـله
لأتيت هدبك ما رشقت ثوانيـــاً بقيت بفلّه

فكلمة بقيتي في البيت الأول عاجزة عن تأدية فكرة الشاعر تامة . كان أحرى به وهو ذلك النحات الماهر ، والخبير بطاقة الكلمة ان يفتش عن غيرها . وكذلك فتور مقلة التي تليها فهي خارجة عن سياق الكلام لأنها تفيد التعميم الذي يجفّل مركيان التي لم تؤدّ الطاعة بعد ...

أما قول الشاعر في البيت الثاني : ويروح طرفك الخ فعطف غير طبيع .. جاء اشبه بكلام الارمن ولهجتهم المستعربة ، ولعل الشاعر راعى النظير في مخاطبته مركيان ...

ثم تأتي بعد ذلك : ينسفها بوهله ، فأراها أشبه بقول البحتري : وانسف دنّا . ان لكل شاعر كلاماً يليق به فلو صدرت مثل هذه عن ابي نواس لكانت لطيفة ، أما البحتري فليس هذا من كلامه . أما (الوهله) فليست من قوافي سعيد المنحوتة المطبقة على الذراع والزاوية .

وكذلك الرشق بالفل فهو لا يلائم شعر شاعر نرجو ان يبقى . فاسمع يا

سعيد من عمك مارون ولا تصغي الى الذين (يطيّبون) ... لا تم على الثقة ولا يعمِ عينيك دخان البخور الجوري . دعه لكنيسة مار افرام . انت أملنا فلا تبلّط .

٢

أما (الحلم الاشقر) فطيبة ولكن ضعف التركيب بادٍ في البيتين الاخيرين حيث يقول : اخشى على اريجها يهجر . وكذلك في قوله ختاماً :

شدي فحيث اتكأت مرة يظلُّ مثل الصحو أو أنضر

وقصيدة (الى مطربة) هي مثل الحلم الأشقر جمالاً ، وان كان التغني بالآه والوتر قد كثر جداً ... وفي (على رخامة) يقول سعيد :

يخاف عليَّ الفراشات طارت ونفح الشمال

ترى ألم يحس سعيد مثلي ان قوله (الفراشات طارت) باردة كالرخام في كانون ؟ ثم ما هذه المصيبة يا سعيد عهدى بك انك عدو للتقليد ، فما بالك تقول لنا بعد الفراشات طارت :

حبيبي اذا عدت يعتل نهر وحور وضـــال

فما هو (الضال) يا سعيد ، وأين رأيته ؟ هلا قلت لي اين ينبت عندنا وكيف يكون ! لعلك تصوفت في حب مركيانك الجارف فشاهدت ما لم نشاهد في بقاعة من ساعات الفيض ، او انك استعرتها من ابن الفارض القائل: ما بين ضال المنحنى وظلاله . اعزت عليك القافية الى هذا الحد ! احوجتني إلى سب ... القافية ، ولو اقترفت خطيئة مميتة ...

ولم نأمن شر الضال حتى وقعنا في مصيبة اعظم : حساسين خلف الاراك أليس هذا اغرب واغرب !! حساسين على رؤوس اغصان التوت والسنديان مقبولة ، اما خلف الاراك !!! فلو كان هذا ممكناً لجاء ذكره عندهم . ما

كان أصدقهم حين نظموا ، اما نحن جميعنا حتى سعيد عقل الزعيم الرمزي المجدد فنتحدث عما لم نره قط .

ها قد بلغنا قصيدة « نحت » وهي نحت حقاً، ابدعها ازميل ملهم يتصرف صاحبه بالمادة تصرف الواثق من نفسه فيقول :

نبأ عن ميسة الارض في سوفهـــا والله يفتكر

لا بأس باستعماله سوفها لتعبر عما أراد ، فللشاعر المبدع ان يحمّل الكلمة ما تستطيع ، فليست سوف كالسين التي همّ سعيد يوماً بادخالها على الاسم حتى قال له عمر فاخوري : اذن ستصير سسعيد!! تأمل ما في مطلع قصيدة « نحت » من روعة :

حلوتي الشقراء يا قمر عندها عن ثغرها خبر

أما حين قال :

وغماماً شف عن لؤلؤ فيه من أنفاسهـا أثر

فما أظنه أقرّ هذا التشبيه المبتذل الا بغفلة من غفلات اللاوعي المشؤومة. ولعل هذا اللاوعي قد أدى به أيضاً الى الاكثار من « الصحو » حتى اشتقنا الى الضباب والظلال في ديوانه ، فالدنيا ليست حلوة متى كانت كلهـــا على نمط واحد .

وإذا ما بلغنا محطة « نيانار » تفاجئنا فيها قصيدة « خمر العيون » فيبدو لي منهـــا ان البحور الواسعة لا تواتي زورق سعيد ، وهو لا يحسن خوض غمارها . ان هذه البحور لا تلائم الشعر الرمزي كله لأنها لا تحتاج الى مادة وافرة من الألفاظ قد يفقد معها الرمز شيئاً من لمحه ... وإذا عجنا بديار « رندلى » رأيناها « تجايل القمر » وإذا بسعيد يهمهم قائلاً :

همّ ما همّ ومن غزلنا يكسى القمر

وفي « مرّي ببستاننا صباحاً » وهي إحدى روائع الديوان الكثيرات ، يطلع علينا سعيد بلفظة عفنت من طول ما هجرت:

هَنـّا وهَنـّا علىالدروب مسكفتيت

فكلتا اللفظتين « همّ وهنـّا » من الموؤدات التي يريد سعيد ان ينافس جد الفرزدق في إحيائها ، عظم الله أجره وشكر سعيه.

بيد انه لا يكتفي بهذا ، بل يعلم حبيبته ان تهتف له : حبيبي ، ها انا جيت . ونحن ، وإن لم يعلمنا ، نهتف لها مرحبين : أهلاً بجيّتك وجيّتها .. ثم ينادى سعيد فيقول :

خَدّامنا طيّبٌ تقال عنه العبر

وفي ألفاظ كألفاظك هذه تقال عبر العبر يا سعيد ، فما لك تتعمدها يا صديقي !! ما لك تقول خَدّام ولا تقول خادم ؟ أتعهد هذا تجديداً ؟ أتراه خلقاً وإبداعاً !! لعلك تريد أن أقول فيك ما قيل في ابي تمام... أما قولك:

فسطانك الليلكي عيد اذا خطر

فجميل جداً ، أعاد الله عليك ألف عيد ... ولا حرج عليك في استعمال ليلكي وتفتا وشال وما أشبه هذه ، اما ان تقول :

تفدين ممّي ما تجهلينه باسم جديد
تنس اسمها كل ياسمينه وتستعيد

فهذا لا يجوز أبدا . ليست أصول اللغة طوع اناملك حتى تجزم ثم لا تجزم في بيت واحد !! أما ختام نشيدتك هذه ، فرائع ، ولك غالباً حسن الختام :

وان تهاوى الدجى عليك وما انتظر
نادي اجيء حاملاً اليك ضوء القمر

ولسعيد أيضاً الايقاع الجميل والجرس الحسن فهو بحتري الموسيقى. اعرف ان هذا الكلام لا يرضي شاعرنا ، فهو كخمرة الفارض ؛ فـلا قبلها قبل ولا بعدها ... أحسن الله الختام .

وإذا كنت ايها القارىء اللبيب ، ممن ينصتون جيداً ، وقرأت قصيدة « اليخت الأبيض » سمعت مناجاة الضمير تنادياً من خلال كلماتها . ومثل هذا الصفاء والرواء قلما بلغه أحد غير سعيد من شعرائنا المعاصرين .

ومثل اليخت الابيض في الايقاع قصيدة « شال » فلندع الشاعر يلمّ النجوم عن شال حبيبته ، وحسبه رعبة خوفه من ان يرى احد ذلك الشال او يشمه ... اننا نسأل لسعيد راحة البال في ظل شال ، لأنـــه والقمر في موعد منتظر ... ثم ينتهي كل شيء .

ولا ننس قبل وبعد كل شيء ، ان في هذا الديوان وحدة لا نجدها في كل ديوان فهو ليس غزلاً فحسب . لست أعني اننا نحتاج الى من يفسره ويؤوله. لا شيء من هذا ، فسعيد فراشة تنتقل من زهرة الى زهرة ، وحبه عمريّ بشّاري ، وسيأتيك الخبر .

وفي (اغنار) يجيد سعيد كعادته ، ولكنه يستعمل كلمة (غوى) كما يشاء . واذا أوفينا بعد هذه ، على انشودة (تضحك لي) رأينا في وجهها ضحكة الشعر المعبس في وجه من يتطفلون عليه ليقلدوا سعيد عقل :

تضحك لي، تضحك، فامضي يدي ولمي الشمس عن المقعـــد

كنت اعجب ببيت طرفة :

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه ... ...

لم اذكر بقية بيت طرفة لان العجز ضيّع طرافة الصدر ، اما بيت سعيد فقد سبقه مراحل . ما أروعها لهفة بريئة جسّدها لي هذا البيت، لهفة الطفل

الى امه الباسمة له تستدرجه وهو يرى في وجهها الدنيا بأسرها. ان ما رأيت في هذا البيت الواضح من روعة يقيم لي الدليل على ان الغموض ليس شرطاً للايحاء، كما يزعم دعاة الشعر الرمزي .

اشهد انني وحسانَ سعيد الخرّد كابن الرومي ، لا يصفو طالعي حيناً حتى أرى قبحاً يطير له لبي . ها هي « دد » قبح الله وجهها ، قد طلعت علينا ، فأنسانا قبحها ذياك الجمال البديع .

هذه « دلمه » يا سعيد ، فشال رندلى شال دينا ، و « دد » كدودة في قلب تفاحة ، انه لا ينقصها الا التاء لتقتل العثّ ... خف ربك يا أخي !

٣

اليس عجيباً أن يكون سعيد عقل داعي دعاة الايحاء ، وأبا اللاوعي ، وأخا الشعر الصافي ، ثم يرصف لنا مثل :

مرخى على الشعر شال لرندلى هلا ، هلا به ، بها ، بالجمال !

وبالمهلّي يا صاحبي! واذا كان لا يعنيك من الشعر غير الايقاع فقداستوليت على الأمد ، ولكن أهذا كل شيء ؟!

كان الذين شغلهم الحسن قبلنا ، وكنا نحن ، نؤثر البيض ، اما شعراؤنا الجدد، وقد يكون زعيمهم سعيد، هو الذي شق لهم الطريق الى خدور السمر، فكثيراً ما يتغنون بهن ، وربما كان الحسن كالموض فمن يدري ! وبعد فليست هذه بدعة فمنذ عشرات القرون تغنى سليمان ، راعي السبعمائة رأساً ، بحبيبته السوداء ناطورة الكروم وراعية الجداء ... اما سليماننا الجديد فله أكثر من سمراء . له منهن ، يا بارك الله ، سمراء ، وسمراء الثانية ، وسمراء دمشق ، وها نحن نتحدث عنهن ثلاثتهن :

في « سمراء » يخاف الشاعر على الحب ان يموت اذا ابتذل ، فيهتف بهذه البنت الحلال :

سمراء يا حـــلم الطفولة وتمنـــع الشفة البخيله
لا تقربي مني وظـلي فكرة لغدي جميله
قلبي مـــلىء بالفراغ الحلو فاجتنبي دخوله
فالارض بعدك يقظة من هجمة الحلم الثقيله
طربت كأنسنى ابتسامك كوة الأمـــل الضئيله

فأين المغنون والمغنيات من هذا النسيب البديع يرتلونه ترتيلاً ، وما لهم لا يسمعوننا الا شعراً مبتذلاً رخيصاً !!

وفي « سمراء الثانية » يظل الشاعر مدوّماً في افقه العالي مغمضاً جفنيه على مطلعها الاسمر ، يرى أقصى لذته في عالم لم يخلق بعد ، ويبدو له .

في عمق عينيها افتراض له رحب ، ووعد بالعطاء السري

أرأيت كيف يكون الغزل الأنوف الرّيق ؟

وفي « ليلة تجتازين بستاننا » نفحة طاغورية يحلّق فيها الشاعران . ولا ينقص شاعرنا شيء غير تلك النفحة الروحانيـــة السرّية التي تنتشر في الشعر الطاغوري ولا تحس منهـــا شيئاً في شعر سعيد . فسعيد لا يعنيه شيء من الصوفية فكل أمانيه في الواقع ، يريد أن يتمتع من شميم عرار نجد ، فالزمن راكض ونحن راكضون .

وها هي « سمراء دمشق » تطل علينا فأرى فيهـا ما رأيت في « خمن العيون » من حيث الوزن . أرى الشاعر ينزل عن مستواه الرفيع ولا يقول غير مبتذل الكلام؛ مثل : ليّا قوام . ارتاح الحور للقياها . الغصن شجّ مستهام . الصفصاف عليل يتوجع . الضوء يتهاوى . انني افهم كيف تهاوت الكواكب عنـــد بشار الأعمى ، ولكنني لا أفهم كيف يتهاوى الضوء عند

سعيد البصير !! كما لا أفهم أيضاً مـــا يعني بقوله : ذكريات زرن في ليًا قوام . لقد حيرتني (ليًا) ولم أجد لها تأويلاً أو تعليلاً ! !

وفي هذه القصيدة غرائب عجائب وهي عندي ليست مستحقـة ولا مستاهلة ان تكون ابنةً لسعيد ، وحسبك نموذجاً قوله فيهـــا : وجمت صفصافة من حسنها . انني لاحتار كيف يقبل ذوق شاعر كسعيد مثل هذه الصورة ، ومثل لفظة وجمت ، فمن أية الطرق أتته وكيف اهتدى اليها ! ! لا أدري ، لا أدري . وأبلد من (وجمت صفصافة) قول الشاعر فيما بعد : وجمت أنا . أللهم ، هب لي من لدنك نعمة الصبر .

وفي هذه القصيدة يقول : أومأت لي ، كأنها تمريب (وميت لي) حرفاً بحرف . وقصارى القول ان سعيداً لم يوفق في دمشق ، أنه لا يوفق إلا في لبنان – الجبل الملهم – فإياه والغربة . أجل لم يعجبني في سمراء دمشق إلا شطر واحد ، وهو : لم تدع لي شقوة أحيا بها ، قال شاعرنا القديم :

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمّـله تركتني أصحب الدنيا بلا أملِ

ولكن شقوة سعيد أحسن وأعمق وأروع جداً من أمل الشاعر القديم ، فتأمل كم تحت هذه (الشقوة) من سعادة فنية .

وأما في (نجوى الليل) فأراني الشاعر ليلاً صاخباً معربداً . انها قصيدة تكاد تكون رقصاً افرنجياً ، كرّاً وفرّاً إقبالاً وإدباراً . حقاً ان الليـل لك وحدك يا سعيد ، ولكنه لا يحق أن تقول « ليالانا »وعندك لياليا .ولا أن تقول : يا هنا ليس هنا ، الا اذا كان هناك شيء فوق فهمي وادراكي ..

الان بلغنا خط النار ، فالمعركة في « نار » حامية الوطيس ، وقصيدة « نار » هي نار حقاً ، بل أحر نار الجحيم ابردها :

من الياسمين من الزنبق فرشت السرير ومن مرفقي
فلاتدعي الليل يفلت منا ترى هل نعيش الى المشرق

انا العمر عندي ثغر صدٍ ونهـد من المرمر المونق
وعينان أوسع من عالمٍ تقولان أيها تنتقي

وبينما كنا نحلق صعداً ونطير قدماً اذا بنا نتعثر بـ « دلدال ثوبك » الذي هدم من عزة سعيد ما بقي ، فنهوي من حالق ، ونخر الى الاذقان ، واذا بشاعرنا الملهوف يصرخ :

وجعت أنا ، وجعي عند خصرك أو منتهى شالك الأزرق

سلامة عيونك يا حبيب القلب !! الا ترى انك اشتريت هذا الشعر بالثمن الموجع ، فليتك عضضت على جرحك ... ان دلدال اذا لامست الشال فهي زوراء تنفر عن حياض الديلم ... أين هي من قولك :

لوقعك فوق السرير مهيب كوقع الهنية في المطلق

فما اروعه بيتاً ولاسيما حين قرنته الى أخيه :

كشلال ورد هوى من علٍ فلا نجم في الافق لم يشهق

وانا على شيخوختي شهقت وهللت وكبرت ، اذ أوحى الي شعرك مـــا أوحى . أحسست بشيء كثير ، وان كان وقع الهنيهة في المطلق غير مهيب ، بل هو كوقع نقطة ماء في بحر... اما حين ابتدأت ترسم المشهد الذي عقد لك فيه أكليل النصر ... فاراك أجدت ولكنك قصرت عن شاعر عتيق . قلت انت :

ولم يبق منك سوى انة تغالب في النظر المطرق

وقال هو :

ويعجبني منك ... ... حياة الكلام وموت النظر

لطفاً ، احكم انت . كن هنا كما قال أبو الطيب :

فيك الخصام وانت الخصم والحكم

وسعيد يسمي هذه « المحروسة » واحته ، والاحرى ان تكون رمضاءه. ليت سعيد عقل استغنى عن هذه القصيدة البشّارية ، فهي ، وان نشرت في أعقاب الديوان ، لا تتفق أبداً مع صداقة اغوسطينوس ، وتوما الاكويني ، ومار افرام . اما تذكر سعيد انه حبيب الجيل الطالع من بنين وبنات !! فليته ظل محتفظاً بتساميه بل بعزّته التي سقطت كاسوار اريحا عند فحيح بوق هذه الافعى الملعونة ...

وبعد ، فأي بدع تجد في وصف هذه المعركة الحمراء ؟ انك لم تخرج منها إلا حاملا على كتفيك اشلاء حبك وفنك . ترى هل وصفت حين صورت هذه النزوات غير ما نستوي به مع ذوات الأربع ، بل قل الدجاج وكل ذي حياة . اللهم صفحاً وغفراناً وعفواً كما قال ابو نواس في آخرته ، رزقنا الله آخرة صالحة .

أما جماع القول في هذا الديوان الطريف فهو ان شاعرنا المبدع قد انحرف فيه عن جادته الاولى فحوّر قصائده التي قلدها الكثيرون ، وطبعها على غرار لا يقلد ، وانه أكثر من وصف الثياب حتى كدت احسبه عاشق قماش ... ثم غالى في ذكر الزهر حتى خلت ديوانه احد تلك الدكاكين التي تبيع أضاميم الزهور . فالديوان حافل بالفل والورد والأقاح والنسرين والدفلى والسوسن والبيلسان والزنبق والرياحين ولا يخلو حتى من اللوز !! ثم لا يكتفي بشذا الزهور فيغرف بيديه العطر والعنبر والمسك حتى تخال ديوانه صورة عصرية لسفر سليمان ، نشيد الانشاد . وهو لا يتفق في هذا فقط مع سليمان ، بل يشبه حبيبته بلبنان مثله ، فيقول لها :

رنين حلّيك من لهو صيدون بالمجد في ليلة لا تمل
رنين حلّيك يوقظ صورا وقرطاجة والعصور الأول

أما « القمر » فهو في متناول يد سعيد يلهو به متى شاء ، وساعة يشاء . طلع القمر في أول صفحة من الديوان ، بل في أول بيت منه حيث قال :

العينيك تأنـّى وخطر يفرش الضوء على التل القمر

ثم غاب في آخر صفحة منه ، وراء غابة اللوز حيث يقول الشاعر: زهرة قطف التي تحكي القمر .

ومع كل هذا يظل سعيد قمر شعراء جيله . اعرف جيداً انه يطمح بقول النابغة : فانك شمس والملوك كواكب ، ولكن لا . يا هنا ليس هنا ، فشكسبير لا يذكر بغزلياته ، انها طقاطيق اذا قيست بمسرحياته ، وسعيدنا بمسرحيتيه ومجدليّته اقدر منه في رندلى ، وقصائده الاخر كما سنرى .

أما طبع الديوان فليس فوقة فوق ، وإذا فـــاخرت مصر بطبعة دار المعارف لـكليلة ودمنة ، فلبنان يباهي بحق بطبعة رندلى . سلمت يد دار الاحد ، وعاشت ريشة رضوان .

مسرحيتا سعيد عقل

قال سعيد في مقدمـــة مسرحيته بنت يفتاح ، انه سيمشي على قدم الكلاسيكيين العظام مثل كورني وراسين ، ولما قرأت بنت يفتاح وقدموس مثنى وثلاث ورباع ، رأيت الشاعر يفي بوعـــده ، ويخرج آثاراً كلاسيكية صارمة في الصنيع ، وفي التفكير وفي التحليل النفسي العميق ، فيحقق في محاولته ما لم يحقق بعد في الشعر العربي.

خاض أولا ، بحراً واحداً في المسرحيتين – الخفيف – وألزم نفسه ، ثانياً ، قافية مزدوجة مثلهم ، وجاراهم اخيراً في تحقيق الوحدات الثلاث ، وخلق القلق المسرحي ، متوسلاً الى كل هذا بشعر صافٍ نقي رائع . أما الحكّ الذي تسير سفينة سعيد على هديه وتأتمّ بمنارته ، فهو لبنان ، رائض البحار ومخترع الحكّ .

وقال سعيد أيضاً : أخذت موضوعي من العهد القديم واستخدمته للتعبير عن عواطف بلادي وأمانيها ، ولكنه لم يعمل شيئاً من هذا في بنت يفتاح ،

بل ابتعد عن مشاكلنا كل الابتعاد ، وأتعب نفسه ليحلّل عواطف يفتاح ، وبنته ، وأمه التي جعلها مجنونة . أما ما عمله في هذا الاثر فهو الاجادةالفنية، وحسبه هذا ، فالأديب لا يسأل عن موضوعه متى أجاد القول فيه ، ولاسيما إذا عبّر مثل سعيد بلسان ام يفتاح المجنونة التي قوّلها حلو الكلام ومرّه . وأروع ما في هذا الاثر هو اختفاء شاعرنا كل الاختفاء خلف شخوصه فكان منهم كالملقّن الحاذق الذي مثّل دوره أتم تمثيل، وأرانا ان فينا من يستطيع ان يكتب روائع تمثيلية شعرية على حقها متى استعد وتهيأ ، وكان ذا شخصية متعددة النواحي ليلبس لكل حالة لبوسها .أما الذي عده سعيد « تعبيراً عن عواطف بلاده » في بنت يفتاح ، فقد رأيته انا ملزوقاً بها لزقاً كفرع فرّخ على الجذع .

لقد بعد سعيد عن الجو العبراني فقصّر في ذلك عن ألفرد دافيني، ولكنه عوّض عن ذلك اللون المحلي بالتحليل النفسي، والحوار المملوء روعة بين يفتاح وأمه، وبين يفتاح وبنته ، وبين أم يفتاح وحفيدتها . قال بول كلوديل : ان فن الروائي هو ان يخلق « الخيط الموصل » وأن يعمل « كلا » من الخطوط المتشابكة ، وهو منقاد في هذا العمل انقياداً صامتاً أصم بعواطفه التي يمزج منها تقلبات الحوادث المختلطة . ومن هنا يتضح ان مهمة القصصي بل الشاعر هي أن يحسن التصوير ويملأ رسومه التي خلقها بألوانه،وما ألوانه غير تعبيره.

ان الهواة هم طاعون كل الفنون ، والحمد لله على ان شاعرنا ليس منهم،بل هو فنان أصيل ، وشاعر بعيد النظرات ، ذو مخيّلة قوية يمسك زمامها العقل فلا تجمح . ليست الحياة في نظره مأساة بل ارادة وكد كما قال : شأ تزلزل دنيا ، وشأ تبنِ دنيا .

ان سعيد عقل هو المرتّل الاول في هيكل لبنان، بل هو الشمّاس الدائم الذي لا يفوته قداس ولا زيّاح حتى ولا جنّاز ... مستعد قلبه لخدمة كل قداس يقام على نية لبنان . أراحنا سعيد – أراح الله باله – من العواء

الرومنطيقي الذي مللناه ، حين أبدع قدموس ملحمته الباقية بقـــاء العقل والحق والمعرفـــة والحب في لبنان . فاذا سألتني بمن أشبّه لك سعيد عقل ، أجبتك على الفور : بسعيد عقل ، ومن يشبه فناناً أصيلاً بغير نفسه يضل ضلالاً كبيراً .

اذا كان الشعر الرمزي – كما حدده بعضهم – بياناً ذاتيـــاً ، وحرية في الفن ، وترك الصيغ القديمة ، واتجاهاً نحو ما هو جديد ، بل نحو الغريب حتى الخارج منه على المألوف ، يكون سعيد عقل إمام الرمزية التي بلغت على يـــده مستواها عندنا ، ولما تكاثرت قرود التقليد صارت بضاعتها ألفاظاً مدحرجة مدملكة ، وكان هبوط القلب الفني .

لست أدرس شخوصه ولا سيرورة مسرحيته ، لأنه كما قال، يتبع الهنداز ويقص عليه قصاً محكماً،وإذا كان البيان هو التجسيد الفني للفكرةوإيضاحها، او خلق ابطال خلقاً جديـــداً ، تكون « مرى » احدى شخوص قدموس مدينونة لسعيد الذي وهبها ما لم تهبها الحياة ، فكان أكرم من الحياة الكلية السخاء.فعندما تقف،مرى مرضع اوربا، اخت قدموس لتعمّد الغرب وتسميه باسم اوربا يريك سعيد من مرى – بالكلام والايحاء معاً – عملاق العماليق حتى تخال لسانها ذراعاً ، ويدها كيلومتراً ...

ولكأني بسعيد قد عاد حقاً، في هذا الموقف، الى الماضي السحيق فقال: يُها والسّختْ ، والأذلّتْ والأسلّت ، الخ . انها ساعة من ساعات الفيض ، تشبه حلول البارقليط على التلاميذ في العلّية فصاروا ينطقون بلغات عديدة... ولهذا غفرنا ونغفر لسعيد كل هفوة من أجل فنه ، ولعله يتدارك هذا في الطبعة الثالثة ، ويخلص من هذا الخرقيّ ..

ان شاعرنا ينطق قدموس واخته اوربا ومرضعها مرى بما يؤمن به كل الايمان ، وسيان في نظر الفن اكان هذا ام لم يكن . الشاعر مؤمن بالاسطورة، وايمانه أحياه فمضى بسلام . وكم من اسطورة صارت ديناً صحيحاً ، ثابتاً ،

راسخاً حين رزقت عبقرية عامرة القلب بالايمان واليقين ... إذن ليس لنا ان نقول لمؤمن : ماذا قلت ، ولا ماذا فعلت !!

رأى سعيد في اسطورة قدموس فجر يوم حق ومعرفة وحبة سخية أنبثق من لبنان ، ثم انتشر في ذلك النهار فأنارت شمسه العالم ، فما لها لا تبزغ ايضاً من هذه المبليمتر من خريطة الدنيا ! اما عاشت المسكونة بذلك الوجود النير زمناً رغداً ، فعلى ورثة ذلك النهار ان يعيدوا نوره والا فهم مقصرون . فلنعمل إذا لئلا يصح فينا : ان الامس هو دائماً الفردوس المفقود ، والا كنا كالاشجار التي تحلم صامتة ولا ارادة تحركها .

نعم ان صاحب قدموس لم يرنا ملامح ابطاله وسحنهم ، ولكن آراءهم ، وافكارهم، وأعمالهم التي جلاها سعيد ، بل قل خلقها ، قد اغنتنا عن ذلك . فشاعرية سعيد تعطي اللفظة والجملة المعنى الممكن لا المعنى الحقيقي ، وهذا اشق عمل من اعمال الفن . ان الشاعر الحق مروّض الفاظ ومخضع كلمات لنير الفكر الثقيل . انه يكدنها فتمشي تحت نيره طائعة لتؤدي العمل الذي فرضه عليها والمسرحية (حكي) قبل كل شيء ، وفيها نرى كيف ان عبقرية الشاعر الملهم ترفع الحوار الى المقام الشعري الرفيع ثم يظل كلاماً لا نتنكر له حين نسمعه ، ،ولا نستطيع ان نقول : من يتكلم هكذا !! كما اننا لا نستطيع ان نقول أيضاً : أهذا شعر ! وهنا سر تفوق سعيد في المسرحية الشعرية .كما يعظم سعيد ، كثيراً ، من شأن الارادة ، وارادة سعيد المزوجة بالحب الذي لا يوصف لبطله قدموس هي التي رفعته الى قمة الشعر . فالحب في قدموس نار آكلة ، اما في رندلى فما رأيته الا صادراً من الشفاه . هنا التخيّل سعيد عقل كساحر انفتحت امامه دنيا أسرار غير منتظرة ، ثم تكاثرت عليه فاحتار ماذا يلتقط منها قبل ان يتوارى (الرصد) وتختفي معه كنوزه... آمن الشاعر بابطاله فأحيا العظام وهي رميم ، واعطى من بعثهم من قبور الدهور الجبلّة التي يجب ان تكون لهم ، وهذا الحب المتقد هو الذي مكنه من خلق تنين أعظم من وحش يوحنا ، وان لم يكن له سبعة رؤوس وعشرة قرون . . .

فعل كل هذا اكراماً لعيني قدموس فاستحالت الاسطورة تحت قلم الشاعر المخلص حقيقة ، وكل اسطورة حقيقة وانما بشكل آخر .

ان هذا الشاعر الذي كان يلهو ويعبث، فيفصل قسطاناً لمركيان من قوس قزح ويخيط قطيفة لنياتار مزركشة بالنجوم ، ويقص (تنّورة) وقمصاناً قصيرة وطويلة لرندلى من القمر ، وينظم الزهر عقوداً لهؤلاء كلهن حتى تخاله هندياً اصيلاً ، لهوغيره في قدموس . يبدو لك هنا جباراً عنيداً ، وشاعراً كلاسيكياً صارماً : يحتل بلا اضطراب ربوع كورني وراسين ، ويلم بديار شكسبير ، وهو لا يلجأ الى ذلك – كما قال – الا ليخرج لنا مركباً مسرحياً فنياً بلائمنا . وما اخاله حين اقدم على تلك (الجوازات) التي بطلت منذ عهد ابن بردالا قاصداً رشم قدموس ، خصوصاً ، بروشم العتق والقدم، لأنه يعتقد كما قال في مقدمة بنت يفتاح : انه مفترض في المأساة الكلاسيكية أن يكون موضوعها عريقاً فيالقدم يعطيه غبار السنين جلالاً ولهذا أراد هو أن يلجأ الى قديم التعبير ليزيد ذاك الجلال جلالاً ... ناهيك ان شعار الرمزيين : ان تقديس الفنان للقديم لا يجب أن يكون تعبداً أعمى .

لقد كتبت عندنا مسرحيـــات كثيرة - وعندنا ولد المسرح كما يعرف الجميع - ولكنها كانت نثراً نظم شعراً ، أمـا في قدموس وبنت يفتاح فالحوار صار شعراً صافياً ، كما قلت ، ثم لم يفقد شيئاً من طبيعة الحوار، وهنا قدرة الشاعر العجيبة .

الشعراء فريقان : شاعر ملهم وشاعر مفكر ، وكلاهمـــا اجتمعا في قدموس ، ولكن قدموس ، ويا للأسف ، تحتاج الى مؤمنين لتحتل صدر الهيكل ، وتكون تحفةالجيل في شعر المعرفة . الجنة بلا ناس لا تداس ، وأين الناس !

ان ملحمتنا هذه صغيرة لان شاعرها يعلم ان كل ما لا لزوم له في الفن غير نافع ، وكل ما هو غير نافع يكون رديئاً قبيحاً ، ولهذا صاغها خالية من

كل حشو فجاءت ذات زخم عجيب. ان القلة في الفن ليست بعيب، وحسبك دليلا ان سفر نشيد الأناشيد أصغر أسفار التوراة ، وهو زينها .

واذا شبّهنا الشخص النموذجي بالارض التي لم تكتشف يكون سعيد قد اكتشف قدموس واستعمره فنتـــه فصار واحة في أدبنا العربي . لقد وجدتني في مجرى هذه المأساة كزورق يسوقه هواء قالع فلا يستطيع ان يقف ، ولهذا أظن أن النظارة لا يتنفسون الصعداء الا حين تسكت العاصفة ويرخى الستار .

وخلاصة الكلام ان ايمان سعيد بما يقول ويقص قد أحيا كل لفظة في قدموس فكانت قمة لبنانية في الشعر ، رسا أصلها على الفن والعقل والمعرفة، وسمت بها الى الافق فروع حق ومحبـــة ورحمة لا تنال، وليس على العبقرية أمر عسير .

شكراً يا سعيد ، هات رائعة ثانية ، وكفى .

محمد الجواهري

الشهرة الأدبية معشوقة ساحرة تنوّم أصحابها ..

عرفت الجواهري في ديوانه فاعجبني شعره ، وما زلت أذكر ، على بعد العهد ، صورة ذلـــك الكتاب المغطى عنوانه وصوراً أخرى . ثم قرأت له قصيدة من الشعر الجيد حين زار فخامة رئيسنا العراق . وبعد حين أرسل إلي أحد شباب الرافدين قصيدة قالها الجواهري في باريس ، لأقول فيها كلمة فما قلت ، ويا ليتني جبرت خاطر ذلك الشاب الذي آلمه جداً استخفاف شاعر العراق بقرائه .

وأمس توقعنا أن يكون الجواهري شاعر حفلة عبد الحميد كرامه ، رحمه الله ، ولكنه لم يكن، بل طلع علينا بشعر جماهيري. شعر منثور ، عفواً بل نثر منظوم يدل على ان الشاعر الكبير يعنيه السواد من الناس ، اما الشعر الصافي فما حسب له أقل حساب .

واذا أسفت لاخراج الجواهري من البلاد ، فلست بأقل أسفاً لمجيئه من

العراق ، وعرضه في قاعة الريشولي بضاعة لا تنفق في سوقنا. كنا نتنظر منه درأ وجوهراً ، فاذا بنا نرى خرزاً مدروزاً ، ويا ليته كان براقاً لتتلهّى به الأعين ، ولكن ...

فأين خيال الجواهري ، وأين بلاغة الشعراء ؟ والله لست أدري . ولماذا استوحى الشاعر جريراً كل هذا الاستيحاء ؟ أ ! لعله ظن انه في موقف رثاء وهجاء ، مثل ابي حزرة .

لم أقرأ القصيدة كاملة إلا بعد ذهاب الشاعر ، وأنا تعودت ألا أحكم على السماع فللسماع محاسن وأضداد . فكم كانت خيبتي مرة حين قرأتها : الليل ليل والنهار نهار ، صلى عليك الرفقة الأبرار ، وأتى الجواب لنا . . . الخ . رحم الله محمد عبده الذي قال : ما دخلت السياسة شيئاً إلا أفسدته .

ما هذا زاداً ينقل من بلاد الى بلاد ، إن هو الا محصول يستهلك في أرضه ... عللنا أنفسنا بالسمك والترياق فما ظفرنا إلا بدبس وسويق . كانوا يقولون فيما مضى للشاعر متى أجاد : أنت أشعر العرب في هذا البيت ، فهل نغضب الجواهري اذا ما قلنا له : أنت لست أشعر من بالعراق في هذه المنظومة . ان تسعة أعشارها عيال على عشرها المهيض الجناح . ما أشبهها بقول ابي نواس حين وصف حاله في شيخوخته :

فما لم يمت مني بما مات ناهض فبعضي لبعض دون قبر البلى قبر

تعابير مبتذلة ، وأخرى واهنة واهية ينقصها التماسك . فالزخم ، وهو ملاك الشعر الجماهيري ، لا أثر له فيها .ناهيك ان الشاعر افترع بعض قوافيه مثنى وثلاث . والعدل مرة واحدة ...

ما كان أقل حظنا منك يا محمد ! ! جئتنا معماراً طليانياً يرصف حجارته كيفما اتفق ، وهدفك الأسمى قيام الحيط ، والشعر يا صاحبي لا يكون الا نحيتاً .

وبالاختصار اقول لك : جئتنا صحفياً يتنكر بثوب شاعر .

ديوان الأنسام

ناظم عقد هذا الديوان الشاعر محمد يوسف مقلد . طريفة هي مواضيع الشاعر ولكنـــه فزّعنا حين صدّر ديوانه بشذرة من شذرات الشيخ سعيد تقي الدين ، وعنونها « الى الناقدين » . فإن كنت يا أخي الشاعر ممن يؤمنون بالنقد ، فلمـــاذا هذا الحرز ؟ ألا تعرف هذا البيت : وإذا المنية أنشبت أظفارها ... تراكم تعتبون إذا لم نعنَ بنقد ثمار قرائحكم، وهذا حق،فالنقد إعلان بلا أجرة ؟ أما الكتاب المطبوع فمثل البيت السائب ، ولكنه لا يعلم الناس الحرام ، فلا تسيج الكرم يا أخي .

وبعد ، فقد يفهم من العنوان الذي في جريـــدة الأحد – مارون عبود يتصفح الكتب – انني أقلبها لاهياً عابثاً . يميناً ، لا . فما تلك عادتي لأن للشاعر عندي حرمة المجهد ، فأما ثرثرة العصفور الدوري حين تحمى الشمس، واما صمت السمكة . فاذا لم أقرأ كما تعودت فما تراني أقول ! ! ألا أكون اذ ذاك كقاضٍ يحكم ولا يقرأ اللوائح؟ فكما لا يكون هناك قاض من هذا الطراز كذلك لا أكون أنا . انني أقرأ وشهودي ما أكتب . . أتصفح الكتب بكل

ما في كلمة « تصفح » من معنى ، راجع المعجم إذا شئت . ولهـــذا أقول لصاحب الانسام ان اسم ديوانـــه يلائم المسمى ، فهو في أشد احواله ثورة وغضباً لا تقطع أنسامه أكثر من ميل في الدقيقة .

الشاعر مقلد غزير المادة ، ولا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا في ديوانه هذا ما قيل في شعر أبي العتاهية: شعره كساحة الملوك، فيها الدر والجوهر ،وفيها... اما العنوان الصغير « شعر مهجري » فيصح في هذا الديوان من حيث الحنين الى الوطن ، فما رأيت حنيناً صادراً من أعمق الاعماق كحنين مقلد ، ولعل ميكروب هـــذا المرض قد تسرب الى قلب الشاعر من جيبه الملتهب ... أما قال المتنبي : وكل مكان ينبت العز طيب !! أما من جهة اللون الادبي والفن فلا تصح نسبة شعر الديوان الى المهجر الا من الناحية الرستمية – نسبة لأسعد رستم – فعند الشاعر مقلد قصائد طريفة تلذنا وتطربنا، وهو فيها غير مقلد . وقد تكون بينه وبين النجفي بعض القرابة من حيث الاعتماد عـــلى الواقع دون الخيال .

وخوفاً من أن يقال : عادت حليمة الى عادتها القديمة، ها انا اقدم المحاسن على المساوىء وأقول . ان قصيدة (الجندي) في باب (صور من الحرب) اعجبتني كتصوير وقص ، ولعل الاستاذ محمد مقلد قاصاً أحسن منه شاعراً . فقد رأيته أجمل ما يكون حين يقص لانه لا يكلف نفسه التخيل . وأظـن أيضاً أن قصيدته (بنت عرب في ملعب الصبا) تعجبك كما أعجبتني . مشى الشاعر فيها مشية الراقص حتى بلغ (القمتين) فصك عندهما صكة الغنمة.. فخسر كثيراً من ظرفه الذي احبيته . اقرأ لتكون حكماً بيننا :

لها نهيد خافق في روضة الصدر ربي
لم تكتمل وثبته يشير نحـو الشهبِ
حملته كأنها لؤلـؤة لم تثقب
ما رطبته شفة بعد ، ولمـا يحلب

أرأيت كيف صكّ في البيت الأخير، الا تنقزز حين تبلغ (ولما يحلب) ؟ أتتحدث عن عجلة هولندية يا محمد !! أم تعارض (صاحبنا) حين امتص ذلك الضرع وراح شهداً يقطر . وتشرشرت الرغوة على منبر وست هول.. رحم الله عمر ابن أبي ربيعة الذي فضل اللحم على الحليب ، فكل ما في هذه القصيدة طيب لولا هذه الزفرة ..

وفي الديوان أشياء كثيرة تستملح وتستحلى ولا ينقصها غير الرص، ولكن دفة نول محمك خفيفة لا تلبد خيوط ديباجته لتجيء ملزوزة . عند الشاعر فكرة انتقادية اجتماعية ولكنه غير طويل البال . الشاعر كراكب الجمل فكيف يكون مستعجلاً !! خذ ، مثلاً ، بهذا البيت الطيب :

جرب القطيع فأين تذهب عنزة سلمت ، محال ، انها لا تسلم

ألا ترى ان الشاعر لا يعنيه الا أن يؤدي فكرته ويستقيم وزنه ، فسيّان عنده أعلى الرمل شاد بيته أم على الصخرة . فلو تمهل ومكّن عجز هذا البيت لكان عاثراً وان كان معناه معروفا . أليس كذلك كان يفعل أبو تمام؟ ولكن صاحب الأنسام لا يعنيه هذا كثيراً ، فهو تارة يخترق حرمة العروض في قوافيه ، كما نرى في قصيدته حديقة (مرسيليا)، ثم لا يرأف باللغة فيضع الحرف الذي يتطلبه ، فيكون في ذلك كمثل بنّاء يسدّ ثغرات مدماكه بالحصى ولا يبالي . دونك مثلاً على هذا قوله (ص ٧٢) :

كثرت (بنا) الكتاب والشعراء والخطباء حق (للحدود) تجاوزوا

وقوله (ص ٨٠) :

عد بي (لحيث) احبتي مستعجلا هذي المواطن صرن في عيني قذى

ثم لا يرحم الخليل وسيبويه آذا لم يستقم الوزن فيقول :

خلقت لموقفي عذراً لديها فكان كمهجتي (واهٍ) عليلا

فحق واهٍ أن تكون واهياً — خبر كان — وان كان يقصد واها التي استعملها المتنبي في ذاك البيت، وهو أسخف سخافاته، فهي واها ايضا كما تقدم.

وهب اني انقذت الشاعر في هذا التعليل الذي لم يخطر على باله ، فأي تعليل أجده لقوله (ص ٣٦) :

عدا الدهر فاجتاحته منها جوائح وما زال (ملق) عندها بجران

فملقٍ اخت واه ، هي خبر ما زال . ثم ما رأيك في هذا القول : أهل عودة لي يا زمان لمربع . فأين أنت يا استاذ من الفاء ولماذا خلقوها ؟ الهمزة وهل في وقت معاً ، أتكون كمن يأكل خبزاً بخبز .

وللشاعر مقلد قصيدة طويلة فيهـا الجميل الكيس ، تعبق منها رائحة الأرض والشباب والحياة ، ولا يشينها الا هنات هينات كان يقدر أن يتحاشى عنها ، ولكنه لا يفعل بل يقول في قصيدة على الراء المكسورة : اعاشرهم ويا بئس المصيرِ ... ثم يلوى على أبي معاذ الهراء فيقول (ص ١٠٩) :

أفكلما (هزّيت) هذا المرقما (هزيتنا) بين الروائع والدمى

لا يا محمد ، لقد هززت عظام علماء الصرف والنحو في قبورهم ، ويقول أيضاً (ص ١٦٧) :

جاء البريد والقى لي مزيفة (فضيتها) بعظيم الخوف والريب

لماذا لم تقل فضضتها ، أيعجز عنها قلمك ... وهناك إشباع لا بد من الاشارة اليه كقـوله (ص ١١٥) : فيكِ من الساحرات الغيد يا دكر ، فاشباع الكاف لا يجوز . وفيما كنت اقلب صفحات الديوان لاراجع ما علقت على هوامشه وجدت (ص ٥٤) هذا البيت :

دهتك قافلة الحياة فان تكن مستضعفاً فيها تداس وتحطم

فالجزم واجب متى كان الشرط والجزاء مضارعين .

اخالني قد انتهيت مما اريد ذكره ، وكأنني أرى بعض القارئين يهزّون أكتافهم قائلين : ما هذا التنطع !! وأنا اجيب هؤلاء : من شاء أن

يكتب ، شعراً او نثراً ، فرضت عليه هذه الأصول ، وإذا لم نحافظ عليها فأي فروع تبقى !!

وفي ديوان مقلد الى جانب هذه الهفوات حسنات كثيرة لا تحتاج إلا إلى تحكيك غير مضنٍ ، ولكن صدر مقلد ضيق ... وان اتسع للمقدمة الوجيهة التي كتبها الاديب حسين مروة فطبّق المفصل .

ومقلد يعترف لنا انه لا يهذب الشعر فيقول عنه :

جاءني طوعاً وأمسى مهنتي ان تفتني في الحياة المهن

واولادي يا استاذ جاءُوني طوعاً أفأتركهم هملاً بلا تهذيب !! هذب وشذب وخطيئتك في رقبتي انظر بحياتك الى بيتك الجميل الرائع هذا :

أو هب لي الصبر الجميل فانه قد كان جلباباً على ايوب

فما زلت تعرف جمال صـــبر أيوب ، فأين انت من قمحة منه ، فيصير شعرك كما تشتهي وتروم . وبعد فقرويات محمد وحوادثه التي نظمها شعراً هي أجمل ما في ديوانه ، فكلها تقرأ بلذة وسهولة وعذوبة ، وماذا يريد المؤلف غير هذا . سأل جرير الاصمعي : أنا أشعر ام ذاك الكلب ؟ يريد الفرزدق . فأجابه الأصمعي : الفرزدق عند العلماء ، وأنت عند العوام . فصرخ جرير : غلبته ، ورب الكعبة ، فليس في الالف عالم واحد . اذن فليقر مقلد عيناً ، فمن تقع عينه على قصيدته الى « العبيد البيض » ولا يقرأها أكثر من مرة . ظريف انت يا محمد ! انها رستمية ظرفاً ونقداً مرّاً .

خبرنا الشاعر ان امه كانت تخوفه بالغول ، ولمـا سأل معلمه ، فيما بعد ، قال له : لا تخف فليس في الدنيا أغوال . ثم كبر الاستاذ محمد وجاء (الزعيم) مرة الى ضيعتهم فتأكد عنده قول امه ، وبعد أن صال وجال في هـــذه القصيدة ، ختمها بقوله ، والضمير يعود الى الزعيم :

إذا مشى التف من اذنابـــه نفر من حوله ومشوا في ظـــله تيها
فهم واياه غيلان البلاد فان عز الغذا ، أكلونا في تواليها
واحسرتاه علينا فالزعـيم إذا قالوا أتى،صاحت النسوان(آويها)

ان آويها مشتقة من آه ، يا عزيزي ، والطير يرقص مذبوحاً ..

عفواً يا اخي، فإذا ظننت انت انني نلتك بمساءة فأنا أعتقد انني أكرمتك قياماً بواجب المعرفة الجديدة ، فأرجو أن لا يصح فينا قول المتنبي : كان تسليمه عليّ وداعاً .

من أغاني الحياة

عنوان ديوان شعر للاستاذ مصطفى عبد الرحمن - الشاعر مصري وقد غنى محيطه غناء شجياً رخيماً ، ليس من الطراز التقادي الفلسفي ... فاللون المحلي فائض كالنيل في اغاني حياته . رقة لامرتينية ، وعبارة مديحة تدبيجاً متناسقاً كأنما جاء عفو الطبع . الشاعر ملتاع متحسر يفتش عن صباه الذي ضاع ، فجاء ينشده في الأماكن التي ترشدنا اليها عناوين أناشيده : ضفاف النيل ، ليالي النيل ، ليـــالي الشاطىء ، على الشاطىء ، خمرة النيل ، في ظلال النخيل .

الشعر سهل رائق ، نقي الديباجة يستحق اسم « من أغاني الحياة » الذي أطلقه عليه ناظمه ، وفي الديوان تعابير من الطراز الرمزي ، منثـــورة هنا وهناك باقتصاد ، فكأن الشاعر يحفظها ولا يخلقها ، فما يزيد على أن يقول : ضفاف حالمات، وأمسيات حالمات أيضاً ، والجدول عنده يحلم أيضاً ، فكأنه يشبه الذين يحلمون منا ويرفعون الصوت جهرة... ويقول أيضاً : ليالي الزورق الراقصات ، ولحن ضاع ومات .

في هذا الديوان شعر طيب تطرب له النفس ، يدلنا على ان صاحبه يمشي على سهل ، غير متصنع ولا متكلف ، فاسمع قوله :

ويموت النشيد في شفتينا رائع الجرس عبقري المعـــاني

كما يقول في موضع آخر :

وعديـــني بفراق لا يطول أنا أحيـــا بأكـــاذيب المنى

ثم :

ذاهل تلقـــاه كالطير الجريح ماتت الأنغـــام في أوكاره

في البيت جمال معنى ، ولكن ضعف التأليف يشينه ، فجملة عجز البيت الماضوية تحتاج الى الواو وقد لتكون حالا لأنها لا تصلح نعتاً ، وهذه احدى معايب ديوان اغاني الحياة . وهناك عيب آخر وهو : فيما تقرأ كلاماً من الشعر الصافي البديع إذا بك تنتقل الى ما يشبه النثر ، وهذا ما يحملني على التحفظ حين أثني على هذا الشاعر ، فلعله يتأنى في قابل ، فالشعر الصافي وليد الروية والتفكير الدائم . فإذا قرأنا قوله :

ونذير البين يسعى بين أحلامي وبيني
وافترقنـا للقـــاء ورجـــاء وتمـنٍّ
وأتى قلـبي يسعى للتلاقي ، بيـد أني

لم أجد في الشط ما يشفي غليلي اين ندماني ؛ وكاسي وطلاها

نرى أولاً انه لم يسع وراء قافية تتلاءم مع تمن ، وبيني ، وبيـــد اني ، ناهيك ان هذه « البيد اني » تذكرنا بما عابوه على النابغة حـــين قال : وهم أصحاب يوم عكاظ اني . ومثل هذا غير نزر في قوافي الديوان ، فمصطفى عبد الرحمن شاعر ولكنه غير فنان . فكأني بالموسيقى التي تنبثق من نظمه قد أتت غصباً عنه اسمع ما يقول واجعل أذنيك حكما بيني وبينه . قال:

لا تؤجل لغد انّا ظمئنا
وحرام ان ينال الدهر منا
والذي يشفي ظمانا بيدينا

أرأيت كيف يرفس الوعاء ، اخيراً ، ويكب ما فيه ! !

اما هذا البيت :

صمتت هذه الذكريات وأغفت وانطـــوى سامر وولى أليف

فقد حيرني . حاولت كثيراً ان اهتدي الى قراءة يسلم معها صدر البيت من الكسر فلم اوفق . كان يستطيع الشاعر أن يتجنب مـــا لم يتجنبه ، ولكنه لم يفعل . فحرام أن لا يسلم شعر عذب ناعم كشعر عبد الرحمن من هذه الهنات ، وخصوصاً اللحن اذ يقول :

والفراشات طليقات عليه حيثما تهـــوى تهم

فحيث مع ما تجزم فعلين ولا محيص ... فما كان أحلى شعره في آخر اغنية من أغانيه :

نام عنّا الزمان وجنون القدر
ورعـانا الحنان في ربيع العمر
فنسينا الجوى وجحيم النـوى
(ودعينا) الهوى في ظلال النخيل

لولا قوله : ودعينا الهوى ، ثم ضبطها بفتح العين وتسكين الياء . لست ادري ما يعني بهذا الضبط ، ولكنني ادري انها خطأ ، وصوابها دعونا .

قليت الشعراء جميعاً يؤدون العبارة على حقها ، واذا لم نطلب هذا منهم فمن نطلبه يا ترى ؟!

عبقر

لشفيق معلوف

هذه ملحمة الاستاذ شفيق معلوف مكبّرة ، فكما ان ناظم عقدها شاعر لا يحتاج الى تعريف ، كذلك نحن في غنى عن الكلام عنها ثاني مرة . كانت ست اناشيد فصيّرها بكدّه واجتهاده دزينة كاملة ، وكذلك بيوت المال درهم الى درهم كما قال الجاحظ في بخلائه .. ضعّف الشاعر عدد أناشيدها فضعّفها ، وهذا كثيراً مـــا يحدث في فن تكبير الصوَر ، فتترهل السمنة وتنسفح سيماء الوجه . أما طرازها فهو هو ، وكذلك حجارتها فانها ما زالت من مقلع واحد . ولولا «بحثم العنقاء» و « محرقة الفَيْنَق » ، كما عربه شفيق في النشيد العاشر ، لخلا جديد عبقر من الشعر . امـا « حلم هراء » فكإسم صاحبه ، ومن يطلب شعراً من حكاية ، وخصوصاً اذا كانت كحكاية امية ابي الصلت !!

هذا من حيث الشاعرية والخيال ، أما التركيب فأشهد انه محكم جداً ، ولكن حكمة شفيق تبدو غريبة في نظري !! يخبرنا الشاعر بلسان « ثبر » احد أبناء ابليس الخمسة – نشكر الله على قلتهم – ان فكرة الأوطان موحى

بها من هذا اللعين !! ولشيطان الحروب ثبر شقيق اسمه « اعور » . تذكرني حكمته هذه بما كنت أقرأ من أخبار مفزعة في كتب كنيستنا الكرشونية ، عن عقاب خطية اللحم والدم ... وفي عبقر جنّ كثير مختلفو الاشـــكال والألوان لا أراني مضطراً لذكرها لسببين : الأول لأن « الحولة »من خصائص الجن ، ففي قدرة الجني أن يصير الى ألف شكل . والسبب الثاني ، وهو الأهم ، سيأتيك ذكره ..

أما الواجب عليّ فهو ان انوّه بالشاعر شفيق معلوف لأنه كتب لملحمته مقدمة قيمة ، جمعت شمل الجن من بني وبني ... ولملمت أخبارهم المبعثرة فصار من يريد الاتصال بهم قادراً على رؤيتهم جميعاً في ندّيهم ، مقدمة عبقر. فهذه المقدمة النفيسة أكبر من الأناشيد مادة ، وقد يكون لها في الغد شأن مقدمة ابن خلدون التي طغت شهرتها على تاريخ صاحبها ... لا تتعجب ، فدواوين هذه الأيام أشبه بعلب الشوكولاتا . قالوا قديماً : من الظرف اعادة الظرف ، أمّا شعار اليوم فهو : من الظرف اتقـان الظرف . فشكراً لمجلة العصبة الأندلسية على هديتها الموضوعة في أجمل وعاء .

ها قد وصلنا الى السبب الثاني فاصغ اليّ . حفظك الله : في سنة ١٩٢٠ مرضت مرضاً قالوا انه كان خطراً،ولكنني لم أحس إلا بالحمى التي لم تحل دون الحركة ، فذهبت بنفسي الى عيادة الدكتور ده برون أشهر أطباء زمانه ، ففحصني وكتب لي علاجاً . ورحت أطوف بتلك الوريقة على الصيدليات ، والحمى تشويني ، فكان الصيادلة يطالعونها ويعيدونها قائلين : غير موجودة . وأخيراً وصلت الى صيدلية الجمّيل التي لا تزال على طريق النهر ، فقرأها الشيخ يوسف وتذاكر مع أخيه الدكتور أمين رحمهما الله ، وقال لي : الاجزاء كلها موجودة ، ولكننا لا نركبها الا إذا أعاد الدكتور ده برون فيها النظر ، فعد بها اليه .

فوقفت حائراً واجماً،فقال لي الشيخ أمين : لا تتحير،ولا تشغل بالك . في

مثل هذه الحال يعمل الحكيم أحد أمرين : اما أن يعدّل واما أن يصرّ على ما قرّر .

فعدت الى دكتوري أخيراً ، فنلش « الرشتة » من يدي ، وأجال فيها نظرة متأمل ، ثم تناول القلم ووقع عليها توقيعاً ثانياً أغلظ من توقيعه الأول . وقبل أن أخرج من بوابة بيته أطل من الشباك وقال لي برطانته : استعملها بكل تدكيك – تدقيق –

وأنا الذي أبديت رأيي قديماً في ملحمة عبقر الرائعة ، أفعل اليوم فعل الطبيب ده برون في الأمس . إني اوقع على « الراشتة » ثانية . .

لقد ظهر لي من الأناشيد الست الجديدة ان علاجي كان غير ناجح ، فليت شاعرنا التجأ الى الحمية فهي رأس كل دواء.

خفقة الطين

في العراق وثبة شعرية تجري في حلبتها النساء والرجال الى الغاية ، ولدي من ذلك الانتاج الثمين بضعة دواوين، وهاءنذا أبدأ بالديوان الدسم «خفقة الطين» ان ديوان خفقة الطين شقيق أفاعي فردوس ابوشبكة ، وان زعم لنا شاعره السيد بلند الحيدري انه احب فلاناً وفلاناً من الشعراء ونحا نحوهم . الصوت صوت يعقوب ، وان كان اللمس لمس عيسو . فسميراميس الحيدري هي سدوم أبو شبكة مع فرق زهيد ... هناك بنت وأبوها ، وهنا ام وابنها ، كطبخ الرز مفلفلاً وغير مفلفل ...

قد يكون الحيدري أقرب الى أبو ريشة تعبيراً ولكنه أخو أبو شبكة في الطاحونة الحمراء ، فالرحى سورية واما الحنطة فعراقية . وبلند الحيدري كيفما دارت به الحال اشبه بشعراء الشباب عندنا منه بمحمود حسن اسمعيل الذي ذكره . فديوانه خفقة الطين صارخ الرمزية : رمزي العناوين ، رمزي المواضيع ، رمزي الرسوم ، رمزي التعبير. والصورة الواقفة على باب ديوانه « عباسية » أكثر مما يحتمل المقام... ترى ألا نفهم كيف يخفق الطين ما لم نره

بأعيننا يعلو ويسفل . . . ولعل هذا الشاعر المتمرد البائح أراد أن يرينا نفسه عارية فطالعنا بهذه الصورة ، ثم أرضح ما هو أشبه بمغامرات كازانوفا في قصيدة جحيم التي أطلقها من العيار الثقيل :

تقول في همسة شكواتها رفقاً فقد تمزق المضجع

رحم الله حامل لواء الشعر في النار ، فقد سمع مثل هذا قبل بلند : عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل . فديوان بلند في الجملة عاصفة شباب ، بغلة شموس لا تؤخذ لامن قبل ولا من دبر . ثم لا تنجلي تلك الغمرات حتى نسمع وقع «خطوات في الظلام» فاذا بالقادم شاعرنا بلند ينمى الينا حلمه واشواقه وامانيه.

لقد ساءني جداً اعلان الشاعر افلاسه ، وأسأل الله أن يستطيع تسوية «طابقه» فلا يخفت هذا الصوت ، فبغداد عاصمة الأمبراطورية العربية القديمة مشتاقة الى اعادة عهد بشار ، ولا أقول عهد أبي نواس وان ذكره بلند دون ابن برد .

ان فورة الحيدري وقرمه الى اللحم وانغماسه في الكبائر يذكرني ببيت سمعته من عراقي :

سوّدت صحيفة أعمالي وجعلت الهم على « حيدر »

فها هو ينصهر في «جحيم» اهوائه، ثم يهرع الى «الاله الغول» هاتفاً في اذنيه:

أعبد الحس والحياة فدعني أتلهى بما تحوك شروري
خلني خلني أذوب ائتلاقاً وابتساماً في لج هذي الدهور

وكأن شاعرنا يدرك ان هذا الفناء لا يواتينا ولا يواتيه ، وان لنا طماعية بالبقاء فيرجع عن غيه ويقول :

آه ما أعظم الخسارة ان لم يك خلف الوجود غير الفناء

إذن الخميرة «الحيدرية» التي شاء الشاعر ان يطرحها لا تزال تعمل عملها في ضميره .

الذي نعته بالسواد في مكان آخر . وما ديوان خفقة الطين غير عواطف متأججة يسمع نشيشها من قيد ميل وهي :

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

وشاعره شاعر حقاً ، شاعر اللحم والدم، شاعر الدجى الذي يحق له ان يهتف مع المتنبي : وكم لظلام الليل عندي من يد ... واذا شئت أن تعرف رأيه ومعتقده فاقرأ قصيدتي : خفقة الطين ، وهمس الطريق . ليس فينا من قدر الصمت واستوحاه كما استوحاه هذا الشاعر الشاب ، وقلّ في الادب العربي من أوحت اليه « الطريق » ما أوحت الى بلند الحيدري من أفكار ومعان .

ان في هذا الديوان على صغره وثبات عالية تنبئنا ان الحيدري يصير شاعراً عظيما إذا ثابر وحكّك شعره . اسمعه كيف ينعى قلبه الى من استغلته زمناً .

لاتسألي القلب عن تاريخ اغنية رعناء جفت على قيثار ماضيه
لا تسأليه فما فيه سوى خشب تكاد تلمسه الذكرى فتوريه

وكقوله يخاطب واحدة سمراء، والسمر محببات اليوم الى الشعراء الشباب، أما في زماننا فكانت الأوليّة للبيض :

وتلفك الأضواء والالوان حلماً في جفوني
فاحس بل اني أرى دقات قلبك في عيوني

ومثل هذا كثير في الديوان ، ولعلي أكون اليوم قد اكتشفت شاعراً ، ولهذا سأجدّ في نقده لأني أرجو منه خيراً كثيراً . ليتك يا سيد بلند ذو حرارة وانقاد في سبك شعرك كما أنت في بوهيميتك فتنقّي لجينه من خبث الحديد . فقد رأيتك مارجاً من نار في جحيم تلك التي ناءت وقد تكون قد نأت ...أفلا تكون شرارة في العمل الفني لتجعل لشعرك عمر النسور . أنت

موهوب ولكن الموهبة، وحدها،لا تكفي. فالفن عمل مستمر. اعمل أزميلك الف مرة في تمثالك قبل أن تعرضه ، فانت تقدر أن تجعل ديوانك خالداً إذا لم تضع حد اللؤلؤة الباسمة حصاة من الحوّارى الباهتة . لا تحسبه ديواناً صغيراً قديوان بودلير ليس بالكبير ، ومن يدرينا انك لاتكون بودليرنا ؟ وبعد ما أسمعتك هذا الاطراء بدون تحفظ ، اسمح لي أن أنتقد بلا محاباة ، ولنبدأ بالقوافي .

القوافي هي زوايا القصيدة ، وزينة البناء زواياه ، فما رأيتك ممن يبالون بنحت الزوايا وتطبيقها على الزاوية والفادن . ان القوافي ، عدا جمالها الفني ، ذات تأثير عجيب في الموسيقى ، واذا تشوشت ضل الايقاع طريقه ، وهذا ما شعرت به آنا عندما قرأت قصيدتك «نشيج» . قلت : القافية ، واحزانه وآلاميه وأسراريه الخ . حتى لم اعد ادري اذا كنت تريد ان تكون هذه القصيدة نشيداً ام نشيجاً حقاً . . . كما انك فعلت هذا في قصائد اخرى . ثم جمعت في قصيدة « سأم » بين دور وقبر ، وهاتان الكلمتان لا تصحان قافية واحدة بسبب حرف اللين الذي يلتزم . ثم جمعت في (همس الطريق) بين قافيتين لا يجمع بينهما ابداً وهما : حظي وتمضي .

وفي قصيدة « موت شاعر » تجعل عروض البيت فاعلاتن ثم تدع ذلك ساعة تشاء ، مع ان هذه الاصول اذا روعيت تولد الرنة الشعرية المحبوبة ، وكذلك فعلت في خفقة الطين . وفي « انتفاضة كاس » افلت مقود السيارة فركبت رأسها. وفي احدى روائع ديوانك «همس الطريق» وقفت على الحركة مرتين ، وياليتك لم تفعل

اما الوزن فقد قلت في قصيدة سميراميس: فسماع. لقد تحرك باب. للشاعر ان يحذف من فاعلاتن اما الف فا ، او نون تن ، اما حذف الحرفين كلاهما فمحظور . وفي قصيدة « صدى الخريف » تقول : اني نسيت شبابي الغر فانساه هنا صراع بين النحو والعروض ، والنحو مقدس لا يمس ، فدبر

لبيتك زاوية غير انساه لانهـــا مشوهة . وفي قصيدة « حدثيني » تقول : حدثيني قد طال الصمت صمتاً . واظنها اطال ، ولكني رجعت الى التصحيح فما رأيت شيئاً . ثم قلت في « ذلك الشيء الصغير » :

هاك يدي لنعبر الدنيا ومدّي لي يديـك

زد الياء ، ولا حرج عليك ، فتصير هاكي ، ويستقيم الوزن .

وفي اللغة والاصول رأيتك طوراً تقول يحوك ، وتارة يحيك ، ثم تقول في عجز بيت من قصيدة « سميراميس » وهي رائعة الديوان : وهي في صدرها شواهد زور ، فشواهد غير شهادات التي تقصدها . ثم تقول في فيها : بعض اظلال لذة شهّاء . . فلفظة شهاء لا تجيء صفة كما اردت . واستعمالك خافق ومخفق للقلب ما هو غير ضيق صدر وقلة جلد . وواد جمعه اودية لا وديان . لا يقال : ثم لا تبسمي المصباح ، وان كان المعنى جميلاً فاللغة لا يضحّى بها .

انظر ايها القارىء العزيز الى هذا الشعر النفيس ولا تنس ان اخوته كثر في الديوان :

واذا مـا الزمان عتمّ افقي افسحت بين جفنها لي زمانا
واراقت من ناظرين سمـاء كم تنقلت بينهـا نشوانا

فلو قال شاعرنا ضيّق بدلاً من عتمّ لأمن العثار اللغوي ولاءَم بين افسح وضيّق . وفي قصيدة « الطبيعة الغاضبة » يقول : ولم تأنس جواب ، وانس لا تتعدى الا بالباء . وفي اخر هذه القصيدة يقول الشاعر : لن يحتضرت ملاحني ، فيخطىء نحوياً ، ثم لغوياً في هذا الجمع « ملاحني » الذي لم اسمـع به . فالى الدد ت يا سيد بلند ، وارحنا وأرح ديوانك من لغة أكلوني البراغيث .

وفي قصيدة « انتظار » الساعة تطمر ساعاتها في الدجى وبلند ينتظر على أحرّ من الجمر ، وتلك الشقية الملعونة قاطعة رسنها :

نشوى تنقل جسمها من مخدعٍ لمخدع

أرأيت ما ابشع من نخدع ولخدع ؟فهذه الواو قتلت البيت . وفي قصيدة «اختناق» يختنق سيبويه والخليل حين يقول : خافقا حاني ، وروح سأمان . وفي قصيدة « شكاية مهمل » يجمع ساعة ساعا . واذا رجعنا الى « جحيم » سمعناه يقول :

فلاطلق العمر بدنيا اللظى عسى وان يرينه ملجاه

فما هذه ، العسى وان يا صاحب ؟ !

ثمّ قل آمله ولا تقل أءمله كما كتبت في « ص ١٠١ » ولا تسد « بقد » كل ثغرة، فمداك البنّاء الاستاذ لا تسد ثغراته بالحصى ، «فقد» حصاة شنيعة متى كانت في غير محلها .

وبعد هذا التنطع كله أشهد أن ديوان بلند الحيدري أحفل ما رأيت من دواوين الشباب بالشعر ، ولعله الشاعر الذي تحلم به بغداد . أما هذه الهنات والأبن فقلما يخلو منها شعر من يجدد . أما من يقلد فلا تجد في شعره شيئاً من هذا كما اننا لا نجد عنده هذه الوثبات الصاروخية التي رأيت الكثير منها في شعر بلند .

الكوميديا البشرية

الديوان صادر عن بغداد - طبعة الحقوق - وصاحبه الشاعر، أكرم فاضل، أخو رأس شاعرنا محمد يوسف مقلد. التفكير واحد، والاسلوب يكاد يكون واحداً. شعر يقال عفو الطبع في مواضيع تهز الشاعر، بيد ان أكرم فاضل قد يكون في قابل مثل شعراء يتيمة الدهر الظرفاء الخفاف اذا ركب قلمه رأسه ... يضحك ابداً ويسخر دائماً . أهدى صاحبنا الاكرم ديوانه بهذه العبارات:

«الى الحبيب الذي اذاقني لذة التعاسة ، الى الثور العزيز الذي كان يلحس وجهي وأنا هاجع فوق سريري ليلاً في الريف ، أهدي هذا الخوار الموزون».

أجل ، في « الكوميديا البشرية » خوار ، وأنغام هزار ، لان عرائس شاعرها ليس لهن غرفة « توالت » آمـــا هذا الاسم فقد يكون ممارضة لدانتي - جعل أكرم أبطال مسرح ابطال كوميديته في الشارع ، وانتقى لها ما اعجبه من مشاهد حتى كاد ان يـــلمّ بكل شيء . فمنهم ماسح أحذية ، وعتّال ، ومومس ، وجرو كلب ، وقد نظم لهذا الأخير قصيدة عنوانها « صديقي الجرو » : قال فيها :

أيها الجرو ، يا عزيزي المفدّى لك مني أذكى التحيات تهدى
سرت خلفي ولم ينهنهك طردي وتجاوزت في ذيادك حدّا
ما تهم الكلاب عضك حتى لذت بي خائفاً فأصبحت سدّا
فاذود العـــداة عنك كأني بطل ، وحده ، ينازل جندا

والشاعر العراقي لا بـــد له من النضال ولهذا رأينا أكرم فاضل يقول شعراً نضاليّاً ، ولكنه لا يخرج فيه عن اسلوبه التهكمي ، فيرثي عتّالاً قتل في وثبة كانون الثاني العراقية ثم لم يحرم امرأة بغياً قادت الجماهير في تلك الوثبة ، فقال فيها :

ومشت تزمجر كاللبؤة روّعت بشبولها فـــاذا بها متواثبه
وتمنطقت بعبـــاءة مخضوبة بدم الضحايا تستغيث مطالبه
يا اختنا في الاضطهاد لانت اشرف من خؤون باعنا كالسائبه

ويرى فنانة بائسة فيرق لها ويناغيها بقصيدة عذبة الجرس ، منها هذا البيت الرائع :

لك وجه يفيض عطفاً ولطفاً وابتسام كأنه انشوده

وينتقل الشاعر الى الريف فيغني اناشيد شتى لتلك المنطقة، ويرى فيها كل شيء فرحاً مرحاً الا نفسه فيقول :

كل شيء غير نفسي فرح حتى الذباب
طنطنت راقصة الخرطوم من غـــير رباب

أما خير ما قرأته في « الكوميديا البشرية » فوصفه بخيلاً قال فيه :

أيهـا الحائر في ثروته لا ينام الليل الا موهنا
غارقاً في الماء لكن ظامئاً سابحاً في النور أعمى أعينا
والذي أرقص نفسي ألماً عمّة ٌ أسمج من هذي الدنا

خلع الشحُّ عليها ذلة وغشاءً قذرا مستهجنا

إلى أن يقول فيه :

انا لو كنت عليه حاكماً كنت لا أكسوه الا كفنا
وانادي كلما شاهدته أيها الناس انظروا فقر الغنى

هذه بعض صور ابطال الكوميديا البشرية وما أكثر ابطالها الذين نراهم حولنا وحوالينا في كل زمان ومكان ، وما أحوجنا الى شاعر كأكرم فاضل يصورهم لنا . أما الكلمة التي ازودها الشاعر أكرم فاضل فهي : انك شاعر مطبوع فشذب وهذب ليكثر الشعر الصافي عندك .

ان مثل هذا الشعر الفكاهي ينقصنا ، فالمأدبة تكون ذات ألوان ، بشرط أن تكون المواد من الأنواع المختارة ... فبلند الحيدري شاعرنا المرتجى لا يحسن أن يقول ما تقوله . كما لا تحسن انت ما يحسنه هو . فليعش كل منكما على هامشه .

حاشية : نسيت ان أقول شيئاً في قصيدتك التي عنوانها « الى القارىء ». لقد قطعت فيها عليّ الطريق ، فليتك تقرأ الفارياق ، فترى انك قدمت ديوانك كما قدم كتابه .

وإذا قبلت نصحي وقرأت الشدياق وجدت فيه غذاء لا بأس به ، فهو هجّاء نقّاد للمجتمع من الطراز الاول .

الشعَاع

لمصطفى خريّف

عنوان ديوان شعر صـــدر عن تونس ، نظمه السيد مصطفى خريف ، وهذا الجزء الاول منه يتضمن صحائف الصبابة والوجـــدان . سألني هذا الشاعر المطبوع أن « ابدي رأيي في ديوانه وأن أنشر ذلك لقراء العربية » ثم ألحّ علي في كلمة الاهداء أن « انشر ما الحظه من خطإ أو سداد فيكون ممنوناً » .

لقد أعجبني تواضعه مرتين : الاولى حين سمّى ديوانه أوراقاً وورقات ؛ والثانية حين عرفنا بمنشإه ومرباه فقال في مقدمة ديوانه : « اني نشأت وتعلمت على غير نظام ، بل كانت حياتي ومشاعري مثلاً رائعاً للفوضى ، واجتماع النقائض ، وائتلاف الأضداد ، فلست أصلح أن أكون قدوة على ما أرى » .

أعجبتني جداً هذه الجملة الأخيرة ، ولله ابوه — قدس الله سره — ما كان اقدره « إذ ترك ولده حرّاً في تصرفه ، حين تداولت جسمه علل وأمراض

استمرت الى ما بعد بلوغه ، بيد انه لم يهمله كل الاهمال فتولى هو تعليمه ، فكان شيخه واستاذه ، وهكذا خلق من غلامه الضعيف البنية رجلاً صحّ فيه قول المعري :

وينشأ ناشىء الفتيان منـــا على ما كان عوّده أبوهُ

ومصطفى خريف يقول ايضاً في مقدمته الوجيزة هذه : « اني راض على بعض هذه القصائد ، وساخط على البعض الآخر ، ولكن شفقتي عليهـــا متساوية » . أما انا يا سيد مصطفى ، فسأشاركك في السخط والرضا معاً ، وقد اخالفك فلا أقف حيث لفتَ نظري بكلمة «قف» او « قف قف ... » أما سألتني ابداء رأيي ؟ فلبيك يا أخي ، وعليك ان تحتملني على هناتي .

يعجبني من شعراء تونس جميعاً صحة تعبيرهم وصفاء تفكيرهم ، وبعدهم عن الرطانة والركاكة ، ومن أين يأتيهم هذا ،وهم لا يعنيهم الا حفظ الكتاب الكريم ، ومطالعة دواوين الشعراء وكتب البلغاء ، ناميك أن جلّهم عرب اقحاح . أما الرأي الأول في الشاعر خريف فهو انه ابن خيال بكر لم يلقح بآداب اجنبية ، فصوره ، وفيهـــا الجميل الحسن ، مستمدة من تفكيره ومرئياته . انك تشم رائحة العتق في مفرداته وتراكيبه ، فقصيدته « في المحراب » وهي فاتحة الديوان يهز القاريء ما فيها من شدة أسر وزخم. ولكنها من « المغضوب عليهم » عنده ، ولهـذا لم يكتب لي عند عنوانهـا كلمة « قف » .

ثم يمشي الشاعر حرّاً طليقاً فيتبع قصيدة « المحراب » بقصيدة « انشودة الفجر » فيوشح فيها ويتفلت من قيود القافية ، كأنه يخال ان مناجاة الله يجب ان تكون تقليدية رسمية فقط ! أما الطيور فلها طريقتها المطلقة ، وللشاعر ان يجاريها . سأقف في هذه القصيدة عند بيتين ليسا متتابعين :

انها الأمواج تروي للصخور حـــلم الليل وأحوال الغد

لا ابالي هل ستصغي لي الدهور أم سيبقى اللحن خلف الابد

فلو بدل الشاعر لفظة أحوال في البيت الأول بكلمة أسرار لجاء كلامه أقرب الى ابراج الشعراء العاجية ، .وابعد عن كلام الشارع . ثم لو قال في البيت الثاني : أستصغي ؛ بدلاً من هل ستصغي ، لصح التعبير وما خسر المعنى شيئاً ، وراعينا حرمة علم البلاغة ، وما تواضع على تقديسه السلف .

أما قصيدة « نجوى النجوم » ففيها تشابيه مبتذله وهي من القصائد المسخوط عليهن . . . وفي « الذكرى » يشبه الشاعر بالتيار الكهربائي ، ويعذب نفسه ليشرح لقرائه « نبل الكهرباء ؛ ويفهمهم انها توصف بالقوة النبيلة لأنه لا يدركها التلاشي « ص ٢٧ » . وفي قصيدة « ابتهال » يفارق الشاعر شيء من صفاء كلماته ، فيقول :

ايهذا النسيم هبَّ رخياً سجسجاً حوله ولاطف جنابه
وارو عني محبة وغراماً ودموعاً ثجاجة سكابه

افما رأى أن هذه السجسج تعوق حتى النسيم عن الهبوب ! فهي واختها ثجاجة لا تخرج من الفم الا بقلع الضرس .

وفي قصيدة « اين قلبي » بيت شوهته كلمة وهي « يتغطى » :

ينتضي البرق حساما يتغطى بالضباب

الا ترى يا سيد مصطفى ان الحسام ، اذا تقلب تحت الغطاء ، سواء احراماً كان ام لحافاً ، يمزقه شرٌّ ممزق ...

وها نحن قد بلغنا اول محطة من ديوان الشعاع ، وها هي قصيدة « بعد الوداع » وهي معلمة بكلمة « قف » . اذن فلنقف .

ان موقف الشاعر هنا كموقف الاخطل ، حين خف القطين وراحوا منه

وابتكروا ، ولكن اخطلنا بهذي كأنه شارب حين استبد بهم ... أما السيد مصطفى فيقيم القيامة ، وتتفتح القبور ، وتظهر العفاريت والجن ، وتعوي الريح ويرقص النحل من الرعب رقص جهنم .. الا ان الشاعر يصبر للنكبة التي حلت به ، وهي مصيبة الفراق ! ولا ادري اذا كان لجّ أخيراً فكفر حين قال :

انت يا كون الهي انت صوتي المتكلم

القصيدة طيبة ، متماسكة البنيان ، وفيها موسيقى راعبة . [الآن قد بلغنا قصيدة « لا أبالي » فنشاركه باللامبالاة ، اننا ندعها واختها « نشوة » لتبلغ حمى « مغنية »وان كانت غير معلمة بـ (قف) فنقف عندها لأن فيها بيتاً طريفاً :

ما كان أهداها إلى سر الهوى فكأنها تنشي الشباب وتخلق

ولو حق لي القول كالنابغة لقلت للاستاذ مصطفى : انت أشعر من بتونس الخضراء في هذا البيت النضير . ونمر ببعض قصائد فنسألها سؤال الكريم عن جيرانه ، ثم نمشي لنبلغ قصيدته البليغة في الذكرى السابعة للشابي ، شاعر المغرب ، وهي من الشعر الرفيع ، وفيها يعبر الشاعر عن رأيه وبعض رأينا في شاعر المغرب المعاصر :

فاعبر مداها فانت طيف رؤى لم تحوه حقبـــة ولا بلد

ويعارض الشاعر قصيدة : « يا ليل الصب » الشهيرة ، وهي لشاعر من المغاربة ، أما الغريب في هذه المعارضة فهو أن يقول الشاعر فيها هذا البيت .

والشعر بيان مبتدع هيهات يفيد مقلده

أتقول هذا ثم تعارض يا أخي مصطفى ! وهل المعارضة غير تقليد !

وكان الشاعر غـــير راض عن بعض المتشاعرين في قطره ، فشنّ عليهم في معارضته هذه غارة شعواء فقال :

ما الشعر كما أصبحت أرى في قريتنا من ينشده
أكفان الموتى قد نشرت تقتاد الشعب وترشده
أقزام قد ركبوا خشباً والمرء ومـــا يتعوده

وكأنه يعني الشابي أيضاً حين يقول فيها :

قد مات زعيم الشعر فمن يرعـــاه ومن يتقلده

ثم أمرّ بقصيدتين مسومتين : الاولى وعنوانها . « أبو قمر » والثانية : « إلى زكية الفراتي » ، فلا أراهمـــا خيراً من المهملات ، وكذلك قصائد « طريد الجوع » و « الشبيبة المدرسية » و « تكريم » ولهذا لست أقف عندها كما رغب إليّ .

أما قصيدة « السمكة والشص » فجميلة معنى ومبنى وايحـــاء . ومن طرازها قصيدة « النسيان » و « ميلاد الربيع » . وفي قصيدة « راقصة » وهي المحطة الكبرى « قف قف » يستولي الشاعر على الأمد ، فهو إذا شارك ابن الرومي في وصف صوت « وحيد » ونغمها ، فقد جاء بالبدع في وصف ثياب هذه الراقصة :

وكان الثوب حي فوقها يلهـــو وينظر
وهو يكسوها وتكسوه فيمـــتنُّ ويشكـــر
هام بالأعضاء والصدر هيـــاماً فتفطـــر
يظهر الحسن ومـــا يخفى من الفتنة أكـثر

•

أتراها لجـــة جنت فقـــامت تتبختر

وحـــوالي شفتيهـــا قبـــلات تتخطر
وغـــرام رفّ في حاجبها لمـــا توتر
. . . . . .
. . . . . .

ان شعراءنا هنا — المشارقة — لم يوفقوا الى مثل هذا الوصف الرائـع ، ولعل تقصيرهم مسبب عن كثرة الخيرات المتدفقة عليهم من كل صوب ، أو لتلهيهم بالالفاظ التي يؤثرون ويحسبون ان الوحي يتدفق منها ...

وفي قصيدة « شوارد » يقول الشاعر الصداح :

ترنم دائمـــاً وابسم وكن انساً لسمارك
وماشِ الموكب الكلي تحـــدونا بأشعارك
وحق لو تعامى الناس عن إدراك أسرارك
فلا تيأس ولا تعبس بل اضحك ملء منقارك
فما أبصرت الا جاهلا في الناس أو عـادي

أما كان الأولى ، حتى تخلص من « وحق » ان تقول : واما ان تعامى الناس عن إدراك أسرارك . أما كلمة « عادي » في آخر هذا المقطع فحقها النصب ، والنحو ما كان قط من الجوازات الشعرية . ثم تقول :

هل الايام تفنيهـــا ام الايام تفنينـــا

وهذا خطأ بياني أيضاً اذ لا يستفهم بهل ويعطف بأم . فلو قلت ترى الايام تفنيها ... لاتقيت غضب علماء البلاغة . وفي بيت آخر تقول :

هل الايام يا خـــلي سوى ناعورة تجري

ان « يا خلي » بليدة تافهة ، وكان عليك يا مصطفى ان تصطفي لبيتك غير هذه الكلمة ليأتي كما تروم ، فآفة الشعراء والكتّاب قـــلة الصبر . وقد قلت :

وهذا الجسم ان اقبر لا يرحمـــه دوده

فلو قلت :

وهذا الجسم أن يقبر فلا يرحمه دوده

لخلصت من شرور كثيرة . عفواً ، لا تؤاخذني يا سيد مصطفى ، فأنت أوقفتني هذا الموقف الذي يكرهه جداً القصصي سعيد تقي الدين فهو يرى في الناقد صديقه الألد !

وفي بيت آخر من هذه القصيدة ، وهي من الهزج ، تلجـأ الى الاشباع ، وهو قبيح وإن جوزوه ، فتقول :

خرقتم سنة الكون وناموس النـــواميس

فليتك قلت الدنيا بدلاً من الكون ، فهي تؤدي معناك توسعاً ، والتوسع في الألفاظ خير من انتهاك حرمة علم العروض . ان الالفـــاظ طيعة واما « الاصول » فشموس ، وإن لم تعجبك الدنيا فقل :

خرقتم سنن الباري وناموس النـــواميس

ثم قلت أيضاً :

وخذني حيثما تسعى فاني جـد منقاد

واذا انقدت انت فان « حيثما » لا تنقاد لك هنا ، فهي اسم شرط يجزم فعلين ولا محيص .

أما ما اسميته « الشعر المنثور » وألحقته بالديوان فلا يقل شاعرية عـــن كلامك المنظوم .

جميلة هي هذه المحاورة التي أبدعتها « بين جبل وبحر » فقلت ما يجول في ذهنك من آراء ونظريات ، وما أحلى الكلمتين اللتين جعلتهما ختاماً :

« قال الجبل للبحر : أنت قطرة من ماء .

فأجابه البحر : وأنت ذرة من تراب » .

افلا يحلو لي على هذا القياس أن أقول لك وتقول لي :

– أنت شاعر تنظم كلاماً .

– وأنت ناقد تعبث بالكلام .

وبجمـــل القول يا سيد مصطفى انك شاعر موهوب ، لا ينقصك الا « الغربة » . ليتك تقرأ روائع شعراء العالم ، فلا تتكل على مخيلتك وحدها، وان كانت قوية .

شوقي وحافظ

الشوق والحنين في شعرهما

ما بلغنا الرشد في دنيا الأدب وصرنا نميّز صالح الفن من طالحه حتى سمعنا صوت شاعرين أنسيانا مـــا في بحور شعراء القرن التاسع عشر من طفيليات تعكر صفاءها . كان أولئك « المجاهدون » يتصيدون الألفاظ ليسدوا بهـا فراغاً مفروضاً عليهم املاؤه . وكان أكبر همّهم تفصيل كلامهم على الهنداز . فاذا حشوا فعولن مفاعيلن . ومفاعلتن فعولن ... وفق المرام بلغوا من غايات الشعر أقصاها : وكل ما سدّ فقراً فهو محمود ...

سمعنا فتياناً صوت شوقي وحافظ ، ثم أصغينا إليهما ورافقناهمـا شباناً وكهولاً . سمعنا صوتهما عند كل داهية كانت تحل بالشرق ، والشرق لا يعرف غير الدواهي ، وفي ذلك قال شوقي صادقاً : ولكن كلنا في الهمّ شرق .

وعلينا كما عليكم جديـــد تتنزّى الليوث في قضبانه

أعجبنا ، أولاً ، حافظ لأنه كان يعبر عن أمانينا الهاجعة ، يوم كان

شوقي مهموكاً في أمور مولاه ، سائراً في « معيّته » ، لا يهمه ولا يعنيه إلا أن يسلّم عليه ، كل يوم ، تسليماً كبيراً أو صغيراً ، كما يسمح له المقـــام وتقتضي الحال ... كان قلب شوقي ، في ذلك الزمان ، خالياً من الهموم ، فلم يقـــل شعراً حيّاً تنبض له القلوب ، إذا استثنينا « خدعوها ... » أم كتاب شهرته . أما حافظ فكان منكوباً بأمانيه وآماله يقول الشعر غاضباً حانقاً فنحس بما يحس . ثم يشاء القـــدر الا تدفن شاعرية شوقي وتكفّن بأثواب « الرسميات » ففجعه بعرش عباس ، ونقل تلك الزهرة الفواحـــة العرف من رطوبة الظل ، فلوّحتها الشمس وأمست سمراء كحبيبة سليمان يفيض الدم على جوانب وجنتيها . والقضاء الذي أوقف شوقي في عين الشمس القى بحافظ في كسر المكتبة الوطنية ، فقبع الشاعر في تلك الزاوية يدخن الشيشة — النارجيلة — مترقباً الأهلّة ، تكفيه كالطفرائي ، مصة الوشل .

وطـــار شوقي باسطاً جناحيه ، فحلق في كل الأجواء ودوّم في جميع الافاق . وأراد أن يكون ككبار الشعراء العالمين فنظم الروايات التمثيلية كهيغو ، والأساطير كلافونتين . ولم يشغله كل هذا عن أن يضرب في سياسة الشرق بسهم مراش ، فكاد أن يكون شاعر الشرق كما قال :

كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانـــه

بعد ما كان قانعاً بقيد باع من دنيا الشهرة حين قال :

شاعر الامير ومـــا بالقليل ذا اللقب

مات الأمير يا شوقي ، وأعاضنا الله بطول بقاء شعرك .

أما ملخص الفقرة الحكمية فهذا هو : ان ضحى يوم حافظ كان نقياً صافي الادم . وأما ظهره وعصاراه فخالطها القتر واحتجبت شمسه . أمـا أشعة شمس شوقي فما انكسرت ، بل ظلت ترسل أنوارها الثاقبة حتى توارت في الحجاب وكأنها شمس آب .

وفي الحالتين لست أرى حافظاً الا مقصراً عـن شوقي ، سواء أكان في الاسلوب أم في الصور . فحافظ لم يتقدم على شعراء القرن التاسع عشر الا في نقاء ديباجته ، فهي أحسن نسجاً من ديباجة أولئك . أمـــا شوقي ففاقهم كثيراً في تعابيره وصوره . قد يكون حافظ سبق أحمد شوقي في قصيدتين ثلاثة لتأثره بالموقف أكثر منه . قال شوقي في الامام محمد عبده :

مفسّر آي الله بالأمس بيننـــا قمِ اليوم فسّر للورى آية الموتِ
رحمت مصير العالمـين كما ترى ، وكل هناءٍ أو عزاءٍ الى فوتِ
هو الدهر ميلاد، فشغل، فمأتم ، فذكر ،كماأبقى الصدى ذاهب الصوت

فأين هذا من أقوال حافظ في رثاء « إمامه » ؟ ان أحمد شوقي يـن على الامام بالرحمة ، ولكن بعد فوات الوقت ... ولو ظل في مكانه ، لما جـاد بها ، فليتق الله سائله ... بيد اني أعود فأقول : ان هذا التوفيق الخاص لا يقدم شاعراً ويؤخر آخر ، فشتان ما بين اليزيدين ...

وبعد فأراني خرجت عن دائرة الموضوع المرسومة ، ولكنه خروج غير ناجز ولا ناشز ، فما زلنا في صلب الموضوع ...

كان على حافظ ابرهيم ، بناء على ما قدمت ، أن يفوق أحمـد شوقي في الشوق والحنين . ولكن الامر كان بالعكس . ولعل منشأه ، نكبة شوقي بالابتعاد عن العرش . وتغير العادات صعب . أما حافظ فما أعطي ليؤخذ منه ، لم يسلب نعمة عظيمة ليحن اليها ويشتاق، لم يفز في عمره ودهره باكثر من قوته ، بل لم يطمح الى أبعد من ذلك ...

سئلت أن أكتب في حنين شوقي وحافظ وشوقهما ، وسمح لي أن اعرج في طريقي على ديوان العرب وازور لماماً من حنّوا واشتاقوا ، فرأيت أن أعود الى أبعد من ذلك . وها أنذا أروي للقارىء اسطورة الخلق لسنكن يـــتن الفيلسوف الفينيقي ، قال : في البدء كان الهواء مظلماً مضطرباً بواسطة الروح

« النفخ » ، وكان الخلاء لا نهاية له . وفي مدة قرون طويلة لم يبرز شيئاً من المعلومات . ولما أحب الروح مبادئه حدث امتزاج ودعي هذا الاتحاد «شوقاً» وكان « الشوق » علة لوجود كل شيء . الخ .

سمّى «تين» هذا الشوق والحنين «مرض العصر»، أما في أدبنا العربي فيجب أن نسمّيه مرض العصور . نعم ان بين الحنينين فرقاً ، فالحنين الذي يعنيه النقادة الفرنسي تين هو الحنين الى الوطن المعروفة حدوده اليوم ، أما حنين شعرائنا القدماء فكان إلى الوطن الأصغر. حنين باك — على الواقف — كما علمنا امرؤ القيس بقوله : قفا نبك .

واقتفى أثره كل شاعر جاء بعده فوقفوا وقفته تلك حتى ألّفوا شريطاً يمتد من عمّان إلى عُمان ، فابيضت عيون شعرائنا من الحزن .. ، وماتوا غير مجبوري الخاطر كيعقوب باكي يوسف ...

وإذا سمح لي الأديب العظيم الدكتور طه حسين أن اسلم بان شخصاً يدعى امرأ القيس وجد في تاريخ الادب العربي ، كان الحنين الذي سماه « تين » مرض العصر قد انتشر مكروبه الاول عند العرب .

فامرؤ القيس يقول لصاحبه رادعاً إياه عن البكاء ، وان بكى واستبكى في سبيل فاطمة وعنيزة :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت لـــه لا تبكِ عينك اننا نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

ولما كاد أن يسدل ستار تلك المأساة صرخ ذو القروح :

أجـارتنا أنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وإذا تقدمنا خطوة وأدركنا الاسلام رأينا ان بدء كل قصيدة ، حتى الهجاء منها والرثاء ، هو شوق وحنين إلى انثى لا نعرفها ، وأكاد أجرؤ أن أقول : الشاعر نفسه لا يعرفها ، وان عرف واحدة منهن فهو لا يعرفهن

كلهن . قال الأخطل : خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... شوقـــاً اليهم ... فرد عليه جرير:قل للديار ... قد هجت شوقاً وماذا تنفع الذكر.

وطغى الحكم الأموي ففرض النفي،فالاقامة الاجبارية على بعض الشعراء . والشعراء أمس كالصحافيين اليوم . هم الذين يؤلفـــون المعارضة الكلامية . فنسمع صوت ابي قطيفة المعيطي يتعالى بالحنين إلى وطنه الأشهب ، فينكر غضارة بردى ونظارة الغوطة ، وكل ما في دمشق من عمران وأبهة ، فيقول:

القصر فالنخل فالجمـــاء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ويقول :

إذا برقت نحو الحجـاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركنها رغبة عن بـــلادها ولكنه مـــا قدر الله كائن

وإذا بلغنا العصر العباسي سمعنا أبا تمام يصيح :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول مـــنزل

حتى إذا ما آل الكلام لابن الرومي قال ، ولعله يعلل قول ابي تمام ، وتلك عادة البدن ...

وحبّبَ أوطان الرجال اليهمِ مآرب قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

ثم نتقدم خطوات فاذا بنا نسمع أبا فراس يئن من سهمين : واحد أصاب منه اللحم والعظم ، وآخر تغلغل في الشعور . وها هو يعـبّر عن شوقه وحنينه لوطنه بقوله :

لولا المجـــوز بمنبج ما خفت أسباب المنيه

وما هو مشتاق حقيقة إلا إلى سماء منبج ، وهـــواء منبج ، وتراب

منبج ... ومن أروع الحنين والشوق مساجلة هذا الشاعر مع الحمامة التي أهابت به فأشجته .

والمتنبي شاعر العرب الأعظم قد لان بعد المكابرة . وباح بشوقه وحنينه واستراح ... حن بعد مطاعنته خيلاً من فوارسها الدهر ، ولم ينفعه الصبر الذي زعم أنه معه . فاسمع كيف يتكلم كتلميذ صغير دخل مدرسة ليلية أوّل مرة . قال يخاطب كافوراً الاخشيدي :

أحنّ إلى اهلي وأهوى لقاءهم وان من المشتاق عنقاء مغرب

وان علل نفسه بعد هذا بقوله : وكل مـــكان ينبت العز طيب . لا يا أبا الطيب اننا نخالفك رادين عليك بما وضعه شوقي ، متنبي زمانه ، على لسان تلك العصفورة الهاتفة بزميلتها :

هبّ جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

قلنا ان أحمد شوقي متنبي زمانه وما نعني انه بلغ ما بلغه ابن الحسين الجعفي وان قال :

ولي درر الاخلاق في المدح والهوى وللمتنبي درة وحصـاة

لا يا شوقي ، ان لك لدرراً يا صاحبي ، ولكنها أصغر حجماً من المآسات أبي الطيب ...

والآن فلنعد القهقرى فنذكر حنيناً آخر ، وهو الحنين الى الشباب .

يبدأ الحنين الى الشباب مع الأخطل صاحب الليالي العارمة التي تهدّد بها صاحبته ان لم ترجع عن ملامته . . . فالأخطل يبكي الشباب جادّاً غير هازل . ويأسف عليه أسفاً صادراً من أعماق الكلي والقلوب حين يصرخ :

هل للشباب الذي قد فات مردود أم هل دواء يرد الشيب موجود

يقولون يا ابن العم ، ان فورونوف يرده ، أما أنا فما جربت لأقول لك : اسأل المجرب ولا تسأل الحكيم ... ثم يعقد اللواء بعده الى ابن الرومي فيقيم القيامة ، يتفجع على شبابه ويحن إليه حنيناً دونه حنين الابل الذي وصفه لنا جرير والخنساء والأعشى وغيرهم حتى يقول أخيراً :

أأفجع بالشباب ولا أعزّى لقد غفل المعزي عن مصابي
فيا أسفاً ويا جزعاً عليه ويا حزني الى يوم الحساب

يعدنا بحزنه عليه تحت التراب ، وهو بين يدي منكر ونكير واني لأخشى أن يقوم في موقف العرض ويصيح بربه : اغفر ذنوبي . حسبي تعذيباً انني أضعت شبابي في الزائلة ، فعوضنيه في الباقية شباباً لا يزول . . . ولا أدري حينذاك أيضعه أبو العلاء مع الحطيئة في أطراف جنته أم ينزل به الى سقر . أظن أنه لا يقول له ، إذا جاء القنطرة ، لأخذ على شمالك ، ولأخذ على يمينك ، فهو يبغض اللحمين . . .

وأخيراً نقف عند أبي الطيب الذي صوّر لنا شوقه وحنينه في أبلغ صورة حين قال :

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهنا تصل الى شوقي بلا استطراد ، فمن حسن حظ شوقي انه نكب بفرقة العرش وبالنفي ولولاهما لبقي شعره حيث كان ، ولم تدبّ فيه الروح التي خلا منها شعره الأول .

وبعد فشوقي بنفسه يكفينا مؤونة الكلام في تحديد موضوعنا . فلشوقي في الشعر تحديدان يدحض أولهما الثاني . قال أولاً :

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة وحكمة فهو تقطيع وأوزان

ثم يقول :

وترٌ للهاة لا للمغنّي من يدٍ في صفائه اوليانه

ان هذا الرأي الأخير لا تعنينا مناقشته الآن ، فلنعد الى رأيه الأول . فالشعر كما زعم « أمير الشعراء » يجب أن يكون ذكرى أولاً . وقد أيد هذا الزعم بقول آخر والذكريات صدى السنين الحاكي

أجل ان لشوقي أشواقاً لا تعدّ ولا تحصى ، فهو يشتاق الى حضارة مصر العريقة ، إلى عظمة الاتراك وسطوة الخلافة ، إلى طموح العرب ، إلى سماحة الاسلام ، إلى أمجاد الشرق كلها أخيرا ، فهو بعد أبي الطيب شاعرنا القومي ، وقد مات بموته اللسان المعبّر عن هذه القومية ، وأصبح لا يعني الشعراء إلا نظم سمّي في اوربا باسم الفن للفن ، مع ان الأمم محتاجة ، دائماً وأبداً ، الى لسان صارخ ينصح ويذكر بوضوح وجلاء تامين .

وأما الحنين فلشوقي حنينان : الحنين الأول وقد فاض وثرثر كينابيع لبنان في أيام الربيع ، قال شاعرنا في الاندلس قصيدتين : السينية وفيها يهتف واصفاً قلبه :

اختلاف النهار والليل ينسي فاذكرا لي الصبا وأيام أنسي

●

وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسي
كلما مرّت الليالي عليه رقّ والعهد بالليالي تقسّي
مستطار إذا البواخر رنّت أول الليل أو عوت بعد جرس

راهب في الضلوع للسفن قطن كلـــما ثرن شاعهن بنقس
يا ابنة اليمّ مـا ابوك بخيل ما له مولعـــاً بمنع وحبس
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي
أحرام على بلابـــله الدوح حلال للطير من كل جنس
شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسي
يصبح الفكر « والمسلة » ناديه و « بالسرحة الذكية » يمسي

ثم يمضي واصفاً ما يجول في مخيلته من اماكن مصر ، وأقيال مصر ، وآثار مصر . القصيدة مشهورة فليقرأها في محلها من شاء .

اما الأندلسية الثانية ففيها حنين بكتاء ، وكما عارض في الأندلسية الأولى أبا عبادة البحتري ، فقد عارض في هذه ابن زيدون فقال :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا ؟ غير ان يداً قصّت جناحك جالت في حواشينا

ثم يتذكر انه في بلاد كانت لقومه فيقول :

لم نسر من حرَم إلا الى حرم كالخمر من بابل سارت لدارينا

ومع هذا فلا شيء يعدل الوطن ، وكما قوّل العصفورة قال هو :

لكن مصر وإن أغضت على مقةٍ عين من الخلد بالكافور يسقينا
على جوانبها رفّت تمائمهـــا وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا وأربُعٌ انست فيها أمانينا

●

يا من نغار عليهم في ضمائرنا ومن نصون هواهم في تناجينا
ناب الحنين اليكم في خواطرنا عن الدلال عليكم في أمانينا

ثم يتجلد حين يشتد شوقه وحنينه فيقول :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن بيد التشتيت غالينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا

ويقول بعد عودته من منفاه :

ويا وطني لقيتك بعد يأس كأني قد لقيت بك الشبابا
ولو اني دعيت لكنت ديني عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهي اذا فهت الشهادة والمتابا

وبهذا نختتم حنين شوقي الى وطنه لنذكر حنينه الثاني ، حنينه الى شبابه وهو من رائع الشعر وأرقّه :

شيعت أحلامي بطرف باك ولمت من طرق الملاح شباكي
ورجعت أدراج الشباب وورده أمشي مكانها على الاشواك
ويجانبي واهٍ كأن خفوقه لما تلفّت جهشة المتباكي
قد راعه اني طويت حبائلي من بعد طول تناول وفكاك
لم تبق منا يا فؤاد بقيـة لفتـوة أو فضلة لعراك
كنا اذا صفقت نستبق الهوى ونشدّ شد الصعبة الفتاك
واليوم تبعث فيّ حين تهزني ما يبعث الناقوس في النساك

لم أقرأ حنيناً الى الشباب ، ولا تشوقاً وتحرقاً ، أبلغ وأسهل وأبقى من هذا الشعر . كل هذا يثبت لي قوة عاطفة شوقي ، ولهذا عاش ، اخيراً ، على ذكرياته حتى بلغ في تصويرها بشعره - في دواوينه ورواياته — أعمق أعماقها . ان شوقي يحن الى الحياة والى ملذات وامجاد الحياة ، ولهذا احبه .

ان عاطفته طبيّعة ملبّية ، يدعوها فتنبري له ، فشوقي القائل : رمضان ولّى هاتها يا ساقي ، يحـــن الى الارض المقدسة حنين مومى الى أرض الميعاد ، ويلبس ثوب « مالك » حين يريد ، ويليق به ...

أما صديقي ، في الشباب ، شاعر النيل حافظ ابرهيم ، حافظ البائس المسكين فأكثر حنينه الى الموت،وما أنا ممن يحبون الموت ولا المشتاقين اليه.. فاسمعه كيف يقول في رائعته، مرثية الامام عبده — التي تذكرنا خالدة دعبل في آل رسول الله :

لقد كنت أخشىعادي الموتقبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتي

لست اقف بك عند هذه القصيدة فهي نسيج وحدها ، وناظمها أفحل شعراء الرثاء ، وله يقول شوقي :

قد كنت أؤثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

ان هذا خارج عن موضوعي ، فلأسمع وراء رزقي في ديوانه لأريك حنين حافظ الى الموت . اسمع قوله في رثاء علي ابي الفتوح :

درج الأحبّة بعدمـــا تركوا الأسى والحزن لي
لم يحل لي من بعدهم عيش ولم أتعلـل

وفي رثاء جرجي زيدان :

تفرق أحبابي وأهلي وأخرتْ يد الله يومي فانتظرتُ أواني

وفي ذكرى محمد عبده — عام ١٩٢٢ — يدرس حافظ هـذا المشروع المشؤوم درساً مفصلاً كما تدرس الدول اليوم معاهدات الغد ، فيقول :

آذنت شمس حياتي بمغيب ودنا المنهل يا نفس ، فطيبي
قد مضى حفني، وهذا يومنا يتدانى فاستثيبي وأنيـبي
راعني فقـد شبابي ، وأنا لأراع اليوم من فقد مشيبي
حنّ جنباي الى برد الثرى حيث أُنسى منعدوٍّ وحبيب
قد وقفنا « ستة » نبكي على عالم المشرق في يومٍ عصيب
وقف الخمسة قبـلي فمضوا هكذا قبلي، واني عن قريب

لم يكن في حوزي ديوان حافظ فاقتنيته منذ أيام . طفته كله ، من الجلد الى الجلد فما وجدت لحافظ حنيناً أو شوقاً يذكر الا في رثائه . أمـــا « اخوانياته » فأشواقه فيها جوفاء ملساء . كتب اليه شوقي من منفاه متشوقاً متحرقاً :

يا ساكني مصر انا لا نزال على عهد الوفاء ، وان غبنا ، مقيمينا
هلا بعثتم لنا من مـاء نهركمُ شيئاً نبلُّ بـــه أحشاء صادينا
كل المناهـــل بعد النيل آسنةٌ ما أبعدَ النيل الا عـن أمانينا

فأجابه حافظ :

عجبت للنيل يدري أن بلبله صادٍ، ويسعى ربى مصر ويسقينا
والله ما طاب للاصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه، وان فارقت شاطئه وقـــد نأينا وان كنا قريبينا

ألا ترى معي أن أحمد شوقي يحنّ ، وحافظ ابرهيم يئنّ ، فلكل شاعر مجـــال ...

وفي الاخوانيات يكتب حافظ قصيدة من السودان فيها شيء من الحنين والشوق . قال :

أحنُّ لهم ودونهمُ فلاة كأن فسيحها صدر الحليم
فمن لي أن أرى تلك المغاني وما فيها من الحسن القديم

والذي بدا لي أثناء جولتي في ديوان حافظ فهو انني رأيته يذكر الشوق والحنين ذكراً ، ثم ينصرف الى وصف المكان المشتاق إليه ، أو إلى الشكوى من الدهر . فاسمعه كيف يشتاق إلى صديقه احمد بك بدر ، وهو في احدى كليات انكلترا :

حلم الأديم وما الذي أرجو وقد حلم الأديم
لا مصر تنصفني ولا انا عن مودتها أريم
وإذا تحـــول بائس عن ربعها فأنا المقيم
فيها صحبتك واصطفيتك ايها الخـــل الحميم
لله ذيّاك الجـــوار وذلك العيش الرخيم

ويحلو لي أن أضع بين يدي القارىء أبياتاً لحافظ عنونها جامعو ديوانه «وداع الشباب» ثم أدع له أمر الفصل بينها وبين ما نقلته لشوقي سابقاً :

ودعت فيك بقايا ما علقت به من الشباب وما ودعت ذكراه
أهفو اليه على ما أقرحت كبدي من التباريح أولاه وأخراه
لبسته ودموع العين طيّعة والنفس جياشة والقلب أوّاه
لم ادر مـا يده حتى ترشفه فم المشيب على رغمي فأفناه

●

قالوا تحررت من قيد الملاح فعش حرّاً، ففي الاسر ذل كنت تأباه
فقلت يا ليته دامت صرامته ما كان أرفقه عندي وأحناه
اسرى الصبابة أحياءٌ وان جهدوا أما المشيب ففي الأموات أسراه

ان حنين حافظ وشوقه باردان . أما موطن اجادته فهو في الشكوى التي عافها في الكهولة ، وسكت إكراماً لسواد عيون الجنيهات ... أخرست صاحبنا الجراية فطلق الشكوى ثلاثاً ، ولم يقل فيما بعد مثل الذي قاله في الامبراذورة اوجيني . لا تتعجب من « امبراذورة وامبراذور » فهي كذا في الديوان . لست أدري ولا أحد يدري ما حكمة الواقفين على طبع ديوان حافظ ، في ابدال الطاء بالذال ؟! انها، والله، لفطنة لا تسمو اليها فطنتي ... لقد تنطسوا في تعريبهم تنطساً غريباً عجيباً بعد « مرور الزمن » الذي لا تسمع بعده دعوى ..

وهنا الفت النظر الى بيتين ختمت بهما هذه القصيدة، وفيهما أمر الشكوى التي يحيدها حافظ البائس، قال يخاطب تلك الأمبراطورة حين جاءت مصر كالناس :

كنت بالأمس ضيفة عند ملك فانزلي الآن ضيفة في خـانِ
واعذرينا على القصور كلانا غيّرته طوارق الحـــدثان

وشرح الشارح القصور ، ففسرها بالتقصير ، مع أن حافظ ابراهيم يريد أن يورّي ويطـابق بين قصر وخان ... ولا بد لنا قبل ختم الكلام عن حافظ ، من نقل نموذج من شكواه التي ببثها في مراثيه ليرى القارىء فضل شاعرنا في ميدانه ، وذلـك حين يزجيه بؤسه وشقاؤه . قال خاتماً رثاءه لاسمعيل صبري باشا الشاعر المعروف :

مللت الثواء بدار الزوال فماذا رأيت بدار المقر ؟
أتحت التراب يضام الكريم ويشقى الحليم ويخفى القمر ؟
ويهضم حق الأديب الأريب ويطمس فضل النبيه الأغر ؟
أتحت التراب تساق الشعوب بسوط العبودة سوق البقر ؟
ويعقد مـــؤتمر للسلام فنخرج منه الى مؤتمر
فان كان ما عندنا عندكم فليس لنا من شقاءٍ مفر

أما الشوق الكاذب ، والحنين المزيف في شعر الشاعرين فلم التفت صوبه لأنه بضاعة مزجاة ، فليعذرني القارىء .

الشعر الوطني الأجنبي

١

ألا إن نفس الشعر ماتت وان يكن عداها حمام الموت فهي تنازع

يرحم الله أبا تمام فما تراه يقول لو بعث اليوم ، فمحصول كانون من الشعر بارد جامد ، والعهد بالزيت والماء انهما يجمدان فيه لا القرائح ... فعسى أن يحرك شباط قرائح فحول الشعراء ليقولوا شعراً يطابق نعوتهم والقابهم الضخمة ، ونستريح من الجرّة والمجترين فلا يفدّون بالمرحوم أبيهم من يرثون ويندبون ولا يهزون السماء بالارباب .

ألا يعفينا الشعراء —عفا الله عن شبابهم - من هذا الشعر المشلول المملول، فكل شعر كانون كانوني حقاً ، وكأننا نغنّي في الطاحون .. والجيد منهم من صبغ ولوّن فأخفى تكرش الهرم وشيب الشيخوخة ، فالى متى يصيحون ياليل ياليل ، والشمس تكوي الجباه ، ولماذا لا يتحولون من هذا الظل الذي يلهم بداء الاستسقاء حتى قيّحوا .

قال لي صديق يوم ذاع نبأ الاحتفال بذكرى المتنبي الالفية ، أتريد ان اتنبأ لك بما يقال في الشاعر ؟ قلت : هات .

قال : كما قيل في شوقي ، والفردوسي .

فقلت له : انك تذكرني بشروال أهـــالي شوّان ، فقد اشتروا شروالاً «وكبراناً» من مال مشاع القرية ، فأخذ يلبسه كل من يذهب منهم الى جبيل وجونية حتى صار تجار البندرين يعرفون الشوّاني من شرواله وكبرانه ..

قال : وهكذا نحن، بتنا نعرف شعراء المدح والرثاء ... شعراء الاربعين، والمئة ، والالف ... شعراء ... فهل يكون التجار أنبه منا ؟ !

ومنذ أيام لفت نظري اديب الى احـــد شعراء الظل الذين ترن اخف كلماتهم رطلاً ، وسألني ان انصحه ليعدّي عن قول الشعر . أما جوابي لهذا الاديب الخفيف الروح ، ولا اسميه لان توقيعه كقرص مشبك شعباني ، فهذه الحكاية الصغيرة :

وقد الجراد علينا سنة ١٨٩٩ فحلق الزرع والشجر ، وكانت طليعته خفيفة الظل ، فنهد لها بسّ لنا اسمه «دياب» سماه والدي هكذا تيمنا باسم المرحوم د ب بن عانم راعي الخضرا ... فهب «ديابنا» يكافح الجراد ووقف قبالته والدي يشهد المعركة بأنبهة متنبئية ، ويضحك ضحكة عريضة هادئة كلها اعجاب بهذا البس البطل ، فدنوت من والدي أسائله عما به ، فقال لي ، ولم يرفع عينه عن هره : هذا دياب البطل ! !

وكان والدي يهيجه صائحاً به : دياب، يادياب !! ودياب يشب وثبة النمر فيفتك ويفترس، ووالدي يضحك مستبشراً بهجمات ديابه التي ستغنيه عن كش الجراد ومكافحته . وتكاثر الجراد فغطى عين الشمس وثبت له دياب حتى لفظ أنفاسه تاركاً في نفوسنا حسرة عليه ، لم يخففها إلا انقضاض نسر قشعم من سلالة نسور المرحوم عنترة ، وطيرانه بـــه إلى الأعالي حتى توارى عن أبصارنا ...

ان شعراء الظل يا أخي ، أكثر من الجراد فماذا يفعل بهم الف دياب ... وان كنت تعتقد – وأنت طالب حقوق في المعهد الافرنسي – بقول المثل : لا يموت حق ووراءه طالب ، فثق بأني سأظل مطالباً بحقوق للأدب قبل هؤلاء ، وان مت فترحّم على دياب ...

ليت اخواننا الذين مقتوا هذا الشعر المقرف يسعفونني فلا يسمع منهم هؤلاء الشعراء كلمة ثناء ، فهم يستجدونها حتى من الأميّين كالهرة التي تحتس اذيالك لتداعبها فتقنطر ذنبها . قولوا لهم الحقيقة معي ، او احتملوا ثقالتهم وبلادتهم .

رحم الله بودلير الذي قال في مثل هذا الشعر : انه هواء البلادة الذي يهب على وجوهنا . لقد اجملنا الكلام في محصولنا الأدبي . والآن فلنعد إلى بحثنا وهو الشعر الوطني .

إن الشعر الوطني من أسمى الشعر ، والشاعر المستعبد يخلق أمة حرة ان كان حر النفس ، وهل استطاع الاستبداد وطغيان الملكية .أن يستأصلا حرية ڤولتير الأديب الشاعر العظيم ؟ اما نفي إلى فرناي ؟ أسكت بطرك فرناي في منفاه ، أما ظل ينفخ في بوق الحرية حتى أيقظ الأمة الافرنسية ؟ أما دخل باريس فاستقبلته كالملوك الفاتحين ، وتسابق الشعب إلى رؤية شيخ الحرية وأبيها ؟ أما قدم له بنجامين فرنكلين ولده الصغير ليباركه ، فرفع بطرك فرناي يده فوق رأس الصغير متمتماً : الله والحرية .

ومثلث روايته Iréne فكان مشهد رائع حتى جنّت باريس كما عبر اندريه موروا في كتابه المعنون ڤولتير . اسمع كلامه بحروفه . قال يصف المشهد :

« اجتاز الهيكل العظمي الهرم – يعني ڤولتير – مدينة باريس تقله مركبة زرقاء مرصعة بنجوم مذهبة ، يلبس ثوباً من المخمل مكفوفاً بالفرو ، وفي

يده عصا صغيرة ، فخف أعضاء الأكاديمي لاستقباله على الباب -- مـا خلا الأساقفة — وكان الشعب المزدحم يصرخ : طريقاً لڤولتير ، وجاء الحرس يسعفه على النزول من مركبته ، ويعينه على الصعود الى اللوج .

ولما أطل ڤولتير انتصب الحاضرون وهتفوا : فليحيى ڤولتير ، الطوبى للمدافع عن كالاس ، المجد للرجل الانساني العام .

وفي خلال الرواية توّجوا تمثال ڤولتير ومر أمـــامه الممثلون والممثلات احتراماً ، واضعين على رأسه أكاليل الغار ، وكان الحشد يصيح ملتفتاً صوب ڤولتير : هذا ما منحك اياه الشعب .

ولما انتهت الرواية رافقه الجمهور كله الى الفندق بأبهة ومجد ، وكانت النساء ، وحدهن ، يحملنه بين أذرعهن حتى صاح : « أتريد سيداتي أن أموت فرحاً وغبطة الخ » .

هذا ما وقع في ٣٠ آذار سنة ١٨٧٨ . أما الفيلسوف العظيم فحمّ ومات في ١١ ايار بعد آلام شديدة ولم يصلّ عليه كاهن رعية باريس وتهدد بطرح جثته في الزقاق فدفن في سالياز ، ضيعة في الأقليم كاهنها ابن اخت ڤولتير . ولما انقضى دور الاستبداد وخلقت دولة حقوق الانسان التي بشر بها ڤولتير، نقل جثمانه الى البانتيون وحفظ قلبه الكبير النبيل في المكتبة الوطنية ولا يزال محفوظاً هناك حتى الساعة التي أكتب فيها هذا المقال .

ان لڤولتير أشباهاً في الامم وهم الذين يخلقون الشعوب ولكن ليس بشعر كشعرنا الوطني الذي يحقنون به آذاننا منذ الف سنة وبضع مئات ، فلولا ڤولتير لما كانت دولة حقوق الانسان، ولما صارت باريس التي نفي منها حياً ، ولم يضم جثمانه ترابها ميتاً ، ملجأ لكل من يكون ڤولتير أمته ، وعهـــدنا ببلاسكو ايبانيز غير بعيد .

يزعمون ان الشاعر اذا لم يكن حرّاً لا يقول شعراً حياً . أكان لافونتين

الشاعر الذي لا يهرم أدبه في عهد حر ، أعندنا كثير في شعرنا الوطني مثل قروي الدانوب ، للافونتين

لما صار سليمان البستاني عضواً في مجلس الاعيان العثماني كتبت اليه اهنئه ومما قلت له : أتمنى لو يمثل استاذنا دور قروي الدانوب . فأجاب على هـذه الغمزة بكتاب ما زال محفوظاً عندي ، أما قصيدة قروي الدانوب للافونتين فاليك ترجمتها بلا تصرف :

قروي الدانوب

« لا تحكم على الرجال بمظاهرها»هذه نصيحة جيدة وان لم تكن جديدة . فضلال الدرص أوحى الي هذا الخطاب الذي أبسطه .

اما محور موضوعي الآن فثلاثة رجال : سقراط الصالح ، وايزوب ، وقروي الدانوب ، الرجل الذي صوره لنا مارك أوريل صورة ناطقة الملامح .

الاثنان الأولان معروفان ، أما الثالث — قروي الدانوب — فهاكم صورته المصغرة :

من تربة ذقنه تتغذى لحيته الغبياء ، وجسمه الأشعُر يخطر ببالك دبـا لم تلحسه امه .

تختبىء عيناه في سفح حاجبيه الناتئين الكثيفين .

ينظر شزراً ، وفوق شفته الضخمة أنف معقوف .

رداؤه من شعر المعزى ، وزناره من الخيزران البحري .

هذا المخلوق المبني هكذا استنابته عنها المدن التي يسقيها نهر الدانوب . فمطامع رومية لم تبق بقعة من الأرض الا استولت عليهـا ، فمثل النائب في المجلس وخطب هكذا :

أيها الرومانيون ، ايها الشيوخ الجالسون ، اسمعوا ما أقول :

اني ابتهل الى الآلهة لتعضدني وتؤيدني ، لتكن الآلهة عاصمة للساني من الشطط ، فلا أقول ما اؤخذ به ، فبلا معونتها لا يدخل العقول الا الشر والظلم ، وعدم الالتجاء اليها نقض لشرائعها ، وآية ذلك نحن الذين استبد بنا الروماني الجشع .

فلآثامنا يد أقوى في بلايانا من سطوة رومة التي صارت آلة لتعذيبنا .

خافوا أيها الرومانيون من أن تنقل السماء اليكم بؤسنا وشقاءنا ، وان يكون انقلاب عادل فتقلدنا سلاح ثاراتها القاسية ، خافوا أن يجعلكم غضبها عبيداً لنا .

لماذا نحن عبيد لكم ، من يقول لي .

لماذا تساوون أنتم مئة امة مختلفة الاجناس ، وأي ناموس جعلكم أسياداً للكون ! !

لماذا تقلقون حياة بريئة ، اننا نحرث بسلام حقولنا السعيدة ، وأيدينا كانت كفؤاً للفنون والحراثة .

ماذا علمتم الجرمانيين ، انهم ذوو جرأة ودهاء ، ولو كان لهم طمعكم وعنفكم لأصبحوا ذوي سلطان مثلكم ، ونفذوه بانسانية ، فما يفعله بنا عمالكم يكاد أن لا يصدقه العقل .

ان جلالة مذابحكم مهانة لذلك ، فاعلموا اذن ان الآلهة تراقبنا .

فبفضل كياستكم لا تقع أعينها الا على آلات الرعب ، على الاحتقار لها ولهيا كلها، على جشع يكاد يجيش، ويفور،فلا شيء يكفي الرجال الذين يجيشوننا من رومية ، فالارض وكدح الناس في عملهم لا يشبعان مطامعهم النهمة ، استرجعوهم فاننا لن نزرع حقولنا لهم .

اننا نغادر المدن ونهرب الى الجبال، اننا نهجر نساءنا العزيزات ولا نخالط الا الدببة المخيفة ، فقد يئسنا من ولادة ابناء تعساء نمـــلأ بهم لروما بلداً تضطهده ، أما أولادنا الذين خلقوا فنتمنى لهم قصف العمر . ان عمالكم سيزيدون على تعاستنا هذه الجريمة الفظيعة ؛ استرجعوهم فانهم لا يعلمونا الا التخنث والخزي ، ان الجرمانيين سيصيرون مثلهم رجال نهب وطمع .

هذا كل ما رأيته في رومة عندما دخلتها .

فاذا لم يكن لدينا هدية نقدمهـــا ، ولا ارجوان نعطيه ، فعبثاً نستجير بالشرائع للبت في شؤوننا ، ففي مراجعها اسهاب وتطويل .

ان هذا الخطاب القوي الصريح قد بدأ يسوؤكم

قد انتهيت . عاقبوا بالموت شكاوة شديدة الصدق والاخلاص » .

قال هـــذا وارتمى فدهش الجميع وأجلوا هذا القلب الكبير والعقل الرشيد وفصاحة رجل فطري جمع الى كبرياء القول تواضع الموقف فسموه بطريقاً ، ذاك كان انتقامهم من هذا الخطاب .

واقالوا عمالهم مختارين غيرهم ، وطلب مجلس الشيوخ أن يسجل كلام هذا الرجل ليكون مثالاً للمتكلمين في الآتي ، فقد رأوا فصاحة ما سمعت بمثلها رومة من ذي قبل » .

وفي المقال التالي ترجمة قصائد من الشعر الوطني لشعراء امم مختلفة نرجو أن يكون فيها حض وتذكير لشعرائنا المحلقين النوابغ، فيبرحوا الظل، فنرى في محياهم غير هذا الاخضرار ، اخضرار الحرباء ، التي لا تدع غصناً حـــتى تمسك بآخر فلا تبرح الظل ...

٢

من الادب الافرنسي

فلنسرع : للشاعر برانجه .

لو كنت فتى مغواراً ، وفارسا مجرباً قحاً ، لقطعت الدنيا عاقصاً شاربيّ الاشقرين ، خاطراً بثوب الجندية البراق ، شاهراً سيفي للقتال ،

سر يا حصاني ، طر بنا الى بولونيا لننقذ امة من الموت .

فليخز الجبناء ، فلنسرع ، ان الشرف هناك .

لو كنت شاباً لكان لي حبيبة فتية جميلة ، كنت اردفها خلفي قائلاً لها : تشبهي بالمخلصات من نساء هذه الأمة المحبة .

بيعي حلاك . نعم كلها ، ولنجعل ثيابك الكتانية نسيلاً لعلنا نحقن بعض نقط من تلك الدماء .

ولو كان لي ملايين لقلت لشجعان (سرمات) فلنشترِ بعض السياسيين وكثيراً من البارود ، فلنمد بكل الاعتدة هؤلاء الشجعان المغاوير ،

ان اوربا التي تمشي على عكازتين ، أوربا المبتلاة بـــداء المفاصل لا تعتقد الفضيلة التي تحت الأطمار .

لو كنت ملكاً قوياً لاذهبت مراكبي من « سوند » الى البسفور فتوقظ الهلال ، وتجيش دماء الاسوجيين ، واصرخ : جئناك يا بولونيا . فالصولجان الطويل في كف ذراع قوية يدرك أقاصي الأرض .

لو كنت يوماً ، يوماً واحداً فقط ، الاله الذي تمجده بولونيا لصفّرت

قيصر في بلاطه قبل الفجر . أما بولونيا التي احبها جداً فساخدع لاجلها أرباب المعجزات واستمطرها لها ،

أواه انها في حاجة الى العجائب ، فلنسرع ، ولكنني لا استطيع شيئاً..

فيا ملك السماوات ، يا أبا الحرية المقدسة ، اسمع تنهداتي ، اجعلني ملاكاً حارساً لهذه الأمة ،

أيها الاله ، هب لي صوتاً كالصور ينشر الموتى في القبور ، فأصيح في أقطار المسكونة الاربعة :

فلنسرع ، الشرف هناك .

من الادب الالماني

اغنية وطنية ، للشاعر ارندت .

ان الذي انبت الحديد من الأرض لا يريد أن يكون عليها عبيد . قلد الانسان سيفاً ورمحاً ، ومنحه الشجاعة الغريبة ليقتحم المعركة ويخضبها بدمه ويهرها حياته ،

إذن نحن نتم مشيئة الله ، لسنا نحارب لجراية نأخذها من جبار يصدع رؤوسنا ، أمّا من يحارب لقضية تافهة أو شائنة فاننا نقطعه ، ولن يرث الأرض الالمانية مع الالمانيين .

يا المانيا ، أيها الوطن المقدس ، البلد الشريف ، الأرض الجميلة ، اننا نجدد لك عهودنا وايماننا ، المنفى للعبد والمرذول ، ليسمن الغراب والعقق من لحمه ، اننا ذاهبون الى واقعة (ارمين) لنثأر من أعادينا ،

ليدوِّ كل ما يدوي ، ليتصاعد اللهب الأبيض ، فجميعكم ايها الالمان ؛ واحداً واحداً ، كلكم بلا استثناء للوطن ، ارفعوا قلوبكم الى السماء ، مدوا اليها أيديكم ، اهتفوا جميعاً بفم واحد : للعبودية نهاية .

رنوا كل ما يرن ويطن ، اقرعوا الطبول وانفخوا في المزامير ، اننا،نريد، اليوم ، الواحد بعد الآخر ، أن نخضب الحديد بالدم ، بدم الجلادين ،

يا يوم الثأر العذب ، ما أحلى وقعك في قلب الألمان أجمع ، هـــذا هو العمل الأعظم ،

ليخفق كل ما يخفق ، الرايات والأعلام والبيارق ، اليوم يوم السبق الى ميتة الأبطال ،

فلنسر ، طر يا بيرق الظفر النبيل أمام صفوف الشجعان ، فاما الغلبة واما الموت ، ميتة الأحرار الشهية .

نداء : للشاعر كورنر

بدار وانتصبي يا أمتي ، فدخان النار قد بدا ، من الشمال ينبثق متقداً نور الحرية ،

عليك أن تغرزي الحديد في قلب العدو ، فبدار وانتصبي يا أمتي ،

ان ألسنة النار قد اندلعت ، الحصاد ناضج ، فهلموا أيها الحاصدون ،

السلام الاسمى والنهائي يكمن في حد سيوفنا ، اغرز النصل في قلبك النبيل ، اعد طريقاً للحرية ، اغسل الأرض الألمانية ، اغسلها بدمك .

ليست الحرب مع ملوك متوجين ، انها لحرب صليبية ، حرب مقدسة ، فالحق والأخلاق والفضيلة والايمان والضمير ، كل هذه انتزعها الظالم من قلبك ، فانتزعها وحريتك الظافرة ،

ان نحيب شيوخك يصرخ بك استيقظ ، وأنقاض بيتك المتهدم تهتف : ويحاً للصوص .

ان حياء بناتك يستصرخك للثأر ، وموت أبنائك ينشد الدم ، فاكسر حديدة محراثك ، وانبذ المقصين ، واهجر المزهر والنول ، اهجر المزارع والقصور ، فالذي تخفق أمامه الرايات يريد أن يرى شعبه مدججاً بالسلاح . انك ستبني مذبحاً عظيما في فجر حريته الأبدي ، بسيفك تقطع صخوره ، والأبطال الذين يموتون سيكونون أساسه ،

السماء تعضدنا وجهنم ستخزى ، وتحجم . الى الأمام أيتها الأمة البطل ، الى الأمام فالحرية تهيب بنا الى الأمام .

ان قلبك ينبض باعجاب ، وبخيلاء يرتفع سنديانك ، مـاذا يهمك تكوم الجثث ، ارفع فوقها علم الحرية ، وعندما تتوجين يا أمتي با طيل الحظ مع هالة ماضيك المقدسة ، عندئـذ لا تنسي موتاك المخلصين . زيـــني قبورهم بأكاليل السنديان .

من الأدب الانكليزي

الوطنية: للشاعر ولتر سكوت

أهو انسان ذاك الميت النفس الذى لم يقل ابداً في قلبه : هوذا وطني العزيز ،

أإنسان هو من لا يضطرم قلبه ابداً حين يرجع الى بيته بعد أن يضرب في الآفاق البعيدة ،

اذا رأيته فتأمله جيداً ،

ليس فيه شيء من شرّة الشاعر مهما كان اسمه ولقبه .

ليكن غنياً كما يشتهي، فالذهب وهذا الاسم وتلك الألقاب لا تولي المجد ذاك المسكين الملتف على نفسه حياً ، انه يموت مرتين ، ويدخل التراب الذي خرج منه بلا شرف الأغاريد والدموع .

الجندي : للشاعر روبرت بروك

اذا مت فلتبق هذه الذكرى بعدي ، ان البقعة الغريبة التي تضم رفاتي هي انكليزية .

ان فيها تراباً ثميناً دفيناً حبلت به انكلترا ونفخت فيه الحياة والوجدان ،

لقد تعشق أزهارها وراد طرقاتها ومنعرجاتها فتشبع هواء انكليزياً ،

وكم غسلته انهارها وطهرته شمسها ،

ان هذا القلب النابض بالفكر الكلي قد تجرد من الشر ليتمسك بمبادىء انكلترا ،

ان مناظرها وضوضاءها وأحلامها جميلة كنهارها ،

والابتسامة التي نتعلمها من أصدقائنا ودماثة القلب تخلقان تحت سماء انكلترا .

من الادب الاميركي

نداء الوطن : للشاعر هويتير

من أعالي التلال الى منحدر الأودية أيقظوا الشباب الراقد ، وهيّجوا الرجال ،

كأسد يهم بالزئير ، أو كعاصفة ليل بطيئة، أو كوقع أقدام عدو خفي ،
هو آتٍ — قد اقترب

اثبتوا في بيوتكم وهيكل قدسكم ، موتوا أحراراً على أعتابكم ،

اقرعوا أجراس معابدكم ، وعلى تلال آبائكم فلتستعر نيرانكم،

تذرعوا بالله وبالواجب ، احبكوا من قلوبكم وأيديكم سلاسل تطوقون بها قبور أجدادكم ،

من يحجم أو يتأخر الآن ، من يحني للنير رقبته ! سموا الجبان على جبينه.
ان أرض الحرية تعد مكانا لسلالة حرة مصورة ، فلنقص الخونة الأنذال .

في أرض الفلنك : للشاعر ماكري من كندا

في أرض الفلنك يزهر الشقيق بين الصلبان صفاً وراء صف دالاً على قبورنا ،

وفي الفضاء تصفر القنابر فيضيع صوتها بين دوي المدافع .

نحن الأموات كنا أحياء منذ أيام ، نشعر بالفجر الوردي ونرى الغسق المتوهج .

أَحببنا وأُحببنا ، أما الآن فنرقد في أرض الفلنك ،

واصلوا العراك مع أعدائنا ، لقد سلمناكم المصباح من أيدينـــا الهاوية ، فارفعوه عالياً ، وإن لم تحافظوا على ما عهدنا به اليكم فاننا ننهض من قبورنا رغم الشقيق النابت فوقها في أرض الفلنك .

الجواب : للشاعر الأميركي ليلرد

ارقدوا بسلام أيها الاخوة ، النائمون في أرض الفلنك ، اننا سنمضي في

المعركة حتى النهاية ، اننا نعاهدكم على ذلك فاطمئنوا أيها الراقدون ،

ارقدوا رقاداً هنيئاً حيث يزهر الشقيق فوق رؤوسكم ، حيث سال دمكم القاني في أرض الفلمنك ،

ما طلّت دماؤكم ، فالمصباح الذي دفعتموه الينا سترفعه عشرة ملايين من الأيدي عالياً ،

ان مصباح الحرية لا يطفأ أبداً ،

لقد علمتمونا درساً سامياً أيها الراقدون ، في أرض الفلمنك .

من الأدب الياباني

الامبراطور — كلما طالعت الأسفار القديمة أفكر ببلادي التي أسوسها ،

كيف أسلو التفكر ببـــلادي عندما اشاهد الحجر الذي نقرته قطرات المطر ، أيجدر بالمرء أن ينسى البلاد في محنتها ؟

ان الماء الساكن في الاناء هو الذي اخترق الصخور .

ما كان أجمل زماناً تصاعد فيه دخان قرى الجبل الكبير مستقيما ،

في هذا العصر نحسب جميعاً اننا اخوة ، فلمـــاذا تزخر الأمواج وتهب العواصف على البحور الأربعة .

كل أبنائي ذهبوا الى ساحة القتال ، الشيوخ وحدهم يحرسون حقول الجبل .

ان التفاني الذي يهلك شعبي سيسر قلب الالهة القديرة السريعة .

الامبراطورة – اذا لم يصقل الماس فلا طلاوة له ولا يزيد الحلية رونقاً ، والانسان كذلك أيها الطالب ، لا تظهر فضيلته الا أخيرا ،

في هذه السنة سيفرح حق الصنوبر ويشيد مبتهجاً بذلك السلطان ، ولا تضطرب الأمواج حول الجزر الثاني .

الطبيب – في هـذا العام أحيي الشعاع الأول من الشمس ، سأحييه من فوق الصنوبرة التي تزداد كل عام نمواً .

زوجة الجندي – على جبال أية بلاد يستقبل زوجي السنة الجديدة ، زوجي الذي ذهب الى الحرب والذي يسمّونه جندياً بسيطاً .

من ضابط لزوجته – على أجنحة ريح الخريف الهاب من «ازوما» تصلني متفرقة زهور ذات لون وعطر ناصعين .

تتفتح حولي عيون القرنفل ، ولا أراك معي يا من تداعبين اولادي صباح مساء .

اغنية الرحيل ، أيها الرفيق، ألا ترى سماء اسيا المدلهمة ، ماذا ننتظر: الهواء أم البرد أم الثلج ؟

اين تعرض جثثنا يا ترى ،

أفي كوريا أم في منشوريا أم على هضبات سيبيريا ؟

جندي – يا جثث الأعداء المضرجة بالدماء ، كم أتألم عندما أفكر ان لك أقرباء ، يا جثث الأعداء.

●

لا تنس أيها القاريء ان الشعر المترجم كماء الورد ... وشتان ما بين الورد وماثه ، ومع ذلك نريد شعراً قومياً من هـــذا الطراز ، لا افتخاراً وابتهاراً بالعظام الرميمة .

مارون عبّود وأبو ريشة

تحت هذا العنوان كتبت جريدة بيروت المساء ما يلي .

الاستاذ مارون عبود هو الناقد الأدبي رقم واحد في لبنان ، وهو أحد اثنين أو ثلاثة من جهابذة النقد في الاقطار العربية . اجتمع به أحد الأدباء الشباب منذ أيام بعد انقطـــاع طويل فأعرب له عن اعجابه بكتاب « على المحك » . ثم قال :

على اني لاحظت في نقدكم أعنف الانتقاد . وقـد عللت ذلك بقرفـكم من النقد الدارج الذي هو في الغالب تقريظ وتبخير . فكأن نوعاً في الهجاء جاء عندكم كرد فعل لذلك المديح الذي لا نهاية له . فهل أنا على صواب في هذا التعليل ؟

— انا لا أضرب الا عندما أرى مأخذاً اقرأ نقدي الأخير لديوان عمر ابو ريشة ، فلن تجد فيه أثراً للعنف أو لما تسميه الهجاء وقد بحثت وجددت في البحث عن مأخذ في ابو ريشة فلم أجد الا يسيراً

وهكذا يكرن الشاعر عمر أول شاعر يحظى برضا الناقد مارون عبود ، رضاه التام . وهو رضا ثمين نادر ، لا سيا وعين المعلم مارون تغتبط باكتشاف الهنات قبل الحسنات . هذا ، الا اذا كان وفـّر هذا الشاعر الكبير زيادة في النكاية بشاعر كبير آخر هو الأخطل الصغير » .

فأجبت صاحبها الكاتب الكبير بما يأتي :

أخي الاستاذ عبد الله المشنوق .

من يصلّي منا ، نحن النصارى ، يختم صلاته — الأبانا — بهذا الدعاء : ولكن نجّنا من الشرّير . آمين.

ومثل هذا يجب ان يردده ، صباح مساء ، كل اديب حتى الناقد المرّ اللسان مثلي . ولكن نجنا من ظنون الصحافي الأريب ... آمين .

وبعد ، فإن اثنينا على شاعر بما هو اهله قلتم — او قال لا ادري من — : الا ان يكون قد فعل هذا زيادة في النكاية بشاعر كبير آخر الخ . وهل تسمح لي ان اقول — بيني وبينك — مايقول المثل : تحيّرنا يا قرعا من أين «بدنا» نبوسك ...

قيا فاحصي الكلى والقلوب ، كما قال النبي داود في زبوره عن اله اسرائيل ، بحياتكم قولوا لي وأين النكاية ؟ وهل شاعرنا الحبيب بشارة عبد الله الخوري خاتم النبيين !!

وإذا كانت النساء لا تحبل وتلد فنحن صائرون الى الانقراض ان الفن والجمال لانهاية لهما ما دامت النساء تلد وجوهاً وأدمغة . انا لا اخبىء شيئاً ، فما في قلبي على رأس لساني . قد صرت يا عبد الله ، مصابحاً بماسياً فلا داع الى تخضيب شيبتي بحنّاء الكذب والمداجاة ... انني لم افكر قط بصديقي القديم الأخطل الصغير ، حين كان ملقى أمامي ، على مكتبي ، عمر أبو ريشة وديوانه . فالشاعران مختلفان لوناً وطعماً كلّ الاختلاف . ان هـذا العمر

الجديد كذلك العمر القديم يمتنّ في حبه ، أما أخي بشاره فاشبه بالمنبت على قارعة الطريق يصيح : المدد .

هذي واحدة، وواحدة ثانية وهي انهما يلتقيان في مواضيع —مناسبات— وطنية ، فنرى الايمان يشع من شعر أبو ريشة ، ومن هنا يجيئه التوفيق لانه يتحدّث عما يحسه في صميم قلبه . ان لليقين عملاً عظيماً حتى في الشعر .

تفضل باهداء سلامي الى الأخ الاستاذ محمد النقاش ، وقل له غير مأمور : مهما كان الصخر صلباً فلا يصعب على النقّاش ..

وختاماً أشكر لجريدة بيروت المساء ثقتها بي ، وأقبّل صاحبها وليس في ذلك ما يغري ، وأظنها أول صفقة خاسره نكبت بها ، فتعوّذ وحوقل ثم قل : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

قارورة الطيب

يوسف غصوب

يا فتاح ! يا عليم !

قبل كل كلمة أكتبها ، وبعد آخر حرف من هذا المقال ، أعترف وأقر وأشهد ان في «قارورة الطيب» شعراً معطر الاردان كصاحبة امرىء القيس التي يمسي فتيت المسك فوق فراشها . فما فتحت «القارورة» حتى عبقت رائحة طيّبة أعرفها في شعر غصوب . يضع الشاعر على وجه «القارورة» حديثاً منظوماً يرويه بلسان « قرقورة » جديدة :

كبرتَ — تقول مازحة ، وترنو الي بطرفها الفتج المدلّ
— اما تعب الفؤاد من القوافي ومن خفقانه بالحب ؟ قل لي
فقلت لها : الفؤاد فدا لحسن يكاد يكون فاتحة التجلّي

ورحت اتعمّق في القارورة حتى خضختها خضّاً عنيفاً ، فتذكرت قول شاعر القفص المهجور :

ان قلبي بعد ان مات الهوى قفص أفلت منه البلبـل

سنة مباركة ورزق جديد ... عاد البلبل الى القفص، وها ان صاحبه يغنّي لحمامة جديدة . حمامة في عينيها اخضرار ثوب الشهادة كما فهمت من القارورة التي حبسها الشاعر فيها كما تحبس المردة في القماقم ... وهكذا بدا لي ان « العوسجة » أيضاً قد تأججت من جديد ، وان شاعرنا انتكس فعاد قلبه حامي الوطيس .

كنا ننتظر ان نرى في « القارورة » برداً وسلاماً ، وقلباً مستقرّاً ، فاذا بها تقدح شرراً فكأنها قنبلة لا قارورة . ان قلوب الشعراء كعلّيقة موسى تشتعل ولا تحترق، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وكأني بصديقي غصوب يهتف للرب بلسان داود النبي . قلباً « محبّاً » اخلق فيّ يا الله ، وروحـاً « عاشقاً » جدّد في أحشائي .

اقول هذا لان الشاعر بدا لي في قارورة الطيب أشبّ وأفق منه في القفص والعوسجة ... قد يكون وقع على كنز فمن يدري . الخيّر مرزوق ومن سعى على رجله رعى .

وما جلت في هذا الديوان الأنيق الهندام حتى رأيت وجوهاً اذكر أنني تعرفت عليها أو اجتمعت بها منذ سنوات . فتمثل لي أحدهم كأنه يقول لي : مارون ، خذ حذرك . عدّ العشرة . فعددت المئـة كلفت من عندي في عين كفاع التفتيش عن ديوان غصوب الأول وارساله الي فلم يهتدوا اليه . فسددت القارورة لئلا يطير الطيب ، وانتظرت فرصة الربيع ثم عدت منها ومعي الديوان . وبعد البحث وجدت ان القـارورة موجهة بشعر جديد كما يفعل البستاني اللبق عند تصدير اثماره ، وفيها بضع قصائد من الديوان القديم . فعدت الى قول تلك للشاعر غصوب :

أما تعب الفؤاد من القوافي ومن خفقانه بالحب ؟ قل لي

اذا كان قد تعب من الحب فلا أدري، اما من القوافي فحمله خفيف جدّاً،

واليك البرهان ، بل اليك الحساب : ان المسألة حسابية ، أهـداني الشاعر غصوب ديوانه « القفص والعوسجة » في الشهر الذي صـدر فيه – حزيران عام ١٩٣٦ – وقد نفح الادب بطيب « قارورته » في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ فيكون بين الديوان الأول وهذا مسافة احد عشر عاماً وخمسة أشهر. فاذا قسمنا هذه التركة الادبية الخالدة على الشهور وعددها ١٣٧ شهراً كان نصيب كل شهر بيتين وحرفاً ... لأن مجموع الشعر الجديد في « القارورة » مئتان وستة وسبعون بيتاً ونصف البيت . لا يغرك كبر الديوان فهو كأكثر دواوين اليوم أشبه بعلب الشوكولاتا الأنيقة .

هذا حساب اظنه مضبوطاً، ومع كل فالغلط جائز ، وأهون شيء عندي أنا هو الرجوع عن الغلط .

إذن ليس في القارورة الا شيء قليل، وهذا لا ينقص من قيمتها ، فالمسك لا يباع بالمد والشنبل بل بالغرامات وان رأيتني احاسب شاعرنا هذا الحساب العسير فلأنه قال مع امرىء القيس : اذود القوافي عني ذيادا .

إذن مـا تعب الشاعر من القوافي اذا كان هذا انتاجه في احد عشر عاماً وخمسة أشهر بل هو كقول الشاعر : وأمُّ الصقر مقلاتٌ نزورُ .

فالثابت لي هو ان يوسف غصوب شاعر مقل ، اجنحته مثقلة ، ولكن شعره رائق ملون ، معطر ، فيه كل خصال الشاعر الغنائي . وشعره صوت نفس مضطربة كنفس شاعرنا أبي عبد الله بشارة الخوري ، ولكن غصوب مسيطر عليها بينا هي مسيطرة على الاخطل الصغير .. ان لنا درساً خاصاً بالغزل عند هـذين الشاعرين ، لا أدري متى يكون موعده أما الآن فالكلام على غصوب وحده .

ان غزل غصوب غزل كئيب مغموم ، غزل مراقب ، ينظر ولا يقتحم ، يظل أبداً يتحنّن لأنه غير فاتك ، وبرهاننا هذا « التضرع » قديماً وحديثاً .

انه غير جسور ولكنه لا يموت غمّاً، كما قال الشاعر ... وقد يكون غصوب كما زعم وقال : لذاتنا في الشوق لا في الوصال .

ان خطيئة « الفكر والقول » كخطيئة « الفعل » خطورة ، انهما متساويتان لاهوتياً – كما تعلمنا – اذا استثنينا الرد والتعويض ...

رأيت يوسف غصوب يتطور في قارورته ولكن تطوره بطيء . الرجل مخلص في عمله ، مثابر يشذب ويهذب ، فهو والصافي في هذا ضدان . ولعل الصافي يجهل ان لا صدفة في الفن بل قريحة وعمل .

ذكرت « الخطيئة » لأن رائحة التدين ، تهب عليك من قارورة غصوب وهي مطبوعة في المطبعة الكاثوليكية ، فاسمعه كيف يبرر هذا الحب بقوله :

هو الحب من نفحات المسيح وكان على الأرض قدماً غريبا

مع آلامك يا يسوع !! هكذا كانت تقول امي في النكبات ان المسيح عند النصارى حامل خطايا العالم ، أفلا يحمل تبعة حب يوسف على خفتها !!

اظنني لا أعدو الحق اذا سميت يوسف شاعر الحب النظري ، ولا أخالني محقاً اذا سألته من أين لك هذا وقد جاوزت حد الاربعين ، ما زال غيره يتغزل وهو في السبعين . ولا سيما ان الحب ليس بالباب الضيّق ، فالله ، سبحان كرمه وجوده ، لا يقطع رزق مخلوق .

ان يوسف يعمل بقول شارل بودلير : للخروج من أزمة الهوى تدفعنا احدى حاجات الحب الى « الصلاة » ، وهذا ما يبدو لي في القارورة تلميحاً، وقد لمسته لمس اليد في ديوانه السابق . ولكن هذا التديّن عند شاعرنا نوع من التوابل كالبهار والقرفة يزيد في نكهة طعم الحب واللذات .

وقد يكون الحب كفّارة عند غصوب كما رأيناه عند بودلير القائل : حتى يؤدي الانسان الجزية لربه ويغتسل من وسخ الخطيئة الأصلية اعطي حقلين يحرثهما : الحب والفن .

وها ان شاعرنا يعلن هذا الجهاد على هاتين الجبهتين في جوابه لتلك :
فان الشعر حب او جمـــال لعلي مائت بهما ... لعلي... ؟ !
اننا لا نرجو لشاعرنا ان يصيح مع ابن الفارض :

ما بين معترك الاحداق والمهج انا القتيل بلا اثم ولا حرج

ان ابتسامة يوسف الهازئة ، وتستطيع ان تقول المرّة ، تنقذ الموقف ، وينفذ صاحبنا في المضيق ، كما عبر ابن الأثير .

واذا اردنا تلخيصاً للصور التي تحتل ساحة شعور غصوب فنجد أولها العري ، فكأنه تتلمذ للشيخ فؤاد حبيش يوم كانت الدعوة لتلـك الرسالة عارمة . فالعري يواجهنا في اولى قصائد القارورة :

في كل اغنية كعـاب روّيها الحب والجمـال
تطل في عريهـا فتنشي بعريها الحس والخيـال

ثم يوضح هذه الفكرة الثابتة بقصيدة عنوانها « متجردة » يصف فيها الحبيبة كأنه يصف تمثالاً رخاميّاً . يصفها وصفاً سليمانيّاً فكأنه تجاه شولمية جديدة حين يصرخ :

يا حارسي جنته انتما على ضفاف الفلّ والنار

ثم يبرىء هذا العري الذي وصفه وصفاً كاملاً ، تقريباً ، فيقول :

لا يعتريه العار في عريه في الحسن منجاة من العـار

ان هذا البيت عرعار حقّاً ، اما ان الحسن ينجي من العار فهذا في نظر يوسف ، أما في نظر معلمينا اللاهوتيين ففتنة .

هذه هي المادة الأولى المركب منها طيب القارورة ، أما المواد الأخر المؤلف منها هذا المركب فهي من عطور وخمور وانغام واضواء ، وازهار

وينابيع ، وملذات حمر وخضر وصفر ، ولا بدع فالطيب يركب من أجزاء مختلفة ..

أما مخيلة شاعرنا فهي مخيلة تعنيها الكلمة أكثر مما تعنيها الأشياء . ولكنه بدلاً من ان يستعمل لفظات سهلة جداً يجعلها بين بين ، وهذا مما يحمد عليه فيقول مثلاً : صحارى حنين ، تغرد الوان بها وطيوب ، وترقص في الأفياء سكرى . هذا نموذج من قصيدة جمال ، التي أرخى فيها العنان لخياله كما يفعل أبو عبد الله ، فقـــال : ان هذه الجميلة ألهت وحش الصحراء عن صيده ، وتقاطرت اليهـا الطيور من الافق البعيد فذكرني قول الانجيل : حيثما تكن الجثة تسقط النسور ، ونعيذ هذا الجمال من ان يكون جثة . لقد غاليت يا يوسف حتى كدت تدرك بشارة ... وتفوق نعيمة في قصته « لقـاء » حين جعل الثعالب تطرب لموسيقى بطل قصته طرباً غريباً عجيباً ، ويصيبها ما أصاب سامعي الفارابي ..

وبما اننا نتكلم عن الكلمة فلنفرغ من شأنها : ان كلمات يوسف منتقاة وهو يجعل وكده في الملاءمة بينها لتولد الموسيقى التي يتمناها الشاعر ، وقد أدرك جل هذه الغاية ، وان أغرب فقال : اغنية خضراء ... ولكن كلماته مختلفة الاعمار ففيها البدوي الخالص كقوله : « سموت انا » ومثلها القرقف الأخطلية التي أكثر من استعمالهـا وكذلك دد الحلزية . . و « يعد لأي » النابغية . ومثلها قوله :

احسها في دمي ، في عروقي وفي « الكان » مني وفي المزمع

انا أعلم أن اسلافنا ، يرحمهم الله ، ادخلوا ال على الافعال فقالوا .

ما أنت بالحكم الترضي حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وادخلوها أيضاً على الظرف فقالوا :

من لا يزال شاكراً على المعه فهو حر بعيشة ذات سعه

وادخلوها على الجملة فقالوا :

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بني معد

كان القدماء يعدون ال هذه اسم موصول أما نحن فما لنا ولها . اسمع يا أخي يوسف ، ستراني في غد ، أو منذ الآن ، متسامحاً مع سعيد عقل حين يقول في نشيدته قدموس : كنْ بها الصقع كما قال قس بن ساعدة، وان يقول:

باركتك اليد الأهلّت على القفر عطاء ، فعاطل القفر حالِ

وذلك لأن سعيد عقل يقص ، والقصص يتسامح فيه ، ناهيك انه اعدّ ، أو يعد لنا شعراً نادراً في الأدب العربي ، وهو شعر الملاحم ، أما انت فما تريد أن تقول . حنانيك بل حنانيكما . تكفينا اثقالنا القديمة فلا تخلقا لنا جديداً . . .

وعلى ذكر الجديد رأيتك تحاول ادخال التضمين في « عروضنا » فانا أقول لك ان هذا لا يلائم شعرنا . لأن لكل وزن عندنا رنة خاصة ، فوصله بغيره لا يلائم . فالأوزان العربية غير الأوزان الفرنجية فمحاولتك إذن خاسرة . تأمل قولك :

ظليل تلألأ من عريها ومن أريج الشّعَر المرسلِ
تضمخ ثغريك بالناهدين وبالثغر والفاتر المخمل

أما بقية المائتين والستة وسبعين ونصف البيت ، فكلها ذات الفاظ منتقاة تشهد لك بالعناية التي تضاهي عناية مالرب .

أمّا القافية فقد تخلّص الشاعر من قيودها في أكثر المواطن وحذا في ذلك حذوه شعراء الفرنجة ، وهذا لابأس على الشاعر منه .

أمـــا الأوزان فهو يؤثر بعضها على بعض ، وهذا لايعنينا ، ولكنني أحست ان هذا التهافت كاد يظهر شعر الديوان كأنه شيء واحد . فالفكرة

واحدة ، والالوان أيضاً والأثمار أيضاً وأيضاً ، حتى كدت أرى فيها شبهاً قوياً من دار بطيخ ابن الرومي . والغريب هو أن نرى الى جانب هذه الثمار روحاً تمتد جذورهـــا الى الكون الأبعد ، فحبيبة غضوب كحبيبة سليمان يشبهها بالحديقة فيقول ويحسن القول :

حديقتنا أثمرت والجنى ثقيل على الغصن الأملدِ
بتفاحها حـلم بالشفاه وأعنابهـا بخمور الغد
وبالورد، والأمس شوق الى شميم يدغدغه أو « دَدِ »
تميس الزنابق في جانبيها ويضحك فيها الأقاح الندي
وطيب البنفسج ملء الظلام وملء الخميلة والمـورد

انه لشعر عذب تجول فيه الماوّية جولانها في الغصن الاملود إبان الربيع .
وأخيراً يدعو الشاعر الحبيب دعوة سليمانية أيضاً فيقول بلسانه :

ألا تدخـل الروض نجتاحه بعنف فنتخم منـه وفي
رياحينه نرتمي من عيـاء ونكرع في خمره القرقف

أرأيت يا شاعري العزيز ، ان التضمين لا يلائم الشعر العربي ، فهذه القافية « وفي » قد حالت دون تصور « الاجتياح بعنف » فكنت كمن بلغ المحجة بارداً فضاعت عليه القفزة المرتجاة .

ويبالغ يوسف في وصف « رحيق الثغر » فيجعله « مثلجاً » فيخطىء في هذه الصفة مبنى ومعنى . أفي ذلك الجسم « برّاد » حتى يكون ريقه مثلجاً ؟ ومن يحتمل الريق اثلج . أما المبنى فالصواب مثلوج .

ويوسف على دين الجاحظ في استحسان لثغة الحسناء ، فبعد ان يصف لنا حديث هذه اللثغاء المبهم يقول ·

يتمتم القول مـا يبالي أيبهم القـول أم يبين
فكلما زاده غموضـاً تداركت شرحه العيون

جميل ، جميل جداً ، بل أكثر من ذلك ، وشه در العيون ما افصحها في مواطن كثيرة .

وحبيبة يوسف هي مهرجان الحسن ، وما تبقى من الازهار بعد العاصفة، وبقية عهد الله ، أو بقية من الفردوس في عينيها . يقول ذلك ليتخطى الى تعليل لذة الحب :

هذه اللذة التي نحن منها رجعة من نعيمنا المفقود

وللعينين عملها الأكبر في قلب يوسف وفنه ، حتى يقول فيهما :

ترقى لي الشعر عيناهـا فأرسله ضرباً من السحر لم يخطر على بشر

لقد تجاوزت الحد مرة أخرى ، فهذا القول من حق أبي عبد الله بشاره ، وحده ، أما أنت فـلا تخرج عن المعقول . نعم ان في شعرك ما يدفع الى الغرور ولكن ليس الى حد انه لم يخطر على « قلب » بشر .

وانني الفت نظرك الكريم الى هذين البيتين ، ص ٤٩ و ٢٣ فهما محتاجان الى اعادة النظر :

الى فهمه . كل مـا ينجلي من « التلاميح » نشوق صدي
افاقت على فجر عجيب ونفحة سماوية من « راحتيها » تضوع

ويستهتر شاعرنا أحياناً باعادة الضمير فيوقف ذلك حركة سير الشعر كقوله:

ويطغو من الذعر أو حبه حياءٌ على وجنتي ندي

فهو من قصيدة جميلة راقصة كاسمها – قلق – يحلل الشاعر نفسية فتـاة حين يزورها الحبيب، والضمير يعود اليه في حين اننا نظنه يعود الى الذعر ... وكذلك لا يتأبى الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم يتعدى على حقوق طه حسين فيقول :

« فعبّت وعبت » لاتي وأوارها يجد ، اذا ما اسعنت ، ويزيد

ويسرني أن ألفت نظر شاعرنا المتأنق الى بيت لم يحسن تهذيبه فلعله يعيد النظر فيه عند الطبعة النهائية :

نحن تحنانا الملحّ الى رباك تحنانا لعهد بعيـــد

ويحن يوسف الى القرية التي نحن منها فيبكّر الى « العين » ويقول قصيدة صغيرة جميلة كأكثر قصائد القارورة ، ولكن الحبيبة التي رسمها لنا الشاعر ، فجعلها من ورق الورد ومن طيبه ، ومن ضياء ومن ، ومن . . لايصدق انها تفهم حديث العين والجرة .. الا إذا كان الشاعر يريد ان يقول هذا الشعر لنا لا لها . وبكلمة وجيزة نستطيع أن نقول ، ان قارورة الطيب ديوان نفيس على قلته ، والشعر لا يقاس بالكم ، وسنقابل بين غزله وغزل الشاعر أبي عبد الله بشاره الخوري ، كما وعدنا ، ونعطي كل ذي حق حقه ، فما فاتنا قوله الآن لا يفوتنا قوله بعد حين .

الشاعران الأخوان
عقل وشكرالله الجرّ

عقل وشكرالله الجر شقيقان لبنانيّان هاجرا الى البرازيل ، وفيها ألّفا مع غيرهما من طيورنا القواطع سرب « العصبة الاندلسية » . كلاهما شاعر وان تفاوتا في الاجادة يختلفان لوناً وطعماً وان كانا شقيقين، ولكن هذا الاختلاف لا يخفي آثر الأرومة فيهما ، فتظل تحس انهما جبلا من طينة واحدة . ينبئك عن ذلك ما يجمع بين عبارتهما من نسب ، فهما لا يعرفان شيئاً من وعورة التعبير ، ثروتهما اللغوية بين بين ، يتشابهان في سهولة العبارة وطلاوتها وموسيقاها، اما خيالاً فبينهما فرق . فعقل يقول شعرا سلساً تندر فيه الالوان والصور التي يولدها الخيال الوثاب . يتخيل عقل ولكن تخيله عادي ليس فيه تلك الصور الرائعة ، فهو لا يطارد الصور بمجرد قيد الاوابد هيكل ، كشقيقه شكر الله ، بل يقنع بما قسمته له الآلهة . شعر عقل خطابي اللهجة ، لأن عقل الجر ، وقد عرفته في جبيل منذ ثلاثين عاماً وأكثر ، ميّال بطبعه الى الخطابة ، ويحب التحدث الى الجماهير . أكثر نظمه شعر مناسبات ، فلا يعني

بالمواضيع الوجدانية عنايته بتلك . كان يشارك دائماً في مشاكل الساعة ، وما انسحب من ساحة النضال قط بل مات فيها . كان يريد أن يعرب دائماً عن نزعته ، ويعنيه ان يخرجها شعراً ترضى عنه الجماهير

توفي في البرازيل ، منذ أعوام — لا أذكر تاريخ وفاته بالضبط - وقد أسف اخوانه أعضاء « العصبة الأندلسية » إذ خسروا بوفاته بلبلاً كان يغرد في - فلاتهم ، ويضرب على وتر ترقص له أفئدة الجالية اللبنانيةوالسورية المعتزة بلغتها وأمجادها ، لا سيما وانهم بين شعب اسباني الأصل لم ينس مجد العرب على بعد العهد بتلك المدنية التي ازهرت في أوروبا وأثمرت ، ومدّنت ، وهذّبت وعلّمت .

ان لعقل الجر شعراً رائقاً تطرب وتنتشي حين تسمعه أو تقرأه لأول مرة . أما إذا وضعته تحت المنظار فيخسر من قيمته بعض الشيء لا أظن ان لعقل الجر ديواناً ، ولكني أعرف شيئاً من شعره فيه الدلالة الكافية على ما في شاعرنا من خصال . يدلك هذا الشعر دلالة قطعة صغيرة من النسيج على ديباجة الثوب ونوع خيوطه ولونه ، قال عقل في « الولد » :

أعطيته كالصبح غرته ملكاً تقمّص صورة الولد
أرهو بطلعته وأحسبه ألكون جُمّع كله بيدي
وأطلُّ منه على غد لمحت آمـاله في مفرق الأبد
اشتم وجنته وأرشفـه كالشمس دمع الزهر في الرّأد
وأبيحه ثغراً يخمشه فيطيب في تخميشه قودي
يحتل عرشاً من دعائمـه روحي،وبسطة ملكه جسدي
تغفو عيون الناس هانئة وهنـاء عيني فيه بالسهد
تهتاجني من فيه زقزقة تزري بصوت البلبل الغرد
ويشوقني في رأسه شقر كالتبر مذروراً على برد
يرنو اليّ ويا لطلعتـه بصّاصة كالنجم في الجلد

ويهفّ نحوي منشباً يده في العين أو في النحر والعضد
فأزقه قلبي وأرهقه وأكاد أرجعه الى لبدي
فكأنني وأنا ادغدغه طفل ، وطفلي دمية بيدي

أسمعت هذا الشعر الذي يجري كما تجري مياه الجدول فوق الحصا ، فترسل موسيقى مطمئنة ! انها على هدوها سريعة لا تقف ولا تتغير الا في الالفاظ اللغوية ، فلا ترسل الاوثبات لا تنبو في السمع وان عبثت في اللغة . ان عقل الجر يضاهي ابن الرومي عاطفة أبوية ، هاتيك أظهرها التفجع عند ابن الرومي وهذه فجرها الحب عند عقل .

أما أخوه شكرالله فشاعر من طراز آخر . ساهم في شعر المناسبات ، كما يرى من يقع على ديوانه « الروافد » . ففي هذا الديوان الذي طبعه منذ بضعة عشر عاماً قصائد قيلت في شؤون قومية مختلفة ، منها ما أثاره فيه ما كان يراه في لبنان في ذلك العهد، ومنها ما كان يقوله لرجال العروبة اللامعين الذين يقدمون البرازيل . ومنها حنين الى الوطن الأم ، حيث نشأ شكرالله وتلقى دروسه ، ومنها أيضاً ما كان يقوله في مناسبات عديدة كحفلات التكريم التي تقام بسخاء حيث تحل ركابنا .

فاسمع بعض ما يقوله شكرالله في قصيدته « حول ضفاف بردى » :

في الغوطتين خرائب هي كالبقية في سطور
تطفو وتغرق في سيول من دموعي والزفير
ويلي وكم من وقفة لي في الحواضر والثغور
فجّرت فيها الشعر من فوق الخرائب والقبور
فبكيت في بغداد مجداً للخورنق والسدير
وبكيت في الحمراء عرساً كان منقطع النظير
نضو باندلس أطوف على المعالم والقصور
متذكراً ما شيد الأجداد من مجد خطير

ولا تنس ان شكرالله هو صاحب مجلته المشهورة « الأندلس الجديدة» التي أدت أجـــل خدمة للغة الضاد . فهؤلاء النازحون الذين يعرفون بالعصبة الأندلسية قد جاهدوا في احياء مآثر العرب وما زالوا يجاهدون. وهاك ابياتاً مما قاله شكرالله مخاطباً الأندلس حين مرّ بها :

ربيعك يوحي الهوى للقلوب فتنزو باسواقها الأضلع
وجوك يلهم أهـل البيان البيانَ . فلا بدع ان أبدعوا
فأين ابن هـاني وأين المعز وأين ابن زيدون والأسجع
ملوك القريض وأربابه تغمدهم تربـــك الممرع

هذه ناحية من نواحي شعر شكرالله الجر ، أما الناحية الأخرى ، وهي التي ظهرت فيها مواهبه ، فهي الشعر الوجداني . قد يكون شكرالله الجر خير شعراء المهجر في هذا الضرب من الشعر، فهو شاعر انقدت عاطفته حتى تخالها تشتعل اشتعالاً ، وهو صاحب لذة كما قال الأخطل التغلبي عن نفسه :

ولقد أكون لهنّ صاحب لذة حتى تغيّر حالهنّ وحـالي
لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذل هذه الابدال

فشكرالله يرى الشباب عهداً لا يجب ان تذهب نعمه هدراً ، فعلى صاحبه ان يستغله استغلالاً حكيماً ، ولهذا يخاطب احداهن قائلاً لها :

يا هذه ان الصبـــا هارب منا وبعد الشيب ماذا يكون

ألا يذكرنا هذا بما قاله ابن أبي ربيعة لذينك الشابين ؟

ويحس شكرالله ، كما أحس غيره من الشعراء ، ان الشباب لايدوم ، فنظم في ذلك قصيدة قد تكون أروع ما قاله . عنوان هذه القصيدة « الحديقة » ولكن لا يتبادر الى ذهنك انها كحديقة شعر ابن الرومي . لا، فشكرالله ينحو فيها نحواً جديداً فيصور ربيع الحياة وخريفها تصويراً رائعاً ، فيقول في ذلك شعراً ينفذ الى أعماق القلب إذ يقول :

غداً ستعرّي بنان الخريف أفانين أشجارك الزاهرة
وتنثر كف الشتاء هبـاءً بقايا وريقاتـك الناضرة
وتحجب عنك ثغور النجوم غمـائم في افقها سائرة
ويغشاك عند الصباح الضباب

غداً ستلمم عنك الطيور الجناح الى أربـع قاصيه
فلا ما يزقزق فوق الغصون ولا مـا يرفُّ على الساقيه
بلى قد يمر عليـك الغراب وينعب في الدوحة العارية
وبعض النعيب نذير الخراب

سيجفو ظلالك أهل الهوى وتحتلك الوحشة المـرهبة
فلا تسمعين خفوق القلوب ولا رنـــة القيل المطربه
ولا تلمحين بنان الحسان تداعب اثمـــارك الطيبة
فهـل تحسبين لهذا حساب

لئن يحزننك ان الخريف غـداً سيبدل من نضرتك
فسوف يعيد اليك الربيع عريس الزمان منى بهجتك
فيرقص طيرك فوق الغصون ويستضحك النور في وجنتك
ويجري بعودك ماء الشباب

ولكن قلبي كما تعهـدين تكر فصول وتأتي فصـول
وكل الفصول لديه خريف وكل الليالي شتاء طويـل
فماذا أرجّي وقد جفّ فيه معين الشباب وعاث الذبول
بزهر الأمـاني فأمسى تراب

وشكرالله ككل شاعر معتد بنفسه يرى الشاعر فوق البشر ، وهـذه فكرة تسود في الآداب العالمية ، وأشد قائلي الشعر تصديقاً لها هم الشعراء الوجدانيون ، وفي هذا يقول شكرالله من قصيدة نظمها رثاء للشاعر الياس أبو شبكه .

نحن سرب على شواطىء هذا الكون نلقي الافلاذ للجائعينا
ونروّي العطاش من خمرة الفن وقد قل حولنا الشاربونا
نشعل النور من مهارقنا الحمر لنهدي في العتمة المدلجينا
عجباً ينكرون هذا علينا ويعدوننا تراباً وطينا

أسمعت؟ أفلا تردد معي قول الله في الشعراء : والشعراء يتبعهم الغاوون .. ثم نهتف بصوت واحد : صدق الله العظيم .

ان شكرالله ينزع في شعره الوجداني الى الصراحة مثل امرىء القيس وعمر، وقد لامه في ذلك بعض نقاد المهجر، أما أنا فما قرأت هذا الشعر وما وقعت عليه لاقول كلمتي فيه . ولكنني أعرف ان شكرالله جموح يحب الاحماض ، وقد يكون لا يرى في ذلك الشعر الكلي الوضوح أمراً فريا ، متبعاً في ذلك غيره من شعراء العرب والفرنجة .

هذان هما الشاعران الأخوان عقل وشكرالله الجر ، ولعله يتاح لنا في قابل ان نقول كلمة أوسع من هذه وأعمق .

الحانُ اللهيبْ

للصافي

وهذا ديوان جديد عنوانه « الحان اللهيب » للشاعر أحمد الصافي النجفي. ان شاعرنا النجفي الذي يحتملنا ونحتمله ينتقل في عناوينه بين الماء والنار . من « الامواج » الى « التيار »، ومن «الأشعة» الى « الحان اللهيب ». اما ان الصافي ملتهب فما في ذلك شك ، فهو ملتهب الجيب مشتعل القلب . درويش اذا جاءته النعمة رفسها ، ولعلها جاءته بشخص تـــلك العجوز التي أتته مستميحة فقال لها :

تصافين غيري بعهد الصبا وتنأين عني ولا ترحمين
قصدت سواي أوان الشباب ومذ شخت أقبلت لي تسرعين
وكنت اذا ما شرحت الهوى امامك من منظري تهربين
أكنت دميماً فلم تستطيعي لذلك رؤية وجهي اللعين
وأني أنا اليوم أبشع وجهاً فهل ان فلسي لوجهي يزين

أعرف الصافي متفرداً في مواضيع دواوينه السابقة ، وكذلك وجدته في الحان لهيبه . يفتتح هذه الالحان المارجة باعلان إيمانه بالله فيقول :

كهولتي بالله قد آمنت ضل شبابي ودعاواه
فان تجد ذا شيبة جاحداً فقل الى النار أحلناه

فقلت : حنانـــيك يا سيدي . امهلهم رويداً . لعلهم يتوبون ... وفي القصيدة الثانية وعنوانها العدم المحيي يغرب في آرائه حتى يقول :

وحواس الفتى حدود فان زالت قطعت المدى وجزت الحدودا

أظن ان هذ الفكرة ليست من محصول الصافي،ما أظنها الا من مصنوعات بسكنتا والشخروب .. ثم يقول :

وثناء الأنام ينقص من نفسي فـاغدو لذمهم مـستزيدا

وأني لاحمد الله الف مرة على وقوفي منه بين بين ...

والصافي نسيج وحده في مواضيعه ، فكره مهيأ لاقتبال جميع الصور بشكلها الواقعي ، يصف ما تقع عليه عينه وتسمعه اذنه ويشعر به قلبه . فاسمعه يصف سكران رآه في احدى روحاته أو جيئاته .

نام حتى ليس منتبهاً لاذان أو لناقوس
لو تراه في الفراش ترى ميتاً في جوف ناووس
وترى في وجهه بشراً ساكناً في جلد جاموس

والشاعر يرسل الكلام عفو الطبع ، فـلا ينمق ولا يوشي ، وفي ذلك يقول :

قيل لي فيم لست تعنى بوشي أو بتنسيق فائض الاشعار
قلت شأني ارسال شعري سيلاً مـا علي التنسيق للانهار

كان للنقاد في كل ديوان من دواوين الصافي السابقة حصة الاسد ، اما في

الحان اللهيب فهو ارأف بـــنا منه في التيار ، فكأنه يوطّىء للمهادنة والمفاوضات ولكن بقول آيسنا من كل خير رجوناه عنده ، قال :

شيطان شعري دأبه العناد يتعب في تقويمه النقاد
يقودهم طرّا ولا يقـاد وكلـــما زاد له الارشاد
وناقــدوه في أذاه زادوا ورمت نظمـاً حسبما أرادوا
فرّ وضاع من يدي القياد وخاب من نقادي المراد

تذكر قولي لك ان الصافي نسيج وحده في مواضيعه ، وهاك الآن وصف هذه المعركة بين أوراق شعر الصافي وأوراق المال ، قال :

وضعت في الكيس أوراق النقود اذا بهـــا مضايقة أوراق أشعاري
واذ بنار الوغى في الكيس مسعرة تؤجُّ ما بين أشعار ودينـــار
سمعت شعري يدعو وهو ذو غضب يا أجنبي ابتعد عن ساحـة الدار

ثم انجلت المعركة بعد كر وفر ، واقبال وأدبار ، عن فوز أوراق شعر الصافي ، وهذا ما كنت انتظره . فصاحبنا الصافي في مقاتلة الدينار دون كيشوت ثانٍ ... قال :

لكنما فـــاز شعري بعد ملحمة كبرى ، وأخرجه ، فالحمد للباري

ان هذا الشاعر الهائم يدوس كبرياء ارسطو بكبرياء أعظم منها ... وليس عدو المـال ، في هذا الزمان الكلب ، بالخصم القليل . أطال الله بقاء الشاعر العزيز ليخرج من ذخائره الادبية جدداً وقدمـاء . وإذا شاء السامع المتعة كاملة غير منقوصة فليقتنِ ديوان « الحان اللهيب » النفيس ، ليقرأ فيه قصيدة « أهداء الكتاب » ، وقصيدة « البليد الثقيل » .

غروب : لميشال بشير

عنوان ديوان قائـــله الشاعر ميشال بشير ، وهو من منشورات دار

المكشوف . ان شمس شاعر غروب لا تزال رأد الضحى ، وشعره ، قوي النبض سريعه ، ينحو نحو الرمزية المتطرفة ، أحياناً ، فيقول في قصيدة عنوانها « ظماً » :

ومرت كأن بعيني منها بقية لونٍ لحلمٍ يمرّ

ثم يهبط من برج الرمزية البلوري ليستعمل « تفقّي » من تفقية الرمان العامية ... وليقول هفّ بدلاً من هفا ، ويأتينا بـ « بواح » على سماجتها وتنكر العوام لها ، بله الخواص .

وبينا نراه يغرب في الرمز حتى يلون الحلم إذا به يعود الى تشبيه القامة بالرمح وغصن البان ، والثغر بالجمان والمرجان . ان في ديوان « غروب » ومضات شعرية ، فيها شيء من جمال الغروب وروعته فعسى ان يهتدي الشاعر الى ذاته فيفلح في دنيا الشعر .

المشرقيات

لنجيب مشرق

هززته وأنا للعـــهد مذكرٌ فكان موماء لا ماء ولا ثمر
وعدت القي بناديك العصا فعسى « أبو محمد » ذاك العهد يذكر

« نجيب مشرق »

هذان بيتان انطوى عليهما كتاب « المشرقيات » ديوان الشاعر نجيب مشرق . عفواً ان لم أقل المرحوم كما اعتاد الناس ان يقولوا فقد صرت راغباً عنها وعن غيرهـــا من الكلمات التي تسبق الأسماء وتلحقها ، ولو حرد عليّ الكثيرون من اكابر رجالات العرب ...

اليوم مرّ اربعون نهاراً وليلة على حلول النجيب في البيت الضيّق، وبراحه بيته « الخورنق » الذي بناه في ضهور الشوير . منذ اربعين يوماً فـارقت الابتسامة ذلك الرجل الصبيح الوجه ، النبيل الطلعة ، ولم يبق لنا منه غير ديوانه . لم يقرأ كلمتنا فيه حيّاً لا لشيء الا لأن ساعته لم تكن أتت بعد ،

أما الآن فقد استعجلنا الموت وجاءت الساعة التي نذكر فيها اخانا الغائب بحثمانه ، الحاضر في ديوانه .

ان نجيب مشرق شاعر مدرسي مشرق الديباجة يطبع على غرار المتقدمين ويعشق تعابيرهم ، ويحسب الشعر كله فيها . يبني نجيب بيوت شعره بنياناً راسخاً ، فهو في قصيدته كمواطنيه الشويريين المتفوقين في فن العمارة بلبنان ، يخرجها لا عوج فيها ، ولا نفور بين مداميكها ، فيها الحجارة المنحوته والمقصوبة ، فتؤلف « كلا » تستريح العين حين تقع عليه . أما الطراز الذي يعول عليه نجيب فلا يخرج عن طراز البيوت اللبنانية : غرفتان قبالتهما غرفتان ، وقاعة في الصدر، وبهو ذو ثلاث قناطر ، أمامه شرفة لها درابزين.

قدّم نجيب لديوانه وعدل عما تعوده الشعراء لأن النزاهة مفقودة كما صرّح لنا في المقدمة. «وهو يتجافى عن أن يتخذ أقلام اخوانه أبواقاً ، ومدائحهم لشعره صداقاً ، ويرغب في ان يجعل الديوان في مشاع من الرأي يشترك فيه كل من يطالعه ، والحكم للتاريخ وهو أعدل الحاكمين ، ولكن الصديق المفقود اصيب من حيث لا يدري بما أراد البرء منه ، فبدلاً من ان يقدم واحد لديوانه جملة اذا بنا نرى أصدقاء عديدين يقدمون لكل قصيدة . نقل نجيب ما قالته الصحف في كل قصيدة أذاعها . وهكذا وقع في مقدمات من حيث أراد ان يخلص من مقدمة ... والصحف ، كما نعلم ، أجود من حاتم طي ، حين تقدم شاعراً الى قرائها الألباء .

نجيب شاعر مناسبات مجيد ، مقلد للأقدمين الى أبعد مدى ، حتى تخاله منهم في التفكير والتعبير ، فبينا هو مثلاً يصف « لبنان في الصيف » في أولى قصائد ديوانه تراه يذكر « الضال » و « جرعاء » واسماء عديدة هام فيها القدماء مثل الكوثر ، ثم يشرحها لك حتى يلمّ بقول شاعر القدماء :

تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فيسبكه هكذا :

ماء ترى الحسناء تحسب عقدها نثرت لآلئه على حصبائـه

فيخسر البيت صورته بل روعته التي روّعت الحسناء البدوية وكادت تكون لوحة فنيّة رائعة لو اهتدى اليها فنّان بارع ونجيب ميّال الى التوشيع مثل شبلي وبشاره فيقول لك مثلاً بالأبردين صباحه ومسائه . وفي هذه القصيدة يتخلص الشاعر الى ذكر ضهور الشوير فاحسب انه سيجول في وصفـــها ويصوّرها لنا فاذا به يقف مكتوف اليدين أمامها ويهابها ، فيهرب من وجهها الى ذكر الناس . ونجيب هو بحق شاعر الناس لا شاعر الطبيعة ، وان فكر بالطبيعة فلكي يذكر غزلان عسفان ، وفتنة حاجر ، وليالي الرقمتين ، وعروة وعفراء اللذين ساقته القافية الى ذكرهـــا حتى غالى فذكر الحصيب وفتنة نسائه ، ووادي زرود ، كل ذلك ليقول لنا ان هذه كلها ليست :

يوماً بعادلة قـلامة مشهد من أرض لبنان ومن خضرائه

لم يجد نجيب في « قلامة مشهد » رغم تأنقه وعنايته بالألفاظ ووضعها في محلها حتى خلا أكثر شعره الحشو والركة ، وحسن جرسه ، واشتد أسره . فلولا مواضيعه المبتذلة لكان من رؤوس شعراء جيله . ثم هل فينا من يعرف تلك المشاهد الحجازية اليمنية النجدية ليقابل بينها وبين لبنان ، وهل بقي من يذكرها أو تخطر له على بال :

ألم ترى ان السيف يزرى بقدره اذا قيل هذا السيف امضى من العصا

وتنتقل الى القصيدة الثانية « الدمعة الخالدة » فتراها أيضاً مصدرة كأختها بمقدمة ضخمة . قالها الشاعر في استاذه وليم كارسلو . القصيدة رثاء ، ونجيب يجيده ، وهي غنية بالاعلام التي تكثر في مثل هذه المواضيع ، فلا بد من ذكر اليصابات زوجة الفقيد ، ومن ذكر الشوير حيث درس ، ومن ذكر وليم ويسوع وجبريل وحسان أيضاً لأن القصيدة نونية . والشاعر أراد ان يفتخر

على عادة شعرائنا الفطاحل ، فلذّ له ان يقول حق في الرثاء :

ولو ان تنميق الكلام يزينها لأعدت عهد أميره حسان

وتليها قصيدة « وداع المهاجر » — نعمه يافت — فيذكر فيها علمه وغناه ويشبه على بعد العهد ، بالمرحوم قارون .. ثم يذكر مآثره : كبناء مدرسة ، وكنيسة . القصيدة رصينة كمعظم شعر النجيب ، ولكنها مما يقوله الناس بالناس . وقد اعتذر الشاعر لقوله : « ابقاك ربك طوداً للهدى عالي » فأنبأنا ان هذا اللحن كثير الوقوع في شعر المتقدمين والمتأخرين ، ولكننا اليوم لا نرضى عنه ولو وقع في شعر الاخطـل — التغلبي لا غيره — فما كان أغنى النجيب عن بيت كهذا ليس فيه شيء يهون علينا المصيبة باللحن . فاسمعه ان شئت وهو مطلع القصيدة :

أبا شديد وأنت المستفيض هدى ابقاك ربك طوداً للهدى عالي

وتعقب هذه قصيدة اخرى في رثاء من ودع ، ثم ثالثـة في رثائه ايضاً ، ثم قصيدة مدح لاخي الفقيد وتهنئته بوسام ، وقصيدة مدح لفارس نمر ناصيف وأخرى له تهنئة بوسام الاستحقاق ، ثم واحدة للشيخ تاج ، وأخريات للقس ابراهيم الرحباني ، وملاتيوس قطيني اسقف ديار بكر وما بين النهرين . وتمر بمدح كثير لوجهاء واعيان حتى تصل الى قصيدة ذات عنوان مسجع على النمط القديم : ضجيج الخافقين في تعاقب السلطانين . قال في صدرها ابياتاً من الشعر الحي ، ولما جاء ذكر محمد رشاد استسلم للمدح والتمني . ويلي هذه القصيدة قصيدة في رثاء البطرك دوماني واخرى تهنئة للبطرك حـــداد ، ثم ابيات له أيضاً مذيلة بتاريخ لتسليمه العصا . وهنا يضيق النجيب ذرعاً باسم غريغوريوس الجغرافي فيقول :

فلمفرق الدين الهناء وقد علا غرغوريوسٌ مجد ذاك المفرق

ويلي هاتين قصائد وابيات متفرقه لغبطته ورسائل واجوبتهـــا ، وهي

كثيرة في الديوان . ونجيب مترسل بليغ رصين . وبعد صفحات تقرأ ابياتاً في تحية عيد استقلال لبنان الكبير ، وقصيدة تهنئة للمطران الكسندروس - صاحب الغبطة اليوم - وللمطران سابا، وللمطران زائد ، ثم تقريظ لرواية السموأل لانطون الجميل ، ثم قصيدتين لصهره - هو - ورسالة شعرية لابن اخته ، وقصيدة لنجيب عقل صاحب مشروع المنبوخ ، ثم قصيدة في رثاء عباس حميه واخرى في رثاء ابراهيم اليازجي ، وابياتاً لخليل مطران وشبلي ملاط - وتجتاز قصائد تختلف طولا وعرضاً حتى تبلغ موشحاً اغتالته يد الضياع وما بقي منه غير مقطعين ، ولكنه حافل بالجمـــال الشعري فاسفت لضياعه واحتفاظ نجيب بشعر المدح والرثاء ، والتهنئات والاخوانيـــات ، فكأنه رحمه الله يرى كل الصيد في جوف الفرا ...

ونبلغ قصيدة في رثاء الشاعر الياس فياض ، وهي جميـــلة السبك بارعة المعاني ، لولا شغف النجيب ببعض تعابير متحجرة كقوله : شال نعامة ، أي مات ، وقد ختمها بهذه الابيات الطيبة :

انفض يديك من الزمان ودعه في إكثاره هملا وفي إقـــلاله
القبر آنس منه في ظلماتـــه وبه خروج الحر من أثقـــاله
والراحة الكبرى وأنت تريدها هي تحت جندله انطوت ورماله

وهنا نبلغ قصيدة طيبة بجملتها ، موضوعها الحث على الاحسان وفيهـــا روح لو فشت في كل قصائد النجيب لكان ذا شخصية خاصة بين شعراء اليوم ، ولكن نجيباً ينظم وعقله في الجمهور . ثم قصيدة اخرى دالية بيّن فيها الاستاذ بروح خفيفة وظرف رصين أهمية دولة النساء اللواتي حكمْنناهن حتى سددن علينا منافذ الطاقات ، ومفارق الطاقات ، فأعلن على رؤوس الأشهاد :

والسيدات بحـــول ربك دولة أنا من مواضيها ليوم جهاد

ثم قـــال : وإذا ذهبت الى ملكوت الله وأحلني جبريـــل ،

وهو يبش — لا أظن هذا الملاك المسخّر بشوشاً ، فقد خبرنا الانجيليون ان سيدتنا مريم فزعت منه حين بشّرها فحبلت من الروح القدس — من أحضان إبراهيم خير وساد ،

واجلت طرفي لا أرى للغيد من أثر ثنيت عن السماء جوادي

اما لماذا ركب جواداً ولم يستقلّ طيارة فلا أدري ! ! إنما أرجح ان القافية قوّلته ما لم يردّ أن يقول ..

قد جال الشاعر في هذه القصيدة جولة موفقة وحث على العلم وتهذيب الفتاة وذكر تقدم العالم وأمجاد فينيقية . ثم انقلب الى الرثاء وغيره من شعر المناسبـــات فسوّد خمسين صفحة حتى قال قصيدة ضراعة وابتهال عنوانها « شاعر يستصرخ ربه » ، وهل يسمع الرب للشعراء ؟ ولو سمع لهم لأزاحوه عن عرشه ... وفي هذه القصيدة شك وإيمان ورجاء وهي وحدها التي عرفتنا على اخينا نجيب فإننا لم نعرفه حتى الآن ، ونحن في الصفحة ٢٢٢ من الديوان مـــا هو نجيب ، وما هو نهجه الحياتي ، لولا بعض ومضات في القصدتين الاجتماعيتين الفائيّتين .

وعاد أيضاً إلى الرثاء والمناسبات فطوينا بعض المسافة في الديوان واذا بقصيدته « الشاميّة » تطل علينا ، ففاضت نفسه حنيناً الى الشام ، وقـــال شعراً نقياً عطراً كتفّاحها، حسن الديباجة كدمقسها الذي شبه امرؤ القيس شحم ناقته بهدابه حين ظل العذارى يرتمين بلحمها .

ووقفنا قليلاً عند قصيدة — القيمة لغلتها لا لبلاغتها كما قـــال نجيب — أراحت الشاعر في دير سيدة النـــاطور يومين أكل فيهما دجاجاً وسمكاً ، وركب أخيراً فرساً ليعود الى دير البلمند — القصيدة مدح ولكنها في رئيس دير بخيل مراه الشاعر فجاء بدرّته حلبه وابساسه ... وكان أسعد حظاً من حطيئة الزبرقان ، فسبحان مقسم الأرزاق . ان من لا يجود لك لا يجود لغيرك ...

وننتقل من هذه القصيدة الى وصف أنف الأخ مكسيموس وهذا خير ما قـال فيه :

يا طالباً رصد النجوم وفاته بعض الطلب
لاتنس أن بوجه مكسيموس نجـم ابي ذنب

وان كان هذا العطف «وفاته الخ...» لا يتسامح به مع من كان كنجيب.

ونجتاز نحو عشرين مرحلة فلا نرى غير شعر خصوصي لا علاقة لنا بـه كأكثر شعر الديوان، حتى نبلغ تحية الأندلس وهي في الصفحة ٣٦٣ . القصيدة جيدة المبنى والمعنى ، ذكر فيها الشاعر كثيرين من شعراء وفلاسفة ومشاهير الأندلس ولم ينس ابن زيدون بل ذكره أكثر من مرة فكأنه يحبـه ، واذا فات النجيب حسن تصرف شاعر ولادة بعاطفته وتصويره الايام والليالي فهو يفوقه متانة ورصانة تعبير .

وتليها قصيدة اخرى في وصف اثار الأندلس والأسف عليها ، وقد ذكر الشاعر وطنه لبنان فرأى شبهاً بينه وبين الأندلس ، كما قال الفونس الثالث عشر حين رأى غوطة الشام من « المهاجرين » : كأنها هي . لا عيب في هذه القصيدة الا كثرة أعلامها ، وعلى الأعلام يعوّل نجيب فقلما تخلو قصيدة له من أعلام عدة .

أجدني توفرت كثيرا في الكلام عن أخي نجيب ولكني لا اكتمك انـي ضحكت كثيراً حين قرأت :

يا أمّ البير والبرتينـــا يهنيك عيدك طالعاً ميمونا

ومثل هذا أصابني حين قرأت :

ريح الصبا كوني الغداة رسولي واهدي السلام لأم ميخائيل

وأم ميخائيل هذه ، كما عرفنا عليهـا نجيب سيدة ادبية اسمها مريم وهي

عقيلة ابن عمه، فلولا سلّم أخي نجيب على مريم لاتفقت له التورية التي يحبها ، وأرضى الست ، وأراحها وأراحنا من ثقالة كلمة أم ميخائيل، ولكن شاعرنا مولع بالكنى وقد أكثر منها في شعره .

ولم يترك الشاعر واحداً أو واحدة من أقاربه في الهجرة الا قـــال فيها شعراً ، وقلما اهمل رسم من مدح أو رثى أو راسل ، فكاد ديوانه أن يكون معرض رسوم كمثالث ومثاني حلـــيم دموس . لم يفرج كربتي الا وصولي الى قصيدة « الصفحة البيضاء » ، وهي من الشعر النقي السامي التفكـير الذي أبان لي أن نجيباً لو انصرف عن المدح الى مثل الصفحة البيضاء لترك صفحات خالدة في الأدب العربي .

ويمضي النجيب في الخصوصيات حتى نهاية ديوانه البالغ ٣٠٥ صفحات عدا الشكر والاعتذار ، وفهرست الديوان – فترى رسمه وتحته اربعة أبيات بخطه الفارسي الجميل يلخصها هذا البيت الذي ورد معناه في المقدمة :

والدهر خير الحاكمين وقد جرت بين المهار الى البيان مهاره

أجل ، لقد جرى يا نجيب مهرك شوطاً بعيداً ، فليتك اخترت له غـير هذا الميدان الذي كبا فيه كبوته الأخيرة ففجعنا بك قبل ساعتك .

قاتل الله التقليد كم جنى على ادباء العرب الذين قيدهم ازماناً . لقد كان في مقدور نجيب أن يصف مشهدين من أروع المشاهد : دير البلمند ، وضهور الشوير ، ولكنه لم يفعل به بل آثر عليهما مدح ورثاء الناس الذي لا يخلد الشعر والناس . لم يلهمه دير البلمند غير مدح من راح وجاء اليه من بطاركة ومطارين ، ولم يرَ في ضهور الشوير مسقط رأسه غير وجوه من جاؤوه مصطافين ...

فارقد يا أخي بسلام فقد أديت رسالتك مطمئناً وحسبك مـا تركت ، وحسبي اني أخلصت لك الود حياً وميتاً ، وذكرت عهدك كما تروم ، بعدمـا صرت في قبضة الأزل .

السِّهَام

لإلياس قنصل

اذا اردت ان تتكرم بابداء رأيك ...
في هذا الكتاب فآمل ان تهوي بلا
شفقة على مواطن الضعف فيه الخ ...
الياس قنصل

لبيك يا أخي . لا توصّ حريصاً ، أما على هذا عاهدت نفسي حتى يوم تعود من حيث أتت ؟

الشاعر الياس قنصل سكرتير التحرير في ادارة « الجريـــدة السورية اللبنانية » ومجلة « الأحوال » ببوانس ايرس « عمره ثلاثة وعشرون عاماً ، كما انبأتنا مقدمة « السهام » ، ديوانه الشعري الاخير الذي طبع ثلاث مرات في ثلاثة أشهر . ليهنأ للاستاذ قنصل هذا الرواج العظيم فكتابه قوي بروحه.

أصاب رامي الـ بهام الغرض الوطني ، وهذا كل ما يرجو ، كما صرّح في تصديره ، اما الغرض الشعري الفني فطاشت سهامه عنه ، ولكنه سيصيبه بعد

طول رماية !! أما انا فأرى ان قصيدة مثل : تنبهوا واستفيقوا ايها العرب ، واختها : دع مجلس الغيد الاوانس ، تغنياناً عن ديوان وطني كهذا كما تغني الفرد دي فيني عن كل ما قاله بولس سلامه وعقل في بنت يفتاح ... وما احلى كلمة خطها سنت بوف على غلاف مجلة قرأ فيها قصيدة الشاعرة مرسلين « الاكليل المحتوت » فقال : انني اعطي بهذه القصيدة وحدها ، كل بقـج مدام كوليت . .

تناولت السهام فاستمدّ قلبي كداود . ولمـا اجتزته من بابه الى محرابه عدت ، وعلى لساني كلمة الصاحب بن عباد في العقد الفريد : هذه بضاعتنا ردت الينا . تغرّبنا لنأكل الكباب فأشتهينا المرقة . ليس في الديوان كله قصيدة من الشعر الذي ننشد . بل هناك قوافٍ وانغام ألفناها حتى سئمناها ، وافكار عمت حتى خمت .

ما زاد الشاعر على ما يقوله الناس في مجالسهم وصحفهم إلا الوزن المبشر بشاعرية خصبة تخرج شيئاً متى نضجت ، أما الآن فلا تزال حصرماً .

فالصور الشعرية ، والألوان ، والأفكار الطريفة ، والتعابير المبتدعـة ، والشخصية لا اثر لها ، اللهم إلا في قطعة من قصيدة سأدلّ عليها . ربما كنت متعنتاً ، ولكن ما الحيلة ؟ هذا رأيي . فالديوان صراخ وعويل ، فقنصل في ديوانه عنترة أبحّ ، عنترة القصة لا المعلقة . وما هـذا بالشعر الذي ينهض بالجماعات فتحمى أنوفهم ، ويضطرم المدق كما قال شوقي .

صدّر الياس قنصل ديوانه بكلمة أحرجتنا فيها ، وهي بارعة اللهجة لولا ألفاظ وتعابير كابية باهتة كقوله : وطأت في علو مركزها هـام الثريا ، وكقوله : سيرها الحثاث ، من وزن فعال الذي يحوم حول حوضـه كثير من كتّاب مصر اليوم ، وكفى بذلك تجديداً . ولولا بعض ألفـاظ ثخينة كيمشج حديثه باللوم . فهذه اليمشج ، واختها اعمـار « طويلات » تقصف عمر القارىء .

أما ما قاله قنصل في « التصدير » فاليك بعضه : « من لم يكن حراً فلن تتفتق نفسه عن شعر حر » أمـا أنا فأعتقد ان الشاعر حر ولو مستعبداً ، وهو يخلق أمة حرة إذا قال شعراً يحرر الناس أمـا ارتفعت من كهوف القرون المظلمـة ، من سجون العبودية أصوات أحرار مستعبدين فحشدوا للحرية جيشاً عرمرماً ، وأيقظوا نفوساً غافية تشخر وتنخر ؟

وكأن الشاعر أدرك ما سيقال في ديوانه فقال أيضاً : يوسوس الكثيرون حول هذا الديوان بما يعني ان القصائد المنبثة فيه ليست من الذي يطل الخلود من قوافيه . وما هي إلا بنات ظروف ومناسبات لا يلبث أن يعفّي عليها الزمان ويطرحها في زوايا النسيان الخ ... »

ذكّرني هذا بعمّ لنا في الضيعة ، كنا نحبه جداً لأنه كان يضاحكنا . كان – طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه – يعطس عطسة ترعب الفدّان ، ثم يتبعها بهذه الكلمة : يقطع ظهرك ... أو في صدرك . فسألناه لماذا ولمن يقول هكذا ؟ فأجاب : لا بد أن واحداً سمع هذه العطسة الثخينة فقال لي : وجع فأكون أجبته بما يستأهل .

هكذا فعل قنصل فردّ سلفاً على نقاده – الحمد لله لست منهم – فقرر ورسم ، ونحن شبعنا من المراسيم التي أصدرتها وتصدرها الحكومة – أما الفن ففي غنى عن المراسيم والقوانين ، ومتى قيد صار علماً ، تعالى الفن عما يخالون .

قال تلستوي : « ولا اعتد بكل ما يقال في الفن . الفن كالأرض فاذا لم نعزق وننقب في أعماقها لا نظفر بشيء جديد » . هل فعل قنصل شيئاً من هذا ؟ الموضوع الوطني من أسمى الشعر ، ولكنه يتأتى لكل من شاء . فمن لم يكن من طبعه كان كالمصاب بالكابوس يصيح ويعدو ولا يتعدّى فراشه ... وهذه مصيبتنا بعشاق الشعر الوطني غير المطبوعين عليه . فباب الابداع فيه موصد بوجوههم ؛ وحيث لا جدّة لا فن ، كما قال تلستوي

ايضاً : « أجل ليس الفن والشعر في الموضوع ، كما ان المثالة ليست في الازميل والمطرقة والحجر ». الفن في الابداع ، وهل نسمي من ينقل صورة لرافائيل، عن لاروس ، فناناً ؟

ما رأيت أتفه من مواضيع الجاحظ ، وما رأيت أبرع مما كتبه فيها . فلا يخافنّ قنصل ، فلا حرج عليه في الموضوع . أبالمادة تفوّق لافونتين على الشعراء أم بالاسلوب ؟ . فلو خط قنصل في ذيل ديوانه « سطر على عجل » كما كان يفعل القدماء في آخر رسائلهم ، لاستغنى بها عن هذا التصدير . ان هذه العجلة والرغبة الجشعة في الانتاج ، والمنافسة في الكم لا في الكيف ، لآفة شعرنا وشعرائنا ، ففي « نشيد المجد » القصيدة الاولى يقول لنا صاحب السهام :

وان بت مهضوم الحقوق ولم تثر فلست بذي نفس الى الله تنسب
براها ورقّاها لتغدو على الثرى خليفته وهو العزيز المغلّب

ألا تراه يحتاج الى « بطرشيل ودرع » ليلقي عظة روحية يقول فيها لمن لا يثور : انك حيوان ...

أما موشح « الحرية » فكله اجترار ، ألفاظه من الخرثيّ ، من تلك السلع المعروضة في بندر أدبنا العربي . فكأن ديوانه حوانيت سوق أبي النصر فيه: أيدي الوئام ، وسجل الحقب ، وحجاب القتام ، ونيل الارب ، وأبناء مثل الاسود ، وسراب الوعود ، وصافحوا كفّ العلاء ، وصرع مجد مكين ، وذكر باق ليوم النشور ، ونسام الهوان، ويقلب المجن ،حتى : دمت في ثوب الهنا رافله ، كما كان يعلمنا المرحومون معلمونا لنكتب للاهل والأحباب . وأخيراً يختم هذا الموشح القديد : بكل آت قريب .

مـــا ابتلى الأدب العربي بهذا التعفن والجمود ، شعراً ونثراً ، إلا هذه الفسيفساء ، فأشبه بعضه بعضاً كأنه صنع فبركة لا عمل فنان حاذق . أفما

لهذا الليل آخر ؟! أما من يجري في الأوزان العربية دماً جديداً ؟ فقد سمّ دم هذا المريض ، وقاحت جراحه ، وانتثر لحمه كأيوب ...

و « وداع الدمشقي الثائر » لعروسه بارد جداً ، وكذلك مطلع « عيد الفطر » فهو رديء لفظاً ومعنى :

أيقبل بعضنا بالتهنئات وموطننا المفدى للغزاة

فما بزه إلا الذي قال أمس :

إلى الباري بعيد المسلمينا دعـــاء الأصدقاء المخلصينا
لكي يرعى شبابهـــم جميعاً ويحفظهم بخير سالمينـا

وفي قصيدة الفطر يقول أيضاً :

تكرم يا اله العرش واجعل بـلاد العرب للعرب الاباة

الطلب نطيف جميل .. ولكن هل يستجيب الله دعاءً بارداً ، أو دعاء بلا عمل . قد ابتهلنا كثيراً ، وصلينا وقرعنا الأجراس ولم نرد بذلك ضربة واحدة .. أهكذا يطلبون الاستقلال يا الياس ! أين أنت من سميك سيد الكرمل الذي قتل ٣٥٠ من كهنة البعل في ساعة من الزمن ، وحده ، كأنهم ذبّان ... وأخيراً طار إلى السماء على مركبة نارية قبل فدرين ولندنبرغ .

وفي نشيد « سورية » يأتينا بصورة غريبة عجيبة :

إن بلادنا سمـــاء لكنها ضمت اسود

فما ضرّ هذه السماء لو ضمت عقباناً ونسوراً !! ..

وفي « رسالة الوطن إلى المهجر » اعتاص علي بيته هذا في « الاجنبي » :

هو لولا مصالح حين تبدو منه يلقى تخشع الزهاد

ويلي هذا البيت أبيات تمنطق فيها سياسياً فعصته اللغة ، وفيها أيضاً

يجمع المحمل الناعم إلى شوك القتاد الذي ذكره كثيراً ، فلا أدري إذا كانت الاذن تعشق قبل العين أحياناً حتى في الشوك ... كان القتاد يخيف القدماء الحفاة أمـــا نحن فغلاظ النعال ، لا رقاقها ، كما قال النابغة في ممدوحه الغساني !! ..

وفي تحية « مصر » ذكرني « بايضاً » العقاد حيث قال قنصل :

يا مصر سعدك كان أيضاً سعدنا في دفع شر الظـــلم والظلام

أمـــا ختام القصيدة « وعليك مني ألف ألف سلام » فلا أروع منه إلا قولنا في الترحيب : يا ألف أهـــلا وسهلا ... «في « علوها » يحدثنا عن الكهرباء فلا تلهمه شيئاً ، بل يقول لنا :

نحن في عصر ،نا كهربه فتوارت ظلمـــات السبل
وهو يأبى أن يجاري ضعفنا راكباً للسبق مـتن الجمل

وهذه فكرة لاكها كل ناظم وناثر ، فلولا أرقام التاريخ وبعض أسمـاء العلم لخلنا الشاعر يعيش في المهد الصليبي ، فديوانه لا يمت إلى عصره إلا بصلة الأعلام والأرقام .

وفي رثاء « فيصل » — وهي ككل قصائد الديوان تعتمد على حركة الشعر الخارجية — يلجأ الشاعر إلى التعبير ، فيقول في غورو « ذاك الأعسرا » وهو لم يقم عليه حد ، وانما قطعت يده في ساحة الدفاع عن وطنه . ان هذا أكثر من شعر يا الياس ...

ورأى الشاعر أن يزيد القصيدة فخبرنا عن الشمس التي ينكر ضوءهـــا الأعمى ، حتى قال أخيراً لفيصل : وبزت في آي الشجاعة عنترا . رحم الله عبد الملك بن مروان الذي قال منذ اثني عشر قرناً : مـــا لهؤلاء الشعراء يشبهوننا بالأسد الأنجر ، والجبل الأوعر ، والبحر الاجاج هلا ...

وفي قصيدة « سلطان » باشا الأطرش ذكرنا الياس بسواي يهاب الموت أو

يرهب الردى. والبدع فيها أن يستعجل قنصل جداً ويقفز الى الفخر بشعره، قبل أن تدركه السن ، ولا يبالي بشبلي وبشارة فيقول :

ولي قلم ازهت به جنّ عبقر يحركه الاقدام سيفاً مجرداً

ثم عرفنا قنصل في هذه القصيدة بوزن لفظي جديد– والعصر عصر ابداع في الأوزان اللفظية – فقال : تشب على ضنك الحياة « صبيرة » ...

وفي هذه القصيدة ارتفع قنصل في مقطع منها الى مستوى الشعراء، وقبل الاشارة اليه اورد لك بيتاً غطى على قوله:تكرم يا اله العرش واجعل..وهو:

اذا رمتنيل الحقفاطلبه غاصباً من السيففي ساح بها الموتعربدا

وقنصل مغرم أيضاً بوزن غاي وساح ، وآي ، فكيف اتجهت في ديوانه تقع عينك عليها . أما ذاك المقطع الجميل فهو في صفحة ٦٣ وأوله : أشاهد في الشرق البعيد عواصفا الخ . .

مقطع رفيع الخيال ذكرني برؤى لامنه في « كلمات مؤمن » ولولاه لقلت لك : خلا ديوان السهام من الشعر . وفي قصيدة « بلغوا الغرب » يقول لنا : لا تكونوا مطيّة لذئاب .. وهكذا ركبت الذئاب كما طارت الاسود سابقاً ، وهذا يدلنا على أن الشاعر لا يعبأ بغير الوزن ، فمتى استقام له كان الشعر .

وفي ذكرى « استقلال » الارجنتين يستهل كلامه بقوله : عميق ولائنـــا يهدي السلاما ... فيذكرنا بالرسائل التي كانت تفتتح : بغبّ سؤال شريف الخاطر العاطر ، واهداء السلام الوافر ... وفي « شهيد ميسلون » قال أبياتاً كهذه الانموذجات ، أمـــا الكياسة والظرف واللطف فتتفجر من قصيدته « أأنت خلقت هذا الأرز » حين يقول للبنان :

فلو طلب الصغار لهُ خدينا لمـــا الفى سواك له خدينا

لا يا عزيزي، هذا كثير جداً ، فاسمح لي أن أقول لك انه وقاحةوصفاقة

وجه . وفي القصيدة أيضاً يهدي من وراء البحار لابناء « الأم الحنون » في لبنان هذه النصيحة الغالية . فيقول :

فجدّ الى اكتمال اليتم وافقد لرد مضائك « الأم الحنونا »

أراد باكتمال اليتم « الرشد والبلوغ » فخانه التعبير. ما لنا ولهذا، ولنعلق على هامش هذه الفكرة بعض كلمات : هـل صدقت يا أخي شعوذات مستر كراين ؟ .. وهل في مراكش والجزائر من يهيمون « بالأم الحنون » ...

●

أما لغة السهام فلا فقه فيها ، جاء التعبير مائعاً مشوّهاً ، وقد كفانا قـلم جريدة « الصفاء » المدقق مؤونة هذا النقد اللغوي فليراجع من شاء العـدد الممتاز ١٥٣٤ .

أما الأخطاء النحوية فاذكر ما لا يجوّزه منها أحد حتى ثعلب ويونس . الاولى في قوله : هو الحق فلتصغي النفوس .. والصواب بترك ياء فلتصغي . والثانية في قوله :

قد كفاكم على القضاء اتكالا وكفاكم من الجمود قرونا

برفع اتكالا وقرونا لانهما فاعل كفى .

وأخيراً نقول : سوف يضحك الياس بعد أعمار « طويلات »، كما عبر هو في تصدير ديوانه ، بل سيهزأ من هذا الشعر الذي افتخر به وعده عبقرياً ، وحينئذٍ يترحّم عليّ ، ويذكرني بالخير ويعلم اني كنت منصفاً .

وان قال أحد أإن قال لك الياس : ليتك تقبرني ، تحمل الجرفـة ؟ أجبناه : ان في هذا القبر لحياة جديدة ... وقيامة للدهر العتيد .

الشاعر القروي

أقدم اليكم نسخة من ديواني «الاعاصير» راجياً أن... بمطالعتكم ونصحكم ونقدكم الخ
رشيد سليم الخوري

يظهر لي ان جو البرازيل جو شرقي ، اعني انه جو شعري، فكأن أرواح أسلافنا — المغاربة — ما زالت تتردد في شعب تلك القارة ، وها هم واخوتنا الذين هاجروا الى ديارهم ينتجون الشعر ويقولونه دائماً . حقاً ان الارواح لا تموت حتى في الادب ، فاذا سمعت الشعر البرازيلي تهب عليـــك منه نفحة قدسية عربية، وكذلك ترى في شعر مهجرنا البرازيلي نفحة من ذلك المحيط .

أما الشاعر القروي — رشيد سليم الخوري — وهو من العصبة الأندلسية فقد صار أكثر من شاعر قروي ، وأكثر من شاعر مدني او اقليمي . صار شاعر الأمة العربية جمعاء ، ومن انصارها بشعره العنـــتري الحي النابض ، يتغنى بأمجادها ويدفع أحفادها إلى النضال والثورة على الظلم بكلام شديد

الوقع والدوي كأنه حجارة تقذف من منجنيق . وقلّ ان يبلغ الشاعر الكبير هذه المنزلة العليا العامة الا بعد مران طويل وعمل مستمر .

كان القروي كغيره من شعراء المهجر يحن ويئن ويتلهف . كان ينفخ في ناي حنون لأن مواضيعه كانت توقع عليه ، أما حين اتسع افقه فقد أصبح صناجة وأي صناجة ، بل قل أصبح موسيقى الجيش ، يتحد فيهـــا الطبل بالزمر ، والصنج بالبوق ، فيهز الارض دويها ويرقص القلوب فيصغر الموت في العيون .

نشأ رشيد الخوري في بيت على شط البحر المتوسط ، يقع في منتصف الطريق بين جبيل والبترون ، ولا يزال جانب من ذلك البيت قائماً، كما رأيته منذ أشهر . ومن طالـــع ديوان « القرويات » يدرك مبلغ تأثر رشيد بذلك المحيط ، فقد كاد أن يكون في قروياته شاعر أمه وضيعته وبلاده . فكيفما جلست في « القرويات » رأيت أمامك شاعراً يتذكر لياليه الحلوة ، وبحره المنبسط الهادىء الوادع . يتذكر أمه دائماً ويحن اليها . وكانت مجاعة الحرب الأولى فأسمعنا الشاعر القروي قصائد تبكي حقاً . كان يرثي أصحابه فيَبكي ويُبكي ، يود لو يستطيع أن ينجدهم ، ولكنه كما قال أبو الطيب :

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب

هذا هو رشيد الخوري الأول ، شاعر طموح الخيال ، قوي العاطفة ، يريد أن يخرج قصيدته بشكل طريف . شاعر مبدع يدرك ان الطرافة هي عماد الفن ، وأنه مهما قال على طراز من تقدموه فهيهات أن يلحق بهم ،ولهذا رأيناه في « القرويات » يمعن في إخراج قصيدته حتى يجلوها قطعة فنية رائعة ، ذات وحدة وسياق ، ونهاية طريفة كقصيدته « حضن الأم » التي تخيل فيها الشاعر رجلاً ضاق ذرعاً بالخلد ، واستأذن ربه بالعود من حيث أتى وإذا بنا نراه طفلاً في حضن الأم .

إن شوق الشاعر القروي إلى أمه كشوق أبي فراس إلى عجوز منبج ،وقد

رأينا هذه الفكرة تحتل المنزلة الأولى في شعره القروي ، فاسمع كيف تخيّل نفسه واقفاً عند المساء على قبور أحبابه الذين قضوا جوعـــاً في الوطن حتى ينتهي الى ذكر أمه :

أحبابنا وضع العشاء وأهلـــكم بالانتظار
وقـلوبهم لغيابـــكم تشوى على جمرات نار
قوموا نعـود إلى الحمى قد آذنت شمس النهار
أحبابنا ما ذي المضاجع في العراء على الجلامد
كيف الهجوع بموضع لا فرش فيه ولا وسائد
قـوموا نسير إلى الحمى قوموا نسيم الليل بارد

الى ان يخاطب نفسه في ختام احد مقاطع هذه القصيدة :

احبـاب قلبك أرمأت كفُّ الحمـام لهم فناموا

ثم يتساءل وهو في غمرة من اليأس لا تنجلي :

« بربارتي » هل بعد فيك من الاحبة لي بقيّـه
فارى اذا سمـح الزمان ولم تخيبني المنيّـه
أمّـا تراقب عـودتي وأخاً يرد لي التحيّـه

ان شاعرنا القروي لا ينظم الا متأثراً ، فما شعره الا رجـع صدى قلبه ودوي اوجاعه واحزانه ، وقد صور لنا نفسه في هذين البيتين ، حين قال :

لا انشد الشعر الا حين يحرجني سيف الزمان ويدمي قلبي القرح
مثل الفونغراف يبقى ساكتاً ابداً وليس ينشد الا حـين ينجرح

انه حقاً شاعر ألم ولهذا كان تأثيره عظيماً في نفس قارئه ، وقد رأيتني ، عندما قرأت وقفته على قبور احبابه ، اعود الى ذكرى تلك الايام التي كنا فيها : ندّفِن بعضنا بعضاً ونمشي ...

ولا ينسى القروي قريته حق في أجل قصائده مقاماً ، وأسماها روعة ، وأشهرها في عالم الأدب ، وهي « سقوط اورشليم » القائل فيها :

ان الألى سجد الملوك لبأسهم سجدوا بسوريا أمام قبور
عجباً لسوريٍّ يحقِر نفسه والخلق يسجد للتراب السوري

ففي هذه القصيدة ، وهي اشهر قصائده ، خاطب المغفور له الملك حسين (رضه) ، وتمنى عليه ، اذا زار سوريا ، ان يشمل بالتفاتة منه عش القروي ومسرح احلامه :

واذا مررت بضرب الامواج قف عند « الوطا » بالمنزل المهجور
فهناك بين جبيل والبترون لي عهد يقوّم يومه بدهور
وسل الشواطيء والكروم عن الألى كانت تعزّ بهم اعز الدور
حيث السماء بظل كل عريشة حيث الملاك بوجه كل صغير

هذا هو وجد الشاعر القروي واشتياقه وحنينه الى وطنه .

وبما ان الشاعر قرويٌّ كما سمى نفسه ، فلا بد له من ذكر كل شيء في القرية حتى البقرات . وها هو يختم ديوانه « القرويات » بأروع قصائده الوجدانية التي عنونها « بين البشر والبقر » . في هذه القصيدة ما شئت من موسيقى وما شئت من حكمة وما شئت من مغامز ، قال لافض فوه :

طوباكِ سارحة في القفر طوباكِ ان كنت أحسد مخلوقاً فاياك

●

الزّهر مثلك في الافاق تنتشر تخشى مروج العلى والليل معتكر
تالله كم يتمنى عيشك البشر ماذا تخافين في البيداء يا بقر
ان كنت تخشين من أنياب فتّاك طوباك فالجلد غير العرض طوباك

●

تشكين فصل الشتاء البارد القاسي ماذا اقول انا في عشرة الناس
نامي على الثلج نامي ليس من باس فالثلج غير فؤاد دون إحساس

وان تكن هاطلات الدمع تغشاك طوباك فالقطر غير الدمع طوباك

●

طوباك في مربع الحرية الخصب بين الأزاهر والامواهِ والعشبِ
لو تعلمين عن الافرنج والعربِ وما يلاقيه في الاوطان كل أبي
ما كنت تخشينمن سكنين سفاك طوباك فالموت غير الذل طوباك

ان الشاعر القروي في خطة موضوعه أكثر منه خيالاً في تفاصيله . أما في الشعر الوطني، كما سماه هو ، والقومي كما اسميه أنا ، فيبتعد عن الخيال ويحتل ساحة الواقع لأن فيها ما يكفيه مؤونة الخيال اذ يرى أمته معرضة للهوان ، وعليه ان يحرضها على النهوض من تلك الكبوة . مجال الشعر القومي مجـــال حقائق لا تجدي فيه الخيالات مهما سمت ، ولهذا أقول ان شاعر «القرويات» غير شاعر « الأعاصير » . فالأعاصير أعاصير حقـاً تكبُّ على الأذقان دوح الكنهبل ، كما قال امرؤ القيس ، في وصف طوفانه . وكيف نطلب خيالاً شعرياً عند من يريد أن يقول :

إن ضاع حقك لم يضع حَقّانِ لك في نجاد السيف حقٌ ثانِ
ما مـات حق فتى له زند ، له كف ، لهـــا سيف ، له حدّان
فابعث سيوف الهند في اغما ها تبعث بها الموتى من الأكفـــان

وبعد ، فهذا خيال جامح ، خيال له شأنه العظيم ، فالامم تحتاج في أزماتها إلى هذا الشعر الصارخ الناهض ؛ فهو يقيم الموتى من القبور وان لم يعمّر طويلا لأنه يستطاب طازجاً ...

والشاعر نصر فلسطين في اعاصيره ، فقال في موضوعها قصيدة من غرر قصائده جاء فيها :

ألأجـــل مبكاكم تراق دماؤنا ؟ دمع يسيل ولا دمـــاء تهدر
في كل مضطرب لكم مبكى فلِمْ هذا النعيب على الخرائب يؤثر

ماذا يفيد بكاؤكم وذنوبـــكم تطغى على قبر المسيح وتزخر
أقلقتم الدنيا بموطنكم أما من هوّةٍ فيها الأبالس تحشر

لا يتسع المجال لأكثر مما ذكرت عن شاعرنا القومي . الشاعر الذي برز في المقامين فـكان شاعراً سامي الخيال ناصع البيان ، لا غبار على لهجته ، ولا شك في اخلاصه . قد كان في نيتي أن أتكلم عن ألوان اخرى من شعر المهجر البرازيلي . ولكن عرفان الجميل قضى علي ألا أذكر أحداً مع هذا الشاعر المجـــاهد . وان أتناوله بالكلام وحده ، لأنه نسيج وحده ، ونحن اليوم في أشد الحاجات اليه .

ولعلي أعود إلى هذا الموضوع فأدرس الشعراء الآخرين كفرحات وغيره من مشاهير اندلسنا الجديدة .

الياس أبو شبكة

شاعر الى الأبد

وجه اميل إلى الطول منه إلى الاستدارة ، يزينه أنف ذو شأن نبيه ، وان لم يبلغ شأو أنف ابن حرب . وعينان لا تستقران كأنهما محاجر مسك ركبت فوق زئبق . أما أديم ذاك الوجه فترابي اللون .

يحثم رأسه البين بين فوق كتفين كأنها ميزان معلق في الهواء ، فالكفتان دائماً تترجرجان ، وقلمـــا رأينا القب على العاتق .. اما الجبهة فمجعدة ، ولكنها تناطح الجو ، فالشمم في ذاك العرنين ما فارق صاحبه حتى على فراش الموت .

كان إذا قـــال لك : حياك الله وبياك ، وتلك كانت تحيته التقليدية ، تخال انك قادم على شرّ . حتى إذا ما قعد واستراح اخذت غيمة السوداء تنقشع رويداً رويداً ، ثم يكون الصحو التام .

كان مرهف الحس قد تغضبه كلمة لا تحسب أنت لها حسابا ، أما إذا

انتقدت شعره ، او فاضلت بين نثره وشعره فأنت عدو لدود ، ولا صلح حتى تقوم ناقة صالح ...

خلق شاعرنا العظيم ناريّ الشعور لا يحتـــاج إلى اكثر من عود ثقـاب ليشتعل ويطير شعاعاً . فهو أرق من النسيم متى راق ، وأجن من الأعصار متى ضاق .

التقينا ، قبل ظهـور الداء فيه ، في دار المكشوف فقلت له : استعد لرثائي ، وامح من قلبك ذنوب النقد فالموت غفـّار . فأجاب : أنا مستعجل. ارثِ أنت وكن منصفاً .

كان يقول لي ، كلما اجتمعنا ، انه أعد رسالة جواباً على نقدي ديوانـــه « أفاعي الفردوس » وكنت كلما رأيته اطالبه بها وأسأل أين هي ، فيعبس ولا يضحك كهند عمر حين يقول : بعد غد ... ثم مضى لسبيله ومـــا جاء ذاك الغد ... فكم أنا مشتاق إلى معرفة ما فيها .

ومرض الصديق العزيز فعدته مرتين ، وقـد علقت بذهني صورة ذلك الكاهن الذي دخل ليصلـّي له ، وأنا عنده ، فاذا بشاعرنا ينسى أنه مريض فيقعد في فراشه بخفة عجيبة ، و « يصلـّب » برشاقة كأنها لمع اليدين الذي تراءى لامرىء القيس ... فخلت انني أزور الشاعر الفرنسي فرلين قبـــل الاحتضـــار .

عاش الياس للحب والشعر ، ولست أدري من الذي أفضـل منهما على الآخر ، أحب الياس الذي أحيا شعره ، أم شعر الياس الذي خلـّد حبه .

كان الياس يعزف على أوتار عديدة ، فهو في « القيثارة » و « الالحان » غيره في « أفاعي الفردوس » و « غلواء » ، وهو غير هذين في «نداء القلب» و « إلى الأبد » . كان شاعراً هائجاً كالنمر في الأفاعي وغلواء ، وحسبك منه هذا البيت :

تراب القبر أنعم من فراش على جنبيه ثعبان وحوت

ثم صار كالبحر الساجي في « الألحان » و « نداء القلب » ، وأخيراً استحال حباً خالصاً في « إلى الأبد » . ان شعر أبو شبكة كله مستمد من شؤون حياته وشجونها . انه هو نفسه موضوع شعره فما خرج قط من حيز ذاته . وصف افراحه وما أقلها ووصف آلامه وما أكثرها . ان حبه لحب باكٍ . واذا كان لكل شاعر قطب تدور عليه رحاه، فمحور شعر الياس الحب. هو الشاعر الرومنطيقي الصرف . متأثر بالتوراة مستغل لها كالرومنطيقيين العالميين ، وكم في التوراة من مرعى سمنت عليه الرومنطيقية . وكما تدلل بعض الشعراء على ربهم كذلك فعل الياس في بعض شعره وأخيراً مات وملء قلبه رجاء وايمان .

ترك شاعرنا الياس أثراً بعيداً في نفوس الشباب فقال الأديب الذي رحل منذ أسابيع — الاستاذ فؤاد سليمان — حين ظهر ديوان أفاعي الفردوس : الياس أبو شبكة يسوق الشعراء بسوط من نار !!

أحدث موت الشاعر اللبناني فراغاً كبيراً في دنيا الادب فقام صديقه الوفي الشيخ فؤاد حبيش بطبع كتاب عنوانه الياس أبو شبكة ، فكتبه معظم الادباء البارزين معبرين عن آرائهم في الشاعر الراحل ، فكان الياس في نظرهم جميعاً شاعراً كبيراً مهر الشعر المعاصر بطابع خاص . ولم يكتف الشيخ الحبيشي بهذا بل نشر في آخر الكتاب نتفاً من مذكرات ورسائل تلقي نوراً على زوايا حياة الشاعر فتنير الطريق أمام الداخلين إلى دهاليز شعره .

شعر الياس أبو شبكة وليد حالات نفسانية، كان ذا نفس متقدة وشعور حاد ، فعبّر عن آلام لا حد لها ولا طرف . ينتقل من ليلة قيسية إلى ليلة نابغية ، والصبح منه بعيد . متأثر بشعراء الفرنجة ولكنه ما مدّ يده الى حوائجهم وان اشبههم في حبهم الصاخب . يعرف ميسه وبودلير ، ويستلهمها ولكنه لا يشتهي مقتنى غيره فيقطع منه ما استطاع . ينحو نحو الفرد ده

فيني في استيحاء التوراة ، ولكنه لم ينظم الموضوع عينه . لم يذكر سدوم ، ولا دليلة وشمشون الا لغرض في نفسه . فهو لم يعرض كغيره لبنت يفتاح ليقول في موضوع ما بل لأن له هناك مأرباً .

في خلقه اباه حتى العنهجية ، يريك نفرات هي بنت عم الجنون كلالة ، في أحشائه آلام متقدة ، آلام من الحب ، آلام من أعباء الحياة، حب مجنون يشمخر كوقيد البـلّان ، يتعالى حتى يدرك السقف ثم يهبط رويداً رويداً .

أرأيت الى القدر الفائرة وقد بلغت الجمام؟ فنقطة ماء تردها الى مستقرها قبل الفوران . هيجان ، فوران ، غليان ، هذا هو الياس الشاعر .

شاعر رومنطيقي من الطراز الذي حدده لانسون : غضب في الهوى ، وغرابة وقحة في الألوان المحلية .

محموم يتذكر في دور حمى الحب الجديد جميـع ما مرّ به من نكبات القلب . هوى عاصف يكب على الأذقان دوح الكنهبل ، ولا يترك من تياه جذع نخلة .

لم يكن يعنيه ما يعمله غيره ، يريد أن يبني بيته على هواه ، وهو معجب به ويريد أن يعجب به الناس . يحب العراك الادبي ويشد شدات لا بأس بها ولكنه لا يثبت ، يكر ويفرّ .

قرزم في القيثارة، واشتد في أفاعي الفردوس، ومشى الهيدبى في غلواء ، ورق في الألحان ، وأرسل السراج لهبة الانطفاء في « إلى الأبد » .

الشعر عنده لغة القلب ، وخيره مـا كتب بالدم . سوداوي المزاج ، لا ينظم إلا مهتاجاً فيؤثر شعره في قارئه . فموضوع شعره – من أوله إلى آخره – الياس أبو شبكه . هذا ما ظهر لي إلا إذا كان الياس نهماً لا يشبع. ولهذا أرى الكآبة سائدة على شعره .

هو شاعر كبير في وصف الآلام الحبية التي يشوبه الشك في اخلاصها ،

وكأنه اتخذ شمشون موضوعاً ليصف اهتزازات قلبه الجبارة ويتهدد بسقوط البيت على ساكنيه ...

يصور أحسن تصوير خيبة الحبيب ولكن بكبرياء فيها كثير من انسحاق القلب . وهو إذ يصور نفسه وبلاياه الايوبية تحسبه يحدثك عن غيره . قلب لم يهدأ ، وآلام ما انقطعت إلا لتتصل ، فكأنها الليل والنهار يتبع أحدهما الآخر ، وهكذا دواليك .

لست أشك أن فرح الياس لا يخلو من الألم ، فكأنه صورة الدنيا التي يسميها غيري وادي الدموع . لا يفكر ولا يتفلسف ، كثير النقّ ، والخلاصة ان الحب الباكي لهو حب الياس ابو شبكة ، حب شاعر « إلى الأبد »

لكل شاعر محور ، ومحور شاعر « الى الابد » الحب فأبو شبكة لا يدع لغة اللحم والدم حتى في « الألحان » ، فيهيب بالفلاحين :

هيا احصدوا ، وانشدوا الحب قلب ويد ، والعمر زرع وجنى

وفي « المساء في الجبال » ينشد أيضاً :

اسمع في الوادي رنين الجرس يذيب روح الله في المتعبين
فتنحني نفسي ويصفي النفس ويطهر الحب ويبقى الحنين

هذه أبرز خصال الشاعر الرومنطيقي . فهو يرى نفسه في كل شيء من الندبانة حتى العجرمة . وهذا شاعرنا ، في « نداء القلب » يذوب قلبه في إناء من الهوى ويعرضه على الانس والجن . لم ينفق هذا الترياق حتى عند زملائه الشعراء ، فكان صاحبه أحق برزقه ، كما قال :

فأدنيته من مُرشفي وشربته وما زال ماء الحب ملء اناثي

وما دام له الحب فهو بألف خير لأنه :

إذا هجر الحب دنيا القلوب فما تنفع الحطم الباقية

لا يقول شاعرنا في الحب لأجل الشعر والفن ، بل لأنه شكوى تباريح ، وعرض ملاذ ، فهو في أناشيده كالطير في تغريده ، والجمرة لا تحرق إلا في موضعها ...

أرى بين الياس ابو شبكة وبين عمر بن ابي ربيعة قرابة فنية دموية ... والفرق بين الشاعرين هو أن هذاك من الطيور القواطع وهذا طائر مقـــيم . هذاك حبيباته كولائم الأعراس - عبد هارب - منهن طعام يد ، ومنهن طعام يدين . وهذا يريد أن يجعل من واحدة فقط مأدبة سرمدية . ففي « الى الأبد » سلام واطمئنان كأن الشاعر في ليلة القدر ، أطفأ الفانوس الأحمر وأسرج قنديلا أنقى نوراً من قلب الألماس في خنصر الحبيبة .

لم يحدد شاعرنا حبيبته جغرافياً لأنه لا يخشى اعتداء على تلك التخوم ، ولم يحول وجهه صوب عرائس التاريخ - اللهم إذا استثنينا الاسم ليلى - لأنه لبناني يؤمن بالملكية الضيقة ، ولا يعرف الاقطاع والمشاع .

ما شبهت شاعرنا الا بوافـــه - سكرستاني - ورع يعرف كيف يوقر الهيكل على أعين الناس ، فلا يمر أمام قدس الأقداس إلا متهيباً . جلل حبه الجديـــد بطرف من الجبّة الفارضية . حب عميق ، قريب بعيد ، يتراءى كضوء مصباح ضئيل في ليلة سوداء . قد تطوّت تلك « الأفاعي » وليس هنا غير حب جديد ، حب ليس لتلك الانسانية فيه أقلّ وصف للجسد ، فكأنه من العالم الثاني . أفهمنا الشاعر ما يريد لأنه فاهم ما يقصد ، هو واعٍ ونحن واعون ، والحمد لله . لا يغمغم كالذين جعلوا من عشرات الألفاظ قبوراً للفكر الانساني ، فانقطع شرر الوحي . ان شاعرنا هنا غيره في «الأفاعي» و « غـــلواء » ، مع الاحتفاظ بالصلة الفنية والصبغة الشخصية . لا أنكر ضراوة معركة « الى الأبد » ولكن جبهتها بعيدة عنا جداً ، فاتسمت بالسكون ، وهنا سموّ الشاعر الملهم .

قال عمر بن عبد قيس : إذا خرجت الكلمة من القلب وقعت في القلب ،

وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان . فصرخة شاعر « الى الأبد » خارجة من الأعماق لتستقر حتى في أعماق الذين لم يبق عندهم غير فضلات المأدبة ... ان العاطفة الفائرة كالنهر المنحدر ، هـــذا يصقل الحجارة حتى النخاريب منها ، وهذه عبّدت طريق الفن فجاء نشيد « الى الأبد » موسيقى خالصة .

أما الموضوع فوصف أحوال الشاعر في ثلاثة أعوام . شعر من أصفى الشعر وأسماه ، يصور الشعور الانساني في هذا النعيم المقيم ، مع تلك المخلوقة : قلب يدق وعين ترى .

فاسهري فالعجوز نامت على المسند سهرانة . . . عليها السلام

ان تلك المرارة وذلك الغضب لا تجدهما في « الى الابد » . ان بطلة « أفاعي الفردوس » عينها شاردة ، ورأسها خفيف ، وصاحبهـــا ، ككل عـــاشق ، عينه ضيقة ، فقام بينهما القرد ... أما هذه ، رضي الله عنها ، فراضية بما قسم الله لها .

ان الشعور الانساني يهتز كاملاً غير منقوص في هذه الملحمة الحبية ، إن صحّت التسمية . فكأنها أجزاء كائن حي ، يتمّ بعضها بعضاً . ان عنوانها شغل بالي ، وليس هنا مكان هذا البحث ، وأرى شِعرها قد ارتفع الى ذروة الشعر الغنائي ولم يعرقل القصص سير الفن . هناك وثبات رائعة تدل على خيال مرح مرخى له الزمام ، الشاعر طروب جداً في حبه الجديد ، يراه كيوم لذة ، دونه يوم دارة جلجل ، ولا عيب فيه غير خوف شاعرنا على انقضائه . وكأنه وسمَه بعنوان « الى الأبد » تفاؤلاً ، كما سموا القافلة والسليم .

أحسن الشاعر الى فنه وإلى الناس إذ خبّأ العمل ... فلم يقع فيما وقع فيه عمر ... استعـــان كالمصور اللبق بغلالات رائعة ولم يعمل بقول الوقاح من العاشقين « بحنا واسترحنا » ، فالبائح والبائحة يهتكان سبيل الحب .

ان « الى الأبد » واحات ، وبين الواحة والواحة فجوات وأحداث .وفي القص الأخير تذكرني الحبيبة بسذاجة الطفولة ، فشاعرنا يقص عليها ، وهي تقول : قل بعد ، ثم ماذا ؟ والشاعر يقص ويجيد ، فيسمعك ثرثرة الينابيع في الوحدة الخرساء ، وهكذا يكون شعر العاطفة ، ولمثل هذا شبهوا شعر عمر بالفستق المقشر ، في عصر الخشونة والضخامة .

يفتح الشاعر طاقة على الشعر الحديث ولكنه لا يطل منها الا عرضا ، فشأنه في هذا شأن كبار الشعراء العباسيين،له وثبات رائعة جداً لايتعمدها ، وقد أحسن إذ دفع الينا نشيده الرائع بلا مقدمة . كان له عذر فيما مضى ، فعلى من يرسل « أفاعيه » أن يحذر الناس .

أرى الشاعر ، اليوم ، في حرم ولعله تخيل ذلك فبدأ نشيده بالصلاة ، كأنه كاهن الحب الأعظم يصلي قبـــل تقديم الذبيحة أو المحرقة . إذا قدم ابراهيم ابنه محرقة ، فالياس – والياس نبي – يضحي بقلبه اليوم. ولالياس، بعد المحرقة ، لفتة الى سواه كلفتة سميّه الى كهنة البعل . لم يقتل ولم يذبح مثله ولكنه اكتفى بالقول :

نحن عدن وهم مكان مريب شقيت فيه أعـــين وقلوب

أما فاتحة هذا النشيد الحيّ ففيها دلال متناهٍ . سقطت فيها بين الشاعر وبين ربه كل مؤونة وكلفة حتى أدرك مار افرام ، وفعل كما قال داود بعد ما أكل الخبزين ... خبز التقدمة ورغيف أوريا ... – : القى على الرب همك وهو يعولك . ولكن أخا عمر زاد على داود شاعر التوبة عتاباً حلواً ، وجهه إلى من على العرش استوى بقوله :

ان تكن تحرم العزاء المحبين فماذا تركت للشعراء
رب صنها وأبقها لي ظلاً من حنان يمتد في صحرائي
وارفع الألسن الخبيثة عنها والأذى في اللواحظ السوداء

وهنا يعتورني شك فأقول : لماذا قال سوداء ولم يقل زرقاء ؟ والكلمة المأثورة : العين الزرقاء كالسنان . إذا صدق الظن كانت عين هذه المليحة ، حرسها الله ، زرقاء . والله أعلم .

وبدلاً من أن يثور الشاعر ويتفلسف ليبرهن لنا أن حبه مقدس لا اثم فيه ولا حرج طفق يحدث ربه غير متكلف وسأله أن يحول عينه عن كل انثى سواها ، وأن يسكتر سمعه عن الأنباء ليظل متمتعاً في نعيم هذا الحب المقيم، ولكن ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه، وإلى أين نهرب من وجه هادم اللذات .

ثابت ، وسيد الأهل ، ونازك الملائكة

عشتروت وادونيس عنوان قصيدة طويلة النفس نظمها الشاعر الطبيب حبيب ثابت . وقد سميتها ملحمة توسعاً . أما اخراجها فأحسن اخراج . تأنقت مطبعة دار الأحد في إلباسها أجمل حلة عملت فيها اصابع الفن جهدها، كما صرف الشاعر اعواماً على نظمها . لقد فاق حبيب زهيراً في تهذيبها ، لأنني أذكر أنه قرأ لي مقطعاً منها منذ سنوات لا تقل عن العشر .

ان موضوع ادونيس وعشتروت موضوع عالمي تناوله الشعراء كثيراً في الغرب ، حتى شكسبير العظيم ، أمـا عندنا فعشتروت حبيبة قلب شعراء الشباب ، أصحاب الشعر المخضوض والمعشوشب حتى المحمومر ... ان الدكتور ثابت لا يستولي على أمد التطرف مثلهم ، ولكنه منهم في كل حال . شعره طلي ، ناعم ، ملوّن ، بل كثير الألوان حتى التدبيج ، فلا يخلو مقطع من أحمر وأبيض وازرق واخضر . ليس هذا عيباً ولكن الشيء متى كثر يمل ،

وعلى كل فأنت لا تمل انشاد الشاعر حبيب ثابت ، ولهذا أعرض عليك نتفة من مدخل الملحمة وعنوانه « في هياكل بعلبك » :

هياكل في السهل مرفوعة للحب واللذات احجارها
ساحاتها وجد ، وجناتها وماؤها الجاري وازهارها
الشهوة الحمراء في جوها لا تنطفي عبر المدى نارها
والليلة البيضاء هفهافة مواجة بالنور اقمارها

ثم تدخل عشتروت فيقول فيها :

لعشتروت الزورق الأخضر يسبح في النور ولا يعثر
يضرب صدر الغيم بمجذافه وخلفه الأجواء والأبحر
وعشتروت ان خطت خطوة تلفتت من حولها الأعصر

لا شك في ان عشتروت جميلة ، وشعر شاعرها حلو طلي ، ولكني صرت أرى موضوعها مبتذلا جداً ، فعسى أن يأتينا الدكتور غداً ، وفي يده سلة زهور كهذه من حدائق حياتنا الحاضرة. الدكتور حبيب شاعر مقل ولكن قليله جيد ، وقد يفتش أشهراً عن الكلمة الملائمة وشعاره في شعره : الفن للفن . ولو كان صاحبنا ذا مخيلة أقوى لأدرك بما أوتي من نعمة الصبر ، المقام الأرفع في دنيا الشعر .

ملحمة القالوجة

هكذا سمّاها ناظمها الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل المصري . ومن منا لم يسمع بالقالوجة ، وبطولة الجيش المصري الباسل التي شاء عبد العزيز أن يمجدها بأناشيده . قال الاستاذ في مقدمة ملحمته هذه :

لم تتسع اللغة العربية لهذا النوع من الشعر بسبب القافية التي لا غنى للشعر العربي عن موسيقاها ، وقد استعاض العرب عن الملاحم بقصص شعبية تجمع بين النثر والشعر . ولكن الشاعر اللبناني المبدع الاستاذ بولس سلامه قد

اقتحم هذه العقبة فأنشأ « ملحمة الغدير » ... ثم يقول : « وقد رأيت أن أغير في ذيله ، فاخترت موضوع الساعة وهو الفالوجة لأناجي قومي الأحياء». انه جهد يشكر عليه الشاعران سلامه وسيد الأهل ، فحسبهما انهما حاولا عمل الملاحم ! ! أما قال شاعرنا :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده وليس عليه ان تتم الرغائب

بدأ هوميروس الياذته مناجياً ربة الشعر قائلاً :

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا حدثينا واروي احتداماً وبيلا

ومثله ابتدأ سيد الأهل مخاطباً ربه :

يا إله السماء كن لدعائي وهب الخير يا إله السماء

إلا ان سيد الأهل ركب في ملحمته مركباً خشناً لم يركبه زميلاه هوميروس وبولس سلامه ... شاء ان يجعل قوافي اناشيده على حروف الهجاء كافة ، كما فعل الحلّي وغيره من قبل ، فانجر الى القول مثلاً :

لم يدعهم يحتال حتى ارتضوه فمشى في الصفوف كالجرواض .

وقال أيضا :

كلما قلت هدىء الروع حيناً قال اني نسلت من ملظاظ

وهكذا دواليك . ولكن الاستاذ سيد الأهل يرى خفة وسهولة في قوافيه التي لا تقل بعض كلماتها عن القنطار ، ولهذا أنبأنا في الصفحة الخامسة عشرة انه اضطر الى الأخذ بالسهولة والوضوح للاسراع لئلا تتأخر الملحمة . لقد أصاب فبرودة الشوق نكبة ... ولكن اذا كانت الجرواض وملظاظ تُعدّان سهولة ووضوحاً ، فكيف تكون الصعوبة ! ! ! اننا نرجو أن لا يسرع في الملحمة الآتية لتجيء كما يروم من الصعوبة فلا يضطر الى تقديم الأعذار بين يديها

ان من يقرأ دراسة ابي تمام وأبي فراس لسيد الأهل يـــدرك انه عتيق الأسلوب ، وقد دلنا على ذلك « تعبيره في ذيل بولس سلامه !!) مع ان صديقنا بولس سلامه مقعد منذ سنين . شفاه الله ...

شظايا ورماد

هذا ديوان ثانٍ عنوانه « شظايا ورماد » للشاعرة العراقية الآنسة نازك الملائكة . لقد تطرفت « عاشقة الليل » في ديوانها الجديد ، وكأنها قد أدركت ان شظاياهـا لا تؤلم ، ورمادها لا يطرف عيناً ، فحاولت شرح ما تعني في مقدمة ديوانها . وإذا سلمنا بثورة نازك على الأوزان والقـــوافي فهل نسلم بثورتها على اللغة . فرويداً رويداً .

قد رأيتها في ديوانها الجديد تتجه نحو الرمزية اتجاهاً عنيفاً . فهب انها وفقت في بعض خطراتها فانني أخشى عليها شر التطرف في الشعر ، والفكر ، والتصور ، والتصوف . .

رفيف الأقحوان

للدكتور فياض

الدكتور نقولا فياض شاعر وطبيب وكاتب وخطيب . شاب شَعْره ، وشبّ شِعْره ، فهو في شيخوخته أشعر منه في شرخ شبابه . أدركته حرفة الأدب فعاف جالينوس وأبقراط وراح يفحص قلوب المحبين بتدقيق كلي ، تاركاً القلوبَ الضعيفة المريضة حقاً تندب حظها . . . فاذا سميناه شاعر القلب فبحق ندعوه هكذا . اننا ما زلنا نذكر قوله الذي دار على السنة الناطقين بالضاد ، منذ نصف قرن :

وخفوق القلب داء مزعج حيّر النـاس فقالوا عصبي

كما لا ننسى أيضاً قوله للكاتبة الشهيرة مي – ماري زياده – من على منبر الجامعة الاميركية ، وقد كانا كلاهما مدعوين من مصر لالقاء كلمة :

يا ميّ هذي ساعـــة الميعاد فسلي فؤادك عن خفوق فؤادي

ومن ينسى ترجمته الشهيرة لقصيدة الفرد دي ميسه التي مطلعها :

اذكريني كلما الفجر بـــدا فاتحاً للشمس قصر الذهب

لقد شغل فياض ناشئة زماننا حيناً ، وهو لا يزال يثبت وجوده ، وكما يكون الاثبات . فكلما دقت ساعة دق قلب الشاب الكبير وهب، إما ليلقي قصيدة أو ليرتجل خطبة . جدد الدكتور في فجر عمره وضحاه وما زال في كل آن يستوحي ربة الجديد . وشاعرنا يعترف بهذا في فاتحـــة ديوانه اذ يعرفنا بذاته حين يقول :

ما سكبت الجديد صرفاً بكاسي لا ولا ذبت في القديم اسراقا
شاعر لم ير الشباب سوى حـلم فلمـــا مضى الشباب أفاقا

كان فياض في نظرنا نحن ناشئة ذلك العصر مثالاً يحتذى. كنا نرى الجديد في ترجمته وفي بعض وثباته ، ولكن هذا البلبل الصداح سكت حيناً ، او كان يقول شعر مناسبات ، الا أنه منذ أعوام حن الى ذكرياته فعاد الشيخ الى صباه ، فتذكر الناس ما نسوا له من يد بيضاء انعشت الادب حيناً .نهض ينظم شعراً جديداً فقال قصيدة رائعة ، عنوانها : الأرض تخاطب الانسان . فهو في هذه القصيدة —التجديدية— يعرب عن ميله الى حب السلامة فيبكت الشر بلسان امنا الأرض التي يحبها ولا يراها وادي البكاء والدموع. قد تلحظ تشاؤماً هنا وهنالك في شعر فياض ، ولكن للشاعر انتفاضات كانتفاضات العصفور بلله القطر، وان كانت الراحة الكبرى عنده في الرجوع الى التراب. من يتصفح ديوان « رفيف الاقحوان » ير فيه تاريخ حقبة ، لما فيه من شعر مناسبات ، ولا عجب في ذلك فهو من الشعراء المخضرمـين الذين مرت على رأسهم حوادث جليلة وانقلابات خطيرة ، وان حق لها أن تخاطبه بقول الشاعر القديم :

تمرون الديار ولم تعوجوا فقد كانت زيارتكم لماما

وير أيضاً تصور الشاعر وحياته ، من شباب الى كهولة فشباب . وما اعني الا شباب الفكر والقريحة ... ولكنه قد يكون أساء الى فنه الشعري حين حشر كل ما قال في هذا المجلد حتى القصائد غير التامة ، وحتى بعض شعر نظمه لمسرحيات لم تتم. وحتى وحتى ... فكأنه قد أراد أن يرينا جميع نواحي نفسه وأفكاره كما خلقت . ..وفي هذا تمهيد لمن يرغبون في درس شخصية الدكتور في الدهر العتيد ، بعد العمر الطويل .

لا أدري لماذا جمع في ديوانه كل هذا ؟ قصائد تتمرغ في الثرى وقصائد تناطح الثريا والسهى ... اليجعله كبيراً !! انه يستطيع ترك نصفه ويبقى له ما يؤلف ديواناً يملأ العين ، لو اتبع طريقة اخراج دواوين اليوم التي تقلد علب الشكولاتا ... وقد أضحكني قول الدكتور معتذراً (لبعض الادباء الذين تفضلوا بتقاريظ شعرية لهذا الديوان ولا نعلم كيف ضاعت) .

فألف حمد لمن لا يحمد على مكروه سواه . ان ضياعها الف نعمة كريم ، وهو الذي يخلق ما لا تعلمون . قد كان ينقص القدر هذه الباذنجانة ، لتصير طافحة وملآنة ... لقد صدق ابو تمام حين قال : شعر الشاعر كأولاده ، فهو يحبهم كلهم . . ولكن حب دكتورنا الجليل كان حباً أعمى ! نعم ان في السقط دلالة على طبع الشاعر وتطبعه ، ولكن الفن الشعري لا يدرس جيولوجياً !! أجل لا يخلو شعر شاعر من رديء ، ولكن السقط يذهب كسقط الزند، فهو لا يكاد يضيء حتى ينطفي . . ولهذا نقول في هذا الديوان : فيه رفيف اقحوان ، وفيه حفيف هشيم ، وجرس حصاد . ان رأفة الشاعر بشعره قد جعلت ديوانه أشبه بدكاكين السمانة ، فيه الكبريت إلى جانب كبش القرنفل ، والملح حد السكر ، والنفتالين جار البخور والعنبر والند ، وبتشبيه آخر قد يلذ للدكتور اكثر، وهو ان ديوانه هذا كالمنجم تبر وحصى .

لقد أحسن الدكتور إلى الجيل الطالع في زمانه بما ترجمه لهم من شعر رائع ، فكان في ذلك داعية التجديد ، وإذا أردت أن تحكم على شاعرية

الدكتور فياض حكماً صادقاً فدع المواضيع الخاصة التي قالها شعراً في هذه المناسبة وتلك ، واقرأ له مثل : البحيرة ، والمرأة ، والشاعر ، ومهرجان المتنبي ، والارض والانسان ، والشاعر والموميا ، والأعمى الجائع . وأروع من هذه كلها قصيدة يا ليل . حقاً انها وجه القماش فهي رمانة سكرية محشوة حشكاً بالحبات اللذيذة ، وكأنها موقعة ايقاعاً موسيقياً يهز النفوس .

وللشاعر فياض قصائد نضالية تنبعث منها الروح القومية والحرية وفيها يهاجم الشاعر الطائفية مهاجمـــة عنيفة ، وحسبه هذا البيت مما قاله في هذا الباب .

أفدي بمال الأرض دين مجاهد وأبيع دين المستغل بدرهم

ولعلي أكون محسناً إذا أرشدت القارىء الى قصيدة فخمة تعد من خير الشعر قديمه وجديده ، قال :

لا تحسبي اني رميت سلاحي من بعد ما نزل المشيب بساحي
تلك الخيوط البيض تكسو هامتي هي من غبار وقائمي وكفاحي
ليس التجعد في الجبين بضائري السر تحت جبينك الوضاح

دامت لك هذه الهمة يا شيخ الخطباء ، بـل يا شيخ الشباب !! ان بيتك الأخير يذكرني ببيت حفظته في صباي :

يا هند لا ترهبي شيبي ولا كبري فهمتي مثل حد الصارم الذكر

وهنا أقف لأقول : ان في ديوان رفيف الاقحوان قصائد لا تستحق ان تنتقد ، ولو اردت أن افلّي ديوان فياض لفاض حولنا وحوالينا من رديء الشعر ما نحن في غنى عن إثارته ، وأكثر هذا مما كان يقرزمه في أيام صباه فما شعر صباه غير شعر صبي ...

والشاعر فياض يجيد القص شعراً وان لم ينظم قصة بالمعنى الأكمل . اقرأ

حكاية « البنفسجة الطموحة » وغيرها . أما المدح فيجيده الدكتور ويحسن التصرف فيه ، ولذلك قلت فيه حين سمعت مدحه لفخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري في بتدين : ومدحه فياض مبتدراً ، ومدحه الأخطل الصغير مبتهراً ، ومدحه الملاط مذدكراً .

وبعد فقد عمل الدكتور ما عليه ، فجده ما استطاع في الشعر والنثر . انه رجل لا يجد الغرور الى نفسه سبيلا ، بل يعرف ما عند نفسه ، فله الشكر على ما أبدى وأسدى . بارك الله في عمر كله خير وبركة ، ومعاذ الله أن نجرح مجرّحاً ، كما قال أبو الطيب ...

عمر النص وعبد الصاحب الموسوي

كانت لنا أيام

هو عنوان ديوان عمر النصّ الشاعر الشامي . لا اعرف شيئاً قبل اليوم ، عن عمر النصّ ، بل لم اسمع به ، ولم اقرأ له حرفاً ، ولا استحي ان اقول انني استعنت بخطّاط لأتبين اسمه الذي احترت بقراءته لاني لم اجده مكتوباً بالحروف المطبعية . اما توقيع الاهداء فطلسم آخر . . واخيراً عولت على ان اسمّيه عمر النصّ ، لا عمر الناصر ولا عمر النصر كما بدا لي اولا . قد يضحك القارىء من كلامي ، ولكنها حقيقة يسرني ان اصرح بها لعل المؤلفين لا يكلفونني في قابل مثل هذه المشقة في قراءة عناوين كتبهم وتواقيعهم .

اما شعر الديوان فقد اعجبني وما كنت احسب ان سأقرأ فيه شعراً بحتري الديباجة حلو النسق والسياق ، صافياً نقي اللون كوجه خولة طرفة. حقاً ان في « كانت لنا ايام » شبهاً كثيراً بالطريقة الشامية التي اطراها صاحب كتاب يتيمة الدهر في مطلع كتابه . فالشاعر متأثر بمقدار بمدرستنا

الشعرية الجديدة ، مع المحافظة على رصانة القديم وفصاحته ، وهكذا تعادلت كفتا ميزانه . نفَس لا بأس به ، نسيج دمقسي استمد من الارجوان لونه الفتّان وتموجاته الباهرة .

اما ما شكوت منه فهو الموضوع الواحد ، والوتيرة الواحدة ، فقد كنت في ديوان عمر النص كمسافر بلا رفيق ، او كالمتنبي في شعب بوان اشكو الوحدة لا غرابة الوجه واللسان . ولكن الكربة انفرجت عندما وصلت الى « الشبح الزائر » فشعرت بتغير في الجو . كنت كمن يمشي بين رياض ولا يسمع فيها صوت نابس حتى بدا له شخص راعه اولاً ، ثم اطمأن اليه واستأنس به فيما بعد . ففي قصيدة « الشبح الزائر » تغيير وزن ، وفيها حوار أدبٌ اليها جدولاً يتسلسل كما قال الاخطل في ام حبيبته ... وهكذا انتعش الديوان الذي كله على نمط واحد .

في ديوان النص رعشات واهتزازات ، وحسبك منه عنوانه العذب الشجيّ ، والكتاب يقرأ من عنوانه كما يقال ، اما روائعه فهي : من الاعماق، وورقة ذابلة ، وهباء . وللشاعر ، عدا صوره المليحة ، تعابير طريفة ، ولكن له ايضاً ، بعض ألفاظ كان الاحرى به ان يفتش عن غيرها ، قال :

وتلوى اليأس في عينيّ واظلمٌ دجاه

ان لفظة « اظلمٌ » بنت عم اطلخمّ التي عابوها على ابي تمام . كان يستطيع الشاعر ان يقول : اسود دجاه او اشتد دجاه . وألومه ايضاً على « نازفاً » في قوله :

نازفاً فوق بقاياها اضاليل حياتي

فقد يتقزز القارىء من كلمة « نازفاً » كما تقززت انا ، فليته قال ناثراً لانها اقرب الى الواقع واجمل . وفي الديوان ألفاظ أخرى كان في الاستطاعة استبدالها بخير منها . قال الشاعر :

جاع عمري فمضى يلقف بلواي وضحكي

ان « جاع عمري » جميلة ، فلو كان لها جارة خيراً من يلقف لكان البيت اروع . فقد يكون قولهم « المرء بالجار » اشد انطباقاً على الالفاظ منه على البشر .

اننا نكتفي بهذا ، ونثني على عمر النص راجين ان يكثر من هذه البضاعة الطيبة فالسوق محتاجة اليها ، اما اذا كان يقول حقاً : كانت لنا ايام ، فنقول له بلهجتنا : رزق الله على هاتيك الايام .

احلام الفجر

عنوان ديوان للسيد عبد الصاحب الموسوي العراقي ، وهو طريف كعنوان الديوان السابق . احسن الشاعر صنعاً اذ لم يلجأ الى من يقدمه الى القراء ، وأحسن من ذلك قوله لقارئه : ليس من شأن احد ان يقدم الشعر للناس ، ويعرفه اليهم ، لأنه أقرب الى نفوسهم وحداركهم من تلك العبارات التي سيقولها هذا « الوسيط المتطفل » . واجمل من هذا كله قوله لي في عبارة الاهداء : « ثم لا اطمع بالرضا اذا لم اخش النقد والسخط » .

اما موضوع احلام الفجر فغزل ينضح أمانيّ ورجاء ، وحبّاً لا اعلم مقداره ... يقول الناس وفي مقدمتهم معبرو الاحلام ، ان احلام الفجر تصحّ ولكن مطالعتي احلام فجر الموسوي لم تبد لي غير اضغاث ، فالاشبه ان احلام الشاعر الموسوي لم تتحقق ... واذا صح منها شيء فيكون قليلاً .

الموسوي شاعر مطبوع كما يظهر ، يسعى الكلام اليه على رسله ، ولكنه غير محكك كأكثر شعراء العراق . تطيب للقارىء مطالعة شعره لما فيه من عاطفة مشبوبة وسهولة نظم ، اما المدقق فيقف عند عيوب كان في الامكان تلافيها . وهذا مرض ادبي سارٍ اليوم في جميع الاقطار ، نجانا الله منه . كان الناقد ، فيما مضى قلما يعثر على عيوب بلاغية ، كما قال المتنبي لخصومه : كم

تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... اما في هذه الايام فأصبح الشعراء والكتّاب لا يأبهون لهذا ويعدونه من التوافه ، وقد يضحكون ممن يهتم بذلك ، وهكذا سقطت حرمة اللغة وآداب الكتابة .

رأيت في هذا الديوان شعراً نابضاً بالحياة ، كما رأيت فيه اخطاء في الاملاء تحيرني ، فالظروف مكتوبة الضروف ، والنضير مكتوبة النظير ، والالف المقصورة لحقت بالامم البائدة . اما في العروض فهناك تفلت من قيود القافية شنيع ، ففي قصيدة حديث الزهور بيتان شاذان عن القاعدة ، ولعلهما احتلا هذا المقام سهواً ، ولكنني فتشت كثيراً فلم اعثر لهما على محل في الديوان يلائمهما .

اما التذكير والتأنيث فلم يبق له حساب في دفاتر كتّاب وشعراء اليوم ، فهم يذكرون المؤنث ويؤنثون المذكر ولا يبالون ، حتى ترحمت على طرفة بن العبد وكدت اقول مثله : استنوق الجمل .

وبعد فليس في احلام الفجر احلام ذهبية من العيار الثقيل ، ولكن ذهب اميركي عيار ١٤ ، او بالاحرى ذهب مكفول لعشر سنوات او اكثر ... واجمل ما في هذا الديوان قصيدة الزهرة الذابلة ، فليت عبد الصاحب تأنى قليلاً وأدّى فكرته على حقها . قال في ختام هذه القصيدة .

فاوصيك ليلاي ان تنثري دموعك للزهرة الـذابله

ظن الشاعر انه أدى ما اراد بقوله : ان تنثري للزهرة ، وهو انما يريد ان تنثري فوق او على الزهرة ، ولكنه صير المعنى مضحكاً ، اذ صارت الزهرة دجاجة ينثر لها الحب ..

لا يتسع المقام لاكثر من هذا فخطتي مع الشعراء الجدد الذين يرجى خيرهم هي ان اعرف الناس بهم ، واظهر لونهم الادبي . وانتقدهم برفق عملاً بقول ابن الرومي :

وفي النصح خير من نصيح موادع ولا خير فيه من نصيح مواثب

الليالي والنجوم

كان أولى بنا ان نبدأ باقاصيص الدكتور عبد السلام العجيلي التي تبيض الوجه ، ولكن ما الحيلة وللنوبة الحق علينا . فالعجيلي قصصي يجري ، وقل من يجري معه ، أما العجيلي الشاعر فواحد يخوض وسط المعمعة ... ولعل علمه بهذا هو الذي حمله على القول في مقدمة ديوانه الليالي والنجوم : (وأنا واثق بان أكثر ما تضمنته دفتا هذا الديوان اعمال جميلة ، ولكني مؤمن بانها لا تكفي لان تبني مجد شاعر ، شاعر حق) .

صدقت يا دكتور ، وخيّبت الحكيم الذي قال : ما اصعب على الانسان معرفة نفسه . ولكن هذه الشاعرية التي لم تشد لك داراً في مدينة الشعر قد بنت لك بيتاً كبيت الفرزدق في دنيا الاقصوصة فاشكر حكم السماء ... فلو لم تكن مطبوعاً على الشعر لمـــا ابدعت في قصصك ، فمن لا يكون مؤزراً بقريحة لا يكون قصصيّاً نابه الذكر. ان مشاهير القصصيين قالوا مثلك الشعر، أولاً ، ولكنهم لم يبلغوا فيه الا ما بلغت فانصرفوا عنه ، واستحالوا كتاب قصة،وكانوا في وصف بعض المشاهد ككبار الشعراء الذين لم تر نفسك مثلهم.

قرأت صفحات في (خطيئة الأدب موره) لاميل زولا لم أقع على شعر أرفع منها عند هيغو ،فـــلا تيأس يا عزيزي ولا تحزن فانت شاعر حقـاً فيما كتبت نثراً .

الدكتور العجيلي في الطب لا في الأدب كما تدلنا قصصه لا شعره يحسن التحليل دائماً ، وكفة المنطق راجحة في منظومه ومنثوره ، وقد تكون هذه الخاصة قد أضرت بشعره وأفاد منها نثره . وهنا لا بد من القول أن لقب دكتور يصبح طلسماً حين يقدم على الأسم . لسنا نقول بتركه ، كما هي الحال مع ادباء اوروبا ، فلكل جديد بهجة ورهجة ، ولكننا ندعو ، ان كان لا بد من ذكره الى تأخيره وذكر نوعـــه بعدما كثر المتدكترون عندنا في كل فن ومطلب .

لماذا قلت ان العجيلي يحسن المنطق ؟ قلت ذلك لأنني رأيته موفقاً في خلق المعاني وسوقها بنظام كلي حتى تخال، حين تقرأ له قصيدة ، انه يكتب بحثاً لا ينظم قصيدة . ولهذا تضاءلت تلك الموسيقى التي عبر عنها أبو الأدب العربي بما يتعجب منه في الشعر . لقـــد وصف العجيلي قصائده اصدق وصف حين قال في ختام مقدمته : هي حديث روحي ، رواية عواطفي ، وقصة شعور نفسي واحاسيسها ، وضعتها بين دفتي كتاب وسميته (الليالي والنجوم) .

فمن يقرأ شعر العجيلي يخطر على باله الشعر الغربي. لا اعني بهذا أنه يفارق عمود الشعر — كما عبر السلف الصالح — وانما اعني ان له سياق شعراء الغرب في توجيه موضوعه الى الهدف ، وهو ملهم أيضاً ، في ايثار المعنى ، فلا بأس عنده على معناه متى استقام ان لم يبرز بالثوب الطريف الظريف . لهذا نجد في ديوانه الشعر الطري الناعم الى جانب الشعر الذي لم تنعم عليه الالهة بالجمال . خذ مثلاً هذين البيتين من أولى قصائد الديوان . عنوان هذه القصيدة (ليلة صيف) وفيها وصف بديع لليل وتجزمه،وهي قصيدة تكاد تكون (راعوية)

قال في ختامها :

والديك قد ملّ الصياح وبحّ صوت الهجرس
والقرية البيضاء ترقد في الضياء الأخرس

أرايت كيف يصفّ الخرز مع الياقوت والزمرد ! فما أبشع ان تكون الهجرس قافية. أليست القافية زاوية والزوايا تنتقى وتنحت لانها بمنزلةالاطار من الصورة . ان الهجرس يا دكتور ليست من القماش الذي يفصله الشعراء لذاتك ، فما بالك تنخضرم !! رحم الله مواطنك الأخطل الذى قال في هجاء خنجر الأسدي : أمن عوز الاسماء سميت خنجراً !! وأمن عوز القوافي لجأت أنت الى الهجرس ! والهجرس يكون أما القرد ، واما الدب ، واما الثعلب، فهل لنا ان ننتقي ونختار ؟ ثم ماذا عليه لو بحّ وظل جرس القافية صافياً ، بل ما علينا اذا لم نعرف الداهية التي أصابت الهجرس ما زلت لم توفق في هذه (الراعوية) كفرنسيس جيمس .

اما البيت الثاني فهو من الشعر الصافي وله ، والحمد لله ، اخوة ، ولكنهم « اقلية » ، والعزة عندنا للكاثر .

واذا تبعنا رأي ابن الرومي في شعره قلنا : ديوان الشاعر كدنيا ، فيها الجبال وفيها الوهاد ، فمن الجبال المثل في ديوان العجيلي هذان البيتان، وهما من « احزان الخيلة المطشى ، وماء الفرات منها على قيد باع :

والنهر من تحت النجوم والزهر ملقى كالشماع
غاف على كتف الرمال البيض مبسوط الذراع

ولكن دكتورنا يأبى الا ان يدس في كل قصيدة كلمات دهرية بينها وبين الشعر ما بين القيسي واليمني ، مثل : النسغ ، وام الارجاس ... كما يقول في نثر مقدمته : لا تنتطح في المقارنة بينهما عنزان !! مع ان زمن انتطاح العنز قد ذهب ، والحكومات تهم بقطع دابرها ...

اما قصيدة « ليلة تحت الشرفة » فمشت على رسلها مطروفة لم تشدد ، ولكنها تعثرت في اخر المجال فكسرت رجلها ، كما ترى في هـذا البيت وهو ختامها :

انا الطيف في دنيا الحقيقة هائم فكيف هيامي في دنى الاحلام

ان هذا البيت محتاج الى مجبر ، وانت دكتور ، فادخله عيادتك واجبر كسره اذا شئت ...

اما عاطفة الشاعر المجيلي فأراها قوية ولكنها هادئة كالنهر الذي نشأ حوله حب مترصن لا اهتياج فيه . الشاعر يسر النجوى واذا بثها فبتأنٍّ ، ولعل قصيدة «انا في انتظارك» اروع ما عنده ، بل هي من جيد الشعر المعاصر .

اما في « الوطنيات » فتبدو عاطفته اشد اتقاداً لانه يصف نضالاً كانت له فيه يد ، ورفاقاً استشهدوا ، ولكني اعجب من قلب حامي الوطيس في قومياته كيف لا يوافق الى احسن من هذا القول :

فلو فلسطين ما كانت مقدسة اذن كفاها من الاقداس ما وهبوا ...

انه تعبير يأباه المجيلي في نثره فكيف يرضى به وهو ينظم شعراً . لقد طغى المنطق هنا فعدا شاعرنا طوره . ادخل لو على الاسم وهي مختصة بالفعل دون غيره ، ثم أخر الفعل المنفي فصار التعبير عامياً غير صحيح ، وهكذا تزعزعت اركان بيته . . واخيراً جاءت اذن فكانت ضغثاً على ابّاله ... وهكذا تمت للشاعر ادوات المنطق بحذافيرها ، وليتبرم البحتري بحدود المنطق ما شاء ...

ثم يأتي هذا البيت بعد ذاك :

ذكرتكم حين بين الزهر منتشيا دوّى الدويُّ ومرّ الزاحف اللجبُ

واما انا فلا أذكر انه مر على رأسي ، بعد ، ظرفان متجاوران تجاور

حين وبين في هذا البيت . اراد الشاعر ان يقول : ذكرتكم وانا منقشٍ بين الزهر حين دوّى الدوي ومر الجيش اللجب ، فجاء كلامه معقداً ومخالفاً للاصول . وضع ظرفاً حد ظرف ، وفصل بين المضاف والمضاف اليه فأورث ذلك شعره وهناً وضعفاً . قد يحتج البعض بالضرورة الشعرية ، ولكن الشرع الذي تعلمناه في « المجلة » فيه مادة تقول : الضرر يزال . ولست أرى ضرراً موجعاً كهذا .

قد يرى من لا جلد لهم على التعلم تحذلقاً وتنطساً في هذا الكلام ، اما انا فاراه ضرورياً جداً لكل من يريد ان يضرب بسهم في الشعر والنثر .

واخيراً اقول ان هذا كله لا ينزل من قدر العجيلي الشاعر ، واذا قلنا ان العجيلي القصاص خير من العجيلي الشاعر فما يعني هذا ان يقصى عن ديوان العرب ، ففي استطاعته ان يكون ذاك الشاعر اذا روضت عبارته وجارت معانيه ، ثم سارتا معاً عنقاً فسيحاً . ففي الديوان وثبات تدل على ان هناك شاعراً لا يضيره الا برداء تغيب وتزرره غباً لا يزيده حباً ...

أجنحة السلام - دليلة - قلب يغني

أجنحة السلام عنوان قصيدة طويله قالها ناظمها الشاعر كاظم السماوي العراقي على قافية واحدة . يدلنا عنوانها على أن صاحبها محب للسلام ، ضالة البشريةالمنشودة. ولهذا «اهداها الى الشعوب التي تريد الحياة الحرة الشريفة» .

ان شعر هذه القصيدة في جملته ، رصين ، ولكن طول المدى – بالنسبة الى الشاعر – قد أدى الى انحطاط في قوى بعض قوافيها فبدت منهوكة تجر رجليها جرّاً . فلو فك الشاعر اغـــلال قافيته ، ونظم قصيدته مقاطع ، كما يفعل شعَراء اليوم،لاراح ذهنه من عناء الكد، وقارئه من ملل النغم الواحد . ان طول القصيدة ، وان لم تبلغ الستين بيتاً ، قد ألجأ الشاعر الى حشر بعض الفاظ في مضيق « الوزن » فما نفذت فيه نفوذاً شعرياً بارعاً بيد ان الامل كبير في ان شاعرية السماوي سوف يبلورها المران المستمر. اني أعني ما أقول، وها انا ذا ادل على بعض كلمات لا يرحب بها صدر الفن . قال الشاعر :

ولمن يلقّ فضالة معجونة بدمائنا ومن استباح وصالا

فاذا كانت كلمة « يلقّ » لا تصلح اداة للنثر فكيف بها في الشعر ! ! اما « من استباح وصالا » فقلقة في مكانها ، وقد ضعّفت البيت ولم تقوه . واذا انتقلنا الى هذا البيت :

والسجسج الرخو المنث هبوبـه قطر الندى متدهدياً يتـلالا

اصطدم لساننا بالسجسج وان كان رخواً . اما قطر الندي فالتدهدي كثير عليه . اما خصه ابن كلثوم (بالكرينا) حين قال :

يدهدهن الرؤوس كايدهدي خزاورة بابطحها الكرينا

وقال السماوي أيضاً :

فحذاره من ان يقحمك الفنا لزا فتطرحك الضراس ثفالا

فهذه (اللز) هنا ، ومثلها يلتطي ، ويلظ ، وتستشط وغيرها من الفاظ القصيدة ، فليست من بضاعة شعر هذا العصر .

اذكر انني قرأت لكاظم السماوي شعراً أرق من شعر قصيدته هذه ، فما اخاله هنا الا متعملاً طالبا الزيادة فوقع في النقصان .

دليلة : لعلي سعيد

والى جانب قصيدة اجنحة السلام نضع قصيدة أخرى اطول منها، وأكثر بهرجاً وزخرفاً هي « دليلة » للشاعر علي احمد سعيد السوري ، ودليلة هذه هي صاحبة شمشون لا غيرها ... تغلبت « قومية » هذه المرأة العبرانية على حبها ، فخانت صاحبها الجبار وجزت شعره الذي تكمن فيه قوته ، ودفعته الى قومها . ان لدليلة اخوات في التوراة . منهن بطلات سيف مثل «يهوديت» التي قطعت رأس « اليفانا » ،ومنهن بطلات سلاحهن العيون كاستير احشورش . وكلهن مناضلات عن قومهن .

سمّى السيد علي سعيد قصيدته هذه ملحمة قومية ، ولعل هذه التسمية

شبيهة باطلاق اسم « الكلية » على بعض المدارس الثانوية .. اما شعرها فمن البضاعة الرائجة اليوم في اسواق الأدب . شعر يستحلى ويستملح ، يمتاز بنعت الشيء بما لم يتعود الناس ان ينعتوه به، كقول هذا الشاعر : المواكب البيضاء، ونورة من ضياء ، وغار باسم ، والرذائل الحمراء ، وهمسة النور .

وفلسطين موجة من شعاع الخير ذابت عـــلى دروب الفضاء

تقرأ شعر سعيد بلذة ، ولا تخرج منه كما تخرج من شعر بعضهم ، خروج الشعرة من العجين . الشاعر ينظم لغاية ويؤيد قضية دفعه الايمان بهـــا الى استباحة حمى التاريخ .. فابقى شمشون في سجنه اعمى يطحن . أبقاه هناك حتى قتله صبراً ، مع ان شمشون سئم الانتظار ، وقال للموت هلم . .

أبى الشاعر علي سعيد على شمشون ان يكون بطلاً متغلباً يسقط البيت على من فيه صارخاً : عليّ وعلى اعدائي يا رب فتصرف بقصتّه كما شاء ، وهذا في نظر الفن لا يجوز . قد يجوز للشاعر ان يكتب على الهامش ما يشاء ، واما نقض المتن فلا يباح .

وهناك شيء لا بد من الاشارة اليه الا وهو خاتمة القصيدة اذا كان الشاعر علي يعدها ملحمة فمن حق الملاحم ، وهي شعر موضوعي ، ان يوضع ما فيها من العظات في افواه الابطال واعمالهم ، لا كما فعل علي حين راح يطري المرأة بلسانه هو ، فخرج عن سمت الملاحم الفني . كان عليه ان يستغني عن الصفحة الاخيرة ويقف عند قوله منددا بشمشون :

والعظيم العظيم من مهر التاريخ بالطيبـات من اعمـــاله
لا الذي عاش في الضلال وخلى لعنات الاجيال خلف ضلاله

ومن هذه الملحمة القومية الصغيرة ننتقل الى « قلب يغني » . هو عنوان مجموعة شعرية للاستاذ وديع ديب الذي يرى في الشعر رأياً قد يكون خاصاً، فهو « لا ينتظر من الناس ان تتجاوب رغباتهم في وطر واجـد وعلى وتر

واحد » والا فما معنى ان يكون هنالك مزمار وشبابة وناي الخ » .

جميل جداً هذا الرأي الفني ولكن لا بد للنافخ والعازف من يـد وفم بارعين . . ومتى حصل هذا يقعد « برصوما » الزامر ، ومخارق ، حـد الموصلي ومعبد والغريض ...

اما الاخطاء اللغوية وغيرها فلا يعتذر عنها الاستاذ ديب « لان بعضها وقع له وهو يجهل مكانه . وبعضها وقع له وهو يتجاهل عرفانه » . !! اذا احترمنا حرية رأيه الاول فلسنا نقره على انتهاك حرمة اللغة واصولها . واما ضعف ايمانه بطول النفس الشعري فمسألة فيها نظر لان الناس اجناس ، والشعراء كخيل الطراد ...

اذا مررنا في ديوان قلب يغني رأينا اكثره قصائد ومقاطع صغيرة ، اجاد الشاعر في بعض منها وقصر في بعض . اجاد في « قلب يغني » وفي « بـين قلبين » ، ثم استحال الشعر نظماً في قصيدة « فلم الوجود » ولكنها مع ذلك لم تخل من شعر طيب كهذين البيتين :

فالذي صير الملوك ملوكاً شمم مات في نفوس العبيد
رغب النـاس في المساواة لما خسروا حلبة السباق المجيد

ان في ديوان قلب يغني حكمة وهياماً ، فكأنّ صاحبه شيخ وشاب في وقت واحد . لا يحفل وديع بما يحفل به شعراء جيله ، فكفة المعاني عنده أرجح من كفة البيان حتى تخال انه لا يعنيه من النظم الا افهام قارئه . اما الهفوات فلسنا نتعرض لها ، لأننا ان دللناه على ما يجهل فقد يحل به في ديوانه الآخر ما حل بما « وقع له وهو يتجاهل عرفانه » ، فتحل عليه ، اذ ذاك ، عقوبة المتعمد ... .

ان الشاعر وديع ديب معلم ، كما تنبئنا مقدمة ديوانه التي يقول فيها : « مع انني اتعاطى تدريس اللغة والبيان والادب العربي تدريساً يرتكز على النقد ، وكثيراً ما انبه طلابي الى تلك الاخطاء اللغوية والمآخذ البيانية » .

فبعد الثناء على الاستاذ وشاعريته ، وعلى ما في ديوانه الصغير من تنوع يقصي الملل ، اراني مجبراً على القول له : يا ايها الرجل المعلم غيره ..

أرض الشهداء

لابراهيم العريض

١

لا ننقد الأدب الا بمثله ، فانا لا يعنيني من الزهرة الا جمالها وعطرها . اما العلم الذي يحلل عناصر جذورها والجذع والورق والألياف فلا التجيء اليه لئلا يفسد علي النشوة التي دبّت فيّ حين وقعت عيني على عينها فسحرتني جمالها وانعشني أريجها . اما الذين يريدون ان يعرفوا البيضة ومن باضها ، وكيف باضتها تلك الدجاجة ، وأين وضعتها . . ومم اخذت عناصرها فلهم علمهم وليبحثوا عن ذلك في ذاك الموضع ... انا لا يهمني غير جمال التفاحة وطعمها ، ولا أحب ان أعرف الزبل وانواعه ، ولا السماد المختلف الاجناس الذي اشترك في تكوينها ، وتحبير ماء الشباب في وجهها الجميل . وبكلمة مختصرة اقول : لست بصاحب بحث علمي ولا احاول ان اكون ذاك ، واني لاحمد الله على حرمانه اياي هذه النعمة . فلنمش اذن ، فما بقيَ من العمر أكثر ما مضى ، وان سفاه الشيخ لا حلم بعده ...

امامنا الآن ملحمة وضع فيها ناظمها الاستاذ ابراهيم العُرَيّض شاعر البحرين كل ما في نفسه من حب وبغض ، ورجاء وايمان ، وألم ممض لم يبلغ صاحبه ، على هول المصيبة ، درجة اليأس المريح . انهـــا عمل فني وليست شعراً نظم على الهينة، والشعر الحق لا يمنح ، ولا يوهب جاهزاً معدّاً ، وانما ينتظم عفواً في ساعة الالهام ، في ساعة « حلول الروح القدس » حين تتحد الكلمة بالمعنى اتحاداً فنياً مقدساً ، لا تفصم عراه - كالزواج الكاثوليكي - فالشعر الرفيع هو أرقى فنون الادب.قال الناقد الكبير تين لأن اقود جيشاً أسهل علي من ان اكتب ستة ابيات شعر جميلة ، فربمـــا كسب الجنود المعركة بجهودهم وحدهم ، واما ان اكتب ستة ابيات جميلة من الشعر فتلك لعمري مهمة شاقة .

ولما كان شاعرنا العريض قد نظم المئات من الأبيات الجميلة ، وطبعها على غرار واحد فمن حقه علينا أن نقابل تعبه وعناه بمثلها حين ننقد رائعته ارض الشهداء .فهي شعر قصصي والقصص في شعرنا العربي لا يدرك بالسهولة التي يعمل بها الشعر الوجداني . انه شموس لا يمكّن الناس من ظهره ، ويزلّ الغـلام الخف عن صهواته ... نحن إذن أمام ملحمة ، وهذه الملحمة مؤلفة من فاتحة وخمسة أناشيد ، فعلينا قبل ابداء الرأي أن نفتح للقارىء أبوابها ونعرّفـه بأبطالها وبطلاتها واحداً ، واحداً ، ثم نريه العمل الفني بعد ذلك .

ملخص الحكاية : المكان أرض فلسطين ، والأشخاص راعٍ اسمه ظافر ، أو قل سمّاه الشاعر كذلك تيمناً ، لأن واقع الملحمة غير واقعي كما يبدو لي . ولظافر حبيبة اسمها دعد ، تحمل الى ظافر الزاد ، وفي المرعى يخـلو الجو للحبيبين ... وتتداعى الأفكار فيدور حديث شؤون الساعـة فيترك ظافر شياهه ويذهب الى ساحة القتال ملتحقاً بشقيق دعد للدفاع عـن الوطن . وتدور الحرب فيبلي فيها ظافر ، وأخـيراً يقتل « خائناً » باع الوطن . ثم يقتل هو في الدفاع عن القدس .

وقبالة هذين البطلين العربيين ، يفتح الشاعر طبعاً ، جبهة صهيونيةفيصور فتاة دعاها تامار تبركاً باسم سميتها التوراتية . جعلها فتاة خالعة العذار في الرخاء ، ثم زعيمة فرقة نسائية في الهيجاء ، فتقع في الاسر مع رفيقاتها فلا ينتقم ظافر منها ، رداً على ما فعله اليهود في دير ياسين ، بل يطلقها ورفيقاتها ولا يلوث يده بها وبهن ، ولكن القدر لا يجيز عنها تلك الكأس . فتموت تامار أبشع ميتة .

وهناك بطلة اخرى اسمها ماري غدر جارهم اليهودي باخيها لمّا وقعت الواقعة ، فيئست وترهبت . واخيراً تجمع المصيبة بين ماري ودعد حبيبة ظافر . هذه هي الحادثة . اما العمل الفني فهو هكذا :

يبتدىء زمان الملحمة منذ عام ١٩٤٧ الى ؟؟١٩ قد تسأل ماهذه الهمزات الاستفهامية ! ؟ اما الجواب فهو انها تعبر عن رجاء الشاعر بنهاية قضية فلسطين خيراً مما انتهت . وقد عبر عن هذا ايضاً بعنوان شامل للاناشيد الخمسة وهو هذا : في الفردوس المحفوظ . انه لا يعتبر هذا الفردوس ضائعاً فسماه هكذا تفاؤلاً ، كما سميت القافلة والسلم في لغتنا العربية .

الفاتحة — مشى الشاعر فيها على أثر هوميروس ، فعبر بمطلعها عن موضوعها اذ قال :

يا فلسطين ! وما كنت سوى بيعة الارض على كف السماء
اشهدي ... ان بياني قد روى فيك ما يرضي قلوب الشهداء

واذا كانت شهادتنا مقبولة فنحن نشهد لك قائلين مع السيد : ايمانك أحياك فاذهبي بسلام .

النشيد الاول — مكانه جبل الزيتون وفيه يبدأ الشاعر عمله الفني ، فيصف ليلة كليلة امرىء القيس برقاً وسيلاً ، حتى اذا انقضى ذاك الطوفان القيسي وانتشر النهار مشى الراعي ظافر بنايه وضأنه ، فتبدو له جميزة ،

والجميز في اورشليم من معاصري المسيح ، فيصفها الشاعر وصفاً طريفاً ، ثم يصف الراعي ينفخ في نايه ، فيمن له ظبي فيطرب ويبدو كأنه يحسد المعزى. ثم تأتي مهاة فتلتقي باختها فتسألها ما دهاها :

واستمر النبع في اذنيها يضحك : ها ها

وتجيء دعد حبيبة الراعي ظافر تحمل الزاد في سلتها ، بحياء وخفر ، ويحرّان الحديث فيقول ظافر :

حدثيني يا مهاتي! عن اخيك . انه صار عماداً لرجاله ..

فهاجت ذكراه اساها،ونظرت الى النبع المنساب قدام عينيها.ثم قالت :

أفمن « تاه » كمن يمضي رشيدا

وتهزها النخوة اليعربية فتصرخ :

آه يا ظافر ! لو كان لانثى ان تريدا .

وبعدما قالت الذي ارادت صرخ بها ظافر :

لا تراعي ليس كالفتنة ما يحلو الغوايه .

واستيقظ في قلبه الايمان فهتف .

ما على الارض سوانا حمل التوحيد رايه
طهّر الله بنا البيت و « هم » قلك النفاية
كم دعوناه فلبى فدعي أمر الوصايه

وبينما هما في هذا الحوار يثغو جدي . فيصف الشاعر مشهداً «راعوياً»رائعاً :

وثغا من خلفها جدي صغير كيف لا تدفع عنه باليدين
فمه في الضرع ... بالشاة يدور وكأن العين منه ألف عين

ويطبق الليل على ظافر فيبرد وينام ، مع ان المثل العامي ينفي النوم

عن ثلاثة : البردان والجوعان والفزعان ... وفي تلك الرقـدة يرى ظافر حلماً رأى نفسه وسط روض وكأنه طير حوله الطيور ، ثم تهب النـار في الروض . ويفيق فاذا بالفجر قد تبسم واذا بقطيعه قد تشتت واذا بذئب يمرق سخلة ... فيهب ظافر لمصارعة الذئب فيهرب الذئب .

وتجيء دعد فيقص عليها ظافر حلمه الذي افزعه . وهنا يعيد الشاعر وصف الحلم . لم يعجبني تكرار الحلم وان جاء بصورة أخرى اوضـح من الاولى . كان في الاستطاعة تركه حتى تـأتي فيرويه مرة واحدة ، ولكن طرافة تعبير دعد له تشفع بالتكرار ، قالت :

ليس في حلمك هذا ما يريب
ان طير الله طيرك ،قل : نعم

طبيعية جداً هذه القل نعم حتى كأن دعد (بصارة) حقاً ...

ثم تقول :

انما قـــد هدد الاوطان ذيب ما لهذا الذئب غيرك يا ابن عم

وهذا « الذئب » يصبح رمزاً بل بطلاً من ابطال ملحمة العريض . وهنا تبدأ معركة هذا الراعي في الدفاع عن الوطن ، فما انتهت المناجاة حتى ألقى ظافر نفسه في غمار النضال عن فلسطين .

النشيد الثاني – عنوانه « نشيد الانشاد »،وهو الجبهة الثانية من الملحمة ، يصور فيه العريض مسرحـاً تتسابق اليه الناس . يصف الشاعر الراقصات والراقصين من بنات صهيون وبنيه ، ويخص احداهن تامار بالوصف الدقيق فيصورها عارية الا من ورقة التين . الناس في حفلة ملكة جمال ، فبدت تامار كالتمثال ، وهنا يخلق الشاعر لقريحته مجالاً جلـى فيه فصور مشهداً لم يسبق الى وصفه . ثم نودي بتامار ملكة ... وأقبل أبو تامار على بنته معجباً بها ، مستحسناً عملها ، طائراً فرحاً بما كشفت للجمهور من مخبآت وكنوز ... ثم

يحثها على المضي قدماً ، خاتماً كلامه بقوله :

شعبنا يأبى على « العجل » بأن يخلع نيره

وفي البيت الذي يلي ، كلمة ذهب نصفها فصارت هكذا « جل » . . . فاعدنا للعجل رقبته المقطوعة حتى استقام البيت وصار هكذا :

انت كالعجل ، ولو وسدك الحب سريره !!

ويأتي اخو تامار سكران فيبشرها بتقسيم فلسطين ، ويعد هذه البشرى عيد ليهوذا ، ويهوي على اخته ينهضها ليراقصها . وهنا وصف طويل لهذا المشهد الذي لا يقصر فيه العريض عن صاحب اليتيمة .

وفي نهاية هذا الشوط تسقط تامار اضحية العيد . . . وهنا يستعين العريض بنظم « نشيد الانشاد » محـــولاً أياه عن المجرى الذي يفهم فيه ... وباب التأويل واسع ، فيجعل تامار كالشولمية حبيبة سليمان . وبعد تلك المعركة الدامية تأتي تامار صديقة لها فتريها صورتها في صدر المجلة قائلة لها مطرية :

كنت في حفلتهم – ليلتهـا – وحدك حفله

أما تامار ، فاشاحت وجهها ضاحكة في شبه غفله . ثم قالت :

لا تغالي فيّ فالجمهور أبله

قالت تامار هذا لأنها كانت ترى « ماري » أجمل منها ، ولكن ماري لم تعرض بضاعتها على الناس كما عرضتها هـي ... ثم تنتهي هذه المحاورة بين الصديقين ويذاع « تقرير » الهغانا اعلان الحرب على العرب . وتتململ تامار ويعود الشاعر الى نشيد الانشاد ينظم ما بقي منه ختاماً لنشيده الثاني .

النشيد الثالث – وعنوانه « باب الواد » يصف الشاعر في مطلعه الليل والبدر والنجوم والأرض حتى يطلع طيفان هما ظافر وحمدان يتأملان .

في انتظار « الذئب » كالليث الذي يحمـــي عرينه

واذا بارتال الاعداء تقبل : مثل خيط كثرت فيه العقد . وهنا توصف معركة باب الواد وما كان فيها من ضراوة ، ومعركة دير ياسين ، وما فيها من تمثيل الصهيونيين بالنساء .

وتأتي ساعة الأخذ بالثأر فتلوح راية بيضاء ، واذا بالاسرى فتيات من بنات صهيون في طليعتهم تامار . يهم حمدان بالثأر منهن للعربيات ، ويشتد الجدل بين ظافر ورفاقه فيقول لهم :

لم نثر نحن على البغي ليعدينا بدائه
اطلقوهن ، فلا خوف علينا من امائه

فيسّر « صهيون » باطلاقهن ويقول لتامار :

ان من يسعى لأمرٍ لا يبالي بالوسيله
لهب الثورة تلقي في لظاها بالفضيله

وأخيراً يحكم هذا الصهيوني على الغد فيقول في الهدنة :

هدنة ان قبلوها فلياليهـــا طويله

وهكذا كانت الهدنة وما زالت . . .

النشيد الرابع – عنوانه هيكل سليمان ، وفيه تكون الهدنه فتظهر دعد غضبى وظافر مطرق حزين يسمع لها . ولكن ما أُريد كان وعينت الحدود . وهنا يفيض قلب الشاعر بالأسى فيصف شقاء أبناء فلسطين ويقابل بين نكبة الأندلس وفلسطين .

ثم تظهر ماري التي غدر ابن الجيران اليهودي بأخيها فقتله وسط درسه . ويتذكر ظافر أيام ماضيه الحلوة حانناً إلى قطيعه والمراعي ...

قال : يا دعد ! لقد ضاق بنا فيها المقامُ
لا مراعينـــا كما كانت ، ولا البيت الحرام

أين جميزتنـــا . . . في ظلها كنت أنام ؟
أين شاه كنت أرعاهـــا ، وللشاه بغام ؟
أين أصحابيَ ... حمدان وفوزي وهشام ؟
بعضهم يسهر مثلي ناكلا ، والبعض ناموا .
وطن ضاع .. عليه من ضحاياه السلام .

ولكن ما نزلت همة الذكر حتى صعدت همة الانثى :

فأجابت دعد : كلا ، لم يضع منا حبيبي
ان تكن جمـــيزة وارفة ، عادت بحوب
فلهـــا في كل وادٍ اخوات تحتفي بي
واذا كانت شياهي مسهـــا نار الحروب
سترى الرعيان يأتون بهـــا عند الغروب
وطني لو فيه شاة ، مـــا اخليها لذيب

فاهتاج ظافر وانتخى :

قال فايقي ههنا لا بد من قتل فلان

وقبل أن يمضي ظافريصف الشاعر مشهد وداع تخال كأنه مصور أمامك.

النشيد الخامس – وعنوانه « قبة الصخرة » يبر فيه ظافر بوعده لدعد . يتمشى في القبة متأملا واجماً ، ثم يخرج إلى رؤية الجدار – المبكى – وأخيراً يقتل فلاناً ...وهنا نمسك القلم عن التحليل والتطوّح فيه لئلا نخطىء الهدف، ولهذا نقفز كما قفز الشاعر ، والعصر عصر قفز وجمز – أي عصر رياضة – ونقـول :

ثم تظهر جثة تامار وهنا وصف بليغ للقبح . وعاد المسجد للعرب ، ووقفت أخيراً دعد وماري جنباً إلى جنب تشدهما المصيبة :

هذه دعـــد وماري لهما مشهد من لم يصدقه كفالِ
ضمّتِ الاحزان ما بينهما يا صليباً زانه عقد الهـلالِ

أما الختام فهو وقوف دعد على قبر الحبيب ظافر ذاكرة قوله :

أنا يا دعد له لا خانني فيه زماني
لتراح القدس من غدرته والحرمان

هذا هو عرض ملحمة العريض ، أما كلمتنا عليها ولها فآتية :

٢

الشعر وليد المخيلة والشعور العميق ، وقد قالت العرب : الشعر صعب وطويل سلمه . وكتب فولتر إلى هلفتيس يقول له : يصعب عمل عشرين بيتاً من الشعر الجيد في اسبوعين. أما الحق فهو أن عمل الشعر لا يقوم بالروزنامة ، فمياره القريحة والالهام ، وميزانه النشاط الذهني والمؤثرات .

والشعر ضروب : الغنائي وهو الذي يعبر عن اختلاجات النفس، والملحمي وهو الذي يقصّ ويصور حوادث بطولية حقيقية أو خيالية . وهذا الضرب الأخير هو الذي عالجه الشاعر ابرهيم العريض منذ أعـوام في ـ قبلتان ـ واليوم في أرض الشهداء . أمـا أبطال ملحمته هذه فأربعة : ظافر ودعد وتامار وماري .

فظافر راعٍ شجاع ، إذا فاته أن يكون « مجازاً » أو دكتوراً في العلوم السياسية فـلم يفته اقتباس ما يدور في مجالس الناس ، ولم تنقصه العاطفة الوطنية المتقدة ، والتضحية الكبرى لاجل الوطن الذي نشأ تحت سمائه . وحبيبته دعد فتاة ساذجة ولكنها مسلحة بعاطفة قومية عجيبة غريبة . وكلا البطلين ظافر ودعد يحب بلاده أكثر من نفسه ، ولهذا قررا في ندوتهما ـ عند الحيزة ـ تضحية الحب على مذبح الوطن . لم يكتب لظافر الظفر في

وثبته الاولى فاستكان ويئس ، ولكن دعد استفزته ثاني مرة فحمى رأسه وهب . قال الشاعر واصفاً هاتين الوثبتين وصفاً بليغاً جدا :

كانت الاولى احتضار الحب والاخرى ... قيامه
ما حواهـا ضمة أكثر من نقب حمـــامه
قبلة ما بين عينيهـا وأخرى فوق شامه

أما تامار بطلة الجبهة الثانية ففتاة عرفها القارىء من العرض السابق فلا حاجة إلى التكرار . وأما ماري فآنسة غضيض طرفها ، طيبة ، وديعة لم تشك ضيما لأحد ، بل لاذت بالدير ...

نسيت من قال ، ولكني لم أنس القول . قال احدهم : ليس للفرنسيين عقلية الشعر الملحمي . وقد نكون نحن كاولئك ، ولكن الاستاذ العريض ، في هذه القصيدة الكبرى روّض الشعر العربي كثـــيرا فقال شعراً ملحمياً طريفاً ، وإن لم يبلغ فيه ذرى هوميروس والفردوسي والمتنبي في وصف معارك سيف الدولة .

قالوا ان الحب يوحي الشعر الرائع ، ونسوا أن يعطوا البغض حقه ، فهو يخلق شعراً رائعاً ولكنه يكون حرّيفاً قارصاً ... أما هنا فالحب والبغض عقدا شركة – كولكتيف – فربحت تجارتها ، وأخرجـا هذه الملحمة . فتأثير نكبة فلسطين في نفس العريض ، وحبه العميق لقومه ، وبغضـه – الموروث – لبني يهوذا ، وتغلب من ضربت عليهم الذلة والمسكنة هاجت قذاء قلبه لا عينه ، وأن النار بالعودين تذكى ، فكيف إذا كانت هناك عيدان ...

وانك لم يغلبك مثل مغلب ، هكذا قال امرؤ القيس ، وبناء عليه صرخ ابن الرومي ،حين غصبت انثى داره جهراً : أيامن رأى صقراً فريسة أرنب!! هذه هي الفكرة التي اخرجت من رأس العريض وقلبه هذا الشعر الناري ،

المزرقّ اللهب . وإيمـانه بقومه حمله على جعل عنوان أناشيده الدائم : في الفردوس المحفوظ .

إن في شعر أرض الشهداء حرارة ٤١ وأكثر ، وهيجان كطوفان نوح ، ولكن سفينة العريض لا « حمامة » فيها . . وانما فيها « هامة » يحترق قلبها عطشاً وهي تصيح دائماً وابداً : اسقوني ... اسقوني . فأناشيده ملء وفـا ككأس ابي نواس ، فعسى أن تصغي الأمة الى صوت شاعرها ولا تنسى « الفردوس المحفوظ » .

وكأن الشاعر قد تجلت لعينيه ، في ساعة من ساعات الفيض، تلك الدماء النقية،يوم صارت فلسطين عربية،فخصها بمقطع رائع جرّ اليه تداعي الأفكار، ولم يقحم اقحاماً. قال لابرويز في كورني: ان كورني يصور الناس كما يجب أن يكونوا لا كما هم . اما شاعرنا ، وان لم يكن منا في عالم الشعر بمنزلة كورني من الفرنسيس ، فقد صور البطولة العربية ، في ذكر وانثى ، كما هي حقاً . ان دعد — جان دركنا — وقد فعلت كل ما تستطيع امرأة عربية ان تفعله ، وحسبها ذاك .

فارض الشهداء اناشيد تمجد الرأس العربي تمجيداً يستحقه استخفافه بالموت، وشجاعته الممثلة في شخص ظافر بطل الملحمة وحبيبته دعد .

عظيمة انت يا دعد . بورك في الشاعر الذي خلقك ، وجلاك للامة جلوة جنان أبي نواس ، فبهرت النظارة . قرّي يا اختنا عيناً ، وانتظري الساعة التي لا تقولين فيها كما قلت :

آه يا ظافر ، لو كان لا نثى ان تريدا

ثقي ان سنقول لك قريباً : فلتكن مشيئتك كما في « السلم » كذلك في الحرب . واذ ذاك تبلغ صرختك آذان المصطفى في السماء :

صهيون قف حدك جاوزت الحدودا

اريدي يا أم العيون السود . وأريحي الامة من « سنان » العيون الزرقاء ...

ان ألم دعد وظافر بالغان اقصى مدى الألم ، وقد اجاد الشاعر والرسام معاً في تصويرهما . انك تحب هذين البطلين الساذجين برغم انفك ، وغصباً عن رقبتك ، مهما كنت مكابراً . وانك لتبغض تامار ولو كنت من اكّالة اللحوم ... فتلك الصورة الشنيعة تميت قابليتك مهما كنت كَلِباً على الطعام . كان العريض في ملحمته كما قال بولس الرسول : الفاخوري مسلط على طينه ، يصنع منه اناء للكرامة واناء للهوان .

ان قصة ارض الشهداء ليست ذات عقدة تنحل كالانشوطة امام عينيك فتشدهك ، ولكنها ذات مشاهد طريفة ، ومواقف متعوب على تصويرها وابراز اشخاصها . فالتحليل جيد، والوصف جيد جداً والمثل الاعلى والادنى في الشخوص عظيم جداً ... فها هم الصهيونيون في وقعة دير ياسين يمثلون بالنساء ، وها هو ظافر الشجاع والشجاعة اسس الفضائل ، لا ينسى في اقسى الساعات تقاليد امته وعرفها — والمعروف عرفاً كالمشروع شرعاً — فلا يلوث سيفه بدماء نساء اسرائيل ، بل يطلقهن .

وايمان العريض ببطولة الامة التي عبر عنها تاريخها المجيد ، جعله ينوء بكلكله وجرانه على الخونة ويكفرهم ويبرىء الامة . سمّي ابراهيم الامس خليل الله ، فهل لي ان اسمي ابراهيم اليوم خليل العروبة وشاعرها ؟ فشعره ينبع من جبلٍ عامر بالايمان، ولا ينزل فوقه المطر أقل من ٤٠ قيراطاً كل عام ، ولذلك ترى هذا الينبوع فائضاً هداراً في كل حين ولا تغيض مياهه ابداً .

كان عمل الخيال في السرد والقص قوياً، ولكن العريض لم يتخيل ليتخيل، بل ليخلق صوراً تضرم فينا شعراً ناريا ، فنبغض معه ما ابغض . نبغض تامار فلا نحبّ جمالا مبتذلا . نحب ظافراً الفدائي ، ودعد الثائرة ، وماري الحمامة الوديعة . واذا كانوا يطلبون من شاعر الملاحم ان يكون موضوعياً ،

فانا اكره الشعر الموضوعي الجاف ، واراه كالربع الخالي ، ولعلي احببت شعر ارض الشهداء لانه موضوعي ذاتي . اقرأ صورة الجميزة لترى كيف يكون الشعر الملحمي الرومنطقي ، وتتذكر قول عنترة في حصانه : وشكا الي بعبرة وتحمحم . واقرأ وصف الراعي وقطيعه وحياته لترى صفحة « راعوية » خطت جديداً في ديوان العرب . والشاعر في كل هذا النشيد الذي يسمونه رومنطيقياً ، كان « موضوعياً » ايضاً لان شخصيته – بطولها وعرضها – لم تظهر قط ، وهذا اول شرط في الشعر القصصي .

قد يكون العريض قد قوّل بطليه ظافراً ودعد فوق علمها ، ولكن القومية الحق كالبارقليط الذي حل على التلاميذ في علّية صهيون فتكلموا بالسنة عديدة .

اما في الحوار فاستطاع الشاعر ان يوفق بين الواقع ولغة الشعر الارستقراطية ، كان الحوار بين بين ، فما هضم حق الواقع ولا نزل الشعر عن عرشه . جرى القص خبباً دون ان تطغى لغة الحوار وتفارق « عمود الشعر » الذي اتمنى قصف عمره ... وكذلك كان تصوير المشاهد دقيقاً ومحككاً . وصف الشاعر المعارك وغيرها وصفاً دقيقاً فأرانا الأبطال جد أحياء ، وان لم تتقرّاهم أيدينا بلمس . وهكذا سار المجاز والحقيقة جنباً لجنب .

أن أرض الشهداء أنجح المحاولات الملحمية في الشعر العربي ، وهي قمة شعر العريض ، وقد يوفق الى خلق قمة أعلى منها فنقول اذ ذاك مع ابن الأثير : الجمال والبيان لا نهاية لهما .

أما ما يؤخذ عليه في ملحمته هذه فهو بعض الابهام فيها ، لان عقل القارىء لا يسير الهوينا مع الشاعر . ففي الصفحة ١٣١ مثلاً يقول :

غادرتها طعمة النـــار يد مرحت فيها الى الامس القريب

قرأته ، فظننت الضمير يعود الى تامار ، ولكن تلك « النجمة » هدتني

ونوّرت طريقي فقرأت في الحاشية ان الضمير يرجع الى القرى المنسوفة لا الى تامار المحروقة ... ان الملحمة قصة والقصة لا تحشى ولا تشرح . الملحمـــة نشيدة قومية ، وهي تجري مجرى القصة في سيرها ، فاذا ما توقف الشاعر ليشبع من الوصف حق الامتلاء عرقل سير ابطاله ، وهذا ما وقع لشاعرنا ولكنه قليل لا يضر ملحمته شيئاً . أما وثبتا ظافر ، الاولى والثانية ، فما رأيت خيراً منهما مشهداً قصصياً إيجازاً ، وزخماً ، وتصويراً .

وفي مكان ما اومأ الشاعر ولمح بل الغز وعمى . ان ما عنـــاه لا يفوت الراسخين في العلم ولكنه غطى سماء النشيد الخامس –قبة الصخرة – بضباب فهبطت تلك الحرارة العارمة في الختام .

واما عبارة الملحمة فلا غبار عليها ولا وهن فيها ، وما أخذت عليه الا قوله : انما قد صرع المرب من العجل بقرنه . لم أبال بكلمة « صخلة » لانها خطأ مطبعي ، فمن يعرف ان كلمة بالة – وهي تعريب بلتو السريانية –تأتي بمعنى القارورة لا يجهل أن سخلة بالسين لا بالصاد .

وأخيراً أقول : أن في ملحمة أرض الشهداء حرية تصوير ، ومرونةتعبير وخبرة فنية تامة ، وعاطفة منبثقة من حب الحياة وما فيها . ومن الدين وما يوحي من سمو ومن حب للحق وانتصار له ، ورجاء لزوال الجور والظلم،ومع ذلك أقول : لست أدري لماذا لم يوفق الشاعر الى قول أبيات تحفظ ولا تنسى لقد فكرت بهذا كثيراً فلم استطع ان اعزوه الا الى « المروض» الذي انتقاه المريض . والى تلك « الخرجة » التي لم تكن موفقة موسيقياً ، وان وفقت حواراً . ومع كل هذا ستظل أرض الشهداء ملحمتنا الى ان تلد القرائح رائعة جديدة .

ليس العريض باعظم من هوميروس والمتنبي حتى لا يكون في شعره «لو».. ومتى ذهبت كلمة «لو» ذهب الناقد معها وركد الفن . أليس الناقد بغيضاً الى بعضنا أكثر من الشيطان !! ومع ذلك لا بد من المعارضة في كل شيء حتى الادب ، وحسبنا برهاناً على لزوم المعارضة ان الله ، سبحانه وتعالى ، خلقها منذ البدء في السموات العلى ، وقسم ملائكته الى موالين ومعارضين ..

الأشباح الظالمة

لمحمد النقدي

في العراق ثورة فكرية عارمة تبشر بطوفان ينزل منها العصم من كل منزل . رأينا طلائع هذه المعارك الضارية في شعر بلند الحيدري ، وسوف نرى وطيسها أحمى عند حيدريين آخرين ، واما الآن فأمامنا ديوان « الأشباح الظالمة » لمحمد النقدي احد شعراء الشباب الثائر .

دفع هذا الشاعر الطالع ديوانه الى الشاعر رشيد ياسين فقدمه الى القراء وأثنى على صاحبه بما هو أهله. وكان الاستاذ يس قد خاف ان يكيل للنقدي الثناء بالمد وتتهم حكومته فيه فعاب عليه استعمال بعض الفاظ ، وشكا قلق بعض قواف ،فعلق « النقدي » الحواشي معترضاً على احكام مقدمه ، مستعدياً عليه القارىء . لست أقول ان الأستاذ ياسين كان لاقطاً في جميع نقداته، ومع ذلك لا يحسن بالمؤلف ان يقبل المدح ويحتج على القدح .

قلنا ان في العراق ثورة فكرية فأين هي تلك الثورة في ديوان النقدي ؟ يقولون « الكتاب يقرأ من عنوانه » وعنوان ديوان هذا الشاعر يدلنا على

أغلب ما فيه ... فماذا يعني اذن اذ جعل عنوان ديوانه : الأشباح الظالمة . انه يعني تلـــك التقاليد الدينية التي وقفت كسد مأرب بين الشاعر وفتاة مسيحية احبها ، فجاء أكثر شعر هذا الديوان انيناً وثورة على المذاهب التي تعترض بين قلبين ، فتعزل الكهرباء وتحول دون اتصالهـــا وامتدادها في الاسلاك ...

لقد ضل النقدي طريقه الى قلب الحبيبة حين راح يشن الغارة اثر الغارة على الهة حبيبته ، ويقبحها في عينيها ليجذبها صوبه ولكنه لم يفلح . اما درى النقدي ان الدين والحب كليهما لا يفهمان لغة العقل!! أما قرأ قول ابي الطيب:

الام طـــماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقـــل

وبشار العقيلي ماذا اجاب ؟ اما قال : فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب.

فلو ركب الشاعر النقدي غير خطة التبشير والوعظ والارشاد ليهدي الحبيبة ويجذبها اليه لكان فاز بالمنى . فلو كان قال لها مثلاً : كل الدروب تؤدي الى الطاحون ، لدارت الرحى وأكل ملـّة ، أو خبز ملـّة كما ارادنا الاصمعي ان نقول . اراد النقدي ان يكون مبشراً ونذيراً فقال لحبيبته في ختام قصيدة :

وماذا رأيت ؟ رأيت فتاة تقبل الهـــة من ذهب

ويقول في ختام ثانية :

ان حبي اليك لا يرهب النار ولا المسجد الذي تعبدينه

ثم انظر كيف يسوسها لتلين :

انّ ربّا صنعته أنتِ لا أخشاه فليثأرنْ من تكراني

ويقول أيضاً .

إني ليؤلمني ان ترهبي شبحاً وان تلوذي بأخشابٍ واحجار

اهكذا يا سعد تورد الابل !! فاتك كم تغلب الدين على الحب ؟ اقرأ قصة رنيه لشاتوبريان . اراد النقدي ان يظل واقفا حيث هو ، وعلى التي يحب أن ترقل اليه ارقال الجمال المصاعب ... واكن الشاعر الذي عنف حبيبته لأنها لم تدرس تقاليدها وتتبعه قد ادرك ان به ما بها من الأشباح الظالمة . أسمع ماذا يقول في الهة الحبيبة اخيراً :

لولا صدى الاغلال في قدمي لعبدتها وصنعت ما يجب

كبر الله واجبك ! عليك ان تخطو الخطوة الأولى يا عزيزي . اردت ان تكون صهرنا ولم تحسن الاقناع فحرمتنا وحرمت نفسك . هذا هو القطب الذي دارت عليه رحى الديوان ، أما المواضيع الاخرى فهي من هذا النوع أيضاً وان تغير اللون . ففي أكثر قصائد ديوان الشاعر ثورة جامحة على كل ما في محيطه من شؤون وشجون حتى يقول :

ان كان بالظهر ايماني يدنسني فانني مؤمن بالرجس والعار

والآن فلنتحدث عن شاعرية النقدي كما تبدو من خلال ديوانه . انه شاعر مطبوع قلما ترى في شعره اثراً للتكلف ، وأغلب الظن أنه لا يحكك كثيراً . متأثر بالمدرسة الشعرية الحديثة بعض التأثير ، فهو يقول مثلهم :

حلم ليتني قصصت جناحه قبل أن يهرق الصبا اقداحه

وهنا أقول انني لست اجاري السيد ياسين في استهجانه هذا البيت ، كما لا أوافقه على استقباحه « قف تأمل » ، فهي ليست من طراز « قفا نبك » ولا من طراز « تبصر خليلي » كما زعم .

قلنا أن النقدي ينهج نهج شعراء الشباب عندنا ، ووقفنا عند « حلم ليتني قصصت جناحه » وهذا لا يكفي ، فهاك بعض ما يشبه تعابيرهم :

فأين الرؤى الناعمات العذاب وكيف انطوى لحنها المسكر
فبدت كالحنان لوناً وكالحب رواءً ، وكالخيال افتتانا

أما ما هو لون الحنان فهذا علمه عند الرمزيين الذين يؤمنون بالايحاء حق اليقين ... وكذلك « الوان فواحة » و « لفتة الامنيات » التي أدركها عليه الاستاذ ياسين .

أما هنات هذا الديوان فبعضها عروضي كقوله في ختام قصيدة « العبد الاسود » وهو يخاطب البيضاء التي هزئت به حين صرح لها بحبه :

لا تسخري من لوني الاسود فكلنا — آنستي عبـــد
ولا من القيد الذي في يدي ففي يديك مثله قيـــد

ومثل هذا جمعه بين « نحن وعين» في قوافي قصيدة «إلى شاعرة» وكذلك قوله في قصيدة « الصليب الذهبي » « نهد وجيد » .

أمـــا في الاصول فقد قال لم تهجسِ ، وحرك لم بكسر اللام فصارت للاستفهام ثم جزم بها . وقال يطوقه كف والكف مؤنثة . وقال : ان حبي اليك ، وتنعش للروح ، وأبدي اليك الحنين . ثم قـــال : إفضاء حبي ، وطفاحه ، وسكرة مفراحه . وغنوة بمعنى الاستغناء . وأبشع من هذا جميعاً قوله : مق سوف تصحو . والذي لم يعجبني من شاعر متأنق كالنقدي هو استعماله للفظة اظلمّ التي أراها من فصيلة اطلخمّ .

لقد أعجبتني قصيدته « عروس الاوثان » وما خصصتها بهذه الكلمة إلا لأنها ذكرتني بما حكاه الشدياق عن نساء مالطة ، وبما صوره لنا تولستوي في رواية البعث. إن حب الشاعر للدير يدلني على ان له فيه « نابيس » جديدة، فأسأل الله ان يهديه كما هداها ، وان كان الحب للشعر والشعراء كالفيتامين والفوسفات ...

ألوان شتّى

عنوان ديوان للسيد طالب الحيدري ، قدّم له الشاعر الكبير السيد محمد رضا الشبيبي مبيناً اغراض الشاعر بقوله : « وبجمل القول لقد وفق الشاعر ، فجعل من شعره سجلاً خاصاً سجّل فيه احداث وطنه المعروفة في تاريخه، فهو ديوان لماجريات المجتمع الحاضر في العراق » .

اجل ، هذا هو اللون الغالب اليوم على الشعر العراقي، فاكثر شعر شعرائه نضالي كفاحي . اما من حيث الأسلوب، فالسيد طالب،غير السيد بلند وغير السيد صفاء ، أي انه غير متأثر بالمدرسة الحديثة الا قليلاً ، ديباجته بحترية رائقة ، وان خلت من الصور الجديدة وظلالها والوانها الطريفة . يريد الشاعر ان يقرر ، لا ان يتخيل ويخلق صوراً رائعة ، فاذا تتبّعت شعره من أوله الى آخره رأيته يمشي الهوينا لا ريث ولا عجل . عبارة نقية لا غبار عليها ، واذا عبرنا كالقدماء قلنا : انه لا يفارق عمود الشعر .

وقد اعجبت بهذين البيتين من غزله . قال يخاطب واحدة « رآها تفتق ورودها الحمراء » :

فتـقيها كما تفتـق كف الفجر من بعـــد غفوة عينيك
تشتهي مهجتي الكئيبة ان تصبـح ترنيمة على شفتيك

وللسيد طالب قصيدة جيدة في فلسطين ، عارض بهـا قصيدة الأخطل الصغير فجاراه وكان منه على قاب قوسين بل ادنى . واذا فتشنا في ديوانه عن مآخذ فقد لا نعثر الا على مثل قوله في مصرع الامام علي :

خرّ كالطود شامخاً في جبينيه دم ساكب ونور حائم

فما هذان الجبينان ، أهما كذي الفقار يا ترى ! ! ثم قوله في القصيدة التي نقلت منها البيتين السابقين :

تتمنى لو توجت خصلتيك أو تهادت فوشحت خصريك

وهنا لا أدري أيضاً كيف يكون لهذه المستورة خصران ! ! ولكن قد يكون فعجائب المخلوقات لا تحصى .. أخذ الله بيد الشباب المرجّى ، وبارك الله في النهضة الشعرية العراقية التي تبشر بعود الشعر الى موطنه ، مسقط رأس الف ليلة وليلة .

ان للسيد طالب رباعيات شعرية ضمنها اراءه في الحياة ومـــا بعدها ، وسوف يأتي الكلام عنها ، ثم ننتقل منهـا الى النظر في ملحمة السيد صفاء الحيدري – اوكار الليل – وفي «عبث» مسرحيته الشعرية وكل آتٍ قريب.

رباعيّات الحيدَرِي

قبل ان نفترع هذه الرباعيات يعترضنا شريط احمر من الورق طبعت عليه هذه العبارة : لهذه الرباعيات قارئان : قارىء ينشرح لها ويأنس بقرائتها ، وآخر يتعظ – كذا – عند سماعها الخ » . أما أنا فمعذتي ، والحمد لله ، تقطع الصوّان ، وليس على ضرسي مرّ ، ولهذا مشيت على خيرة الله .

جاء في مقدمة السيد طالب : « اشاء ان أكون جبّاراً من جبابرة الفكر وأنا في ربيع العمر وغضارة الشباب ... اشاء ان أكون متمرداً على كثير مما تعارف الناس عليه من تقاليد ونواميس وآراء وعقائد ، وأنا في كل هذا راض عن فني ... فلـت أقـول مقلداً غيري ، ولا مترسماً آثار من قبلي . وانما افكر فاعبر ، وانظر فاصوّر واهتز ، فانبعث شاعراً حساساً » .

ثم يشكو الشاعر من انتقال الشعر من سيىء الى أسوأ فيقول « تقرؤه فلا ترى غير ألفاظ خلابة ، وموسيقى جذابة ، وديباجة كلها انوثة وترف . ثم لا ترى وراء ذلك كله معنى ساميا أو غرضاً نبيلاً ، أو فكرة راقية ، أو

مثلا رائعاً ، أو تشبيهاً جديداً . وانما ترى التقليد الاعمى والخروج الشنيع حتى على الذوق والمنطق » .

« ليس التجديد ان ننقل افكار قوم أخرين لا تربطنا معهم رابطة لغة أو بيئة . وانما هو الاتيان بنتاج جديد لا عهد للناس به مع المحافظة على سلامة اللغة وكرامة البيان » .

كل ما قاله السيد طالب معقول مقبول ، فشعرنا الجديد ما شب حتى دب على العصا . دار فيه المقلدون حول أنفسهم في حلقة مفرغة ، ولكنني مستبشر بهذه النهضة الشعرية في العراق وارجو منها خيراً جزيلاً . فمتى بدأنا نفكر بنقد انفسنا يعني ذلك اننا شككنا في اصنامنا الأدبية ولا يمضي وقت حتى تخر الى الاذقان . اما كيف يريد السيد الحيدري ان يكون فقد أوضح ذلك بقوله في احدى رباعياته :

قد همت بالمعنى وكم شاعر قبلي وبعدي هام باللفظه

شك السيد طالب وتمرد وهو في ميعة الشباب ، فلنر ماذا فعل . فلنبدأ أولاً بتتبع آرائه لنرى اذا كان استطاع ان يكون ، كما شاء ، « جبّاراً من جبابرة الفكر وهو بعد في غضارة الشباب » .

وفي اول صفحة من دفتر الحساب يجب ان نقيد في باب «من» أول دفعة ، وهي ان الحيدري لم ينفض عنه غبار التقليد بل قلد القدماء في بناء صرحه الممرّد على « الالف باء »كما فعل الحلّي والمعري ومن جاء بعدهما . اما المعنى فاظن انه ليس ابا عذر هذا الكلام ، بل هو فيه عيال على المتقدمين . فعلى حرف الالف يقول :

عجباً يدّعي اليقينَ رعاع الناس والشكُّ صفوة الحكماء
ان تكن هذه التقاليد ديناً فعلى الدين ألف ألف عفاء

وما احسب هذا من الأفكار البكر . وكذلك الرباعية الثانية التي يحتج

فيها على الله الذي يريد منه متقياً لا يستجيب للهو أو لنعماء ، مع أنه خلقه مستعداً قابلاً كل دعوة تأتيه . انها مقولة بصورة ألطف . قال الشاعر :

الهي ليس للعشّاق ذنب لانك انت تبلو العاشقينا
اتخلق كل ذي وجه جميل به تسبي عقول الناظرينا
وتأمرنا بغض الطرف عنه كأنك ماخلقت لناعيونا!!

واذا انتقلنا الى الفكرة الثالثة ، وهي اتهـــام الاباء والأمهات بانهم لم « يفبركونا » الا للذة قال :

« قبح الله متعة » بلغوها في ليالي اللذاذة الحمراء
ليس في الكون والد لم تنله لعنات الاحفاد والأبناء

ما هكذا علّم جدك يا طالب ! ما هذه لذة فقط ، ان هذه الا ناموس حفظ النوع ... ان الطبيعة أمّ الحكماء ، وهـــي تعطي الدواء ملبّساً بالسكر ... والا فاية ام تحتمل آلام الحَمَل والمخاض ، والوضع والحضانة!! اتتغاضى عن جهادها الدائم وتحاسبها على متعة ثوان ؟ لا تكن ظالماً . وبعد ، فانت وعدتنا بالجديد ، وهذا عتيق . أقرأ ما كتبته في « على المحك » للشاعر الصافي حول هذا الموضوع . فلنمش لنقرأ في آخر الصفحة الثامنة :

أبي جنى وساجـني أنـــا على أبنـــائي

وهذا أيضاً ليس بجديد . ويقول بعد هذا :

كوخ ونصف رغيف وجرعة من ماء
وكأس خمر وظبي مهفهف الأعضـاء
اشهى لنفسي ممـــا في الأرض أو في السماء
فيم الهموم وعندي كأس من الصهباء

وهذه أيضاً نواسية خيامية . وفي الرباعية التي تليها يقول :

تب عن معاصيك فالمعاصي توردك الويل والبـــلاء

وهذه خطة معرية ، وهي قول الشيء وضده . وفي الرباعيات البائية يترك أباه ليضع خطيئته في رقبة امه فيقول :

اثمت امي التي وضعتني لاذوق العذاب من غير ذنب

وما هذا تمرداً ولا جديداً ، فاي اثم ارتكبته تلك السيدة الفاضلة اذ ولدت انساناً بسمت الله ورسوله ! ! ثم يقول في الموضوع نفسه في ص ٢١ مخاطباً والده :

ولدتني يا أبي ولم تلد الا عجيباً لـلذة الجسد
آليت الا اكون مرتكباً جريمة مثلها على احد

حتى اذا قلبنا الصفحة الثانية والعشرين قرأنا :

تاجرت محتملاً لكل أذى كي لا أمدّ يدي الى احـد
خلفي كزغب الطير اربعة هم عدّتي الكبرى وهم عُددَي

فاحترت بين القولين ، فعدت الى تاريخ الرباعيات فوجدت الأولى بتاريخ ١٢ / ٣ / ٥٠ والثانية بتاريخ ١٤ / ٢ / ٤٩ .

فقلت : الله ! ! كيف نوفق بين من حلف الا يحني على احـــد ، وهو ينبئنا ، قبل ذلك بعام ، انه ابو أربعة . لو كان أبو واحـد لهان الأمر . ولكن حلّ هذه المشكلة نجده في ما انزل، على اشرف البشر ، جده الاعلى : الشعراء يقولون ما يفعلون .

ولا يحرم السيد طالب الوطن من هذه الرباعيات المكتنزة ، ثم لا ينسى فيها ان يفتخر ، ومن احق بالفخر ممن يستطيع القول :

« محمد » جدّي وأكرمْ به و « حيدرة المرتضى» والدي

ثم يلتقي الشاعر مع ابن الرومي حين يقول :

اذا الشباب النضير ولّى فما بقائي بعد الشباب

الى هنا لا تزال نمر بوحول القدماء ، اما القول الجميل الذي اعجبني واظنه جديداً فهو قوله :

ان الفراشة لا يطيب لها سوى طعم اللهيب

فليت الذي يقول هذا لا يفوته ان امه ووالده ما اثما ولا أتيا امراً ادّاً حين خلّفاه، فليفترضها فراشة ... ثم لو انهما لم يفعلا فمن اين كنا سمعنا مثل هذا البيت الذي مرّ. وأطرف من ذاك هذ الاحتجاج الآتي على تحريم الخمرة:

ان تكن اثماً ففيم بها وعد « الزهّادَ » كلُّ نبي

وكانني ارى ابا نواس واسمعه يقهقه ويصك وجهه صارخاً : كيف لم يخطر هذا ببالي ... اما قوله فيما بعد مخاطباً ربه الرحمن الرحيم :

ماذا عليك اذا لم تنظر الى سيّئاتي

فهذا أيضاً أخذه جميع شعراء الصوفية عن مار افرام .

ويقول طالب :

لو ارادوا سعادتي وهنائي جبلوني اشعة من نور

فيذكرني قول المتنبي :

وأني من القوم الذين نفوسهم بها أنفٌ ان تسكن اللحم والعظما

وانا لست من رأي الأثنين ، لانني لم اذق لذة النورانيين لاتمناها ، فلندعها للملائكة يا طالب . انها امامنا في الجنة ان شاء الله ، اما الآن فارض بالحالة التي انت فيها . . .

والآن فلندع الفلسفة وننتقل الى غرض مبتذل في هذه الرباعيات، واني الوم السيد طالباً على هذا الاعتداد الذي كرهناه عند المتنبي، فهل يعقل ان يقبل من فتى ان يقول عن نفسه :

جاء بالآيات ساحرة وهو في العشرين من عمره

ثم :

دونكم شعري اذا رمتم ان تعرفوا حقيقة الشعر

واذا انكرت عليه مثل هذا الادعاء الفارغ،فلست انخسه حقه حين قال:

بالمستحبات قمـــنا ولم نقم بالفروض
من جهلنا قـد شغلنا بالجبر والتفويض

وكذلك قوله الطيب :

لو نظر المرء بعين الحجى ما جسّم الله وما بعّضه

ثم تواضعه لله بقوله :

عذرا اذا قلت كفرا فقد يطنّ البعوض
قـد غرني يا الهي سماحـك المستفيض

ويرى السيد طالب هـــذا الكون حافلاً بالشر ولا خير فيه فيتخيله كطيلسان ابن حرب :

كل الرداء خروق فمـا عساك تخيط ! !
ان كان خلدون يزني فـإن « عمرا » يـلوط

قد تعقبنا هذه الأفكار لنرى اذا كان شاعرنا قد جدد وابدع ، كما قال في مقدمته ، ولكننا لم نبلـغ حرف الميم حتى سمعناه يعترف اعترافاً صادقاً بقوله :

فكأني ورثت هذي القوافي والمقاطيع عن ابي تمـام
كيف انجو من الحميم وآرائي مأخـوذة عن الخيّام
والمعريّ بالشكوك ابتلاني فاذا بي مشكك في الانام

ان الحصة الكبرى منك يا طالب هي للمعري والبرهان على هذا قولك :

لي من العقل في الحياة امام وكفى مرشداً به من امام

اما الديباجة فقد ابديت رأيي فيها حين تصفحت ديوانه « الوان شق » ولا حاجة الى التكرار ، ولا سيما اننا عرضنا كثيراً من بضاعة الحيدري في هذا المقال ، فعلى القارىء ان يتولى الحكم .

نور الدين بيهم :

وقبل ان ادع رباعيات الحيدري الى غير رجعة يلذ لي ان ادون هنا ما سمعته من صديقي الاديب البحاثة الاستاذ نور الدين بيهم . فنور الدين رغم انهماكه في البحث والتنقيب ، وغرقه الى اذنيه في المكتبة الوطنية ، وغوصه على الطرائف والشوارد في الكتب الأثرية التي يتولى امر صيانتها ، لا يحرم ربة الشعر من لفتات وغمزات فتصب عليه جام الالهام . قال الصديق ، بعد ان استغفر الله العلي العظيم :

ألم يكفني يا رب منك خلقتني وزدت همومي في الحياة وأشجاني
وتبغي حسابي بعد هـذا معاقباً فمن يا ترى يبغي محاسبة الثاني !!

وَحسب الشاعر للقارعة حساباً كبيراً ، وخاف أن يواجه ربه بكتابه المسودّ الصفحات فآثر أن تظل مطوية ولو طوي هو معها إلى الأبد ، فقال مناجياً الغفور الرحيم :

تبشرني ببعث بعد موتي كفاني مرة ألم الحيـاة
إذا حقّ لديك هناك بعث فدعني منه أنعم في مماتي

وضل شاعرنا وغوى ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، وفي كل واد يهيمون ، فصاح أخيراً :

خلقت الكون من عدم ووهم وقلت مصـير ذلك للزوال
فمن عدم إلى عدم ، لمـاذا اذا اتعبت نفسك بالمحال

ويعجبني من الاستاذ نور الدين تعقيبه على هذين البيتين بقوله حين يرويهما :

سبحانك لا مرد لحكمك ، ولا اعتراض على مشيئتك ، فكأنه في هذا متلمذ لأبي نواس الذي قال :

وضع الزقّ جانباً ومع الزقّ مصحفا
واحسُ من ذا ثلاثة واتلُ من ذاك احرفا
خير هـذا بشرّ ذا واذا الله قـد عفا

هذه بعض ثنائيات نور الدين التي ذكرتنا بها رباعيات الحيدري ، والشيء بالشيء يذكر .

دُموعٌ .. وأشواق

عنوان ديوان حسن عزت الشاعر السوداني ، وقد قدم الشاعر محمود ابرهيم الشرقاوي هذا الشاعر الشاب إلى القراء معتقداً أن « هذه القصائد ... هذه القطع النفيسة ... هذه الدموع والأشواق ... ستبقى حيث هي بين صفحات الخلود تسخر من قيود الردى ، واثقال الفناء » .

قلت : اما انها « ستبقى حيث هي بين صفحات الخلود » فهذا مما لا شك فيه ، فلكل شيء مستقر « واما انها « تسخر من قيود واثقال الفناء » فأظنه رأياً فطيراً مبالغاً فيه ... إن هذه المقدمات هي التي تنفخ انوف الشباب فتحمى وتضطرم،ويقفون حائرين على مفترق الطرق. ان في ديوان دموع وأشواق شعراً ونثراً . اما أغراضه فلا يدل عليها العنوان كل الدلالة . لقد أمست دموع شباب اليوم وأشواقه خطراً جسيما يتهدد مصير الشعر، وصارت مصيبتنا فيها أكبر من مصيبة الادب العربي بغزل القدماء ، و «عمود الشعر» . لقد سقط عمود الشعر بفضل ثورة الشباب ، ولكنهم ما عتموا ان رفعوا

أعمدة من هذا الشعر المملوء عويلاً ونواحاً . فالافكار أمست واحدة ، والصور صارت واحدة ، وألفاظهم تكاد تكون هي اياها .

قد يقول القارىء : وأية غرابة في هذا ! أليست حالات الحب واحدة ؟ وأنا اجيب نعم ، ولكن في استطاعة من يريد ويفكر أن يخرج فكرته بصور جديدة . ومتى أصبح الشعر المعاصر مصنوعاً كله على مثال واحد فما انتفاع صاحبه به !؟ بل أية ثروة أدبية جديدة يضمها المعاصرون إلى التراث القديم ، إذا ظلوا يطبعون الشعر على هذا الغرار .

إن مـا تذيعه محطات الاذاعات ، وما تنشره الصحف ، وما يطبع ويجمع بين دفتين ويسمى ديواناً ، يكاد يكون واحداً ما خلا فوارق عرضية لا جوهرية . وإذا رأينا ، مثلاً ، الشاعر حسن عزت يمـد يده إلى شجرة الغيب ليجني بعض ثمارها فمثله نرى الشعراء الشباب الآخرين يفصلون ويخيطون ثياباً موشاة مطرزة ولكنها على نمط واحد. فلنأخذ واحدة من ديوانه لنراه يلتقي فيها مـع شعراء اقدمهم طرفة واحدثهم ايليا ابو ماضي . فهو يقول ، مثل هذا الأخير ، قصيدة عنوانها « لست ادري » ويتساءل مثله : لِمَ جئنا ؟ واين كنا ؟ واين نمضي ؟ ثم يمضي في قصيدته هذه فيقول : لست ادري ! فاسكب لعلي ادري !

وفي هذه القصيدة والقصيدة التي تليها يذكر الشاعر لفظة الكأس ، وقد وردت مذكرة ، ولكن الجمهور على تأنيثها . اما قوله : وما زلت المدامة ظامي فهذا لا يجوز ، ومثله تشديد ياء لفظة سخريّة .

وبعد كل هذا ، فما لك يا عزيزي عزت وموضوع « لست ادري » ؟ الا تعرف مثلنا القائل من درى درى ، ومن لم يدر قال كفّ عدس ... ان ايليا ابو ماضي لم يترك لاحد شيئاً في هذا الموضوع . اني اردد لـــك هنا ما قاله اناتول فرانس لرنيه بازين : ما لك والرواية القرويّة ، فمها فعلت لا تدرك ما ادركته فيها جورج ساند .

وفي قصيدة أخرى رأيتك تقول :

قلبي الغرير ! اما كفاك ترحاً لم يبق مستمع من الأحياء

أن « ترحاً » يجب ان ترفع، وهذا خطأ وقع ويقع فيه الكثيرون ممن هم أصلب منك عوداً . ثم رأيتك تأمر الحـــاضر بصيغة ليست له ، فتقول لقلبك : يا قلب فلتصبر على الضراء . يا ليتك شاركت قلبك في الصبر ، والصبر اجره عظيم ، وقلت : يا قلب فلنصبر ، على الضراء فيستقيم الكلام .

ورأيتك تقول في مطلع قصيدة أخرى :

ايها الساكر في الديجور من دمـــع اليتامى
ومثير السعد والفرْح على شكوى الكلامى

وفي هذين البيتين ، على صغرهما ، خطآن وجواز قبيح . امـــا الجواز القبيح فهو في تسكينك راء الفرَح ، وأما الخطأ فهو في قولك ساكر ، وكلامى . وبهذين الحرفين لم ينطق احد . اني اشير عليك بمطالعة ابن الأثير ، فمند هذا الرجل، رغم صلفه ودعواه وكبريائه ، العلاج الناجع ، فبالله عليك اقتن «المثل السائر» وأقرأه مرات قبل ان تنشر ما وعدتنا به من كتب تصدر.

اراك يا عزيزي عزت قد رميت بداء الادعاء قبل اوانه فقلت :

فسأمضي الى الفناء وتبقى لمعات الخلود في اشعاري

ان هذا كثير عليك الآن ، اما ما ستكون في الغد ، فهذا يحققه الاجتهاد والعمل المتواصل والمطالعة التي لا نهاية لها . ان الاتكال على علم العروض ، وحده ، لا يخلق الا عروض الأشياء ، فاذا شئت ان تكون شيئاً فاعمل له منذ الآن .

ولنمر مرة اخرى في ديوانك لنرى أي مستوى بلغت في قصيدة « ملاك نائم » . الا ترى ان هذه المواضيع قد بان هزالها وسامها كل مفلس ؟ ثم ما

نفع بكائك بعد الجريمة العظمى يا عزيزي! ؟ هـــل يرتق الدمع ما فتقته رعونتك ... قلت :

وقعنا صريعي هوى ثائرٍ لنبكي الهوى والعفاف الصريع
يساقط منه بريء الدموع أفدي بنفسي تـــلك الدموع
وحان الوداع ، فأودعته فؤادي ... بنفسي الملاك الوديع

كثر الله خيرك ، اهذا كل ما عندك ؟ ! واذا كان هذا فعلك بالملاك ، فماذا كنت تفعل لو وقعت على جنيّة ... وبعد، فاين الابداع الفني لنغفر لك هذه الجناية .

ان الوقت لا يتسع للمرور بابياتك كلها،وحسبك منا زيارة قصيرة،ولكن لا بد من كلمة أقولها لك انا أيضاً عند الوداع . قلت يا عزت، لسلطان الشعر وامبرطوره،الاستاذ عباس محمود العقاد ! !

يا أمير البيان حسبي قولاً خانني الشعر يا أمير وقصّر
عبقري الزمان حسبي من شعرك نزراً بـــه اتيه وافخر

اذا كان هذا جلّ ما تود ان تستولي عليه من امد الشعر فانعم بالاً . لقد نلت الكثير ، لا النزر من مثل شعر العقاد ، فته وافخر ما شئت ، ولكن على من ؟ ! اذا كنت لا تطمح الى اكثر من شعر « عقّادي » فانك لا تفلح .

الحجازيات

إغاريد ، أصداء ، الأبراج

هي عناوين ثلاثة دواوين من الشعر : فالأغاريد من الحب وإلى الحب . والاصداء من الحياة واليها . والابراج من الفن وللفن وحده . هكذا طبع الاستاذ أحمد قنديل على جلود دواوينه الثلاثة .

فلنبدأ بالاغاريد لنرى ماذا غنى الشاعر للحب ، وما زاد في ثروة شعرنا الادبية . تطالعنا على أولى صفحات ديوانه هذا أربعة أبيات وضعها الشاعر تحت صورة ابنه مبتدئاً بهذا البيت :

أملي في الحياة انت، ومن انت ؟ سوى عمري القديم جـــديدا

طريف هو هذا المعنى ، ولكن اخراجه بمثل هذا التعبير المتعتع ضعّفه وذهب بالكثير من رونقه . ان «سوى» قلقة في موضعها كأنها تشمّر للفرار. فلو وضع الشاعر ما موضع من وقال :

أملي في الحياة انت ، وما أنت سوى عمري القـــديم جديدا

لتمّ له ما أراد ، وترحمنا نحن على بلزاك الذي أنطق الاب غوريو بهذه العبارة الطريفة : لا اريد أن اخلد « بالمزلوم » .

وإذا جزنا هذا الديوان من الباب إلى المحراب رأينا أن الشاعر أحمد قنديل يحكي أكثر مما يشعر . فخياله ضيق الافق ، ولا تزال تعلق في ذهنه تلك الألفاظ التي ماتت عندنا بموت عصرها ومحيطها . الشعر عند قنديل تعبئة أوزان، وكل كلام استقام تقطيعه هو شعر، ولذلك يقول دون أن يشعر بما في قوله من سماجة :

هكذا كان مثلما هو قد عاد إلى أن يعود حر الوجيف

كما يقول أيضاً من قصيدة اخرى :

ما كنت أحسب ان سأحسب ما حسبت ومـــا استجد

يظهر ان ذهن الشاعر لا يرجع الصدى ليحس بما في نظائره من تنافر ، ناهيك أن بيته هذا يمثل لك مطبوعاً صورة منشار نحيف الأسنان... وكما لا ينتقي ألفاظه كذلك لا يدقق في معانيه . اسمع ما يقول في وصف الحبيب من قصيدة عنوانها « غيرة » :

وهناك الحبيب يرتفق المشب وغيري يرتاد من فيه نبعا

أفلا يرى الاستاذ أن هذا النبع المتبجس من فم الحبيب يقصي الواردين عنه مسافة فرسخ خوفاً من رشاشه ...

ولعل خير ما في ديوان أغاريد تلك القصيدة التي عنوانها « دلال » فقد رأيت فيها من الابتكار ما ندر وجوده في شعر احمد قنديل . أما المفردات المنثورة هنا وهناك في ديوانه فاعجب كيف تخطر في بال شاعر متحضر كالاستاذ قنديل . رأيته عياناً لا بقياس فاذا هو أنيق الملبس، حديث الزي، حسن السمت ، ومع ذلك لم يأنف من أن يقول :

مطرهفاً هفا الجمال اليه وارتضاه مثاله المطرابا

فبيت مسكين كهذا أوله مطرهفٌ وآخره مطراب أيّ حظ يرجو من الحياة الأدبية ؟ ! ولكن في هذه القصيدة بيتاً يشفع بهذا الأخ المعوّه ، وهو هذا :

كالصدى، كالغراب يفجؤه الروض فيناًى عنه يريد اليبابا

لا تطلب عند قنديل كلاماً معسولاً ، ولا موسيقى ولا حواراً ، وانك لا تجد في شعره غير كلام مرصوف لا يتورع صاحبه من استعمال ما لم يستعمله احد كلحاظيك في هذا البيت :

رب ايماءة - تشير اليه من لحاظيك في حنانك تغني

استعمل الشعراء هذه الصيغة في المفرد فقالوا حبّيك بدلاً من حبك ،وهي مع ذلك غير مستحبة . اما لحاظيك فلم ار مثلها بعد ...

واما قصيدة « محاكاة » التي نظمها استجابة لاقتراح بعض المغنين محاكاة لقصيدة « حدثيني عن الهوى حدثيني » فهي من جيد الشعر ولا غبار عليها . وفي قصيدة « ما وراء الغيوم » اعجبني جداً قوله :

ان حديث الحب في كوننا تاريخ هذا الكون لم يكمل

اي والله صدقت ، الآن اضاء قنديلك ايما اضاءة . وقد ابدعت ايضاً في ختام قصيدة « الجواب الضائع » وهي خاتمة اغاريدك :

واستحى، والحياء فنّ من الحسن، وضاع الجواب في استحيائه

بديع جداً ، لقد احرزت حسن الختام ، وهذه من شهقات المصباح ايضاً . فلننتقل الى ديوانك الآخر « اصداء » .

عرفتنا بهذا الديوان بقولك : من الحياة واليها ، أما أنا فرأيت انه دون

اخويه : تفاريد ، والابراج ، وكدت اقول فيه : شعر حجازي تحس فيه البرد في تموز ، كما قال جرير في شعر ابن ربيعة ، لولا قصيدة البلبل التي افتتحته بها لقد اصاب المحكمون في اذاعة لندن حين منحوها الجائزة الاولى بالنسبة لبلدان العربية السعودية ، والجائزة الثانية بالنسبة لبلدان الشرق الاوسط . ان استحقاقك الاولية أولاكه ، دون شك ، هذا المطلع الرائع :

الروض ما معناه يا بلبل ان لم تغرّد فيه او تمرح
والزهر من يسكب في ثغره سحر الهوى ان انت لم تصدح

الى آخر ما هنالك من الشعر الطيب . لا اتوغل في ما بقي من الديوان لئلا اعثر بالكثير من مثل :

ومن ان مسّكِ الكرب « وناديتيه » لبـــاك

ومثل هذا العجز الذي ورد في قصيدة « صوت الحجاز » : في مشهد القول مثل دام محترم . ومثل جمعه بين المكارم ويكرم وعليكمو ، وجعلها قوافي قصيدة واحدة ... وخوفاً من ان اقرأ الكثير من مثل هذا اكتفي بالبيتين الحقيرين :

ترجو لدينا قوة وتكاتفا حتى تتم بنا كأحسن ما يكون
ومقدرين اليوم في افرادها رمزاً لتضحية بمجهود ثمين

انها نماذج رديئة من نثر الصحف لا تستحق ان تسمى نظماً ... وقد رأيت الشاعر احمد قنديل بين شرين ، فاما ان يرك قوله ، كما مر بك ، او ان يحيي موؤودات اللغة فيقول :

ورق الى الشاكي نواه فاهطمت اليه رقاب تتلع النحر والصدرا

والغريب الغريب هو ان نرى في شعره ما نرى من تمائم وتعاويذ الجاهلية ثم يقول غاضباً للفن :

الام تغثون النفوس بقاحـــل من الادب الميت الكثير التلاعب

حرام عليكم ان تكونوا مصيبة على الفن، يكفي الفن باقي المصائب

يظهر ان اذن الاستاذ بعيدة جداً عن فمه ، فلا يسمع ولا يعي ما يقول. ما لنا ولكل هذا فلنطوِ « اصداء » فهو لولا قصيدة « البلبل » لكان اولى ان يسمى صدى لا اصداء . واذا عرجنا على الابراج مارين بآخرها قرأنا قصيدة « بلد الهوى » اي لبنان . اوحى اليه الجبل بهذه القصيدة الطويلة المتضمنة كثيراً من الشعر ، ولولا الذي لاح لي فيها من ومضات الخيال لقلت ان قنديل صاحبنا لا زيت فيه .

وقف الشاعر يتأمل لبنان ، ويرى فيه ما رآه شوقي من قبل : لبنان والخلد اختراع الله ... شده الشاعر حين سما له لبنان ، ولكنه مع اعجابه بالجبل الأشم لم ينس الحجاز وطنه ، فراح يقابل مشهداً بمشهد، وجبلاً بجبل ، ووادياً بواد ، فيقول :

يبدو بها « وادي الحرير » كأنه « وادي الوجوم »
وكأن « عاليه » « السلامة » في الكرامة والكروم
وكأن «ظهر البيدر» المرموق متن « كرى » القويم
وكأنما « الشاغور » من «سيل العقيق» صدى الهزيم
والأرز للاثل الاروم لا ترام ولا ترِيم
وكأن بيروت « لجدة » لمحة الذهن العليم

اما « اللازمة » التي رددها الشاعر في آخر كل مقطع من مقاطع هذه القصيدة الطويلة الجيدة فكانت – والضمير يعود الى لبنان – :

والكون والدنيا ، فأنت ، – تعيش انت ! – لنا المراد

ان في ديوان الأبراج شيئاً من الفن ، ولكنه ليس للفن وحده . ففي وجوهه ما في الديوانين الآخرين من نمش وبثور . . . والاستاذ قنديل كغيره من شعرائنا يريد ان يفلسف في شعره، وهو ان لم يتفوق في الفلسفة والتساؤل

عن المجهول، فقد سوق في رثاء بنته « حكمت » حتى بذ ابن الرومي في رثاء بنيه . حقاً انها من اروع الشعر في موضوعها. اما في اغراض الشعر الأخرى فرأيته في شعر المناسبات ابلغ منه في الغزل .

ولو شئت ان اقابل الأستاذ احمد قنديل بالمثل ، أي بمثل مدحه ووصفه للبنان لوجب علي القول أنه اشعر الشعراء . ولكن العواطف شيء والنقد شيء آخر . أما وسم هو ديوانه « الأبراج » بقوله : من الفن وللفن وحده . ونحن كذلك يا أخي ، فالنقد من الفن وللفن وحده ، جعل الله حظك منه اوفر في ديوان « الصواريخ » الذي تقول انه تحت الطبع .

الأدب الفرعوني

والدكتور أدهم والعقاد

سيدي الدكتور العلامة ،

محدثك اليوم تلميذ مدرسة تحت السنديانه، قرأ الايجد والقدوس والطوبى في ظل كنيسة عين كفاع المطعمة . قلت المطعمة ، وازيد انها مطعمة فنياً ، فوق الأرض بقليل . كانت هيكلا لابن بلدنا أدونيس فصارت كنيسة ليسوع ابن جارتنا . اما الدكتورا ، فحزتها من جامعة الجديدين ، وأظنني اخذتها بحقها . دفعت ثمنها ضوء عينين قد يجف زيتها قبل انتهاء الرواية التي اتمنى ان لا يعقبها فصل مضحك . . .

كم كنت اتمنى ان اتدكتر ولكنني سبقت الطوفان . . . كان في مكنتي ان احرزها كرفيقي المونسنيور فغالي لو لم يقف شيطاني المريد في طريقي وقفة ملاك الرب بوجه حمارة بلعام . فآه والف آه من الجوكي اللعين ، أو الغلام الخف ، بلفته حامل لواء الشعر في النار . قد ألقي في أذني كلمات فحرنت في المضمار ؛ ولم ابلغ الغاية .

اذن يا سيدي الدكتور انا رجل لا خلفي و لاقدامي ، ولقب الأستاذ ، على ابتذاله ، كثير عليّ ، فلولا الدرس ما عرفت كوعي من بوعي ، وقد كنت انت متواضعاً جداً اذ تنازلت لمخاطبه « باشبزق » مثلي ، واهديت اليه بحثك العميق .

اما انا فقبل ان اعرف انك دكتور ، وعضو أكادمية العلوم الروسية ، ووكيل المعهد الروسي للدراسات الاسلامية ، اعجبت جداً بدرسك الدقيق للدكتور الجليل الأستاذ طه حسين . اعجبني حكمك الصائب الذي اخرجته صورة رائعة ، وكم كنت ممتناً لصاحب المكشوف الذي تبرع لي بمجلة الحديث الحلبية فقرأت فيها مقالك النفيس . وما سمّيتك المتشرق التركي ، في مقالي الاول عن الاستاذ العقاد ، الا لان العدد لم يكن في متناولي. وانا ، بعد ، فانسى الاسماء والارقام التاريخية التي يقدسها اصحابنا الفرنسيون كما خبرنا مارك توين . واياك ثم اياك ان تنسب ذلك الى العمر ، فأيّ كذا خلقت ... وبعد ، فما لي امطط كابن الرومي ، أولست اخاطب عالماً ؟

وكما انني لا اعرف لماذا انسى الاسماء كذلك عرفت ان العقاد عاجز عن التعبير الجميل . وظللت لا اعرف لماذا حتى نبأتني أنت ، ولك الشكر ، ان هذا من خصائص النفس الفرعونية وان العقاد فرعوني من جد « المكشوف العدد ١٨٦ » . آمنت وصدقت يا سيدي العلامة . ومثلي لا يناقش العلماء ويجادلهم كمجادلة يسوع في الهيكل . ولكنها حرب عصابات ، لا خطط ولاخنادق ، متاريس فقط ؛ والسلاح قوس ونشاب . ولهذا اظن انك دللتني على النفس الفرعونيّة وخاصياتها لا على الادب الفرعوني . وبكل تواضع اقول لك انني قرأت وطالعت كثيراً مما كتب حول هذا الموضوع ، وزادني علماً مقالك في المكشوف اليّ ، ومقالاك النفيسان في المقتطف الرصين — يناير وفبراير سنة ١٩٣٩ — فعلمت ان الحياة في النموذج الفرعوني تبدو فكرة مجردة مستقلة عن شكلها ومن هنا جاء غموضها . ولكنني رأيت كثيرين من شعراء العرب

الاقحاح عجزوا ايضاً عن التعبير الجميل وهم بعيدون عنفرعونية العقاد بعدى عن مصر المحروسة ، ورأيت شعراء مصريين اعرق من العقاد في الفرعونية ، بل هم من السودان لا البيضان ، ولهم شعر رائق عذب . ثم أتؤكد أنت ان الاستاذ العقاد من السلالة المصريةالصافية ، اي غير مطعّم بالمطعومالعربي النبيل ، الذي يريد المتفرعنون ان يبرأوا منه ! ؟ واذا كانت الفرعونية كما هي في الادب العقادي ، فخير لجيراننا ان لا يبعثوها ذميمة ...

الا نظلم مصر الكيسة الظريفة اللطيفة اذا مثلها في دولة الادب صرير الجنادب ؟ فعلى مصر ان تطلب ادبها الجديد عند من يؤدون رسالتها — عند شبابها— اما موسام هذا فألثغ وما في يده عصا . وليست فيه ملامح شاعر القومية المطلوبة . فليتنظر الفرعونيون ظهور البقعة المثلثة في جبهة العجل .. اما الآن فليطرحوا هذه الاشلاء الشعرية المحنطة في بحيرة اشيرونيا . فهل عاد الينا فرعونك الجديد بواجهات دكاكينه ، وكوّا ثيابه ليذكرنا بعبادة البصل والثوم والكراث والخندقوق ؟ ! نحن في الادب لا نعبد الا الفن وهو الهنا الواحد .

وانا يا دكتوري العزيز لست ممن يبحثون عن الادباء والشعراء جيولوجياً لأرى من اي طور هم . واذا فعلت خلصت بهذه النتيجة التي تتفق وعلمك الرسمي الواسع : ان العقاد من الطور الظرّاني . وبيانه منحوت او منجور في كهوفنا اللبنانية السابقة التاريخ. والا فما هذه النفس المتحجرة التي لاتقطر شيئاً ، ولو ضربها جوبيتر بصواعقه ! !

والعجيب ان هذه الصخرة الفرعونية لم يعمل بها الصقيعوالهواء والحرارة ، فاين هي من فيضان النيل الذي يرّطب هواءنا كما ترطبت لحية جوبيتر يوم همّ بافناء العالم . والنتيجة لست اذهب مذهبكم انتم العلماء ، وبخاصة في درس شخصية العقاد الشعرية لان النتيجة لا تساوي التعب فاذا سبكناها خسرنا الفحمات ..

وان قلت لي : اتسلخ في درسه الاشهر وتقول هذا ؟ اجبتك : قد فعلت لانعى الى هذا الوزّان شاعريته لعله ينصرف الى هم آخر من هموم الادب يفلح فيه ، ولأبين له شططه في براءته من كل ما هو عربي . ثم لا ادري هل تصح نسبة هذا الافلاس الفني الى النفس المصرية ، وعهدنا بها ميالة الى الفكاهة ، والمداعبة ، والنكتة ، والتهكم ! فاين آثارها في شعر الذي سميته فرعوناً جديداً ؟ أكُتِبَ له ان يورّث اسوأ خواص امته في الفن : الجهومة ، والجمود والصلابة !!

اما الذي ازعمه انا فهو ان العقاد قرأ لأحدهم : « الادب العربي الذي تتخذه مصر ادباً قومياً لها حق اليوم هو لا يمت الينا بصلة ولا بنسب ، فنحن لا نتحادث في حياتنا اليومية بلغته الفصحى ولا نستعمل كناياته واستعاراته ومترادفاته ، ولا هو يمثل الحياة المصرية ولا الروح المصري ، لان الادب العربي الذي تضيق به اليوم رحبات مكاتبنا هو ادب أسيوي وليد الصحراء ، ومصور الحياة البدوية والمعيشة العربية ... وممثل البدو ، وهم يشنون الغارات، ويعددون المكارم ، ويظمئون على الابل .

« فأي صلة بين هذا الادب وبين المجتمع المصري الذي يمتاز بخواص وميزات تناقض الوسط العربي تماماً ؟ وأين هو الادب المصري الذي يمثل النفس المصري ويصور المزاج المصري .. يصور مصر الوديعة الهادئة ، ذات الحقول النضرة ، والريف المزدهر بالقطن والقمح ، المفروش باشعة الشمس المستظلة بقبة سماوية صافية الأديم قلما تتلبد بالغيوم ، او تدوي بالرعود، يجري وسطه نهر عظيم كأنه الفكر العميق أثقلته تجارب السنين » .

« الأدب الذي يصور الفلاح والفلاحة القمحية اللون الخفيفة الروح، والمرأة المصرية تتطلع الى العالم المائج ... وأصحاب الجلابيب الزرقاء وارباب العمائم والطرابيش » .

وأكبر ظني – كقول طه – ان العقاد اجاب أيضاً لرغبة الدكتور ضيف

إذ حاضر في الجامعة المصرية سنة ١٩١٨ مفتتحاً العام الجامعي فقال :

« نريد ان يكون لنا آداب مصرية تمثل حالتنا الاجتماعية وحركاتنا الفكرية والعصر الذي نعيش فيه ، تمثل الزارع في حقله، والتاجر في حانوته ، والامير في قصره ، والعالم بين تلاميذه وكتبه ، والشيخ في أهله ، والعابد في مسجده وصومعته ، والشاب في مجونه وغرامه ، أي نريد أن يكون لنا شخصية في آدابنا » ، « السياسة الاسبوعية ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ » .

وأراد العقاد ان يكون سباقاً الى هذه الشاعرية فطار اليها ولكن يجناح الدجاج ... فوقع على واجهات الدكاكين وكوّا الثياب ، فكان أشبه بذاك الذي جاء باعجوبة الإبَر فاجازه بمئتين : مئة دينار جزاء حذقه ومرانه ، ومئة سوط قصاصاً له على وقت ضيعه . أما نحن فحائرون بما نكافىء الاستاذ على هذا العناء الشديد ...

ويقول ايضاً أحد المتفرعنين الذي تخيل مصر بعد خمسة قرون : « وكان للمصريين في القرن العشرين لغتان: لغة الكتابة والقراءة وهي العربية الفصحى التي جاءتهم من شبه جزيرة العرب ، ولغة التخاطب وهي العربية التي شوهها مرور الاجيال . ولو ان اللغة العربية لم تكن لغة المصريين بل لغة البدو الذين غزوا البلاد في القرن السابع للميـــلاد ، ونشروا آراءهم وآدابهم وعاداتهم وازياءهم في وادي النيل منذ ذلك القرن وجعلوا مصر مستعمرة عربية» .

كل هذا هاج العقاد للقيام برسالة مصر ، وتلك رسالة لا يؤديها الا شاعر عبقري ماهر في تزويج الكلام ، يفيض المجاز من شق قلمه فيضان النيـــل ، وتحمله مخيلته الى سماوات ابّلون .

هكذا فهم الادب الفرعوني بعضهم فآثروا ان ينتسبوا لحام نكاية بحدنا سام ... وابنائه العرب ، أما كيف فهم الأدب المصري، اديب مصر المنتج ، الدكتور هيكل باشا ، قبل ان كتبّ حياة محمد، وفي مهبط الوحي، فهكذا.

«وليكن هذا الميدان ميدانالفراعنة، ولنطلق لحرية الأدب غاية مداها في تصوير حديث هؤلاء الألهة مستمدين اخبارهم منمختلفات مصادرها، وموازنين بينهم وبين آلهةالاغريق الذين ألهموا من فوق الاولمب حضارة اوربا الحاضرة.

«وقد بدأتمباحثي عنابيس العجل الاله ونشرتها فلم أجد من أحد نفوراً منها ، أو ازوراراً عنها ، مما أثبت لي ان في النفوس الى هذا الادب القومي ظمأ وانها صادية لوروده اذا وجدت من يقدمه اليهـا » . « ثورة الأدب ص ١٥٦ » .

وبعدما اذاعالدكتور هيكلباشا حكاياتايزيس وراعية هاتور وافروديت أجلى جيشه عن الجبهة الفرعونية واحتل اقدس المشاعر العربية ، بعد ان اعلن الناس عزمه هذا بقوله :

« راجياً ان تعود بي الآلهة الاقدمون تحدثني واحدثها وتوحي اليّ بمـا بقي من قصة «الأشيب »و « فاتنة سميراميس » . ولست كفيلاً بأن تستجيب الالهة الى دعائي ، وقد اتجه ذهني واتجه روحي وجهة جديدة في البحث ، وفي بحث ليس دون بحث الآلهة الاقدمين مشقة ، ولكن اجل منها مقاماً ، واروع فيما ينطوي عليه من حقونور وجلالوجمال » «ثورة الادب ص١٥٨».

وهكذا انطوى الدكتور هيكل على كبده خشية ان تصدع ، وبقي الادب الفرعوني ينتظر . .

فنحن اذن تجاه امرين لا ثالث لهما : واحد يرى الادب الفرعوني وصف مصر الجديدة ، والبراءة من كل ما هو عربي ، وآخر يراه في احياء آلهـة الفراعنة ، بنت آلهتنا ، التي نسيناها وهمنا بيسوع ومحمد .

اما العقاد فمن شيعة الرأي الاول . حاول ان يصور مصر الجديدة فلم يصور شيئاً ، وكيف يصور من لا قبل له بالالوان التي تخلق الشعر القومي . وما برهانه على انه شاعر مصري الا اغفاله ذكر كلمة عرب في دواوينه .

اجل ذكرها مرة واحدة واعتنز ، يوم رثى حافظ ابراهيم « وحي الاربعين ص ١٧٢ » . كأنما العروبة والادب المصري ضدان لا يجتمعان ، وكأنما الدكتور زكي مبارك صاحب : اسمعوا صيحة الحق « الرسالة عدد ٢٩٥ » لا يحس ما يجري حواليه . وكأنما عقادنا يكتب شعره باللغة الهيروغليفية .

لقد نظم بلغة اولئك الساميين البدو الغزاة العرب ، ليؤدي رسالته القومية ، ثم انف ان يذكرهم . ان مزاجه يا دكتوري العزيز ، لا يبرئه . وانا لا أنشد غير الشعر الذي لم اجده عنده . وانني انكر من شعوره ما لا يقوم عليه الدليل . فالبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ... وبلد العقاد سبروت كذي مرخ الحطيئة ، وان نشأ على ضفة النهر الآله . فليبق فرعوناً الى يوم تقع الواقعة . وهل كان فرعون شاعراً ؟

ولست اقول يا سيدي الدكتور بدرس الشعر مجرداً عن التعبير ، فالشعر عمل فنيّ مادته البيان ، وكل فن يجب ان يترجم ظاهره عن باطنه ، ولذلك لا ارى هذا ممكناً حق ولا الى حد ما ، كما رأيت حضرتك في المقتطف ص ٦١ عدد يناير » . فالشاعر ، مجرداً عن تعابيره واساليبه الفنية ، كطائر بلا حنجرة ولا ريش . ان عصفور التين خير من الكناري — لولا حنجرته — في ميزان اللحم والدم . والشاعر كناري الناس ، وانني انزهه حتى عن اللحن المردد . وبعد فهل نستطيع درس النفس مستقلة عن الجسد وهي متأثرة بتركيبه كل التأثير ؟

واذا عدنا الى مقالي الدكتور ادهم الرصينين رأينا ان هذا المتمشرق اكثرهم تذوقاً لاسرار موسيقى لغتنا وادبنا ، ولعل ذلك راجع الى القرابة اللغوية... فالذي لاشك فيه هو ان ادب الامة لايتذوقه الا من وُلد في تلك الامة، ونشأ فيها، فالمتمشرقون الفرنجة يتعجبون كيف لايحسون ما نحس من موسيقى لغتنا، ويفتشون عنها في الحروف الصوتية ، قوام موسيقى لغتهم ، ومع ان موسيقى لغتنا ليست في حروفها الصوتية بل هي في كل حرف من الف بائنا ، والحروف

الصوتية عندنا حروف تلين . وفي لغتنا حروف مختلفة في الصوت ، وان اتفقت في المخرج ، وانها وضعت ليتصرف بها كل ذي ذوق ويؤلف الموسيقى التي يشتهيها . وقلما رأيت شعراءنا يدركون هذا ويحاولون خلقه في شعرهم بل يتقيدون بسلاسل فصاحة المفرد والمركب ، ثم يجهلون ان لكل حرف محله . وقد صدق العرب اذ سموا الاوزان الشعرية بحراً ، فركوبها صعب وان رأينا السابحين على الشواطىء لا يحصون . آفة أدبنا ان ابناءه يتعلمونه في المدارس ويحسبون كتبهم المدرسية كل الادب ، وان المتمشرقين يدرسونه في كتبهم بلغتهم ، ولا يستنطقون نصوصه وفصوصه .

وقد عرض العلامة الدكتور أدهم للاتباع والابداع في شعرنا العربي فرآه كله اتباعياً وهذه ظاهرة اذا استقريناها بدقة رأينا ان لكلٍّ من شعرائنا الاكابر سهماً في الابداع ، ولكن أعينهم مركبة من خلف يمشون مشية عمر ، ليلة هاجم خدر نعم ... يقدسون القديم ويتمردون عليه ، إنهم كالغنم يخافون على انفسهم اذا خرجوا من الحظيرة . ومن قرأ عمر وبشّار بن برد وأبا النواس وأبا تمّـــام والمتنبي وابن الرومي رآهم جميعاً غير مطمئنين الى الاتباع ولكنهم لا يجترئون على القديم الا بقدار ، فما طلقه احد ثلاثاً غير المتنبي في آخر العمر .

ويدرس المستشرقون ادبنا على ضوء المصباح الكهربائي ويقايسونه بشعر لا يمتّ اليه بنسب مزاجي أو محـلي ، فيخلصون الى القول ان الشعر العربي لم يحسن التصوير « لان التصوير يستلزم التجرد عـن الذاتية ، والعرض للظواهر الطبيعية من طبيعتها الموضوعية ، وهـذه بعيدة عن طبيعة العقل العربي » « مقتطف فبراير ص ١٥٧ الدكتور ادهم » « مثال واضح في وصف طرفة « بجمل » اذ يصفه بدقة تشريحية ، ولكن تعوزه الطاقة عـلى التجرد عن الذاتية ، وأنت لو طالعت في الالياذة كيف يصف هوميروس درع اخيلوس حيث تصور الدرع وتطرق وتنحت وتصقل امام بصر السامعين الذهني ،

لا مكنك ان تم ف الفارق الكبير بين طبيعة الشعر العربي وطبيعة الشعر الغربي فان الأخيرة زخمة Dynamic في قواتهـــا ونشوئها الدرامي » « المقتطف الصفحة عينها» « ١٠ » .

قلت وكيف نطلب من ابن العم طرفة ان يتجرد عن « ذاتيته » حين يصف ناقة معلقته !! فوصفه ليس « الجمل » كما قال الدكتور ادهم ، بـــل لناقته هو ، والناقة جزء من العربي . فهي منجم مواد حياته الأولية ، وهي المركب والخيمة . والقافلة اسطول الصحراء ، ومتى وصف الشاعر كطرفة ناقته أحس انه واياها جسد واحد،فهو لا يحدث بهيمة حين يحدثها بل أخلص الرفقاء والاعوان . اسمع يا سيدي الدكتور كيف يحدثها مولانا الاعشى :

وآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا

وكأني به قد تخيل ان ناقته ادركت ما قال ، وخاف ان تحرد وتضمر له شيئاً يحل نفسه عنه فعللها بقوله :

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله يدا

ليتك تقرأ يا دكتور ، وصف الأخطل لهرب ابن بدر وكيف تخيـــله وفرسه ، يسر اليها والرماح تنوشه ، وكلاهما يعومان في غمر . فالعربي متحد بمطيته كل الاتحاد وخصوصاً متى علاها . امـــا هوميروس فهذاك يتحدث بعجائب آلهته ويلقي عليها اتكاله،اما العربي فهو اله ذاته فكيف ينساها ولا يتحدث عنها ؟ وقصارى الكلام انا لست ممن يصدقون ان الانسان يخرج من « ذاته » الا بمقدار خروج الجبان من بيته . . .

ان درع اخيلوس ليس شيئاً لولا بطولة اخيلوس ، اما ناقة العربي فتتأنس وتشاركه في السراء والضراء :

شكا الي جملي طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى

فهذه « الموضوعية » التي تعوز شعراءنا تضر شعرنا شيئاً ، ولكن التقليد

وتقديس القديم آفة شعرنا العربي. آفة شعرنا العربي هذه الراوسم التي نجترها، حتى امسينا نغنى ببضعة شعراء عن شعراء العربية اجمعين .

اما الجنة التي تسألني ان أدلك عليها ، فواخيبتي فيها في شيبتي . .. ان الاجنحة التي صنعتها ديدال لولدها من الشمع قد ذابت حين واجهت الشمس . فعسى الا يسقط ايكار في لجج بحر آجيوس . . .

انّا نشكر لك عنايتك الموفقة بادبنا العربي، وهذه هي دنيا الاديب التي هي اعرض من الجنة ، فاملأ دنياك ، يا دكتوري ، بهذه الروائع والسلام عليك .

نقد الشعر

نقد الشعر في الأدب العربي

١

عنوان كتاب أصدره صاحبي نسيب عازار ، إذن انا حيال صاحبين اثنين كل منهما حبيب إلى قلبي : الكاتب وموضوعه . فلنبدأ بالمؤلف .

لست أشك في أن نسيب عازار قد طلع بغتة على كثير ممن أدركتهم حرفة الأدب ، وقد يكون عرفه من يحسن تقويم البضاعة بلا سمسار ، من فصول وأقاصيص أذاعها في بعض الصحف الأدبية كالمعرض والمكشوف وغيرهما.

يقول المثل عندنا : من أدرى باخبارك ؟ — ربك وجارك . فنحن جاران لا يفصل بيننا إلا جبل أقرع ، ولولا أن لنا ما للفرزدق من جدود وعمومة وخؤولة لضربنا الجبل الجبار المصعر خدّه وتناجينا ساعة شئنا. عرفت نسيب عازار يوم كان يتدافع مشي القطاة إلى الغدير ، فكنا نداعبه مدللين ، وصرنا نساويه محبين محترمين . ففي هذا الشاب المهذب كما في الخمرة : معنى ليس بالعنب ، وفي كتابه هذا دليل على أناته واتزانه مع أنه عصبي المزاج عند الضرورة القصوى

نسيب ابن بيت مرموق ، نشأ نشأة ارستوقراطية ، ولكنها مقتولة بالديموقراطية كخمرة الأخطل . كان أبوه عقيد قومه ، حظه قليل من التعلم — الرسمي — ، ولكنه علّم نفسه أي تعليم حتى أمسى يساهم في كل فن ومطلب . كان ، رحمه الله ، ملساناً من الطراز الأول ، في حديثه طلاء

ورواء . تخال أنه من رفقاء نمر وصروف حين يتكلم ، وقد تقر له بالأولية عليها . أدركته كهلاً ولكن الشباب ملء ثيابه ، وتعارفنا على أثر إعلان الدستور . كانت اجتماعاتنا الأولى في أوتيل سنترال لشقير ،واستزارني فلبيت، واجتمعنا في بيته ، بغرزوز ، فكانت الضيافة أكثر من عربية .

راقني ان رأيت الكتب منتشرة في كل قاعة ، والمكتبة حافلة بآثار من احببتهم طالباً ، ففي تلك الدار كنا نقرأ جامعة فرح ، ومقتطف صروف ، وهلال زيدان حتى المنار والمحبة والجنان... ناهيك بالصحف التي كانت تصدر في ذلك الحين ، فكأن دار الخواجه بولس غرفة قراءة جمعية شمر البر .

كان الرجل كبيراً في كل حركاته وسكناته، دقيقاً في معاملته ، ما اسفّ قطّ ، وكنا نرتاح الى معاشرته كل الارتياح ونحس انا امام رجل راض نفسه على مكارم الاخلاق وكأنه يسألنا في سكوته : هل من مزيد؟ تخيم علينا سكينة في ذلك البيت ، سكينة غير ضاغطة ، سكينة انعشتها ربة البيت الفاضلة بكل ما تحتمل هذه اللفظة من معنى. فالست حميدة فارقها زوجها في اول طريق وحيدها نسيب ، ووضع في رقبتها أمانة ثقيلة وألقى على عاتقها حملاً باهظاً من تربية وتعليم ، واشراف على دفاتر كبيرة ، بيد انها منظمة كأن صاحبها اخذ الحساب ومسك الدفاتر عن الاستاذين غاليه والشدودي . ولا عجب فقد كان بولس عشير العلماء وصديق الادباء .

ولو عرفت ان بولس عازار مات والحرب العظمى في عنفوانها لاكبرت معي جهاد هذه المرأة العظيمة ، فقد علمت ولدها وهذبته تهذيباً عالياً . لم تخرم ساعة من ساعات تعليمه ، وما انثنت حتى حاز شهادته من الجامعة الاميركية . ثم تزوج نسيب بآنسة غضيض طرفها فقرت عين حميدة اذ رأت ان كل ما عملته حسن .

بهذا الجو المطمئن يعيش مؤلف كتاب نقد الشعر ، لدفاتره عنده ما عند المتنبي للغيد ، ساعة ثم تنقضي . ويعود الى حقل الادب متنقلاً من مرجة الى واحة ، كأنه النحلة في سمته ومجراه، تارة يقع على دائرة المعارف البريطانية،

وطوراً على اخلد الآثار العالمية . مكتبته غنية ، اغناها هو ، فأمست تلك النواة شجرة باسقة ، وكم صرفنا من هنيهات في ظلها العميق ، ما نخرج منها الا لنستسلم للنكتة في رواق الشعر . كذا سميته .

يشرف هذا الرواق الرفيع على (القرنة) كلها ، بقراها الجميلة الوديعة الجاثمة على كتف البحر كأنها ذاك الشاعر : تحمله الذلفاء حولاً اكتعا . ليس هنا موضع وصفها ، ولا هو مقام يقال فيه كل ما بيني وبين نسيب ، فهذا محله في كتاب (قصصي واخباري) .

اجدني غير محتاج الى القول انني لا ازاعي هذه الصداقة في نقدي للشعر والكتب فقد عرفني الذين ذاقوني ، انا ممن يطبّقون الكلمة المأثورة : المعاملة غير المجاملة والنقد في نظري اشد صرامة من المعاملة وادق منها . انت حر ان تسقط عني مالاً لك ملء التصرف به ، ولكنك ، ان تغاضيت عن هفوة في نقدك ، كنت واحداً من اثنين : اما طويل الاذن لا تطس ، واما كذاباً محابياً وكذبة النقد بلقاء ... وكلا الامرين شر لا يرضاه لنفسه من فيه بقية من اباء . وقديماً كان النقد مفرق الاحباب – كما فرق بيني وبين صديقي بشاره الخوري – ومشعل هشيم الحياة . قال الاخطل : الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر ، ثم انورب لامر ما فنهضت اليه تماسيح بحر جرير وحيّاته ، فتضافر الاخطلان على هذا القرم العنيد وما كسرا شوكته ، وان قال له احدهما :

ما ضرّ تغلب وائل اهجوتها ام بلت حيث تناطح البحران

انّا نعوذ بالاخلاص من شر النقد ، وعسى ان يظل لنا هذا الوحيد العزيز ، ولكنني ماذا اخشى وانا لا املك لنسيب نقداً من بضاعتي المعلومة ، فهو في كتابه كما قالوا : ناقل الكفر ليس بكافر ، واي بأس علينا من نقد ارسطو ، وافلاطون ، وحماد ، وابن سلام ، وخلف ، وابن رشيق وغيرهم ... ان شخصية نسيب تطل علينا كالمتجردة ، واذا سقط النصيف تناوله مثلها ، واتقانا باليد ... فكان موضوعياً كالعلماء ، على ما في الموضوعية من جفاف واسترخاء ، فجاء كتابه نقد الشعر كافياً

وافياً شافياً. ولولا قلبي يطاوعني لقلت فيه ما قاله الصاحب في مؤلف كتاب الألفاظ الكتابية ، والكلمة مشهورة ... فكتابه بضاعة مجهزة للسطحيين . بها يتبجحون وما لهم والخوض في الكتب الصفراء . إن كتاب نقد الشعر مصرف جديد وما عليهم إلا تناول رأس مال يتاجرون به كصاحب الوزنات العشر بينا هم أقل من الذي دفن فضة سيده . .

راد نسيب مروج الأدب تسعة عشر عاماً فقط ، ومر بالصحارى الجديبة والواحات الخصيبة وقاسى ما قاسى من هجير يترك الماء صادياً ، حتى آب الينا بكتاب خفيف الحمل غالي الثمن ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

ما تنفش نسيب ولا بخس الناس أشياءهم ، فرد الأشياء إلى مصادرها في كتاب مخطط كأنه المدن الحديثة ، لولا بعض تكرار اقتضته طريقة البحث العلمي... وان عبت عليه شيئاً فضعف التركيب أحياناً ولا سيما حين يترجم، فيقف القارىء الذي لا بد له من أن يفهم ، كمن تعترضه صدمة ، ثم لا يفهم إلا بعد إعنات الروية . الكتاب أشبه بتقويم للخزائن العربية ، أو صورة مصغرة للعقل والذوق العربيين ، وقد جاء شحمة على فطيرة ، أو مثل الزاد المعد - حواضر البيت - في زمن راجت فيه سوق النقد .

يا مرحباً بالضيف . فالذي آنس من جانب الطور ناراً فلا بأس أن أبدى رأيه في أي كتاب ظهر ويظهر ولو كان ذلك الكتاب في لغة لا يفهمها. حسبه أن يصف نزواته وبدواته في أثناء مطالعته ويزينها بكلمة لأحد النقادفتكون منها مثل الفص في الخاتم ، ويكون ما كتبه نقداً ويصير مولانا ناقداً كبيراً وإذا قرأ لهذا وذاك آراء في الفن ومقوماته يصبح نقادة الزمان وله أن يقول كلمته مؤكدة بالحق أقول لكم ، ومن يرده ...

كان والدي صبياً، وكان البادري شميد ينزل في بيتنا ، وهؤلاء المرسلون الفرنجة مشهورون باهداء الصلبان والايقونات للمؤمنين ، وأبي ككل ولد يريد أن يستأثر بشيء منها ، فيتعقب آثار « بونا شميد » وينادبه بصوت خافت : يا معلمي ، فيطمطم حضرته : ناهم — نعم - ايش بيريد خنا —حنا - فيتجرأ أبي ويقول : صليب . فيبسط أمامه البادري ذراعيه كأنه على الجلجـــلة

ويقول : هذا صليب يا خنا . فيتحول أبي إلى ناحية أخرى ويقول : قونة . فيقف البادري وقفة أخرى ، كالجندي في جلسته ، ويسبل يديه كلتيهما قائلاً: هذه قونة يا خبيبي .

فيعود أبي خائباً صريع مداعبة البادري وهزله .

وكذلك بعضنا ، فإذا كان الكتاب شعراً فلا بأس من قول ما يقال حول الموسيقى والمعنى والموضوع ، وإذا كان رواية فلا بأس من ايراد بعض نقاط حتى يكون النقد كاملاً ومكملاً ، وهكذا تتعلم البيطرة .

ان بين الذين يبدون عواطفهم في آثار الناس من يحترم كلمتهم ، ولكن الفوضى غير محبوبة ، ولا مرغوب فيها ، فليت هؤلاء المهاجمين يعدون العدة ولا يسعون إلى الهيجاء بغير سلاح . ليتهم يقرأون على الأقل قيراطاً من اربعة وعشرين مما قرأ نسيب عازار حتى كتب مئة وثماني وسبعين صفحة ، ما عدا الفهرست والتصويب ، حول موضوع نقد الشعر . انني أزعم، وزعمي حق ، ان الكثيرين ممن ينقدون الشعر لم يسمعوا بعد باكثر الذين مخض نسيب كتبهم، وقدم لهؤلاء زبدتها طريئة طازجة، ليتمطقوا في أكلها، وهم لا يعرفون أكثر مما جاء في كتيّب نسيب عازار .

أصدرت دار المكشوف العامرة ثلاثة كتب في هذا الموضوع ، أولها كتاب البـــاب المرصود لعمر فاخوري ، الكاتب الطريف ، والكتاب شخصي مادة وتعبيراً ، وليس عمر فاخوري نكرة نعرفها بال في هذا المكان ، بل هو من معارف هذا الجيل بمنزلة الضمير ، فليت كل أديب يتطبع باسلوب خاص كاسلوب عمر الخالد . أما مادته فنقد جليل كتبه نطاسي في يده قفازحريري يقبض به على مسبر رهيف ماضي الشفرتين ، يدسه بلباقة الجراح الرشيق إلى موضع القيح ، فيستخرج الصديد دونما ألم وصراخ .

انني أنصح الطلاب بالاقبال على الباب المرصود ، وأنا أضمن لهم انكشاف الكنز ، إذا كانوا يفهمون كلمة السر التي تستحوذ على الرصد ، فكتاب عمر كنز مرصود لمن يفهم .

وثانيها كتاب نسيب هذا ، ولا أزيد على قولي فيه ، انه زاد من لا زاد له من هذه البضاعة . انه طعام معجل وما علينا ان قلنا سنثويش . ما على

العجلان إلا أن يقف لحظة حول هذه المائدة ، فيتهيأ له زاد ببضع دقائق ، ويخرج حامداً ربه الذي جنبه البطنة والكظاظة ... فرب أكلة حرمت أكلات. وبكلمة مختصرة قد راعى نسيب مقتضى الحال ، فنحن في عصر العجلة ، ومن يصبر على قراءة تلك الكتب الضخمة التي تضيع فيها الجمال وحدائجها . ! فلنسيب تهنئتي الآن ، اما ما أقوله حول الكتاب ومواضيعه فحديثه غير قصير . لا بد لي من مناقشة أكثر الاراء التي « عرضها صورة عامة لاشتات آراء النقاد ومذاهبهم في تحديد مزايا الشعر وقياس جيده ورديئه » ولم يرم — عفواً إن بدلت الضمير — إلى مناقشة هذه الآراء والمذاهب ، وانما توخى أن يجمع أظهر ما يعبر عنها ويسعفنا على تفهم أذواق أصحابها وأساليبها في نقد الشعر والشعراء » « ص ٧ بل الصفحة الثالثة بعد عنوان الكتاب » .

أما الكتاب الثالث فهو النقد والدراسة الأدبية للاستاذ رئيف خوي . جاء كتيب رئيف متمماً للثالوث الأدبي المكشوفي ، فعلى كل طالب ومتأدب بل على كل من يرى النقد أكلة طيبة أن يطالع هذه الكتب ثلاثتها مبتدئاً بكتاب رئيف ومثنياً بكتاب نسيب ، ومثلثاً بكتاب عمر . فهذه الكتب تعينه على النقد السليم ان كان ذا ذوق ، ومن لم يؤت الذوق وخصال البلاغة وآلاتها لا يملك مثقال ذرة من النقد مهما تبحر واستبحر .

ليس هذا الكتيب أول كتب رئيف الأديب الخصب ، فرئيف كحرب زهير ينتج فيتئم ولكن غلماناً اسعد كلهم ... فهو صاحب « امرىء القيس » و « هل يخفى القمر » . لرئيف في الدراسات باع طويل فاذا تعلم منه الفتيان والمتأدبون كيف ينقدون ويدرسون كانوا كمن يخبز خبزه عند الخباز — وهو لا يأكل نصفه .

ليت رئيف الخوري يهب شيئاً من نشاطه لصديقنا عمر الفاخوري فيخرج لنا أباريق وأكوازاً وجراراً لا ترشح ولا تنش ، فيشرب منها ويها هؤلاء العطاش إلى ملكوت الأدب . انهم عطاش لخمس ، كأعداء المتنبي ، ويرون الماء يترقرق كبطون الحياة ولكن لا سبيل إلى الورود ..

هذه ثلاثة كتب نفيسة تسعف النشء وتمكنهم من الصناعة ان قرأوا . لعلهم يقرأون .

٢

هذا كتاب طريف ما ضلّ صاحبه ولا غوى ، ولا ندّ عن جادة الحق حين قال : (وهذه ناحية من نواحي البحث في أدبنا العربي تكاد تكون غير مطروقة) أي كما ساغها هو وألفها . راز برينتير حمله اذ درس تاريخ النقد — تطور الاجناس في تاريخ الادب — اما صاحبي نسيب فكان مقداماً في تاريخ نقدنا والشجاعة ام الفضائل .

وطئاً نسيب لكتابه (نقد الشعر) بفصول مخض فيها آراء النقاد غير العرب من ارسطو حتى موبسان ، وسماها توطئة فكان اسمها قليلاً عليها . انها اكثر من توطئة ، هي مصعد يرقى به المتأدبون الى سموات الفن السبع ، فكأنها تحقيق لسلم يعقوب ... ومتى علمت انها ثلث الكتاب شكرت معي مؤلفها وقلت : ليته طوّلها . فهي من كتابه هذا كمقدمة ابن خلدون من تاريخه ، واني اثني لاجلها على نسيب ثناءً جميلاً يستحقه تعبه وعناؤه .

(الفن والطبيعة) اولى درجات هذه التوطئة ، واول كلمة منها (الفن يقلّد الطبيعة » . ولولا يقول الفن محاكاة الطبيعة لعدّل رأي أرسطو المسيطر على عقول البشر وكأن المؤلف أحسّ كم في كلمة تقليد من حيف على الفن فنفحنا بشروح الاستاذ بتشر لزعم صاحب المنطق ومآلها: ان التقليد بالمعنى الذي استعمله أرسطو مساوٍ للتوليد والخلق (ص ١٠) .

لقد حان ان تذهب عنا هيبة النطّار ، فليقل أرسطو وليشرح بتشر فالفن لا يكون تقليداً . الفن ابداع طريف وخلق جديد يشارك فيها الفنان الطبيعة في نواميسها الازلية . لا شيء يخرج من دائرتها ، والفن احد هذه النواميس التي لا تحدّد ، والفنّان الخلاّق « يفنّن » الطبيعة « ويطبّع » الفنّ ، فيتحدان اتحاداً ثالوثياً يصيران به واحداً .

يقول نسيب « وفي كل حال ليست مهمته — اي الفنان — ان يقلّد الحياة والطبيعة تقليداً مجرداً ، وان ينقل صورة تامة عن الاشياء مشتملة على احصاء دقيق لجميع اجزائها وتفاصيلها » ص ١١ » .

قلت : وهو لو فعل لصار الأثر جغرافية طبيعية ان كان قصة ، وغدت الملحمة تاريخاً كما فعل ابن عبد ربه . ولكننا نتساءل: أيقدر الفنان على ذلك لو أراد ؟ اقول لا. ومن العاجز يا ترى؟ الفنان والطبيعة معاً فكلاهما ناقص. قال المصور سيزان Sezanne لاميل زولا زعيم الطبيعيين : أردت ان اصوّر الطبيعة — كما هي — فلم أقدر ، ولكنني رضيت عن نفسي اذ علمت ان الشمس شيء لا يمكن خلقه ثاني مرة ، وانما يستطاع تمثيلها » .

ولا أدري من القائل من كتّاب الغرب : « من يحاول تحديد الفن كمن يحاول تحديد الفراشة . ما اسهل القبض عليها ولكنها لا تترك في ايدينا الا الغبار الذي يؤلف ألوانها » . فالفن لا يحدّد ، ولكنه يُقاس ويدرك بمدد مولده . والفن الاكتسابي تقليد الفن الاصيل ، وكل تقليد سمج . كثيرون قلّدوا اسلوب الجاحظ ، من صاحب الاغاني الى مصطفى صادق الرافعي ،

ولكنهم قصروا جميعاً عن فنه الذي خلقته روحه وعبقريته ، ومن يحاول تقليد اسلوب جبران كان كمن يقلّد اروع التماثيل بمعجون من الجبس والتراب الملون .

لست ارى الفن علماً باصول ولكنه ذوق ينمّى ، اني أعلّم التلميذ الا يخطىء ولكني لا اصيّره كاتباً . وحكاية الخلق الطريفة اصدق ما يرمز به الى الفن : جبلنا الله تمثالاً من تراب ، واعجبه فنه الذي صنع فأحياه بنفخة من فمه القدوس ، فصار آدم الترابي تمثالاً حياً.ورأى في الإعادة إفادة فأرسل ملاكه الى الناصرة فخلق آدم السماوي روحاً محيياً .

ومن الفن والطبيعة تخطّى نسيب الى « غاية الشعر » فعرض آراء عديدة حتى وقف على رأي ماثيو ارنولد القائل : الأدب نقد الحياة . ثم عقب عليه بقوله . ولولا انه لم يقيد هذا القول بالغاية الأخلاقية لصحّ أن يتخذ معياراً للقيم الفكرية في الأدب على اختلاف أنواعها ، وكان بوسعنا أن نقيس به كتاب نيتشه : هكذا تكلم زرادشت ، كما نقيس به خطبة المسيح على الجبل (ص ٢١) .

وما عليك يا صديقي لو قست ! ليس الأدب نقد الحياة فقط ، كما قال ارنولد، أحد أصحابك الغربيين ، بل الأدب ثورة على الحيـــاة ، والأدب ند الحياة ، والعبقرية ضرّتها . هو يريد أن يقوّم اعوجاجها بالسيف كأعرابي ابن الخطاب . الفن يصوّر الطوباوية والعاهرة بريشة واحدة وألوان واحدة ،ومن كلتيهما يخرج خلقاً يتمجد به . الفن يتمجد بالمجدلية الحمراء كما يتمجد بها تائبة تحت قدمي المصلوب . أنقتل الفن لأجل ارنولد وما تواضع عليه قومه ! ! ان هذا العرف يغيّره الزمان ، أما الفن فأزلي سرمدي . لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم . فمراعاة للذين تجرح خدودهم خطرات النسيم نقسم الفن الى بابين.. وأي حرج علينا إن درسنا الفن البذيء كما ندرس لاهوتياً جميع خطايا اللحم والدم لنتقي شرها ... امحوا أيها الذين تهمكم الأخلاق في الفن ما لا ترضى عنه طهارتكم من آياته ثم قولوا لي أي الخسارتين أفدح .

أظنني ذكرت مرة أو أكثر قول الأخطل : الشعر لا دين له ، وقول صاحب يتيمة الدهر : ليس الدين معياراً للشعر ، فهذه قضية فرغ القوم منها منذ ألف سنة . اني أوثر قصيدة أبي نواس دع عنك لومي ... على قصيدة اعتزل ذكر الغواني والغزل ... وأرى رائية عمر خيراً من :

يا فاطر الخلق البديـع وكافلاً رزق الجميع سحاب جودك هاطل

وأخيراً أقول مع رنان: أن لاأدبية الفنان السامية هي نفسها ضرب من ضروب الفضيلة السامية. ولنا أيضاً أن نقول معه : وأنا بذلك أقاسم الشهواني شهوانيته . فنحن نحيـا بقدر الجزء الذي قمنا به في ابتناء المثل الأعلى ، — الحديث عن الفن — فتحت شفاه أفاعي فردوس أبو شبكة سموم حوّلها الفن الى ترياق ، وفكرته القرمزية أروع فضيلة من نيات المرائين السوداء. .

ولنعد الى غاية الشعر من أولها.يذكر نسيب ثلاثة أنواع تفرّع منها الشعر في الآداب الأوربيـة ، وهي : « البطولي » الذي عالج مجازفات الآلهة والأبطال ، والأناشيد الدينية ذات الصفة الغنائية ، والمنظومات التي عنيت بنقل المعارف العامة والمعارف المفيدة .

أما الشعر البطولي ، فيزعم غير نسيب انه ليس عندنا ، ويزعمون أيضاً أن شعرنا كله ذاتي ، وعندي انا انه إذا خلا الشعر العربي من الملاحم فالملاحم لم تخلُ من الشعر العربي ، أي الشعر الذاتي ليس للعربي إله - أي بطل — غير نفسه فيمجده ، وقبل أن كان الجاهلي لنفسه كان لقبيلته فتغنى بها .كان أدبنا في الجاهلية إقطاعياً ، فصيّره الاسلام أدب دولة مشتركة فيهـا الملكية المستقلة وهي من حق الفرد لا الجماعة فهذا البكاء على الاطلال هو من آثار الانسان العربي الاول ، وهذه الخاصة تستيقظ فينا كلما هبت الانواء — ما علي إن تفرودت قليلاً . لقد محتها يد الحضارة والمدنية أما أصولها فغارزة في أدبنا تورق بخير كلما نبهتها الطبيعة . كم رأينا الشخصية تستيقظ في الكثيرين ولكنهم يعودون الى نيرهم ، والمرء مولع بقديمه يقدسه مهما كان تافهاً . فبينا

يحسّ ان له ذاتية إذا به يعود إلى الفناء في الاقدمين وتصير شخصيته نسياً منسياً .

قال أوسكار وايلد : النفس تولد شيخة ، والجسد يشيخ في سبيل تجديد شبابها . ان افلاطون هو شباب سقراط . وهكذا صار الشعر مع العباسيين انسانياً أكثر من حيث الفكرة ، وموسيقياً من حيث التركيب ، ولكنه ظل شخصياً ذاتياً ، فهو غنائي أبداً . وأحق شعر بهذا الاسم هو شعرنا العربي لأنه غُنّي حقيقة . وكلمة « انشد » التي نستعملها حتى الساعة تؤيد هذا المزعم . ولكن التقليد غلبنا على امرنا : قالوا بـــل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون .

والعجيب هـو جمود هذا الشعر ستة او سبعة عشر قرناً مع ان العرب اقتبسوا كل شيء وهضموه الا الشعر ، فانه لم يدخله شيء ولم يتأثر في جوهره باداب الأمم . واذا كان اعجوبتهم – الجاحظ – الذي انتقد كل شيء قال : والشعر مقصور على العرب – رحم الله ابا عثمان وغفر له – فقد خيل له انه يقول حقاً . فلولا ثورة المحدثين كبشار والمتنبي ، ولولا ثورة جبران ومدرسته ، ولولا ثورة الشباب اليوم لظل الشعر حيث وقفه امرؤ القيس . فالعصر الأموي اخو العصر الجاهلي .

لم يمّح الانسان الطبيعي على تتالي العصور. أليس فينا حتى الآن من كأنهم خرجوا أمس من الكهوف . وبعد ففي الأدب العربي شعر بطولي ومن شاء فليمعد النظر في الرؤوس « طه حسين مع المتنبي » . امـــا الشعر التعليمي فنظمنا بـه كل علومنا حتى تقسيم المواريث والمنطق ولم نعف كليلة ودمنة يؤازرنا البحر المعروف بحمار الشعراء .

ان مؤلف نقد الشعر في الأدب العربي لم يتعرض الى ما ذكرت فكأنه يتحدث في توطئته عن الشعر الغربي وحده ، وهو ان ذكر الادب العربي فيها فعرضاً ، وقبل ان نلـج باب « القالب والمادة » نقتم كتابه الى كنيستين

ادبيتين : غربية وشرقية ، فهو لا يؤرخ في التوطئة الا الكنيسة الغربية ، فلنتبعه

قد رأيت كلمة « المادة » واسعة رحراحة لأن القالب مادة أيضاً ، وهو لو قال فكرة مثلاً لأدّى ما اراد ، ولم يلتبس علينا قصده ، فليته تقيد بـ رواه عن فلوبير : يوجد طريقة واحدة للتعبير عن شيء واحد، ولفظة واحدة لتسميته، ونعت واحد لنعته ، وفعل واحد لاحيائه « ص ٢٣ » . ان فلوبير هذا من طغمة ابن خالويه الذي سئل كم عندنا لفظة للسيف فقال : واحدة ، السف . واقسم لو جعل الفن كما اراد فلوبير لكان جافياً غليظاً .

اجل ان التعبير هو الفن ، ولكن الفن الفلوبيري حرج كالنظّام . . . وكما رأيت رحرحة واتساعاً في كلمة مادة ارى أيضاً لفظة القالب لا تسع المعنى المقصود – أي التعبير – فالقوالب هي الوباء الذي تفشى في أدبنا حتى محق الذرية . اننا نريد التعبير كالطِوَل المرخى وثنياه باليد، واذا عبر احدنا على هواه قـــال المتزمتون : ما جاء هذا في كلامهم . فكأن كلامهم وحي منزل ، والويل للكافرين .

ان الفن كله في التعبير ، وفوق التعبير شيء هو كل شيء ، أعني الشخصية.

فهي كالنواة ، مستودع الحيـــاة ومخزن الفن الرفيع ، تفتح كل يوم دنيا جديدة . الشخصية تخلق الفكرة لابسة جسداً جديداً ، ومتى ضعفت يضعف الفن، فمهما عبر الكاتب الوسط ومهما فكر، فهو لا يعمّر، بينما الأديب ، القوية شخصيته،يبقى جديداً في كل عصر . فلولا شخصية الجاحظ ما كانت تعابيره، ولولا شخصية جبران مـــا كانت صوره والوانه ، ولولا الشدياق لم يكن الفارياق . أين تعبير الشدياق من انشاء ابن العميد المصقول المنمق ، ولكن شخصية الشدياق عارمة تكاد تناطحك ، وابن العميد يكاد يفنى .

هل قصر الحريري في تعبيره وتفكيره عن البديع؟ لا أرى ذلك بل ارأه

يبذ البديع في الصقل والمسميات الفلوبيرية ، ومع هذا التنطس نرى مقامات الحريري كزة فجة لا حياة فيها ، بينا مقامات البديع تنضح ماويّة كخود ناعمة في يوم قائظ . هذا زعمي ، ولابناء عمنا : وظس دنتون ، وكولردج ، وواغنر ، وكل من ذكرهم نسيب ، زعمهم واراؤهم .

ذكر كولردج اربع خصائص تتميز بها العبقرية لخصها نسيب فيما يلي :

١ً الحلاوة والعذوبة والموسيقية .

٢ً تكييف الصور المنقولة عن الطبيعة وذلك بأن يبعث فيها خيال الشاعر حياة عاطفية وذهنية .

٣ً عمق الفكر ونشاطه .

٤ً . . . . . لم يذكرها .

أما أنا فأرى كل هذه المقومات لا تجدي إلا مـــع الشخصية الخالقة كل طريف . لم يقل الشعراء ما قالوه من الشعر لندرسه بعدهم كوثائق تاريخية ، فليس الشعر تاريخاً ، ولا جغرافية ، ولا علماً ، فكل درس لا يقابل الفن بفن مثله يسمى علماً ، والعلم لا يكون فناً ، كما لا يكون الفن علماً .

عدّوا الشعراء والكتاب الشخصيين في أدبكم تعلموا انهم سيّروا الأدب كما شاؤوا وانهم لا يتجاوزون أصابع اليد. لقد صدق من قال: بين النابغة والنابغة فترة نبيّ .

قال نسيب نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية : ان الغناء الذي هو أصل الشعر كان في بدء حياة الشعوب المتوحشة غير منفصل عن الرقص والموسيقى، وكان الناس يمارسون آنئذ هذه الفنون الثلاثة في وقت واحد للتعبير عـن عواطفهم الفطرية (ص ٢٦) .

قلت : وكيف نقول « كان » ونحن نرى الدبكة والطبل والزمر والأغاني المختلفة الأهازيج . ففي كل عرس وفي كل عيد وموسم تتحد على أعيننا هذه

الأقانيم ، وتتجسد فتغنينا عما قالت تلك الموسوعة . ففي أرقى الحضارات يتحد الشعر والرقص والموسيقى على المسرح .

كل شعر غناء ، وليس كل غناء شعر . وليقل « دوني » ما شاء ، فالشعر لا يخضع لحدود الرمزيين وغيرهم ، لا يكون الشعر إلا حيث تتأكسد الألفاظ وتؤلف من مجموعها صوتاً واحداً، وتتساندفتحمل ما لا تستطيع حمله منفردة، ورب لفظة واحدة مغنطت بيتاً من الشعر فجعلته كلمة واحدة . وكثيراً ما تكهرب الجو الذي ظهرت فيه فتهزك تلك الهزة الـــتي تحسها ولا تحسن التعبير عنها .

وآفة الشعر أن يطمو فيه النثر كما نرى في كثير من شعرنا ، فهذا زهير الذي قدسوه وقالوا ان كلامه كلام الأنبياء ، كم في معلقته من الشعر ، إذا استثنينا المطلع وبضعة أبيات ؟ فالشعر الذي هو كالنثر الجيد ليس بشعر . وللشاعر رأس مال واحد هو المخيلة والشعور ، فمتى أبرزتهما الشخصية بأسلوب نابض تحرك الشعر وسار . فلنفتش عن الحياة في المهد لا في المقابر والتوابيت. لا بد من خلق جديد فالشعر ينتظر من يهبه الحياة . انه جامد حائر ، وان ظل واقفاً على عرض الطريق يستمد من هومير وشكسبير وهيغو وغوت وبيرون وامرىء القيس والمتنبي وبودلير وفالري . مات هذا الضرب من الكلام وتحققت نبوءة جيل ليمتر عن سنة الألفين .

ليت شعري ، من يقرأ الشعر غير الأدباء والمتأدبـين ، فإذا أصررنا على التقيد بمراسيم النقـــاد في الشرق والغرب استعبدنا الشعر الذي لا يصلح إلا حرّاً . إنما يشعر المرء لينعتق من عبودية مشاعره المكبوتة .

ويقول نسيب كلمة المأثورة : ما ترك الأول للآخر ، ويأتي برأي الناقد الفرنسي بريار : كل شيء قيل ، وقد سبق اليها صاحب : هـل غادر الشعراء . . ثم يورد رد سنتسبري على بريار . ولابن الأثير كلمة رواها عـن جماعتنا هي أروع جداً من قول سنتسبري : البيان والجمال لا نهاية لهما .

ونقل نسيب أيضاً كلمة قيّمة من كتاب المخيلة المبدعة للاستاذ دوني ، ثم اتبعها بتقسيم ريبو للمخيلة المبدعة إلى عاطفية ومصورة « فما قوس قزح في عين ذي المخيلة المصورة الا سبعة ألوان ضئيلة متكونة من تكسر أشعة الشمس وانعكاسها ، في حين أنه في عين الشاعر العاطفي سر من الأسرار ، هو جسر يصل بين عالمين مجهولين » « ص ٣٥ » .

قلت : ما أرى هذا التحديد غير صوره أخرى أو مسمى آخر للذاتي والموضوعي وأخيراً يرى الناقد الحصيف وطس دنتون : ان الفنان الأكبر هو من جمع بين الطريقتين ووحّد بينهما .

قلت : إذا كانت المخيلة المصورة لا توحي أكثر مما قال ريبو فبئست تلك، وهي لا تعمل شعراً . أما الفنّان الأكبر عندي فهو من تحبل مخيلته بصورة رائعة فيجسدها بيانه طرفة موسيقية ، وبيان عندي الموضوعي والذاتي ، فهما في الاصل واحد ، فلا موضوعية بلا ذاتية، ولا ذاتية بلا موضوعية ، ان هذا التقسيم يفلق ، وما لنا ولعشاق هوميروس على السماع

لا يرضيني الشعر كما يريده بعض منضدي الالفاظ واصحاب القصائد المطهمة . وما زالت ثقافتنا منهجية لا غير ، فمن أين يأتينا الجديد ، وأنى لنا العمق . فاكثر هذا الشعر « طقاطيق » يهزك سماعها ثم تمسي كالصدى المضمحل في اشداق الكهوف .

فلما اعنى بتحديد الشعر لانه لا يحدد ، اما روح الشاعر فألمسها كما احس صوت المغني في القصب انغاماً وألحاناً هكذا يتراءى لي الشاعر خلال شعره ، بل هكذا يجب ان ترى الفنان الاكبر من وراء مخلوقاته البديعة . لا نعلل النفس برؤيته، فقد رآه موسى قبلنا وصعق . ان امثال هذه الحقائق لسر من الاسرار ، وهذه الشعل نحسها ولا نحسن تحليلها وتركيبها ، ومتى امست كغيرها من المدركات لاتعود فناً ، ففي ظهورها انتقاص لشأنها وخيبة وفشل . نحن ندرك الجمال والقبح ، اما ان نعلم الفنّان كيف يخلق الجميل

فهذا فوق طاقتنا . تلد المرأة الدميم والجميل ، وهي لا تدري ، ما تضع أمسخاً ام اعجوبة الزمان . وهـذا شأن الشاعر ، فكما لا يغني تعمد المرأة شيئاً كذلك لا ترفع جهود الفنان قيمة آثاره ان لم يؤيده طبعه . ان الشعراء الذين اتخذوا مثلاً عليا كانوا امميين او كالاميين . اما اليوم فلم يعد يصلح فن صاحبه أُمي ، فلا بد من التجمل بالعلم ولو قليلاً . لا يحنو لنـــا اليوم من هوميروامرىء القيس الا الجوهر الفني ، اما التفاصيل والرموز والمعاني والتعابير فتتخذ من العصر

كان التصوير عندنا في عهد الفنان الاول داود القرم ارستقراطياً كنائسياً، فصار مع الجميل وقروخ ديمقراطياً عامياً . كنا نرى المثل الفني الاعلى في مار جرجس وحصانه ورمحه ، فصرنا نراه في القروي الجبلي ، ومشاهد الطبيعة الفتـانة .

أما عناصره الأصلية فهي هي في كل حين لأنها سر من أسرار الوجود لا يظهر الا رويداً رويداً ، وهنيئاً لمن تسبق يده الى صدر الطبيعة فينتزعه من مخبأه ويريه اخوته .

وبعد ، فكل ما كتبه وطس دنتون وستنسبري ودوني وما قسموه وما علقوه من ذيول وحواش فأراه يلوح من بين اسطر سجلها الجاحظ في كتابه الحيوان : والشعر لا يستطاع ان يترجم ولا يحوز عليه النقل ، ومتى حوّل تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ، وصار كالكلام المنثور ، والكلام المنثور المبدأ به على ذلك احسن وأوقع من المنثور الذي حوّل عن موزون الشعر « الحيوان ص ٣٧ ج ١ » .

ففي « موضع التعجب منه » عبرّ الجاحظ بكل وضوح عن الجمال الفني في الشعر . فالمدارس الشعرية ، من مدرسية ورومنتيكية وواقعية ورمزية لا تستطيع ان تقيدنا شيئاً ليكون لنا « موضع التعجب منه » ، وهذا ما عبروا عنه بأل Ineffable لا ادري لماذا اعجبتني هـذه الابيات ، ولكني اقول اعجبتني ، وها انا اعرضها على القارىء وله ان يصدق او ينكر . وقال

الجاحظ : وان احسنت الاوائل في ذلك — في ذكر النسور — فقد احسن بعض المحدثين وهو الخزرجي في ذكر النسر وضرب المثل به وبلُبَد وبنسمة بدن الغراب ، حيث ذكر طول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن سور وهو قوله :

ان معـاذ بن مسلم رجـل قد ضجّ من طول عمره الابـد
قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر واثواب عمره جـدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة يا لبد ! !
قد اصبحت دار آدم خربت وانت فيهـا كأنك الوتـد
تسأل غربانهـــا اذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد ! !

وقول شاعر آخر يهجو رجلاً لقب الحيص بيص ، لتنطعه مرة وقوله : ما لي أرى الناس في حيص بيص :

كم تبادى وكم تطوّل طرطورك مـــا فيك شعرة من تميم
فكلِ الضبَّ واقرط الحنظل اليابس واشرب مـا شئتِ بول الظلـيم
ليس ذا وجه من يضيف ومن يقري ومن يدفع الأذى عـــن حريم

فمهما تساءلت عن « موضع التعجب منه » في هذا الشعر قد لا أظفر بالجواب الشافي .

واذا انتقلنا الى ادب الغرب رأينا في قاموس لاروس حتى الصغير ابياتاً للشاعر سكارون Scaron وهو من شعراء اوائل القرن السابع عشر . يقول لاروس — وقد لا يكون نقل شعراً غير هذه الابيات — انها ابيات بقيت مشهورة . وما اراها اشتهرت الا لان فيها « موضع تعجب » وان لم تجار تيار شعر اليوم . فان قلت ان هناك شيئاً غير القالب والمادة يخلق موضع التعجب في الشعر فلا اخطىء ، ولست اخطىء ان سميته الشخصية . فبين القديم شعر اجد من الجديد ، وفي كثير من الشعر الجديد ما هو رثّ بالٍ

عفن ، وخير البيان ما كلم الناس بلغة الناس . فتنطس الشعر في لغته وتعاليه على البشر يبعده من القلوب فهلموا بنا الى الواقع ايهـــا الشعراء قبل ان يأكلكم الزجل ويفترسكم الشعر القومي ...

ولامر ما روى الجاحظ : « وقالوا لو كان شعر صالح بن عبد القدوس ، وسابق البربري مفرقاً في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق . ولكن القصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر. ومتى لم يخرج الشاعر من شيء الى شيء لم يكن لنظك النظام عنده وقع . ص ١١٥ بيان وتبيين » .

قلت فليتعظ شعراؤنا الجدد فيخففوا من ألفاظهم التي خلقت على كثرة الرد.

غب وزر غباً تزد حباً ومن اكثر الترداد اضناه الملل

٣

طبقات الشعراء — الدكتور ادم وشعراء العرب

متى قلنا طبقات الشعراء يخطر على بالنا التقسيم العربي : أولى ثانية ثالثة وهلم جرًّا . قسم العرب شعراءهم بحسب الاجادة مهتدين بعمود الطرب في تيه الفن ، اما هذا التقسيم الذي نتحدث عنه الآن فهو نمط انكليزي يبتدىء من تحت فطالعاً . فالطبقة الأولى عندهم هي الطبقة الثالثة عندنا، فاذا دخلت هذا الصرح الجديد فخذ على شمالك . ولعل الاستاذ دنتون استمد هذا التشريع ، من التوراة فالسماء الأولى هي مقر السوقة من الابرار الصالحين ، وهكذا دواليك حتى السابعة فتبلغ ساحة العرش الذي وصف حملته امية بن ابي الصلت . . . فافهم هذا المقياس منذ الآن ولا تتعبني فيما بعد ، اراحك الله من مشاكل الأدب والأدباء في هذه السنة الضيقة .

والشعراء في هذا التقسيم الذي ترجمه مؤلف نقد الشعر عن دائرة المعارف الانكليزية ، يقسمون ثلاثة أقسام :

أولاً : الغنائيون الخالصون وكل منهم يستطيع بصوته الواحد ان ينشد لحناً واحداً ، وتضم هذه الطبقة سائر الشعراء .

ثانياً : الشعراء البطوليون – عدا هومير – والقصصيون والتمثيليون في الظاهر ، وكل منهم يستطيع بصوته الواحد ان ينشد عدة الحان ، وهؤلاء قليلون بالنسبة الى شعراء الطبقة الأولى، لكنهم اكثر عدداً من الطبقة الثالثة، ومنهم بندار والفردومي وهيغو الخ .

ثالثاً : شعراء التمثيل الحقيقيون الذين رزقوا عدة ألسنة مثل عندليب « غنغورا » ويستطيعون ان ينشدوا جميع الالحان . وهذه الطبقة قليلة جداً ولا يمكن ان ننسب اليها الا امثال شكسبير واسكلوس وسوفوكليس وهومير « ص ٣٩ » .

اقول : وهذا التصنيف ايضاً مبني على الذاتي والموضوعي لان وطس دنتون كما يقول السيد نسيب عازار ، قسم الخيال الشعري الى قسمين « الاول لا يتقيد بنزعة الشاعر الشخصية ويسميه النظر التمثيلي المطلق ، والثاني يتقيد قليلا او كثيراً بنزعة الشاعر الشخصية ، ويسمى النظر التمثيلي النسبي » .

لست اجد في حدود دنتون مقياساً عادلاً لرفعة الشعراء . قد يصلح هذا للتصنيف ، اما ميزان الجودة فمعياره غير ذلك . اذ لا يعنينا من الشعراء غير شعرهم ، فكم في شعر هومير وشكسبير من نثر . واذا قصرنا العظمة الشعرية على التمثيل ازدرينا نواحي أخرى من فن الشعر قد تكون اجود وتؤدي غرضاً اصدق . وكأني بالعرب قد نظروا الى هذا ففاضلوا احياناً بين شعرائهم فقالوا : فلان اجاد المدح وقصر في الرثاء مثلاً ، وفلان اجاد في جميع اغراض الشعر ، فاقدم اكثر شعرائنا على طرق جميع الابواب فكلفوهم فوق ما في وسعهم .

اما كلمة « غنائي » التي وسم بها دنتون القطيع الاول من الشعراء فما أراها تميزه من الآخرين ، فكل الشعر غنائي سواء أكان تمثيلياً او قصصياً او

ذاتياً ، فالغنائي للشعراء كالآدمي للبشر . الشعر غنائي كله من هومير الى لامرتين ومن شكسبير الى الشنفرى وتأبط شرّاً . ومن لم يتغنّ بنفسه صراحة تغنى بها تلميحاً ، الشاعر لا يغني الا ذاته ، ومن هناك جاءتنا هذه الاحلام الكبرى التي تنتهي الدنيا ولا يتم تأويلها ، ولو لم يخلع شكسبير ذاته على قصصه الخالدة لم يقل شعراً . ناهيك ان الشعراء اشكال ، فهذا هوراس يقلد بندار فلا يفلح ، وليس شعر شكسبير الغنائي الذاتي بمنزلة شعره الغنائي الآخر الذي يسمونه تمثيليـــاً . فاين شكسبير من سدني Sidney الشاعر الانكليزي الآخر في اناشيده الذاتية sonnets ولكن شكسبير ارتقى الى ذروة الشعر الوجداني بلسان روميو . ولسنا نظفر بغير هـذا اذا قابلنا شكسبير وجميع شعراء الطبقة الثالثة بغيرهم من شعراء الطبقة الثانية والاولى ايضاً . فتقسيم الشعراء كما شاء دنتون لا ينصف الشاعرية . نحن يهمنا الشعر اين كان ، وفي اي غرض قيل . فكلمة غنائي هي امّ الشعر كله كما ان الوصف جده الجامع . فالملحمي والبطولي او التمثيلي — لم نعـد ندري ما نسميه — والمدرسي والرومنطيكي والبرناسي والرمزي ، هذه كلها فروع اصل واحد هو الغناء . فالشعر غناء سواء أغني ام لم يغنّ .

وما معنى الشعر ؟ هو اتحاد ذات الشاعر بالاشياء ليخرجها من عنده . ومن يظل خارجاً عن ذاته لا يلج شعره قلوبنا ، ومهما قرع فلا تفتـح له فعناصر شخوص الشاعر البطولي ، وان خلتها متعددة ، فهي واحدة في الاصل تجمعها ذات الشاعر . والدليل على ذلك انك تردها الى صاحبها اين وجدتها — اذا كنت فطناً — كما نعرف نحن ابن الضيعة الفلانية من سحنته . فلولا ذاتية هوميروس ما كان الشعر الهوميري الذي يسمونه تارة موضوعياً ، وحيناً قصصياً. بل كان شعراً تصح نسبته الى اي كان من الناس. وكم من شاعر اجاد كهوميروس وسوفكلوس ولم يفقه هوميروس وهذاك الا لانهما خلقا عوالم وهو لم يخلق الا عالماً واحداً . وهكذا نقضي نحن عليهما كما نقضي على

امرأتين ، واحدة انتجت كثيراً ، واخرى وضعت جبـاراً واحداً واقفلت البـاب ...

فلنراجع . انا لا أومن بغير الشخصية ، فهي التي تخلق وهي الباقية ، ولا تأتي الفروق الادبية الا من هناك ، فالادب في كل ضروبه مفتقر اليها . ان شخصية العالم تتفلت من صاحبها وتذوب في تاريخ البشرية اماشخصية الاديب فلا تفنى . انها تقوم دليلاً عليه في برية الاباد والآزال فلا يحول صاحبها ولا يزول . والشعر حرّ كالهواء لا يعرف التخوم والحدود ، ففي الملحمي شعر مدرسي ، وفي المدرسي شعر رومنطيكي ، وفي كل هذه شعر رمزي ، وليس هناك شعر موضوعي ، بل الشعر كله ذاتي ، وان تفاوت مقدار الذاتية .

في قلب الشاعر – او لا اعرف أين – مستودع خالد يختزن فيه حتى الاشياء التي يراها ولا يحس أنه رآها،فتحبل بها مخيلته ويلدها مكيفة بشخصيته كأنها أحد افراد أسرته . وقد تعبد في الشيخوخة من مرئيات الصبوة ما يدهش ويفتن ، ولهذا قيل : ان من البيان لسحراً . وكل سر الأدب هنا ، فان خلقت ساحراً فطوباك ، والا فلا تتعب .

لا يقاس الشعر باغراضه وفنونه بل بسموه ووحيه . فالشخصية الفنية – أتسعت أم ضاقت – تخزن الى حين الساعة المعينة مـا تلتقطه من صور الكائنات ، ثم تنطبخ فيها حتى تنضج واذ ذاك تؤتي اكلها شهياً. ففي الذات معمل يعد الأشياء اعداداً حسناً كما تعد المرأة جنينها لتلفظه الى الدنيا كاملا وحيث لا توجد هذه الذات الطاهية لا تعد للالباب مأدبة شهية ولا يمد لهم سماط . ونفس الشاعر العظيم تنتخب من المرئيات ، في ساعة الالهام، انتخاباً عجيباً ،وهي تصطفي من كل ما أثر فيها ، من حيث لا تدري ، شيئاً واحداً تصطنعه اصطناعاً عجيباً حتى تخرجه لنا ، فنخاله نقلا عن الأشياء وما هو بنقل ولا تقليد . ولا اعيد هنا مثـل النحلة فليقرأه في محله من يعنيه أمر الأدب فالشاعر يحيط بالكون ويحسه احساساً غريباً، فكأنه لا يرى بعينين

كأعين الناس . فهوميروس لم يرَ ولم يبصر ، ولكنه تصور ، وكذلك بشار . والشاعر المفتح يرى ويتصور كما رأى وتصور المعري وهوميروس وملتون ، ولهذا يخلع ذاته على الموضوعية التي ينوه بها اصحابنا ليجعلها شعراً . ولولا شخصيته لما لذ لنا شعره وطاب ، فالشاعر يدرك بذاته قبل عينيه ، ولو قلنا ان شاعراً من شعراء الطبقة الثالثة — بقياس الانش — يريد ان يخلق شخصاً فهل يستطيع ان يخلقه من غير ذاته .

قال عمرو بن در : سألت ابي : ما بال الناس اذا وعظتهم بكوا ، واذا وعظهم غيرك لم يبكوا ،فقال لي : يا بني، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة . وهكذا الشاعر ، فلا بأس على الشاعر من نفسه، وما احد يخرج من دائرة ذاته الا بمقدار . من أرشد فرويد الى ما سماه العقل الباطن غير الادباء ؟ فاناتول فرانس سبقه الى هذا الزعم الذي كاد يصير علماً .

هل عرف هوميروس وسوفكلوس هذه المقاييس الفنية؟ انهم لم يعرفوا إلا نفوسهم يطلب الشاعر لفظة فتتقدم اليه عشرات لا تعجبه . وتطل واحدة لم تكن في الحساب فيرحب بها . فمن جاء بها وكيف جاءت ؟ يعرف الشاعر أنه ابتدأ وأنه أنتهى ، أما ماذا جرى بين الفترتين فيكاد لا يدركه . واذا صار الشعر موضوعياً صار علماً ، ولكنه ما كان قط ولا يكون ابداً . فذات الأديب لا تختفي حتى في العلم . اقرأت كتاب الحيوان للجاحظ ؟ فهناك ترى شخصية مسيطرة جعلت من علم الحيوان ادباً . .

ليتني استطيع فاؤلف من أدب الناس كتاباً عاماً ادون فيه روائع النوابغ وبهذا اكتب تاريخ الانسانية الصادق .

يقول بعضنا : يوجد الفاظ شعرية والفاظ غير شعرية ، أما انا فأقول : ان كل الالفاظ شعرية وسر البيان في التركيب . السر في « القران » الذي ذكره أبو الأدب العربي في البيان والتبيين ، ثم صار عند الأثير والفرنجة « تزاوجاً » أتذكر قول عمر في رائيته : قالت أشر كيف تأمر ؟ وقوله ايضاً : أمـــا

تستحي أو ترعوي أو تفكر !! وقول بشار : وكنت امرت بها ضخمة ، وقول البحتري : لا ترزني مزاولاً لاختبـــاري . فربة لفظة واحدة تزدريها تغنط بيتاً كاملا . اننا نتهم النقاد القدماء بالتقليد ونضع في ارجل شعرائنـا واعناقهم اغلالا جديدة وقيوداً غريبة .

قال برينتير : الشعر الرمزي هو اعادة الحقوق المسلوبة الى الشعر ، وكذلك قال العرب في شعر البحتري حين سموه زعيم الطريقة الشامية — راجع يتيمة الدهر — فالناس لا يعرفون الا شيئاً واحداً يسمونه الشعر .

اخال العرب قرأوا كتاب الشعر لارسطو ، ففي حيوان الجاحظ ومثل ابن الأثير تلميح الى ذلك ، ولامر ما لم يخضعوا لقوانينه . واني ارى تقيدنا بنظريات دنتون وغيره يقف سيرنا ، فلنهدم ونبن .

لا اعتقد ان في الشعراء ضخماً ونحيلاً ، ولا تصح المفاضلة بين شاعرين ما لم يستويا ، أولاً ، في الشاعرية . أما اذا عولنا على الاغراض فقط كما فعـــل الدكتور اسميل أدهم في درسه شعر خليل مطران فجعله من الطبقة الثانية وجعل المتنبي والبحتري وجميع شعراء العرب من الطبقـة الاولى والثانية — لا تنس ، ان الحساب بالمقلوب — فهذا شطط . ولو تمشيناعلى دربه لألجأتنا الضرورة الى جعل حليم دموس من الطبقة الثالثة ، أي مـــع هوميروس وشكسبير ، وهكذا يصير حليم فوق مطران والمتنبي وفوق دانتي وغوت وهيغو. أنـه حلم لذيذ ولكن من يخلصنا من صاحبينا بشارة الخوري والعاملي ؟

قد تقول لمـــاذا ؟ فاسمع الجواب : الدكتور اسميل ادهم من المذهب الوطـدنتي واليك قوله :

« اما الطبقة الثالثة فيكاد لا يمكن ان يظفر بشرف الالتحاق به — كذا — الا نفر يعدون على الاصابع في طليعتهم شكسبير واسخيلوس وهوميروس الخ. « مقتطف يناير سنة ١٩٤٠ ص ٣٢ » .

ان هؤلاء شعراء ملاحم او تمثيل ، وحليم دموس ، كما سمعنا ، عمل ملحمة عظيمة فهو اذن فوق شعرائنا . وبحسب القياس الادهمي – المقتبس – جمز حليم جمزة واحدة فطار الى السماء كايليا ، وتركنا جميعاً على الارض وفي قلبنا حسرة اليشع . فهو قاس لا يترك لنا رداءه بل يقول لنا : موتوا من الحزن غماً في جزيرتكم ..

كنا نتمنى هذه النعمة ، وان فاتتنا فحسبنا الشرف ، وليهنأ العرب فهذا شاعر منهم اصبح من مخلدي الطبقة الثالثة. اقول هذا بناء على المنطق الادهمي الذي جعل جميع شعراء العرب بين الطبقة الاولى والثانية ، لانهم لم يقولوا شعراً تمثيلياً او شبه تمثيلي ، فكيف ترى ، اعزك الله ، وصان حياة الدكتور ادهم ذخراً للادب العربي ، ليكتب ايضاً « تثنية الاشتراع » ويقسم المواريث بين الامم

قلت هـذا لانني ابحث الفصل الذي كتبه صديقي نسيب عازار عن « طبقات الشعراء » مترجماً عن دائرة المعارف الانكليزية . ان نسيب عازار قال بكل اتزان : انه مترجم . اما الدكتور ادهم فينقل الفصل عينه ويطلسم باحدى الحواشي قائلاً : وازن ما جاء هنا بما ورد في مادة poetry – في دائرة المعارف الانكليزية طبعة ١١ والبحث للاستاذ دنتون النقاد الانكليزي الشهير ، وذلك لتمييز ما لنا وما استمددناه منه . وانظر تلخيصاً عربياً للمادة عند نسيب عازار – نقد الشعر ، بيروت – من ٣٧ – ٤٠ . ومن المهم ان نقول ان الاستاذ دنتون يعرب في بحثه عن الرأي الشائع في الموضوع « مقتطف يناير ص ٣٢ » .

قلت انا لا اعرف الانكليزية فاوازن، ولكنني قرأت ماكتبه ادهم وعرضته على ما كتبه نسيب عازار ، فاذاً ليس للدكتور ادهم العزيز الا وضعه المتنبي والبحتري والمعري وابن الرومي وابا تمام وغيرهم من كبار شعرائنا بين الطبقة الاولى والثانية

انني عرفت مما قرأت عند دارسي شكسبير ان شخصية هذا الشاعر العظيم عديدة النواحي ، فهو ممثـل مجيد التمثيل يلبس لكل حالة لبوسها ، وهذه هبة علوية تجعله حيث وضعه النقاد . ولكن تعبير ادهم العلمي عن تعدد نواحي شخصية الشاعر « بالتعقيـد » لا يعجبني ، كما لا يعجبني استعماله المنشور للموشور . وأخيراً كما لا يعجبني حكمه المبرم على شيء لا يفهمه على حقه . اما ما يترجمه من هنا وهناك فحسن . ولكنه يتمتع عنـد التطبيق ويصيبه ما اصاب زميله الدكتور طه حسين في كتاب الادب الجاهلي ، كما قـال المازني – حصاد الهشيم – .

التطبيق صعب يا دكتور ، فبحياتك ، ترجم لنا فقط ، ولا تتحذلق ، فتعبر عن تأثر الشاعر بشخصيته قائلاً : « بالانسحاب على الحياة وانسحاب الحياة عليها » . كانك تتكلم من جد عن هذا الانسحاب من فوق ومن تحت..

اليس من المضحكات ان تعد المتنبي بين الطبقة الاولى والثانية ، وتعـد إرميا واشعيـا وايوب ودانيـال وصاحب نشيد الاناشيد ، واباه داود من الطبقة الأولى ؟ وتعد خليل مطران من الطبقة الثانية .ان خليل مطران، وهو إحدى مفاخرنا ، لا ترضيه حكومتك هذه ، وقد ضحك في عبـه حين قرأ ما كتبت أما انا فأتجاسر وأسألك : إذا قرأت المتنبي ، وحدك ، هل تفهمه ؟ وإذا قرأت الشروح وفهمت المعنى أتستطيع أن تفهم ما توحي كل كلمة ؟ وإن كان ذلك فلماذا لم تقل حين قابلت بين شعر الخليل في ديوانه وإحدى المجلات ، لماذا أحدث مطران هذا التغيير (مقتطف ع ٥ مجلد ٩٥ ص ٥٤٦) .

كبرت هذه الكلمة ، منك ، في شاعرنا العظيم . واننا لا نقبل لك ولا لغيرك من المتمشرقين هذا الحكم ، لأن أكثركم يشتري الكتاري للحم . أتعرف ماذا أقصد ؟ – ان من يفهم من الشعر معناه فقط كان كذلك وإذا كان هذا ميزانكم فعليكم بقراءة ابن المقفع . فالشعر والنثر لدى الترجمة سواء ، بل الشعر يصير أمسخ كما قال الجاحظ .

ان من يقوم الشعر بمعناه فقط كان كمن يشتري الكناري للحم ويقابله بعصفور التين والسماني .

وإذا كان الشاعر العظيم من صوّر بريام ، كما ترجم صاحبي نسيب عن دائرة المعارف الانكليزية ، وجعل صرخته صرخة ملك طرواده بعينه (نقد الشعر ص ٣٨) ، ففي أكثر قصائد المتنبي صرخة الانسانية جمعاء، وفي« سيفياته» صورة ذلك الامير الفذ ومعاركه التي لا تلابس غيرها أبداً .

وإذا كان الفن في الخلق فجاهل كبير من يحسب ان المتنبي نقـــل صورة طبق الأصل عن كافـــور الأخشيدي ، وأجهل منه من يحسب قصيدة أسد طبريا من الشعر البسيط . أنا لا أنكر الضخامة بين الشعراء ولكني لا أقيس الجمال الفني بالكم بل بالكيف . ولا أضع الشعراء كلهم في ميزان ما لأن المعايير تختلف . ان الجاحظ لم يكتب المهازل كموليير فهل يكون دون ذاك عبقرية لأنه كتب البخلاء قصصاً ولم يجعله تمثيلاً . البحث طويل والأدلة كثيرة فلتحطم هذه الموازين . ننعى على القدماء انقيادهم الأعمى ، ونرى من يكتب بالعربية ويريد أن يحملنا على الأدام . .

اننا نحترم جهاد أدهم وتعبه في ترجمة آراء القوم في الأدب . ولكن أدهم لا يفهم قوة كل كلمة من لغتنا ، بل لا يدرك محمول ألفاظنا بالدقة اللازمة ليقوّم الشعر العربي . انه لا يبلغ أبعد الآفاق التي تفتتحها كل الألفاظ أمام الذي يفهمها على حقها . انه يقرأ ليفهم فقط ، والفهم وحده لا يدل على الشعر والشاعرية . ان خلف الكلمات أسراراً عجيبة . ففي اللغـة العربية حروف مختلفة متفقة تتسلسل كأنها السلم الموسيقي المعروف اليوم ، فعلينا أن ندركها أولاً ، لندرك سر الشعر العربي ونليق للحكم عليه .

كتب صديقي وتلميذي الأديب المرتجى الدكتور سليم حيدر تخطئة لاستاذه في السربون — وهو من أئمة المستشرقين في ترجمة « الخلفاء الراشدون » فقبلها منه وأذعن . فهل من يفهم عني الدكتور أدهم العلامة الجليل ان قراءة الشعر

تبتدىء حيث تنتهي قراءة النثر ؟ هل لي أن أرده الى كتاب كليان هيار في الأدب العربي الذي ترجم فقرات من القرآن الكريم (ص ٤٠) ليقابل بين الترجمة والأصل . فليطلب الكتاب وليقابل بين الآية السادسة عشرة وما يليها من سورة البقرة ، وبين ترجمتها التي أحاطت بالمعنى كل الإحاطة .

وما علينا لو عرضنا على القارىء الكريم ترجمة « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ » نقلاً عن هيار (ص ٣٧ س ٢٠) .

« que les deux mains d'Abou - Lahab périssent , et qu'il périsse lui-même »

انني أسأل القارىء اللبيب المقابلة ، والحكم ليعلم كيف يحكم هؤلاء العلماء على شعرنا وشعرائنا .

ان الشعر العربي –الرفيع منه– هو الشعر بعينه ، وليست الترجمة معياراً للشعر كما زعم فيلسوفنا الريحاني ، بل الصواب ضد ذلك . ان الفن مجاز ، والمعنى حقيقة والخلود للمجاز لا للحقيقة ، فعلى ماذا يستند أدهم حتى جعل المتنبي في المنزلة بين المنزلتين .

لو كلفناك أن تترجم لنا إلى الانكليزية هذا البيت الرائع الذي قاله الشاعر أبو شبكة في قصيدة رثاء فليكس :

تراب القبر أهنأ من فراش على جنبيه ثعبان وحوت

فماذا يبقى من شاعريته يا دكتور ؟!!

ان غاية الخلق الشعري هي بدون أدنى ريب أن نعبر عما هو خالد ، ولكن – كما يقول جورج ديهامل – ليس كل من حمل قلماً جديراً أن يخلق الخلود من أية مادة كانت . فهؤلاء الذين اذا اتحدوا بشيء أنقذوه من عبودية الزمان والمكان نادرون جداً. ان هذه الموهبة العجيبة وحدها تكفل للقصيدة معنى على وجه البسيطة وبقاء في الدهر العتيد . وهذا مـــا عمله المتنبي في

الحدث الحمراء ، وأبو تمام في زبطرة ، والبحتري في ايوان كسرى ، وابن الرومي في دار البطيخ . وهؤلاء أربعتهم ، عند أدهم ، بين الطبقة الأولى والثانية ، لأنهم ليسوا من شعراء التمثيل الحقيقيين . إذن فليطب حليم نفساً ، وليهدِ إلى الدكتور أدهم ملحمته ففيها ضالته ، وبها يجعله من طبقة اسخيلوس وهوميروس وداوناسيوس ...

ان هذه الفكرة السائدة على عقولنا من أن الشاعر العظيم هو من يكتب الشعر القصصي والتمثيلي اضرت بشعرائنا وادبائنا أشد الضرر ، فعدا بعضهم طورهم فلم يجيدوا ولم يحسنوا .

ليس للشاعر بشاره الخوري خبز في الشعر القصصي، فهـــذا للشاعر شبلي الملاط ، ولكن بشاره يحسن التعبير عن وجده فلا يجارى ، وقد أخفق حين كلف نفسه ما لا تستطيع .

اسمع نحدثك قليلاً عن شعر بشاره الخوري الذاتي . تذكر جيداً وتقرأ أن بعضهم يسميه شاعر الهوى والشباب والأمل المنشود، انهم على حق، فمقطع بشاره هذا شعر حقاً ، ولا يضيره ما فيه من نمش . ولو كنت كبشار ، مثلاً ، لقلت لك كأنه تمر الجنان ، ولكنني اقابل أمام عينيك بينه وبين شاعرين أولهما المتنبي إذ يقول :

كل جريح ترجى سلامته الا جريحاً دهته عيناها
تبل خدّي كلما ابتسمت من مطر برقه ثنايا‌ها

أما الشاعر الآخر فلا أعرف اسمه ، ولكني أحفظ قوله وهو :

وما ذلك الشيء الخفوق يجانبي أهذا الذي سمّاه أهل الهوى قلبا

فاسمع الآن ما يقول بشاره ، رقد ضرب الشاعرين بحجر واحد فأصاب المقتل ، قال ، حفظه الله ، وجدد كالنسر شبابه ، ليقول مثل هذا :

أيها الخافق المعذب يا قلبي نزحت الدموع من مقلتيّا
افحتم علي إرسال دمعي كلما لاح بارق في محيـــا

أرأيت كيف سكب بشاره بيت المتنبي الثاني بلغته ، وكيف استولى على بيت هذاك ، وكيف خلع عليها ذاته ؟ ان فكرة بشارة من هناك ، بل بيته أشبه ببيت المتنبي من الغراب بالغراب ، ولكن شخصية المتنبي لا تلين حتى في غمرة الحب ، وشخصية بشارة لا تشتد حتى في وصف ثورة فلسطين .

ان لكل شاعر (ذاتاً (تخرج شعره . فبيت بشاره هذا مهلهل رخيم ، يصور لك طوفان نوح في برج حمود، لأنه من مواليد ذات لينة مهفهفة لطيفة، أما المتنبي فلا تحجم أن تقول له . أنت كذاب يا سيد ، وتعبيرك الصلب لا ينم عليك فالزم جادتك المثلى .

انشدني الشاعر سعيد عقل — سفير الأب بريمون عندنا — مطلع قصيدة لذكرى المتنبي لم يتمها ، ولكن بيته هذا كما ترى بمقام ألف :

القوافي الغضـــاب في الديوان كن،لو شئت، قطعة منزمان

فقلت له : وهكذا كان يا سعيد . خذ الديوان فكله قطع من الزمان ، ولكن باسلوب أبي الطيب الخاص . الانه لم يبدأ كهوميروس :

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا حدثينا وأروي حديثاً جميلا

لا يكون شعره قطعة من الدهر ، فلكل أمة سمت ونحو .

اذكر انني قرأت فقرة من كتاب لجبران الى « صديقه » نعيمه يقول فيه: انه سيضع كتابه « يسوع ابن الانسان » قطعاً مستقلة لانهـــا تواتي طبعه واسلوبه وهكذا يفعل الاديب الذي يعرف ما عنده .

وقصارى الكلام ، النـاس اجناس ، والشعر والشعراء فوق القيـود والمقاييس ، وما افلح منهم الا من استنار بهدى نفسه ، وأدى رسالته بلسانه لا بلسانغيره. ماذايضير صنينان لميشمخبأنفه كفم الميزاب، او يضخم كجبل المكمل ؟ فهوميروس وشكسبير وغيرهما ممن عدهم دنتون من شعراء الطبقة

الثالثة ليسوا كذلك لانهم شعراء تمثيل بل لأنهم شعراء حقاً. الملبوس لا يعمل القسوس ، ولو كان التمثيل في الحساب لكان العلامة الشيخ عبد الله البستاني من طبقتهم ، فهو قد نظم مسرحيات عديدة من حكاية يوسف الى حرب الوردتين .

وهب اننا اتجهنا الى النثر ورتبنا الكتاب بحسب القصة ، ثم استعرنا مقياس الدكتور ادهم هنيهة ، افلا يرعى الجاحظ مع الهمل ، كما شال شعراء التوراة في ميزان ادهم وقضى عليهم بحرة قلم .

ان الدكتور اسمعيل ادهم متتلمذ للذين يحاولون جعل الادب علماً ، فضلّ كما ضلوا . ان اسرار البيان يدركها الادباء لا العلماء . ان الجامعات تعلم البحث العلمي ولكنها تعجز عن تعليم الشعر والادب .

مهمة الناقد

٤

« مهمة الناقد » يراها السيد نسيب عازار – بعد ان يسرد شذرات كثيرة مما قيل فيها ، لها وعليها – تسامحاً ومغفرة ، فكان صاحبي واعظاً مجيداً ومسيحياً تولستوياً يريد النقاد مازنيين يستبيح بنو اللقيطة، إبل الادب، ويجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ، ومن الاساءة احساناً .. والناقد في نظره ، كما رآه المنقودون في سالف العصر والاوان ، رجلٌ غيور حسود ، واعوذ بالله من شر الحسد ، ما دخل دار احد وخلاها عماراً ...

ليس هذا من اراء نسيب الخاصة ، بل تلك فكرة حبلت بها الاجيال وتمخضت بها العصور . كثيراً ما استغربت بعض اسئلة كانت تنهال علينا بعد كل فصل : ماذا بينك وبين فلان .

– لا شيء الا الصداقة والمحبة .

– ولماذا هذا النقد المر

– . . . . . .

وقد لا نكون نعرف هذا الفلان ولم نر له وجهاً مطبوعاً على الورق . مسكين الناقد اذا قرظ قالوا : له غرض ، وقد يقولون مبرطل . واذا قسا فهو حسود ، قصر في الابداع فعاش كالطفيليات على الجذوع . كما يعيش الان قلمي على كيس الاجاويد ... ماذا نعمل لنرضي الناس ؟ لا ادري .

سرد نسيب في « مهمة الناقد » آراء مختلفة متضادة ، وعلينا نحن ان نقرأها ونختار لأنفسنا ما يحلو . كل ما قاله مقبول ومحتمل الا قوله — ان كان هذا القول له — وقد تعمدنا ان نسمي الناقد باحثاً لا حاكماً على الادب والادباء مع انه قد لا يستغني احياناً عن الحكم (ص ٤٩) .

لماذا هذا التعمد يا صاحبي ، حرام عليك !! ماضرك لو سميته ناقداً ؟ ألك عنده ثأر ؟ ان الناقد الذي يتذوق — كما تريد — ويميز ويحلل ويعرض ؛ فهذا صاحب مخبر للفحص والتحليل ، لا صاحب مستوصف للتداوي والمعالجة . اما الذي تسميه باحثاً فهذا غير الناقد . ما احلى كلمة سنت بيف فيه : « الناقد هو رجل تسبق ساعته ساعة الناس خمس دقائق » .

عجيب امر الناقد ! أن اثنى قالوا : مدلس محاب . وان عاب قالوا : حسود . وان شرّح قالوا : قاس شرس ، وإن تهكم بأدب يضحك الثكلى قالوا : وقح لا يحترم شعور البشر . ولو ترى الناس الجياع الى الثناء والمدح والاطراء لكرهت الحياة وقلت : مالي ولهم ، كل هبنقة يريد ان نجعل منه ابا الطيب ، وكل باقل يتمنى ان نصوره سحبان وائل . ولكن شيئاً فينا يحثنا ويدفعنا الى معاداة الناس عداء لا نفيد منه الا السباب واللعنات والقذاسات لأمنا وابينا .

انا لست على رأي جيل لمتر في نقد كتب المعاصرين بروح العطف والحب، فليس لي حبيب في الادب اعطف عليه ، وانني اتوخى تبيين العيوب ، أولاً، لانقذ اصحابي من شرها . فصديقك من صدقك لا من صدّقك . اما قوله — اي جيل لمتر - ان «المؤلفات السخيفة التي ليس لها كيان فهي لا تصلح للنقد

وجديرة باهمال الناقد اثر دراسته لها » فهذا يصح العمـل به في فرنسا حيث استوى الفن واستقـام ، وحيث الجمهور مثقف يعرف القيم ويقدرها ، اما عندنا فأول واجباتنا ان نكشف هذا الذباب الجاثم على موائد الادب ... ، فمنظره يطرد الشهوة . انني أوثر القسوة على من لا يرجى خيرهم لاعلّم الفتيان الناشئين بهم فيقوموا اعوجاج انفسهم . الم تر اننا اعرضنا عن نقد الشعر حيناً فلم يستح بعضهم من نشر ما يجب ان يطمر . . فاذا عملنا برأي جيل لمتر وأهملنا هؤلاء فالجمهور يصدق انهم شعراء ، ويصدقون هم اولاً ، وهناك البلية التي لا خلاص منها . ان مهمة الناقد الأولى ، في نظري ، هي ان يحمي الشعر بل الادب كله من الدجالين الادعياء ، ويفتح الباب لمن ترتجى الاجادة على يده . فليسرف في مدح هذا ما شاء ، وليضرب ذاك الضربة القاضية .

كان فولتير كاتباً وفيلسوفاً ومصلحاً اجتماعياً ، واراد ان يكون شاعراً كبيراً وهو ليس كذلك ، وان دارت له أبيات على الالسنة ، فقال في النقاد ما ترجمته : الناقد الممتاز هو الفنان الجزيل العلم ، الغزير الذوق ، البعيد عن الغرض والحسد ، ولكن هذا صعب وجوده .

والغريب ان يتفق فولتير مع شقيقه العربي — الجاحظ — الذي قال : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه . فعطفت على ابي عبيدة فوجدته لاينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب لم اظفر بما اردت الا عنـد ادباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات « ص ٦٠ » .

اتفق النابغتان على بعد الدار والعهد فسمي العربي الناقد اديباً ، وسماه الفرنجي فناناً ، والاسمان واحد ، وهذا تكذيب لمن يحشر الناقد في زمرة ادباء المعرفة . بيد ان الجاحظ لم ير في الذين نقدوه ذوي حسد وغرض كما بدا لفولتير . لان فولتير يريد ان يسمو الى طبقة راسين وكورني ، بينما الجاحظ وهو ابو الادب العربي لا ينهج نهج احد ليقصر عنه . ان المقلدين هم

أعدائي في الادب . انني انشق متى رأيت شاعراً بلا شخصية يقلد هذا ، ويحاكي ذاك ، ويتنكر لنا ان لم نسمه مبدعاً ...

ما اقل حظ الناقد ، انه ثاطور غير مأجور ، لا ينام عن ثعالب الكروم ونسدد اليه بندقياتنا وسكاكينا ، ولكنه يحالد حتى آخر ساعة ، ولا يترك الساحة الا اذا فرغت يده .

وهنا لا بد من كلمة جاء دورها ، وهي اننا نشعر بصغر العقل وعدم تقدمه حين نرى ان كل المثقفين من ڤاليري إلى ڤولتير وباسكال لم يكتشفوا بعد أكثر مما اكتشف الجاحظ في تحديد الشعر . ما أقلّ محصول الانسان من المعرفة ! انه يجمعها كالماء ، وكالماء تتسرب من بين يديه .

إن تأثرنا بالرأي العام يحملنا على تسفيه الناقد ورميه بالتعصب والغرض ، والرأي العام عندي أكبر بهلول . فجمهور كبير محتدم الصدر موغره حقداً وغيظاً يستطيع أن يحوله رجل واحد عن مجراه ، ترى الجماعة المهتاجة من تتعقبه قد انزوى عنها مرأى العين ، فيقول لها صبي : ذهب من هنا .فيذهب الناس مكذبين أعينهم .

يقولون السنة الخلق اقلام الحق ، اما انا فلا اراها كذلك ، بل ارى القوم يقودهم واحد كالأنعام فيرضخون ويسمنون ... ان هؤلاء الذين يريدوننا ان نعبد ما يعبدون ، فهم في واد ونحن في واد . ما آفة الفن الا عبادة القديم التي اطلقنا عليها اسم الوثنية الادبية . اننا نحاول القضاء عليها ، فاذا افلحنا فذاك ما نرجوه لان الرفق والهوادة لا تقر حقيقة ، ولا تدحض باطلاً :

يا رب مكتئب لو قد نعيت له ، باك ، وآخر مسرور بمنعاها

لقد مر في عصور الادب شعراء كثيرون كان في حقهم ان يتصدروا ، ولكن الرأي العام ، ذاك الصبي الطائش ، أخرم لمزعم واحد اعمته العصبية:

ابي الشيخ ذوالبول الكثير بجاشع غناني وعبدالله عمي ونهشل

الا تقول معي بعد قراءة هذا البيت كما قال القدماء : ذهب الفرزدق بالفخار ... كيف ترى هذا الفخر بكثرة البول ... لو كان هذا الجد اليوم ماذا يقول فيه اصحاب المخابر ! ! وماذا يبيح له الاطباء من المأكولات ؟ ان قنطار انسولين لا يكفيه .. هل جرؤ احد فقال للفرزدق : اخرس، يقصف عمرك ، الأولى ان يسكن جدك مجاشع في مزرعة فيغنيها عن السماد والزبل ما زال منعماً عليه بهذا الينبوع الغزير ؟ انه يستحق أن تقتتل عليه الدول فهو اخو النفط مستعبد الشعوب كما سمى صديقي الاستاذ يوسف يزبك كتابه الشهير .

يقول نسيب : لا نعتقد ان الناقد يمكنه ان يؤثر في توجيه قوى المبدع وتلوينها وتكييفها تأثيراً هاماً جوهرياً ، ولا ان يقوم فيه اعوجاجاً اصيلاً مهما ندد به وحمل عليه « ص ٤٤ » .

اما انا فاعتقد العكس . ان من يتعلم ويستفيد من النقد ، فهذا غير مبدع ، لان المبدع يتكيف كل ساعة ويتطور كل يوم . ومن لم يخلق ناقداً لا يكن مهما حاول ، فالنقد عندي ابداع اولاً ومعرفة ثانياً ، والا جاء جافاً ناشفاً ، ومن لم يكن كذلك فهو لا ناقد ولا كاتب ولكنه نساخ او باحث كما سماه هو ، والبحث غير النقد الادبي .

٥

أجاد نسيب في تقسيم كتابه نقد الشعر إلى أطوار ، وزاد في هذه الرحلة الأدبية ما أعده لها العرب ، ولكنه شرب من البئر ولم يرم فيها حجراً كما فعل توفيق الحكيم صاحب « تاريخ معدة » . أغار الاستاذ توفيق الحكيم على الجاحظ فسرق متاعه ، وعلى ابن عبد ربه فنهب ماعونه الذي استعاره من عند الجيران ... وعلى الخطيب البغدادي فأخذ أطيب مـــا عنده ، وعلى الهمذاني فالتهم كل ما في جراب ذاك الخراساني ... أسال لعاب توفيق الحكيم ما وجده عندهم من اللذائذ فأكل حتى انفجر ... اشفق عليها من « وقوع الملح على السكر » — والسكر عزيز غالٍ — فذهب بهـا إلى مطبخه الفني حيث طها شهرزاد ، ورجـــال الكهف ، ونشيد الأناشيد ، وبعض آثار المعاصرين — كما في عصفور من الشرق — فصار الاولون والآخرون مواليه في الأدب ، وهكذا أصبح الاستاذ توفيق الحكيم كتبيّاً أكثر منه فناناً حتى خاف أصحابه على سمعته الأدبية .

أمـا صديقي نسيب فألّف وصنف متواضعاً لا يزهى ولا يتكبر ، فوضع كتاباً له قيمة أدبية . عول فيه على ايمة الأدب ولم يطلسم طلسمة توفيق الحكيم في « تاريخ معدة » فدلك على مصادر كتابه واحدا واحداً لتعود اليها وتستزيد . وما أغرب كلمة شغلت صفحة كامـــلة من كتاب توفيق الحكيم :

آه ... حبذا لو كان لمعدتي مثل هذا التاريخ المجيد .

قلت ان معدتك يا حكيم أمجد تاريخاً . انها تقطع الصوّان . وحسبك ان تهضم بعض الجاحظ وبديع الزمان لتكون أعظم أغوال الأدب ، وشرّاً من تنّين مار جرجس .. أما أكلت كل عام خالداً وأكثر ، حتى استرطت شولمية سليمان فكنت اهول من حوت يونان ... لم تهب خطواتها بالحذاء ، ولا تلك الكأس المدورة وعمودي الرخام ، قفزت باللذة يا جسور ...

●

نعود إلى تقسيم نسيب الذي أنبأنا بذوقه العلمي . قـد أبدع في تسمية الاطوار الثلاثة : هواة ، ورواة ، ومؤلفين . وخير من هذا وضعه التخوم وتخطيط دنيا النقد في العالم كله !! عني بتوطيد الأساس وأحسن زخرف الرفارف فختم كتابه النفيس بخير النتائج التي أرشده اليها ذوقه وفكره فكانت زبدة آراء العرب في الشعر : ان غاية الشعر هي التجويد ، والتجويد قائم على أربعة أشياء : جودة الآلة ، واصـــابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصنعة، ويتوخى بالشعر أن يطرب ويهز النفوس ويحرك الطباع (١٧٨) .

وإذا نظرنا إلى تطور النقد العالمي وجعلنا له تاريخاً مقابلاً رأينا الآراء العالمية ، تقريباً ، واحـدة . فمالرب في الأدب الفرنسي أول من نبه إلى الألفاظ وأخذها عن العامة — كما قال الجاحظ — وأشار الى قوة التركيب ،

والألفاظ الشعرية ، واللفظة التي تكون في محلها ، وتقطيع البشر الأنيق ، والقافية النادرة ، والرنة ، والاصوات الموسيقية ، والفكرة المنتشرة في الشعر طبقاً للقواعد ، وقسر الالفاظ وادخالها في التعبير . وملخص ما كتبه برينتير في كتابه تطور الأجناس في الأدب : ان ثلاثة أشياء تعمل الشعر : خصائص الاحساس والشعور الداخلية، والاناقة ، والخيال اما اللغة فكانت ولا تزال المادة الاولى للفنون الادبية كما أن الخلايا مادة الاجسام . والحال عند الفرنجة كما هي عندنا . فرونسار نظر – كالعرب – الى الخواص الخارجية، أي الصيغة ، فرأى كل الشعر فيها وحصرها فيما يلي : التنظيم ، الصفاء ، السهولة ، المنطق ، الدقة ، الترتيب ، الاقيسة .

ويرى نسيب ، مع من رأوا ، تاريخ العصر الجاهلي غامضاً مشوشاً ، فيفر إلى عصر صدر الاسلام فيبدو له انه لم يكن فيه نقاد بالمعنى الدقيق ، بل كان الشعراء وهواة الشعر وأهل المعرفة يحكمون على جيد الشعر ورديئه، يفاضلون بين الشعراء معتمدين اذواقهم في الحكم والتفضيل (٥٦) .

قلت : ومن ينتقد غير (أهل المعرفة) ؟ اينتقد الشعر الا الشعراء، وهل غير الذوق الفني المسلح يقود الناقد في هذه الغارات ؟

ويدلنا نسيب على تفشي تذوق الشعر عند كل طبقات العرب مسترشداً بحكاية رواها صاحب الأغاني ونقلها نكلسون متخذاً منها برهاناً (على أن تذوق الشعر لم يكن مقتصراً على الأوساط الأدبية وانما كان ذائعاً في جميع أوساط الأمة حتى كان يعنى به خلال أهوال الحروب وأخطارها » « ٥٨ » .

قلت : وهل كان في تلك الأيام أوساط أدبية كما يفهمها عصر الاستاذ نكلسون ؟ وهل كان عندهم جامعة كمبردج أو اكسفورد ، انسينا كيف تحاكم الكسائي وسيبويه إلى أعرابي في عصر الرشيد ؟ فالحكم الحق كان لأولئك الذين لا يسميهم نكلسون أوساطاً أدبية .

ويختم نسيب كلامه على طور الهواة بقوله : على ان هذا الذوق الفطري لم

يكن مثقفاً بالدرس والاستقصاء . ولم يكن منظماً بالقواعد والأصول (٦٢).

وبماذا يدرسون في ذاك الطور ، أبالكتب المطبوعـــة في بيروت ، أم بكتب ليدن ومصر ؟ ومتى كانت توضع الأصول أولاً ، لنرى عند هؤلاء قواعد وأصولاً . ان كلامهم هو القواعد بعينها ، وذوقهم هو المدرسة الـتي نظمها الجمّاع بعدهم .

وفي طور الرواة وعلمـــاء اللغة يقول نسيب : « وهكذا طبع البحث اللغوي بطابع شعري وصارت معرفة الشعر والبصر به وتمييزه من وسائل علم اللغة وفروعها » .

قلت : وعند الفرنسيس ، وربما عند كل أمة أيضاً ، ابتدأ النقد لغوياً وعروضياً ، وظل يترجرج في العصور حتى بلغ ما بلغ مع الناقد الأعظم سنت بف .

والذي لا يعجبني هو أن يروي نسيب آراء كلسونية مأخوذة عن أدبنا وكتبنا كأنها أصبحت أصلح للحجة بعد أن تغربت . ويعرض لذكر الرواة وهم عندي اصح نظراً في الشعر من المؤلفين ، فالرواة كتب الأمس وأساتذته وأبرز هذه الفئة على الاطلاق ، حماد الراوية (٦٤) .

غريب أمر هذا الحماد ، فهو في الشطارة بين الرواة كدعبل بين الشعراء، والقديس شينا بين أولياء الله المكرمين . حكى صاحب الأغاني : وقال ابن النطاح:كان حماد الراوية في أول أمره يتشطّر ويصحب الصعاليك اللصوص، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد واستحلاه وحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر ، وأيام الناس ، ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ من العلم ما بلغ «أغاني ج ٥ ص ١٦٣» .

قلت : وهكذا فعل مار شينا فصار بين الأبرار والصديقين ، فحكايته بارعة تدلنا على ان « النعمة » اذا حلّت على أشقى عبيد الله جعلته ملاكاً طاهراً نقياً .

فهذا القديس انطاكي واسمه ابراميوس ولقبه شينا ، أي الأمان والسلام « سريانياً » ولم ينقصه الا الكنية ليصير عربياً خالصاً ... كان نفعنا الله بدعائه رئيساً للصوص وأراد أن ينهب ديراً للراهبات فتزيّا بزيّ راهب ودخـــل الدير ، فاستقبلته الراهبات بكل أمانة كما يستقبل الأخ بالمسيح . فغسلن رجليه ، وكانت بينهن راهبة مقعدة فتدهنت بتلك الغسالة ولامانتها شفيت وقامت تمشي .

ورأى ابراميوس القوة التي خرجت منه من غير قصد ، فخشع قلبه لله وندم ، واعترف لرئيسة الدير والراهبات بنيته السيئة ومكره وسلمهن سيفه ، ودعا عصابته فبايعوه وترهبوا جميعاً وصار شينا رئيساً لهم . وبرع شينا في التقوى والفضيلة فشفى مرضى وأقام موتى وهدى الكثيرين من الوثنيين الى الايمان بالمسيح .

وكذلك كان شأن حماد فقد برع في حقله وأبدع ، وكان له في الرواية أعاجيب كقيامة الموتى ..حتى قال فيه المفضل الضبي: قد سلط الله على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً – يريد انه كان يصنع الشعر وينحله الناس فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها .

ويذكر نسيب بعد حماد خلفاً الأحمر وأبا عمرو بن العـلاء ، وأبا عبيدة ، والاصمعي ، والجاحظ ، وابن سلام ، ويعدهم جميعاً في طليعـــة النقاد بل صفوتهم . ثم تأخذه الرأفة بالجاحظ ويرق قلبه له فيقول : انه من الحق أن يحسب في عداد مشاهير النقاد في هذا الطور مع انه لم ينقطع الى الشعر واللغة مثل غيره (٦٥) .

ليت نسيباً كان أكرم ، فما شأن الانقطاع ؟ ان الجاحظ إمام لغوي ، واللغة مبعثرة في كتبه حيث يقع الملح على السكر كما خشي توفيق الحكيم ، فنظم له إحدى واجهات دكانه تنظيماً فنياً ... كما يغير المستعمرون على البلاد الخام لينظموها ويهذبوها ...

ليس لهذه الطبقة من النقاد الرواة ولا للتي بعدها من النقـــاد المؤلفين ما للجاحظ من خدمة الأدب العربي .فالجاحظ جد كتابنا ونقادنا وموقظ الفكر العربي . أراد هذا الجد العظيم أن يكون أولاً إماماً دينياً في الجاحظية فكان أمير المؤمنين في الأدب يتمسح بجدرانه حتى الساعة . ولكن مار شينا الأدب هذا لا يشفي المقعدين ولا يقيم الموتى .

ويعرض نسيب لذكر الاحكام على الشعر فيرى « الناقد ينثر في وثبات ذهنه عبارة قصيرة ، أو تشبيهاً موجزاً يمثل غرضه ويرمز اليه بلمحة دالة » (٧٠) ثم يسرد طرفاً نفيسة من تلك الومضات . إن هذه الومضات هي عندي أغنى جداً من مقال ابن خلدون الذي عده نسيب من النقاد وهو ليس منهم . انه لمّام في هذا الفن . وقد بحثت هذا الموضوع في مقال خاص فلا حاجة الى التكرار فهؤلاء المصنفون كانوا شراً على الأدب في كتبهم التي لم تزد على أقوال القدماء شيئاً ، كما لم يزد الاستاذ انيس المقدسي على ما كتبه الاصبهاني في كتابه أمراء الشعر في العصر العباسي (٧٦) .

كان النظر في الشعر ونقده من خصائص العرب جميعاً ، وهذا ابن الرومي يتألم من أمراء زمانه الذين كانوا ينتقدون شعره ويحسدونه :

قد بلينا من دهرنا بملوك ادباء علمتهم شعراء
إنأجدنا في مدحهم حسدونا فحرمنا منهم ثواب الثنـــاء
قدأقاموا نفوسهملذوي المدح مقام الأنـــداد والنظراء

وهذا بشر بن مروان يقضي لجرير على الفرزدق ويجيزهما جميعاً . فالنظر في الشعر كان عند الخواص والعوام ، البادية كانت جامعة العرب ومدرستهم، فيها تخرج الفصحاء والعلماء منفقين أرطالاً من الحبر وحزماً من الأقلام . أما هذه الوثبات الذهنية التي ذكرها نسيب فهي خاصة أولى من خصائص العرب فكل ما عندهم وجيز : الملبوس ، والمأكول ، والبيت .

وفي طـــور التأليف يبدأ نسيب بابن قتيبة وقدامة فيجيد التلخيص

والاستنتاج ويقدم لنا زبدة – وإن لم تكن طريئة – ففيها الغذاء الوافي . طالع تنسيقه الممتاز (٨٤) لمقاييس نقد الشعر . وهو يرى أخيراً ان النقد العربي لم يتسم بنزعة التعمق والتمحيص ، وقد بينا مرة أن هذا من خصائص العرب فلا حاجة الى التكرار .

ثم يجيء دور ابن الاثير – الناقد العظيم – فيلخص آراءه بايجاز واف . وابن الأثير ذكي مستنير أعمل عقله ورويته وذاكرته فجاء بالروائع في هذا الباب وإن طرطر وتجبر أما صاحبا الوساطة والصناعتين فهذان ناقلان لا مبدعان. رحم الله ابن العميد القائل : كل من جاؤوا بعد الجاحظ عيال عليه. فصاحب الصناعتين ، خصوصاً ، سرق الجاحظ ، على عيني وعينك يا تاجر ، ثم سمى نفسه مصنفاً وما استحى . فالجوهر في كتابه من عند الجاحظ وما بقي فهو كلام معاد تجده في كل الكتب .

وملخص ما أخذه نسيب ان الشعر عند العرب يدور على شيئين: جمال الألفاظ وجمال المعاني . وإذا قرأت كتب نقد الشعر الحاضر تبين لك ان العرب عرفوا منذ اجيال ما عرفه نقاد اليوم . قد يكون الشعر ضئيل المعنى وهو عندهم شعر رائع لانه يهز ويطرب . كل هذا عرفه القدماء ولكنهم لم يسموه باسمائه الحاضرة أي الايحاء ، والجو الشعري ، والعقل الباطن وغير ذلك ، ولكن جاء في كلامهم : ان من البيان لسحراً .

ثم يعرض للسرقات الشعرية التي تمكنت عندنا فصارت شغل العرب الشاغل ، وخصوصاً ابن الاثير . فينقل كلمة للعسكري قال فيها : « الحاذق يخفي دبيبه الى المعنى ، يأخذه في سترة فيحكم له بالسبق اليه اكثر من يمر به » «١١٨» .

وعبارة صاحب الصناعتين هذه مسروقة ، ولكن صاحبنا حرامي غير ممتاز كما وصى سراق الشعر . فكلمة الاخطل ابرع وابدع واجمع : الشعراء أسرق من الصاغة .

ولم يهمل نسيب في كتابه بحث الوحدة في القصيدة العربية فوقف بين البينين . انه يروي الآراء ويعبر عند الادلاء برأيه بكلمات واسعة كقوله في هذا الصدد : كانما كل بيت هو وحدة قائمة بذاتها «١٢٢» .

ان القصيدة العربية « كل » ولكنها كبناء البيوت مداميك مداميك . وآفة شعرنا هي هؤلاء النقاد الذين سيروا الشعر والشعراء في الطريق الضيقة .

وينتهي نسيب الى الشعر المصنوع والمطبوع تحت عنوان : وحي الطبع . والذي اراه ان كلمة المصنوع لا تضاد المطبوع تماماً ، فكل شعر مطبوع لا بد ان يكون مصنوعاً ، واذا خلا الشعر من الصناعة فليس هناك فن وصار قولاً . لست ابالي ان يكون هذا التقسيم او التسمية لصاحب العمدة فكلمة المصنوع لا تحتمل الغرض .

ثم ينتقل الى العاطفة الصادقة التي لها شأن عظيم في الشعر ، فيروي لنا آراء كثيرة واقوالاً شتى في هذا الصدد ، وكل هذه المطالب التي بحثها تؤلف الشعر . فالشعر الرنان الراقص يخرجه رجل قوي الاحساس ، وانتقاء الالفاظ الموسيقية يقتضي حساً دقيقاً جداً ترافقه انفعالات باطنية صادقة كالتي رافقت ابن العبد فقال طويلته المشهورة ووصف فيهـــا ما نحن بصدده فقال :

انا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

واخيراً انني اثني على كتاب السيد نسيب عازار الذي مهر به نهضة الشباب ، فكان عقداً ثميناً حسن النظام في جيد مكتبتنا الحديثة .

فهرست

	صفحة
الكلمة	٩
سوق الادب	١٤
الادب الحديث	١٩
بين الطبل والزمر	٢٧
عكاظ بيت الدين	٣٤
ثلاث صفحات طواها الدهر	٣٨
امين تقي الدين	٤٥
رندلى : لسعيد عقل	٤٩
مسرحيتا سعيد عقل	٦٤
محمد الجواهري	٧٠
ديوان الانسام	٧٢
من اغاني الحياة	٧٨
عبقر	٨١
خفقة الطين	٨٤
الكوميديا البشرية	٩٠
الشعاع : لمصطفى خريّف	٩٣
شوقي وحافظ	١٠١
الشعر الوطني الاجنبي	٩٩
من الادب الفرنسي	١٠٥
من الادب الالماني	١٠٦
من الادب الانكليزي	١٠٨
من الادب الاميركي	١٠٩
من الادب الياباني	١١٠
مارون عبود وابو ريشه	١١٢
قارورة الطيب : ليوسف غصوب	١١٤

	صفحة
الشاعران الاخوان عقل وشكرالله الجر	١٢٣
الخان اللهيب : للصافي	١٢٩
غروب : لميشال بشير	١٣١
المشرقيات : لنجيب مشرق	١٣٢
السهام : لالياس قنصل	١٤٠
الشاعر القروي	١٤٧
الياس ابو شبكه	١٥٢
حبيب ثابت . سيد الاهل . نازك الملائكة	١٦٠
رفيف الاقحوان : للدكتور فيّاض	١٦٣
عمر النص وعبد الصاحب الموسوي	١٦٧
الليالي والنجوم : لعبد السلام العجيلي	١٧١
اجنحة السلام ، دليلة ، قلب يغني	١٧٥
ارض الشهداء : لابراهيم العريض	١٧٩
الاشباح الظالمة ، لمحمد النقدي	١٩٣
الوان شتى : لطالب الحيدري	١٩٧
رباعيات الحيدري	١٩٩
نور الدين بيهم	٢٠٤
دموع واشواق : لحسن عزت	٢٠٦
الحجازيات : اغاريد ، اصداء ، الابراج	٢٠٩
الادب الفرعوني ، والدكتور ادهم والمقاد	٢١٤
نقد الشعر	
١ نقد الشعر في الادب العربي	٢٢٤
٢ الفن والطبيعة : غاية الشعر القالب والمادة	٢٣١
٣ على هامش « نقد الشعر »	٢٤٢
٤ مهمة الناقد	٢٥٤
٥ النقاد العرب	٢٦١

مارون عبود

نقدات عابر

دار مارون عبود
ص.ب ٥٤٣ بيروت
دار الثقافة

١٨٨٦ - ١٩٦٢

الأدب والحياة

لا أدبَ بدونِ حياة ، وفناءُ الأدبِ دليلٌ على فناءِ الحياةِ نفسِها .

الكلمة قوامُ الأدبِ ، ولولاها لم يكن شيءٌ مما كان . فاللهُ ، سبحانه وتعالى ، هو الأديب الأولُ ، أنشأ بالكلمة هـذا الكونَ ، وهو رائعتُهُ العظمى . أما قال في كتابه العزيز : وإذا قضى أمراً فانما يقول له كنْ فيكون . وبماذا علّم اللهُ الانسان ، أحبَّ مخلوقاتِه اليه ، أليس بالقلَم ؟

وعندما شاء ، جلَّ جلالُه ، أن يبدع،أما قال : فليكن نور . فالكلمةُ إذنْ كانت أداةَ الله في تكوينِ بديع السماوات والارض ثم صارت سلاحَ من خلقَه على صورته ومثاله ، وبها تُقاد الأممُ والشعوب ، وتساسُ الدنيا . والذي يُحسِن استعمالها هو الذي يَخلُق المثلَ العليا ، ويجعلُ الادبَ كفؤاً للحياة. والاديب، بتخيّله، هو الذي يخففُ آلامَ البشر ويحبّبُ اليهم الحياةَ اذ يحلّوها لهم عروساً بأبهى وشيِ الأحلام . فخيال الاديب ، وهو عنصرٌ روحانيٌ ، يكشِفُ للأبصار ما غمَضَ واستتر من أسرار الكون . والمثل العليا التي وضعت يقرّرها الأدبُ الذي يستمدُّها من تطورات الحياة .

الأدبُ خلاصةُ عقولِ الأمم ، فكما يُقطّر الزهر ليصير عطراً باقياً ، ويُحبَسُ في قارورة للدلالة على ما كان ، كذلك بدلّنا الأدب الخالد على من مرّوا في طريقِ الحياة منذ الأزلِ إلى الأبد .

الأدب الحقُّ هو الذي يصوّرُ الحياة ماضيَها وحاضرها ، مستقبلَها القريب والبعيد ، ويضع مخططَ الصرح الذي تراه مخيلةُ الأديب الموهوب .

ان التي نسمّيها نحن كلمة هي التي ، إذا اتحدت مع أخواتها ، تقلِبُ نظمَ الدنيا رأساً على عقب ، وكما قال الجاحظ : وهل بيوتُ المالِ إلا دِرَمٌ

الى درهم، نستطيعُ ان نقولَ نحن: وهلِ الروائعُ المثلى الا كلمةٌ الى كلمة ؟

والاديب لا يُحمَل على تأدية رسالة بعينِها ، فهو يؤدي رسالتَهُ بينما يفكّر بأنها ليست هي ، كما فعل المتنبي حين ادّعى الإمامةَ ، ثم رضى أخيراً بضيعة أو ولاية ولم ينلْ ذلك . كانتِ الحياة تُزجي ركابَه في طريق الأدبِ الخالد وهو يحنّ الى سلطان قافه .

والجاحظ ، أما اعتقد أن مجدَ عبقريته هو في الجاحظية ، فمات في أدبه الجدلي وعاش في الواقع ؟

واذا فتشنا عن العنصر الأدبي في جميع ما سَمُدَ به الانسان من تعاليم ، رأينا ان سحرَ بيان الادب من عائمها الكبرى ، وأن الله ، تقدّس اسمُه ، لم يكلّفْ بحملِ رسالته في كل دور الا أفصح خلقه . فالسيف والمدفع لا يؤديان رسالة .

ليس للرسالة الا الاديب يحملها على أجنحة خياله ، ويطير بالنفوس معها .

لا نعني بالادباء أولئك الذين ينقبّون في مستنقعات التقليد ، ويتقيأون على الورق ما قالته النوابغ منذ آلاف السنين ومئاتها ، بل نحن نعني أولئك الذين يدور العقل البشري في افلاك وحيهم والهامهم .

فمخيلة الأديب في حلم دائم ، والعلم يعبر تلك الأحلام ويحققها فيما بعد . مخيلة الأديب تحبل وتلد ، ورجال العلم يلتقطون المولود ليكون لنا عدواً . يحلم الأديب الملهم بتجميل الحياة واسعاد البشر ، والجبابرة يصيّرون تلك الأحلام يقظة قاسية .

ان الأدب اكسير الحياة ، بل هو غذاء نحن احوج اليه من الخبز . تسأم النفوس دنيا العمل وضجيجها المزعج فتلجأ الى دنيا الأدب وعوالمها ، فتنفتح أمامها آفاق الأماني والأحلام ، وتستيقظ على صوت الاديب الذي يهيب بها لتهب الى الكفاح .

فالمتنبي ، شاعر القومية العربية ، أما ازدرى ملوك عصره جميعاً حين قال ، ولم يبال :

بكلّ أرضٍ وَطِئْتُها أمم ترْعى بعبد كأنّها غَنَمُ
يستخشنُ الخزّ حين يلمسهُ وكانَ يبري بظفرهِ القلمُ
وانما الناسُ بالملوكِ وما تفلحُ عربٌ ملوكها عجمُ

كل هذا يوضح لنا علاقة الأدب بالحياة ، وان الأديب في كل ما يكتب لا يصدر قلمه الا عن نبع الحياة الحي ، مهما كان موضوعه . أما الذين يتحدثون عن الأدب في هذه الأيام ويريدونه انضوائياً ، أو موجّهاً ، فانهم لا يعرفون ان الأديب الحق لا يمشي في ركاب أحد ، وانه ليس طالباً في مدرسة ليقترح عليه المعلم بحثاً يناقشه . للاديب كل الحق في ان يؤيد قضية إذا اندفع اليها عفواً او كان مؤمناً بها، أما سابق التصور والتصميم، كما يقولون في لغةالشرع، فهذا يكون في الجرائم لا في الأدب .

الاديب هو تلك الشجرة التي يطعن جذعها فتدر عصارة يصنعمنهاالسكر والشراب انه يتألم ليسعد اخوانه ، فلنتركه يسمعنا تغريده ونواحه . فالطيور الفصيحة لا تقترح عليها الأغاريد . وليس في الأدب الرفيع أدب لا يتصل بالحياة ، ولكنه يتنوع بتنوع الحياة ، فما تراه انت بعيداً عن حياتك فقد يكون في صميم قلب حياة غيرك . ان الاديب لا يُدَلُّ على واجبه ، فالحياة التي تضج فيه هي التي توجهه في طريقه ، لا نحن .

أما الذين يريدون ان يوجهوا الادباء فلهم اوجّه كلمة ملتون : لا تتهم الطبيعة ، فانها قامت بواجبها ، وعليك أنت ان تقوم بواجبك .

وبناء على ذلك قمنا نحن ونقوم بواجبنا نحو الأدب والأدباء ، أي نقدناهم نقداً مخلصاً ، وانما الأعمال بالنيات .

ثورة على القديم

جدّد الله في حياته الأزلية الأبـدية مرتين ، الاولى ، حين كانت الارض خربة وخالية ، والظلام يسودها، فقال : ليكن نور ، فكان نور . وعلى ضوء المصباح الوهاج الذي اسمه كن فكان ، أبدَعَ الأشياء. وكانت وكان الانسان خاتمة اعماله ، وفيه التقى العالم الاكبر ، كما قال الشاعر .

وبعد حين، رأى الله ان ابناء آدم زاغوا وفسدوا، فشاء ان يقوم بتجديد جديد شامل ، فأرسل الطوفـان العرمرم ، وأفنى بني البشر ، إلا نفراً ، قالوا انهم كانوا من الصالحين . ولا تزال الطبيعة تحذو حذو والدها . وَكَلَ الله اليها السهر على ما خلق ، ولذلك نراها تهم من حين الى حين بتجديد مـا قدم وحدث ، تارة بالماء ، وطوراً بالهواء ، واحياناً بالنار. واذا تأملنا رأينا ان الطبيعة هي أكبر مجدّد ، فلولا غضبتها التي تعبّر عنها بالزلازل ، لما رأينا البيوت المبنية بالوحل المجمد المجفف ، تشاد بالاسمنت المسلح ، ولما رأينا مدناً جديدة تخطط بالبركار والزاوية على احدث طراز .

فلا نعجب إذن متى رأينا الادباء من شعراء وكتـاب يثورون على القديم ويحاولون خلق الجديد . ان لكل شيء أزياء تتغير وتتبدل ، فليس هذا من خصائص الثياب وحدها ، فللأدب أزياء ، وان اختلفت اسماؤها ، فجوهرها واحد ، ولذلك قالوا كلاسيكي ، ورومنطيقي ، ورمزي ، وسريالي . بيد أن جوهر القماش واحد ولكن التفصيل يتغيّر، والقصّ تارة يكون على القدّ، وطوراً يكون بشكل الجرس العبّودي ، كما هي حال لباس نساء اليوم .

أما سيد المجدّدين في نظري فهو عزرائيل . انه يجدّد الناس غصباً عن رقبتهم ، ولعله شاعر أكبر ونحن لا ندري . تصوّر لو كنّا بقينا جميعاً على وجه الأرض ، فكيف كانت حال الدنيا !

باطل الأباطيل ، ان طلب المجد الأدبي كأكل الترمس ، يسلّي ولايغذي، ولوما كانت الحياة مسخرّة للسوقنا بعصاها ، لما فكرنا بما نسميه تجديداً .

ان الذين يتنكرون للماضي لفي ضلال، فهم لن يفلتوا من براثن الأمس، وبرهاني على ذلك اننا ما زلنا نحني الهام عندما يذكر راسين ، وهوميروس ، وشكسبير ، وفرجيل ، وامرؤ القيس ، وسليمان ، وداود ، ومحمد ، وعيسى وغيرهم . وكأني بالمصير القريب الذي يصير اليه تجديدنا ، لا يكون غير ما صار اليه كل تجديد. فلنفتش عن الجديد في عقول النوابغ، اما هذه الدساتير: افعل كذا ، فلاتؤتي ثمارها في احياء الفن الحيّ الباقي .

منذ قرن بالضبط ، كانت الثورة الادبية في لبنان حين عرف الصحافة ، وقرأ كتب الفرنجة، وتعرف كتّابه الى نوابغهم العظام، فقلدوهم قدرطاقتهم، ولكنهم في كل حال جددوا ، فطعّموا الادب العربي ، فنوّرت بساتينه وأثمرت . ثم كانت الهجرة اللبنانية الى أقاصي الأرض، فقامت مدارس أدبية في كل قطر من أقطار المسكونة، وهذه من أعطيات فجر القرن العشرين لنا . وما مرّ ثلث هذا القرن حتى طلع علينا في لبنان شعراء ينحون نحو فرلين ، وبودلير ، ومالرمه ، ورمبو ، وهذه من هبات ما بعد الحرب الاولى .

واليوم يريد ان يتناسى ابناء هذا الجيل ، اسلافهم الذين زرعوا لهم فأكلوا ، أما هم فعملهم قلع لا زرع ، وقطع لا غرس .

وما خفتَتَ صوت لبنان الرمزي في الشعر حتى سمعنا العراق ينفض عنه غبار النعاس ، ويرفس عواميد الشعر ، فلا قافية ولا وزن حتى ولا لغة .

لام اخواننا العرب في جميع اقطارهم ، الادباء اللبنانيين المهاجرين لانهم تنكبوا عن جادة اللغة ؛ فما قولهم باصحابنا اليوم في لبنان وغيره ؟ لقد حطموا المكاييل والموازين ولم يكتفوا بالثورة على الأوزان والقوافي ، بل ثاروا على اللغة وقواعدها فصاروا اباحيّين أدبياً يزدرون كل قديم . وإخال

هؤلاء بعد ربع قرن على الأكثر ، لا يجدون من يقرأ لهم هذا الجديد

ان بين القديم جديداً لا يبلى كما في الشعر الجديد ما لا يستحق ان يتلى . فيا ليت شعري كيف يتخلص العربي من أدبه القديم ؟ هل يستطيع أحد منا ان يتملص من ملامح سلالته ؟ واذا كان ذلك ، فكيف نقدر ان نمحو أثر الماضين منا .

لقد غالى الماضون في احاطة القديم بهالة قدسية ، محافظة منهم على تراث امتهم ، فالشاعر الأصيل ، قديماً كان أم حديثاً ، هو من تتمثل فيه من صور الغابرين اشياء ، ولكنها لا تكون هي بالذات ، كما اننا نحن نحمل في أجسادنا ملامح اجدادنا وان كنا لسنا إياهم بالذات . كذلك يجب ان تظل فينا ملامح شعراء جنسنا بل ملامح جميع النوابغ في هذا الفن منذ كان حتى هذه الساعة .

ان شعراء اليوم ينشدون الفن الرفيع في صور فكرية ، ولا يأبهون لجمال الكلمة وموسيقى العبارة، فكأنهم في ما ينظمون، يحاولون حل قضايا منطقية أو جبرية هندسية ، فيناجون الفكر لا الذوق .

ان الجيّد في دواوين شعرنا كحبات قمح في عدل من تبن . كان القدماء يحشون الاوزان حشوا ليقدموا لنا طبقاً منظماً ، أما اليوم فينثرون الحب نثراً ، ومن اين لنا المناقير الفولاذية ! فلنمنَ بجمال الكلمة وموسيقاها ، وأما الفكر فالنثر كفيل باملاء كرشه ...

فلندع الشعراء بلا مواد شرعية تفرض عليهم ونقول لهم : اولاً وثانياً وثالثاً، فالشاعر الحق لا يعنى بالارقام . ليس الفن الا صورة لما كان ويكون وسوف يكون ، وكلما دنت الصورة الفنية من الواقع كانت أحب الى القلوب واقرب اليها . الفن إذن تصوير للحياة ومشاكلها، والصورة الفنية الناجحة مهما كان موضوعها ، تلذ لنا إذا كان قائلها ملهماً .

لسنا ندعو إلى الكلام الموزون ، فالقرآن الكريم ليس شعراً موزوناً ، ومع ذلك تحلو لنـا قراءته وتطيب . وسفر نشيد الأناشيد ومراثي ارميا ، ليست شعراً موزوناً ، ولكنها شعر بالمعنى الصحيح .

فأنتم يا أتباع الشاعر العظيم اليوت ، لم يقل زعيمكم هذا بالتنكر للماضي كل التنكر بل قال : المهم أن يحس الشاعر بالماضي إحساساً مستمراً ، ولا يكف عن تنمية هذا الاحساس خلال أطوار حياته المختلفة . وعندي ان الشعر لا يكون في خلق الصور الغريبة البعيدة عن واقع الحياة، بل في التعبير عن مشاعر الحياة العادية تعبيراً يستحلى ويستملح .

أما المقاييس ، والأوزان ، والتعابير ، فلكل جيل منها ما يلائم زمانه ، لأن لكل جيل عناية بالفن تختلف عن عناية من تقدموه . أما النقّاد الهواة فكالواعظين الذين يتبارون في كنائسهم كل على حدة ، ولا يسمع أحد منهم عظة زميله في دلّ الناس على دروب الخلاص والسعادة الأبدية .

اقترحت مرة على بعض الكهنة أن يوحّدوا عظـــاتهم ، ويسمع بعضهم لبعض، ويتذاكروا مواضيعهم ليهدوا من يسمعونهم سواء السبيل، وإلا ظلّت الرعيّة نائهة عن الدرب .

أن الشعر كألوان الطعام المختلفة في مأدبة عامرة ، فما لا يحلو لك يطيب لغيرك ، فلا تقل هذا قديم وهذا جديد ، فليس في الدنيا جديد لا أثر للقديم فيه ، وأكثرنا ادعاءً بالتجديد ونبذ كل قديم، لا يزال يرزح تحت اعباء عظمة الشعراء القدماء ، ويقدس ما قالوا ، ولا يهاجم إلا معاصريه ليهدم ما بنوا ، ويبني بحجارته بيتاً ينعم فيه ، إلى حين تأتي الساعة التي يأتي فيهـا من يهده بمثله ومعوله .

أما محاولة الشباب التخلص من كل قديم،حتى اللغة وأصولها ، فهذه طفرة توحيها السياسة الحـاضرة ، فكما تُخلَع الملوك وتُدَك عروشهـا ، كذلك

يحاولون إسقاط امراء البيان عن كراسيهم . أنا أحب كل جديد ، ولكني اؤمن ايماناً يشبه اليقين ان لكل لغة خواصّها،فلو نظم الفرنجي قصيدة طويلة النفس على قافية واحدة،لأضحك الناس كما أضحكهم غوتيه حين حاول ذلك. وكما أضحكهم ابن أبي ربيعة حين نظم مقطوعة وصل بعض أبياتها ببعض . أما الوزن ، وهو محاولة خلق الموسيقى الكلامية ، فهو الذي يميز شاعراً من شاعر ، وإلا لكان كل الناس شعراء يفصّلون عباراتهم الخالية من الموسيقى ويسمونها شعراً.لا بد يا اخوتي من الرنة الموسيقية فاوجدوها واعملوا ما تريدون.

أما الكلام الشعري غير المقيد بوزن فلا يخرجه لذيذاً شهياً إلا من كان شاعراً وزّانا في الأصل ، فقصائد نزار قباني غير المقيدة بالتفعيلة القديمة لا تخلو من تفعيلة جديدة تشيع الموسيقى فيها . فهذه قصيدته الجديدة (شؤون صغيرة) ذات تفعيلات خاصة يهزك إيقاعها ويدعوك إلى استعادة قراءتها . راجعهـا إذا شئت في مجـلة شعر الفصلية ، لصاحبها الشاعر يوسف الخال ، زعيم الشعر الجديد .

فهذه القصيدة الرائعة تدفعني إلى القول، ان نزار قباني هو شاعر الوقت، جدد ولم ينبذ القديم نبذاً قصياً . ولو وفق الآخرون إلى مثل هـذا لرحّبنا بجديدهم،فقد صوّر لنا طوراً عشنا به زمناً رغداً ، وهذا هو الشعر الرفيع .

إن للشعر إبّاناً ، والظاهر ان القباني لا يزال في ذلك الإبّان ، لا يزال عنده أشياء صغيرة يجعل منها شعراً خالداً كبيراً

وعبد الوهاب البيـاتي ، داعي دعاة الشعر الاليوتي ، لا ينأى بنا شعره عن الموسيقى الشعرية التي ألفناها، ولولا اكثاره من التكرار وقفزاته العجيبة لكان سيّد الموقف .

وبعد فلماذا نتعب ، فالزمان ، وهو المغربل الأعظم ، كفيـل بردنا إلى الصواب وإرشادنا الى خلق شعر جديد حقاً .

الشيوخ والشباب [1]

خفت أن تكون حـــكايتي في الكيت كات كحكاية إعرابي في عرس ، فاحتطت لنفسي كثيراً . ومن يلوم نصّفاً مثلي إن خاف على هيبته من الغصون الأماليد . عَرَضتُ كبرتي الجليلة على المرآة ، وطوّفت في جهاتها الست ، فرأيتها ، واحسرتاه ، مثل حصون سفريد ، تقريباً . الصدأ دَبّ إلى عنوان الكتاب ، والكهولة تمشي الهوينا ، لا ريثٌ ولا عجل ، تحفر كل يوم ثلماً جديداً تجيء لي فيه هماً مستبداً . فاستلقيت على الصفّة مروعاً ، أسأل الكتاب بلسماً لجراحات الأبد ، فرماني أبو الطيب بهذا السهم :

آلة العيش صحـة وشباب فـاذا وليّا عن المرء ولّى

فصببت على لحيته خمسين ألف لعنة ، وتشاءمت من ليلة ، كل ما فيها ، ينمى إلي نقسي ، وأخذت أذرع الغرفة ، كمبارز موبسان ، أخالس المرآة النظرات ، واكذب نفسي عنها في كل مـا أرى . وفتح الله عليّ ، فهبطت النجدة من علُ ، فرددت عفواً :

وما ان شبت من كبر ولكن رأيت من الأحبة مـــا أشابا

وبينا أنا أستملح هذا العذر الأبلق ، إذا بالذاكرة تسعف بخير منه :

أخـــو خمسين مجتمع أشدّي وتنجدني مداورة الشؤونِ

ثم استفحل الوحي والإلهام ، فانقضّ عليّ هذا البيت :

يا هند لا ترهبي شيبي ولا كبري لي همة مثل حدّ الصارم الذكر

وهكذا كانت المعركة الفاصلة ، ونمت على سرور .

---

(١) كلمة كتبت لتقال في حفلة تكريم الشيخ فؤاد حبيش صاحب دار المكشوف .

فبناء على : رأيت من الأحبة ما أشابا ،
وبناء على : أخو خمسين مجتمع اشدي ،
وبناء على : لي همة مثل حد الصارم الذكر .

أمرنا ونأمر مارون عبود أن يلقي دلوه بين الدلاء في مأدبة تكريم صاحب المكشوف ، وأن يمثل الشباب (الكبار) في ليلة الوسام الذي مُنحه تقديراً لأدبه وجهده في سبيل نشر الكتاب .

يا شباب !

إنّمْ أكن في رسالتكم عليّاً كنت فيها أبا بكر ، وإن لم أكن صِدّيقاً إلى أبعد مدى .

شباب شيوخ ، قديم جـــديد ، هذا نزاع أزلي سرمدي ، فالملائكة ثاروا في شبابهم على الله القديم الأجيال ، فكانت حرب طاحنة فاز فيها الظافرون منهم بالنعيم المقيم واستعمر المغلوبون الأرض، فكنا نحن أبناء الناس طعام الشياطين . ولا يزال شر تلك الخطيئة الأصلية ، وهي قبل خطيئة آدم ، يتقد بين القديم والجديد. والشيوخ في ثياب المرانب وشعارهم الحكمة، والشباب في التبّان يضحكون من بنت الهرم .

هنا صبيّة تملأ الدنيا عنجهية لأنها صارت عروساً ، وهناك حماتها ذات شفتين كفم المصرّ تقول لجارتها ساخرة : متى كان التعريس عجيبة ، أمـا كانت الحماة كنّة ، ثم نسيت كل شيء حتى اسمها في البنوتية .

هذه حجة العاجز فاصفعوا بها لحيته . الحياة شباب ، وإن لم نصدق الله سبحانه وتعالى فمن نصدق ؟! انه لم يعلل عبيده إلا بشباب دائم . لم يعللهم بالحكمة والكهول والعجائز بل بجنة للشباب في حافاتها زجل ، كل من فيها أمرد ، ولا ملتحٍ فيها غيره ، سبحانه وتعالى . فيا ألف مرحباً بالقيامة والموت إن كان هذا ما ينتظرنا في دار الله .

فالذي يرتضي بوقار يحللون به الشيوخ كمن يصدق أن الترمس أحلى من اللوز . وما كان أشبه الأخطل الأصيل إذ ازدرى هذه الخزعبلة قائلاً في الحسان :

وإذا دعونك عمهن فـــانه لقب يزيدك عندهن خبالا

إن أشد الناس كفراً بناموس الحياة هو الذي لا يؤمن بالشباب ، ويا ويح أمة ليس لشبابها رسالة ، وحيّا الله شبابنا المؤمن ، الواقف على العتبة ، يروز رسالته بيدين قويتين ، ويتطلع إلى الدنيا بعينين طافرتين .

أيها الشباب ،

إن ليالي الكيت كات ، وأصيل عجرم ، ومصايف لبنان تدعوكم . لقد خلّد الذين يزدري بعضكم أدبهم ، داراتهم وطلولهم من جلجل إلى الرقمتين . وقفّى من بعدهم على آثارهم فخلّدوا دير حنة ودير سمعان ودير الشياطين ، وقطربّل وطيرناباذ . وإذا احتج ورثة مقياس ابن خلدون على تحريفي طيراناباذ فليفتحوا معجم ياقوت ، وهم المسؤولون عما يصادفون ...

لقد خلّد السلف كل ما هبّ ودبّ حتى الضبّ والحرباء والظربان ، ونحن في عصر أقل شيء فيه آية لا نستوحيه شيئاً ، من لم يلتق منا بعنيزة وهند وفاطمة وهريرة في المصايف ، والحمامات فماذا عملنا لهن ؟ أي فرق بين طلول الجاهلية ، وبيوت عاليه ، وصوفر ، وضهور الشوير ، وزحلة ، واهدن ، وبشري ، والأرز ، متى أوتر السحاب قوسه وندف قطنه ؟

أرأيتم كيف أدعو إلى المصايف مجاناً ، وغيري يعطى ويزاد وأنا يؤخذ مني الذي لي ؟ إن طريق عين كفاع مصروعة في الوادي كجريح اريحا ، أفما في هذه البلاد سامري ؟

وبعد، فما لنا ولهذا الآن، لقد قال ابو نواس، وهو بين الخمارة والسجن ، شعراً كثيراً خالداً ، وهو لو مرّ ببيروت اليوم ، لراعه أن تعترضه الف

جنان ، والشعراء عنها لاهون بفلانة وفلانة من عرائس البلى وبنات القبور كبنت يفتاح مثلاً .

ولو زار بشار ديماس الكيت كات لاستضحك وصفع الحرسيّ ومحتسب الجند ولم يسترخ للمهدي وقال الشعر على هواه .

فهلمّوا نصرّر زماننا ، ألستم في ليلين : الأمن والشباب . إن الفن غلّ صور الحياة الهاربة ، فاملأوا مكشوفكم بروائع فنكم واجعلوه معرضاً حياً تقف فيه الذرية خاشعة .

ما أسعد ساعة تاب فيها رسول العري — الشيخ فؤاد حبيش - واحتشم، فصار مكشوفه لسان أدب الجيل الطالع ، وأطعم الألوف المؤلفة من سمكتين وخمس خبزات .

يدهشني أن تكون الحكومة الفرنسية هي التيقدرت هذا الرجل ، فكان وسامها داعية لتكريمه ، مع أن الشيخ ، حفظه الله ، يبشر برسالة لبنان في كل قطر ، وقد يكون نسي رداءه في مصر كما نسيه مار بولس في تروآس عند كاربوس .

إن مكشوف الشيخ يمثل لبنان الأدبي خاصة ، والأدب العربي عامة ، فهو جريدة مدرسة ، وليس هنالك مدرسة ، لأن المدارس الأدبية تعلم التقليد ، وسر الأدب في الخلق الجديد . للمدارس نماذج لا تتعداها ، ثم لا يحبو الزمن حبوتين حتى تصبح تلك النماذج رواسم وقوالب ، كما هي الحال في أكثر الشعر الجديد الذي يسمونه عندنا رمزياً ... أما هذا العجب فهو توأم كل من يشق طريقاً جديدة . وإذا اضطرمت أنوف الشباب وورمت خدودهم فخطاياهم مغفورة ، فهم في سن ترى البرغشة جملاً ، والناس ذبّاناً وانهم لصائرون إلى ما صرنا ، ولو أوتوا ما أوتي الضب والسقنقور ، ومن أراد علم هذا فهو عند الجاحظ .

والآن ، يا شيخ فؤاد ، يا حـامل لواء أدب الطليعة — كما قالت الهلال — السلام عليك وعلى عصابتك وعلى ما حبلتم وستحبلون به بلا دنس ... مـا هذه الحفلة تكريماً ، إن هي إلا وقفة في أول العقبة، فطريق الأدب طويل ، أطول من دهر المعري ، فإلى الأمام ، دائماً إلى الأمام .

ولعلي أقف معكم وقفة ثانية لتكريم أخينا الآخر ، رفيقك في مطلع نهار الجهاد لقد عبر الأخ ، الكلي الاحترام ، صاحب الجمهور ، باشتراكه معنا عن اتحاد كنائسنا الأدبية — عند اللزوم — غير أن للأدباء رباً واحداً هو الفن ، تقدس اسمه ولا أتى ملكوته .

وأخيراً انا . تعلمون ان اعراب الاصفهاني خرج من وليمة ذاك العرس مبشوماً وهو يقول لمرشده « آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وباليّ رابعاً ، أما أنا ، اعرابي الكيت كات ، فأقول :

اؤمن بأدب عربي واحد ، لا فينيقي ولا فرعوني ، تألم وصلب على عهد الحريري والحليّ واليازجي، واؤمن بالمشيب والشباب ، والروح القدس المنبثق منهما ، وبكنيسة أدبية واحدة جامعة، وأترجى على يد الشباب قيامة الأدب والحياة الجديدة في دهر المكشوف العتيد . آمين .

شعراؤنا والربيع

كأني بالشعر العربي مستودع للفكر الإنساني ، فالحكمة ضالة العرب . فأية حكمة تنشد تجدها محبوسة في شعرهم . وكأني بعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يعني هذا بكلمته المأثورة : الشعر ديوان العرب ، فالعربي حكيم بطبعه وقد ذكرت التوراة حكمة العرب فلاسفة المشرق .

ثم جاء بعده نابغة الناطقين بالضاد ، شيخنا الجـــاحظ ، فقال في قومه العرب: كانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليد مآثرها بأن تعتمد على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هــو ديوانها . وذهبت العجم على أن تقيد مآثرها بالبنيان . ثم أحبت العرب أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشعر ، والكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدَر .

فلا تعجب إذا قلنا لك أن الشعر العربي مستودع الفكر الإنساني ، ودواوينهم محشوة حكماً وعبراً ، فما تركوا شاردة إلا قيدوها في شعرهم ليسهل عليهم حفظها . أما لماذا أقبلوا على الحكمة الموزونة ، فسبب ذلك هو وحدتهم الدائمة وانقطاعهم عن العالم الخارجي في ذلك المحيط الارجواني ، فقلما تتغير صورهم ومشاهدهم ، يتأملونها فتخرج لهم العبر . يقولون الشعر كثيباً ولا يبالون إلا بما يتصل بمعاشهم كالغيث والعشب ، الذي تسمن عليه أنعامهم ويخرج النبات الطيّب .

العربي الجاهلي قليل العلاقة بجمال الطبيعة لا تعنيه فتنة جمال الزهرة كما تعنيه الثمرة . يحب الزهرة لأجل ما تقدمه له من غذاء عتيد لانعامه التي يعيش عليها . ولأعوام خلت كنا مثلهم لا نبالي إلا بالثمر ، لا يعنينا ان نزرع قرنفلة كما يعنينا ان نزرع فجلة أو شتلة بنادورا .

زارني واحد منذ نصف قرن فرآني أتعهـــد زهراتي بالتقليم والسقيا فاستضحك وقال لي : يا ضياع التعب . فلو صرفت وقتك في العناية بغرسة تطعمك ، أما كان أفضل لك وأنفع ؟!

فرفعت رأسي والتفت نحوه قائلاً : أريد يا عم أن تأكل عيني كما يأكل بطني ، أتكون كل عنايتنا متجهة الى البطن وما يليه ...

فوضع يديه على خاصرته وقهقه من الضحك ... وظل يكركر ويستريح ثم يعيد الكرة . وبعد هنيهة قال مستغرباً : هذه لغة لا أفهمها ! ولا سمعت من أحـــد ان العين تتغذى بالزهور ، أعينك نحلة ؟ فضحكت وقلت له : لا ، عيني زنبور .

فقال : هذا حدّ علمي ، وما سمعنا انك تصيب بالعين .

وبعد فترة طويلة لا تستحق أن نشبعها بحثاً وتفصيلا ، لفّ ذيله وراح ، وبقيت وحدي منكباً على عملي . كنا في نيسان ففي مثل هذا الشهر خطر لي فكر شعرنا والربيع ، وتام ذاك الفكر سنين في اللاوعي حتى استيقظ منذ ايام ففكرت في شعرائنا والربيع ، ورحت أبحث عنه عند الشعراء الجاهليين فتذكرت النابغة ونعمانه ، رأيته يذكر الربيع لا لجماله وأريجه وعطره بل ليشبه به ممدوحه فيقول لأبي قابوسه :

وان يهلك ابو قابوس يهلكْ ربيع الناس والبلد الحرامُ

خاف حين مرض النعمان أن ينقطع سيب النافلة ويحول عطاء اليوم دون غد . كما قال في خاتمة معلقته : يا دار مية .

ثم يذكر الربيع مرة أخرى فيقول لأبي قابوس : وأنت ربيع ينعش الناس سيبه . ألا ترى أن النابغة يفكر بالربيع ببطنه وجيبه لا بحسه الفني . أخالك بعد هذا توافقني على أن شعراءنا الأولين كانت حياتهم صعبة ورزقهم

بعيد المنال ، فلذلـــك كانوا يرون في الربيع أكلا وشرباً وملء بطن على الهِينة .

وعندما سكنوا القصور أبدع شاعرهم أبو تمام إبداعاً منقطع النظير ، إذ راح يصف الربيع هـــذا الوصف الفني الذي سبق المصورين الملهمين ، فقال مصوراً أعظم لوحة فنية تمثّل لنا الربيع :

ان الربيع أثَرُ الزمان لو كان ذا روح وذا جثمانِ
مصوّراً في صورة الانسان لكان بساماً من الفتيان
بوركت من وقت ومن أوان فالأرض نشوى من ثرى نشوان
تختال في مفوّف الألوان في زهر كالحدق الرواني
من فاقع وناصع وقان عجبت من ذي فكرة يقظان
رأى جفون زُهر الألوان فشكّ ان كل شيء فان

أرأيت كيف تتزاحم الصور في هذه الأبيات الستة وكيف قفز حبيب الطائي من قمة الى قمة حتى انتهى الى قمة الخلود فعلمنـــا بالبقاء الازلي السرمدي ...

ثم يأتي الطائي الآخر أبو عبادة فيسرق ابن عمه ويقول في وصف الربيع بيتاً رائعاً جداً ، لا عيب فيه إلا انه مال حرام . قال البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من المُعجب حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النوْروز في غلس الدجى أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما
يفتّقهـــا برد الندى فكأنه يُسرُّ حديثاً كان قبلُ مكتّما
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشّرت وشياً منمنما
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان مُحرما

اتفق الطائيان في تشبيه الربيع بالفتى ولعلهما يؤثران الوُلدان ... حتى جاء ابن الرومي الذي نعده من عشاق الطبيعة يقول في وصف الربيع لأنه

من المولعين بالحور لا الولدان :

اصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيـــه جلاء للبشر
أثنت على الله بـــآلاء المطر فالأرض في روض كأفواف الحبر
تبرّجت بعـــد حياء وخفر تبرّج الأنثى تصدّت للذكَر

ثم يقول في قصيدة اخرى عن الطبيعة في الربيع :

فهي في زينـــة البغيّ ولكن هي في عفة الحصان الرزان

ليس لدينا متسع من الوقت لنطيل زيارتنا لهؤلاء الشعراء، بل نجعلها لماماً كشمّ الورد فنستقبل بديع الزمان الهمذاني لنسمعه يقول :

برز الربيـــع لنا برونق مائه فانظر لروعة أرضه وسمائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر وجلوت للرائين خـير جلائه
فكأنه هـذا الرئيس إذا بدا في خلقه وصفـــائه وعطائه

أرأيت ان هذا الخراساني الطينة ، هو كما قال عن نفسه ، شحـاذ ماهر ينقر بعد خمسة قرون على دفّ النابغة، ولا عجب فالشعر كان في ذلك العصر متجراً رابحاً، ولهذا لم يفكر شعراؤنا بجمال الطبيعة وهم لو فعلوا لأتوا بالبدع، وحيث تكون التجارة يموت الفن ويمحق .

مواثيق العهد الجديد

مجموعة خطب فخامة الشيخ بشاره الخوري

أيلول ١٩٤٣ – ١٩٥١

نشكر لوزارة الأنباء ، تفضلها علينا بنسخة من (مجموعة خطب) فخامة الشيخ الرئيس . لقد أحسنت هذه الوزارة إلى تاريخ لبنان يجمعها مواثيق استقلاله في كتاب يليق بأمجاده ، وأحسنت إليّ (خصوصاً) إذ جادت بها عليّ بتاريخ ٢٠ / ٦ / ٥٢ فأتاحت لي فرصة التحدث عن صاحب الفخامة ، كأديب رفيع ورئيس أسمى وقائد أعلى ، ومجاهد لا يكلّ ، وبنّاء لا يمل .

عرفت الشيخ بشاره يافعاً ملء أهابه الطموح ، وشاباً يدفعه نبله إلى الأمام ، فشقّ طريقه بثبات كالعناد . ورأيته كهلاً وجد الطريق إلى المعالي، أفلا يذَر المطي بلا سنام ! كما قال أبو الطيب .

جمع الكفاءة من أطرافها . عظاميّ عصاميّ ضم إلى ميراثه التالد أسمى الطريف من الأمجاد . حمل مشكاة الثقافة الوضاءة فما ضل طريقه ولا تاه . صبا منذ نشأته إلى استقلال بلاده . شبت بين ضلوع نشأته الأولى نيران هذا الميل ، وأذكاها العِرْق المتين الذي أورثته إياه الأجيال ، وان النار بالعودين تذكى .. وانصب كالكوكب المنقض في ليلة الاستعباد السوداء ، فكان شبح المعارضين يوم كان الناس يحنون الرقاب للانتداب .

كان في أعين المستعمرين قذى ، وفي حلقهم شجا ، استرضي ولم يرض ، فظل وإياهم في حرب سجال لم تضع أوزارها ، لا هو يثق بهم ولا هم يركنون اليه . وإن انس ، لا أنس مشهد موكب الشيخ بشارة زعيم المعارضة بعد عودته من سفرته النضالية . لم أنس وقوف القائد (المدوّر) بوجه

الموكب ليحول دون اختراق عدو الانتداب سوق عاليه شاقاً طريقه إلى بيته . كانت معركة حامية كاد ينطق فيها المسدس . وأخيراً مرّ . ولم يبلغ بيته فحسب ، بل بلغت البلاد أقصى أمانيها في تلك الهنيهة ... وظلت الحرب مستمرّة حتى كان الظفر . أرادوا أن ينحّوه فنحّاهم ، وأقصوه فأقصاهم .

كان في محنة الجهاد يوم كان ينعم غيره في الفراش الدافىء الوثير . كان على الأرض يوم كان غيره على السرير ، كانت تلقى على بيته القنابل فروّع ، ولكنه ثبت وما ارتخت له عزيمة . إيمان يشعّ نوراً ، ورجاء أمرع من الربيع ، ومحبة لا حد لها ولا طرف . لم يحطم أحداً ليرقى إلى المنصب على جثته ، ولا نعم بما نعم به الذين كانوا في أحضانهم يدغدغون ويتعلون ، ويتمتعون في بيوتهم بنفوذ مطلق قلما ضاهاه نفوذ أحد اليوم .

وخاض معركة الرئاسة [illegible] (الموالي) بصوت أو صوتين – لا أذكر تماماً – ولكن الشيخ ما كلّ ولا ملّ . ما انزوى ولا التوى . ظل يرفع الصوت جهرة مطالباً بالاستقلال ، منافحاً عن الدستور ، منادياً بالتقرب من الجار ، والجار ركن الدار .

لكن الرجل اجتاز تلك العقبة وفاز . وضع ميثاقه الوطني فبنى بيت الاستقلال على (العضادتين) ، ولا يزال قائماً رفيع العماد . وسيظل إلى الأبد ، فالعرض لا يفسخ الجوهر .

وما حلت له الحياة أياماً حتى مرّت فكانت زيارة راشيا . وهناك في تلك الغرفة المشرفة على الوادي ، راودوا الشيخ عن رجال حكومته فما باع الاستقلال لا بكثير ولا بقليل . آثر الشقاء والهوان ، على سلامة الأوطان ، وأصرّ ، ومن عادته الاصرار الهادىء ، على أن يعود ورجال حكومته ، فنصرت الدول الحق المغتصب وعاد الجبّار إلى عرينه .

لقد كنت شاهداً عيانياً لهذه الحقبة ، منذ سقوط عبد الحميد وانهيار سلطانه ، إلى سيطرة الانتداب والجلاء ، وسوف انشر حقائق لا يأتيها الباطل لا من خلفها ولا من بين يديها ، وإذ ذاك يعرف أصحابنا أن لا بد للحق من ارسال نوره .

إن هذا الرجل ، وهو ثالث ولاة لبنان تاريخياً ، وأولهم استقلالياً ، لرجل ذو صدر رحب ، يسع لبنان جملة وتفاريق . حلم يزن الجبال رزانة ، وانفة تتعالى كشماريخ قمم لبنان . تواضع فيه جلال أوديته وأبهتها ، وعقل واسع رحب كسهوله ، وحكمة غامضة غموض كهوفه ، ومثلها يحتوي على أسرار أجيال وأجيال من طور الظرّان إلى عهد الذرة .

مصباح سحري الأنوار يخترق أحشاء ظلمات المشاكل والأزمات . ربّان رابط الجأش لا يعرف الهلع إلى قلبه سبيلاً :

يقول لها متى جشأتْ وجاشتْ مكانك تحمدي أو تستريحي

فضربة بجداقه المحكمة تضع السفينة في مقرها الأمين . هذا هو المسؤول الذي يسهر لأجلنا ، ويؤدي حسابنا ثم لا يعييه ترصيده . ان درايته ، ولباقته ، ولياقته ، وحكمته ، كالعارض الذي يستقبل أوديتنا ، لا يفرغ حتى يمتلىء ويعطر أرضنا خيراً وحقاً وجمالاً .

ليقل الناس الآن ، فيّ وفي كلامي ما شاؤوا فموعدنا التاريخ . انني لأقول مع بولس الرسول :

« من سيفصلني عن محبـــة سيدي يسوع المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عري ، خطر ، أم سيف . فاني متيقن أن لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلني عنه » .

وإذا قلت أنا هذا بلسان رسول الأمم فللشيخ وحده ، الحق أن يقول

بلسان بولس أيضاً : « بالحبس أفضل منهم ، وبالاضطهاد أفضل منهم ، وفي جميع البلايا أفضل منهم . كنت باخطار من جنسي ، وباخطار من الأمم ، وباخطار من أخوة كذبة » . وما علينا إذا زدنا نحن كلمةعلى قول ماربولس: وبالقاء القنابل على بيتي أفضل منهم .

وأما الآن فلنتكلم عن هذه الخطب التي أوجدت لنا مجال القول فكان ذا سعة .. انها لتاريخ حقبة من أجلّ وأخطر حقب تاريخ لبنان ، ولذلك يحق لي أن أتكلم عنها مثنى ، وثلاث ، ورباع ، إذا اقتضت الحال . فكما تحفظ خطب رؤساء الولايات المتحدة في مضاجعها في القصر الأبيض ، كذلك يجب أن تصان هذه في اسفاطها ذخيرة للذرية .

ترى لو قام واحد بعد مائة عام ونظر في خطب رئيس لبنان الأول الذي كافح وناضل لأجل استقلال وطنه ، دافعاً ثمنه نوم العينين ، فما عساه يحكم على شخصية الشيخ بشاره خليل الخوري .

ترى إذا عصرنا هذه الخطب ظلها فماذا تقطر ؟ انها تقطر ولا ريب محبة وإيماناً ورجاء : محبة للوطن وبنيه حتى الاعداء منهم. وايماناً بحقه أن يكون سيد نفسه ، ورجاء ببقاء هذا الاستقلال . وإذا كان الانشاء هو الرجل فهذا هو الشيخ بشاره خليل الخوري . أما هو الذي قرّب لبنان من جيرانه فأحبهم وأحبوه ؟ أما هو الذي عمل بقول مثل بلاده : جارك القريب خير من أخيك البعيد .

رأت حكمته الفائقة أن الايام التي كان يستغنى بها عن الناس الأباعد قد ذهبت وصارت « ملكة التيمن التي أتت من أقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان » تستطيع أن تفطر في بيتها صباحاً ، وتتعشى في القدس في الموعد .

لهذا فتح صدر لبنان المضياف للضيوف الخفاف الظل . فأنشأ المطار الدولي بين صخب الناعين وصياح المتعنتين . لم يدع مشروعاً عمرانيا يرفع شأن البلاد في أعين أمم الارض إلا صبّ عليه جام عنايته. أجل ، راحت الايام التي كانوا يرون فيها كل الاعوام سائحاً . لقد تشابكت المصالح وصارت كل دولة ، مهما ضخمت معرضة لأصابع اما خفية واما ظاهرة تمتد اليها ، فلنكن حكماء منصفين فلا تعمي الأهواء بصائرنا .

ما لي كلما حاولت الدخول في الخطب كأديب ، أرى شيئاً يجذبني إلى ناحية اخرى . سأخرج ولا أعود . يقول نقاد الأدب : الشاعر الفلاني كان صادقاً أو مخلصاً فيما قال ، وأنا أؤكد أن الشيخ بشاره — ولا أظن أن أحداً ينفي — لم يكن ليستطيع القول بهذه السهولة لو لم يكن مخلصاً في ما يقول. فهذه الخطب البليغة البسيطة في وقت معاً ، هي من آيات السهل الممتنع في هذا العصر ، تراها خالية من كل بهرج وزخرف ، ومع ذلك تجدها في أسمى ذروات الفن الأدبي ، ان هذا لأصدق دليل على إخلاص قائلها .

قد يقول ذوو المآرب غير هذا ، والشيخ يعرف ذلك ، وقد أشار اليه في تأبين الزعيم المغفور له عبدالحميد كرامي : احترمت الحكومة معارضتك ، كما احترم الشعب حكمك . والحكم والمعارضة يتمم أحدهما الآخر ، عندما تحسن المقاصد وتستقيم النيات وتتحد القلوب عند مصلحة الوطن العليا .

ثم ختم التأبين بروعة أدبية فائقة فقال : اللهم أخذت منا وطنياً مثالياً وعلماً من الأعلام . وركناً من الأركان فاصطفيته لجوارك . فليكن لديك ، جل جلالك ، هو ومن سبقه من لبنانيين أماثل ، واستقلاليين أفاضل ، سفراء للبنان . فهم ان سئروا وجوههم مهابة أمام وجهك يفتحون قلوبهم ليضرعوا أمام عرشك ، لتجنب لبنان المصائب والويلات ، ورأسها الانشقاق والخلاف والحقد والضغينة .

حقاً ان الضغائن هي رأس بلايانا ، وانني كلما رأيت غبارها يسد الفضاء ، ترحمت على ابن كلثوم الذي قال :

وان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا

ان من يحسدك على نعمة لا يُذهب ضغنه وحقده إلا زوالها، فعبثاً تتعب. ان الله ، تقدست أسماؤه ، عندما أراد أن يطهر رسوله الأكرم من كل غلّ أرسل ملاكه فشق قلبه وأخرج منه (النقطة السوداء) . فقل لي هل تستطيع ذلك ؟؟ إذن فاعمل واترك التاريخ يقول كلمته فيك ، ويصدر حكمه العادل عليك .

قالوا : كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً ، والأدب ثانياً . ولعل هذا التعبير أصدق وصف لخطب الشيخ . تأمل هذا التعبير لأرى إن كنت تؤيدني .

قال في المرحوم عبد الحميد كرامي : فلبست حلته — أي الافتاء — يافعاً فكنت طويل النجاد ، رفيع العماد ، وسدت العشيرة امرد ، وهل الافتاء إلا معين كثر روّاده ، وتزاحم قصّاده، وان هو إلا علم تأتم الهداة به ، فكم أنرت سبيلاً ، وهديت حائراً ، وشفيت غليلاً ، حتى انقادت اليك الزعامة مختارة . اعرفت انه مر بثلاثة شعراء في هذه الجمل القصيرة ؟ وكم تجد لهذه من أخوات إذا قرأت وتمعنت .

والشيخ ، سدّد الله خطاه ، ككل أديب أصيل يحسن الاستفادة من التاريخ ، ويستمد منه صوره وأفكاره ، ولذلك قال لكرامي : وسخّر الله القدر ليصرعك في ذكرى الاستقلال ليتحد يومك بيومه ، ويمتزج ذكرك بذكره .

إن العاطفة الحادة تسيّر قلم الشيخ فيحيا بهـا كلامه . ثم لا تنس ذلك الترصيع الأنيق ، الذي قلّما خلت منه خطبة من خطبه الخالدة . اقرأ خطبة الشجرة التي قالها عام أول . وكذلك خطبة عام ١٩٥٠ ، فلو كان الرئيس

أمرءاً هو غيره ، لما استطاع أن يعالج موضوعاً واحداً في كل عام من أعوام ولايته ، ويحلّي فيه ويقول جديداً كل مرة . إن خطبة (رسالة الحب للشجرة اللبنانية) لمن روائع الشعر ، ولو لم يتذكر الرئيس مقامه السياسي لما سبقه أديب في ميدان الأنشاء الرفيع . إن بلاغة البساطة لأعظم البلاغات وأسماها .

وفي تأبين الزعيم الشهيد المغفور له رياض الصلح ، يحلق الرئيس ويدوّم في أعلى الآفاق . عاطفة نارية ، وبلاغة مع موسيقى بيانية عزّ نظيرها . جمل متقطعة لا تقع على الأذن حتى تنفـــذ إلى القلب . اقرأ معي وانتبه ، فهنا كما في تأبين كرامي تلميح رائع : وطنية كانت لك جلبابا ، ودون من كنت تتقي درعاً ومجنّاً . تحدرت كماء المزن ما في نصابك كهام ، وحملت سيفاً ماضياً به من قراع الدارعين فلول .

لا أظن أن في الامكان أكثر ممـــا كان ، فتأبين رياض ، رحمات الله على رياض ، صورة كاملة له حتى أنها تكاد تكون تاريخاً لحياته . رسم فاتنى، الخطوط ، بارز الملامح ، متناسق الألوان ، تقرأه فترى ذلك الزعيم العظيم حيّا أمامك بلحمه ودمه فكأن في قلم الشيخ شيئاً من سحر عرّافة، عين دور فأرانا بأعيننا شبح رياض كما أصعدت تلك صموئيل لشاوول .

وخلاصة القول : لئن جمـع الأميران فخر الدين وبشير الرأي وشجاعة الشجعان ، فقد ضم الشيخ بشاره إلى هذين سحر البيان ، وهكذا نرى أن الله لم يبخل على لبنان بشيء . وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها .

من ذكريات جبيل

في أورشليم الأمس حيث عُبد الحب وتأله الاحساس بالجمال،في بيبلوس ، ملعب الآله المغامر ، الآله الفق الوَرِش ، الآله الذي كان يُبعث في الربيع حياً .

في جبيل الحالمة ، معلمة الدنيا وام الاساطير ، في المدينة المحطمة حيث لكل حجر تاريخ ضخم ، ولكل ذرة مجلد مجد ، هناك أضعنا زهرة ، وكم فتشنا عنها فلم نجدها .

في مدينة الثالوث القديم ، هيكل الآله الذي صرعه الخنزير ، كم مات لنا من أمل ، وكم عاش فينا من رجاء . في ذلك الثغر الأدرَد كم مرحنا، وعلى خيوط اسواره المقطعة كم طفرنا ، وكم غصنـــاً في سراديبه وديناميسه ، وكم انغمسنا في غيابة كهوفه . كم مشينا على جماجم كانت دعائم عمران نخال اننا نحن بُناته ولا يد لغيرنا فيه .

كم لك يا أورشليم أدونيس ، يا مدينة الزهرة الأزلية، من ذكريات ملتصقة بخاطري انك في متيهة فكري كالعَلَم الرابض في وسط الصحراء ، أنّى اتجهت أنجذب اليه بقوة أحسها ولا أدركها .

كلما دخلت جبيل تحفّ بي مواكب العذارى النائحات على تموز . وكلما احمرّ ماء نهر ابراهيم تمثّلت في ذهني مأساة الأمس.تتراءى لي أجواق الكهان في ترانيمها وتهاليلها ، فأنطوي على كبدي وأقول في نفسي : اليوم كالأمس ، ولا بد من هزء الآخر بالأول . اللهمّ لا تجعلنا مهزأة .

في تلك المدينة التي مشت الدنيا خلفها تصغر عندي أكبر القيم ، وتسقط من عيني كل هذه العظائم فأرى كلّ شيء كلا شيء .

فلنمشِ .. الحياة اسطورة ، هكذا خلقها الانسان لينعم بها .

في جبيل ، تارة في صومعتي القائمة في قلب المدينة كالناطور على الرابية، وحيناً في مكتبي – بجريدة الحكمة – الواقف قبالتها ، كان يأتيني ميشال برباري .

فتى ترقص الحياة بين جفنيه ، ولا يخفضهما إلا ليضعهما على كتاب أو مجلة أو جريدة ، شاب شرهٌ إلى الاستطلاع ، نهم إلى المعرفة والاستقصاء . يريد أن يفهم كأنه جوعان يود لو يلتهم كل شيء .

يجيء وفي يده مقال يتوق إلى نشره ، ولا يذهب إلا ليعود بقصيدة تم عن نفس فنية لم يصقلها المران ، تحسب الغزل خطيئة لا تنظّف أدارنها إلا الندامة الكاملة .. وسرعان ما يتطوّر موقفه مني ، فيعرض نفسه عليّ ليعاونني – حباً وكرامة عين – فأستعين به على الترجمة ، فيقوم بعمله متقناً مدققاً كأنما يتقاضى أجراً، ثم لا يسوّف ولا يبطيء كأنه مسؤول عما يعمل.

هكذا كان التعارف بيننا ، فاستمالني اليه على غطرستي وكبريائي، وحداثة سنه ، فأصبح رفيقي وصديقي وإن فصلت بيننا عشر مراحل ، فقضى أشهراً معي كنا نصرفها بين العمل والراحة ، وكانت أحلى تلك الأوقات سويعات الأصيل نقضيها على سيف البحر – بين عين الياسمين والفيدار – ، نقفز على الصخور ذات النخاريب ، فاتكين بالسراطين وذوات الأصداف الآمنة . يمر أمامنا مشهد الغروب ولا يقول لنا شيئاً لأننا في الضحى . ويا ويل الشجي من الخلي ..

كان يكبر ميشال في عيني كلما ازداد مني دنواً . وكان ينمو أدبه بنمو جسمه كقميص يسوع .. وكلما اشتد بنية متن أدباً . وكلما بعد عهده بالمدرسة اتسع افقه ، ولكنه لم يتمدّ التخوم التي جعلوه فيها ...

كنت أتوسم فيه الخير فصرت أعتدّ به، وأفتح له باب النقاش،وخصوصاً

في القضية الكبرى ، فأراه في واد وأجدني في واد ، فأنكمش وأؤثر أن يبقى حيث هو ، ولا يرافقني في مجاهلي القلقة المجاز .

كان ميشال يتذوق الأدب ، وقد خلق له لو مارسه ، ولكنه لم يخلق للشقاء ففارقني بعد حين ، ليعمل كاتباً في مكتب السكة الحديدية ، حيث كان مثال الصدق والاخلاص والوفاء والاستقامة والنزاهة ، وظل كذلك حتى توارى .

قضى حياته يخدم عمله والناس، لا ينفتح له باب حتى يولج فيه شاباً عاطلاً يستحق أن يعمل ما تقاعس عن خدمة ، ولا عنت له اكرومة حتى تشبث بها قبل فوتها . فكأن مأتمه كما قال المتنبي :

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرهـــا وقلوب

ولكن وا لوعتاه ، ما بكينا إلا عليه .

قد عجّل صاحبي بالرحيل ، وقوّض خيامه وما آذن بالبين .

يعز عـلي يا ميشال أن أبكي شبابك النضر ، وأدبك الصامت . شغلك العمل المجدي عن هذه الأهية التي تغري وتـكر ، ولكنك كنت في حقلك الخصيب تؤتي الثمر الطيب . مـا الحياة إلا كدلاء النواعير ان فرغ احدها امتلأ الآخر ، وهكذا دواليك .

هنيئاً لك عملك وأجرك وليذكرك بالرحمة عارفو فضلك،فمثلك لا ينسى .

ولقد صح فينا وفيك قول المثل : كم جدي بالمسلخ وكم كبش بالمرعى، هي سنّة الطبيعة ، وماذا نفعل بالمنايا ، فهي كما رآها الشاعر تخبط خبط عشواء.

ما أشره هذه السباع الضواري التي نسميها قبوراً .

ما أكثر الانسان بعيداً عنها ، وما أقله على حافتها .

هذا فصل لا بد من تمثيله ، فلنحسن ليرخى علينا الستار بين التصفيق ، والاستعادة .

هيهات انه فصل لا يستعاد ...

فلنمض .

وقلت أخي ، قالوا : اخ من قرابة ؟
فقلت نعم ، ان الشكول أقـــارب
أبو تمام
رجل مات والرجال قليل .
نجم افل من آفاق العروبة ، أعاض الله منه العلم والأمة نجوماً وكواكب .
جبار عملٍ وإيمان سقط في ساحة الجهاد ، وما أروع سقوط الجبابرة .
جسر بناء انهدّ ، فيا أكبر المصاب فيه !
ركن علم تهدم ، فنسأل الله سلامة البنيان .
ابن دمشق البرّ ، وربيب ربوع الشام طواه الردى ، وإن كان لم يزل حياً في « خطط » التاريخ .
أمير بيان فجعت به اليوم « أمراء البيان » والحضارة العربية الاسلامية ، وسيد قلم ما انتزعه من يده إلا الموت .

* * *

أيها المفكر الحر ، ما أفقر شرقنا إلى مثلك !
أيها المؤمن الصادق ما أحوجنا إلى سماحتك .
يا صدراً أطبق عليه القبر فطوى معه علمـــاً جمّاً ، ما أحوج الأمة إلى غضباتك المضرّية إذا مسنا الضر .
لم تحدّ الثانون من نشاطك ، وما أحوجتك إلى ترجمان ، فكم احييت ، أيها الميت اليوم ، من غيّبتهم ظلماتُ الأمس .
ما أعظم مصيبتي فيك ، انتظرت كتابك ففاجأني نعيك .
يا صديقي ،

انها لصداقــة صغيرة السن ، بنت ثلاث سنوات . وكذا تكون كواكب الأسحار .

أتقول الموت سحر نهار آخر ؟!

رأتنا الغوطة منذ أشهر تتمشى بين بساتينها كشابين ، وعين كفاع ابصرتنا كفتيين ، وكلتاهما شاهداي على ما أزعم .

متّ يا صاحبي ، ولم تشيّخ همة ، ولم تلن عوداً ، ولم تخر عزماً .

متى ذكرتك عين كفاع ذكرت بك شيخاً عبقرياً ، يده دائماً على محراثه ، وعينه ابداً على أرضه ..

كنت مثلاً أعلى للقرية التي شرّفتها أياماً ، فضرب أهلهـــا فيك المثل : وتشبهوا .

ما رأيتك مستريحاً قط ، لا في جسرين ولا في عين كفاع ، وكيف يتقى الضغط العالي وتأمن الانفجار ؟

كان موعدنا الغوطة مرتبعاً،وعين كفاع مصيفاً،فبعدت يا صديقي وتركتني أتأوّه .

فأين تلك الأماني والآمال ؟ لقد ذهبت،مع ما كان يرتجى بعد من انتاجك الناضج .

ترى أقرأت مكتوبي الأخير ، أم وصلك ولأنت في غمرة لا تنجلي ، وأنا لا أدري ؟

شقّ علي كثيراً أن تذهب ولا أودعك ، ولا القي نظرة على تابوت العهد.

لقد كنا غريبيـن حتى عن أولادنا وذوينا وإلا لكنت نميت إليّ يا أعز الأحباب المخلصين .

يا عمري ، يا عمرك !!

تلك العبارة كانت محطّ كلامك ولازمة حديثك،عند التحبب والاعجاب

وها قد انقضى عمرك ، ومن يدريني متى تأتي نوبتي .

أسأل الله مهلة قليـــلة لأقضي بعض حقوق لك قبل الأجيال . يا أخلص رجال الجيل .

وإلى ذريتك وقرنائك في جهادك المجمعي ، وإلى كل من بالأقطار العربية ، بل إلى كل ناطق بالضاد في المشرقـين ، وإلى كل مؤمن بالكلمة وموقن بخلود الحرف أقدم التعزيات

ولكن فليعز بعضنا بعضاً ، ولأبك ، وحدي ، صداقة قصيرة العمر .

• • •

كتبت الي تقول الصحة جيدة، والضغط في نزول، والملتقى في «الغوطة»، فما عدا مما بدا ؟

وا جزعَ الغوطة على رجلها العظيم. ويا مصيبتها بمحيي تاريخها، وبمن سيكون لها تاريخاً .

ترى هل يعجّ بعدك ذلك البيت بضيوف المعرفة ؟

ترى هل ترى « جسرين »، بعد ، وجوه المتمشرقين الحاجين إلى مزارك؟

هيهات ، لقد انطوت الصفحة المشرقة ، وذهبت الطلعة الوسيمة والوجه الصبيح .

• • •

سر بحراسة الله أيهـا الشيخ الفتى . ان حسنات أعمالك الجسام قدامـك فلا تجزع .

يحمل الواحد كتابه بيمينه ، أما أنت فلك كتب يحسب لها يوم الحساب ألف حساب .

فبأمان الله أيها المصلح العظيم .

أيها المنصف ، سوف لا ترى عند ربك إلا انصافاً واحساناً .

بعد الأصيل[1]

للدكتور نقولا فياض

عنوان ديوان صدر حديثاً للدكتور الشاعر نقولا فياض ، والدكتور قال شعراً جيداً جداً وهو مهرول للحاق بالتسعين بعدما دعس رقبة الثمانين ، فأين زهير الذي سئم تكاليف الحياة ؟ وأين الشاعر الآخر الذي نفض طوقه من الشعر والشعراء ، لانه جاوز حد الأربعين ؟ حقاً ان العبقرية شمس لا أصيل لها ولا ضحى .

ان القلب الذي قلت فيه وانت شاب : حيّر الناس فقالوا عصبي، ليحيرنا حقاً ، فما أفضى بالك ! ان من يقرأ قصيدتك في المرضة التي افتتحت بها معرضك الفني الصغير ، لا ينكر عليك فيها القول :

قالوا كبرت وما دروا بالصالحات الباقيات
الثلج في رأسي وفي صدري اتقاد النيرات
أفتسمحين بقبلة تروي الشفاه الظامئات

نعذرك اذا استجديت قبلة من ذلك الذي قلت فيه :

الثغر برعم وردة متحفز للانفلات

فلعلك نسيت قول زميلك : ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

آه يا دكتوري، ان هذه القصيدة تغني عن عشرة دواوين. حقاً ان نفسك ما زالت خضراء وان ذبل الرمح الرديني . اقصد قامتك لا غير ... أأنت

---

١ – كتبت ونشرت قبل وفاة الشاعر .

في « بعد الاصيل » وتقول هذا الشعر الذي ينضح فناً وماوية وحباً ؟ وهل من هو في الأصيل يقول شعراً كهذا وهو مشقوق البطن في المصحّ ، والعملية في ذاك الموضع ؟ ما أقضى بالك !

اني اهنئك بهذا الديوان الصغير الكبير ، فلا بطء فيه إلاّ في المدحيات ، والعذر واضح . قال شاعر قبلك في الأصل وكأنه يعنيك :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

ففي أصيلك ذهب وألماس ، حبوت بهما الناس كما أنك لم تحرم اللواتي يغرهن الثناء من النحاس .

اما هاتيك التي قلت لها :

تقولين والسهد ملء الجفون لقد طال نومك يا شاعري
تريدين شعري فجودي بما يطيب به الجود للشاعر

فعسى ان تكون فهمت ولم تخرج بالصمت عن لا ونعم كصاحبة بشار .

ان بين الأصيل والغروب لفسحة لا بأس بها ، وانت قلت للممرضة قبل ان تستأذن وتستميح :

والوحي إلفُ يراعتي ما دام لي قلب يؤاتي

فهات يدك وأرِنا البقية الباقية في الزاوية .

عافاك الله يا امير المنابر ، ودامت لك هذه الهمة .

قناديل اشبيلية

للدكتور عبد السلام العجيلي

هي عنوان كتاب ينطوي على سبع أقاصيص كتبها الدكتور عبد السلام العجيلي ، والعجيلي قصصي أصيل قلت فيه منذ سنوات انه يجري ولا يُجرى معه . أما خاصته فهي انه ينتقي موضوعاته من صميم حياته فتبرز شخوصه ذات ملامح ناتئة ، قلما تقع على مثلها .

الرجل تلميذ مدرستين : مدرسة البادية التي نشأ فيها ، ومدرسة الحضارة التي زار فيها العواصم الأوروبية ، ولهذا نجد في أقاصيصه صور هذه وهاتيك وكلها توحي الى القارىء ان كاتبها خبير بما يقول .

عفواً نسينا المعارك القومية التي يصورها لنا فيتفرد بين قصاصينا بهذا اللون . اقرأ ، إذا شئت ، بنادق في لواء الجليل ، ليعظم في عينيك ابن اثني عشر الذي اشتهى الدجاجة فأكلها بريشها . دفع أبوه ثمن البندقية ٢٥ جنيهاً وكف ابنه لأنها انفجرت لأول طلقة .

ذكرتني هذه البندقية بالسلاح الفاروقي الذي كان يقتل صاحبه بدلاً من العدو ، ولعل العجيلي يقصد هذا ولكن القصصي يلمح ولا يوضح .

ان القومية لا تتوارى في أقاصيص العجيلي وعرق العروبة فيها نزاز ، ولهذا نرى هذا المجاهد مصوراً لما وقعت عليه عيناه في المعارك . ففي كل ما كتبته يده صور قومية .

لا تفرّك قيافة الدكتور العجيلي الفرنجية، فهو يخفي تحتها بداوة قلّما تجد لها نظيراً في الصحارى . وكما لم تختف بداوة المتنبي في شعره بعدما عاش في

القصور ، كذلك لا تختفي بداوة العجيلي حتى في أشهر العواصم الأوروبية التي عاش فيها. كان ينقصنا قصاصو معارك ، وإذا بالعجيلي يملأ هذا الفراغ كما يجب أن يملأ ، وها هو يحرك كوامن النفوس في أقصوصة « بريد معاد » ولو كانت النفس من جليد تشب فيها الحرارة ، فكل هذه القصة الصغيرة نار متقدة ، هي جيدة من أولها الى آخرها . ولا سيما ختامها الرائع البارع .

أما أقصوصة « الرؤيا » ولعله يتحدى بها الاستاذ تيمور في « يا سادة يا اكرام » فقد عز فيها وبز الاستاذ محمود تيمور السطحي التعبير والتفكير .

وقصة « سالي» وإن نشر فيها شؤون عشرته وشجونها فقد تضمنت حكاية زواجه التي تكاد تكون خيالية ، وخصوصاً عندما قال دحام خادم البيت انه يعرف تلك الفتاة الأوروبية ، فضحك الجميع وضحكت أنا معهم ، وإن لم أكن بينهم حين راح دحام يؤكد بالايمان المغلظة أنه عرف تلك الفتاة . ولماذا ضحكت ؟

تذكرت حكاية تلاميذ من منطقتي كانوا يتذاكرون شارلمان ،فسمعهم رجل يتحادثون فيه كما سمع دحام سيده العجيلي يتحدث عن سالي التي صارت زوجته فيما بعد . قال دحام انه عرفها ، وقال ابن بلدنا انه عرف شارلمان وهو بياع نباريش دكانه في أول سوق الطويلة .

أما قصة قناديل اشبيلية ، وهي أم الكتاب فبطلها البروفسور السيدو ، وهو نموذج نادر غبي على الدكتور العجيلي إذ رآه في اشبيلية . مسكين مصاب بجنون من نوع خاص ، يظن نفسه من سادة العرب وانه سيستعيد اشبيلية بملكة أجداده . وظل السيدو يتحدث جاداً ويصغي اليه العجيلي مصدقاً ، وظل السيدو يكرع الكؤوس ، ويوحي الى العجيلي بكلماته وحركاته ، حتى كاد يصدق ما يقوله له . حقاً ان هؤلاء المفلوكين فيهم غرائب عجائب ، فأسأل الله يا قارئي العزيز أن يبختك بواحد منهم ، وإذا لم تحظ فما عليك إلا

أن تقرأ « قناديل اشبيلية » فإنها تغني عن الميان ، وقد تنقلك إلى اشبيلية كما نقلني المجيلي ، والشرط أن تقرأها وأنت في فراشك ليلا كما قرأتها أنا .

قالوا ان من البيان لسحراً . ويحق لنا أن نقول بعد أقاصيص المجيلي : ان من الفن والبيان لسحراً . فشاعرية المجيلي كانت أجدى عليه في قصصه ، أما القومية العربية فهي ملاك كل ما يكتب سواء أكان شعراً أم نثراً .

فيا عزيزي الدكتور ، جواباً على ما قلت في اهدائك الكتاب إلي : إنني ما عرفت الرأفة قط في نقدي، ولهذا لم أرأف بديوانك ، أما هذه الأقاصيص فشكراً لهـــا لأنها أجبرتني على الكلام بـــدون لدغ ولذع ، فبورك فيك يا عبد السلام .

وأخيراً ، أرجو منك وأنت سيد عربي صميم، أن تقبل مني هذه الاضمامة من زهور النقد اللغوي ، لأنني أضن بفنك الرفيع أن يشاب بيانه بلبس كما قال البحتري :

قلت : احنيت رأسي ، وصحيحها حنيت لأنه يتعدى بلا همزة .

وفي قصة الشباك التي ألفتها من ثلاثة أقاصيص ، طريفة ذات تهكم بارع ، قلت : *طلع الصبح ولم يكن عارفاً حيا* ... وهي عارف .

وقلت : حوافه وهي حافاته كما في معلقة الأعشى .

وقلت : تحدق فيّ بعينها ، وهي تتعدى بإلى .

وأما المشتجرة فإنها أبشع من المستشزرات .

فعلت هذا لأريك انني لا اماليء أحداً، وحتى تثق بثنائي عليك ، والنقد إذا خلا من النقد كان زائفاً، ناهيك انك كاتب لا غبار على عبارته، ومن عاش مثلك في الغرب ولم يتخل عن شعرة من عروبته ، يستحق منا أكثر من هذا التزمّت اللغوي ، ولكن المجال ضيق الآن .

ميناء القدر

لفكتور حكيم

قصة طويلة كتبها الاستاذ فيكتور حكيم ، ولعلها تكون أول أثر أدبي له في لغته الام ، عرفناه في الادب الفرنسي من كتـاب الطليعة ، وهـا هو يكتب لنا قصة طريفة بالعربية ، عنوانها ميناء القدر لتكون مرفأ لسندباد بحري بيروتي ، وهكذا لم يضع حق بيروت من بطل كهذا .

أعجبتني قصة الاستاذ حكيم ، لأنها ليست من الطراز الذي مللناه لكثرة التهافت عليه. فما كان أحوجنا الى مثل هذا اللون يدخله على مأدبتنا القصصية كاتب كالاستاذ حكيم . نعم انه لا يجيد كتابة العربية كالفرنسية ، ولكنه في مثل هذه القصة التي أبدعها لا يحتاج الى أكثر مما فعل . ليس لنا أن نطلب من الاديب أن يفصل قماش فنه على ذوقنا، وليس لنا أن نعد قصته غير ناجحة لأنها غير مفصلة على الهنداز الذي عرفناه من الكتب ، فالذي يخلق فنه هو أجدر بالذكر والحياة من الذي يسير وراء غيره على الطرق المعبدة .

أهدى رينه بازين قصته الراعوية التي عنوانها القمح الى اناتول فرانس ثم جاء ليرى رأيه فيها ، فقال له فرانس : ما لك ولهذا اللون ، فقد كتبت فيه جورج ساند . اخلق لوناً جديداً إذا شئت أن يبقى لك ذكر .

وعندي ان الاستاذ فيكتور حكيم قد أحسن بتغلغله في فيافي الخيال ، ويجعل ساحة معركته البحر ، وهل هناك أغنى من البحر ؟ وهـل أصلح منه ساحة يصطرع فيها الانسان والقدر ؟

كان البحر ميداناً ، للبناني الأول ، فاستخرج منه ما أخرج ، وها هو ذا اللبناني الجديد يستكشف سر الغد المغلق .

وإذا كان همنغواي الكاتب الاميركي الشهير صارع دلفيناً من دلافين البحر، فها هو ذا فكتورنا يصارع القدر ، ومن يستطيع أن يأخـــذ من القدر حقاً أو باطلاً

أقول هذا وإن كنت لا أستطيب ألغاز الحياة ولا أحاول حلهـا ، ففي نظري ان الحياة وجدت لنحياها لا لكي نحلل أسرارها التي لا تحل . ولكن في القصة كل شيء محلل وجائز وطريف. من منا لا يعجب برؤيا يوحنا ؟ ومن منا لا يحاول قراءتها وإعادة تلك القراءة؟ فهي سنبداد سماوي يحاول أن يحل لنا سر الخلود والمصير .

إن مخيلة الملهمين تخلق العجائب ، وقد تدرك بالالهام ما يمكن أن يكون حقيقة لا غبار عليها. ولكن الحقيقة التي يحاول كشفها الملهمون منا ، لا تظل وراء الحجاب لو كانت موجودة . اخـذ الله بيد الحكيم ليواصل رحلاته ولا يطوى شراعه .

القضية الفلسطينية

لاكرم زعيتر

اكرم زعيتر كاتب متمكن من لغته ، واسلوبه انصع من الفضة الخالية من الزغل، وأما عروبته فأنقى. عاش في صميم القضية الفلسطينية الحاضرة ورأى بعينيه مشاهد المأساة الفاجعة ، وها هو يؤلف لنا كتاباً يدخل من بابها حتى يصل إلى محرابها ، وها نحن نصلي وراءه خاشعين متأملين مترحمين على شهدائنا الذين ناضلوا وكافحوا في سبيلها ، وأولئك هم المفلحون . كلنا في الهم سواء ، ومن ينام نوماً هادئاً وهو يعلم ان في بيته « وكر » أفعى . لقد عرف السيد المسيح أذى قومه هؤلاء فأخذ السوط وصاح بهم : أيها الحيّات أولاد الأفاعي من علمكم الهرب من دينونة جهنم .

ومع ذلك لم ينج السيد من كيدهم ، ان كيدهم لعظيم . ربحوا المعركة موقتاً ، أمـا البقاء ، والخلود فكانا لتعاليم السيد ، فملأت اتباعه المسكونة وذابت اليهودية في الأوقيانوس المحيط . ولكن الخميرة التي في التـوراة بقيت دهوراً تختمر عجين الصهيونية ، واليقين يفعل المستحيل .

في ربيع عام ١٩٢٧ زرت فلسطين أول مرة، وعدت من القدس إلى حيفا راكباً القطار . دخلت العاجلة فإذا أنا ، وجهاً لوجـه أمام حاخام تسعيني منكب على توراته، لا يرفع وجهه عنها . يغضي لا حياءً ، كما قال الفرزدق في زين العابدين ، ولكن ليغرق في بحور أسفار التوراة ولا يفوته شيء من تعاليم أنبياء اسرائيل. وكان بين آونة وأخرى،يمشّط بمدراه لحيته البحترية البيضاء،

ويرسل الزفرات ويتنهد كأنه يقول : متى هذا الوعد يا رب الجنود ؟ من نهر النيل الى النهر الكبير – الفرات – هكذا حددت لنا مملكتنا العتيدة ، فأين نحن الآن ؟ فلولا وعد بلفور لما كانت لنا هذه الشقة من بيتنا العتيق .

وظل يقرأ ويناجي إله اسرائيل حتى افترقنا في اللد لنركب قطاراً آخر.

وتذكرت في تلك اللحظة قضية الصهيونية التي تنبهنا لها قبل الحرب الكونية الكبرى، وسميناها الخطر الأصفر، نسبة الى الذي كان يشتري أرض الميعاد ليهود اوروبا.وخطر على بالي في تلك الساعة صاحب جريدة الكرمل، نجيب نصار ، فقررت ان أزوره ، ولما وصلت حيفا كان ذلك الواجب أول ما قمت به ، وتذاكرنا القضية التي كنا نناضل في سبيلها فقال لي المرحوم نجيب : نحن عملنا ما علينا ، قرعنا ناقوس الخطر ، وأنذرنا قومنا ، ولعل الله يتحنن علينا ويعطينا ذرة من الايمان ، لنقابل المستقبل القاتم . اعطاك الله العافية .

فقلت : والف عافية تجيك . لا تنس ان كرهنا « لشعب الله الخاص » يجري في عروقنا،ونحن نلعنهم في كنائسنا دائماً ونسبهم في صلواتنا وقداساتنا. فأنا ماروني كما يدلك اسمي ، لبناني من عين كفاع .

فقال نجيب : وانا من عين عنوب .

فقلت : حيّا الله بني غسّان. فقد كانوا للعروبة ، ولأجلها حارب الغساني الرومان المستعمرين ، نجاها الله من هؤلاء .

قد يقول القارىء ولماذا كل هذه القصص ؟ وأنا أجيبه ان على كل قارىء عربي ان ينكب على كتاب اكرم زعيتر وان يقرأه لاولاده حتى الصغار منهم، كما كان ذلك الحاخام يطالع توراته . فعلى دولنا العربية ، في كل قطر ، ان تجعله في رأس لائحة كتب مدارسها . سوف ترى الناشئة ، في كتاب اكرم زعيتر ، تاريخ القضية الفلسطينية بكامل خطوطها ، ويقدر الناس معي جهود

هذا الرجل المدقق، ويفهم عنه ما يريد ان يقول ، ويأخذ العلاج الذي وصفه لنا هذا النطاسي المجرب في آخر كتابه. لا يجب ان ننسى ان لنا في فلسطين اخواناً كراماً أباة ، صاروا تحت رحمة اليهود ، فيجب علينا ان نبادر الى انقاذهم ، صاروا قلة هناك ولكن المرء كثير بأخيه ، فلا ننس اخواننا .

عندما اخذت المانيا الالزاس واللورين ، لم ينسهما الفرنسيون ، وقد مشت بناتهم ثلاثة ثلاثة ، لابسات الألوان الثلاثة الأحمر والأبيض والأزرق ممثلات العلم المثلث الألوان ، مثل هذا فلنفعل لكيلا ننسى البلد المقدس .

فيا أخي أكرم ، لما سأل يهودي السيد المسيح : ماذا اعمل يا سيد لأرث ملكوت السماوات ؟

أجابه السيد : احفظ وصايا الله .

فأجاب اليهودي : هذي قد حفظتها من صباي .

فقال السيد : اذن واحدة تعوزك ، اذهب وبع مالك وتصدّق به على المساكين . فاغتم الرجل لانه كان غنياً جداً .

ونحن يا أخي، ينقصنا العمل والتضحية بعد حفظ الوصايا...نحن أنانيون، نحن متفرقون ، كلنا رؤوس مثل ورق البصل . قلوبنا عند كنوزنا لا عند اخواننا .. وقد قال السيد : حيثما تكن كنوزكم فهناك تكون قلوبكم .

وأخيراً جزاك الله خيراً عن هذه الأمة المختلفة المآرب والمشارب . « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » ، صدق الله العظيم .

جبروت العقل

للدكتور فؤاد صروف

هذا كتاب مترجم ، وما ترجمه الدكتور فؤاد صروف، إلا ليكون دليلاً إلى حصن الفكر والمعرفة ، وما أحوج الأغنياء بعواطفهم مثلنا إلى كتاب يطوف بهم في دنيا الفكر ، التي هي أوسع من أن تحـد . فالفكر المنبثق من العقل ليس له حدود، والكون كله ليس أوسع من مداه، فهو أوسع من الدهر الذي حدده ضرير المعرّة البصير بقوله :

ولو طـــار جبريل بقيّـــة عمره من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

أما العقل ، وهو موضوع هـذا الكتاب القيّم ، فقد الهّه المعرّي أيضاً إذ قال :

ايهـا النر إن حبيت بعقل فاعبدنه فكل عقـل نبيُ

قد يقول أصحابنا الذين لا يقدرون إلا سفاسفهم وترثراتهم ، أليس هـذا الكتاب مترجماً ؟ وأي نقد للترجمة ؟ فلهؤلاء أقول : إن (الاشعاع) الذي تعتدّون به لا يكون لكم منه بصيص نور ، لولا الترجمة . والمعرفة التي تأتون على ذكرها بمناسبة، وبغير مناسبة، لم يكن لكم منها شيء لولا الترجمة. وترجمة كتاب نفيس هي حجر جديد يضاف إلى صرح معرفة الأمة، فنهضتنا الأخيرة قامت على الترجمة ، ولولاها لما كان لنا شيء نعتد به في هذا المجال ، فانا أحمد الله على أن هذا الكتاب قد فتح أمامي نافذة أطل منها على رجل العلم الذي أطلع شمس الفكر الحر في سماء أقطارنا العربية . اليس فؤاد صروف هو الذي أتم ويتم في كل مناسبة رسالة عمه يعقوب صروف صاحب المقتطف ؟

اننا لم نتصف بعد يعقوب صروف ، ولو فعلنا لأقمنا له التماثيل في كل عاصمة ومدينة ، فهو أبو يقظتنا الحاضرة ، وقد فتحت مجلته العيون المغمضة وجعلتنا نأبه للعلم يوم كان يعد ذلك العلم كفراً وزندقة . ومع ذلك مضى علاّمتنا في طريقه ولم يبال بما كان يتهم به .كان همه ان تمشي امته بل الشرق كله على ضوء مصباح العلم ، وظل ينشره بيننا حتى لفظ النفس الأخير وسلم المصباح لربيبه هذا ، مترجم كتاب جبروت العقل .

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوّده ابوه

وإذا لم يكن يعقوب أباً لفؤاد فهو مربيه ، وحسبك ان تعلم انه قام بأعباء رسالة عمه ، أي تحرير المقتطف زهاء سبعة عشر عاما . فهو إذن حواريّه ، ورسوله بيننا اليوم . قلت حواريّه ورسوله وهذا حق ، فما كان يعقوب صروف إلا رسول العلم الحديث إلى كل بيت ناطق بالضاد، وإذا أحيا زيدان التاريخ الاسلامي بأسلوبه الهين ، فيعقوب صروف جعل من مقتطفه دائرة معارف حقا تنشر أول مستحدثات العلم الحديث ، فيتابع من يقرأها سيرورة العلم خطوة خطوة .

قال ابن العميد : كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً ، والأدب ثانياً . وبحق نقول ان المقتطف الذي كتب منه صروف الكبير أكثر من ٧٠ مجلداً يعلم العلم أولاً وكل شيء ثانياً .

أذكر ان الأستاذ فؤاد قال مرة عن عمه : ان يعقوب صروف من نهضتنا كحنين بن اسحق من النهضة العبّاسية ، وهذا أقل ما يقال في ذلك الرجل ، فلولا مخلفاته التي نستتر بها لكنا عراة . ولكننا نسيناه، والانسان سمي انساناً لأنه ناس .

قلنا ان فؤاد صروف مطبوع على العلم وقد نشأ عليه شاباً في ظل ذاك الرجل ، فحسبك ان تعرف حتى تقرني على ما اقول ان له كتباً مؤلفة

ومترجمة تضرب كلها على الوتر العلمي ، فهو ممن يعتقدون ان الحضارة لا تبنى إلا على البحث العلمي ، كما قامت نهضة المانيا . فحين يكتب مقالة أو بحثاً أو محاضرة يعرج ولو لماماً على العلم . ومن كتبه العلمية : رجال العلم ومكتشفاتهم ، وطبقات الأرض ، وفتوحات العلم الحديث ، والفتح مستمر ، ومذبح المريخ ، والنار الخالدة ، وآفاق لا تحد ، وعلى الطريق ، واليوم جبروت العقل .

إن هذا الدماغ المنتج لا يتخلف أبداً عن ركب العلم ، ترى له في كل معركة علمية غباراً ، فكتبه التي ذكرت تنبئنا عن شخصية طبعت ، منذ وجدت ، على تعشق العلم ، فهو لا يزال يشعل كل يوم شمعة في هيكل العلم والأدب ، ولا ننس فضل الصروفين على اللغة ، فكم وضعا من لفظة حديثة دارت على ألسنة الأقلام .

أما كتاب جبروت العقل فبحث لتاريخ العقل ومدى ما بلغ وما يمكن أن يصل اليه ، تقرأه وكأنك تقرأ كتاباً أدبياً فلا تمل ولا تضجر . يحدثك عن آراء القدماء والمعاصرين ويبحث شؤوناً تعنيك كانسان صاحب عقل وفكر تريد أن تفهم معنى الحضارة الحديثة التي تتولى التربية الحديثة وتوجيهها. ثم يسأل عن المدى الذي بلغه العقل في فهم فكرة الله .

وللأديب في هذا الكتاب مرعى يحمده من يريد التعمق ؛ كما أنه يبحث الشجاعة والطموح حين يروي لنا ان اسحق نيوتن كان ابن فلاح في لنكشير ، ولم يكن ولداً نجيباً في صباه بل كان طالباً وسطاً في جامعة كمبريدج ، فلم تكد تنقضي بضع سنوات حتى انقدحت فيه الشرارة . كما أن سقراط قد كان بنّاء .. الخ .

ثم يحدثني عن الآلة الحاسبة التي تغني عن المئات من الرياضيين ، أو الآلة التي تتذكر ولا يزيد حجمها عن حجم جهاز راديو متوسط ، ففي قدرتها أن

تتصفح كل كلمة من مكتبة مؤلفة من مئة مجلد ، وأن تختزنها وتعيدها متى طلب ذلك منها .

وأعجب هذه الآلات آلة تستطيع أن تخزن ملايين لا تحصى من الحقائق خلال سبعين سنة ، وهذه الآلة هي المخ البشري ، ولكن لا تنسين أن نشوءه قد استغرق مئات الألوف من السنين .

ومؤلف كتاب جبروت العقل المستر جيلبرت هايت يعذر العالم على سيره البطيء لأن الناس لا تشجعه بل تعجب بالمشعوذين والدجالين وتجزيهم أحسن جزاء .

ويرى هذا الاستاذ انه لا يستبعد أن ينتهي عصرنا المتصف بالمغامرة والثورة إلى عهد يغلب عليه الاتباع الجامد ، وهذا ما يهدد العقل والفكر بالجمود .

ثم يعتقد أن النظم المدرسية والمناهج تعلم الاتباع لا الابداع ، وهذا ما ينذر بركود الفكر . ويقول في التعليم : فالمعلمون يقولون لوالدي التلاميذ ان اللغة اداة ؛ وبدلاً من أن يأخذوهم بأيديهم ويبينوا لهم كيف يستطيعون أن يقرأوا ، تراهم يعلمونهم ما يسمونه « فنون اللغة » وهي بالقياس إلى الأدب كبصمات الأصابع الملونة بالقياس إلى روائع فن التصوير. « أما مستوى التعليم فيهبط رويداً رويداً عاماً بعد عام . وسببه اننا في استعداد لتبديد قوى العقل في الشاب ، وإهدار تراث الماضي الذي لا يقوّم بمال » .

ولكي يدلنا على تفكير الانسان الدائم، في الصحة والمرض والنوم واليقظة يقول ان الدماغ يعمل كما يعمل القلب ، ينبض نبضاً لا ينقطع في أنسجته التي تزن ١٤٠٠ غرام، تسجل وتخزن بلايين من الذكريات والعادات والغرائز. صور وألوان وأصوات ، وحسابات تفوق التصوير في دقتها ، صوت همسة سمعت منذ ثلاثين سنة .

كنت أسمع من شيوخ قريتنا كلمة تدور على لسانهم وهي: الفكر لا ينام،

وإذا بي أراها في هذا الكتاب الصغير ، أجل انه صغير ولكنه كبير بما فيه من أسرار نجهلها . ونعرفها ولكننا لا نقف عندها فهي مغطاة بقشرة بصلة ، كما يقول العوام ، وكم في أقوالهم من فلسفة وعلم وحكمة .

وأخيراً اننا نشكر الاستاذ صروف ونسأله ألا يقطع عنا سيوله الذهبية فيعلمنا العلم بأسلوب الأدب العالي ، ولا بدع فهو متمكن من اللغة التي يترجم عنها تمكنه من لغته التي ينقل اليها ، ومتى كانت هذه حال المؤلف فسعداً للكتاب الذي يخرج إلى ميدان خدمة العقل والفكر والمعرفة . ان فؤاد صرّوف يريد أن يبني الأمة على أساس علمي وهو من يقدس العقل ويؤلّه الفكر أبا المعرفة قائدة الحضارة .

واننا نشكر لمؤسسة فرانكلين نشرها هذا الكتاب بالاشتراك مع دار الثقافة ببيروت فخرج في هذه الحلّة الأنيقة التي تغري بالمطالعة كما تغري الحسناء بهندامها .

أباطيل

ديوان ليوسف نمر ذياب

تحت يدي الآن ديوانا شعر لطالبين جامعيين ، أحدهمـا عراقي ، وعنوان ديوانه « أباطيل » ، والثاني لبناني ، وعنوانه « في دروب المغيب» . الديوانان من قطع واحد ، وعدد صفحاتهما واحد ، ولا فرق بينهما إلا أن الجلد العراقي أحمر ... والجلد اللبناني أزرق .. أما الفكرة في الديوانين فهي واحدة:ثورة على الله المسكين .. وحب عارم وشهوات متقدة تذكرنا بروح شاعرنا : الياس أبو شبكة.

ان فريقاً من شباب اليوم لم يعد يعجبه مَن على العرش استوى ، يريدون أن يقطعوا السرة ، بل الحبل ، الذي يربط الانسان بضابط الكلّ الذي يَرى ولا يُرى،ولكن لا خوفَ على من « وسع كرسيه السموات والأرض»، فاليه يرجعون « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ... » إنه يهزّ قضيب العزّ لبنيه النبهاء ليتّعظوا ، ومثل اناء فخار يحطم القلاع والحصون ، فترتجف أعصاب المتمردين ..

منذ ثلث قرن ، فى سنة ١٩٢٣ ، ظهر في ريو دي جانيرو ديوان لشاعر مغمور ، شاعر بوهيمي حقاً، هو أديب الخوري الشرتوني . أعلن هذا الشاعر العصيان على التقاليد الموروثة في تائية كبرى فقد منها ٦٠٠ بيت ، كما زعم ، وهذه هي أبياتها التي تلامس موضوعنا:

خطيتي في عنـق أمي التي قد ولدتني غصب عن رقبتي

ولدتُ عرياناً عديم القـوى لا دربـــة ، لا عقل بالمرةِ
كجرو كلبٍ كنت لو لم أكن على سرير أو عـلى فرشةِ

• • •

وقيل : إن الله باري الورى ، وصورةُ اللهِ عـــلى صورتي
فقلت ما أكبرها خرطـة يا قومُ هل ركّبتم مَقلتي؟
لا أعبد الخـــالق إن لم تكن سحنته أجمـــل من سحنتي
وقيل موسى وسط علّيقةٍ شاعلةٍ أبصر ذا الرأفـــةِ
فقلت يا قوم ، أباري الورى يخاطب الناس من الدبشةِ ؟

ذكرت هذا لأدلّ شبابنا على أنهذا التمرّد مسبوق إليه،وأن هذاالكلام لا يصير شعراً إذا اعتمد على الفكرة فقط ، كما ان رصف الكـلام لا يخلق الشعر الصافي إذا كان طلاسم ، خليا من المعنى ، كما قال فيه شاكر الخوري :

وما مثله إلا كفاقع حمّصٍ خلي من المعنى ولكنْ يفرقع

قد يهزّ بعضنا أكتافهم ، ويعطون شفاههم قائلين : هـل تستحق دواوين هؤلاء الشعراء الناشئين هذا الاهتمام ، وهم من لا يعرفهم أحد غـير جيرانهم ، فأين أنت من الجبابرة ؟

وأنا أجيب هؤلاء : ان الجبابرة قد أخذوا نصيبهم ... ولكننا سوف لا نلقى حبلهم عـلى غاربهم بالمرّة ، إننا نطوّل الحبل ولا نقلته ، سوف نفعل معهم كما كان يفعـل اليونانيون في حفلة تأليه البطل . كان يتبعه رجل يُسرّ إليه بهذه الكلمة كلما اجتاز مسافة قصيرة : تذكّر أنك إنسان ...

أجل،مثل اليونانيين سوف نفعل،فنتكز العمالقة من حين الى حين ليشدّوا براغي ركبهم ويزيّتوها ... أما الشباب فمن لهم غيري ؟ ترى أما كان ناشئاً ذاك الذي نسميه اليوم جباراً ، أو عملاقاً ، أو الشاعر الكبير والأعظم ؟

أنا لست ناقداً فقط،ولكني ناقد وموجّه على قدر معرفتي،وأحرى الناس

بالتوجيه في الأدب هم هؤلاء الشباب الذين يرجى منهم خير كثير . تصوّروا اننا بلا جيل أدبي طالع ، أفلا نكون كأسرة مقطوع نسلها ؟

سوف أتصيد الكركي والعندليب ، والضبع والغزال ، والهزيل والسمين، والجيّز والقصب ، أما البقاء فما يكفله إلا العمل المتواصل . يبقى الرجل سنين لينبش نبعاً، فينفق من ماله وحاله بلا حساب ، فاذا أردتم أن تكونوا ورثة الخالدين فافعلوا كذلك . إن العبقرية لا تظهر فوراً إلا نادراً جداً .

في العراق اليوم تياران : قصصي وشعري ، والتياران يناطحان شاطئاً واحداً ، شاطىء التجديد في الأساس والشكل ، كما يعبّر المحامون . هناك تيار قصصي يريد أن يكون عراقي اللون ، عالمي الفكرة والطراز ، وتيار شعري طغى عليه اللون الإيليوتي حتى استحال ثرثرة بالمعنى اللغوي لا العراقي.. فاذا قرأنا قصيدة « الغريب » في ديوان « أباطيل » للشاعر الطالع يوسف نمر ذياب ، وجدناها لا شرقية « بياتية » ولا أميركية إيليوتية .فلو نظم الشاعر العراقي « موّالاً بغدادياً » فيه رائحة دجلة وطعم النخيل،لكان خيراً وأبقى من هذا الشعر الحائر .

قد تقول ،حين تنتهي من قراءة قصيدة « الغريب » . ليس هذا شعراً . ولكني أقول لك : بلى ، انه شعر من الطراز الايليوتي ، وأصحابنا عَدّوه فتحاً جديداً في شعرنا العربي ، ولكنه في نظري وباء نحتاج في مكافحته إلى بنسلين جديد يقضي على ميكروبات هذه الحمى المالطية .. إقرأ ، ما يأتي إذا شئت ثم اصدر حكمك :

« أماه ... اني أمقت الحياة
لا تبكي .. اني أمقت الحياة
وإن أمت فانني أريد أن أموت
قال لي الغريب ذاك .. ذلك الغريب

أتعرفين من هو الغريب ؟
ذاك الذي يدعوه قلبي : « الحبيب »
ومقلتاه تفصحان عن هوى غريب
أحسه وجيب
في اضلعي .. أحسه وجيب .
قال لي الغريب :
« لننه ِ قصة العذاب والصراع
أيامنا ضياع ..
نمضي وأحلام الهوى خداع ..
ايكشف الحب عن الغد القناع ،
قد قال ما قال لك الطبيب
قال لي الغريب
ذلك الذي تدعونه « الغريب »
ذلك الذي يعودني .. الغريب
قال : « انتهت قصتنا » .. غريب .

كذا والله إلى آخر هذا الموال الفرنجي.ذكرتني كلمة غريب بنكتة جرت في احدى قرى جيرتنا . كانت كلمة « غريب » محط كلام لرجل من تلك القرية . ولم يكن لهذا الرجل ولد ذكر، فرزقه الله واحداً كان عُجْبَزة ابيه ، فسماه مكماهون ، لأن اسم ماريشال فرنسا كان لامعاً في آخر القرن التاسع عشر . غير ان الوليد مات ، فقعد أبوه يبكي وينتحب . وسمع جاره النواح ، فجاء على الصوت ، ودخل عليه ليعرف ما به ، فقال له الرجل المفجوع بوحيده : ما عرفت مكماهون مات ؟

فقال الرجل : أنا قدّرتُ ذلك أول بأول .

فقال الأب : غريب ! وكيف عرفت ؟

فاجابه : لأن أرضنا الوعرة لا يعيش فيها مكيامونات .

وأدبنا العربي ، يا سيد ذياب ، لا يعيش فيه الشعر الاليوتي . فإذا كان البياتي ، وهو الشاعر القارح ، قلما يوفق إلى تقليده ، فكيف بك أنت الطري العود في الشعر ...

ان خطيئة الاليوتيين عندكم ، وخطيئتك أنت في رقبة الشاعر عبد الوهاب البياتي .

تأمل قصيدتك « انتفاضة » ، فهي اشبه بأكل الترمس والحمص الأخضر، نظراً لما فيها من تقليد اليوتي زيف . لا أذكر من أليوتياتك الا ما ذكرت ، واخالني قد صفّيت الحساب الايليوتي البياتي تصفية نهائية . أما الشعر الذي من نوع شعرنا في ديوانك ، فقصيدة « صراع » جيدة ، وفي الديوان لها اخوات . وأما قضية « الله » فسنضم ما بقي من رصيد حسابها إلى حساب ديوان فؤاد رفقة « في دروب المغيب » .

وأخيراً أقول : ان ما يشكو منه شعرك البلدي الموزون لهو اختلاس الياء غالباً ليستقيم الوزن . وهاك مثلين على ذلك ، في بيت واحد :

« القتني » في حمأة الآثام فانتفضت في كل عرق دمائي « تغوي » حرماني

وكذلك في قولك : « تستجدي « قلبك ألحاني وأشجاني . وقولك اضويت وجداً ولم « تصطدني » حسناء . انك ستكون شاعراً ، يا يوسف ، حين تنضج لأنك ، كما يبدو ، موهوب . أما الآن فشعرك ما زال فجاً ، وأنت وزميلك رفقة قد استعجلتما طبع ديوانيكما ، فعلى كل ناشىء ان يتأنى لينال ما يتمنى .

في دروب المغيب

لفؤاد رفقة

لقد بكرت ، يافؤاد ، اتبدأ حياتك الأدبية بمثل هذا العنوان الأسود : « في دروب المغيب ؟ » . جعل صنوك الشاعر العراقي هذين البيتين فاتحة لديوانه وهما ، ثورة على من خلقه .

اختاه،لا تعجبي فالنار في كبدي احيلها صرخةً في وجه سجّاني
يشيد من صخرة الآثام معبـده وسجنه ، وعن الآثام ينهـاني

أما أنت فيدفعك اليأس حتى تقول في « صلاتك » :

إلهٌ ! أيقذفني في المدى وعتم الضباب يلف مداه
إله ! ويسكر من حيرتي ورعبي ويضحك مل الشفاه
ويرقص حتى الجنون المخيف ليأسي ، فأعجب مما دهاه
أهـــذا إله ! فيا ثورتي ازيحي الهـــاً كهذا الإله

لعلي كنت هنا أشبه بالأب يوحنا الخوري في رده على مرداد الأستاذ نعيمة،

وإذا كان الله يحتاج إلى محامٍ فأنا لا أحسن الدفاع عن قضية أجهل سرها ولا أدركه. ولكن هذه الظاهرة غير العادية لا تستحق أكثر من التفاتة عابرة، فلندعها وشأنها منتقلين إلى نظرية ثانية عُني بها هذا الشاعر . قال عن نفسه :

انا مسخ الوجود والغلطة الكبرى وجودي في عـــالم مهجور

ولعلّ تداعي الأفكار هو الذي اعادني ثلث قرن الى الوراء ، فجرني إلى ديوان الشرتوني ، فنقلت منه ما نقلت بهذه المناسبة .

وإذا مشينا قُدُماً في « دروب المغيب » وقفنا على قصيدة « ربيع و اشلاء » ، فتذكرنا أفاعي فردوس أبو شبكة . قال في الأولى :

عصرت دمائي يا ابنة الاثم فاعصري لذائذ ليلي واسكبيحي ودمري
وصبي خمور الشّر تطغى كأنها أفاعٍ تلوت في جحيم مجمّر

يظهر ان الشاعر ، وهو الجاحد ، يعتقد أن في جهنم جمراً كما كان يصرّ المرحوم جدي على اعتقاده هذا .. وإيمان الشاعر بالحب هو الذي حمله على جعل الحب فوق الله ، فقال :

يبدع الحب ما استحال على الله من الخلق للجمال المتاح

لقد اتفق في هذا مع اللاهوتيين من حيث لا يدري ، فقد قالوا ، نفعنا الله بعلمهم : الله محبة هو ، والله جميل ويحب الجمال ، ! .. ولكن الشرتوني شك بجمال الله حين رأى وجهه هو .

سوف لا أنظر في شيء من ضعف القوافي والتركيب ، فقد كفانا مؤونة ذلك الأستاذ نديم نعيمه الذي قدم هذا الديوان الى القراء ، فكانت حجته برقبته ، ولم يبق لي إلا ان اقول إن شاعرنا الحائر ، فؤاد رفقة ، يستحق لقب شاعر العتم ، لكثرة ما وردت هذه الكلمة في ديوانه . ولعل هذا العتم هو الذي جعله يهيم في اودية كأودية الشنفرى وتأبط شراً . ومع ذلك انه ، كزميله يوسف ذياب ، سيكون شاعراً بعد المران المستمر الدائم ، والدائم وجه الله الذي كان يرف على وجه المياه قبل التكوين ، كما قالت التوراة في الفصل الاول ...

صراخ في ليل طويل

رواية لجبرا ابراهيم جبرا

« صراخ في ليل طويل » عنوان رواية ناجحة ألفها الأديب جبرا ابراهيم جبرا العارف الدرب إلى هذا الفن . أجرى حوادثها في مدينة لم يسمها ، ولكنه نثر أوصافها التي تدلك عليها دلالة غير واضحة المعالم ، فتمشي معه طائماً مختاراً ، وان كنت لا تعرف إلا أنك في مدينة يجوز أن تكون بغداد ويجوز أن تكون حلب ، والله أعلم .

لها بطل رئيسي هو أمين سماع ، يروي حكاية سنتين من حياته البوهيمية ، أو قل انه يعطيك صورة الشاب التائه الذي يريد ان يؤدي رسالة ويصبو ككل أنسان إلى أن يكون شيئاً مذكوراً . أما الطريق التي سلكها ليصل الى ما يبغي فهي رسالة القلم . وقلمه كل سلاحه في معركة المعاش. فهو صحفي يقضي معظم نهاره في كتابة المقالات التي تتطلبها الجريدة ، وفي الصباح ، قبل أن يذهب إلى عمله ، يشتغل بكتابة رواية . وما غايته منها إلا ان يعبّر عما يريد قوله . ولذلك اشتق من نفسه اشخاصاً كثيرين كما يشتق العالم بالصرف صيغاً مختلفة من الفعل ، فمثّل كل منهم ناحية من نواحي النفس الملأى بالمتناقضات وقد بنى هذه المقصورة على حبه لسمية أبنة سليمان شنوب ، صاحب المتجر الذي اراد أن يعين امينا كاتباً عنده بعد الامتحان والأنتظار . وجرب أمين عمله في فتح صناديق معجون الأسنان ، وما صدق أن أنتهى ذلك النهار حتى راح ولم يعد . ويشاء القدر ، بعد حين ، أن يلتقي أمين بأبنة التاجر شنوب

في برّية ويشقّ الحب طريقه إلى قلبيهما . ثم يكون لزواج بعد دوش سخن صبّه والد البنت وأمها على رأس أمين .

وكما كان الزواج صاعقة ، كذلك كانت الخيانة زلزلة . فقد تركته بعد سنتين وانشقت الأرض وبلعتها . تركته معلقاً بحبال الهواء ، لم تدع له إلا رسالة من ثلاثة أسطر ترجوه فيها ألا يقلق عليها، لأنها غادرته من تلقاء نفسها وقضى أمين سنتين تائهاً، أسير ذكراها التي ترافقه، كما كان يرافق طيف وحيد ابن الرومي ويسد بوجهه كل فج .

فيتوه أمين خلال السنتين،وأهم ما يشغله فيهذه الفترة عنايت هانم وأختها ركزان . كلفته عنايت هانم أن يكتب تاريخ أسرتها آل ياسر ، فغاص معها في تلك الوثائق الدهرية ، بينما كانت ركزان ، أخت عنايت ، منصرفة إلى اشباع شهواتها .

وذات ليلة ، يحلم أمين ، وإذا بالحلم يستحيل حقيقة ، ويرى سمّية معه في الفراش ، فيستحيل ذاك الحب العارم إلى بغض صاخب ، فيطردها من بيته ويفر هو منه ، ويأبى أن يتزوج من ركزان هانم التي عرضت بضاعتها عليه .

ان رواية جبرا ، على صغرها، حافلة باشياء يصعب عدها ، فكأنها مخازن الف صنف وصنف . نحن لم نشر إلا الى جذع الرواية ، أما فروعها فهي لا تحصى . أن بطل الاستاذ جبرا قال لنا إنه قسم نفسه إلى أشخاص عديدين ، ومن غرائب التوفيق الفني ان تجيء جميع هذه الأشخاص زاخرة بالحياة ، ولو لم يطلعنا على سر فنه لخلناهم شخوصاً حقيقيين وإن الرواية واقعية،وهذا طلسم الفن الروائي وسحره المؤكد .

يعالج بطل الرواية شؤوناً كثيرة ، ولكن المرأة هي موضوعه الرئيسي . ولعله من عبّاد الجسد، وهو يرى فيه العامل الدائم في الوجود الانساني.ورأيه في المرأة ، أن جسدها هو عندها الكل في الكل ، فهي تحممه ، وتعطره ،

وتطليه بالمساحيق، وتبرز اجزاءه المختلفة، وتحمله معها اينما ذهبت كحمل ثمين لكي تنزله في النهاية في فراش أحد الرجال . وهي نهمة لا تشبع حتى بعد ان يمسي جسدها غير اهل للفراش » .

ونفهم من النقاش الحامي بين شخوصه ان السخط مصبوب على المرأة لأنها تنصرف الى مداعبة الأقنعة الجنسية ، اما هو ، وعبثاً نحاول التفريق بينه وبين شخوصه فكلهم هو، فيرى ان الطبقات السفلى من الشعب تنتج المبدعين، واما ذوو الفراغ ، المتمتعون بثمرات التقدم ، فهم مرتع السآمة والضجر .

ثم يهزأ البطل أمين بأبيه لأن الروح كانت عند ذلك الأب شيئاً حقيقياً لا كلمة مجرد غامضة ، فيؤمن بعالم آخر ، ونعيم سماوي لا يدركه عقل البشر .

وإذا اردت ان اجيء على كل ما في هذه من الرواية أفكار ومبادىء (تقدمية ووجودية) اقتضى أن أكتب كتاباً ربما كان أضخم من هذه القصة ، لأن جبرا يحسن انتقاء التعبير الوجيز اللازم لاخراج روايته اخراجاً محكماً . وهو يحبك اشخاصه حبكاً متلازماً، ولا يقوّل الاشخاص اكثر مما يجب ان يقولوا. وهناك قدرة فائقة على مزج عدة شخصيات وحوادث تظل خيوطها في يد جبرا انشوطة لا « تتشركل » ابداً . ويصف لك كل شيء من تقلبات النفس البشرية ، والصراع الفكري ، فهو في هذه الرواية واقعي خيالي لا يهمل شيئاً من زينة مسرح روايته . وقد خلق من حوادث تافهة رواية هي في طليعة أدبنا الروائي . قد لا أكون رأيت لها اختاً في هذه الفترة من نهضتنا ولا قبلها . الحياة نشيطة في هذه الرواية ، والعبارة تؤدي الفكرة تأدية تامة غير منقوصة . فالكاتب يخضع مواده لفنه ، ولا يخلق الا ما يحتاج اليه عالم روايته .

قد يقول واحد : « وما حاجتنا الى قوله : وعندما أمسى مصباح الشارع خلفي تفحصت ظلي الطويل الذي ضخم تأرجح ذراعي ، وفضح شيئاً من

البخترة في مشيتي ، إلا انني اعجبت بشكل رأسي ظلاً ، وهو ينزلق امامي، ولكن سرعان ما استطال الظل وفقد ما فيه من تناسب ، ولم يرق لي ان انظر اليه » . ثم قوله في موضع آخر : « وكان على الارض صحون مهشمة ، وقطة سوداء صغيرة تنظر في حيرة الى الرجل الذي يحزم الثياب » .

ونحن نقـول : هكـذا يستلهم الروائي كل شيء . والسر العظيم هو في السبك ، وتسيير المرئيات ، والحرص على التناسب بينها ، وتوجيه القصة نحو الهدف كما يسير الطوربيد الى دارعة ليغسفها نسفاً .

فشخوص جبرا يعـبر كلّ واحد منها عن شيء ، ولكنهـا تتعاضد جميعاً لتؤلف « كلّاً » رائـع الشكل . أعطانا في روايته نموذجين من أصل واحـد ولكنهما مختلفان . فعنايت هانم تعيش في سراديب تاريخ اسرتها كما تعيش الجرذان في ظلمات الاقبية، وترى فيها المآدب والكوكتيل والحفلات الراقصة التي لا ينقصها الا شرب الانخاب .

اما اختها ركزان ، فهي تريد ان تغرق ماضي الاسرة في لجج النسيان ، وتريد ان تعيش في حاضرها ، ولذلك احرقت ، بعد موت اختهـا عنايت ، كل ما تعب بطل الرواية، امين سماع، في تحبيره، واخيراً نسفت القصر القديم لتبني بيتاً حديثاً لا يذكرها بالماضي .

تقول ركزان « انها لا تريد القصر ولا تريد الآلاف العديدة من الفدادين ، ولا تريد هذا التاريخ ومستنداته الخطية . انها لا تريد هذه كلها لانها ملحقات الماضي وادوات زينته ، انها سرابيل الموت » .

« اني اريد ان اتخلص من كل هذا الذي حولي، وفي نفسي من فورة الحياة ما يكفي لعشر نساء » .

ولا تظنن ان ركزان قالت هذا ارتجالا . انها لم تقله الا بعد مـا عرّفنا أمين بغريزة هذه الاسرة الشهوانيـة فكان ينحو نحو زولا ودوستوفسكي في

تصوير اسرة كارامازوف ، والأب موره .

في الرواية صراخ نفساني دام ، وامين تائه بعدمـــا تركتـه سميّة كالهر المضروب على رأسه، يقع ويقوم، ثم يقوم ليقع ، فهنا عنايت هانم تحاول تظهير تاريخ الأسرة لتتمجد به ،وركزان، بعد موتها ،تحرق أصول هذا التاريخ وهي تهتف متشفية : « في النار » تريد ان تخلص من جدودها ، بينا دمهم يغلي في عروقها . فهي حين عرضت نفسها على أمين انما فعلت ذلك بدافع مما ورثته عن تلك السلالة الفاجرة .

ان ربط الحوادث ببعضها ربطاً محكماً . يدلنا على ما اوتيه جبرا من خاصة تتبّع خيط تداعي الافكار وقوّة المحاكمة . ففي هذه الرواية الصغيرة قد جمع المؤلف حوادث جمة ، وافكاراً ونظريات قالها بشجاعة تغلبت على الحياء الأدبي . فمؤلف « صراخ في ليل طويل » ينقد المجتمع وما فيه من جبن ورياء ، والجميل فيها ان ما فيها من تحليل نفساني لا يبدو جافاً كمهدنا به ، ولكنه لا يمل بجمال القصر وجودته . وان كان المؤلف يحس القبح أكثر من الجمال ، ويصف القاذورات كما يصف زجاجة كولونيا أما التقلبات التي في هذه الرواية فصورة صادقة عن حالة القلب البشري الذي لا يستقر . وكما ان الأنسان يتغير تفكيراً وتصميا ، كذلك حالات شخوص روايته ، وخصوصاً حالته هو . انهـا تصور شكوك الشباب ونظرهم إلى المثل القديمة كعجوز مجعدة الوجه ، وهم يريدون مثلا غيرها فتية ناضجة !

أما الذي اخفاه من حديث هجر سميّة له مدة سنتين ، فقد دلنّا عليه إيماءً لا تصريحاً ، فتلك الدموع التي كانت تذرفهـا على فراشه لم يذكرها المؤلف إلاّ ليوقفنا على ذلك السرّ ، سرّ فرارها وبيع العقار الذي وهبها اياه أبوها .

وتذكّره سميّة كاد ان يجعله من أصحاب الفكرة الثابتة ، وسيرورة هذه

الفكرة ، فكرة سميّة ، تذكّرني ببطلة دعاء الكروان لطه حسين . كانت بطلة القصة تناجي الكروان كلما سمعت صوته في الليل وذكّرها بطائرها ، وكما كانت تلك البنت التي فقدت أعز ما تملك ، يوقظها صوت الكروان ، كذلك رأيت في داخل صدر أمين سماع ، بطل جبرا ، كروانا لا ينام ، بل يلهج ابداً بذكر سميّة ، ولكن بين الروايتين فرقاً ، فليس في دعاء الكروان ما في « صراخ في ليل طويل » من براعة قص ، ومطابقة الحوار للواقع .

وفي الرواية تشابك متواصل ، وتنقلات سريعة تشب وثباً من شق قلم المؤلف ، كر وفر واقبال وادبار كحصان امرىء القيس من سميّة الى ابيه ، إلى عنايت هانم وجدها عز الدين ياسر . ولكن المليح في أشخاصه هو انها لا تقف كثيراً ، وجبرا طبيعي في مصادفته لهم وتعريفنا بهم كما تعرّف هو على ظله الطويل في تلك الليلة .

وقد يغرب في خلق شخصيّاته كما خلق شخصيّة ركزان التي نسفت قصرها وجاءت إلى بطل الرواية لتخبره وتقول له بكل بساطة : اسمعت ؟

– نعم يا ركزان ، سمعت .

– اصعد إلى جانبي إذن .

شكراً .

– كنت ارجو انك ستاتي معي . ألا تغير رأيك ؟

– لا . لا حاجة بي إلى الهرب بعد اليوم .

وممن يهرب وقد نجا من سميّة؟!

وبكل برودة تركته ركزان وكأنها لم تفعل ما فعلت من نسف قصر آل ياسر العظيم !

ان الجنون فنون ، ولكن جنون ركوان كان فحلياً ، وكان على خالقها ان يهذبها قليلاً ، وقد كان في الأمكان ان يتجلى هذا الليل الطويل بدون هذا

الاغراب، وبعد، فأنا لا ألوم لأني عرفت شخصاً تملّص من ميراث أبيه وعلّل اسرافه مدعياً أنه مال غير حلال .

إن في زوايا هذه القصة خبايا كثيرة ، ولا بد لمن يتلمّس جمالها الفني من ان يقرأها اكثر من مرة . لم يكتب جبرا من وحي ما قرأ ، بـل من وحي حياته ودراسة نفسيته . لم يبرز لنا ما في حافظته وذاكرته وذهنه من ثقافة واسعة ، ولكنه جلا لنا تجاربه فنياً ، فخرجت عرائس رائعة جميلة .

لم تكن روايته منبر وعظ أو كرسي اعتراف وارشاد ، ولكن هناك اشخاصاً يحلّلون مشاكلهم .

لا أقول انه سارتري ، ولكن أقول إنه شاب يصف ميوله ونزواته ، ولم يفكر إلا بما كنا نفكر به في عز الشباب. وأراني مجبراً على التصريح للمؤلف أنه لم يتعبني أوّل أدبي كما أتعبتني قصة جـبرا ، وديوان : « ثلاثون قصيدة » للاستاذ توفيق صائغ . وعبقرية الاثنـــين من مقلع واحد . وهما صديقان حبيبان .

ديوان لنزار قباني

كلما دق الكوز بالجرة ، رفع الشعراء عقيرتهم متحاملين على الخليل بن احمد وعروضه . يخلعون عليه ما يدور على لسانهم من الألقاب مسمين أوزانه الشعرية أسماء غريبة . وهوذا اليوم شاعر ملهم هـو نزار قباني . فهذا الشاعر الفذ يسمي بحور الشعر العربي : « الأقفاص الستة عشر » ، ويسمي علم العروض « قبواً » كما سمى الوجوديون بمجملهم « قبو التابو » ، فذكرني بقبو المعزي وهدير الفحول في أوائل تشرين ...

زار نزار هذا القبو في باريس ، فقال في الحلوة التي رآها فيه :

« كان اسمها جانين .

لقيتها ، أذكر ، في باريس من سنين

أذكر في مغارة التابو ..

وهي فرنسية

في عينها تبكي

سماء باريس الرمادية

كان اسمها جانين

وهي وجودية

تعيش في التابو .. والتابو » .

ظلام نعم ، كما تعيش المنزة في القبو ، فما قتل رجولة الشعب الفرنسي

إلاّ هذه الاقبية ، وهي التي تعتصر شبابنا وتبصقهم كما نبصق ألياف قصب المصّ .

اسمع يا نزار ، ليست بحور الخليل اقفاصاً وقماقم ، ولكنها انغام الجدود وألحانهم . تلك كانت موسيقام الكلامية. أما قلت انت في قصيدتك عندنا:

والمواويل لدينا وجدت قبل السماع

أعرني اذنك هنيهة ، يا من تؤمن « بالموال » ، ألا تدرك انه موزون مقفى ! ؟ اذن ليست القوافي زوايا حصن معدّ لحبس الشعر ، ولكنها وقفة نغم على حدود النهاية ، وانطلاقه مع موجات الأثير ، ليظل يتنقل من فلك إلى فلك ، ومن نظام شمسي إلى آخر سديمي يُدّخر فيه .

ليست هذه الاوزان من صنع الخليل،ولكن الخليل وضع النوطة لاهازيجنا واغانينا التي اعجبك منها البحتري وابن المعتز . وما دام هنـاك شاعران اعجباك فيكون اللوم على الشاعر،لا على الاقفاص التي صنعها « نجاركم الاكبر» كما قلت . فوقع دائماً إذا لم تزن لئلا تخرج من ملكوت الشعر كما اصابك في قصة راشيل شوارزنبرغ . ان أوزاننا ذات ألوان وطعوم مختلفة ، كذلك « الرأس » الذي وصفه الجاحظ . وإذا كان الذي قرفك من تلك الاوزان هو تلك السماجة « التعدي على السكار » ، حتى صار الشعر الموزون هراء ، فانتم شعراء اليوم سوف تصيرون مقلدين في نظر الآتين بعدكم،ولا يعصمك انت في الغد الا شخصيتك البارزة وعبقريتك الشعرية في الموزون والمكيل .

قال عنترة : « وخلا الذباب بها يغني وحده ... » وهذا ما ينطبق على أوزان الشعر العربي لقد غنت حقبة وحدها فما عليكم إلا ان تملأوها موسيقى فعبثوها كلاماً مرغانا .

قلد الشاعر سعيد عقل الشاعر العامي ميشال طراد في موضوعاته الشعرية فناجى ما ناجى من أشياء ، وانت قلدت الاثنين ، بيد ان شخصيتك الفذة

ظلت بارزة فلم تنعدم في هؤلاء وأولئك كما يتمنى البهائي ان ينعدم في ذات وجدانية الله . . .

أنت ، يا نزار ، شاعر حقا ، فليتك تظل ملتفتاً إلى ذاتك غير مبالٍ بغيرك . أنت قادر على تطويع الوزن لأنك ذو قريحة وذوق فني ، فلا تهم في مثل: «كان اسمها جانين ، لقيتها اذكر في باريس من سنين. . .» ان من يعصى عليه الوزن يلجأ إلى المد والاردب والشنبل، وقد رأيتك في ديوانك «قصائد» أقل توفيقاً منك، في « طفولة نهد». قالوا عن البحتري الذي نوهت به انه أراد ان يشعر فغنى ، أما انت « في سامبا » فقد شعرت وغنيت ورقصت ، واني اتحداك ان تأتينا بمثلها في الشعر المتفلت من الوزن والقافية .

قال غيري : النثر مشي ، والشعر رقص ، فارقص لنصفق لك . انت في سامبا وطفولة نهد أول ، اما في هذه « القصائد » فلست . ولماذا ؟ لانك تقريباً اجتررت الكثير من ماضيك الفني لقد اجتررت شال اخيك سعيد عقل كما اجتر سعيد شال ميشال طراد وقمره .

اعذرني إذا صرحت ، فانت لم تقف عند حد الشال ، بل انحدرت إلى التنورة والجورب .

لم ننس نحن بعد ابو الفسطان والجورب فينا ، ولكننا كنا نكتم سرهما وخبرهما كما قال المتنبي : « وأعف عما في سراويلاتها ». ومع ذلك انت خير في كل ما أعطيت حتى « قصيدتك الشريرة »، فالفن لا شر فيه . وبعد هذه القصيدة الجريئة لم يعد اتباع ابي نواس يعتبون علينا، ولا يباهوننا في صراحتهم، فانت دخلت الدور والقصور والخدور ووصفت لنا ما لم يصفه قبلك شاعر ، فكأنك طالعت كتاب السجينات لشيخنا فؤاد حبيش .

قال نزار : « ان سعيد عقل قمة في الشعر العربي ؟ وانا اقول هم ثلاث قمم: سعيد، ونزار، وميشال طراد. وثلاثة اقانيم متساوون في عظمة الشال، وكرامة الفسطان ، وانسدال التنورة ، ورفعة القمر . أما نزار فيستحق

وحده وسام ربطة الساق لأنه قال ابياتاً منظومة في « الجورب المقطوع » .

انت شاعر يا نزار، اقولها واثنيها واثلثها . وابتهارك في تهافت النساء عليك يذكرنا بعمر ابن ابي ربيعة . أنت ذاك ولكن من نوع آخر . كان عمر يشتهي اللحم والدم ، وانت الى الثوب الأنيق أميَل، وهذا ذوق رفيع لو لم يرافقه انحدار الى « الكلسات » .

ففي شعرك قصص ابن أبي ربيعة،وحسن ختام قصص أبي نواس، وحلاوة كلام جرير ، وفتك بشّار العقيلي . ألستَ تقول لنا :

قالت : فما ماضيك؟ قلت : تفرّجي جثث وأمراض وبئر أفاعي
عودي لأمك ، ما أنا بحمامـــة فغريزة الحيوان تحت قنـاعي
ما أنت حين أريد إلا لعبـــة بلهاء تحت فمي وضغط ذراعي

أما قال بشار حين قالت له تلك الضحية السمينة بعد ما عضها وفتك بها تلك الفتكة الذريعة :

كيف بأمي إذا رأت شفتي أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قولي لها : بقبّـــة لها ظفر إن كان في البقّ ما له ظفر

لا بأس إن ذكرنا هذه الغارات الفنية وان كنا لا نريد أن نحلل ونفكك وندلل على هفـوات اللغة والعروض ، فوصية الشاعر لنا في مقدمة « طفولة نهد» هي أن لا نفعل ذلك كيلا يبقى في يدنا غير جثة الجمال وجنازة العطر. والشاعر قباني يسألنا أيضاً أن ننحي المنطق ، وإذا نحينا المنطق صرنا نقّاداً بلا عقل ، فكيف العمل ومن يخلصنا من سعيد؟

أما المواضيع القروية فأراها أجدر بالشعر العامي ، وإن كانتلم تعص على نزار الذي تكلم شعراً بما يشبه العامية ،ولكنه فصيح إلا في ألفاظ لا بد منها للموضوع .

وبعد ، فهذا شاعر في كلامه حلاوة كلام جرير ، ولكنه يفوقه خيالاً ،

لأنه يصور بكلمة واحدة ما يصوره غيره بكلام . وفي اعتـــداده بنفسه هو مثل عمر بن أبي ربيعـــة . هو المحبوب دائماً والتارك لا المتروك ، وإن تحرّق عمر على بعضهن ، فنزار لا يرى فيهن جميعاً غير لعبة يلهو بها . دامت له هذه الطفولة الرائعة ،وهذه الفصاحة الغضة البضة ، فهو محدّث من الطراز الأول.

اسمع هذا الختام لقصيدة عنوانها : طفلتها :

أخذتها مقبّلا باكياً أما بها من أمها رائحه

وموضوع هذه القصيدة له أخٌ في شعرنا العصري أولها : رأى بنت يهوى. ولعل الروعة كلها والفن كله في تنقية نزار لشعره وتعمده إجادة الختام، فانه يطلقه قنبلة صخابة كقوله في ختام قصيدته « حبلى » :

شكراً،ساسقط ذلك الحملا أنا لا أريـــد له أباً نذلا

عفواً عن هذه الجناية ، جنايتي أنا .أهملت المطلع وهو رائع جداً جداً لم يقل شاعر ، حتى هوميروس ، أروع منه في الدلالة على الموضوع :

لا تقنع ا هي كلمة عجلى اني لأشعر انـــني حبلى

أما القصيدة الشريرة ، وهي زهرة شر على صدر الفن ، فهذا مطلعها :

مطر .. مطر..وصديقتها معهـــا ولتشرين نواح
أشذوذ اختـــاه ، إذا ما لثم التفـــاح التفـــاح
نحن امرأتان لنا قمم ولنا أنواءٌ ورياـــح

أمـــا قصيدته المشهورة « خبز وحشيش وقمر » فهي مـــلك ختام قصائد نزار قباني ، واني لا أرجو أن يكون ذلك ، لأن شاعرنا الفريد لم يقل كلما عنده بعد .

اسمع ثانية يا نزار ،

أنت في الادب العربي رابع ثلاثة عبدوا اللحم وليس عندهم للروح شيء. الصوفية والميتافيزقية لا محل لهما في شعرك ، ولا تعرف شيئاً عنهما . فشعرك

كله في وصف النزوات الجامحة ، والقشعريرات المتوثبة . يغتفر لك هذا الفرم اللحم ما في عبارتك من حلاوة جذابة ، وما في كلمتك الحية من صورة رائعة فكأنك كيمائي كلام تؤلف من جسمين ثلاثة جسما جديداً ،وهذا منتهى الفن.

قلت انك لا تؤمن إلا بسلطان الكلمة،ونحن مثلك ، ولكن الكلمة تصلح من لهم آذان تسمع من ذوي السلطان ولا يقولون : « لم سمعنا ولم قشعنا » . فاذا كنا نؤمن بسلطان ليس لنا فيه سلطان ، فالأحرى أن نقدم ونؤخر في حروف الكلمة لتصير لكمة .

« جانين » ... والوجودية ... ومارون عبود !

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الصياد الخطيرة هـذا المقال أو الكتاب المفتوح الموجه الينا من شاعر الوقت الملهم الأستاذ نزار قباني .

يجد هذا المقال من يريد الاطلاع عليه في العدد الـ ٦٤٤ الصادر في اليوم الثالث من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٧ ص ٢١ وهي السنة الرابعة عشرة من عمر المجلة المديد .

استاذنا الكبير :

تأخرت عن موعـدك الاخضر قليلاً . كان عليّ أن اسبق الشمس إلى ستائرك . ولكن الوهج المغني في بور سعيد أكل أعصابي .. كل أعصابي . سرق السلام من قلبي. جبلني بحمرة جرح .. جعلني جرحاً يمشي. فلا تؤاخذني اذا وصلت متأخراً ، لأن الكتابة اليك رحمـة وسلام . واللعب بالحرف ، بالفاصلة السكرى ، يحتاج إلى حد أدنى من السكون . وهذا ما لم أعرفه ولا أريد أن أعرفه .

هل نبدأ الآن ؟ . هل تفتح لي قلبك ؟

يعتبر بعض الناس أنفسهم سعداء الطالع اذا وجدوا في امتداد زماني واحد مع واحد من هؤلاء العباقرة الذين أعطوا الانسانية تراثاً لا تزال الأرض تشرب منه وتسكر . الذين عاشوا في عصر بيتهوفن وليست ، والذين كتب لهم أن يعيشوا في نفس الفترة الزمانية التي عاش فيها تولستوي أو ليونارد

دافنشي ... أو وورد ثورث .. أو غوغان .. أو رودان .. أو شيللي . كل هؤلاء يعتبرون أنفسهم من رفيعي الأقدار .

ويوم يجيء الدور الينا ، ويسألنا سائل : وأنتم يا شعراء الفترة الممتدة من عام ١٩٤٠ صعوداً الى هذا اليوم ، من هو الكبير الذي كان يقيّم آثاركم .. ويزن الريش النابت في أجنحتكم .. ويدوزن الأنسجة الطرية في حناجركم ؟. يوم يواجهنا سائل بمثل هذا السؤال ، سنقول له بدون أدنى تردد : « كتبنا شعراً في عصر مارون عبود . وعلى محك هذه السنديانة الماردة برينا أقلامنا.. وتركنا أسماءنا .. »

سنديانة .. نعم وجدت الكلمة . سنديانة من هذه السنديانات التي تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة ، لا تبخل على واحد بخيمة ظل .. أو سرير ورق أخضر .. أو زوّادة قش تحمله اياها قبل أن يذهب . .

من هنا ينبع مجد السنديان . مجدك يا أستاذي ، يا مضيف الأجنح المليسة الزغب ، يا حاضن الشرانق الحبلى بالف شلة حرير .. يا مالئاً مناقير العصافير الهابطة اليك زهراً .. ورمّاناً .. وحبات كرز ..

قلّ أن عرف الأدب العربي ناقداً تطهرت ريشته من سواد الحقد ، وتبرأ جده من حليب الكراهية العكر . هل تذكر معارك النقد الأدبي في مصر بين العقاد والرافعي والمازني وطه حسين؟لقد كانت أشبه بمعارك الدجاج والديكة.. ريش ناقش .. ومخالب تغرز في الأعناق .. ومناقير استبدلت الغناء بالعض وفقء الأعين ..

ويظهر اننا لم ننته حتى اليوم من أسلوب النتف والهيج .. فما زال الدجاج الناقد لدينا كثيراً .. وما زالت الغرائز الدجاجية هي السلوك المميز لأكثر نقادنا في سورية ولبنان . فكل أثر أدبي يدخل مختبرهم مفقود .. وكل خارج من هذا المختبر مولود ..

فاذا تحدثت اليوم عنك، عن السنديانة التي تسكن العصافير وتظلها وتطعمها، فانما التحدث عن سلوكية جديدة ، عن ظاهرة غريبة في تاريخ النقـد لدينا . فلأول مرة يتحرر الحرف ، على يدك ، من رجس الشتيمة، ليصبح اداة عبادة لا مطرقة حدادة . لأول مرة نعرف معنى التسامح ، معنى الغفران ، معنى « التعايش الفني » ، اذا صح لي ان استعير التعبير من قاموس السياسة . حيث يقول بعض الساسة «بتعايش سلمي» بين شتى النظم السياسية على تباين دروبها وغاياتها . فلماذا لا نطبق هذه النظرية في الفن .. وننادي « بتعايش فني » تعيش فيه المذاهب الفنية على تباينها جنباً الى جنب .. حتى يتولى الزمان امر الفصل في هذه المذاهب وتقييمها ..

* * *

استاذنا الأمير ،

ما قلته في شعري كرامة لشعري . حياة ثانية للحروف التي عاشت معي حياتها الاولى . لقد عاشت « قصائدي » بين يديك كما تعيش البنت المدللة في بيت امها وابيها .. حلوى . واثواب .. واشياء أخر ..

ولكن .. لماذا انت غاضب على « جانين » ؟. متمسك بالوزن والموازين. « فجانين » هذه تعيش في احد اقبية سان جرمان .. لا في برقة ثهمد ..انها تلبس البنطلون .. والخف المقطع .. وتلثغ بالفرنسية .. وتمزق ثوانيها وتهبها لليل .. لجحيم الجاز .. للاشيء .. انها تعيش حضارة معينة. ونحن كصيادي صُور ، لا يهمنا ان تكون هذه الحضارة قلق وسواد وتشرد .. أو ان يكون القبو الذي ترقص فيه كقبو المعزي .. كل ما يهمنا ان نرسم جانين هذه في اطارها الزماني والمكاني .. ان نفاجئها وهي في وسط حلبة الرقص.. ترمي خصلة من شعرها لليل .. وخصلة لله ..

انني اعالج بقصيدتي هذه فلسفة كاملة هي الوجودية . واحاول بلقطـات

صغيرة ان اخلق الجو لقارىء لم تقده قدماه الى هذه الأقبية .. لذلك كان لا بد من تغيير المخطط التقليدي للاداء .

كان من المستحيل عليّ ان اكتب عن جانين .. والجاز .. والمونمارتر .. بالبحر الطويل .. أو البسيط.لأن صلة الموضوع باطار العرض حقيقة لا يمكن الفرار منها . هل تريد تجربة صغيرة .. اذن فاسمع يا معلم الذوق :

يا دار « جانين » بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الأمد .

اعوذ بالله .. وبك .. وبكل صاحب ذوق جميل من مثل هذه السماجة.. البيت كما ترى مهندس وفق مخطط الاجداد..موزون بميزان صيدلي..مرسوم بالمسطرة .. ومع هذا فهو مصيبة المصائب . لماذا ؟.

لأن الخياط الذي فصل البيت فصله على جسم « مية » المواطنة السمراء في صحراء نجد .. فحين ألبسناه ، بعد الف وثلاثمائة سنة ، «لجانين»المواطنة الفرنسية القاطنة في الرقم ٧٣ بولفار سان ميشال . في باريس اغمي عليها .. قلت في مقالك القيم ان بحور الخليل هي انغام الجدود وموسيقاهم الكلامية، وان القافية هي وقفة نغم على حدود اللانهاية ، كما قلت ان الخليل هو واضع النوطة الموسيقية لاهازيجنا واغانينا .. هذا كلام حسن ولكن له تتمة .

لم يعبد احد موسيقى الشعر عبادتي لها. فهي اساس البناء الشعري لديّ، ولكني لا اتصور موسيقى الشعر ارثاً ابدياً لا يأتيه الباطل من امامه او من خلفه ، لا أتصورها حكماً من أحكام محكمة التمييز لا يقبل الاعتراض او الطعن . بل لا أتصورها قيمة خالدة لا يجوز اللعب فيها أو لمسها.. ان كون « البُزُق » أو « الموال » من تراث الاجداد لا يمنعني أو يمنعك من ان نطرب لآلة مستحدثة كالبيانو .. أو الكلارينيت .. او الأوبوا .. أو ان نقف موقف المتعبدين من « بولونيز » شوبان.وسمفونية بيتهوفن الريفية .. «وبحيرة بجع » تشايكوفسكي ..

على نفس المقياس اقول : ان كون الخليل بن احمد هو الذي وضع النوطة الموسيقية لأهازيج الاجداد ، لا يمنعني ان احاول من جانبي ان اجرّب حظي في وضع النوطة التي تلائم الاطار الحياتي الذي اعيش فيه ، بل لا يمنع اي فنان من بلادي ان يبدع سمفونيته الخاصة ، فيحذف نغمة ، ويضيف نغمة ، ويعتمر كوناً شعرياً بألف شكل والف أسلوب .

الفن الشعري كالفن المعماري يمكن فيهما توليد أشكال لا حصر لها . فكما ان الفن المعماري يعتمد على وحدة أساسية – هي الحجر – لاخراج ألوف التصاميم ، فان بامكان الشعر أن يأخذ الوحدة الأساسية للنغم – أي التفعلية أية تفعلية – لتوليد أشكال شعرية لا نهاية لها. هذا تماماً ما يحدث في السمفونيات العظيمة حيث تكون النواة فيها نغمة بسيطة ثم تبدأ الاضافات على النواة الأساسية . نغمة تنادي نغمة ، وقرار يجذب قراراً ، ورعشة وتر هنا .. وشكوى كلارينيت هناك.. حتى يكتمل بناء السمفونية العام، وتنعقد حلقاتها، وتغدو عالماً كاملاً بشموسه .. ومحيطاته .. ومجراته .. وتزحلق نجماته .

انطلاقاً من هذه النقطة كتبت قصائدي التي أعجبتك . « حبلى »و« خبز وحشيش وقمر » و « سامبا » وأخيراً « رسائل جندي مصري في جبهة السويس » . فهي جميعاً محاولات لتطوير النغمة الأساسية واللعب بها . إنني لا أدعي كمال هذه الأشكال الجديدة فلا شكل نهائي في الفن ، وإنما أقول اننا نحاول أن نعطي الصلصال القديم وجوداً جديداً . لا تزال يدنا في الطين .. ولا تزال أزاميلنا تبني وتكسر . تضيف وتلغي . وربما مر وقت طويل قبل أن تفرض هذه الأشكال نفسها على الذوق العربي . ولكن هذا يجب أن لا يثنينا عن اتمام المحاولة ، كما أن النقاد يجب أن لا يتعجلوا الحكم على هذه المحاولات التي لم يتجاوز عمرها بضع سنوات . لأن من هذه المحاولات ما نجح وبدأ يجد استجابة من جانب القراء العرب .

سيدي الاستاذ ،

أنت في تفكيرك وكتابتك ولقطاتك التي تشبه لقطات السيزامـا شيء مدهش حقاً . والأدهش من هذا كله قدرتك الرائعة على تكييف ثقافتك العريضة وذوقك الرهيف مع اختلاف الفصول واتجاهات رياح الفكر والذوق. أما قلمك فهو أصبى من الصبا نفسه ، أحلى من دفقة العافية .

الذين وصلوا إلى سنك من ادبائنا لا يزالون في قاعات المجامع العلمية الرطبة يعانقون أكياس الماء الساخن .. ويتعاطون أدوية الروماتيزم .. وينظمون قصائد موسمية تجلب الروماتيزم من مسافة الف ميل ..

أما نحن الذين عاصرناك وأحببناك ، ومسحنا مناقيرنا الصغيرة بحـذعك الرحيم العظيم ، وسرقنا الحب من جيوبك المثلثة ، فما رددت منا منقاراً ولا آذيت جناحاً. أما نحن فسوف نقول لمن يسألنا عن خصائص عصرنا وطابعه:

« كتبنا شعراً .. في عصر مارون عبود . »

غيوب

لجورج رجي

هذا الشاعر جديد قديم لا يترك عرائس شعره تتخطر على هواها بلا نظام ولا اتزان خطوات ، فهو يقسم بيته تقسيماً لا يجعله في واد وعمود الشعر في واد . وضع لقصيدته روابط تهتز لها قوافيه وعباراته اهتزازاً يشجيك ويطربك حتى تخالها راقصة وهي لا تبرح مكانها ولا تنفر عن موضعها المحدد لها.

يعنى شاعرنا بكلماته عناية الموسيقار بسلالمه فتحسب الكلمات كلا وهي متفرقة ، فاعجب لشعر فيه من سمات جياد الخيل ذاك العرق المتين . ان هذا الشعر لم يترك اصالة الشعر العتيق لتظل سبباً مبرراً لتلك الاعياد التي كانت تقام في القبائل كلما ظهر شاعر .

تفوح من بيوت الشاعر جورج رجي رائحة عطر «مساء باريس» الذكية وفيها نكهة المسك والعنبر ، فشعر هذا الشاعر متماسك ناعم الجسّ ، موسيقاه في ايقاعه المنظم لا في ارتجاجه ، وكيانه قائم في تآلف مفرداته حتى تحسب كل عبارة كوناً مستقلاً مؤلفاً من كائنات شتى يخرج منها النشيد .

ليس لي مايقال في هذا الديوان الصغير الذي وضعه صاحبه ليكون نموذجاً من النماذج الشعرية الحديثة الا بعض مفردات كان للشاعر وضعها جريئاً جداً فجاءت مقسمة تقسيماً رائعاً لا يدانيها في هذا الا شعر البحتري المرقص المنظم كحلقات عذارى في عرس حافل ، جن في ايديهن العود والدف واشتركت في هذا الايقاع اقدامهن وراحت تحط القرار عند كل وقفة .

نحن مدينون لشعرائنا المبدعين بهذا التنويـــع الذي ينعش شعرنا العربي الذي جمدناه في قوالب كقوالب الغاتو فـكان انماطاً ولكن هذه الانمـاط دواني القطوف .

ما تعودت ان يكون كلامي كله نعم نعم ولا كله لا لا فمها كان الشاعر يستحيل ان يخلو ديوانه من محط رجل للصياد وخصوصا إذا كان الشاعر يحاول الخلق البديع فيختلف وقـع الكلمات باختلاف الآذان ولذلك قالوا تدخل الآذان بلا استئذان .

قالوا للمعري حين حاول تقليد كلام الله في كتابه الفصول والغايات : اين هذا من ذاك !

فاجاب : امهلوا عليه حتى يصقله الانشاد والترنيم ، فبين ترنيم ومرنوم فرق زهيد في ديوان جديد يرجى ان يكون اساساً لمدرسة جديدة .

وهناك ألفاظ أخرى منتشرة في الديوان انتشار النمش في وجه المليحة كان احرى بها ان تستر ما يجب ان يستر ببرقع ، يذهب بمنظر النمش ولا يخفي سفر تكوين الوجه .

وما اراك ايها القارىء الا ضارباً بيديك الثنتين على فخذيك حين تقرأ في صفحة — ١٩ — خففي يا شعر ...

مهلاً . رويداً . نحن نكتب لقارئي الأدب العربي فما علينا الا ان نذكرهم بقول ابن الرومي في لحية البحتري :

القها عنك يا طويلة ... الخ .

تكثر في شعر رجي الالفاظ الدائرة على ألسنة شعراء الشباب وشاعرنا شبٌ تام الالواح فما عليه إذا ذكر لنا كلمة الغوى في مواقف شتى .

وكما قال مرنوم يحق له ان يقيس اطروبة على اطروحة ...

وبعد ، فليس كل ما يصحّ قياساً يصلح لباساً وقد ذكرتني بوسة الحلم برأي إمام المجددين احمد فارس الشدياق . .

الله معك يا جورج ، ولعلنا نعيش حتى نرى مشايعيك قد كثروا . هات مثل رَيْحن ولا تتوغل كثيراً في هذه الاشتقاقات كما نرى عند المتطرفين .

دع القلق وابدإ الحياة

لديل كارنيجي

عندما نعت الاسلاك البرقية المستر ديل كارنيجي الامريكي كنت في المستشفى ، فانقبض صدري وحزنت على معلم انساني عظيم. انه غير كارنيجي المحسن الأكبر الذي وهب الجمعيات الخيرية ٣٦٥ مليوناً من الدولارات؛ولكن فضل ديل كارنيجي هذا على الانسانية باقٍ إلى الابد ، بينا مئات ملايين دولارات اندرو كارنيجي قد تكون انفقت ونفدت .

فديل كارنيجي في معهده للعلاقات الانسانية ، وفي كتابيه : « دع القلق وابدإ الحياة » و « كيف تكسب الاصدقاء » ، قد يخلق رجالاً يكون منهم عباقرة من امثال فورد وفلان وفلان .

ان موت رجل مثل ديل هذا يعد خسارة عظمى لأنه دلّ الناس على اقرب طرق الفلاح ، فاحد كتبه يوجهنا في المجتمع ويهدينا أقرب طريق إلى قلوب الناس ، وكتابه الثاني يحلّ مشاكلنا ويرشدنا إلى مجابهة المخاطر بأعصاب لا تنهار امام الحوادث الطارئة .

ماذا تنفعنا دروس الفلسفة والآداب إذا كنا نجبن عندما تنهز الأرض ، فتهبط قلوبنا وتلفظ ارواحنا ؟ أما طفر سكان بيروت كثول نحل غادر الجرة في يوم حرّ ؟ أؤكد انهم لو كانوا قرأوا كتاب كارنيجي : « دع القلق وابدإ الحياة » لخاطبوا انفسهم : مكانك تحمدي او تستريحي . لقد طالعت هذا الكتاب مرات قبل العملية الأولى وبعدها ، فكنت كلما أعدت قراءته

اجدني اشجع مني قبل ذلك ، ولما حانت ساعة العملية الثانية استلقيت على المشرحة كأنني اضطجع للقيلولة بعد الظهر .

فمن يقرأ هذه الحكاية الواقعية ولا يتشجع ويستقبل مرضه ببطولة .. كان رجل يدعى ايرل هاني من ولاية نبراسكا يشكو قرحة في الاثني عشري، وقد صرح له ثلاثة أطباء بينهم أخصائي شهير فيأمراض القرحة انه لا يرجى له شفاء ونصحوه بأن يمتنع عن الطعام ، وان لا يقلق او ينزعج لشيء ، وان يحيط نفسه بهدوء تام ، كما نصحوه بكتابة وصيته .

فترك ايرل هاني المقروح وظيفة تدر عليه ربحاً كبيراً وقعد يتطلع الى الموت الذي يسعى اليه بطيئاً . وفجأة اتخذ ايرل هاني قراراً مدهشاً . قال في نفسه : اذا كان لم يبق لي في هذه الحياة سوى أمد قصير فلماذا لا استمتع بايامي الباقية على اكمل وجه ؟ طالما تمنيت ان أطوف حول العالم قبل ان اموت ، فاذا كان لي ان انفذ هذه الامنية فالآن هو وقت التنفيذ .

ومن ثم ابتاع تذكرة السفر ، فارتاع اطباؤه وقالوا له ينبغي لنا ان نحذرك انك اذا اقدمت على هذه الرحلة فستدفن في قاع البحر . ولكنه أجاب : كلا لن يحدث شيء من هذا ، فقد وعدت اقاربي ألا يدفن جثماني إلا في مقابر الاسرة .

واشترى ايرل هاني تابوتاً اصطحبه علىالباخرة ليدفن فيه اذا مات في أثناء الرحلة ، ثم ركب السفينة وهو يتمثل بقول عمر الخيام : انعم اقصى النعيم بما ملكت يداك

الا ان هاني لم يقطع الرحلة بدون شراب ، فقد كتب الى زوجته رسالة يقول فيها : لقد شربت النبيذ على السفينة ، ودخنت السيجار ، واكلتجميع الوان الطعام حتى الدسمة منها التي كانت كفيلة بالقضاء علي . لقد استمتعت بهذه الفترة اكثر مما استمتعت في ماضي حياتي ، مارست صنوفاً متعددة من

اللهو على ظهر الباخرة وكنت اسهر الى منتصف الليل ، واكتسبت أصدقاء جدداً ، وعندما وصلت الى الهند والصين ادركت ان المتاعب التي لقيتها في بلادي تعد جنة بالنسبة للفقر والجوع اللذين يعانيهما الشرق .

وعندئذ كففت عن القلق السخيف ، واسرعت الى اقرب دكان وبعت التابوت ، ولم اعد اشعر الآن بالمرض .

هكذا علمنا هذا الكتاب كيف نقابل خوفنا وقلقنا وهمومنا برباطة جأش فنتغلب عليها . قال المتنبي :

والهم يختزم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ان هذا القول يشخّص المرض ولكنه لا يصف الدواء. أما ديل كارنيجي فيضع لنا دستوراً لكي نتغلب على المخاطر ، فيقول بعد سرد هـذه الحكاية الغريبة : هيّىء نفسك لقبول اسوأ الاحتمالات ، ثم اسرع في انقاذ ما يمكن انقاذه .

من مثل هذه الحكايات اكتسبت الشجاعـة فرأيتني رجلا آخر وتغلبت بارادتي على الموت الذي كان ينتظرني .

اما ما استفدته في موقف آخر، فهو انني كنت اقرأ من كتاب كارنيجي فصلاً عنوانه : ارضَ بما ليس منه بد . وكنت قد تعبت ، فلمـا وصلت الى هذه الكلمة ، وهي لوليم جيمس : كن مستعداً لتقبل ما ليس منه بد ، فان تقبّل الأمر الواقع خطوة اولى نحو التغلب على مـا يكتنفك من صعاب ، اطبقت الكتـاب واسترخيت لأنام ، ولكني استيقظت على خلاف عادتي ، ففتحت الكتاب فوقعت عيني فيه على كلمة لشوبنهور : « ان التسليم بالأمر الواقع ذخيرة لا غناء عنها في رحلتنا عبر الحياة » .

ونمت بطلا وكانت الزلزلة الاولى ، فتقلقل السرير وماد البيت بنا فقلت لابني : زلزلة لا تخف ، ثم كانت الثانية فقلت له : شعور رؤوسكم محصاة لا

تخافوا ، هكذا قال الانجيل . وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنـا ، يقول القرآن ، وكانت الزلزلة الثالثة وطفر التلاميذ من المدرسة ، فرحت اشجعهم ليعودوا الى أسرّتهم،وقلت لهم: روحي وروح ابني عزيزتان عليمثل ارواحكم وانا راجع الى غرفتي لكي أنام فلا تخافوا . وهكذا نفى عني كتـــاب ديل كارنيجي الخوف، ولولا ما بثه فيّ من شجاعة لربما كنت مت قبل أن يطبق البيت علي .

فبلسان كارنيجي ، رحمه الله ، أقول الى الذين وهنت عزائمهم ولا يزالون ينتظرون حدوث زلزلة كل ساعة : دع القلق وابدإ الحياة .

ان الحياة أقصر من أن نقصرها ، هكذا قال دزرائيلي ،وعلى هذه الكلمة علّق اندره موروا قائلاً لقـد ساعدتني هذه الكلمات على احتمال أكثر من تجربة مريرة . فنحن غالباً ما نسمح لأنفسنا بالثورة من أجل توافه ما كان أخلقنا بتجاهلها . ها نحن في هذا العالم لا ينفسح عمر أحد منا أكثر من بضع عشرات من السنين . وبرغم ذلك ، فاننا ننفق ساعات العمر الـتي لا يمكن تعويضها في اجترار احزان ومخاوف خليقة بالنسيان . فلنملأ حياتنا بالنشاط المثمر ، والافكار المجدية،والاعمال النافعة ، فإن الحياة أقصر من أن نقصرها.

قال السلف : وقوع البلاء ولا استنظاره.هذا درس بليغ في أربع كلمات، فماذا يحدينا خوفنا من وقوع الزلازل . الارض تهتز ولا تقع ، هكذا يجبان نقول . فالأمثال هي جامعة الشعب الكبرى . وكما يعود القطيع المروع آمناً الى المرعى ، هكذا يجب أن نفعل نحن ، فالقلق يحطم اعصابنا فلا نستطيع المقاومة فيما بعد .

ان الخوف من المستقبل يؤدي بنا الى انهيار ذريع ، فكما قال الفيلسوف الاغريقي منذ خمسة آلاف سنة : كل شيء يتغير إلا قانون التغير . انـكم لا تهبطون نهراً بعينه مرتين،فالنهر يتغير كل ثانية ،وكذلك الرجل الذي يهبطه،

فالحياة في تغير لا ينقطع. والشيء الأكيد في هذه الحياة هو اللحظة التي تعيش فيها ، فلماذا نشوّه جمال لحظتنا بحمل هموم المستقبل ومخاوفه ، وهو الذي يخضع لقانون التغير ؟

فلنغلق الابواب على الماضي والمستقبل ونعش في حاضرنا ،فالحاضر،وحده مضمون لنا فلنتمتع به . أما أن نصرفه في الخوف من المرض والزلازل وغير ذلك من البلايا فهذا هو الضلال القاتل .

أما كيف يجب أن نقاوم هذا القلق والخوف فعلينا، كما يقول ديل كارنيجي، ان نستغرق في العمل لننسى ، ولا ننسى همومنا إلا إذا حل محلها العمل . فالرأس البشري لا يستطيع أن يفكر بشأنين في وقت معـاً ، فلنشغل عقلنا بعمل ما لننسى التفكير بمخاوف المستقبل .

ان في اللجوء الى الخالق تعزية وتقوية . فلنصلّ ولنعمل في وقت معـاً ، ففي الصلاة تقوية وفي العمل نسيان يبعدان القلق عنا . أما أنا فمديون لديل كارنيجي ولعلي وفيت هذا الرجل بعض حقه إذ كتبت هذه الكلمة .

رحمه الله وجزى مترجم كتابيه الاستاذ عبـد المنعم الزيادي خيراً ، فقد أهدى الى المكتبة العربية كتابين لم يترجم بعد أنفع منهما .

جئناك يا شدياق

جئناك يا شدياق ، وأيدينا فارغة إلا من الحكي ، واليد الفارغة مجوية . هكذا قال المثل .

ظننا أنك مستريح في بيتك، فاذا بنا نراك مهاجماً من كل صوب. الصبيان يلعبون على قبرك والقذارة للزنار . ظنناك خيراً مما كنت في تلك الوهدة ، وحسبنا أنك قد نجوت من غارات المكارين، فاذا بك غارق في بحر من الزبالة، الفسيل يطوق القبر ، ثياب فوقانية وتحتانية ، سادة وملونة كأنها بيارق تزين قبر صقر لبنان ، ولا عجب فالجيران لا يعرفون أي عظيم يجاورون ، والأدباء ، يا زعيمهم الأول ، لا يعنيهم من أمرك شيء ، والبلدية « خبر ما فيش » .

حين بدا لي القبر المهجور من دار الصياد ، بل قل من ناطحة السحاب ، طرحت على المحررين هذا السؤال : أتعرفون قبر من هذا ؟

كان الجواب صمتاً، ولم يعرفك احد إلا جار الرّضا صاحب الصياد، فقلت له : الجار ملزوم بجاره ، وبينك وبين الشدياق نسب هو فوق الجوار . لقد سبقك الى محبة المرأة حتى العبادة ، فهو يقول في مقدمة كتابه الفارياق : انما قصدت بتأليفه التقرب اليهن وترضيهن به ، وحسبي ان يبلغ مسامعهن ان فلاناً قد ألف في النساء كتاباً فضلهن به على سائر المخلوقات .

فابشر اذن يا شدياق ، فانت في جوار رجل يعرف قيمة الرزق ويؤلّه

الحسن والجمال . ولا شك في ان العناية ساقته الى جوارك ليكون ركن مزارك ومن اجل الورد يشرب العليق . ان من عرف كيف يبني ناطحات سحاب لا يعجزه ان يحميك من الغبار والتراب ، ويجعلك منارة ازاء منارة . ان من سعى فارسل ابطالاً تقهر المانش لا يصعب عليه ان يكرم من عبر الى كبريات عواصم الشرق والغرب وكان فيها العلم ، وظل سباح غمرة حق مات ، وما خيم قط في الشاطىء .

كانت الناس تمر ولا تسأل ، اما اليوم وقد قامت هذه المنارة على طريق الهند فماذا نجيب اخواننا اذا سألوا : قبر من هذا ؟

نحن لا نقول لجماعتنا : ارفعوا له تمثالاً ، فالتماثيل لا تقيم تماثيل .

ولا نقول لهم : احتفلوا بذكرى مرور المئة والخمسين على ميلاده ، فهذا لا يهمهم ، ولا يوبيل المئة لظهور كتابه الفارياق لانهم لا يقرأون،ولسنا نقول لهم : اعيدوا طبع كتبه ، احسبوها مثل غيرها من الرطانات التي تنفقون عليها بغير حساب .

ولكننا نقول لهم : احترموا الاموات . عيب عليكم وعـار ان تزدروا القبور . السلطان بنى له هذا الضريح ، فصونوه انتم وكنسوه على الاقل . ثم ما قيمة اللافتة ؟ ضعوا على الاقل بلاطة ليعرف المارّون ، من عرب وعجم ان الشدياق عربي لبناني انجبه هذا الجبل .أينام هذا العبقري في ظلام النسيان وهو ابن بلد الاشعاع ؟

ان هذا الكوكب السيار ملأ الدنيا هدى ونوراً فكيف يقعد قبره على جانب الطريق كالدروبش في اطماره ، أو كقنديل عتيق لا زيت فيه ؟

لماذا تتبجح بسيفنا والقلم ؟ فأي قلم عندنا قبل هذا القلم ؟ وهل للبنان فصاحة وبلاغة وفن قبل هذا الرجل ؟

من عادة البيوت العريقة أن تحفظ عتيقها لتدل على قدمها ، فماذا عمل بلد

الاشماع لاركان النهضة الحديثة ؟ هل يقدر ان يدل عـلى قناديله ؟ فأين قبر اليازجي ؟ واين ضريح البستاني، وأين وأين؟ ان الذبان الأزرق لا يعرف قبور هؤلاء .

ما كان أكبر دهشة محرري الصياد حين اومأت الى القبر وقلت ، جثناك يا شدياق . أنتم أيها الكتاب المحدثون جبران جد الصحافة العربية أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب . أنـتم جبران كاتب الفارياق ، وكشف المخبا ، وسر الليال ، والجاسوس على القاموس ، أنتم هنا تستلهمون الأديب اللبناني الأول ركن نهضتنا الوطيد الأركان أنتم جبران الرجل الذي أحب اثنتين في الدنيا : اللغة والمرأة ، ولاجلها وضع كتابه الفارياق

أما وقد حل قربه صاحب الجعبة ، فلا شك انه سيزوره في ليلة ما فيها ضو قمر ويقول : له الحقوق محفوظة يا سعيد . فيقريه سعيد واحدة من جعبته وكلها من ذاك الصيد الحلال..فيتعجب الشدياق كيف التقيا على صعيد واحد. صعيد محبة المرأة وانتقاد الاجانب

وتسمع ام البنين فتستيقظ على صوت العتاب صعوده وخفوته ، فتقول للفارياق الخير كثير ، والرزق قابر صحابه فعلام الخلاف ؟ !

فيقول الشدياق : أنا جئت ازور سعيداً جار الرضا وأشكره لأنه يتمّ ما بدأت به، فانتن، يا سيدتي، زينة الدنيا وبهجتها، وبدونكن الحياة لا تطاق .

ويلتفت إلى سعيد ويسأله . هل قرأت الساق على الساق ؟ فيجيب سعيد: الكتاب يقرأ من عنوانه .

ويقول الشدياق : وكشف المخبا ؟

فيقول سعيد : كما حسن كما حسين .

فيتنهد الشدياق ويقول : يا سبحان الله ! كيف التقينا . ولكن شتان ما بين الجارين ، أنت في هذا البرج الكشاف ، وأنا في ذلك الكوخ احتمل عبث

الصبيان ورقصهم فوق رأسي . فكر في أمري يا جار ، اما قرأت حديث نبينا صلعم : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى خفت ان يورثه .

لا تخف يا سعيد ، أنا لا أطالب بالميراث، جبر الله خاطرك بالشباب، ولكن أطلب أن تريحوني من الأقذار ، فنحن بنو الموتى لا نستطيع سد انوفنا .

ألا تعلم اني طالبت بعتق الرقيق في الآستانة حتى اقلقت صرخات الجوائب الدولة العلية وأرغمتها على منع بيعه ؟ أفلا تهب أنت مطالباً بعتق جارك من عبودية الأقذار؟ ما زلت أذكر قول مثلنا : الجار ركن الدار. وأنا لا أطلب شيئاً غير كوخ نظيف أستريح فيه حتى إذا جئتكم زائراً الصياد لا احمل معي عبيراً تسد منه الأنوف .

وكرهت رجعة الشيخ خائباً فقلت له وهو ينهض : ابشر يا شدياق، ابشر ان من بـقى فأعلى سوف يتبـّاك . سوف يوقظ الناس في ذكرى مرور مئة وخمسين عاماً على ولادتك وذكرى مرور قرن على فارياقك وترياقك . وما لنا عليك شيء الا ان تمدنا بشيء للصياد ، فكلّ الصيد في جوف الفرا .

فضحك الشدياق لجوف الفرا وقال ساجعاً : بشرط ان تخلصني من ال ...

آثار أقدام

لاميل خوري

عنوان طريف جداً لخير كتاب فيه النظرة العميقة إلى سراديب السياسة وأغوارها، فبينما تراه يبحث في غضون الاحداث العالمية وفروعها إذا به يتسرب الى الجذور التي تعيش في الظلمات وترسل أنفاسها زفرات مملوءة غازات خناقة.

فآثار أقدام رابورتاجات أمست وثائق تاريخية ، ولعلها أصدق من الكثير من حكايات التاريخ وأساطيره ، لأن كاتبها تتبع أفاعي السياسة في مساربها ودل على دروبها الملتوية . قلت الأفاعي لأن السياسة مثل تلك الحيّات ، لينة الملامس كثيرة المعاطب في تقلبها .. فالذي يقرأ هذا الكتاب الضخم يخال انه يقرأ أخباراً ومكالمات سطحية وهي أعمق ما يكون العمق . فالاستاذ اميل خوري ، وهو كاتب سياسي عالمي، يكاد يكون في كتابه هذا مستنطق الساسة العالميين ليجلو لنا عرائس أفكارهم جميلة وقبيحة وربما كان في القبح جمال يندر وجوده في الجمال المثالي .

ان آثار أقدام ، عنوان يوحي إليّ ما لا يوحيه الى غيري، عرفت صاحبه فتى طري العود حين كنت أنا شاباً فاميل الخوري خلق ليكون كاتباً سياسياً وقد قوّى هذه الملكة فيه ميله وطموحه . كان له في معالجة الشؤون العالمية ولع استحال غراماً ، فهو يقبل على موضوعه بكل قواه ويظل يغربل الحوادث وينخلها حتى يعطي القارىء اللباب فيكفيه مؤونة التعلل بالقشور، عفواً هذا تعبير أعتق من الخبز فالنخالة اليوم محمودة لأن فيها خير الغذاء .

ان اميل الخوري في عصرنا هذا كالشدياق في سياساته ينظر الى ما سيكون كأنه كائن ، حاد الذكاء ثاقب الذهن ، يـؤدي فكرته بعبارة سهلة ولكنها متماسكة ملزوزة فيها ملاسة الباطون المسلّح وصلابته .

فاميل خوري ، وأنا من رأى هذا البدر هلالاً ، لا يرقص على الحبلين ، فهو وإن اختبر حيل السياسيين ودهاءهم في نقضهم وإبرامهم ظل رجل عقيدة لا يتنكب عن الجادة التي يعتقد انها مؤدية الى الخير ، فهو يكتب مؤمناً وليست السياسة عنده تجارة .. لا يتنكر لمن يعرفهم مهما تقلبت أحوالهم ، فهو لهم وهم منزوون في منازلهم ، كما كان لهم وهم في أوج عزهم . وها هو يبدي لنا صفحته في مطلع كتابه هذا. أهداه الى الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية السابق في وقت تنكر فيه للرجل من كان أقرب المقربين اليه .

وأظلم أهل الأرض من بات «جاحداً» لمن بات في نعمائـــه يتقلب

أجل لقد أنكره من تقلب في نعمائه وراحوا يفتشون عن نعم جديدة ، وربك يرزق من يشاء بغير حساب .وهذا الرفيق القديم، اميل خوري ،يقدر الادب الرفيع لأنه أديب أصيل وسياسي ضليع ، ولذلك ذيل تقديمه الوجيز بهذه العبارة البليغة : فإلى سياستك الخارجية الحكيمة وإلى أدبـك السياسي الرائع ، أقدم هذا الكتاب

هذه عبارة إهداء الكتاب ، أما مقدمته فقطعة فنية تلخص هـذا المجلد الضخم الذي شعت فيه الاضواء فأثارت زوايا حـوادث الحرب الهتلرية . لا يتنكر اميل للتعبير الأدبي الرصين حين يتحدث عن مـاجريات السياسة العالمية ، فهو كالمصور الذي يعطيك بخطين ثلاثة صورة من يحدثك عنه كاملة إذ يقول : وشمبرلين عادر هذه الدنيا غير مخلف سوى ذكر الرجل الطيب المستقيم ، وغرنـــج وغوبلز مضيا على طريق الزباء « بيدي لا بيد عمرو » ، الى ان يقول : أما الذي ارسل الصواعق على العالم الوثني ادولف هتلر ، فقد

حملته اجنحة النار في جو من أجواء موسيقى وغنر ، الى مكان قصي في عالم الولهالا .

هؤلاء الرجال ، وغيرهم من ضحاياهم أو شركائهم في المآسي ، تنعكس صورهم على صفحات هذا الكتاب ويسمع دبيبهم بين سطوره ، وكلما غاب منهم فوج أقبل فوج حتى ليشعر القارىء انه مقيم وراء افق هذه الحياة على اشهر ما تكره النفس مما يصوره الموت .

وبين الماضي المظلم الذي حضرت القسم الأكبر من مقدماته ، والحاضر المضطرب الذي يتململ ابناء هذا الجيل من ظواهره وخفاياه ، وجوه شبه عديدة اهمها عود الكبار الى التصرف بصاير الصغار بمعزل عنهم وعلى كره منهم ، وانقسام العالم الى جبهتين متباغضتين تلوحان بالحق وتعززان القوة الخ.

لقد احسن الاستاذ الكبير اذ وضع هو مقدمة كتابه لانه لا يجد من يحسن تقديمه وتعريف القارىء به غير مؤلفه الفذ ، الذي ولد وشب سياسياً.

وكما وصف اميل خوري السياسي الداهية آثار اقدام غيره فليسمح لي ان اذكره في كلمة عابرة بآثار اقدامه ، هو ، وهي اولى خطواته . كان ذلك في جريدة النصير عام ١٩٠٨ ، يوم كانت النصير جريدة اسبوعية تهاجم ، كمجلة الصياد اليوم - الحصون لتدكها ولا تنهب القلاع وما فيها من عتاد الاستبداد .

في ذلك الزمان عرفت هذا الشاب الالمعي الذي دلتني وسامته على نبله وشرفه ، واعرب لي ما ترسله عيناه من شرارت نافذة عن المستقبل الذي ينتظره ، تبرع بمعاونتي في تحرير جريدة النصير فادخل عليها دماً جديداً ، وروحاً سياسية خارجية وداخلية اعجبت بها وقد زادت الجريدة عظمة شأن فوق ما كان لها .

ان هذه الربورتاجات التي تعتمد عليها الصحافة اليوم كان الشاب اسيل

خوري اول من ادخلها على الصحافة اللبنانية ، فهو اول من بث فيها روح التطلّع إلى الشؤون العالمية . سمع اميل بضيف خطير جاء بيروت زائراً فقابله وانتجت تلك المقابلة حديثاً خطيراً في ذلك الزمان نشر الحديث في عددين من النصير ٢١ و٢٨ اذار ١٩٠٨ ولا عجب اذا كانت ذيول الحديث ضافية فالمستر جفريس صحافي انكليزي ومدير شركة مباحث في لندن .

تناول هذا الحديث الشؤون السياسية والعمرانية التقدمية ، والنهضة الادبية ، وفي الحديث ظرف وطرافة احب ان تشاركني بهما . فبعد ان تحدث جوفريس عن البضائع الاجنبية الأكثر رواجاً في بيروت ختم هذا المقطع من الحديث بقوله لاميل : والاعجب اننا لا نرى فيكم ميلاً إلا للاحذية من مصنوعاتنا، فقد كثرت جداً عندكم حتى ان خدمة الفندق يستعملونها.

قال اميل : فقاطعته قائلا : ربما نكون وجدنا ان احذيتكم احسن شيء عندكم فلبسناها ، ونحن على ما تعهد نقتطف من كل شعب ما يروقنا .

واعجب جوابي المستر جفريس وكنت ظننته يسوؤه فضحك وضحكت قرينته معه . ولكنه لم يحلُ لابنته ، فنفرت ، ثم رجعت وعاتبت اباها على بقائه مصغياً لحديثي ومجيبا على اسئلتي ، ولكنه اكتفى بتقبيلها ، ثم قال لها ان تهتم بكلبها وتدعنا وشأننا ، على انني اعتذرت الى الفتاة فلثمت يدها وقلت لأبيها : وهل عادة تقبيل ايدي الاوانس آتية الينا من بلادكم ضمن الاحذية،ام نحن نقلناها عن الفرنسيس أم الألمان؟باعونا اياها كما يبيعوننا اقمشتهم.

فأجاب المستر جفريس ضاحكاً، وانتقل الحديث الى الادب فقال جفريس: وهل تقرأ نساؤكم الصحف ، وهل منهن كاتبات ؟ فأجابه اميل : اني احسب مدنيتكم،هي سبب تركهن مطالعة صحفنا ليتهافتن على قراءة روايات الافرنج.

فقال جفريس: كل شعب كبير بادبائه وكتابه فعلى كل بلاد ان تعزز ادبها وتحترم الكتبة فيها ولا سيما الصحافيين .

وحان الغروب واراد اميل الانصراف فلم يطلق المستر جفريس سراحه

إلا بعد شرب الشاي . وودعه إلى الباب الخارجي وقال له بالانكليزية : عند رجوعي إلى لندن سانشر في المورنن بوست مقالة في شؤون هذه البلاد . هذا إذا كان الامر لا يسوؤك .

فأجاب اميل : لا مانع إذا كتبت بقلم مريد الاصلاح .

ارأيت الخطوة الاولى ؟ فعلى هذه الاقدام سار اميل في الدنيا بخطى جبارة فتجلت عبقريته اللبنانية التي لا تنمو في تربتنا . وبعد اربعين سنة وأكثر التقيت اميل اول مرة في بيت وزير الدولة السيد صائب سلام، وثاني مرة منذ اسبوع في دار الصياد . وكنا ثلاثتنا . انا واميل والاستاذ سعيد فريحة ولعله الروح القدس .. ورحنا نتذكر امامه آثار اقدامنا، ودار حديث دسم لا محل لنشره هنا ..

والآن لنعد إلى كتاب آثار اقدام وكل ما اقول فيه انه لا يلخص ، ويجب ان يقرأ من الجلد إلى الجلد لأن فيه ثقافة سياسية عالمية ، عالجها اميل بخبرة هي اصيلة فيه ، وزادها روعة كونه كان مراسلا لأعرق واقوى جريدة عربية . وحسبك بعد ان تطالع ماجريات احداث الحرب الكونية الهتلرية ان تطالع اروع مقالات هذا الكتاب التي عنوانها خريف السلام ، وهي مرحلة الاستنتاج بل الفقرة الحكمية في لغة القاضين ، وهنا المشقة كلها كما يقول اميل .

يحكم اميل ، على ان الناس في الشرق والغرب ، بل في الغرب أكثر من الشرق ، متيبسون على تقاليدهم وعلى اهواء طبقاتهم ، فاذا قلت لاحد الديمقراطيين فيهم ان سهماً من سهامه قد طاش ، أو ان الديمقراطية التي هو من ركائزها اسفّت وصارت لاتنقبض عن الدون ولا تنفر عن منازل الهون، اتهمك بانك نازي أو فاشي وأوعز ان تبث حولك العيون والأرصاد .

وإذا قلت لنازي أو فاشي ان مطامع زعيمه طمست على عين الحق في امته، أو ان هذا الزعم يوقظ في نفوس الناس ، وقد طبعوا على التعدي والشر ،

اقسى الغرائز الحيوانية ، تجهم لك واغلظ الكلام .

وقد يكون اخف الكلام انك من دعاة الديمقراطية .

ثم يحمل حملاته الغواشم العوادل في وقت معاً مفلسفاً السياسة ودالاً على الطريق التي سلكت فأدّت إلى النكبة العالمية التي لم يسمع بعد بافظع منها فيقول : رافقت عصبة الامم هذه خمس عشرة سنة وجدتها فيها مرآة لتدني القيم في اوروبا ، ومقياساً لانحدار الحكام عن المثل العليا التي لا عزة بدونها لشعوب ، ولا كرامة للأفراد .

ان كتاب آثار اقدام الذي يرينا مطامع الدول بوضوح وصراحة ، واظن ان اللغة العربية لم تفز بعد باصرح من هذا الكتاب، ليس لي القول الفصل في هذا المقام ولكنني مقتنع ان ما اقوله هو الحق ، ولي من اعتقادي شفيع بضعف معرفتي بدخائل السياسة ولكنني مقتنع بكل ما قرأت ، وللقارىء المطلع على هذا الكتاب ان ينقض حكمه أو يبرمه .

ولعل الايام تتيح للبنان فرصة يستفيد منها من نباهة هذا الرجل وعلمه ، فهو يستطيع ان يقف مع دهاقين السياسة الكبار على صعيد واحد ، ووقفة النظير امام النظير .

هذا هو اميل الذي طار من عش النصير في قرن الشباك،وعاد الينا نسراً قشعماً يحدق بعينيه الى عين الشمس . كانت لي وله آثار اقدام،ولكن اقدامه استحالت اجنحة جبارة تحفق في سماء السياسة العالمية ، اما انا فبقيت بين اربعة حيطان اربي نسوراً وعقباناً، والله وحده اعلم بالمصير. طار هو بجناحين وبقيت انا أمشي على قدمين .

ان كتاب آثار اقدام يفتح ابواباً امام دولتنا الناشئة فهل من مستفيد ؟ وهل من يقول لهذا المؤلف سلمت يدك واثار الله طريقك كما اثرت ما كان مظلماً من طرقنا . كل الدنيا مثل بيتك . هكذا علمونا فلنقايس .

سيعودون

مسرحية رشاد دارغوث

الاستاذ رشاد دارغوث قصصي من الطراز الاول وقـــد ظهرت عبقريته القصصية في اولى رواياته « خطيئة الشيخ » فقفز بها الى الصف الاول ، وكان في طليعة ادبائنا الافذاذ . على خطيئة الشيخ قـام صرح شهرته ، ثم اتبعها بمجموعات قصص قصيرة حالفه فيها التوفيق الفني . فالحاج بجبح ، وحمامـة الوادي، وعلى دروب الحياة، وتوهاتا، فيها من روائع الاقاصيص شيء كثير .

وها هو اليوم ينتقل الى المسرح فيكتب لنا مسرحية « سيعودون » الضميريعود الى المغتربين،والضمير لا يعود الى متأخر لفظاً ورتبة فهل يعودون هم بعد التقدم ؟ الله اعلم بالسرائر .

نهج رشاد نهج تيمور في اقاصيصه واغلب الظن انـــه اراد ان يكون له مسرحيات مثله. ولكن يبدو لي انه في مسرحيته هذه أوفر حظاً من الاستاذ تيمور ، لأنه انتزع مسرحيته من صميم حياتنا وقد عمل بقول ارسطو المعـلم الاول : ليست مهمة المؤلف المسرحي ان يصف الواقع بل الممكن وقوعه .

قسم ارسطو ابطال المسرحية الى ثلاث فئات : فئة هي فوق الناس أي الآلهة وهؤلاء فاتهم الزمان ولم يعد لاصحاب العروش خـبز في مسارح هذا العصر ، فقد حل محل الملك «راعي البقر» الذي سيأتيك خبره في سيعودون وفئة ثانية هي مثلنا ، وفئة ثالثة هي دوننا . أما شخوص مسرحية رشـاد

فيظن أنها نسخة طبق الاصل عنا ، ولكنها ليست واقعية بهذا المقدار ولهذا جاءت كما يجب ان تكون المسرحية الحق .

فمسرحية « سيمودون » ذات اشخاص يسيرون في حياتهم سيراً هادئاً مطمئناً وهذا مصدره شخصية المؤلف خالقهم .

قالوا في المواليد الحقيقيين : الابن سر أبيه ، ومن يشابـه أباه فما ظلم ، فنحن يحق لنا أن نقول : بورك في البنين الصالحين يا رشاد . فهذه المسرحية وإن كانت من عمل خيالك فهي لا تختلف عن الحياة ،فعندما نقرأها لا نتمالك أن نقول: الحياة هكذا. وربما قلنا أيضاً عن أكثر شخوصها: هذا مثل فلان .

لقد طرق رشاد ناحية بكراً من نواحي حياتنا الحاضرة ولم يعش في فردوس الماضي السعيد المفقود ، لقد صلى على الحاضر وأكلنا من مأدبته طعاماً شهياً . فقصة مسرحيته من مستوى رفيع لا تصف مكانـاً ضيّق المحيط ، وحوادثها ليست من الشؤون الميتة بل تصف نصف شعب أو أكثر وتمثـل لنا في سعيد « بك » الابراهيم راعي البقر نسخة غير نادرة الوجود .نسخ رشاد أبطاله عن سجل الحياة ووهبهم حواره وأسلوبه حياة لا هي بالصاخبة ولا هي بالبليدة . فوظيفته التي تريه كل يوم صوراً ألوانها شتى وملامحها أشكال هي التي خلقت لنا أمّ هالة المنتظرة لبنتها صهراً مليونيراً ، فجعلها حلمها المـاسي تهجس بسجل التشريفات. أليس أول ما يفكر به القادم الينا هو أن يعرج على القصر ويدون اسمه في سجل التشريفات وسيان عنده إن تشرف بالمقابلة أم لم يتشرف.. أما لحس الفرن على ريحة الكبة ؟

فمسرحية « سيمودون » مدنية ولكنها تنظر إلى الضيعة وتستلهمها . أما قال المحقق للدكتور : لا شكر على واجب .. فنحن من « ضيعة » واحدة ! فالشخوص جبليون احتلوا المدينة ولم يختف بعد طابعهم ،وهم كبطل المسرحية سعيد الابراهيم الذي لم تختف ملامح جبليته وإن ولد وتربى في امريكا .

فهذه المسرحية الطريفة مرحة ، ولكن مرحها مبطّن بالسخرية من أبطالها ، وركائزها الفنية قائمة على النقد الاجتماعي ، وهذا النقد موحى به من هناك . وكأني برشاد يقف في ديوان الرئاسة مستعرضاً الأنماط ومنتقياً منها ما يلائم موضوعه . وكم نحن في حاجة إلى من يصوّر لنا هذه المشاهد في حياتنا ، وهل يحسن تصويرها إلا من كان كالأستاذ دارغوث شديد الاتصال بالقصر ومن يتهافتون على اعتابه ؟

ان الكاتب الفنان الأصيل يستلهم الشخوص الأحياء الذين تقع عليهم عيناه ، فيستعير منهم ما يلائمه ويترك ما بقي الى موعد آخر .. فربما احتاج اليه . إلا أنه يكيّف ويحوّر كما تقتضي الحال ، واذا كان يخشى ان يفتضح أمره ويغضب من صوّره ، فانه يضع في بطاقة الهوية التي منحها لذلك الشخص ، علامة فارقة تزيل الشبهة وتبعد الظن . ورشاد دائماً في تأمّل وتألّم ، لأنه من طبعه سامٍ ويتسامى دائماً دافعاً نفسه الى المثل الأعلى ، بل الى قمة المثل الأعلى . متأمّل لأن كل شخوص مسرحيته مخلوقة طبق نماذج ، ومتألّم وألمه الحاد يظهر من عطفه على الموظف الذي رزقه الله أولاداً بغير حساب ، خمس توائم . وتتحرك عاطفته الانسانية العميقة فيهيّىء له سعيد الابراهيم بطل القصة ، فيتبرع له على طريقة الامريكان بعشرة آلاف دولار، وهكذا أصاب عصفورين بحجر واحد.صور شقاء الموظف الأمين وما اكتسبه المهاجر من خلق الأمريكان، وان كان راعي بقر كسعيد الابراهيم. ثم يصوّر هذا المغترب يهب الممرضة ادماء التي سهرت عليه وأحبها نصف مليون ليرة ، كما يهب أمراء النفط مثل هذا المبلغ بضربة واحدة كبخيل الجاحظ تماماً

قد يقول القارىء أليس من حقي عليك ان تلخص لي هذه المسرحية على الأقل لأفهم ما تقول وأمشي معك على ضوء ؟

– على راسي ، يا عزيزي ، سألخصها لك بشطحة قلم ، فأنا يشغلني الفن

عن الموضوع وقد أعجبت جداً برشاد ومسرحيته . الموضوع بسيط جـداً : مهاجر – سعيد ابراهيم – تنتظر بنت عمه قدومه السعيد لتزوجه بنتها هالة، الفتاة الجامعية المثقفة ، تريد أم هالة ان تقبر الفقر وتصير حماة مليونير .

ويجيء المليونير « راعي البقر » فتخف أم هالة وبنتها لملاقاته في المطار، ولكنه يذهب تواً الى البقاع كما نذر ، ليأخذ من تراب ضيعته تنكة ويرشها على قبر أمه في الوطن الثاني ، فيتعس به الحظ وتصطدم السيارات في طريقه الى بعلبك فينقل الى المستشفى جريحاً حالته في خطر . ولجهلهم هويته يحمله المستشفى رقم ١٣ ، ولا شك في ان المؤلف يريد أن ينتقد هذه الخرافة المهجرية... وتبحث أم هالة عن ابن عمها فلا تعرف أين هو، وأخيراً تهتدي إليه وتتعرف عليه ، فيكون قد وقع ، بعد أن أفاق من غيبوبته، في شراك الممرضة الجميلة ادماء ، فتظل بنتها هالة الجامعية طريدة حبيبها جميل ، الموظف في شركة التأمين . وعندما يصح الصحيح تهتف أم هالة بابن عمها وهي يكاد يغمى عليها : يا ويلي عليك ! قطعت الحبل فينا . وهنا لا بد من ملاحظة: ان حذف الشطر الاول:وصلتينا لنص البير، يدلنا على ارستقراطية رشاد الأدبية وترفعه عن درك العامية ، فهو يريد ، كما نريد أيضاً ، ان يكون أسلوبه بين بين .

وبعد ، فماذا أريتك من هذا التلخيص ؟ أريتك العمود الفقري وليس كل الهيكل العظمي ، والجمال كله في اللحم والدم أي في التفاصيل ، وهذا ما لا أستطيعه . اني انصحك ، اذا أردت ذلك ، ان تكتب الى الأستاذ دارغوث لعلك تحصل على نسخة لأن الخمسماية نسخة التي طبعت ليست معدة للبيع ، أو اكتب الى شاعرنا الكبير البلبل المهجري الصداح الأستاذ جورج صيدح فهي مهداة اليه ، وهو رمز المغترب النبيل .

ان قوام المسرحية ثلاثة أشياء: الموضوع والأشخاص والأسلوب.فالموضوع

وهو ما رأيت من صميم الواقع ، والأشخاص كأنهم أحياء يرزقون تتعرف عليهم في كل مكان من لبناننا السعيد ، والأسلوب غير بعيد مما يدور على لساننا ، فكل هذه العناصر مما يقع في آذاننا وتحت بصرنا . والحوار ، وهو دم المسرحية ، طريف ظريف ، تهكم كأنه ملبس على لوز مرّ ، وحوادث المسرحية يسيرها تداعي الأفكار فاتصلت أجزاؤها اتصالاً دقيقاً .

السائد في هذه المسرحية هو النقد الاجتماعي ولذلك توميء من طرف خفي إلى الجامعيين والجامعيات ، مقيمين ومغتربين ، كما يستدل من محاورة جميل وهالة في الفصل الأول من المسرحية :

جميل - ولكن الذي بيننا ..؟

هالة – وماذا بيننا ! أنت عندي رفيق يساوي سواه من الرفاق .

جميل - أليس لي شيء خاص من دونهم ؟

هالة – أنت تعني أنني أطمئن اليك فأرافقك إلى السينما مثلاً .

جميل – لا ، لا ، هذا شيء بسيط .

هالة – وأرافقك إلى شط البحر .

جميل – لا لا ، وهذا شيء بسيط أيضاً .

هالة – اذن ماذا تقصد بالشيء الخاص ؟ إحكِ . ها ها تذكرت ؟ أنت تعني أنكَ ساعدتني في اعداد أطروحتي .

جميل – وكيف تعلنين هذا السر الخطير ؟

هالة – خطير أو غير خطير. ساعدتني كما يساعد غيرك غيري . هل تظن أن واحداً من الطلاب أو الطالبات يعد أطروحته بنفسه دون مساعدة الغير !

جميل – على كل حال إذا ساعد الطالب أو الطالبة شخص أو أكثر في إعداد الاطروحة فذلك خير من أن تكتب لهما تلك الاطروحة بكاملها .

هالة – كما يفعلون في بعض العواصم الغربية .

هذا في الفصل الأول ، أما في الفصل الخامس وهو الأخـير فيقول رشاد مخبراً منتقداً بلسان البطل ، يسأله المحقق عـن اسمه فيجيب : اسمي سايـد ابراهام في أمريكا ، وهنا سعيد الابراهيم . ما اسمك انت حتى نتعارف !

فيقول الطبيب : سعادته يوسف بك ابو نبوت المحقق الاداري .

فيجيب سعيد : أنا في أمريكا راعي بقر ..

ثم ما أبلغ قول الطبيب وهو يصف جثة القتيل:فالرأس رأس رجل أمي ينطق بالجهل والغباوة ، والجثة جثة انسان تضج مظاهره بالغنى والترف .

ويدور حوار حول كلمة «الجريح المزبور» ثم يقع الخلاف حول كلمة قضاء وقدر وباذن الله . ولا يسلم « التحقيق » من قرصات ولذعات ، فيقول المحقق أولاً : الحادث وقع قضاء وقدراً كما اوصى بذلك معالي الوزير . ويقول ثانياً عند نهاية التحقيق : في فمي ماء . اكتب يا بني مـا أمليه عليك ، فقد أمرنا بحفظ هذه الأوراق الى ... اشعار أخر .

ولو جئت أدل على مثل هذه النكزات المؤلمة في المسرحية لنقلتها كلها ، فهي مبنية على النقد من كل لون . ولو كان يلدغ المؤمن من حجر مرتين لقـلد رشاد سعيد بك الابراهيم وساماً رفيعاً،لأنه لا يقل أهلية وكفاءة عن سواه.. ولكن الملدوغ يخاف من جرة الحبل، فقد كفاه ما جنت عليه احدى رواياته وأمرها لم ينس بعد .

وإذا اجتزت هذه المسرحية من بابها إلى محرابها رأيت على جانبي طريقك ما تفيض به قريحة المؤلف من نقدات عابرة تظنها غير مقصودة وهو يعنيها . يصب جام سخطه على الجامعات والجامعيين فيقول بلسان هالة: والجامعيون، هل لهم حديث غير الحب .. واغراء الفتيات ؟

فيجيبها جميل : في عهدنا كانت الجامعة أعلى مستوى ، لأن أساتذتها كانوا علماء منتجين وأدباء موهوبين ، ومفكرين أحراراً .

فترد هالة : أمـا في عهدنا فالجامعة صارت تساوي غيرها من المؤسسات التجارية وأساتذتها مثل سائر المعلمين .. لا رسالة ولا انتاج

والمليح في الاستاذ دارغوث أن شخصيته لا تظهر أبداً ، ولا يفرض على شخوصه ملامحه وأفكاره فرضاً أبلق،ولكنه يفعل ذلك من بعيد . فمسرحيته « سيعودون » رواية عصرية من صميم الواقع ، بل هي خبزنا اليومي تقع أعيننا على مشاهدها كل ساعة في البيوت ، وعلى الميناء ، وفي المطـار ، فلبنـان يودع كثيراً ويستقبل قليلاً ، وان استقبل من بنيه أحـداً فكما قال الشاعر العتيق : كان تسليمه علي وداعاً .

لقد اقترب رشاد من الحياة أكثر من مسرحيينا، ودنا من البساطة التي هي عنصر الفن المسرحي الرفيع أكثر وأكثر ، وقـد كان في الامكان ان يكون الحوار أكثر بساطة لو تنازل رشاد قليلاً عن ارستقراطية الاسلوب، وتقديسه للعبارة القديمة وهربه من الدخيل فيقول : غطاء رأسه بدلاً من قبعته . يدلك على هذا اعتذاره في المقدمة، فلا عجب اذن اذا اصطبغت هذه القصة الحوارية بالطابع الاقليمي وان كانت انسانية النزعة

ليت شعري هل كتب موليير وموبسان وجميع كتّاب الروس غير قصص اقليمية : ان الاقليمية والانسانية ليستا كالخراسانية والهمذانية لا تجتمعان كما قال بديع الزمان في رده على كتاب استاذه احمد بن فارس .

لا نبحث الوحدات الثلاث التي كانت معبودة الفنانين القدماء ، فتلك قيم ولّت مـع ما ولى من المقاييس الكلاسيكية . يكفينا من أديبنا الفنان الملهم هذه القيم الأدبية والأخلاقية فمجتمعنا احوج ما يكون الى كاتب كبير ينتقده هذا النقد الصارم المضحك المبكي بمثل هذه الصور الحية التي لا تمثّل فيها .

اما العقدة فهي عصرية ، انهـا انشوطة تُحل بسهولة ، وكذلك ابتـداء المسرحية. الكاتب خباز، وكما يسهر الفران الحاذق على ما يصدر للناس فيبعد

الأرغفة المحروقة والمشموثة ، كذلك يفعل أديب كرشاد دارغوث . ان ذوق الجمهور قد ارتقى فعلينا ان لا نقدم له حجارة فنية بـل رغيفاً سخناً رافحاً شهياً . اننا نحتاج الى الكاتب كما نحتاج الى الخباز « الأسطا » الاستاذ ، فعند الاثنين غذاء لا بد لنا منه .

قد تعودت ان اناقش التقديم أولاً، ولذلك أراني مضطراً أن أناقش الاستاذ . فريد مدور نقاشاً عابراً مثـل درس نوابنا للمشاريع التي لا خبز لهم فيهـا . فالاستاذ مدور كاتب مسرحي موفق ، وله الحق ان يبدي رأيه لانـه خبير فني في هذا النوع . قال الاستاذ في تقديمه لهذه المسرحية. ولن يكون المؤلف ناقداً ولا الناقد مؤلفاً . وأنا أرى ان الاثنين يكونان . فاذا لم يكن المؤلف ناقداً فمن ينقّي له ما يكتب من الزؤان ؟ هل يستأجر من ينقّي ويغربل له كما نفعل بالقمح قبل طحنه؟ امابقية آراء المدور في الاخراج والتمثيل والمسرح والنظارة فوجيهة جداً ، وعليها يتوقف نجاح المسرحية لانهـا تكتب لتمثّل لا لتقرأ .

فالاستاذ دارغوث يحتاج الى مشاهد لبيب يفهم من الاشارة لأنه لايكتب بالقلم العريض كما نقـول ، ولهذا اني أتمنى لهذه المسرحية جمهوراً فاهماً لا من الذين يطربهم الغناء الرخيص والطعن والضرب والقتل ، والقبلات التي تستمد لحنها من مفرقعات الاعياد ، ولا مطارحات الغرام المبتذلة .

ان الاستـاذ يقسو على المجتمع باشمئزاز مبطّن بدبلوماسية المحيـط الذي يعيش فيه ويفرض عليه النعومة ، ولو كان غير موظف لأرانا غير ما أرانا ، ولكن حسبه انه الاديب الذي لم تلهه وظيفته عما خلق له ، ولا خوف على الراغب من انتقاص ملكته ، فان طال الزمن أو قصر فلا بـد اننا في النهاية نعطي ماعندنا —انك اذا فتشت في رشاد عن فصاحة وبلاغة فانك تجد رجلاً قبل كل شيء، رجلاً فنياً مطبوعاً يلبس الحقائق ثوباً منمنماً. ان العلم كالحساب

جفافاً فنياً ، اما الفن فهو علم من نوع آخر ، تقبله على انه فن وهو في الحقيقة علم ، ولكنه بسّام ضاحك كما هو عند رشاد . ان العلم لا يتمتع بـه الا نفر قليل تمتعاً منقوصاً . اما الفن فيتمتع به الناس تمتعاً كاملاً غير منقوص .

كنت احب ان يكون ختام المسرحية ازخم فيزود رشاد النظارة بشيء يبقى لهم ليأتوه بالاخبار كما قال طرفة ..

اشهد انني بعد عشرين عامـاً ، اي منذ أصدر رشاد خطيئة الشيخ ، قد رأيته في « سيعودون » كما هو في تلك من حيث النضال الاجتماعي وهذا يدلنا على عقيدة رشاد الراسخة ومحاولته الاصلاح . وهذا ما جعلني أترجى لآثاره النفيسة عمراً طويلاً .

نداء الاعماق

لعبد الخالق فريد

عندما قرأت عنوان « نداء الاعماق » للشاعر عبد الخالق فريد تداعت الافكار وتذكرت المزمور المائة والثلاثين الذي لا ازال اعرفه . وكيف انساه واجراس الكنائس تقرع في السهرة بضع ضربات داعية الموارنة لتلاوة « من الاعماق صرخت اليك يا رب » تخفيفاً لعذاب الانفس المعذبة في المطهر ؟ .. وما اقرب الشبه بين المطهر الكائن في قلب كل شاب ، والمطهر الذي لا نعلم أين هو كائن .

ولم يخب ظني حين تصفحت الديوان ، فقد رأيت بعض قصائده متوجة بايات سليمانية فقلت : لقد جمع عبد الخالق فريد نزوات داود وابنه سليمان ، ولكنه بكّر في التشاؤم .

فمن الرسم الذي زين به الشاعر ديوانه يبدو لي انه في عز الشباب. وحيث انه صدّر ديوانه الصغير بقصيدة « ليلة نواسية » فمن بضاعة ابي نواس نستعير تبرئة توجهها إلى عبد الخالق فريد . قال النواسي ، غفر الله له :

انا ابتدعت الهوى وحدي فتظلمني هذا نبي الهدى داود قد عشقا

فلو كنت ممن تبهرهم الكلمات الجديدة لقلت ان صاحبنا عبد الخالق شاعر وجودي بوهيمي ، وها هو ذا في ليالي بغداد فيرى بدربه حانة ، وعلى بابها نديم جميل :

فاتر اللحظ اشقر الخد يرنو وينادي بالغنج : هلا تميل ؟

ويطيع الشاعر ويلبي ، ويذهب مسرعاً بصاحبه وهو خائف من ان تحل بالكون نكبة سادومية ثانية وتفلت الطريدة من مخالبه . . ثم يذهب السكر بالالباب فيقول الشاعر بلسان ذلك الرشاء الاغن كما قال النواس من قبل :

ثم ازجى اليّ نظرة لوم وهو دامي الشفاه يهذي بلثغ
كل ما « غمت » يا لعين تقضي دون «شغب» المدام ما كان «يخفي»

فهو يلثغ بالراء وقد استحالت غينا كما لا يخفى على القارىء اللبيب . وفي آخر الديوان يعود الشاعر الى هذا الحبيب (الالثغ) فيذكرنا استملاح الجاحظ اللثغة الظريفة . وفي هذه القصيدة التي عنوانها « حانة الذكريات » يباهي الشاعر ويبتهر مفتخراً بنواسيته وشذوذه .

اتغنى والدهر غال الأماني ويعينيّ ادمع لا تجف
ان ارى ساعدي تطويك طيا وشفاهي على شفاهك يغفو
انفض الترب يا نوامي واشهد بعد عشر من القرون المواضي
انت لست الأخير فيمن تمنوا واحبوا ذوي العيون المراض

وعلى ذكر هذا الحب العارم نقول للشاعر عبد الوهاب فريد ما قاله أبو نواس للأمين :

بارك الله « للفريد » وأبقاه وأبقى له رداء الشباب

ولكن بشرط ان يستعمله على حقه فلا يزرع حيث لا يحصد ! ...

أما ما قاله الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري في شاعر نداء الاعماق في المقدمة التي جعلت ذيلا ، فأرى أنه غالى في امتداح فصاحة لهجة عبد الخالق فريد وطابعها ، كما انني لا أوافقه على تسمية هذا الشعر الاباحي لغة الروح ، فاذا كان هذا الشعر لغة الروح فكيف تكون لغة الجسد يا ترى ؟

لقد شبه قصائد « نداء الاعماق » بغزليات ابن أبي ربيعة وغزليات عمر هذا لا تعرف حرفاً من لغة الروح ، فهو كما قلنا عنه مرة : انه كالقصّابين

تعنيه الأليّة أكثر ما يعنيه اللسان ، ولا يفهم المرأة إلا جسداً جميلا بضاً .

ولا أدري لماذا لا يكون الناصري صريحاً ،فالشاعر حدثنا عن السادومية لا عن الخمرة ، فأي مبرر لذكر خمريات النواسي والشاعر عبد الوهـاب فريد يبحث معصيته بصراحة وقحة ، ولم يستتر كما أمر.ولا تأويل في مورد النص.

وبعد ، فلست أرى في هذه الموضوعات التي عالجها شاعر «نداء الأعماق» تجديداً ، فهي نواسية صريحة،ولا أحسب تجديد أبي شبكة من مثل هذه حتى يذكره الناصري في هذا المضيق.ولعلي لست أظلم احداً إذا قلت اننا لا نزال بعيدين عن التجديد وما برحنا غارقين الى الآذان في التقليد . فشاعرنا واحد من اثنين ، إما ملتفت إلى الغرب ، وإما متطلع إلى الوراء يريد أن يطبع على غرار من تقدموه . أما تطلعنا الى نفوسنا الذي يمكننا من خلق الجديد ، إذا كنا ملهمين ،فهذا لا نعيره اهتماماً.ولهذا أرى جمهرة كتابنا وشعرائنا يريدون أن يكون لهم جديد ولكنهم لا يعثرون عليه لأنهم يفتشون عنـه في غير زمانهم وذواتهم .

قد يكون دم القلب خمرة الاقلام كما قال أبو شبكة ، ولكن الشعر ليس عاطفة فقط ، بل ليس عاطفة الطوطم والطابو وحدها ،فهناك شؤون وشجون يجب أن يعالجها الشباب وإلا صار شعرهم نغمة واحدة . وليعذرني السيد عبد الخالق فريد إذا قلت له : ان عاطفته مكشوفة العورة ، ولو كان في العورات المكشوفة جمال لما تكلف الناس لبس الديباج والشفوف ، ولما كان للخياط البارع رغيف خبز في معجن الحسان. إننا نطلب من الشاعر ولو نقاباً شفافاً حتى نقول مع صاحب سفر الجامعة : ها أنت جميلة يا حبيبتي ، عيناك كحمامتين من تحت نقابك

أما الهنات التي أشار إليها الاستاذ الناصري ،فهي هنات نجدها عند أكثر شعراء هذا الزمان ، ولكنها غير هينات ، كما قال القدماء ، وإذا عنفتهم

هزئوا وأجابوك بقول الغريري الذي ختم به نقاشه : ان الشعر والادب الذي يحمل عنصر الخلود يعيش حتى إذا كان نزرة بالمعنى اللغوي وغير اللغوي.

لا . لا أرضى . فاذا كنا نريد أن نحافظ على كياننا يجب أن نحافظ على أصول لغتنا حتى تأتي الساعة التي نستبدل بها قاعدة بقاعدة ، أما الفوضى فما تبشرنا بخير .

حول البياتي والسياب

حين تلقيت العدد ٥٨٣ من جريدة الحرية العراقية الصادر بتاريخ ١٦ نوار الماضي كنت محبوساً « قلعة بند » كما كنا نعبر في العهد التركي . أي انني كنت مقيداً بسلاسل « ريحيم » ثقيلة . وحسبك من الريحيم ضغطاً، دونه ضغط الدم ثقلاً ، ان يكون العمل محظوراً عليك حتى يتبادر إلى ذهنـك ان كلمة ريحيم مشتقة من الرجيم ونعوذ بالله منه .

والآن وقد أخلي سبيل السجين ، فيطيب لي أن أتحدث هنيهة إلى السيد عبد الوهاب الغريري . قال الغريري في مقال عنوانه « مارون عبود والشعر العراقي الحديث » :ومن يقرأ مقال الاستاذ مارون يعتقد بأن الرجل لا يعرف من العراق إلا شاعراً واحداً يعتبره المجـدد في الشعر ، وان الشعر العربي في العراق يسير على نهجه ، وهذا الشاعر هو البياتي .

لا يا عزيزي عبد الوهاب ! عجباً كيف أريكم السهى وتروني القمر ؟ فلو كنت قرأت غير جزء من مقال لعرفت انني غير راض جدا عن شعر سميّك عبد الوهاب البياتي الذي يقلد فيه ايليوت شاعر امريكا المعاصر، فجاء معظم قصائد « أباريقه المهشمة » أشبه بصراخ المنادين في زواريب الاحياء : شروال عتيق للبيع الخ ..

فاذا قلت للشاعر يوسف نمر ذياب: ان خطيئة الايليوتيين عندكم وخطيئتك انت في رقبة الشاعر البياتي ، فلا يعني هذا انني فضلته على الشاعر بدر شاكر

السياب ، ولا زعّمته على شعراء العراق كما انني احتج بشدة واصرار على قولك انني لا أعزف إلا شاعراً عراقياً واحداً هو البياتي .

قد تعجب إذا قلت لك انني عرفت شعراء العراق جميعاً الا البياتي ، وما نقدت شعره الا «عرَضا» ، ومن خلال دراسة جيدة للدكتور الاستاذ احسان عباس وقعت في آخرها على نماذج بياتية ..

فاذا رجعت الى كتبي رأيت انني عرفت جميع شعراء العراق من الزهاوي الى الشبيبي ، الى الشعراء المعاصرين قاطبة : من نازك الملائكة الى مقبولة الحلي . ويكفيني معرفة بشعراء جميع البلاد العربية ، وخصوصاً العراق، انني كنت ناقداً للشعر والنثر في محطة الشرق الادنى مدة ثلاث سنوات ونصف ، وفي كل اسبوعين كان يذاع لي مقال ثم ينشر في مجلة المحطة النصف شهرية . فأقول ، ولا فخر، انني عرّفت قراء العربية في جميع الاقطار بشعراء العراق قدماء وجدداً . وما عليك إلا ان تطلع على كتبي : على المحك ، مجددون ومجترون، دمقس وارجوان ، وفي المختبر، وجدد وقدماء، وعلى الطائر، لترى انني اول من تنبه الى هذا الفيض الشعري الغزير عندكم الذي يرمي أواذيه العبرين بالزبد .

انا يا عزيزي ممن لا تخدعهم الشهرة ، ولا تقعدهم عن النظر فيما قيل لا فيما يقال . فلو قرأت ما كتبته عن شاعركم الفحل محمد الجواهري حين حمل الى لبنان عقوداً من الخرز ، لما اتهمتني بمعرفة البياتي لشهرته في البلاد العربية وتغاضي عن شعر شاعركم الملهم حقاً بدر شاكر السياب. ثم رحت تعد لي دواوينه: « اساطير » و « الاسلحة لأطفال » و « المومس العمياء » ، ونسيت ان تذكر ديوانه « أزهار ذابلة » الذي تفضل علي به بتاريخ ٤٨/٤/٢٦، وهكذا أكون عرفته ، وقلت فيه، ولم اتحفظ كصديقي المرحوم رفائيل بطي: انه سيكون شاعر جيله المجدد، ونصيراً للمضطهدين «من كل إس وجنس» كما قال البحتري.

واذا وقعت عينك على الصفحة ١٩٣ من كتابي دمقس وأرجوان تقرأ ما يلي : وفي العراق ثورة فكرية عارمة تبشر بطوفان ينزل منها العصم من كل منزل، فأكثر شعر شعرائه نضالي كفاحي . وتقول انت عن شعر السياب : ولكن ربما لم يتهيأ لهذا الشعر ان ينتشر في البلاد العربية كي يقف الاستاذ مارون على قدميه وهو يقرأه .

قلت لك انني في عداد المعجبين بشعر السياب وخياله وتعبيره وتفكيره وانتصاره للانسانية بيضاء وسوداء ، طاهرة وعاهرة ، وهو أقرب شعراء الرافدين الى النهج الايليوتي الذي يستهوي شبابكم اليوم ، كما استهوى شبابنا شعر فرلين وسامان ومالرمه فيما مضى . اما وقوفي على قدمي ، واظن انني لا أقف على رأسي، حين أقرأ شعر السياب فأرجو ان تعفيني من ذلكالوقوف لانني لا استطيع الانتصاب طويلاً الآن ، ولا اتأخر عن ذلك متى قدرت ، بل على أكثر من ذلك أي الركوع والسجود وسائر ما يفرض على عبادالادب من نوافل ...

واخيراً انك وتطمئنني على بقاء الشعر العربي عربياً ، وهو يسير في طريق التجديد . والذي يجب ان نتذكره دائماً ان الشعر والادب الذي يحمل عنصر الخلود يعيش إذا كان ثرثرة بالمعنى اللغوي وغير اللغوي .

الجواب : هذا هو مرض هذا الزمان وهو أشد انتشاراً عند الشبابحيث كانوا ، لأنهم يريدون ان لا يفكروا . وللتسهيل والتيسير تمخض الجبل فولد فأرة . كتب طه حسين : (على) علا ، و (الى) الا ، و (متى) متا ، حتى لم ندرِ مـا يصيب متّى وعيسى . فالى الذي لا يقدر على غير الثرثرة اقول : عندك الموّال البغدادي ، والمعنّى والقرادي اللبنانيان وهلم جرا .

ان شبابنا لاهون بالطوطم والتابو والنرجسية وغير ذلك منأسماء حديثة، وهي لا تدل إلا على معانٍ قديمة . فهذا التجديـد الزيف لا يبرر ثورتنا على

ميراثنا القديم. لقد عرف الأولون شريعة الفحل وكانوا كلهم فحولاً. ولكنهم لم يسمّوها طوطماً وتابو ، كما عرفوا اقصى الاعجاب بالنفس عند المتنبي وان لم يعبروا عن ذلك بالنرجسية . .

وانني أرجو أن أكون ذكّرت الاستاذ الغريري برأيي فيالشعر العراقي لا أعدت النظر فيه ، فأنا معجب بشعرهم حتى النرجسية ...! فقد كان للعراق آراء في الحياة لعل سارتر صديق الشباب الحائر لم يصل إلى أبعد منها ، كما أن الخطيئة الأصلية في المسيحية هي الطوطم الأكبر . ان الاعراض تتغير ، أما الجواهر فتظل هي هي وان حملت أسماء جديدة .

ثورة في الصحافة

لسامي عزيز

حين نتحدث عن مثل كتاب « ثورة في الصحافة » نضع مقاييسنا الأدبية جانباً ، فمثل هذا الكتاب يصلح دستوراً للصحافة التي تريد أن تتحرر من عبودية التقليد ، فمصطفى أمين وتوأمه علي مبدعان ومجددان . كانا تلميذي روز اليوسف ، ثم صار لهما تلاميذ في كل مكان . كنا نتعجب من النجاح العظيم الذي تحرزه الصحف العالمية ، وكنا نظن ان ظهور الأبطال الذين يرفعون امتهم إلى الاعالي أمسى نادراً ، وكنا نتحدث عن فولتير وروسو اللذين مهدا الطريق للثورة الفرنسية ، وكنا نستغرب ان يفعل القلم ما فعل على يد هذين الفيلسوفين ، حتى قام التوأمان مصطفى وعلي امين بما قاما به من انقلاب دك عرشاً ظل ثابت الأساس قرناً ونصف قرن .

أجل ، ما دامت النساء تحبل وتلد فلا بد من انتظار المفاجآت في محصول جديد من نوابغ الرجال العصاميين العباقرة ، وشكراً للاستاذ سامي عزيز الذي أهدى اليّ هذا الكتاب « ثورة في الصحافة » فأيقنت ان الصحافة صاحبة جلالة ، ولكن بدون تاج ، لأنها هي التي تزيح الدنيا من أولياء العهد الذين هم بليّة الشعوب . أما دكت ولاية العهد أساس الامبراطورية العربية ؟ وهل ثورة الشاعر دعبل الخزاعي على الخلفاء العباسيين دون ثورة مصطفى وعلي أمين على فاروق ؟ قال دعبل .

أنـّى يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

ان كان ابراهيم مضطلعاً بها فلتصلحنْ من بعده لمخارق

اما ما قاله التوأمان فهو يقع في مجلد من القطع الكبير عدد صفحاته ٤٢٦.
لقد عرفني كتاب ثورة في الصحافة بتاريخ الحقبة المعاصرة من تاريخ مصر المحروسة ؛ وقد كذّب التوأمان أبا الطيب المتنبي القائل :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

فهذان الناطوران قد طردا الثعالب من كرم مصر وقالا للشعب المصري : انت أحق بكرمك فهلم احكمه واقطف ، هلمّ أطعم وكل .

يظهر لي مما قرأت ، ولا أعدو الحق اذا قلت ، ان لمصطفى أمين اليد الفرّاسة في تحرير مصر فهو مضرم نار ثورتها ، وهو موصلها الى ما أدركت ، فللاستاذ سامي عزيز كل الحق ان يطلق مثل هذا الكتاب الصاروخي ليقطع الطريق على المدّعين ويسد أفواههم . أما تعوّدنا فور كل انقلاب ان نرى في مصف رجال الثورات ، من كانوا حرباً عليهم ؟ وليس هذا الكتاب إلا ثورة ، ليس في الصحافة فقط ، بل في تاريخ مصر ، فأدت الى تحرير ذاك القطر الذي استعبده الجشع والاستخفاف بالشعب . والبادي لي ان الانقلاب المصري هو تاريخ جهاد مصطفى أمين وأخيه، وهذا يثبت لنا ان اليد الأولى فى الانقلابات هي يد القلم، فهو يمهد الطريق ويعبّدها لأصحاب النجاد الطويل فيقطع العقدة سيفهم كما فعل الاسكندر .

أنا معجب جداً بهذا الرجل المفلح ، ولو كان أديباً لكنت أولى الناس باخراج كتاب ضافي الذيول عن هذا العملاق ، ولكني لا أحسن لغة الأرقام والتواريخ التي تذكرني بالقصوصة كتبها مارك عن الفرنسيين ، وهذا ما رأيته كثيراً في كتاب ثورة في الصحافة

ان الصحافة العربية مدعوة الى أن تفعل كما فعلت أخبار اليوم ، جريدة مصطفى أمين ، فالمجال أمامها واسع . فكل قطر من أقطارنا ينتظر من

ينهضه ، ويحقق كما تحقق دار أخبار اليوم عن الأعمال والصفقات التي كان يقوم بها وزراء عهد فاروق .

قبل أن يصدر التوأمان صحفهما ومجلاتهما كانت ساحة نضال مصطفى أمين في مجلة الاثنين وجريدة الأهرام ، ثم كانت الجبهة في دار أخبار اليوم ترسانة الحرية والاستقلال الناجز .

ظل السبق الصحفي للشوام حتى ظهرت هذه الصحف التي نشأ صاحبها من لا شيء . كان كما كان اخواننا اللبنانيون حين جلوا الى الكنانة وما في كنانتهم هم غير سهام المعرفة والثقافة الحديثة .

قلت نشأ صاحبها من لا شيء مع ان هذا الكتاب يذكر لنا ان والده كان عضواً في مجلس الشيوخ ، ولكني أظن أنه كان شيخ فضيلة وأخلاق ، لا شيخ عزبات وألوف الفدادين من الاطيان .

لست أعرف السيد مصطفى لأصفه . ولم أر له وجهاً إلا في الصياد والشبكة ، ولعل الصياد أخو رأسه في الجرأة واللذعة غير الموجعة . الصورة الفوتغرافية لا تشفي لي غليلاً ، ولذلك قرأت هذا الكتاب ولم أخرم منه حرفاً فرأيت فيه دنيا تتحرك ، وعوالم تموج بين السطور ، وكم سررت حين وقعت على جهاد تلميذي السيد ناصر الدين النشاشيبي وفلاحه ، وحين قرأت أسماء وأسماء ممن عرفتهم . وما أشد ما كانت عبطتي إذ عثرت على صورة قلمية لمصطفى أمين ، رسمتها له روز اليوسف في مجلتها الشهيرة التي تعد بحق مدرسة جديدة في صحافة اليوم . قالت السيدة روز تصف الشباب الذين كانوا يأتون الى المجلة : ففي هؤلاء الشباب نظرة لا تخطىء أتبين منها على الفور من لديه الاستعداد للنجاح ، ومن هو غير أهل له . وقد لفت نظري من المترددين شاب طويل ضخم بشكل ملفت ، عيناه صغيرتان لامعتان تتحركان بسرعة عجيبة كأنهما تبحثان عن شيء صالح للالتقاط ، وكان هذا

الشاب يدخل المجلة متلفتاً هنا وهناك ، وهو يسرع الخطى الى حجرة الاستاذ التابعي يدفع اليه بعض الأخبار ثم يمضي .. وكان يراني في بعض الأحيان وهو خارج فينكس رأسه ولا يحييني . ولمحت فيه بوادر هذا الاستعداد فسألته وهو خارج في إحدى المرات : ما اسمك ؟

فقال : مصطفى أمين .

ثم عرفت انه تلميذ في المدارس يهرب من مدرسته ليتصيد الاخبار ويحملها الى المجلة .. ويملك سيارة صغيرة جداً .. عتيقة جداً . يستعملها في الجري وراء الاخبار . وهو منذ اللحظة الاولى يحلم بامتلاك دار صحفية كبيرة ويعمل لذلك . كان مألوفاً منه ان يسافر بسيارته سفراً بعيداً لكي يحصل على خبر ويعود به في نفس اليوم .

وعلي أمين هو النصف الثاني لمصطفى الذي لا ينفصل عنه ، فلم يكد مصطفى يشق طريقه قليلاً ويصبح له مكانه في المجلة حتى اشرك معه علياً .

كان مصطفى امين اكثر هؤلاء الشباب نشاطاً وكان تفوّقه عليهم ظاهراً ، وقد قضوا سنوات طويلة يعملون بغير أجر . وبعد سنوات ثلاث جعلت لمصطفى مرتباً ثماني جنيهات شهرياً على ان يدخل فيه شقيقه علي الذي كان يعمل معه في الباطن . »

ان نشأة مصطفى أمين هذه حملتني على تسميته بالعبقري ، والجبار ، والعملاق ، لا جسمه الجميزي الذي يذكره الاستاذ سعيد قريحه كلما سنحت الفرصة .

كان الرأي العام في مصر شعبية رخيصة ولكن صحف مصطفى أمين ايقظته من غفلته فلم يعد الشعب يساق سوقاً . لقد خلق من « ابن البلد » الذي كان محتقراً رجلاً اذا دعي الى الجلى كان من حماتها . وقد خلق ابتكاره شخوصاً مثل حمار افندي وغيره وكان لهم العمل الأول في إيقاظ الامة المصرية

التي قال فيهـا ابو الطيب ما قال . كأنه تنبـأ بشخصية مصطفى أمـين حين كتب :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

فهذه الرسوم التي ابدع شخوصها مصطفى امين مضحكة مبكيـة حين تحكي ، ومضحكة مبكية حين تتنـادر ، ولعل السخر اللاذع والتهكم المر والصراحة التي ترمي فتصمي هي اولى خصائص مصطفى امين التي لا تعد ولا تحصى ، فهو في الادب السياسي زعيم اي زعيم

اسمع قوله : هناك حرية في الدستور واستعباد في الواقع . صحف مقيدة، وانتخابات مزيفة ، حكام طغـاة ، ورأسمالية فاحشة ، رشوة منتشرة ، واستغلال نفوذ واسع النطاق ، وحكم اقطاعي لا مثيل له

ويقول في الحاكم : ليس الحاكم مسؤولاً عن شخصه وحده ، وانما هو مسؤول كذلك عن كل من حوله . فإن المناصب الكبرى التي تعطي أصحابها حقوقاً ضخمة تلزمهم بواجبات أضخم. وليس هذا الكلام موجهاً الى حكومة بذاتها بل هو موجه الى كل حكومة ، لان سمعة الحكم المصري هي أساس الاستقرار .

افلا ينطبق هذا القول علينا وعلى الحكومـات في بلادنا ، عجيب كيفما رحت وكيفما جئت في هذا الكتاب ارى أقوال مصطفى أمين تصورنا جميعاً، واليك صرخته حول الدستور :

لا تكتفوا بالدستور لانه كلمات تفقدمعانيها اذا لم تجد من يفهمها ويهضمها ويمزجها بدمه وقلبه . يجب ان يحدد الدستور سلطات رئيس الدولة ، ويمنع الوزراء من ترقية اقاربهم، ويحاسب الوزراء على ثرواتهم، ويمنع اعضاء البرلمان من الاتجار بالنفوذ والسمسرة والتذبذب .

اما رأيه في الصحافة فيقول: فليست الصحافة ان يكون اصحاب الصحف

احراراً فيما ينشرون ، وانما الحرية ان يكون لكل كاتب في الصحيفة الحرية في ان يكتب ما يعتقد . وهذا سر قوة اخبار اليوم .

اما الاستاذ علي أمين فقد اعجبني منه هذا الرأي الممتاز ، فقد ثار على الشعب الثائر على تماثيل الاسرة العلوية وهاجمها في جميع الميادين ، فقال علي امين في حملته على المحطمين الهدامين : ان شعار الحكومة يجب ان يكون البناء لا الهدم ، وان الغاء الملكية لا يعني الغاء التاريخ . وان ثورات اخرى قامت في بلاد اخرى فلم تحطم تماثيل الملوك . ولو ان آثار الطغاة دمرت لما بقيت الاهرام التي بناها الطغاة والمستبدون .

ذكرني رأي علي هذا برأي الجاحظ الاديب الاكبر حين ذكر هدم الآثار ليدلل على بقاء الكتاب وفناء الآثار فقال : من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، فقد هدموا ، لذلك السبب ، المدن وأكثر الحصون . كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم في أيام الاسلام .

وكأني بهذين الرجلين مصطفى وعلي أمين يمشيان وحدهما على أرض ثابتة لا تهتز تحت أقدامها فهما واثقان من انهما خلقا مصر الجديدة .

من عادة التوأمين أن يكون أحدهما دون الآخر جبروتاً ، أما هذان فهما متساويان .

وهذا الكتاب ثورة في الصحافة جاء يعرفنا بهما ولكن على طريقة بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كرنتس . عرفتنا تلك الرسالة بفضل بولس الرسول على زملائه ، وعرفنا هذا الكتاب بفضل التوأمين على مصر والبلاد العربية .

وأخيراً نقول : وإذا كانت الصحيفة مدرسة ، فدار أخبار اليوم جامعة من أرقى الجامعات الحديثة . فلله در أب جاء بنابغتين في صفقة واحدة ، وكانت رابحة جداً ...

الذوق

هذا « صيد » أثاره لي الاستاذان سعيد فريحه وشكري كنيدر في مجلة الشبكة. أعلنا سخطهما على المغنّين القليلي الحظ من الذوق. وقد ضرب رئيس تحرير الصياد مثلا على ذلك قول المطرب عبد الحليم حافظ :

يا سيدي أمرك
أمرك يا سيدي
ولأجل خاطرك
خاطرك يا سيدي
ومقدرش خالفك
أخالفك يا سيدي

هذا الميكروب سرى إلى الاغاني الحديثة من طقاطيق وغيرها، ثم تجاوزها إلى الشعر الحديث . أمّا شرب الأستاذ فريحه من أباريق مهشمة للبياتي ولو مرة ؟ فحا شعراء اليوم نحو ايليوت فابتلي الشعر بهذا التقليد الخائب . انه كالعرق المثلث بالمقلوب فبدلاً من أن يجود فقد ضل صاحبه وغوى .

وتبع البياتي شباب حائرون ثائرون على القديم فكتبوا شعراً جاءت على نسقه أغاني : يا سيدي أمرك أمرك يا سيدي .

وإذا كان لهؤلاء عذر لأن الناس قالوا : الشعر غناء ، ولهذا قالوا أنشد فلان قصيدة ، فما هو عذر أولئك والناس لم يقولوا : الشعر ثرثرة .

لقد احسن الكاتبان فريحة وكنيدر في توجيه هذه الحملة العنيفة على المغنين ودور الاذاعات العربية . وترددت في مقالي الصحافيين الكبيرين كلمة «الذوق» فقال فريحه عن هذه الاغاني الرخيصة : انها كارثة تصيب العرب والنشء العربي في ارقى فضائل الانسان وهو الذوق .

وقال كنيدر في موضوعه الغناء الباكي .

لقد افسد المغنون اذواق الناس الذين الفت اذانهم هذه الاغاني الباكية .

ان كلمة « ذوق » كثيراً ما تجري على السنتنا ولا نشعر بها فنقول: هذا ليس من ذوقي ، وفلان صاحب ذوق . وإذا رأينا غانية تنسجم مع كسوتها وزينتها قلنا : ما أذوقها .

وإذا سألت بائع « نوفوته » حاجة اشار إلى خزانات العرض وقال لك : استذوق . نقّ على ذوقك وإذا عبت صديقك بشيء رأيته نابياً قال لك : هذا ذوقي يا سيدي اوإذا عجزت عن مدح فتى كلي الأناقة قلت : كله ذوق .

عندما ذهب المرحوم فرج الله بيضا ليغني في مصر لم يرق لهم نواحه ، فقال له أحد ابناء البلد : اهلك ماتوا بير الشام وجيت تبكي عليهم هنا .

أما اليوم فقد فاق البكاء النيل في فيضانه ، وتكررت اللفظة الواحدة عشرات ، وليس سبب ذلك قلة الذوق فقط وانما هناك داء قد أصاب فن الغناء والكتابة ايضاً ، وإلا فكيف يقضي المغني الدقائق المعينة ويقبض المبلغ المرقوم ... ان طريق الابداع شاقة ومواليد العبقرية نادرة جداً . ومتى كثر الاستهلاك ندرت الجودة ..

يظهر ان الذوق لا يحدد ولا يعرف، ولذلك نذكره في حديثنا كلما اعيانا التحديد والوصف ، ونتستر وراء قولنا : وهـذا لا يخفي على صاحب الذوق السليم .

وعندما خطر لي ان ابحث هذا الموضوع تذكرت أول ما تذكرت انني

قرأت في صباي للأب لويس شيخو كلمات عن الذوق فعدت ابحث عنها في في كتابه « علم الادب » فإذا بالأب شيخو يحيلنا على ابن خلدون ولكني لم اظفر عنده بما اريد . ثم تذكرت انني عثرت اثناء بحثي اثار احمد فارس الشدياق على مقال عنوانه « الذوق » فهرعت اليه ووقعت على ما يأتي :

« الذوق في الكلام كالذوق في الطعام ، ومنشأ كل منهما الألفة والعادة . فمن قلة الذوق المعنوي انه لم يوضع نه في لغة من اللغات لفظة خاصة به وبضده ، وانما يذكر أهل المعاني والبيان شيئاً من آثارهما - أي آثار الذوق المجازي والحقيقي - فيقولون مثلا : هذه استعارة حسنة ، وهذا تشبيه بديع ، أو هذه استعارة مستهجنة .. ولا يقولون ان ذلك من الذوق وعدمه مع انه هو مدار ذلك وليس لغيره مدخل فيه ، لأن الشاعر الذي يرتكب ما يخل بالذوق ربما كان اعلم اهل زمانه باللغة وبكلام العرب، فاتيانه والحالة هذه بما يروق النقاد ناشيء من العلم والذوق .

هذا ما وجدت عند شيخ العربية في عصر النهضة ، ولما كان ذلك لا يشفي رحت اطوف في كتب الفرنجة لأنني اعتبر ان الذوق هو كل شيء في هذا الكون البديع . ومن حسن ذوق الله سبحانه وتعالى ، انه خلق الانسان في أحسن تقويم والكائنات في أدق تنظيم ، ووزع الفواكه على الفصول الأربعة ولم يكردسها في واحد . لا تستغرب ذكر الفواكه ، ألسنا نتحدث عن الذوق، والفاكهاني الواثق من جودة ثماره يقول للسيدة : تفضلي ذوقيها . وها أنا افعل مثله اذ اقدم للقارىء هذا الفصل الذي ازعجني في البحث عنه، وآمل ألا ازعجه فيقول : ما هذا الذوق ؟

« لا يشمّ ولا يذوق » بهذه العبارة واجه احد المرضى الدكتور فانديك قاصداً تعجيزه ، فأخذ الحكيم يعرض عليه اطيب الثمار طعماً وريحة ، وبقي مصراً على انه لا يشم ولا يذوق ، فقال الدكتور فان ديك : الآن عرفت مرضك . تعال عندي غداً وأكون حضرت لك الدواء الشافي .

وراح الرجل وهو يضحك في عبّه ظانا انه خدع فانديك ، وانصرف الحكيم إلى اعداد الدواء ، وفي الغد كانت المعركة الفاصلة فشمّ الرجل وذاق ما اعده له الدكتور من حبوب اخذ مادتها من الغرفة رقم ١٠٠ وهكذا كان الشفاء العجيب .

ان الذين شكا منهم الأستاذ سعيد فريحة يحتاجون إلى فانديك آخر يشفيهم من زكامهم ، ويعلق لألسنتهم الكليلة كما يعلق الفلاح لمنجله وفاسه وساطوره . قد خدرت ألسن هؤلاء ولهذا لا يتذوقون الفنون الجميلة تذوقاً كاملا مع أن تحديده عند علماء الغرب: هو الشعور بالجمال والمقاييس والأوزان وانسجام الأصوات،وكلما كان هذا الشعور حاداً يكون الذوق مرهفاً صادقاً .

والذوق لا بد منه في جميع الفنون حتى أن الطبيعة نفسها تنبثق منه . والناس لا بد لهم منه في كل شيء . فهو المدرب الحاذق في الأدب والنحت والتصوير وصياغة الحلي وتنجيد الأثاث، وفي البنيان وتنظيم الحدائق واختيار الزهور. وفي الآداب قد حددوا الذوق تحديداً في منتهى الحسن : هو الحاسة المعوّل عليها في الأشياء الذهنية .

والذوق قابل للتنوع والتغير في كل شيء ، وهو مبدع العادات والأزياء . لا ننس ان في الأدب عادات وأزياء،ففي العصور الأولى كانوا يؤثرون العبارة السريعة المتينة ، والألفاظ الضخمة ، بعكس اليوم .

هذا في العرَض ، أمـا في الجوهر فالذوق لا يتغير ، فهو هو في العصور الأولى وفي عصرنا الحاضر . أما الذي نسميه اليوم تجديداً فهو في العرض لا في الجوهر .

فالذوق لا يقوّم بثمن الجمال وحده، بل يُعنى بالملاءمة أيضاً، فقد يكون الشيء جميلاً بحد ذاته ولكن وجوده في غير موضعه لا يدلك عليه الذوق . والذوق ليس خاصة قائمة بذاتها، ولكنه تمازج الحساسية والعقل وانسجامهما

قـــال فوفينارك : يجب أن تكون لك نفس لكي يكون لك ذوق . فللحساسية عمل مهم في هذا التكوين ، لأن الذوق غالباً ما يكون ولا يتعلم تعلماً . فإذا شاهدنا منظراً أو تمثالا أو قرأنا كتاباً كان حكمنا عليه بحسب شعورنا وتأثرنا به فنقول : جميل أو غير جميـل . وقد قال سيلي بريدوم : إنني أعرف الجميل بهذه المفاجأة اللذيذة الرصينة التي تملأ النفس .

ان هذا الشعور تتراوح شدته بالنسبة للنفس التي لا يحركها شيء ولا تؤثر بها لا عبقرية ولا تفاهة. فلو عرضنا على رياضي قصيدة أبي نواس التي مطلعها: دع عنك لومي ... لقال : ماذا يعني هذا ! وأية مسألة حلّ ؟ وهو في هذا يدلنا على انه وإن كان عبقرياً في الرياضيات فهو أقل من رجل عـــادي في تذوق الأدب .

وصاحب الذوق هو الذي يحسن تحكيم عقله في حساسيته ، ولكي نكون ذواقين لا يكفينا أن نحس فجأة ونمضي ، ولكن المهم هو أن نبحث عـن حقيقة الأسباب التي جعلتنا نستحسن أو نستقبح الشيء والحساسية الكثيرة الانفعال قد تؤدي إلى خسارة الذوق، فالصرخة الحادة لا تؤدي نغماً أصولياً، كما أن شدة الشعور لا تضمن ولا تكون مقياساً للتمام .

ربما شعر الفنان بموضوعه شعوراً حاداً ، ولكنه إذا اندفع وراء حساسية ولم يتول العقل إدارة سيارة خياله تدهورت وراكبهـا إلى قعر الوادي . فالعقل إذن هو الحارس الأمين للذوق في العمل الفني على اختلاف ضروبه ، أما في الكتابة فهو الذي يحول دون قفز الكاتب وسقوطه .

فـإذا اندفعنا مع ميولنا أو أخذت بألبابنا تفاصيل مشهد من مسرحية فاننا نخسر بسهولة فائقة غاية الوصول إلى مجموع المؤلف. فتحت إشراف العقل يقود الذوق العمل فتلتئم اجزاؤه وتسقط التفاصيل التي لا نفع منها ، والحركة التي تشوش وترعج. والعقل أيضاً يقدم لنا مساعداً نافعاً للحساسية لكي نقدّر الآثار الفنية ونقومها . وهو يمنعها من التحرك بلا وزن ولا قياس فيؤشر لها

على النقص والعيب في الجمال الذي بهرها. وبفضل العقل يتطهر الذوق وتنحل قيود تقديره الطائشة ويصل الى التفكير الصائب .

أما خواص الذوق الرئيسية فهي: سرعة التأثر ، والانفعال ، والادراك، وسلامة الذوق . فمن كان ذوقه سريع التأثر والانفعال فهو يحس فوراً بالجمال والقبح والسماجة وبالتلاؤم والتنافر ويميز المقابح ، ويرى حتى الخفي منها في المحسوسات والذهنيات .

والذوق يدرك الفكرة والعاطفة والحركة الملائمة للموضوع أو الوضع،فيميز، مثلاً ، إنشاء الجندي المخشوشن من إنشاء المخنث .

وصاحب الذوق الصادق يميز بوضوح وإشراق الجمال من القبح ، والتنافر من الملاءمة والانسجام ، وهو لا يستسلم إلى الانخداع بالظواهر ولا يغر بالوهم فيقرظ أو ينتقد بغير استحقاق .

وصاحب الذوق الصادق صعبة مرضاته ، وهو بطبعه مفـال ومتطلب ، ولا يصدر استحسانه إلا عـن رويّة ، فيعبر عن ذوقه فيما يعلنه ويمنحه من تقدير وما يبديه من لوم وتونيب .

قال لافونتين د ان السريعي التأثر والانفعال هم تعساء لأن لا شيء يحوز على رضاهم .

فسرعة الانفعال وصدق الذوق ليسا بخاصتين عموميتين وقد قال لابروير: قليلون هم الناس الحائزون على روح مسلحة بذوق صادق ونقد صائب

من المؤكد أن الذوق لا يسد مسد القريحة والعبقرية، فقد يكون لرجل ما أحسن ذوق لنقد أثر مـا ، ويبقى غير جدير ولا قادراً على إخراج أثر فني مثله . ولكن الذوق يظل هو المعدل للقريحة ومرشدها . وقد سماه شاتوبريان: العقل المرشد للعبقرية ، والعبقرية بلا ذوق هي الجنون المطبق .

ان هناك عقولاً ما زالت بخواتم ربها، وهي مع ذلك تحس الجمـال عفواً بدون موازين ومقاييس لأن ذوقها سليم ، ولكن الذق السليم ينمي ويهذب ،

فبالانتباه والتأمل وبـذل الجهد تقدر أن تديره وتوجهه وتصغي إلى لطافته الغريزية الخالية من كل دنس ، وتجعل حكمه صادقاً . فتربية الذوق لازمة لنا لكي تتفتح فينا براعم الخصائص التي اقتبلناها بذوراً . فكم من مرة نعلق على دبق الجمال المصطنع لأننا لم نتعلم كيف نبني حكماً على أسس المقابلة والدرس. والذين لا يعلقون على هذا الدبق يستفيدون أيضاً من تثقيف ذوقهم، لأنه إذا كانت صرخات الألم البليغة أو الصور الشعرية الرائعة تقدر أن توقظ احترام النفوس غير المثقفة ، فخواص الانشاء العميقة الأقل وضوحاً تفوتهم . فيجب علينا إذن أن نعنى في تكوين ذوقنا وتكييفه .

ان الكثيرين منا يتصورون أنهم لا يناقشون في ذوقهم، وان لكل انسان أن يتبع على هواه اتجاهاته الطبيعية . فكأني بهؤلاء لا يرون بوليس السير منتصباً كالتمثال في الشارع ليهديهم سواء السبيل .

إن هذا ضلال أدبي ، ففي الأدب وفي كل فن من الفنون هدف يدني من الكمال ، والذي يشعر به ويحبه هو صاحب الذوق الكامل . أما الذي يشعر به ويحب أن ينحرف إلى هنا وهناك فهو صاحب الذوق المعيوب. أما كيف نكوّن ذوقنا الفني فهذا يكون في الملاحظة العميقة والمطالعة الدائمة والسماع والقياس، ومن الحصافة أن لا نلقي بخفة وطيش الآراء التي كرستها العصور ، كما فعل طه حسين في الألف المقصورة والممدودة . وكما يفعل الشباب اليوم محاولين نبذ القواعد والأوزان ليتخلصوا من الصعوبات،وقد فاتهم انهم يبلبلون ويخلقون مشقات للآتين بعدهم .

ان الاطلاع على الآثار القديمة يشحذ الذوق ويرهفه، والنقد الصائب الذي يبدي لنا المحـــاسن والعيوب يجعلنا نحكم على صاحب الأثر حكماً جديراً بالاحترام ، سواء أكان معه أم عليه ، ومن هذا القبيل حكم الاستاذ فريحة على الأغاني ، وما مرشده في ذاك الطريق غير ذوقه السليم . ألم يحدد مونتسيكو الذوق بقوله في موسوعة ديدرو : هو مقدرتنا على أن نكتشف بسرعة فائقة مقدار اللذة التي تسببها الأشياء للناس !

اغاني الغابة

لموسى النقدي

في العراق اليوم ثورة فكريةعارمة تناهض كل قديم حتى الشعر.ولا عجب فالعراق كان بؤرة الثورات وعاصمة مملكة الادب العربي في الامس البعيد ، فعاشى فيها الشعر الحياة مع بشار وابي نواس وشركاه . ومن سمـاء العراق طلع علينا مذنب هالي الادبي – المتنبي — فخاض غمار الصحارى ثم عاد الى مستقره ليستريح تحت السماء التي اطلعته

وفي الامس القريب جدد الشعر فيه شباب قديمـه ، واليوم يقفز العراق قفزة رائعة فيطلع علينا منه شعراء متمردون يعنيهم ان يلجوا صميم قلب الحياة وما كان احلام لولا طفرتهم . ولعل وباء الغموض الذي يحتـــاج الى منجّم قد سرى الى العراق من لبنان ، الثغر المفتوح ولا محجر صحي فيه .

امامي الآن ديوان اغاني الغابة لموسى النقدي ، وهو شعر حر، وأنا أحب الحرية واقدسها في كل موقف مـا عدا الشعر . فالشعر موسيقى اولاً والرنة الموسيقية بعيدة عن الشعر الحر ، فليت اصحابنا الشباب يعتبرون بالريحـاني وجبران، فكل هذه التصاوير التي يتعب فيخلقها شعراء اليوم ستذوي وتيبس عند المساء، لأن موضوعها زائل والعنصر الفني فيها ضعيف . انها صور شمسية سيأكلها العث ان طال عليها سالف الامد ، اما الشعر الموقـع المحصور ضمن اطار الوزن فكالصورة الزيتية التي تجود كلما مرت القرون . هذا اذا كان

الموزون شعراً لا تعبئة أكياس تشحن الى اقطار المسكونة . اجل سوف لا يبقى الا الفكر اللابس حلة الفن .

اما ديوان النقدي فان خلا من الوزن المألوف فهو لم يعدم الايقاع . حاول صاحبه ان يأتينا بجديد ، فقال في « ذات العيون المقمرة » :

كالقبّره ،
ذات العيون المقمره
كالقبره .
في الباب واقفة ونضحك للهواء .
والثوب حقل من شعير
والانف قنديل صغير . »

فاذا كان شعراء اليوم يؤمنون بالايحاء فانا احلف الف يمين ان ثوب صاحبة النقدي لم يوح إلي بشيء ، اللهم الا حكاية تائب فرنسي مر على مزارعين فشاء ان يتنادر عليهم فقال لهم : ازرعوا، وغداً نحن نأكل . فأجابه خبيث منهم: ولكننا نزرع شعيراً .

ان هذه الصورة يا موسى لا ذوق فيها ، واني اخاف على هذا الحقل ان يرعاه أصحابه الذين هم اولى به .. اما (والانف قنديل صغير) فارفع رتبة من حقل الشعير ، ولكن مـا زالت العيون مقمره فأي داع لتعليق هذا القنديل ؟ . واما قصيدة الغابة ففيها شعر وفيها فكر ، وفيها ثورة ، ولكن رائعة الديوان هي قصيدة « النخلة » والنخلة بنت العراق وحبيبة قلبه ، قال في مطلعها وختامها :

انت يا عملاقة حبلى بكنز من عقيق
خيمة تحلم بالفجر كما احلم ، في الليل العميق

. . .

لك يا ايتها النخلة حب في فؤادي
انت يا حلم البوادي ،
شارة في صدر بلادي

اما موت كيوبيد ، رحمه الله وأعاضنا بطول بقـاء المحبين ، فموضوع عم حق خمّ . وان « اغفى كيوبيد كالمسيح وكالطفل الذبيح مات ولم يملك من الأرض سوى علبة حب .

هي قلب ، أي قلب »

اجل لم يطلب المسيح من الانسان الا قلبه . ولكن صاحبنا النقدي سلبه بدلاً من ان يعطيه ، سلبه تشبيهه الموت باللص فقال : الموت في الليـل كلص يدخل البيوت .

وفي آخر هذا الديوان الصغير يعود النقدي الى القرية ليقول فيهـا قصيدة هذا اجمل ما فيها :

« هو ذا مسجدها الراقد كالثور الصموت .
وهو يجتر قشور الازمنة »

وقى الله شعراءنا الطالعين شر اجترار القشور،واني ابشرك بالخير يا موسى فاضرب بعصاك بحور القريض ففيها الدر لمن غاص .

من هنا وهناك

منهاج البكالوريا اللبنانية

اريد ان افرغ من الرد على هذه الرسائل الجاثمة على مكتبي، فكلما نظرت اليها احس كأنها كائنات تلومني ناعية علي قلة كياستي ، فمن حق قارئنا علينا ان لا نهمل الا ما لا يجوز نشره .

الى الآنسة عائدة .

انا ارثي لك ولكل طالبة وطالب. ان الامتحان همّ وأي همّ وخصوصاً اذا كان منهاجه مثل منهاج بكالوريتنا المضحك المبكي في وقت معاً. كان جدي حين تمييه شيطنتي ويذهب نصحه ضياعاً يقول لي : طلع على لساني شعر من الحكي وأنت كما أنت. ذنب الكلب حطوه في القالب عشرين سنة وظل اعوج.

وأنا ، يا بنتي ، حاربت هذا المنهاج منذ سنة ١٩٣٤ ، ولا ازال كل سنة أشن عليه الغارات ، ويا بحر ما يهزك ريح . فالذين فبركوه امنع من عقاب الجو ، وما زلنا نحن ندور في فلكه منذ وجدت البكالوريا اللبنانية . وضع أول ما وضع متضمناً كل شاردة وواردة، وعدّل ثلاث مرات، وكانت المصيبة الاخيرة شراً من الأولى . كنا نتحمل دراسة تسعة وعشرين كاتباً ونتأفف ، ولما كان التعديل الاخير للبرنامج ، عاد المنهاج الى مئة مؤلف وأكثر ، فصح فينا مثل الذي حملوه العنزة .

ان منهاج اليوم الذي تتذمرون منه اشبه بجهاز العروس في أيامنا القديمة.

كانوا يرسلونه بطريقة مضحكة ، فيلم سينمائي ممتع . هذا يحمل صندوقاً فارغاً كتابوت المهد ولكنه مرصع بالعاج ، وآخر يحمل خزانة فاضية ، وآخر مرآة ، وتلك بقجة تحتوي على أشياء لا تنشر ولا يفضح سرها . واخرى فسطاناً ، وثالثة مكحلة وميلاً ومدلكة ورابعة بابوجاً وقبقاباً الخ .

ويمشي موكب الجهاز اربعين خمسين شخصاً فيكون أوله في بيت العروس وآخره في بيت العريس . هكذا كان الجاه الكاذب وحب الظهور ، ومثل هذا هو منهاج البكالوريا اللبنانية الحالي ، يطلب من الطالب معرفة « نص » واحد من مائة شاعر وكاتب؛ ثم يسألون الطالب عند الامتحان عن كل شيء، وقد يسألونه عما ليس مطلوباً منه كبشار مثلاً .

فمتى تنتهي هذه الزّفة حتى نقعد ونرتاح من مشهد موكب جهاز العروس!

أما ادركت وزارة التربية ان منهاجنا معمول طبقاً لدفاتر معلومة فلا بد من ان يأتي ذكر كل شاعر أو اديب له دفتر،وإلا فكيف تنفق تلك الروائع؟ لقد ادركت وزارة التربية ذلك ولكن « الرَصَد » لا يزال واقفاً بالباب ، ومن يجرؤ على الدخول ؟

ان « المنكبوت الاشقر » المعشّش في زوايا وزارة التربية يجب ان يكنس ، ثم يُنظر في المنهاج بعد التنظيف ، وإلاّ فتعديل المنهاج – اذا عُدّل – لايخرج عن الحصار المضروب حوله ممن يحسبون وزارة التربية بستان جدهم ، وانهم محتضنو الثقافة وحماة ذمارها . وان شأنهم مع الميزانية شأن مثلنا اللبناني القائل : بقر الدير ورزق الدير .

الى السيد ن . د ،

أنا اول من أشاد بذكر الشعر العامي ودرسه كأدب اصيل ، وعاد إلى جذور تاريخه ، ثم قسمه مدارس ونقده كالشعر الفصيح . وانا الذي قلت مخاطباً شعراء الفصحى : خذوا حذركم فقد كاد الشعر العامي ان يأكلكم .

ارجع إلى ما كتبت في مواضعه تجد انني قد اعطيت الحـق صاحبه ، وقريباً يظهر في كتاب خاص بهذا الشعر الأصيل والذي تتجمع فيه خواص المجتمع اللبناني وتاريخه قديماً وحديثاً .

ان خواص الشعر تنبع من ألفاظ بعينها ، ولا يشترط في الشاعر انيقول شعره بألفاظ مفروضة فرضاً . الشعر غنـاء وموسيقى وعاطفة ، وكما قلت انت : ان بالشعر ثرثرة وبلادة وبالزجل ثرثرة وبلادة، وانا ازيد على ماقلت : ان ثرثرة الشعر الفصيح اقبح جداً وأثقل من ثرثرة الزجل .

ولا أتعرض للجزء الاخير من رسالتك لئلا اسيء الى الاديب الذي حاول ان يكون له ديوان كما حاول الاستاذ العقاد ان تكون له دواوين .

الى قارئة ،

وصلني كتابك فقرأته ولم اخرم منه حرفاً لأنه قصير القامة غير عملاق . اظن ان نشره بعد الاستغناء عن الثناء لا يزعج احداً .

استاذي ، لقد قرأت على صفحات مجلة الصياد الغراء في العدد ٦٣٣ بحثك في شعر نزار قباني فأعجبني ، ولا غرو ، انه جزء من ابحاثك النقديةالشافعة.

ثم انتقلت في نهاية نقدك الى شعر العراق فتعرضت إلى جزء منه ، ومما استلفت انتباهي عدم ايمانك بالشعر الذي لا يتقيد بوزن ، فلم اوافقك على رأيك ولكني لا استوقفك لاجادلك لجهلي أكثر هذا الشعر ، ولكني اتجاسر فاسألك رأيك في شعر خليل حاوي .

وهذا لو تفضلت وكتبت بحثاً في شعر خليل حاوي في عدد من اعداد الصياد ، فتكون بذلك قد رويت غليل صدري وصدور رفيقاتي « يزيد عددهن على العشرين » الشغوفات بشعر خليل حاوي ، بودلير الشرق .

ولك ألف شكر

قارئة

فلنبدأ بالرد من تحت ، أي من آخر الكتـاب : أنا أؤمن بشاعرية خليل

حاوي وأقدر فنه ، وهو من أصحابي الجدد من الشباب الطالع ، وأرجو منه خيراً كثيراً لشعرنا العربي لأنه ذو قريحة تسهل له السير على طريق الفن ، فلا يتعثر ، ولا يخمع ، ولا يظلع في الطرق القلقة المجاز ، أما كتابة بحث عن شعره فلا يصح أن يبنى إلا على ديوان، فان كان ظهر له ديوان فابعثي به إلي ، وأكبر مسرة لي هي ، أولاً أن أقوم بواجب نحو شاعر يرجى منه الخير ، وثانياً أن أروي غليل صدور النساء ، ولا سيما إذا كان عددهن يزيد عن العشرين .

هذا هو الشق الأخير من رسالتك ، أما الشق الآخر فقد قلت فيه انك لا توافقيني على رأيي بالشعر الذي لا يتقيد بوزن، وانك لا تستوقفيني لتجادليني .

أنا وقفت يا آنسة لأجادل شخصاً غيرك بالنيابة عنك . فاسمعي يا قارئة يا فاهمة . اسمعي يا بنتي ، يا قارئة ، الله يرضى عليك :

يا دمشق ، سلام أرق من صبا بردى ودمع لا يكفكف

قد تقولين خرف الشيخ ، فماذا يهذي ؟

لا يا تقبريني ، فعقلي لا يزال براسي ، وألف عاقل لا يديرونني . أظنك عرفت ان البيت لشوقي وهو :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

فقابليه بالكلام غير الموزون وتأملي تأثيره في نفسك .

خذي بيتاً آخر من القصيدة عينها وقدمي منه كلمة ليصير :

وللحرية الحمراء باب يدق بكل يد مضرجة

أرأيت كيف صار ؟ كيف رأيت فعل الوزن بل فعل القافية ؟ وأين اختفت تلك الاهتزازات التي تتغلغل في أعماق نفوسنا ؟

اعذريني إذا اتخذت موقف المعلم ، وقد اعجبت بقول الجاحظ منذ الف ومائة وخمسين سنة ونيف. قال في مقدمة كتاب الحيوان والشعر لا يستطاع

أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل . ومتى حُوّل تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه وصار كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك ، أحسن وأوقع من المنثور الذي حول عن موزون الشعر .

ان هذه المحاولات في الأدب ولدت ولا تزال تولد ولكنها ماتت وتموت ، سنتها سنة الحياة تماماً . حاول كتاب القرن الرابع فأبدعوا النثر الفني ، ولكنهم لم يتخلوا عن القافية فجعلوا كلامهم مسجوعاً موزوناً حتى صار للسجع وزن،فعاش شعرهم المنثور زمناً طويلاً إلى أن لفظ أنفاسه في منتصف القرن الماضي .

وفي مطلع هذا القرن حمل الينا أمين الريحاني شعره المنثور متأثراً بهويتمن فسر الناس زمناً ، ثم مات ذلك الشعر ولم يبق للريحاني غير حكمته وفلسفته وقومياته ورحلاته .

وكتب جبران شعره النثري الحكك فعاش زمناً ومات ولم يبق لجبران غير نبيه ويسوعه وآرائه الاجتماعية .

أقول : وهذا الشعر يموت ان عاجلاً أو آجلاً ، ولا يبقى في الميدان إلا حديدان ، لأن كل لغة يلائمها لون من ألوان الشعر وهو منبثق من خصائصها ولكل لغة خصائص .

حاول تيوفيل غوتيه زعيم مدرسة الفن للفن أن يقول شعراً مقفى كشعرنا العربي فأضحك ، وحاول أن يفعل ذلك الشاعر الراعوي فرنسيس جيمس فما حالفه التوفيق ، ونحن لا يحالفنا التوفيق إذا تخلينا عن خصائص لغتنا . فهذه محاولات لا يفلح أصحابها .

والدليل على حبوط مساعينا في تطوير الشعر ان هوميروس وامرأ القيس ما زالا في القمة ، ونحن نعبدهما ونتضرع اليهما قارعين الصدور في هيكل ربة

الشعر سائليتها أن تجود علينا بكسرة من الفتات المتساقط عن مائدتها الأزلية.

من يستطيع حفظ قصيدة من هذ الشعر المفكك الأوصال. فلماذا نترك الوزن والقافية بتاتاً ، أليس موقفنا من هذه البنايات الشعرية كموقف رجل يبني قصراً بلا هندسة ومدينة بلا تخطيط ؟

فرأيي ، ولكل انسان رأي، ولك أنت يا قارئة ألا تقريني على ما ازعم، ان هذه الطريقة التي يعتقدون انها حديثة وطريفة قد ذبحت الشعر العربي ذبحاً. فيا ضيعة التعب في رصف هذا الشعر . فالى القادرين على نظم الشعر الموزون المقفى أقول : في مكنتكم ان تحملوا الوزن والقافية ما تشاؤون اذا كنتم موهوبين قريحة ، فيطيعكم الكلام وينقـــاد اليكم مجرراً أذياله . أما السنابل العجاف فلا تنبت الا من أرض سبخة لا خواص فيها ، ولولا هذا لكان كل الناس شعراء .

ان الفرق بين شاعر وشاعر لا يقل عن الفرق بين حبة الالماس ، وخرزة من زجاج .

قد كانت العرب تجعل من مولد الشاعر اكبر عيد ، فهل يحسن الاميون التمييز أكثر من المتعلمين والمثقفين ؟.

لا انسى جواب الملك لذلك اللورد الذي استطال مدة مقابلة الشاعر ودخل اخيراً على صاحب الجلالة ، وفي وجهه عتب تتكلم به قسمات وجهه . فقـال له الملك: انا استطيع خلق مائة لورد بشطحة قلم، ولكنني انا وجميع جامعات العالم نعجز عن خلق شاعر واحد .

ان الذي يستطيع ان يزن الكلام لا يجوز ان يعطينا اياه بالشنبل والاردب والمد . ان ميزان الشعر ادق بكثير من ميزان الذهب ، ولولا ذلك لم يقـل الاخطل : الشعراء أسرق من الصاغة . تقبض الدينار ولا تدري انه ناقص ، ولكن الاذن الشعرية لا تقبل بيتاً ينقصه حرف بل حركة .

فاتركوا الكيلة يا اصحابي ، والى ميزان الذهب ، واذا لم توفقوا الى مـا يعجبكم ويعجب الناس فاعلموا انكم لستم بشعراء .

الى عفيف شرف الدين ،

وحياتك في غربتك اني واياك لمتفقان،ولكن موضوعك لا يبحث في هذه الديار . فاذا التقينا في فنزويلا حيث انت فلعلنا نكتب ونشرح ونناقش .

خذ لك هذه النكتة فتكون سلتك طلعت غير فاضية . كان الحجاج في بعث ومعه جيش جرار ، وكأنه سئم الركوب فنزل ، وسار معه اعرابي لا يعرفه. وشاء الحجاج ان يسأل الاعرابي عن رأي الشعب فيالوالي اي الحجاج، فأجاب الاعرابي :

الحجاج أحد شياطين الارض ، كافر ظالم فاسق شرّاب دم . لا يلذ له الا ان يلغ في دماء رعيته ، يطير الرؤوس كما نطير نحن الحمام .

وخوفاً من ان يتمادى الاعرابي او أن يسمعه أحد من الجائين قـــال له الحجاج : اذن انتم في جهد عظيم من ولايته .

فاجاب الاعرابي : أنه شرارة من جهنم لا ينجينا منه إلا عزرائيل .

واقبلت الكتيبة اللاحقة فركب الحجاج ودرى الاعرابي من كان يحدث ، فصاح وقد خاف على رأسه : يا حجاج ، يا حجاج .

فالتفت الحجاج ، فقال الرجل : السر الذي كان بيني وبينك اريده ان يبقى مكتوماً .

وانا وأنت يا أخي عفيف سيظل سرنا مكتوماً الآن . قلت الآن لا كل اوان ، فشرقنا مشمر يركض وراء حرية الفكر ولا شك أنه واصل .

زيارة ايران

المتنبي وتفاح لبنان

استحق هذا الشاعر الأعظم شكر لبنان قبل أنأوجدنا وسام الاستحقاق بألف ومائة سنة ، فهل نمنحه إياه بمناسبة زيارة فخامة الرئيس اللبناني لبلاد الشاهنشاه ؟

وإذا كان أنشىء الوسام الزراعي ، فهل نمنحه إياه أيضاً إذا كان ضرب ؟ فهو أول من دعا لتفاحنا الطيب الجميل منذ أجيال ، فذكره منوهاً به ، في أول قصيدة مدح بها عضد الدولة شاهنشاه بلاد فارس ،قال في معرض الغزل على عادة ذلك الزمان :

حيث التقى خدها وتفاح لبنان وثغري على حياها
وقد رأيت الملوك قاطبة ومرت حتى رأيت مولاها
أبا شجاع بفارس عضد الدولة فنتـــاخسرو شهنشاهـــا

أرأيت كم تعذب ذلك المسكين حتى رصّع بيته الأخير بأسماء الملك،وألقابه؟ وكأنه شعر ببلادة البيت الأخير وتفاهته الشعرية فاتبعه بهذا البيت تبرئة لذمته الفنية :

أساميا لم تزده معرفـــة وإنما لذة ذكرناهـــا

واخال أبا الطيب لو كان في عصر الطائرات لحمل الى شاه ذلك الزمان سلة من تفاح لبنان واستغنى عن الشعر بقوله : ما راءٍ كمن سمع .

لقد أصاب فخامة الرئيس عصفورين بحجر واحد فحمل هـدية التفاح النفيسة ، والهدية واجبة على كل زائر،وقد أحسن اختيارها لأنها جاءت دليلاً لا يفوقه دليل على محبة فخامته لزراعة بلاده .

وهناك هدية أخرى أطراها ابن الرومي مدحاً فقال :

للموز إحسان بلا ذنوب ليس بمعمود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب يدفعه البلع الى القلوب

فهاتان الهديتان تدلان على ذوق صاحب الفخامة ، فأطرف الهدايا ما كان منقطع النظير مثل تفاحنا وموزنا .

دائرة المعارف القرامية .

ولم تقف طرافة هدايا رئيس البلاد عند هذا الحد ، فأضاف الى الهدايا الغذائية هدية تغذي العقل ، فحمل هدية ثقافية هي موسوعة العالم العلاّمة والحبر البحر الفهّامة الجهبذ الفذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية، ولا تستغرب هذه الهدية من العرب الى العجم ، فهي كتاب لم يعمل أحد مثله بعد ، وقد تفردنا به في فجر عصر النهضة ، ولا شك في انه سيدهش الغرب والشرق باطلالته الميمونة الطالع ، وسوف تنقض علماء المسكونة على ترجمته إلى لغاتهم ، لأنهم سيقعون فيه على عجائب غرائب لم يحلموا بها .

لا شك في أن الموسوعة القرامية ستزيد في بناء صرح الثقافةالعالمية مدماكاً دونه المدماك الاساسي في قلعة بعلبك !

وبعد أليست أجمل هدية يحملها رئيس جمهورية مسقط رأس الحرف هي هذا الكتاب الذي فيه أكثر من مليون حرف ؟.. وسوف يصير هـذا المليون عشرات الملايين ، فالحبل على الجرار ما دام في بنود الميزانية اللبنانية مغرز إبرة للفصد ....فعلاّمتنا المفرد الاستاذ فؤاد يأتيه رزقه رغداً، ولماذا لا يخرج من بحر ذهنه المتوقد درراً يتيمة لم يحوِ مثلها مهراجا ؟..

تعويض تمثيل،

جاءني واحد قرأ المرسوم التالي: اعطي رئيس الجامعة اللبنانية – الاستاذ فؤاد أفرام – تعويض تمثيل شهري مقطوع قدره ٢٠٠ ليرة لبنانيـة ، فقال لي: هذه نهضة جميلة نتفرد بها، وقديماً كنا نحن اول من عني بفن التمثيل، أما كان سميكك مارون النقاش أول من مثّل وألف المسرحيات ؟

فمتُّ من الضحك ، فقال متعجباً : مالك تضحك !

فقلت له : هذا تمثيل من فن آخر يا أخي ، هذا تمثيل مسرحه صندوق الحكومة ، اي ان يمثل لبنان رئيس جامعته تمثيلاً لائقـاً بوطن الاشعاع ، ويزيد على أمجادنا الحرفية التليدة مجداً طريفاً ... ثم من يدري إذا كانوا يفكرون بثياب تمثل جامعتنا وألقابها العلمية كالدكتوراه ، مثلاً ، التي يوقعها علاّمتنا الاستاذ فؤاد أفرام بعـد ان « يدكتر » بمرسوم ، وليس في لبنان أمر عسير . فقد يتصيد غير هذا من الألقاب فنهلـــل ونقول كل الصيد في جوف الفرا .

خطاب طهران ،

وأخيراً لا بد من كلمة حول خطاب صاحب الفخامة في جامعة طهران . كان المعهد بفخامته أنه رجل قانون، ورجل سياسة ودهاء من الطراز الاول، ورجل عمران ومشاريع دشنها كلها جملة وتفاريق ، فإذا به يطلع علينـا في الخطاب الطهراني الجامع رجل أدب ، رجلاً متضلعاً من تاريخ الأدب، وتاريخ الحكم في لبنان وفارس عبر العصور ، فيحسن المقابلة بيننا وبـين الفرس في ميادين الزمن . استعرب الفرس قبلنا وكان لهم السهم المعلى في تطوير الادب، وجمع شتات اللغة ، حتى ابتهر ابن منظور على ابناء الشيخ يعرب بقوله حين دفع الينا معجمه لسان العرب : خذوا لغتكم من أعجمي .

ثم جئنا نحن بعد مئات السنين وعملنا أشياء ذكرها فخامته . ولكن هل

يسمح لنا الدكتور شمعون ، وهو جدير جداً بهذا اللقب ، هل يسمح لنـا ، اولاً، ان نرجو منه ان يوقعهو براءة الدكتوراه الفخرية إذا منحتها جامعتنا. قلت « الفخرية » لأن الدكتوراه العملية ليست عندنا بعـد ، ومص القصب عقدة وعقدة .

وثانياً ان نعلق على خطابه الذي رفع به رأس لبنان عالياً. ما كنا لنفتح فمنا لو لم يكن الخطاب أدبياً ، ومن صميم الأدب ، وهذا عملنا . لا أتعرض للتاريخ السياسي لأن هذا ليس من عملي فأنا درويش في السياسة

قابل فخامة الدكتور شمعون بين آثار اللبنانيين الفكرية وآثار الفرس ، فلم يوفق كثيراً . وكيف يصاحبه التوفيق الكبير حين يحمل بحث المطالب ، قبالة « الكتاب » لسيبويه ؟ « بحث المطالب » للمطران جرمـانوس فرحات بحث يؤلف مثله كل من يحسن القراءة والكتابة . بماذا نقابل الكلمة المقولة في سيبويه : من شاء ان يؤلف في النحو بعد سيبويه فليستح ؟

وبماذا نجاوب ذلك الفاضل الذي كان يسأل كل طالب يجيئه ليسمع منه : هل ركبت البحر ؟ أي هل قرأت الكتاب لسيبويه ؟

أليس منالابتهار ان نقابل تلة رمل يجبل صنين او ضهر القضيب، ونقول: لنا هذا ؟ فأي معجزة عمل المطران فرحات ، صاحب بحث المطالب ، أعمل غير معارضة ألفية ابن مالك نثرا ؟ ابن مالك أسلم النحو العربي على يده ، والمطران نصّره. واذا كان لابن مالكعذر وهو ان النحو استلهم من الكتاب الكريم وطبّق عليه ، فالمطران لا عذر له لأن امثاله الانجيلية التي حشا بها بحث مطالبه معربة . وهكذا لعبت الطائفية دورها في علومنـا اللسانية والكلامية وظلت تسوقنا بعصاها حتى هـذه الساعة . وقبل وبعد فالمطران نثر منظوم ابن مالك ، ونقل شرح ابن عقيل إلى لغة ركيكة .

اذكر ، ولا انسى ، استاذاً لنا انه قال حين بلغ هذا الشطر من قول ابن

مالك : وما لنا إلا اتباع احمدا . اكتبوا ، يا أولادي ، امحوا «احمدا» أولاً، وضعوا محلها « ذي الفدا »، اي المسيح ، وهكذا مسخ الشعر فصار : وما لنا الاّ اتباع ذي الفدا .

كان الحق ان يقول الرئيس اللبنـاني للشاه الإيراني : لـكم « الكتاب » كتاب سيبويه، ولنا كتاب الشرتوني الذي جدد في علم النحو حين بويه وسهله، وجاء بالامثال التي تلائم روح العصر وتماشي الزمان ، فكان لنا أول علم نحو حديث. ولكننا في لبنان ننسى دائماً أو نتناسى من ليس له من ينوّه به،ولهذا تناسى لبنان عالمين كبيرين من ايمة نهضتنا نهضته سعيداً الشرتوني واخاه رشيداً.

وإذا اردنا وضع النقاط على الحروف تساءلنا : عمن اخذ سيبويه «كتابه» العظيم ؟ فالتاريخ يجيبنا : عن الخليل بن احمد العربي اليعربي ، وسيبويه الذي معناه رائحة التفاح يفوح شذا اعترافه بفضل معلمه اذ يقول في « الكتاب » عند كل فتوى نحوية : وسألته — اي سأل الخليل — فأجاب كذلك . ونعود الى مطراننا الجليل ، ذلك المجاهد الكبير في ميادين الثقافة ، لقـــد عشق العربية ايما عشق حتى ابحر،في ذلك الزمان، زمان مراكب الخشب والخيش ، واضعاً روحه على كفه ، راجيا ان يبلغ الاندلس ليقف على آثار قومنا العرب وقوف غيلان في ربـع مية.نعود لنستغفر الله لأننا حملنا على كتاب مطراننا ، فهو من لانت له العربية التي قيل فيها : ابت العربية ان تنصّرا . فالمطران جرمانوس فرحات اسقف مدينة حلب الشهباء هو الذي ادخل اللسان المبين الى البيعة ، واجله من عن يمين مذبح البخور ، فترجم وألف ، وهنا عمله الرائع،فهو أول من ألف دائرة ثقافية للترجمة والاحياء والتصحيح ، فكان من اعضائها التولاوي ، والباني ملافنة الموارنة في ذلك الزمان . هـذا هو عمله الثقافي الأكبر لا بحث المطالب .

والذي قلناه بمعرض الكلام عن بحث المطالب نقول مثـله في مقامات

ناصيف اليازجي المقلد للحريري والهمذاني ، والمقصر عنهما تقصيراً كبيراً .

وجاء في خطاب فخامة الرئيس : لكم إقرار اسلوب النثر العربي ، ولنا بعث هذا الاسلوب بقلم ابراهيم اليازجي وسليمان البستاني ، كما قال قبل هذا : فالمحيط لكم ومحيط المحيط لنا . ترى مادا نكون فعلنا إذا كنا نقلنا المحيط بعفشه ونفشه ، وما زدنا عليه الا طمطمانيات ؟ ..

أما كان الأحرى بفخامته ،حفظه الله،ان يذكر « الجاسوس على القاموس » في هذا السياق ؟ وما الجاسوس على القاموس الا نقد ظاهره نقد « القاموس المحيط » وباطنه نقد محيط المحيط الذي « كرس» اخطاء كتاب الفيروزابادي» مطبعية وغير مطبعية . ناهيك انه مبدع « سر الليال » وكفى .

ثم اية قرابة بين اسلوب اليازجي الابن ، وسليمان البستاني ، وبين اسلوب ابن المقفع ؟ ان هذين الكاتبين جاءا متأخرين ، بينما صاحب الجاسوس على القاموس ، احمد فارس الشدياق هو ركن النهضة وابوها ، وهو الذي ثار على السجع وردّ الكتّاب إلى الاسلوب الهيّن الليّن الذي لا تكلف فيه .

وما كان انصف البستانيين الاحفاد حين تناسوا خصومة الشدياق لعميدهم المعلم بطرس العظيم ، وسجلوا في دائرة المعارف هذا الاعتراف النبيل : نهج الشدياق في كتابته نهجاً جديداً جمع فيه بين متانة العبارة ورقة الانشاء ، ولولا مجونه وتصلبه في تعزيز الوجهة التي يوجه اليها قلمه ، لقلنا انه الأمام الذي يرجع اليه ، والمثال الذي لا يعول الا عليه » . فهل يؤيد الآخر قول الاولين ام يظل جزويتياً وعدواً للشدياق رقم صفر ؟

فليت فخامة الرئيس الدكتور لم يغفل عن ذكر الشدياق ، وهو لو فعل لكان وضع بازاء تلك القمم قمّة لبنانية ، وشبه جبلاً بجبال ، فيكون لنا في الأدب كما في الجغرافية ليبان وانتيليبان .

اني لأرجو ألا يغيظ فخامة الرئيس هذا التعليق الأدبي ، فلولا القول :

كلام الرئيس رئيس الكلام ، لما كنا حركنا ساكناً . ففخامته شرّفنا في العواصم بتمثيله الرفيع لنا ، وحسب لبنان أن يكون له رئيس لا يضارع كياسة وأدباً ، ونشاطاً عمرانياً ، والدليل على هذا النشاط انتقاله ، على الفور ، من شعب بوّان إلى اقليم الخروب ليدشن مشروعاً حيوياً ! .

دامت له هذه الهمة ، وأبقى له الله رداء الشباب .

البرعم الأشقر

للدكتور عارف قياسة

ديوان شعر صغير للدكتور عارف قياسة ، وفيه وثبات تبشر أن ذكر الدكتور سينبه في عالم الشعر . ففي برعمه الأشقر مفتوق الصبح الأشقر الذي لاح لابن أبي ربيعة منذ قرون ، وقد أدرك الدكتور الشاعر ما عنده فهتف :

لنا الشعر، والرنة الصافية وللناس الهية فـــانيه
لنا القمم الزرق عند الغمام ووشوشة النسمة الساريه
ورف جناح وهدأة صحو وتمتمة من فم الساقيه

الدكتور قياسة كلاسيكي في تفكيره وتعبيره ، وديوانه نشيد حب صارخ وان قال لنا :

قالوا كبرت والهوى مبكر ألم تزل في حسنها تفكر ؟

ولكن لي اعتراضاً على قوله في القصيدة التي تلي هذه القصيدة :

دعيني لا تلوميني دعيني أنا مخلوق من ماء وطين

فأين هذه من صرخة بشار بن برد ، حـين سأل صاحبته عبدة أن تتفس عنه وانه من لحم ودم ؟ ثم ألا يرى انه كان أحرى به أن يقول : أنا المخلوق من ماء وطين ، ليسلم بيته من العيب .

وإذا جلنا في ديوانه جولة سريعة نرى شعره الراقص يماشينا أو يسيرنا على موسيقاه المجول . وقد احسن حين خاطب نفسه في قصيدة « ولم تكفني » :

وكم شمعة اطفأتها الرياح ولم تهزم الليل أو تدفع

وخير من هذا ما يوجهه الى ذلك الحبيب المقطب المنكمش على ذاته فيقول له:

وبح بما في الروض من خضرة فموجع ان لا يبوح الزهر

وقصيدة الحالمة جميلة لولا قوله :

شفاهها تفتر عن قبلة اراقها الوهم على فيها

فهذه الشفاهها اكثر مما يلزم ، ومثله في القصيدة عينها تشبيه جفنها بالصفصافة وخدها بالرابية ..

وإذا ما بلغنا قصيدة «الاناء المكسور» لسيلي بريدوم وجدنا ان الدكتور هبط الى مستوى النثر، فذكرنا بقول الجاحظ: الشعر لا يترجم ولا يجوز عليه النقل.

أما ختام قصيدة «الفراشة المرهقة» فلعل معناه مستلهم من مهنة الشاعر :

جرحني النور بانيابه في الظل للمجروح طيب العزاء

نعم الفيء للجريح خير من الهاجرة ، ولكن استعارة الأنياب للنور ضخمة جدا ويخاطب الدكتور الشاعر ميسه فيقول له : عروس احلامك ها اقبلت . ترى افما احس مثلي ان ها نابية هنا ؟

وفي قصيدة «قالت وقلت» نتذكر قصيدة ماترلنك، فهي لاتقل عنها حسن جواب ولولا ضيق المقام لنقلتها لك ولكني لا استأثر بها بل انقل لك منها مقطعا:

قالت اذا جاء الشتاء غدا والثلج كفّن شامخ القمم

وتفجرت في الافق عاصفة مجنونة مجروحة النغم :

من يطلع الاقمار في الظلم ويفتح الازهار في الحلم

قلت اضحكي لليل وابتسمي

وكذلك قصيدة « الانسان » فهي من طراز قصيدة « اخي » لميخائيل نعيمه ، ولكن مقاطعها لا تختتم كتلك بعبارة واحدة ، وان ابتدأت مثلها بكلمة « أخي »

واخيراً نقول بأن الدكتور قياسه شاعر لاتنقصه الثقافة وانما تنقصه الجرأة ليترك العادة وهي كهف التقليد ، ويعتصم بحصن الارادة لينقاد له التجديد .

وجد

لرزوق فرج رزوق

أرى يا صاحبي الا تنحرف صوب معسكر البياتي مقلداً ايليوت . فقد لمحت هذا الاتجاه القليل الآن . اني اقول : إذا كانت تلك الثرثرة مع ايليوت ذات معنى فقد صارت مع البياتي بلا معنى . ويكون حظ شعرنا دائماً هذا التقليد ، فيا ألف صلاة وسلام على الشعر الرمزي ، انهم عندنا لم يشوهوه كما شوّه البياتي شعر ايليوت .

لم أكن أعرفك يا رزوق ، حين سمعت شعرك ونوهت بك . لم انس ساعة عرفتني بنفسك على درج الجامعة الامريكية ، وقلت انك لا تزال طالباً فما ندمت لأني فضلتك على غيرك من شعراء اذاعة الشرق الأدنى ، فانا يعنيني الشعر الجيد لا قائله . أما الخطة التي رأيتك تتبعها، اليوم، في ديوانك « وجد » فهي لا تؤدي بك الى حيث أتمنى اتريد ان اشبه لك هذا الشعر ؟ لاتزعل، ولا تحرد ، انه لأشبه بالكوسا والقرنبيط المسلوقين ، يعبي الكرش ولا يغذي. فبحياتك يا صديقي رزوق ، اسمع مني ودع هذا النمط .

اجل ، انت لم تبلغ بعد تكرار البياتي الممل ، ولا قذارة صوره، ولكني اخاف عليك من التمادي ان نظم البياتي للأمثال والكلام المأثور لأشبه بما نظمه الشيخ ابراهيم الأحدب . لقد ابتعد البياتي كثيراً عن الشعر بهذا التكرار الذي يشبه ، نوعاً ، قول المغني في الزجل اللبناني ، إذ يكرر

القوّال في أول البيت مـــا قاله في آخر البيت السابق . ما قولك في هذا ؟ أتدلني أين الشعر فيه :

وصياح ديك فر من قفص ، وقديس صغير :
« ما حك جلدك مثل ظفرك » و « الطريق إلى الجحيم »
من جنة الفردوس أقرب » والذباب
والحاصدون المتعبون :
زرعوا ولم نأكل .
ونزرع صاغرين ، فيأكلون .

* * *

وبنادق سود ، ومحراث ، ونار
تخبو ، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس :
أبداً على أشكالها تقع الطيور .

وفي قصيدة اخرى يقول :

بالأمس كنا — آه من كنا ، ومن أمس يكون .
نعدو وراء ظلالنا . . كنا ومن أمس يكون . !!!

وفي ثالثة يقول :

من لا مكان
لا وجه لا تاريخ لي من لا مكان .
تحت السماء وفي عويل الريح أسمعها تناديني تعال .
لا وجه لا تاريخ أسمعها تناديني تعال
سأكون ، لا جدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
وعلى الجدار
ضوء النهار

ثم قوله :

والسم والاكفان للمتعطلين
وكنت اتقن لعبة الداما
وتزييف النقود
وكنت مخلوفاً تميس .

الخ. وبمناسبة هذا التكرار الذي قرأته في قصيدتك «الرحيل» حيث تقول:

في الليل ، في الليل الطويل
ليل الرحيل
أنا لن أنام

تحضرني نكتة للشيخ رشيد الخازن . جاءه مغن في سهرة وقعد ينقر العود ويغني مكرراً : ما كنت أنام ما كنت أنام ، وظل على ذلك حيناً . فضاق صدر الشيخ وقال له : بتنام والا عمرك ما تنام ، أنا طالع نام .

إن تكرارك يا أخي رزوق، لم يبلغ من القبح ما بلغه البياتي . لعل البياتي يظن انه يغني « البيات » فيكرر ويكرر ، وأمـــا أنت فلا تزال في أول الطريق ، فنصف الدرب ولا كلها. ان ديباجتك لا تزال براقة جميلة، وشعرك طريف ، وليس عندي لك غير ما قلت ، فقف عند هـذا الحد ولا تخط خطوة ..

انظم يا رزوق من مثل «الايام الميتة » ،وهات كقصيدة «قربي» و«صوت الربيع » التي تهتف في ختامها :

الربيع الوريق جوّي الاريجّي ولكن أين الجنـاح الرقيق

ودعك من مثل « الماضي الجميل » وقولك فيها :

ظلت تقول : غداً يعود
ظلت .. وظلت موجة زرقاء تهتف من بعيد : لا لن يعود .

أن تكرارك جميل في « مرحبا » و « مش قليل » كما انك في قصائد « وجد » لم تزل تتبع تداعي الافكار ولم تطفر كما طفر البياتي فاشبه شعره في « أباريق مهشمة » هذيان المحمومين . البياتي شاعر فذ مطبوع ولكن حبه التجديد أضاع صوابه . وإلا فأي تجديد في تضمينه الأمثال ، وحكم شعر القدماء في شعره ؟

ان ديباجتك ، يا رزوق ، لم تخلُ عنك في هذه الرحلة الفنية القصيرة وهي ، حتى الآن ، ما زالت إياها ، ولكنني أخاف عليك إذا تهوّرت . أليس الأجدر بشاب مثلك أن يشق طريقه بيديه ولا يسير على طريق عبّده سواه . إذا كانت الطريق المعبّدة أماناً وسلاماً في الحياة ، فهي الخطر كل الخطر في الفن ، فتحاشاها . فمن الخير لك ولكل أديب أن تبني كوخاً من طراز جديد ولا تقلد قصراً .

بوح

لادفيك شيبوب

فلنصفّ حسابنا أولاً ، فالحساب الجيد ، كما يقول الفرنج،يخلق الصحاب الجيدين . أنا معجب بقطع نثرك الشعرية المجموعة تحت عنـوان بوح ، ولكن هذا العنوان لم يعجبني ، وسأقول لماذا . كما ان العنوان الثاني: قصائد وأهازيج ليس في محله ، فالقصيد لا يكون هكذا ، فلا بد له من وزن،وكذلك الهزج فلا يستغني أبداً عن التقطيع ، وهل سمعت بموسيقى بدون سلّم ؟ وبمناسبة ذكر السلّم قد تقولين : ولماذا أنت حامل السلّم بالعرض ؟فغيرك سلّم بأن هذا شعر ، لا بل شعر لم تقل العرب مثله ، أما قرأت المقدمة ؟

وأنا أقـول لك انني قلت من زمن بعيد ان شعرنا صريع الأوزان وقتيل القوافي ، ولكن هذا لا يعني انني من دعاة الشعر المنثور الذي شبهه أحد نقاد الفرنجة بالوطواط ، وتمثل بما قاله لافونتين على لسان هذا الحيوان : انا طـير وهذان جناحاي ، أنا فأرة فلتحيَ الجرذان !

ان هذه الظاهرة ، في جو أدبنا العربي ، ليست بدعة جديدة . قصّر كتّاب القرن الرابع في ميدان الشعر فجاؤوا بالنثر الفني،وكان السجع المنظم المبني على التوازن والانسجام وانتقاء الالفاظ ، فكان لهم ذلك النثر الفني ،ثم أفسده التقليد فانحط في آخر العمر إلى أسفل الدركات ، وانتهى أخـيراً غير مأسوف على شيخوخته غير الصالحة .

وجاء الريحاني حاملاً الى الشرق مقاييس هويتمان تحت ابطه ، فقال شعراً منثوراً لأنه ، على نبوغه ، كان غير مطبوع على قول الشعر الموزون . ومسح ذلك اذا قرأنا شعره المنثور الذي لم يسمه « قصائد واهازيج » نحس الموسيقى تضج فيه كما يضج نثرك بالعاطفة المتقدة . واخيراً كان جبران في دمعة وابتسامة ، وكان خيال جبران ذا جناحين عجيبي الألوان كأنهما ذنب الطاووس أو قوس قزح . ثم كان التقليد هادم اللذات . ذلك التقليد الذي رافق شعرنا منذ كان ، فقامت مدارس على انقاض اخرى ، واخيراً منذ ربع قرن تطاول لبنان الى الغرب فطرر الشعر العربي ، وكان لنا شعر بودليري سامانى فاليري ، ولكن المقلّد «بكسر اللام» لا يكون الا دون المقلد «بفتح اللام». ألا تسمعين بتقليد الاوراق النقدية ؟ فلا بد من ظهور الزيف منها مهما حاول الصانع محاكاتها .

ولم يقف العراق مكتوف اليدين فخلق لنا شعراً من طراز ايليوتي بشع التقليد ، فحفل ديوان البياتي بالكثير من مخلفات الجيش .. حتى تقززنا من تخيله ذاك ، وان لم يعدم من يحلله ويفسره ليستر قبح منظره كما تستر الجثة بالزهور. ثم حاول غيره ان يسير على تلك الطريق فسرنا من تقليد إلى تقليد

أما إذا شئت ان اقول ان كتاب بوح « نشيد اناشيد » فلتكن مشيئتك. غير اني اخشى ان اعدّك مقلدة ، وانت لم يعد يرضيك قول بعدما سمعت من تقريظ عنيف أصدّقت ان العرب لم يحبوا ، ولم يكن منهم مجانين حب ، ولا دواوين غزل قبل ان تكوني ؟ . لا تصدقي ما قال صاحبنا سعيد ، ابو المقدمات البراقة ، فهو حين عين « اطلالة الثلث الثاني من القرن العشرين » موعداً لبدء الغزل حقاً تحت شق القلم العربي ، لا يعني إلا نفسه ، كما عودنا في كل موقف يقفه بباب الكتب الحديثة .

قاتل الله الماكياج فانه يغير الملامح حتى إذا نمنا وطلع الضوء انكرنا انفسنا.

فلو لم يحب العرب لما كانوا . ولولا الحب والشوق لما كان الكون كله . فسفر تكوين سنكنيتن بني على الشوق ، والشوق زبـدة الحب ، وحب بلا شوق طعمه كالرماد .

ان نثرك الشعري يقرأ بلذة ولهفة ، ومنه سوف تعرف الاجيال حـكاية قلب معذب بالحب . لقـد اطلعتنا – ولا اقول بحت لنا – على ما في زواياه من خبايا ، فخالفت بذلك رأي الشاعر الصوفي – السهروردي – القائـل في المحبين :

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم وكـذا دماء البائحين تباح

مسكين ذاك الشاعر الفيلسوف ! تكتم كثيراً ولكن اخيراً ابيح دمه ..

وبعد ، فحسب ادفيك انها لا تعبد شمساً ولا قمراً ، وكأنهـا ادركت بذوقها الفني الرفيع ان القمر جرم هامد لا يلائم عاطفتها المشبوبة ، وكذلك الشمس التي اكتفى طرفة بردائها فالقاه على وجه حبيبته . ان الشمس محرقة تذكرنا باغنية « لهاليبو » ولذلك لم ترفـع ادفيك نظرها إلى الابراج السماوية وان كانت تنشد الدفء ، فمشنا معهـا على الارض ، ونجونا من الحريق ، وظلت الاطفائية في قواعدها . لقد حكمت لنثر ادفيك الشعري حين سمعته في مؤتمر ادباء العرب ، انها جبرانية من طعم آخر ، فكلاهما يلتقيان في اسلوب شعراء التوراة ، ويفترقان في الصور والالوان ، فجبران لا يجارى في هذا .

ورأيت ان النفس الشعري يتوارى حين تقص كما في قطعة « قدرة » التي تروي فيها حكاية زواجها . ولكنه يرتفع في «بحار» و «رفيق الغدوة» وغيرها .

تقرأ بوح فتحس طعم الشعر الفرنجي مترجماً ، وتخال انك تقرأ شيئاً من طاغور لولا روحانية هذا وجسدانية ادفيك . اني اقدر هـذا النثر الشعري الأنيق . فصاحبة بوح تكتفي تارة بذكرياتها كما في « غموض » ، وطوراً في املها المتردد كما في « ظلال » أما مقطوعة « سويداء » فجيدة وفيها تصميم .

وقد لمحت في مجموعتها تسلسلا تصف فيه حالات نفسها بكل صدق واخلاص. فبينا نراها تعلل نفسها بأمل ، أملها بابنها المذكّر بابيه ، اذا بها تعود ، كما تكون حالة كل انسان ، فتصرخ في « رفـة قلب » : أجبانة انا اذن ؟ لا ، وما احسبني جبانة ، وانمـا احب الخطى الواثقة ، وفي قلبي بعـد ، حنية دافئة ، فيها بقية حب ...

وكما خافت مـدام دي نواي من ضياع جمالها حـين رأت بنتها تنمو وتنضج ، كذلك خافت افروديت – ادفيك – فقالت في « مع جدتي » : وعندما يجف ماء الشباب في جسدي ، ويصبح هذا الجسد حطبة يابسة ، هل تبعث فيه الذكريات – ذكريات الحب – تلك الخلجات الحلوة ؟

لا تسألي جدتك ، اسأليني انا . الجواب عند جدك وهو : نعم يا سيدتي، ان تلك الخلجات لا تفارقنا حتى على سرر الآلام . لا تقف إلا عندما تبتدىء الحشرجة – الشخرورة – ولذلك قالوا ، النفس خضرا . فلا تخافي .

وفي « شجن » ، وهي عندي من روائع النثر الشعري ، تبوح بخوفها من الغد ، وما أرهب غدنا نحن الأرامل... فتقول لابنها في ختامها : غداً يوم تكبر يا ابني ، لمن قلبك ، ترى سيكون ؟

لو كان القارىء غيري لحمل مقاييس فرويد وراح يفصل على هواه ، أما أنا فلا استعمل غير مقاييسنا المعلومه . ولهذا أقول لها : انه بحث شائك يا ادفيك، فلا توقظي الفتنة منذ الآن،وكوني في الغد حماة حكيمة للستريحي.

وأخيراً : الطبع واخراج الرسوم انيقان جداً ، ولا عيب في هذا الانشاء الرفيع إلا كلمات عامية لا تلائم المكان الذي حشرت فيه ، مثل : مشاويرنا، وجلالينا،والتي أنا،ورموش، ويباطح ، ويفيّق – بتشديد الياء – وفرفطت، وعنوة – بضم العين وهي بالفتح – وتناتشا ، والمدنة ، ومفرفحة ، وتوشوش

اسمك ، ولا تنوجع لي ، فهي في هذا أخت الأديبة ثريا ملحس والشاعر توفيق صايغ

ان اللفظة العامية لها محل غير هذا المحل والشرط فيها أن تكون فصيحة ، اما هنا فهي تشين ولا تزين ، ومثلها ، قال وقلت : وتقول حين تؤخر ، فاذا كانت قبيحة فالتأخير يزيدها قبحاً .

السيد جمال الدين الأفغاني

لا بد للأمة من رجل متمرد يستيقظ في غفوتها ، ورجل الاسلام والمشرق الواعي أبداً ، كان السيد جمال الدين الأفغاني فايقظ القرن التاسع عشر بعد هجوده .

لم يكتب هذا الرجل كتاباً، ولكن شخصه كان أضخم كتاب في النهضة الحديثة. كان كتاب الشرق الحيّ ، فخلق رجالاً وايقظ أمماً كانت غافية تملأ الفضاء شخيراً وتخيراً .

لم أعرف له تأليفاً إلا رسالته في الرد على الدهريين . نشرها فرح انطوان بعد موته في مجلته الجامعة وعلق عليها . ولكني عرفت انه خلق في الأقطار التي وطأتها رجلاه مبادىء لم تمت . كانت المعرفة الكبرى والجرأة العظمى في جراب هذا الدرويش الأكبر .

كأنما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الله (يزرعه)

كان السيد من طراز الفلاسفة الرواقيين ، كان الأستاذ الأعظم في عصره ، وكان أستاذ مدرسة عظمى لا جدران لها ولا سقف . فاخرجت رجالاً كانوا قنابل ذرية مهدت السبيل للذرية . كان يتكلم كمن له سلطان وأي سلطان أعظم من سلطان الحق الذي تجند الأفغاني لنصرته

يقول المثل : صاحب الحق سلطان ، ولكن جمال الدين أرهب الملوك والسلاطين وهو لا يملك من حطام الدنيا غير لسانه وجنانه ، قاوم بهما الظلم

والاستبداد . فتماسكت التيجان حين زعزع هذا الاعصار العروش ، ولكنها لم تثبت إلا إلى حين .

كنا في عهد السلطان عبدالحميد نقول هكذا قبل أن نذكر اسمه : خاقان البرّين وسلطان البحرين ، ظل الله على الأرض ، ولي نعمتنا بلا امتنان ، السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان . أما الأفغاني فما رأى فيه ظلاً لله ، ولا وليّ نعمة،رأى فيه عارضاً مستقبلاً الشرق يريد أن يحجب نور الحق ، وهو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين .

ولما دعاه عبد الحميد إلى حضرته ، لم يتقيد بمراسم ولا تشريفات ، بل جلس في الحضرة الهمايونية يلعب في مسبحته . يسأل فيجيب ، ويناقش فيدلي بالبرهان والحجة . ولما خرج من حضرة الذات الشاهانية قال له مدير المابين: هكذا تلعب في مسبحتك وأنت بين يدي مولانا السلطان ؟ فأجابه السيد : مولاك السلطان يلعب بثلاثة وثلاثين مليوناً من نفوس شعبه ، أفلا يحق لي أنا أن ألعب بثلاث وثلاثين حبة من الزجاج ؟

جاء مصر فشاع صيته ، وانضم إلى حلقته ذوو النفوس النيّرة ، فجمعها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ،وجاءه وفد من كبار طلاب الأزهر ليسمعوا كلامه ويناقشوه ، وكانت تنام حدّه هرة ، فأخذ يمر يده على ظهرها فتقنطر وتشيل بذنبها ، فالتفت إلى أولئك المشايخ الصغار وقال لهم: أرأيتم هذه الهرة ؟ انها صورة عن مشايخكم يا أبنائي . ان هذه المبادىء تجسدت في حواريّه الإمام محمد عبده الذي قال وهو على فراش الموت :

ولست أبالي أن يقال محمد أبلّ أم اكتظّت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

فاذا شبّهنا الافغاني بسقراط ، كان محمد عبده تلميذه الذي جسد تعاليمه

كلمات ، وحاول جهده أن يزيل العناكب التي أخفت المرق المتين في الذهب الوهاج .

قال علامتنا الفذ الشيخ عبد الله العلايلي في الكلمة التي افتتح بهـا حفلة ذكراه :

ومجد الرجل -- أي الافغاني--انه عرف الطريق ، ووضع صوى الدرب . وجد مجتمعاً تنهب رأسه الخرافـة لتضمه تحت كابوسها ، ووجد مستعمراً يمد في حياة الخرافة ليضمن دوما استسلام قطيع الخراف .. وكانت براعته انه وجّه الضربة في أول الأمر إلى الرأس : ضرب يد المستعمر فتهاوت هنالك السدود ، كان لنا هذا الطوفان .

أجل يا إمامنا الجليل ، كان الطوفان ، كما روت التوراة ، لتطهير الجنس البشري من أدرانه ، وليس طوفان الأفغاني بأقل منه شأناً . ان بحر الفكر لا ساحل له. كان الرجل طوفاناً وسفينة وربانا في وقت معاً، وهكذا يكون الرجل الرجل.

ان « الكوكب الغربي » في لغة أبي تمام،ومذنب هالي في لغة علم الهيأة ، يظهر في نظامنا الشمسي كل ثمانين عاماً فيروّع الناس ، ولكنهم يعودون بعد اختفائه إلى ما كانوا عليه من لهو وعبث .

فمن لنا بمذنّب جديد ، وقد قربت الساعة ، يظهر في سماء هـذا المجتمع فيلمسه برأس ذنبه ويحمل عاليه ساقله ويعيد بناءه من جديد ؟

اننا إذا كنا نريد حقاً تمجيد ذكرى جمال الدين والدنيا،فلنعمل بما علّم. فلنثر على نقائص هذا المجتمع ، فلنثر على أنفسنا أولاً ، لنطهرها من أدران أنانيتها ، من أقذار طوفان المادة ، فقد بعدنا جداً عن تعاليم المسيح ومحمد ، ولا إصلاح إلا باتباعها والعمل بنصوصها الصريحة ، دونما اجتهاد وتأويل .

الانسان أخو الانسان ، والمجتمع الانساني وحدة لا تتجزأ ،وإذا حطمت هذه الوحدة عشنا في جحيم قبل أن ندرك النعيم .

جاء الافغاني مبشراً بحقوق الشعوب ، والشعوب لا تدرك حقوقها إلا إذا أصلح المسيطرون ما في أنفسهم ، وإذ ذاك يلقى النير عن الرقاب

تلك كانت رسالة الافغاني في زمن كانت فيه الأفواه مكممة ، فحقق جمال الدين الكلمة المأثورة : أفضل الفضائل قول كلمة حق في حضرة سلطان جائر .

دراسة الأغاني

للدكتور شفيق جبري

هل ركبت البحر ؟ هكذا كانت العلماء تسأل طالب النحو في ذلك الزمان .

كانوا يعنون بالبحر كتاب سيبويه الذي قيل فيه: من شاء أن يؤلّف بعد سيبويه في النحو فليستحِ . وإذا استعرنا هذه الكلمة لكي نقولها في كتاب الأغاني ، فلا نكون قلنا غير الحق لأن هذه الكلمة تنطبق عليه . وها هو الاستاذ الكبير شفيق جبري يركب البحر ويستعمره ويضع له خارطة تجميل ... فليته يتبع هذا الكتاب بكتب أخرى تتمه ، فيكون لنا كتاب « أغاني » جديد مبني على احدث طراز .

فقبل ان كتب الاستاذ جبري كتابه دراسة الاغاني لم يكن يعني الأدباء والمتأدبين من كتاب الاصبهاني غير دراسة الشعر والشعراء . فهذا الكتاب كان مرجعاً لأساتذة الأدب والمؤلفين في تاريخه كما صار عند ظهوره منذ الف سنة رفيق الصاحب ابن عباد فاستغنى به عن مكتبته التي كان ينقلها ثلاثون جملاً تحمل الاسفار التي لا يستغني عنها ابن عباد .

لقد بوّب الاستاذ وصنّف ، والتفت الى ما لم يلتفت اليه أحد غيره من قبل . عني بالاخبار التي لم يأبه لها أحد ، واحدث من كتاب الاغاني حدائق منظمة . فبعد أن كان كتاب الاغاني الضخم مثل مخازن السمانة التي لا نزال نراها في مدننا اليوم ، قد جعل منه هذا العلامة مخزناً طريفاً وحديثاً .

ففي أواخر القرن الماضي أدرك الأب لويس شيخو شأن هـذا الكتاب العظيم فانكب على تصنيف روايات وأخبار الأغاني فجمع بعضها في جزئين ، جزء للحكايات الاجتماعية ،وجزء للروايات الأدبية ،وقد أستقبلنا هذا الكتاب، في أول عهدنا بالدراسة ، وكنا نقبل عليه لسهولة لغته وحلاوة تعبيره .

ان شيخو لم يفعل إلا الاختيار لطريف الاخبار ، ولكن شفيق جبري نخل وغربل وانتقد وحاكم ولم يدع كل شيء للقارىء ، ففي أماكن قليلة جداً كان يعارض أبا الفرج ، ولكن اعجابه بعبقرية الاصبهاني كان يطلع عليك من كل مجثم ، وهو لم يقسُ على أبي الفرج قسوته على ابن خلدون حين ناقش دفاعه عن الرشيد واخته .

كان جبري في دراسة الاغاني عادلاً منصفاً لم يفكر بعصبية بل كان قول الحق رائده فأعطى الحق صاحبه ، وهكذا تكون الدراسة .

قـد قرأت كتاب جبري كلمة كلمة وأعجبت جداً بالفصل الأخير منه الذي عنوانه : لغة صاحب الأغاني وفنه ، فقد بلـغ الأستاذ فيه قاع هذا البحر ، ولا أدري اذا كان أحـد من قبل قد كتب خيراً من هذا في النقد والاهتداء إلى مواطن الجمال . قد أظهر الأستاذ جبري عبقرية فن صاحب الأغاني وقابل بينه وبين موليير في طرافة الحكاية . ساعد جبري على ذلـك اطلاعه على أدب الغرب وذوقه الفني الذي قاده الى محاكمات كثيرة ذات شأن، وهذا جهد يستحق عليه أصدق الثناء ، وأظن انه لم يظهر بعد كتاب عن الاصبهاني من هذا العيار الثقيل .

لقد ظهرت عبقرية جبري في هذا الفصل الذي اسميه ام الكتاب وان كان ختامه ، ففي هذا الفصل والذي قبله أدرك جبري سر جمال الاصبهاني كله ، وبعد ان كان الاصبهاني مرجع كتاب تاريخ الأدب أصبح صورة ناطقة للمجتمع القديم وهذا أعظم ما استخرجه منه جبري .

ان جبري يحب الكتـاب الظراف فقد سبق له أن درس الجاحظ دراسة وافية ، وها هو كما بدا لي ، في دراسة الأغاني ، حين يأتي دور أبي الفرج في النقد يقف موقف محامي الدفاع لا الادعاء ، وكم كنت أتمنى أن يقابل الأستاذ شفيق بين أبي الفرج وأبي عثمان الجاحظ عن عبد الرحمن آكل الرؤوس . وهنا يظهر لنا الفرق بين عقلية الكاتبين ، فالجاحظ عقله جدلي يعمل من الحبة قبة مع مجانية استكراه عمل ، والأصبهاني قصير النفس في الموضوع الواحد ، وأكبر ظني أن كلمة ابن العميد قد استحقها الجاحظ وهي في محلها : كل الذين جاؤوا بعده عيال عليه .

وأخيراً أقول سلمت يدا أستاذنا العلامة الجليل ففير قليل تمحيص واحد وعشرين مجلداً من كتاب من أكبر قطع وأدق حرف، وإذا كان جبري اختار وانتقى ولم ينقع غلته في كتاب صفحاته ٣٢٣ بل لم يأخذ من البحر إلا ملء جرة ، فكيف لي أن أحيط بكتاب الأستاذ في مقال كهذا ؟

وبعد فليس لي ما يقال إلا كلمة أوجهها إلى أديب مجهول ينبري إلى إنقاذ كتاب الأغاني ، وهو خمر خزانتنا الأدبية ، من هذه الأسانيد المملة وتكرار الرواية المزعج الذي يعرقل خط سير الكتاب .

أما لغة الكاتب جبري فحسبي أن أقول فيها انني لم أستطع تمييزها من لغة أبي الفرج حيث كان يختلط الكلامان بسبب إهمال الفواصل.أما الهفوات المطبعية فكثيرة .

أحمد فارس الشدياق

للدكتور محمد أحمد خلف الله

خلـَف الله عليك يا خلف الله . فقد تعبت كثيراً حتى نبشت ما في زوايا دماغ الشدياق من خبايا . انها سراديب لا يحسن التغلغل فيها إلا ذو عقل نـّير مثلك ، لا الذي أعمى قلبه الغرض وعشش في حنايا صدره غل قديم ، قديم كأنه الخطيئة الأصلية التي لا يمحوها إلا العماد عند النصارى ...

إن محاضراتك النفيسة تحملنا على الثناء عليك . وعلى مصر التي أنبتتك ، وعلى جامعة الدول العربية ومعهد دراساتها ، فقد أنصفتم نابغة العرب في القرن التاسع عشر . لقد كانت مصر سبّاقة إلى الفضل تليده وطريفه ، فمن احتفالها بذكرى رائد المسرح الأول مارون النقاش، إلى الجائزة التي وضعتها منذ سنوات للمجلي في تأليف كتاب عن أحمد فارس الشدياق المجدد في اللغة والأدب ، إلى كتابك هذا الذي أنصف الشدياق وفتّ حصرمة في عين من يحاول محو ذكره إذا قدر ...

فما أروع هذا الكتاب المنصف يطل علينا بمناسبة ذكرى مئة وخمسين سنة مرت على ميلاد الشدياق، وبمناسبة مئة سنة مرت على طبع كتابه الفارياق. إن كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق ، لهو الكتاب الأدبي الأول ، وهو ليس ككتب معاصريه الملومة من هنا وهناك . وقد قلت أنت فيه يا دكتور؛ وما أجمل الصدق في الدراسة والنقد : والكتاب ، أي الساق على الساق فيما هو الفارياق، يعتبر ترجمة أدبية صادقة لمرحلة من مراحل حياة المؤلف ، وهو

من هذه الناحية يعتبر من أقدم الترجمات الأدبية التي قام بها المؤلفون لأنفسهم. إنه أقدم من كتاب الأيام للدكتور طه حسين ، الكتاب الذي عدّه بعض المؤرخين للأدب أقدم ترجمة من هذا النوع .

ويمكنني أن أزيد : انه كتاب أدبي كما يفهم الفن اليوم ، صنعه الشدياق أبو نهضة اللغة العربية وجدها،وطبعه في فرنسا منذ قرن. فتح الشدياق أبواباً وشبابيك وشرفات في حصن العربية المنيع المنيف لتدخل إليه أنوار شمس الحياة الجديدة ، وقد دخلت . والشاهد على ما أقول ، قد اذعنه أنت في كتاب محاضراتك هذا ، قلت : ان هذا الاحساس القوي العميق هو الذي امتلأت به نفس أحمد فارس الشدياق بفعل البيئة الثقافية فيأوروبا، وهو الذي دفعه إلى أن يقدم هذه النصائح الغالية إلىبني قومه العرب ثم هو الذي دفعه إلى أنيأخذ نفسه بما يفرضه على غيره،ومن هنا كان أخذه منالثقافة الأوروبية ما ظل في الغرب . وكان أخذه من الثقافة العربية ما أقام في بلاد العرب ، وكانت نتيجة هذه الدراسة هذه الكتب الكثيرة التي أخرجها للناس، ص٨٩.

إن محاضرات الدكتور محمد أحمد خلف الله قد أعطت القوس باريها وارت الناس ، وخصوصاً المماحكين الموتورين ، أن أحمد فارس هو زعيم التجديد ، بل ركن النهضة الحديثة ، وإن الذين يحاول بعضنا زوراً أن يجلسوهم على كرسي مجد الأدب الحق لا تحملهم سيقانهم حتى يصلوا إلى أقدام عرش هذا العبقري . إن من يخلق ليس كمن يجمع ويصنف، ناهيك بأنه ليس لنا خلاّق في ذلك الزمان ، غير هذا الجبار ، فهو المعلم والأديب اللبناني الأول الذي ليس قبله قبل .

لقد التقطت مصر ربيبها الذي التجأ اليها فاراً من بحر ظلمات الاضطهاد ، فكان لها ابناً براً لا كما كان موسى لآل فرعون،وهذا الاخلاص الذي لم تأخذ منه تقلبات الدهر مقدار ذرة قد أشار اليه الدكتور خلف الله ، وأكبر في الشدياق ثباته على وداد الخديوي اسمعيل حين تنكر له الناس .

أما نحن فقد صح فينا قول الانجيل : لا يكرم نبي في بلدته ، وها نحن نحتفل بذكريات وذكريات ولايعنينا شيء من أمر مواطن اذاع لغتنا فىالشرق والغرب وفي كل ميدان من ميادين الادب الجديد فكأنه ليس منا ...

لقد ذكرتك مصر مرتين يا شدياق ، احببتها فبادلتك حباً بحب يوم لم يعد يرجى خير من لسانك ولا يخشى شر ، وهذا هو الانصاف الرفيع المنزه، الانصاف الذي لا تشوبه غاية ومآرب . لقد نبع الاشعاع من هذا الكتاب الذي انت عنوانه ، كما كنت فيما مضى ؛ والآن وكل أوان ، عنوان الاشعاع لأصحاب القناديل المطفية .. لقد طفئت عيونهم فلم يروك ، ولكن للتاريخ عيناً لا تنطفىء .

أشار الدكتورخلف الله إلى كل جبهة فتحتها في حربك العوان لأجل حرية الفكر ، فشكراً له على ما اسدى .

نعم يا دكتوري العزيز ، فالشدياق لنكولن لبنان ، وان لم يكافأ بالقتل مثله فقد كوفىء ولا يزال يكافأ بالجحود ونكران الجميل وطمس الذكر ، ولهذا ما خطر لواضعي برنامج البكالوريا ببال .

كافح الشدياق تجارة الرقيق منذ ثمانين عاماً فألغاها ، وكافح الركاكة والرطانة في أساليب معاصريه ولكنه لم يفلح ، وكافح عبودية المرأة يوم كانت رهينة المحبسين : بيتها والحجاب ، أفليس من الوفاء يا سيداتنا وآنساتنا ، ان تنهضن انتن لاحياء ذكرى الفارياق ؟ فالعلم لم يعد ينقصكن ، والحمد لله ، ففيكن الشاعرات والاديبات وصاحبات الالقاب العلمية والادبية الضخمة .

لقد عجزنا عن إيجاد الرجال ، فما رأيكن لو نهضتن بهذا العبء الخفيف الشريف ؟ كافح الشدياق عبودية الفكر في كل مقام ، وكان لتماليمه ثرها الذكي في كل قطر إلا في لبنان ، مسقط رأسه ، فانها لم تستطع ان تحرر الطائفيين منا ، فعقولهم ما زالت بخواتم ربها .

كافح هو الشلال وهم يكافحونه ولا يخجلون . يريدون ان يضعوا السراج تحت المكيال ، ولكن هـذا السراج الوهاج الذي احرق المكيال في شرخ شباب جبروته سيرسل ناره ونوره .

يقول مثلنا : الدنيا وجوه واعتاب ، وامش على قدم السعيد تسعد ، وها ان احتلال ابنك بالروح جيرتك سوف يعطي الحق صاحبه . كان صياد جعبة فصار صياد شبكة لا تفزعه التنانين والحيتان .

قضي عليك ان يشرد جسدك حياً، ورفاتك ميتاً ، ولكن جارك الاستاذ فريحه قد استيقظ . لقد طما الخطب حتى غاصت الركب .. ومن العار علينا ان يزين ضريحك بالسراويل ، وان يرقص الصبيان على قبرك ، وان يقذف بالزبالة وانت اعظم ادباء العرب .

ويا دكتوز خلف الله ، ارأيت اننا نحن في واد وانتم في واد ؟ انتم ترفعون علم الشدياق وتفتشون عن كل عربي يستحق لترفعوا ذكره ، ونحن نفتش عن الأعاجم .

انا من عشاق فن دوستوفسكي ، والفن لا يعرف الملل والنحل ، ولكن هل ألام إذا طالبت بإحياء ذكرى مزدوجة لأديب عربي لبناني لاتقل منزلته عن دوستوفسكي بالنسبة الينا ؟

ويا أخي سعيد فريحه ، يا صياد المكرمات ، تشبث بها اكرومة قبـل فوتها . اطلقت صفارة الانذار فالى الامام . لا تنس ان الشدياق كان ساخراً بكل شيء حتى السلاطين يوم كانوا اصناماً تعبد ، وها قد ترت انت مثله ، وانتفضت حين قرأت اسم كوبليان عنوان الرشوة التي افسدت نفوس اللبنانيين وعطلت الضمائر ، فكمل جهادك واتمم سعيك المشكور . والكلمة الاخيرة للدكتور خلف الله محيي آثار احمد فارس الشدياق، داعي دعاة العروبة والاسلام: لقد كنت يا سيدي الدكتور لا وقاراً ولا لاهياً . قرأت مخلصاً آثار هـذا اللبناني العربي المخلص ، فمحصتها وفلسفتها جميعاً في وقت يهمّ فيه بعضنا بهدم

هذا البرج ليبني بحجارته المهشمة بيتاً حقيراً .

يا دكتوي العزيز ، لو كان عندنا من يقـدر لاحتل كتابك كل بيت وانتشر في كل مكتبة وخففنا إلى تكريمك وتقديرك ، اللهم بغير بضاعتنا التي ابتذلت .. فسميك أحمد فارس كان يسخر من مولاه السلطان حين يهدي اليه شيئاً من هذه الزخارف التي سماها جلاجل ، كما تقرأ في « صقر لبنان » .

فلله ذلك الجبار ما كان أعظم كفاحه ونضاله في كل ميدان، في الصحافة وهو أبوها ، والتأليف وهو أول من جدد فيه ، والسياسة وهو من مشى اليها على مستوى رفيع .

كافح ، كما قلنا ، تجارة الرقيق منذ ثمانين عامـاً ، وطالب باصرار بحرية المرأة ، ثم سخر بكل شيء حتى السلاطين ، فقوّم المعوج إلا نحن فما زلنا كما تركنـا ، وتعاليمه الحرة لم تؤثر في هذا المحيط الموبوء لأن الطائفيين منا ، من أصحاب النفوذ السري الخبيث يأبون على كتبه أن تنشر عندنا، فما جاؤوا على ذكر اسمه في المنهاج لئلا يعرفه الجيل الطالع ويتمرد وينبذهم وينبذ أولياء أمرهم .

يقولون أن لبنان دولة علمانية ،أما أنا فأرى انه بعيد جداً عن العلمانية وهو إلى الطائفية أقرب.أصبح شعبه كقطيع له عدة رعيان وكل راع ينتجع غيثاً.

أما هذا الكتاب ، كتاب الدكتور خلف الله في الشدياق ، فلا عيب فيه إلا هذه الأخطاء المطبعية التي تفسد معنى العبارة أحياناً ، فليت طبعه يعـاد ليخرج سليما صحيحاً معافى .

أما الكاتب الكبير الاستاذ سعيد فريحه الذي يتحفنا بكل طريف ظريف، فنرجو ألا تذهب صرخته الكوبليانية سدى . لقد تأخر سعيد قليلاً، ولكننا نقول كما قال الفرنج : أن يجيء الخير متأخراً أفضل من أن لا يجيء أبداً .

ان صباح القبور ومساها لحجر عثرة في طريق الدعابة يا سعيد ، فالبدار البدار ! والله معك .

في زحام المدينة

للاستاذ انور شاؤل

مجموعة أقاصيص للاستاذ أنور شاؤل ، أبطالها مدنيون يرقصون ويغنون ويشهدون سبق الخيل ويطيرون .. وفي الجملة أنهم من صميم حياة بغداد ، وبغداد أم شهرزاد . أجاد الاستاذ شاؤل إخراجهم فكاد يغريك مشهدهم حتى تخالهم يتحركون . يحسن الاستاذ ابتداء أقصوصته كما يجيد ختامها ، فتمشي على الهينة من أول خطوة حتى تبلغ الغاية فأقاصيصه حسنة السياق والتوجيه، أما الأشخاص فصورهم غير حادة الملامح،والحكاية لا تكلف فيها لأن لا قيمة رئيسية لها عنده وكذلك التحليل النفسي فانه مندمج في سيرورة القصة ولا بقصد لذاته . والتعبير لا تأنق فيه،يكتب ببساطة فائقة فلا خيال ولا تعمل حتى تكاد تظن انه يسرد خبراً . وهذا في نظري القص السهل الممتنع ، كما قالوا قديماً في اسلوب ابن المقفع .

كل قصة من أقاصيصه مبنية على فكرة ، وعليك أنت أن تجدها ، لأن المؤلف لا يعنيه أن يدلك عليها ، فهو يتلبس باشخاصه كأنه يتنكر بها ، فلا تكاد تعثر على آثاره ولو كنت ممن تمرسوا بعلم الأدلة الجنائية . واني لأعجب من هذه البساطة الاسلوبية،مع أن بعض ادباء العراق قالوا لي انه شاعر عندما شرفوني بزيارة .

قد يكون الاستاذ شاؤل يرى أن الاسلوب البسيط هو أسلوب القصص ، ولكنني اعتقد ان الاقصوصة ، وهي قطعة أدبية فنية ، لا بد لها من الأخيلة

الشعرية . ولكن ما لنا ولهذا ما دامت اقصوصته تحث المطالع على السير إلى النهاية بلا ملل .

بقيت مسألة الحوار ، وهي من أركان الأقصوصة الرئيسية ، فكيف نوفق بين قول الأستاذ : أنا تحت أمرك يا ناهدة . وبين القول على الأثر : إنك إذن لمغفل عظيم . أرآها الاستاذ متجانسة مع أختها ؟ فان ، وخصوصاً إذا كان خبرها مقروناً بلام التوكيد ، ليست من بضاعة الحوار ، وبخاصة إذا كانت لا تجانس ما قبلها .

وأما هذا الحوار العامي في أقصوصة «حمّال» فمنه الطبيعي العامي الفصيح كقوله : عمي .. حمال . ومنه العامي العراقي الذي أضعنا معه الطريق وتهنا. فليته تأنّى قليلاً، ففي الاستطاعة أن يصير هذا الحوار مفهوماً من كل قطر .

قد يقول لي : على هذا جرى موبسان في بعض أقاصيصه البروفنسية . وأنا أجيب : إنهم كانوا يعربون عن غموضها بشرحها بلسانهم الفصيح ، أما نحن فمن يشرح لنا معنى لفظة بايك . إن المزار بعيد ، ودون ذلك أهوال ..

إننا نحب أن تكون لنا اللذة كاملة غير منقوصة،وقد صدقت في أقاصيص الاستاذ أنور الكلمة المشهورة : البساطة تخلق الجمال، فعسى أن يتحفنا بأخت لها من طرازها الطريف فهي لا تقتضي القارىء عناء ، والقصة وجدت للترفيه فكيف بها إذا كانت للتوجيه الصامت أيضاً ؟

قليلة هي الأقاصيص التي من طراز أقصوصة « أبو فتحي » فتح الله عليك بخمس من مثلها . ومن مثل « تريد أن تحب » .

ملحمة بولس سلامة

كان علينا أن نبدأ بالقديم من الكتب النائمة على الرف نومة الهنا . وقف سيل الكتب حين ظن الناس أن الله سيأخذ وداعته ، أما أنا فما كنت أريد أن أتحلحل أو أتزحزح..ثم انتفضت وزال القبر والكفن ، فعاد سيل الكتب الجديدة إلى مجراه ، وها أنا أبدأ بملحمة بولس سلامة لأنهـــا مستعجلة جداً والطبخة على النار .

عرفت بولس سلامة في عز شبابه ، كان عملاقـاً تام الألواح يثقل الأرض ويسد الفضاء ، لا كما قـــال ابن الرومي في وصف نفسه بل كما قال بولس في وصف هيكله العملاقي :

وكأن ربك قـد برى عمد السما لمـــا براني

أما كيف تسرب هذا الداء إلى تلك القلعة الممردة ، فهذا ما أعيا الأطباء علمه ، ووقفوا عنده حائرين . لقد صدق شاعرنا في وصف بلواه حين قال :

أيوب ! ما أيوب ؟ ماذا خطبه هو قطرة وأنا خضم بـلاء
فاذا مررت على الجريح تعوده فلقد أتيت مدافن الأحياء

قالوا : الفضل يعرفه ذووه ، وأنا أقول : الذي يأكل العصي ليس كالذي يعدها . فعندي من آلام بولس سلامة عشر الخبر . ولكن الآلام التي أغنت الأدب العربي المعاصر لآلام مطهرة،والعبقرية بنت النار المقدسة التي تصهر ولا تحرق . فلولا مصيبـــة أيوب لم يكن سفره الخالد ، ذاك السفر الرائع خيالاً

ووصفاً، وقد عدوه من الملاحم. ومن مثل تلك الآلام الأيوبية انبثقت ملحمة بولس الجديدة التي لم يأت بمثلها شاعر من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين . فاذا قال بولس: أيوب ! ما أيوب . فلسنا نكذبه ، فلولا مرضه لما قال هذه الملحمة ،ولما بنى في دنيا الأدب العربي هذا الجبل الذي لا ترقى العين إلى شماريخه.

وعرفت بولس سلامة في شباب عمره يلهو بالصغائر مثل بنت يفتاح وغيرها من دمى الأدب ، كان يتساجل وسعيد عقل في ذاك الميدان الضيق ، ولما صار جزءاً من فراشه أمسى جباراً في شعره فجاء بالمعجزات . إنه بلا منازع أطول شعراء الضاد نفساً ، وأصحهم لغة ، وأتقام عبارة ، وأشردهم قافية ، ضم في هذا البرج دنيا العرب قديمة وحديثة حتى صح أن نقول فيه ما قال البحتري في إيوان كسرى :

مغلق بابه على جبل القبق إلى دارتي خلاط ومكس

كان شاعرنا ، حين عرفته ، شاعر القضاة ، أما اليوم فصار قيدوم الشعراء ، وحامي الحقيقة المعلم . أخضع القافية العربية لنير الوزن فمشت منقادة لمشيئة الشاعر ، والأعلام التي بدت لي نابية في اليافذة هوميروس رأيتها في هذا السفر المعجز تستخزي لهذا الحادي الذي طوى البيد طياً ، وإن قال هو في المقدمة غير ذلك .

فملحمة عيد الرياض كلاسيكية أولاً ، وإن ضمت بين دفتيها جميع الألوان والمدارس ، فقد أطلت علينا بمئة وجه كما قال هو ، وهذا ليس بكثير على شاعر يخرج في خلال أشهر قصيدة مؤلفة من زهاء ثمانية آلاف بيت . وقد صدق حين شبهها بالقلعة المنيفة ، والغابة البكر ، والمسجد الرحب، فاذا فاتها شيء من الجمال المحنث ، فقد أدركت الكثير من أبهة الرجولة وجلالها .

وقد قال بولس يحدد شعر الملاحم ويشبهه :« أما ما سوى ذلك من الشعر – أي سوى الملاحم – فهو أشبه شيء بالبنايات الصغرى يراعى فيها جانب

الحسن أكثر مما يراعى جانب الروعة والفخامة ، وبين الحسَن والرائع فارق، وما أحسبه حين قال هذا إلا قد مرت في مخيلته صورة بنت يفتاح وقدموس سعيدعقل،ثم كأنه خشي أن تقوم قيامة سعيد فراح يداجيه ويصانعه ويتملقه، ولا بدع فسعيد عشير قديم ورفيق الطريق .

أما أنا فعندي لهذا تشبيه آخر . إذا شبهنا ملحمتي سعيد ببحيرة طبريا ، مثلاً،— نقول هذا لأن بنت يفتاح من ذاك المحيط — حق لنا أن نشبه ملحمة بولس سلامة بالبحر الأبيض المتوسط .

وإذا كان سعيد يركض المئة متراً ويزفر ، فبولس سلامة ركض الألف والخمسمائة وما لهث، مع أنه قعيد الفراش ونديم آلامه وسمير أوجاعه،وهذي بطولة أدبية بزّ بها بولس جميع شعراء العصر ، ووضع رقماً قياسياً حين بلغ المدى الأبعد،واستحق أعظم أكاليل الغار،فحق له أن يتمثل بقول أبي الطيب:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

شكراً لك ، يا بولس ، فقد فقت أيوب ، ولا أسمي غيره ، لأنه أعظم شعراء التوراة . أما كيف فقته فلأن أيوب العوصي غنى أوجاعه وآلامه ، وهذا هين،أما أنت البطل الذي يغني بطولة سواه بهذا النفس الطويل والشعر الرائع، فهذه أعجوبة الأعاجيب. إن عملك يحملني على الشك بآلامك، ولكن ما أعرفه عن صدقك يهتف بي : قف ، فوقفت ممجداً بطولتك .

قد يقول القارىء.ما عهدناك مادحاً بل قادحاً، وأنا أجيب بقول الشاعر:

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ولم أذمم الوغد اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

عندنا في كسروان مثل يقول: خبي زنكلك قدام معكرون بيت حبيش، وإذا رجعنا إلى الفصحى وجدنا عندها زاداً لهذه الرحلة، وهو قول أحد أئمة

العلماء:من يشاء أن يؤلف في النحو بعد سيبويه فليستح . أجل فليستح أولئك الذين يسمون كراريسهم ملاحم .

فمن لنا بمسيح آخر يقابل أعجوبة بولس سلامة بمثلها فيقول له : احمل سريرك وامش .

ولكن لا ، فبولس مقعد الجسم مجنح الفكر وثّاب القريحة، فخير للأدب أن يظل في سريره بشرط أن يطول عمره ، ويظل ذهنه صافياً ليعطي مثل هذا الشعر النقي الشهي كالعسل المصفى .

الظل الكبير

لسميره عزام

عنوان مجموعة أقاصيص للآنسة سميرة عزام ، وقد أصدرت قبلها مجموعة اخرى من طرازها عنوانها «أشياء صغيرة» ذكّرني هذا العنوان الأخير بكتاب لألفونس دوده عنوانه الشيء الصغير ،كما ذكرني العنوان الأول، الظل الكبير، بحكاية ثعلب لا أذكر أين قرأتها . قالوا : أقعى ثعلب على صخرة مع الفجر وراح يفكر كيف يحصل قوت ذاك النهـار ، فقد طاردته الكلاب والناس أمس وانتزعوا من فمه ذاك الديك الأرقش فعاد إلى وكره مكسوراً،وربحت الكلاب المعركة ونام هو بلا عشاء .

وبينما كانت تلك الأفكار السوداء تملأ رأسه إذا بالشمس تطلع من خلفه فيرى ظله الممدود على صخور الجبل المناوح فقال : لا بـد لغدائي من جمل فكيف احصّله؟ ثم ارتفعت الشمس قليلاً فتقلص الظل ولما رآه قال: يكفيني خروف.وارتفعت الشمس أكثر فتضاءل الظل فقال : نشكر الله صار يكفيني ديك حبش . وابتلع الوادي ذاك الظل وإذا به ينكمش كما كان فقال : لحم الدجاج أطيب اللحوم فلنسع وراء رزقنا .

تلك حـالة بطلة أقصوصة الظل الكبير التي حملت المجموعة اسمها . وهي حكاية طريفة تصور لنا تمنت الفتيات الذي يؤدي بهن إلى العنوس .

وفي الكتيب أقاصيص أخرى تصور حالات شتى من حالات الانثى تصويراً دقيقاً تحسنه الآنسة سميرة عزام أيما إحسان ، وليس عهدي بالآنسة عزام

بقريب ، فمنذ ١٩٥٠/١١/١١ ظللت انصت اليها واسمع اقاصيصها واقاصيصهن زهاء ثلاث سنوات ونصف السنة واعلق على ما اسمع من محطة الشرق الأدنى، وانتقد انتقاداً شديداً من غير عنف . كانت تعجبني اقاصيصها وما زالت ، وإذا خفت عليها من شيء فمن رسالة أديبنا الذي يحب أن يتفلسف الاستاذ ميخائيل نعيمه . أن هذه « المراسيم » التي تصدر عن ناسك الشخروب يغر ثناؤها الشيوخ فكيف بالغواني ! ترى أما وجد الاستاذ ضعفاً قط ليبرىء ذمته ويكون انتقد ؟

فلنفرض ان الآنسة سميرة عزام بلغت درجة موبسان وتشيكوف وجورج ساند فلا بد مما يقال . ألم ير إلى اللحن والخطأ اللغوي وان كانا قليلين ؟ مسكينة اللغة وقواعدها ، وأصبحت لا يسأل عنها كأنها ليست من مقومات الكاتب والكاتبات ، وكأني بها تهتف في اذن ميخائيل صارخة : وانت أيضاً يا بروتوس ؟

اثنان خطرهما شديد على حملة الاقلام من ذكور واناث : مقدمات سعيد عقل ومراسيم ميخائيل نعيمة . فعسى ان لا تغر من تكتب لهن ولهم، ويقفوا حيث هم . واني انصح الآنسة سميرة عزام ألا تنام على اكليل الغار فتظل حيث هي . ان ما ادركته الآن لا يكفي ، فمبارتها يجب ان تصفى وتنقى، والحوار الذي تتولى هي اكثره بالنيابة عن شخوصها يجب إن يترك لهم لتسير الاقاصيص سيراً هيناً ليناً .

اننا في حاجة إلى من يصور افكار المرأة وهواجسها وميولها ، ومن ادرى بهذا من انثى موهوبة خواص القص مثل صاحبة الظل الكبير واشياء صغيرة ؟ فليتها تخرج من هذه الدائرة وتراقب الجنس الخشن، ايضاً ،فالشباب يستحقون من يصورهم ويصغي من كانوا على شاكلة فارس أحلام بطلة الظل

الكبير . يظهر ان هذه البطلة كانت حافية وإلا لكانت اسمعتنا خفق النعال، بدلاً من « مسح دموع عينيها وشق الطريق في عتمة المساء » .

واخيراً اثني أحر الثنـاء على صراحة سميرة عزام المغلفة بالخجل الناعم جداً ، وحسبك ان تقرأ ختام اقصوصتها « القارة البكر » فتوافقني وتشاركني في هذا الثناء العاطر .

زوايا

لسلمى الحفار الكزبري

عنوان اقاصيص وحكايات كتبتها السيدة سلمى الحفار الكزبري، وللسيدة سلمى مجموعة قبل هذه قدم لها الاستاذ شفيق جبري كما اذكر .

كتبت سلمى أول ما كتبت « يوميات هالة » فقوبلت بالترحيب ، وها هي اليوم تطلع علينا بمجموعة اقاصيصها التي سمتها « زوايا » فاصابت لأنها تحدثنا فيها عن الكثير من عادات وتقـاليد نجهلها فصحت فيها وفينا الكلمة المأثورة : في الزوايا خبايا .

ان حكايات الجدة التي جعلتها سلمى كالحارث بن همام من المقامات يجـد فيها القارىء متعة قلما يجدها في أية حـكايات واقاصيص غيرها ، وهذا ما نحتاج اليه لنطلع على ما عندنا من أخبار محلية لا يعرفها إلا الذين نشأوا تلك النشأة وعاشوا في المحيط الذي تصفه السيدة سلمى .

أما اقصوصة خيـط العنكبوت التي احدثت تلك الضجة فبطلتها وبطلها اختلفا على تقبيل الرجل. أبت الخطيبة ان تطبع تلك القبلة المزعجة وفسخت الخطبة ، ولكنهـا عادت بعدئذ عن غيها ، وعذرها الحب ، الحب غفار الذنوب . أما قال الشاعر عبد الحميد الرافعي في قصيدته المشهورة : لقبلت حتى نعالها ؟

عبارة سلمى طلقة ، ولها في الحياة آراء مبعثرة في حكاياتها وأقاصيصها ،

فأبعدتها عن أن تكون وعظاً وإرشاداً . وخير مـا فيها تصوير المكان الذي تقع فيه قصتها فلم تعد تصلح لكل زمان ومكان ولكل شخص .

أما الأخطاء النحوية فلا أدري ماذا أقول فيها ، ففي الصفحة الاولى ، أي الاهداء ، تطالعنا هذه الهفوة : لن تر . وفي الصفحة التاسعة تطل كلمة كسيت وهى كسوت . وفي الصفحة ١٢ تقول أربعين رجـل وهي رجلاً

ثم تأتي كلمات عامية غير فصيحة مثل: وليف ، ومثل طلت أي أطلت، ومعشمشة وهي معششة ، واننا روحاً واحدة وهي روح ، ويتمـيّز الناس « ذوي » الأبدان الممتلئة بالطيبة والمرح ، وهي ذوو ، ثم بعد الغذاء وهي الغداء ، ومع شريكة « أخ ماجدة » وهي أخي ماجدة ، ثم وقعت عينيه على التقويم ، وهي عيناه ، ولا يذكر يوم زفافه إلى صفية ، والانثى تزف لا الذكر ، ويلقب الشاب بأب فلان ، وهي بابي . الخ .

انا من الذين يقيمون وزنـاً كبيراً للأخطاء ، ولا أظن انه يحق لنا أن نستخف بها إذا أردنا أن يكون لنا شأن في عالم البلاغة . قد يقول غيري : ما له ولهذا، أما أنا فأقول: هذا واجبي،ومن أهدى إليّ كتاباً فكأنه يسألني أن أكون له مشيراً ، وها قد كنت. فكاتبة لمع اسمها في دنيا الأدب كالسيدة سلمى لا يليق أن تصدر عنها مثلُ هذه الأخطاء. والغريب انها كتبت تصويباً للكتـــاب ، وهي لو لم تفعل لكنا جعلنا ذلك الخطأ في رقبة المطبعة . فاستراحت وأراحت .

ثلاثون قصيدة

للاستاذ توفيق صايغ

١

قد يكون في هذا الكتاب فلسفة وتمرد، وقد يكون صاحبه « يكاد يعيد النظرة في ماهية العطر... ويعيد النظر كذلك في أصول قص الشفق وكدسه وردة تشتعل في الخاطر .» هذا ما يقوله سعيد عقل في التميمة التي علّقها في رقبة توفيق صائغ لكي لا يصاب بالعين ...

انها ألفاظ معسولة يضعها معمل سعيد عقل ، خصيصاً للمقدمات ، تعني كثيراً ولا تعني شيئاً بعينه ... فأين الشعر يا ترى فيما سماه مؤلفه « ثلاثون قصيدة » ؟ ومن يدل القارىء عليه إذا لم يكن الذي كتب المقدمة ؟

الأشبه أن الشاعر سعيد عقل أراد أن يجاري توفيق صائغ في معمياته ، فراح كضارب المندل ، يرقينا بكلمات طنانة كأن يقول : أن كتابه — أي كتاب توفيق صائغ — لا ليقرأ . انه ليغدو خلجات فيك ودماً دافقاً وناراً. انه مزيج من شبق ولاهوت .

أن هذا المزيـــج العجيب أو الترياق الجديد ، الترياق المعجون من شبق ولاهوت لا يجده القارىء إذا طلبه ، إلا في صيدلية سعيد عقل

ثم يقول سعيد في اطراء توفيق:هنا اللفظة لا لتقول،حق ولا لتكوكب. انها لتعديك بالوجود .

أشهد انني لم أفهم ما يعني سعيد الا بالكد.لم أفهم كيف تكوكب اللفظة، ومع ذلك عديت عنها الى تعديك بالوجود . ورحت أفكر ، ولا مجـال الى التفكير بغير العدوى من المرضى . ولكن سعيد عقل الذي يعشق الطلاسم ضل فعدى هذا الفعل بالباء ، مع أن الفصحاء والعوام جميعـاً يعدونه بمن . فالعوام يقولون : انعدى من فلان ، والفصحاء يقولون في كلامهم، حينيعدون هذا الفعل بالحرف : اعداه من جرب او غيره من الامراض السارية .

ليس . ما لنا ولسعيد ، فلنتحدث الى المؤلف .

اسمع يا عزيزي توفيق، لا شك عندي في شاعريتك وعبقريتك ، ولكنك في هذه الثلاثين قصيدة لست بشاعر ، فليت الأبيات السبعين التي زمت الى الثلاثين كما قلت في قصيدتك الاخيرة ، صارت ثلاثة . (عفواً ! الكتاب غير مرقم لأعيّن الصفحة) .

ان الكلام المرصوف ، المقطع والموصل ، لا يستحق ان يسمى قصيدةولا شعراً . فالشعر الفاظه وموسيقاه وخياله ، وشعرك المنثور هذا لم يظفر بشيء مما قلنا. يخيل إلي انك شاعر، ولكن اللغة العربية ما زالت مستعصية عليك، فهل حاولت النظم في غيرها ؟ اكشف بختك فلعل لك هناك حظاً اوفر .

قد يسعدك الحظ فتكون صائغاً ماهراً في الذهب الفرنجي ، اما الذهب الرملي الذي هو « زوجة شمس بتول » كما قلت ، وما احلى تعبيرك هـذا ، فلا بد لصياغته من مران طويل . عجيب ، مالك والنطنطة ، والشحشطة ، والقربطة والطرطبّة ، ويبيغي ، ودفشات ، وحردبة، وتذرذرت الاوراق، وتبحلق ، ويقولب ، وطرطش ، وحسمست ، وشخط طراش ، ودفشات الخ .. فلو كان في هذه الالفاظ موسيقى شعرية ، او انها توحي الى قارئك ما لا توحيه اللفظة الصحيحة لعذرناك، ولكن هذه الالفاظ نابية لا تسـتساغ: فأي موسيقى شعرية في قولك : قدميّ نطنطا، وانا سأنطنط ... وما زلت

تحب الطاء يا عزيزي ، فلماذا قلت أراراس ، ولم تقل أراراط ، كما في ترجمتي التوراة الكاثوليكية والبروتستانتية ؟

وعلى ذكر التوراة يطيب لي ، كما يعبر السياسيون ، ان اقول : انه يخيل اليّ ان الاستاذ توفيق صائغ ربيب بيت ، للتوراة المحل الاول في مكتبته .. ان قطع هذا الكتاب الذي بين يدي قلما خلت واحدة من كلمة تلمح الى حادثة توراتية ، واسلوب الجملة متأثر الى حد بعيد بالعهد العتيق . وهذا ما يقول في القطعة الاولى ذات البيان الداودي :

أناتك لا تبلل جراحي
وابعد الخلّ عني :
سياط جلاديك كفتني
محبي معذبي الا تكفيك

الى ان يقول :

أأنا اصفد
لدخولي منزلا
انت عينته لي
ومفتاحك ادخلني فيه ؟
أناتك يا واصمي .

وقد اعجب الاستاذ سعيد عقل هذا الاحتجاج العنيف وعده، في مقدمته ، فتحاً مبيناً لتوفيق صائغ حتى قال عنه في المقدمة : ويكاد بالحجارة يرشق مظلات السماء ، لو لم تشفع به كلمة تقيم من موت : « ربّ ، انت المحب . »

عجباً لسعيد وهو سيد العارفين، الهائم بمار أفرام السرياني، ألم يبلغه شيء من شعر ملفان البيعة «ودلعته» على ربه ، حتى يعد هذا جرأة لم يسبق توفيق

اليها أحد حتى قال فيه أيضاً : أجرأ الاقلام المشرقية هـذا الفتى المضطرب المجرور العينين .

وفي القصيدة رقم ٢ رائحة « طوبى » وعظة الجبـل ، والثالثة ايضاً عنوانها « الموعظة على الجبل » حيث اتبع توفيق السيد المسيح ، وأعانه على تحقيق ذاته ، ولا شك ان يسوع شكر هذا المواطن شكراً عميقاً ، فلولاه لم يكن شيء مما كان ولكن توفيق يخالف فيقول :

والمياه التي انقلبت خمورا
عادت مياها على شفتي
والوحل الذي نقى من الوحل عيني برتماوس
جعل عيني تسأمان ما كانتا تتنزهان به .
والنداء الذي أعاد فتى نايين للحياة
ترك أمي في سواد
على تلة الخصب .

قد تقول وما حكاية فتى نايين؟ فنايين مدينة دخلها يسوع ، ومعه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير . ولما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأمه وهي ارملة ، فلما رآها يسوع تحنن عليها وقال لها : لا تبكي .

ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال يسوع : ايها الشاب لك اقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم ، فدفعه إلى أمه .

وفي هذه القطعة يصير برتماوس كما صار ارارط اراراس . أن هؤلاء الجامعيين يتمسكون بالأمانة العلمية ، وتوفيق عارف في التوراة حتى كأنه ابن خوري ، فما سبب هذا التحريف ؟

أما سبعة الجدل الذين صاروا سبعين كما لمح في هذه القطعة فهؤلاء شياطين كانوا يحتلون جسد مريم المجدليـة احتلالاً انكليزياً ... وقد أخرجهم منها

يسوع فتابت وصارت قديسة عظيمة .. قدّسناها حتى نسينا فراشها الاحمر الذي غسلته بدموعها .

كل هذه الخيرات تجدها في موعظة صائغ على الجبل ، وفيها يقول انه لا يزال ينتظر رجعة يسوع ليسمع من فمه كلمة « طوبى » . إن الايمان يعمل العجائب شرط ألا يكون إيمان شاعر ، كما هي الحال عند توفيق الذي يمكن أن يكون شاعراً مجيداً في غير العربية .

لا بد انك رأيت تقسيم الكلام المنقول من كتاب توفيق فاستغربت ذلك. لا تستغرب ، فهذا التقطيع يقصد منه أن يخلق الموسيقى أما أنا فما رأيته خلق شيئاً ، لأن الملبوس لا يعمل القسوس .

والآن وصلنا إلى القصيدة رقم ٤ التي أولها : ثم ماذا . احب أن انقل لك شيئاً منها وفق الأصل :

ثم ماذا
يقلب الملهاة مأساة
يمحو عن المأساة الجلال
مرداد خفيت
يبيقي
ثم ماذا
دناي الفراغ
أوكار حبالى
ثم ماذا

إلى أن يقول :

مع قهوة الصباح
ثم ماذا

وطوال ساعات العمل
ثم ماذا
وقبالة الاوراق
وبين طيات الفراش
ثم ماذا
وكما هنا هناك
ثم ماذا
إلى أن يقول خاتماً هذه الرائعة بقوله :
وفي
ثم ماذا
معمست كلامي

وقال سعيد تعليقاً على قول توفيق : « ثم ماذا » يصرخ ويكررها تقصم من ظهر .

أما انا فاشكر الله على ان ظهري لم ينقطع،ولكنه وجعني قليلا،وتذكرت قول موليير الساخر المتهكم بلسان أحد ابطاله : لا بد أنه شيء رائع ، فأنا لا أفهمه مطلقاً ...

٢

وفي رقم ٥ تلميح إلى النازفة التي لمست يسوع فصاح : من لمسني ، لأن قوة خرجت مني ، ولكني لا أقف عندها طويلا ، فهي صدى نفس معذبة تنتظر البزرة التي تمسي شجرة تعشش الطيور في اغصانها . ولكن متى ؟ يكون الجواب : يوم تلمسين ، وان تسأل : من ؟ قلت : انا .

وفي السادسة يقول : هل اشتم القدر الذي اختصر المارد وشوّهه ؟ جميل

جداً هذا الاختصار وهو تعبير شعري رفيع ، فليت اصحابنا لا يختصرون الشعر ولا يشوهونه .

والقصيدة السابعة أيضاً من آلهيات توفيق ، وهي اغنى اخواتها اللواتي مر ذكرهن ، بالموسيقى ، وبالتوبة لأن الاستاذ بوّس يدي يسوع وظل يبوسها حتى زال أثر المسامير .

وهنا لا بد من القفز إلى آخر الكتاب حيث القطعة الأخيرة . وهي لا تحمل رقماً بل عنوان : إلى جون مارشل .

ففي هذه تلميح إلى قصة دانيال. دعي الاستاذ كما دعي دانيال إلى طعام الملك فلم يأكل منه بل أكل القطاني مع رفاقه سراً ، وشرب ماءً لا خمراً وعاف كل أطايب الملك . ولكن سعيد الذي يهجس في هذه الايام بالفلسفة ظنها مأدبة افلاطون، فأوّلها كما فهمها. ولعل هذا هو السر الأكبر في الشعر الرمزي. .

ويلمح تلميحاً محرفاً إلى ظهور أصابع يد كتبت على مكلس حائط قصر الملك بلشاصر، كلمات فسرّها دانيال للملك ونال حظوة في عينه، ولكن النعمة زالت فيما بعد وطرح داريوس دانيال في جب الاسود، فأرسل الله ملاكه وسدّ أفواه الاسود ولذلك هتف توفيق في ختام قطعته وكتابه :

وصرخت : « انظر زال عني الهزال »
وقلت : « أمامك بعد جب الاسود »

أما الهزال الذي زال ، فإشارة إلى حوار جرى بين رئيس الخصيان حين طلب منه دانيال أن يقدم لهم طعاماً قطاني وماء . فقال لدانيال: أخاف سيدي الملك الذي عين طعامكم وشرابكم، فلماذا يرى وجوهكم أهزل من الفتيان الذين من أترابكم فتجعلوا على رأسي جريمة أمام الملك ؟

وأخيراً تمّ الاتفاق وأكلوا القطاني وسمنوا مثل غيرهم ونجوا من نجاسة طعام بابل ..

وكأني بتوفيق يقول لربه بعد ما سعى ورعى ... أنظر قد زال الهزال، فبشّره يحب الاسود .

ان نثر توفيق الشعري – وليته كان شعراً ذا وزن ليعلق بالذاكرة – لغني بالمعاني الرمزية التي لا يدركها إلا المطلعون على مصادرها اطلاعاً عنيفاً .

وإذا عدنا أدراجنا ثم مضينا قُدُماً في هذا الاثر الفني – فلنسمه كذلك لأنه لا تجتمع فيه مقومات الديوان – نجد الاستاذ صائـغ في « سيكولوجيا رجعية » يقول قولاً جميلاً وإن خلا من الشعر :

لعمري ما رأيت يداً تقطف قرنفلة
إلا ورأيت دمعة تحتها انتصفت ،
واندلعت على ستار
أمام عيني وخلفها
مشاهد السبي في الماضي الزري
واختطاف العذارى
وصفوف الاطفال في ما يسمونه بساتين

الى أن يقول :

وان للقرنفلة البيضاء رسالة
لا يسمعها غير بستاني أصمّ

وللقرنفلة الحمراء والصفراء أيضاً رسالات ،كما صار اليوم لكل شيء ولكل إنسان رسالة مهما كان شأنها ...

وفي قطعة « نشيد وطني » يتقمص الاستاذ جبة إرميا حين قعد يبكي أورشليم ويعيّرها منادياً بالويل والثبور ، بيد أن الاستاذ فاق ذلـك النبي المتشائم فيما كال لبلاده من شتائم حيث قال :

وكيف أصدّق ما يقال عن ماضيك

يا بلادي
أنا الذي رأيت بيتك وأضواءه الخافتة
ولما أشاح عنك العاشقون
قوّدتِ لبناتك
يا بلادي
يا بلادي .

انه نشيد عار لا يضارعه عاراً إلا ما قاله الخطيئة في المغفور لها أمه .. ويا ليته تشبه باشعيا واكتفى بقوله عن أورشليم : كيف صارت المدينة الامينة زانية ! ولكنه جعل بلاده قوادة ، ولبناتها .

أما رقم ١٠ التي أولها : « هذا الشبح الذي يلازمني » ، فتذكرني بظل زاراتوسترا لنيتشه ، ويقوى ظني إذ أسمعه يقول في الختام :

الى أين ؟
الى أين ، أيها الظل
الذي رأيته حق في الظهيرة ؟
إلى أين أيها الشبح الملازمي ،
الذي رأيته ينتظرني بهدوء
بين طيات المياه
حين التجأت يحنون
الى الصخرة المثقوبة

أما سأل نيتشه ظله أن يسبقه الى كهفه ليسهرا معاً ؟ وما الفرق بينهما إلا ان هذاك برّي ، وهذا بحري ..

ان عند توفيق صائغ ما عند نيتشه من عبقرية ، أحسن الله النهاية !

وه في الطريق إلى دمشق»تلميح الى الاسطورة المحبوكة حول بولس الرسول ولكن مطلعها رائع : أرى ويرثي الكثيف لحالي .

وختامها أروع دلالة وصورة :

الى طرسوس ؟ وتهجر القدس ؟
الى دمشق أياماً

ونبلغ الكيلومتر ١٦ فنسمعه يناجي واحدة قائلا لها :

عرفتك
وأنا اناء من الزهر خلو
فكنت الزهر : لكن ما كان أسرع ما فني .
وأنا ديوان ليس فيه شعر
فكنت الشعر . لكن ما كان أقصر عمرته

أجل ، هذا صحيح ، ولكن روحك الجبارة روح شاعر فنـان ، فليت العروض ينقاد لك فيسد فراغاً نتمنى أن يسده شعر عربي أصيل . أمـا هذا الشعر المنثور فهو بضاعة العاجزين .

كان أبي وجدي يقولان عن النبيذ الحلو : هذا نبيذ نسواني وأنا أريد أن أسمي الشعر بهذا الاسم ، فالشعر بـدون عروض لا يكون ، وإلا سقط موضوع التعجب منه كما قال الجاحظ . فالإيقاع لا بد منه ، ولا يبلغ الايقاع أقصى مداه بدون وزن وقافية ، ومتى صار الشعر صف كلام يكـون النثر المرسل على هيئته خيراً منه .

الخيال عند توفيق صائغ وافر ، والعاطفة متقدة ، فليت له القريحة . ليس هذا الكلام الذي يسمونه شعراً إلا تقليداً للشعر الاصيل التام الألواح ، فنصيحتي للاستاذ صائغ أن يحاول النظم ، ولا يقل قد ذهبت أربابه .

ان الاديب لا تخلقه الجامعات بمراسيمها : أعني شهاداتها صغيرة وكبيرة ، فما هذه الألقاب العلمية وغير العلمية إلا جلاجل تعلن قدوم القافلة ، أمـا ما تحمله القافلة وتنقله من وشي وحلي وعطر وخمر فهذا ما تقرره الدنيا لا المدرسة .

حاول كتّاب القرن الرابع الهجري أن يحلّوا النثر الفني محل الشعر المنظوم

فأفلحوا على قدر عبقرياتهم ، ولكنهم تخلصوا من الوزن وأبقوا القافية ، أما اليوم فلا وزن ولا قافية ، ومع ذلك يسمّون كلامهم شعراً بعين وقحة،وإذا كان هذا شعراً فكيف يكون النثر ؟

فلو سألنا سعيد عقل ماذا قلت عن شعر توفيق صائغ في مقدمتك ، فهل يستطيع أن يجاوب ؟

علينا أن نخلص للشباب ،ونقول لهذا الشاب العبقري العظيم توفيق صائغ: إذا صح أن نسمي بالشعر ما أطلقت عليه أنت اسم ثلاثين قصيدة كان في رقم ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ شيء من الشعر ، وكانت قصيدة « فزع » أقرب الى الشعر من كل ما في كتابك هذا .

وبعد ، فاللحن لا يليق باصحاب الدرجات العلمية العالية ، باستاذ يدرس المشرقيات في جامعة كمبريدج . فلا يقول نطنط وشحط ومعمس كما يقول : وبعدها تذبحيه ، في رقم ٢٣ .

وفي القصيدة ٢٨ جاءنا بلفظة البارمان وما اكثر مرادفاتها عندنا، ولكن الشاعر ينسى كل شيء حتى نفسه ، ولولا ذلك ما راح توفيق يفتش عن رأس اصلع يحط عليه .

أقول هذا إذا لم يخدعني النظر الى صورة توفيق التي على قفا كتابه، حيث رأيت أطراف الصحراء بدأت تترامى .

اما رقم ٢٩ فتصلح للرقص والانشاد ، وكم تكون ارقص يا ترى لو ساعدها الوزن ؟! « لقد صامرك الشاعر» فيها يا توفيق، كما قلت في ختامها .

واخيراً لو ضممت يا توفيق الى صوفيتك المتمردة ، وفكرتك العنيفة ، موسيقى الشعر واهتزازاته لكنت الشاعر الاول .

فهذا سعيد عقل الذي يحسب الدنيا اصغر من ان تسعه قد اعترف بعظمتك وجبروتك ، إذ تجليت له في منطقة نفوذه ، منطقة اللاوعي فرأى انك : « كل شيء سوى اللاشيء » والحاذق يفهم ..

اسبوع طه حسين

محاضرة الاونسكو ،

منذ عشرين عاماً تقريباً زار القاهرة الكاتب الفرنسي العظيم جيل رومان، وكان الدكتور طه حسين يحبو الى الخمسين، فالتف وأدباء القاهرة حول الزائر الكريم فأمتعهم كما امتعنا الدكتور طه حسين . اذكر ان الدكتور طه اطلق على تلك الزيارة الادبية اسم اسبوع رومان ، وها انا استعير منه هذا العنوان لأتحدث عنه تحته .

من عادة الاستاذ الكبير طه حسين ، ان يثير لا ان يصطاد ، وهكذا فعل امس في التي سموها مناظرة ولم تكن كذلك من جهة طه حسين ، وان كان الاستاذ رئيف خوري أعدّ لها ما عنده من عتاد . قلت عتاد لأن أديبنا الكبير رئيف خوري لم يجابه بسلاح يثير الدموع بل كان جديّاً متهيّباً، وإن أصاب اهدافه فبيد راجفة . لقد اكثر في تلك المحاضرة من كلمة « سيدي الدكتور » حتى كانت في حديثه كاللازمة، فذكرتني بصلاة الخورس السريانية التي يكثر فيها الشماسة من كلمة «بارخ مور» للخوري الذي يترأس الصلاة .

نظم رئيف حديثه وأشبع البحث درساً، وأثار قضية التوجيه في الادب، فامسك الاستاذ طه بهذا الخيط ولم يفلته . نسي المناظرة والخاصة والعامة فكان هو في واد ورئيف في واد، حتى صح في الأديبين قول عمرو بن كلثوم :

فصالوا صولة فيمن يليهم وجلنا جولة فيمن يلينا

أما المستمعون فكانوا يسمعون كلاماً عذباً كأنه الايقاع يلقيه طه حسين متانياً وإن كان من كل واد عصا كما يقول المثل ، ولكنها عصي رشيقة مثقفة لأن الدكتور حسين يعرف كيف يصل إلى مستمعيه .

أذكر ولا أنسى يوم حضر طه اجتماع الاونسكو في ديارنا ، وكان حديثه بالفرنسية ، فشاء أن يعتذر عن ضعف لغته فيهـــا ، فعبر عن ذلك كما يعبر الفرنسيون فقال : « موفيز فرانسيه » ، فظنوه يقصد الجماعة فاستقبل فريق كلمته هذه بعاصفة من التصفيق .

وبكلمة ، كان طه محدثاً أكثر منه مناظراً أو محاضراً ، يستفز مستمعيه بتعابير حلوة تهز الأيدي والأرجل حتى وإن كان أكثرهم لا يدري لماذا صفق...

وبكلمة أوضح ، كان زائرنا المشتاق مستخفاً بموضوعه وبمستمعيه ، فقلبه رأساً على عقب حتى خرجنا من القاعة ولم نعرف أللخاصة يكتب أم للعامة ، وكذلك خرجت الناس ولم نعرف أخاصة هم أم عامة ...

في الجامعة الاميركية

وفي مؤتمر الدراسات العربية كان موضوع الدكتور « مستقبل الجامعة » فلم يتنصل في بحثه كما تنصل في قاعة الاونسكو ، ولكنه تحدث عن مـاضي الجامعة المصرية بدلاً من أن يحدثنا عن مستقبل الجامعة ، كما هو منتظر ، بل يجوز لنا القول انـه كان أكثر تحدثاً عن ماضيه فيها وكيف انشئت الجامعة المصرية غصباً عن الملك والحكومة ، وفي كل حـال لم يحصر نفسه في دائرة موضوعه فخرج منه وكأنه لم يخرج ، ولكنه في كل حال سر الجمهور، خاصة وكافة ، بما في منطقه من جرس يجذب ، وما في عبارته من حلاوة رغماً عن التكرار واللف والدوران .

وأصغيت إلى محاضرته في دمشق وأنا متوقع أن أسمع شيئاً جديداً يفك الريق، فإذا بالدكتور يلخص ما قاله قديماً في حديث النثر والشعر عن أبي تمام

والبحتري والمعري ، ولا جـديد إلا قوله ان هؤلاء الشعراء سوريون ، وان سوريا وهبت الأدب العربي هؤلاء العباقرة وخصوصاً أبا العلاء المعري الذي لا يضاهيه شاعر . وكان التصفيق الحاد ، والوسام السامي ، وطه لم يخرج من دائرة ما كتب منذ نصف قرن عن أبي العلاء وأبي تمام .

فإذا عدنا إلى أنفسنا وقلنا بأي جديد أمتعنا الدكتور في هذه المحاضرات، كان الجواب هزة كتف وقلبة شفة .

تحضرني بهذه المناسبة حكاية رواها الجاحظ عن احد بخلائه . قال :

دخل علي الاعمى على « يوسف بن كل خير » وكان يوسف هذا قد تغدى فقال : يا جارية هاتي لابي الحسن غداء .

قالت : لم يبق عندنا شيء .

قال : هاتي ويلك ما كان ، فليس من ابي الحسين حشمة .

ولم يشك – علي الاعمى – على انه ليؤتى برغيف ملطخ ، وبرقاقة ملوثة. وبسكر ، وبقية مرق ، وبعرق ، وبفضلة شواء، وببقايا ما يفضل في الخامات والسكرجات. فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف ارز قاحل،لا شيء غيره،

فلما وضعوا الخوان بين يديه ، فاجال فيه يده – وهو اعمى – فلم يقع إلا على ذلك الرغيف . وقد علم ان قوله « ليس منه حشمة » لا يكون إلا مع القليل ، فلم يظن ان الأمر بلغ ذلك . فلما لم يجد غيره ، قال : ويلكم ! ولا كل هذا بمرة . رفعتم الحشمة كلها ...

أما الدكتور طه فلم يدع الحشمة كلها ، ولكنه تبل لنا طبخة البائت ببعض التوابل ، ولم نفز من مطبخه الا بأم الفلافل ...

دعي احدهم ليلقي خطبة لا تتجاوز ربع ساعة زمان فقال : يقتضي لي فرصة شهر لاهيئها !

فتعجب محدثه وقال له : لو طلبنا منك ان تحدثنا ساعة أو ساعتين ، فكم كنت تطلب من الوقت ؟

فأجاب : أتكلم الآن .

أنا آسف أن اصارح الدكتور طه ومريدي طه بهذه الحقيقة، فهو لا يخرج من قمصه ...

وإذا اردنا تصفية الحساب مع طه حسين قلنا أن الاستاذ الكبير والاديب العظيم قد شبع من الثناء حتى انبشم ، وارتوى وما يزال ظمآن لأن الأدباء لا يرتوون من الثناء ولو عبوه من نهر الفرات ... وإذا فاته المدح فلا بأس بالقدح ، المهم ان يذكر ، وإلا فأي داع لقوله لأسامة عانوتي حين سأله:أنت قلت ان زعامة الأدب انتقلت إلى بيروت .

فقال : لا ، بل قلت توشك ان تنتقل . وهكذا نراه في جميع مواقفه لا ينسجم مع نفسه . أراه كالقبوط « الجندب » تقبض عليه فيفر تاركاً لك فخذه ..

وسمعته يقول في مواقف : اردت ان اغيظ المصريين .. واردت أن اغيظ الشباب . ولماذ ؟ ألأنهم يفعلون اليوم كما فعل هو بالامس ؟ ! ثار على أمارة شوقي ورضي عن « عمادته » هو ، وأي فرق بين الثنتين ؟

فلو كان الأمر لي لنزعت هذه الالقاب فالحقها بالباشوية والبكوية وغيرهما.

أما وصلنا إلى ساعة ترتكب فيها جرماً فظيعاً إذا لم تسلم على بعضهم بالدكترة ؟ لم يدكتر طه احداً ، وقد أحسن ، ولكني لا ادري كيف كان يكون ، لو قابلوه بالمثل .

وسأله الاستاذ عانوتي في الاذاعة اللبنانية بماذا يوصي الشباب المتأدبين : أوصاهم بالتأني ، أي بالاعداد الطويل ، فهل فعل هو شيئاً من هذا في كل ما

سمعناه منه في لبنان وسورية؟ لقد صحّ فيه وفينا قول مثلنا اللبناني فيالضيف الرخيص : اطعمناه من حواضر البيت .

وتعرض الدكتور في حديثه « مستقبل الجامعة » لقضية المعلمين ورواتبهم الضئيلة التي كانت لا تكسو ولا تشبع ، فحسنها يوم استوزر ، فرّنت كلمته وطنت في اذن معلمينا،وكانت دعوة النقابة لتكريمه ، فاقاض في تلك السهرة في وصف ما أمّن للمعلمين من معاش يرّفه عنهم ويحملهم على خدمة النشء خدمة نصوحاً ، فطابت النفوس ونام المعلمون تلك الليلة على سرور .

ثم كان تحليف الحكومة لفريق منهم ، فتذكرت سنة ١٩٠٨ عندما كانت الحكومة العثمانية تحلّف زعماء القبائل والطوائف يمين الاخلاص للدستور . لست ادري والله ما قيمة هذا الحلف الذي لجأوا اليه . ترى ألم يعرف داود ان خبز التقدمة لا يحل له ؟ ! ومع ذلك أكله لما جاع ..

وبنو حنيفة صنعوا صنماً من حيس ، أي تمر،واخذوا يعبدونه ، ولكنهم لما جاعوا اكلوا ذلك الاله ... ان الخبز الكافي والثوب الوافي والبيت الدافي تغني عن ألف يمين .

أما قال الشاعر الصعلوك في ذلك الزمان مخاطباً زوجته أم عامر يوم ساقوه إلى ديوان الأمير لأنه سرق كيس طحين :

فإن يضربوني جثتهم بدقيقهم وان حلّفوني فاحلفي يا أم عامر

كان عندنا « ظابطي » عرف بالآغا . والآغا ، في ذلك الزمان كانقاضي تحقيق ، فوقع على مذنب يعرف أن ذمته واسعة وكان متهماً وليس لدى خصمه من يشهد عليه ، فتحير الآغا . واحب المدعى عليه أن ينقذ الموقف فقال للآغا : حلّفني يا سيدي ، فأنا مستعد أن احلف لك انني بريء .

ففكر الآغا هنيهة ثم التفت اليه غامزاً مبتسماً : معك ريال مجيدي ؟

فتهلل الرجل واعتقد أن المجيدي فض المشكل وأراحه من رح وتعال ،

وتعطيل اشغال . فقدم الريال للآغا فأخذه ثم تفرّس بالرجل وقال له :اطلب الريال المجيدي، مني .

فقال الرجل : العفو يا سيدي، كيف اطلبه منك ؟ وما قيمة المجيدي ؟ خففت عني من المتاعب ما يسوى ذهبات صفراً .

فصاح الآغا : قلت لك اطلبه مني ، وبعد ذلك ترى .

فقال الرجل : طيّب ، هاته يا سيدي .

فقال : ما هو ؟

فقال الرجل : الريال .

فقال الآغا : انت اعطيتني ريالاً مجيدياً ؟ وحق القربان والصليب والثالوث الأقدس ما اخذت منك شيئاً .

فتعجب الرجل وقال : وَاَلوْ يا سيدنا !

فقال الآغا : والو يا طنوس . متى صار الآغا جحش حمار حتى يحلف الناس، ويبرئهم بناء على كلمة يلفظونها ؟ هذا ريالك خذه رح هيّىء حالك للنوم في بيت خالتك ..

هذه قصة نرويها بلا تعليق ، وإذا قال أحدهم : هل صارت الناس كلها بلا دين حتى تحلف ولا تبالي ؟ قلت له:ان الأمير بشير حلف على مذبح سيدة التلة ، في دير القمر ، هو وجرجس باز ، أمام البطريرك يوسف التيان على أن لا يخون أحدهما الآخر، ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ أما قتك المير بشير بجرجس باز ، واستقال البطرك التيان احتجاجاً ؟ ولكن صار الذي صار ، ولم ترجع روح جرجس باز إلى جسده .

المستر كراين

على أثر الاحتلال بعد حرب ١٩١٤ ،جاءنا رجل امريكي اسمه المستر كراين، وطاف في الاقطار العربية كلها ، وخصوصاً في لبنان وسوريا ، سائلا الناس

انتداب أية دولة يفضلون:فرنسا أو انكلترا أو امريكا ، وتألبت الناس عليه، وعرضوا له مطالبهم . وهكذا فعلنا نحن في اسبوع طه حسين ، فبعد عرض قضية المعلمين في تلك الليلة الساهرة ، هبّ الأدباء يرفعون للدكتور عريضة استرحام طالبين ، عن يده ، عفو مصر عن الأديب المفكر الحرّ الاستاذ عبد الله القصيمي .

عرفت الاستاذ القصيمي مفكراً حراً ، فاضلاً أبياً عزيز النفس ، ولكن لا بأس عليه إذا تمثل بقول أبي فراس : لولا المجوز بمنبج ... الخ. ولا بأس عليّ إذا عجزت طه حسين ، فلعله يجتدّ ويعيد الشيخ القصيمي إلى وكره في القاهرة ، وإلا قلت : هذه حكاية مستر كراين تعيد نفسها .

ان قضية معلمي المدارس الخاصة لا تحلها تصريحات طه حسين ، فأولو الامر عندنا يعرفون الأنظمة العالمية عن ظهر قلبهم ، ولأمر ما جدع قصير أنفه . وإذا لم يبن رب البيت ، فعبثاً يتعب البناؤون .

ان جميع القوانين تُنظر فيها إلا قضيه معلم المدارس ، لان لمقاوميه ظهوراً قوية ، وهو مكسور العصا ، وهذا الحال يا عوكر ، العالم راكض ركضاً إلى الأمام ، فمن قنبلة ذرية الى هيدروجينية . ومن مدافع ضد الطائرات إلى آلة تتناولها كما يتناول الصقر العصفور .. والمعلمون ، وهم مربو الامة ، سلاحهم بندق بو فتيل ، والدولة ترضى منهم باليمين ، أما الخبز فعلى الله أما قالوا انه ، جل جلاله ، يخلق دودة في صخر ويخلق لها معاشها ؟

فاتكلوا عليه أيها الاخوان ولا تنسوا كلمة الانجيل : إيمانك أحياك . اذهبي ولا تخطئي أيضاً . .

كتاب الثورات

لسلامة موسى

هذا كتاب تجسدت فيه نفس سلامة موسى. وهو كتاب الثورات، وحياة سلامة موسى تاريخ ثورات . فهو الكاتب الثائر في كل فصول حياته ، ثائر على طرق حياتنا ، ثائر على طرق عاداتنا ، ثائر على تقاليدنا ، على ثقافتنا التي قال فيها في كتابه هـذا : الثقافة الاوروبية هي التي حطمت العقائـد والتقاليد الهندية ، واكسبت الشخصية الهندية استقلالاً جديداً ، فحلّ التفكير محـل التقليد ، والنهضة مكان الجمود .. لم ينهض بالامم الشرقية التي ذلت تحت أقدام الاستعمار سوى اولئك الذين لقنوا الثقافة الاوروبية وعبّوا منها .. أما الذين قنعوا بالثقافة الشرقية فقد قعدوا ولا يزالون قاعدين .

قال الشرق في الهند باعدام الارملة ، وبنجاسة خمـين مليون هندي ، الى ان قالت الثقافة الغربية بلسان طاغور وغاندي ونهرو : ان الانسان الهندي فوق الآلهة الهندية ، وان الشعب الهندي فوق المهـارجة ، وان رغيف الخبز للجائع خير من اللؤلؤ والالماس للمهراجا وتجرأ شاعر الهند طاغور على ان يقول:

« اني لأود ان تصيب الهند صاعقة تحطم جميع معابدها ، ثم تعود بعـد ذلك فتنشىء ديناً جديداً » .

واولاً واخيراً ثار على طربوشنا، وهبك الله عمره. فهو كاتب نسيج وحده، بين كبار كتاب مصر ، انتهت اليه، بعد الشميّل وصروف وفرح ، قيادة رسالة الفكر والعلم والتطور. فهو لا يقيم للأدب وزناً ما لم يكن بناء ، وله فيما يكتب

اراه لا ادري مقدار وزنها . اذكر انه قال في حملته على الطربوش ما معناه: اننا اذا طرحناه جانباً ولبسنا البرنيطة نصبح نفكر بعقلية غربية ونبتعدعن طريقنا الشرقية التي لم تعد تصلح للحياة في القرن العشرين .

مسألة فيها نظر الى حد ما ، أظن اننا إذا طعمنا لوزة خوخاً فالجذر يظل جذر لوز ولكن الثمرة تتغير ، ولهذا قال السلف : الملبوس لا يعمل القسوس ، وعرق الأصل نزّاز .

لا أظن ان سلامه موسى اكتسب مبادئه الثورية من ملبوسه ، ولا أنا كذلك ، فقد كنت يوم كنت البس الغنباز ثائراً كما كنت بعده ، ولا أظن أن البنطلون الذي ضيق عليّ استطاع ان يحول بيني وبين حريتي. فالثائر المطبوع لا يحول دون ثورته عشرة أذرع مقصوراً أو كم يرد جوخ .

لقد انقطعت عنا اخبار سلامه موسى حقبة من الزمن حتى كاد ينساه الناس ، ولهذا لا بد لنا من المامة تعيد الى الاذهان ذكرى هذا الكاتب المتمرد، فهو صاحب المجلة الجديدة التي أصدرها سنين فكانت بوق الثورة الصارخ : ايها الشرقيون اعدوا طريقاً للجديد إذا كنتم تطلبون الحياة .

وهو اول من ألف كتاباً في العقل الباطن أذاعته مجلة الهلال كهدية لقرائها عام ١٩٢٨ .

وله في هذا الموضوع ايضاً كتاب اليوم والغد ، ونظرية التطور وأصل الانسان ، وحرية الفكر وابطالها في التاريخ ، واحلام الفلاسفة ، وغاندي ، والحكمة الهندية ، والسيكولوجية في حياتنا اليومية ، والنهضة الاوروبية .

ما ذكرت هذا إلا لتظهر عناوين كتبه انه كاتب تقدمي، كما يعبرون اليوم، وربما جاء يوم قال فيه الآتون بعدنا : ان سلامه موسى هو ممن ايقظوا نواطير مصر النائمة عن ثعالبها .. فكلمة : طائر يغني في غير سربه، تصح في هذا الكاتب لا في ابن الرومي فهو أديب في كوخ لا في برج عاجي ، أديب

شعبي يكتب ليفيد، يبتعد عن القديم حق في تعبيره، وحسبك قوله في مقدمة كتابه العقل الباطن : وقد توقيت فيه بقدر الإمكان، ذكر الألفاظ العلمية لأنه موضوع لجمهور القراء، كما توقيت فيه الأعاجيب الأدبية الرخيصة ،مثل «رأيت فيما يرى النائم » بدل « حلم » و « الجاثوم » بدل كابوس » الخ .

وبعد أن غاب عنا سلامه موسى سنين،إذا به يطلع علينا بكتاب الثورات، وهو كتاب الساعة . وحسناً صنعت دار العلم للملايين إذ نشرته، فنحن أحوج ما نكون إليه . فلا تجديد بلا ثورة ، وحسبك برهاناً على أن الثورة لا بد منها ، ان أولى الثورات كانت في السماء . أمـا أبى ابليس أن يخضع وثار فاستقل ؟ ولكن بمملكة الشر . لا بأس ... أما قال شاعرنا :

إذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ألمّ الأستاذ سلامه موسى بتاريخ الثورات والرجال الذين صنعوها، ولكنه لا يأخذ التاريخ بعفشه ونفشه ، بل يأخذ منه المواد التي تولد الانفجار ،وهو يقول : في هذا التاريخ مركب كيماوي يتسلل إلى خلايا المخ فيحرك الذكريات ويصل بيننا وبين الأبطال، ويثير الحنين إلى الضحايا ، فيحدث التغير والتطور في نفوسنا حتى لنعود أبطالاً ، وحتى لنرضى أن نكون ضحايا .

والكاتب متألم جداً حتى اني أخشى عليه أن يكون قد تجاوز حدود الانصاف حين قال :

عانيت بعض المظالم ، كما عانيت في عام ١٩١٩ و ١٩٥٢ واعتقلت اثني عشر يومـاً لأني قلت « ان في مصر من يعيشون بألف جنيه في اليوم ، ومن يعيشون بثلاثة قروش في اليوم ، وأحياناً لا يجدون هذا المبلغ ! » ولذلك ألفت هذا الكتاب وأنا في شهوة من تلك الشهوات الذهنية العليا التي تنتاب المؤلف وتقارب الالهام، وأحسست طرب العاصفة ولذة الانتقام من الذين خانوا الانسانية والشرف . وأية لذة أكبر من أن يحس المؤلف وهو يكتب أنـه

يبصق على وجه تشارلس الأول ولويس السادس عشر ،وتوفيق،وفؤاد وفاروق؟

قال ابن الرومي في ختام أبيات واصفاً نفسه ومعرفاً الناس بها : ماذا يقول القائلون بعدي ؟

ونحن ما عسانا نقول في كتاب سلامه الذي يقول:اني افرّج بهذا الكتاب عن توترات صمتٍ بها أكثر من نصف قرن !

للمؤلف أن يكتب ما شاء من حقائق ، وربما أن سلامه موسى ما كتب غير الحقائق ، ولكنه ألا يرى معي أن كلمة « الدخاخني » مثلاً ، التي ذيّل بها اسم محمد علي لم تعد تليق بهذا الرجل ، كما أنها لا تحط من قدره ؟ فليته استغنى عنها وعن اخوات لها في مثل هذا المؤلف النفيس النافع .

وهناك أيضاً ألفاظ ليست أسمى من بضاعة الشارع بكثير . قال الاستاذ سلامه موسى انه صام نصف قرن ، وأقول أنا : ان فطوره كان ألذّ وأشهى لو نقّى جو المائدة ..

أعجبني قوله : ان الثورة إذا لم ينضم إليها الشعب لا تنجح ، وان كان مشعل نارها أفراد قلائل . وقد نص الرئيس لنكولن : ان من حق الشعب أن يغير الحكومة بالطرق الدستورية ، وإذا لم يستطع فله أن يغيرها بالقوة .

ويسفّه سلامه كتّاباً وشعراء مدحوا « فاروق » وأباه ، ثم يعد قصائد شوقي في عباس وفؤاد وفاروق عاراً على الادب المصري ثم ينحي باللائمة على الادباء الذين لم ينطقوا بكلمة تستحق البقاء في مدح الجيش أو قادته الذين أنقذوا الشعب المصري من شرور فاروق .

إن سلامه كان يتخيل أمامه المتطاول على حقوق الشعب ولو كان بينها دهور ، فيرشقه بقنابل نعوته ويقول له : مليح هيك أم يلزمك أكثر ؟

قد لا يزيد هذا الكتاب الخواص علماً بتاريخ الثورات العالمية ومقدماتها

ونتائجها ، ولكن المؤلف يؤدي فيه رسالته على حقها إلى العوام ، وهو يكتب لهم ، فاذا سمينا كتابه هذا كتاب الشعب لا نعدو الحق .

أما في الحقل المصري فأظن انه يفيد جميع الناس خاصة وعامة ، لانه فصّل تاريخ ثورات مصر باوجز كلام .

كلنا يسمع بثورة أحمد عرابي ، ولكن سلامه أثار أذهاننا وأشبعها من هذا البحث ، كما وصف الثورات المصرية حتى قال في وصف الوفديين بعد فؤاد سراج الدين : ثائرون راكعون .

وسلامه موسى ، في كتابه هذا ، ليس مؤرخاً فقط ، بل هو فيلسوف اجتماعي وصاحب رسالة ، وان كنا صرنا في زمان يدعي فيه كل إنسان انه صاحب رسالة حتى بائع الكوسا والبطاطا. أما رسالة سلامه فتلخص في قوله: يجب أن يرسخ في اذهان الشعب أن الصناعة هي الحضارة ، وان أمة تعيش بالزراعة فقط لا يمكن أن تكون متمدنة بما تحمل كلمة التمدن من معاني القوة والرفاهية .

ويتمنى على «الثورة» أن تنقذ مصر بمساواة المرأة بالرجل مساواة تامة. ويرى أن على المصري الصادق في وطنيته أن يكافح رجعية الشرق كما يكافح استعمار الغرب ، وكلا المرضين شر من الآخر .

ولعل خير كلمة تستحق ان تسمى مسك الختام هي ذاك التعبير العامي : على سلامتك يا موسى . لا ينقصك إلا العصا ، ومع ذلك فجرت ينبوع الفكر بدونها ..

تامارا

لخليل تقي الدين

قال بعضهم : انها غير حامية ... وأنا أقول لهم ليست مثل فرن سيمنتو شكا ، ولا من ذاك الطرزاني ولا الهولزي، ولكنها كما قال زياد : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف . أليست صورة حياة جاسوسة ؟ والجاسوسية أبعد ما تكون عن الصخب !

ويقول آخرون : كانت عبارة خليل تقي الدين كلاسيكية متماسكة ، فهل أثرت ديبلوماسيته في تعبيره ؟ فها هو هنا غير ما كنا نراه .

وأنا أقول : ان موضوع تامارا لا تلائمه المنفلوطية ولا الجبرانية ، فاذا كنت تطلب ذلك فعليك أن تطلبه في «خواطر ساذج». ان خليل تقي الدين، في قصة تامارا ، يتحدث عن الحياة بلغة الحياة التي تأبى التقعر والتكلف والتصنع ، لقد أعجبت بطواعية العبارة التي رأيتها في تامارا ، رائعة خليل تقي الدين ، فعزوت ذلك الى أنه كتب قصة عاشها ثلاث سنوات ، وفكر بها عشر سنين ، وكتبها للصياد في ثلاثة أيام ، فمشى فيها قلمه على هينته . وهذا أصدق دليل على ترك التعمل فيها .

أنا لم أقرأ بعد قصة بهذه السهولة البليغة التي تصور لنا تصويراً رائعاً ملامح الانثى الروسية وطباعها كما تبدو في « الاخوة كرامازوف » لدوستوفسكي، وفي رواية «البعث» لتولستوي فهذا الحب الصاخب العابث الذي صُوِّرت به تامارا ، بطلة قصة خليل تقي الدين ، هو هو عينه .

لا أدري إذا كان الذنب للاسم ، ففي التوراة تامارات . تامـــار سفر التكوين التي لعبت « اللعبة الكبرى » مع حميها ... وتامار اخت أبشالوم . فهل تكون تامارا هذه من اولئك الاناث ، فيكون فجورها أصيلاً ، وتحـــها ومكرها في دمهـا العبراني ، كدليلة ويهوديت وغيرهما من بنات اسرائيل ؟

وكيفما دارت بتامارا الحال، فهي قصة جديدة من نمط جديد قلما ظفرت بمثلها القصة العربية . جـديدة في محيطها ، جديدة في حوادثها ، جديدة في طرافتها التي أخرجت القصة العربية من محيطها الذي صار مبتذلاً ، إلى محيط عالمي ظريف ، واسع .

كنا نقول ، وأنا قلتها له ، منذ سنتين،لاعيده إلى حظيرة الادب والادباء : ما دخلت السياسة شيئاً إلا أفسدته . أمـا الآن فإني أقول : كثر الله خير السياسة ، فقد كان لنا منها رزق عميم ، وليت كل سفرائنا أدباء قصصيون ليخرجوا لنا اخوات لهذه القصة النفيسة . فهـؤلاء السفراء يرجى منهم أن يطعّموا أدبنا . ولا يحسّن الاجناس غير التطعيم .

وخليل ، في هذه القصة ، يصف الحياة في موسكو بلباقة كلية، وكذلك الاعمال والجو السياسي . اقرأ وصف شخصية السفير الصيني لترى صورة تموج الحياة بين سطورها فالاندماج والانسجام بين التعبير والموضوع تام ، وهناك التعابير الشخصية التي كانت تنقص المؤلف فيما مضى قد ذر قرنها هنا ، ولو كان خليل نقّح قصته مرات لكان نصيبه من هذه أوفر جداً .

أما التحليل النفسي فكافٍ ، انه كالملح في الطعام ، وهو لو زاد عما هو لعوّق سير القصة التي تمشي الهوينا لا ريث ولا عجل . يترك الفجوات التي تبلّد الموضوع ويفر فراً كما يفعل القصصي الكبير .

يجسد لك تامارا ويريك بوضوح كلي هذه المخلوقة التاعسة التي سيرهـــا اثنان :القدر وصاحب التلفون الاخضر .مشت في سلم الحياة من أوطأ الدرجات إلى أعلاها،من ربيبة كوخ إلى فتاة متشردة تعربد في الشارع مع من يعربدون،

وترفه عن الجنود المكدودين . . إلى أن تصير زوجة سفير ، وتصادق هـذا وذاك وتلعب « اللعبة الكبرى » إذا أمرها التلفون الاخضر بذلك .

ومن فتاة تتعـلم الفرنسية والانكليزية في نصف سنة ، فتصير سيدة راقية تكون نقطة الدائرة في الصالونات الكبرى . وبعد هذا العز تطرد السفيرة من السفارة طرد الكلاب لأن زوجها طلقها . ثم ختمت حياتها كما ابتدأت بالشقاء والعذاب ولا يعلم أحد إلى أين قذف بها صاحب التلفون الاخضر ...

ان هذه القصة لا تلخص ، لانها هي ملخصة بـل مختزلة . تصف حياة جاسوسة وصفاً تاماً ليس في حوادثها غصون نابتـة على الجذع فتمتلخ ، فهي حياة امرأة عابثة مغامرة انتقلت من هالك لمالك إلى قباض الارواح .

سمعنا بفنون كثيرة في التهريب ، أما تهريب البشر في حقائب السفر فقد رواه لنا خليل في قصته تامارا، وقد قال الشاعر : تغرب ففي الاسفار خمس فوائد ، وهذه فائدة سادسة ما سمعنا بمثلها .

والخلاصة أن تامارا كأخواتها كانت تضحي بجمالها وحياتها ، كاليهوديات اللواتي لعبن في التاريخ العبراني أدواراً خطيرة ، ولكن الدائرة أخيراً دارت عليها ، وما ظفرت إلا بالخلود الذي أتاحته لها ريشة خليل تقي الدين .

تمنت عليه أن يكتب قصتها ، فبر بوعده وكتبها ، وتصيدها الضرغـام — سعيد فريحة — فيما تصيد ، فكانت خير هدية أدبية لقراء مجلته وللمكتبة العربية التي فازت بطرفة جديدة من هذا النوع .

اني لآمل من شبابنا الديبلوماسيين أن ينهجوا نهج الخليل . فلولا الغربة ما كان لنا الأدب الأندلسي ، ولولا الهجرة إلى أمريكا مـا وقع أدبنا على شيء غير قديمه ، ولولا الاستعمار ما كان لكتّاب أوروبا قصص غير محلية ازدهى بها أدبهم . فهذا مرعى جديد تدر عليه الاقلام ، فهات يا خليل مـا عندك بعد أن يتحرك ديبلوماسينا الآخر أخونا توفيق عواد ...

قصص شامیه

للسيدة الفة الادلبي

منذ ثلاثة أشهر تناولت هذه المجموعة من القصص ، وفي الكلمة التي قدمها بها الاستاذ محمود بيمور لقراء العربية ، قرأت : ان كاتبة قصصية قد بزغ نجمها في أدبنا العربي الحديث ، وان هذا النجم قد أخذ يبعث في عرض الافق ضوءه الوادع اللماح .

قرأت هذا فتذكرت انني قد تعرفت إلى السيدة إلفة الادلبي في الاثير ، والاذن « تعرف » قبل العين أحياناً فمنذ ثلاث سنوات نقدت « على الطائر » أقاصيص أذاعتها من محطة الشرق الادنى ، وأذكر انني استحسنتها وسألت كاتبتها ان تسير في طريقها وتصوّر لنا هذه الزوايا ، فنحن في حاجة إلى الاطلاع عليها . انه لون محلي لا يزال بكراً يحتاج إلى قلم يصوره . وما زلت أذكر تلك القصة التي تصور لنا المرأة القلقة المضطربة في براثن الطلاق ، ولا يعلم إلا الله ما يكون مصيرها . ولما شرعت في قراءة هذا الكتاب تذكرت جيداً ان القصة الاولى ، وعنوانها « الستائر الزرق » هي التي سمعتها قديماً ، وإنما بغير هذا العنوان ، وأذكر ، على بعد العهد ، انني تمنيت على السيدة إلفة أن تتوغل وتبعد ما استطاعت في تصوير محيطها ، وها هي قد فعلت مدفوعة من طاقتها الفنية ، لا لأني قلت لها افعلي .

انا لا أطلب منها ان تحدثنا عن سمكة صياد همنغواي ، ففي بحر حياتنا ومجتمعنا حيتان ونينان علينا ان نطاردها في الاعماق ، حتى إذا ما فرغنا من

عملنا الحملي نفلش ، بعدئذ، عن غيره في أعماق البحار ومطاوي البيد والقفار.

ولا اطلب من القصصي والقصصية ان ينحوا نحوَ سارتر ووجوديتـــه ، فنحن موجودون كل على ذوقه...ان من حق هؤلاء الابطال الحاملي الذكر ان يدخلوا ملكوت الادب ويكونوا أبطال أقاصيص ، أليسوا هم الحجارة الخام في بناء مجتمعنا الشرقي ؟

ان ارضنا بور، يا سيدتي ، فلنحرثها اولاً ، ثم ننقل سكـنتنا الى الاراضي المجهولة ، الى الارض الموات لنحييها وتصير لنا . ان اساطيرنا ، وكل بلد فيه منها ما يكفيه ، تحتاج الى من يحييها، وفي احيائها أدب جم ومواضيع طريفة، ولندعُ للغائصين الى الاعماق بالرجوع سالمين من اسفارهم الطويلة ...

انا أؤمن بالذاتية قبل كل شيء ، وقد رأيت السيدة إلفة ذات ذات،فقلت كلمتي فيها منذ أعوام ثلاثة ، وحسبها في كتابها هذا انها فتحت طاقة تطل على البيوت الشامية فصورت بعض نواحٍ من نواحينا الشرقية .

تصور لو أن السيدة إلفة عملت حكايات كغيرها لا تصلح لمكان ، وتصلح لكل مكان ؟ فخير للكاتب او الكاتبة ان يكون له غرفة ، بل كوخ من صنع يديه ، من ان تكون له دارة بالاجرة .

فعلى هذا الاساس بنيت تقديري للسيدة إلفة الادلبي ، وهنا نقرر للاستاذ تيمور اصابة ثانية وهي قوله: فلا ريب ان القصة في أول الامر وآخره أدب، والادب ألوان، والحظ العظيم فيه لامتاع النفس برقة الحديث، ولطف المناجاة وعذوبة السمر .

وانا أقول اننا لنسمع الحكاية عينها من شخصين ، فنستلقي على ظهورنا من الضحك حين نسمعها من احدهما ، ونضحك مستهزئين حين نسمعها من الآخر . ان الاديب لا يفرض عليه الموضوع كما يفرض على أحداث في المدرسة ، بل يترك وشأنه، فان أخرج للناس ما يُقرأ ، استحق الاعجاب ، وإلا فهو لا يفوز إلا بقلب الشفتين والاستبعاد .

ان موهبة القص متوافرة للسيدة إلفة ،ومن أقاصيصها الشاميةالسبع عشرة يعلم حقاً انها تستحق أن تحمل هذا الاسم لأنها لم تعالج إلا مواضيع محلية . لقد كنا في حاجة قصوى إلى مرآة تصور لنا أعماق نفسية المرأة وبدواتها ونزواتها وأمانيها،وإذا بنا نعثر على الكثير منها في هذه الاقاصيص الطريفة . والآن فلننظر فيها بقدر ما يسمح لنا المقام .

ففي قصة « الستائر الزرق » تصوّر لنا سيف الطلاق المصلت فوق رأس بطلة هذه القصة ، ثم كيف كان الزوج طيباً فعرف أن يدين نفسه قبل أن يدان.رأى أخيراً أن لا يستبدل بقرقورته الداجنة غزالة آبدة . أدرك انه ، وإن كان بلا عقب ، ليس عليه أن يفلت من قفصه عصفورة جوية لتحل محلها عصفورة برية ..

هذا تلخيص ، والتلخيص يقتل الفن . فنصيحتي للقارىء أن يطالع هذه القصة ، فهي الاولى في المجموعة مرتبةً وفناً . لقد شعرت إلى أبعد حدود الشعور بما في قلب ام الستائر الزرق من حسرة تقتل أغلظ الرجال كبداً ، والفضل في هذا لحسن التصوير وسهولة السرد والسياق، ولو كان زوجها ذهب في تنفيذ فكرته الى أبعد الحدود لما كان للقصة هذا الوقع في النفس .

وفي قصة « القرار الأخير » ترفع السيدة إلفة اختها المرأة من الوهدة التي كادت تقع فيها.وهنا لو تعمقت الكاتبة في وصف هذا الصراع النفسي لجاءت قصتها تامة ، ولم تكن دون الستائر الزرق عمقاً ، ونجت من هذه السطحية . أنا لا أطلب منها تطويلاً مملاً كحديث صياد هنفواي مع السمكة ، ولكني وجدت القول ذا سعة في معركة فاصلةفي الحياة،وهي لم تصف لنا غير القشور، أما اللباب فظل بمأمن لم يمس .

و« مهدي أفندي » قصة قاض حكم بطلاق امرأة ليأخذها . وصف جميل وواقعي لملاحقة الشباب للنساء ، ووصف شعورهن وحركاتهن .

وقد أعجبتني فيها فجوة هي من خصائص الموهوبين والموهوبات ، فبراعة

فائقة أفهمتنا أن القاضي حكم بالطلاق،ثم عاقبته على جوره بتزوجها بعد شهور قلائل من القزم الدميم . ولولا هذا التفصيل لما فقدت القصة شيئاً من جمالها . لقد أحسنت في تلك الجزة في قلب القصة،أما ختامها فأفقدها كثيراً من الزخم.

ان السيدة الفة في استهلال قصتهـــا أبرع منها في ختامها ، ولعلها تحب التفاصيـل ولا تريد ان تترك مطامير للقارىء . ان القارىء ، أجلّه الله ، يجب أن يكون قوي حاسة الشم لنبش ما يخبأ له ، والكاتب القصصى يجب أن يحسن التخبئة شرط ألا تكون تعجيزاً .

أما « قصة انتقام » فليست من بابة اختيها السابقتين، وفيها إهمال لتصوير بطلها ومحيطها ، ولكنهـــا تفهمنا أن الرضاعة مانع مع الزواج كالعراب « الكفيل » في المعمودية عندنا .

أما قصة « كان سيّىء الخلق » ففيها الاطار الجميل والحوار البارع بـين زوجين شيّخا وقعدا يقلبان دفاتر حياتهما العتاق ويذكران أيام العز والنقار ، والختام هنا موفق

وتأتي قصة « ابو شيخو » وهي من أساطير البلدة . ان الكذبة الملفقة البينة كالمنزة البلقاء لا تستأهل هذا التأسف في آخرها على موهبة خيال أبو شيخو المدفونة في قبر الفقر . فأبو شيخو هذا من الفئة التي كان يسمي والدي صاحبها نصف كذاب لانه يقول ما لا يصدق ، والجـاحظ كان يقول : إن مثل هذا الحديث لا يعجبني ، لاننا انما نقول ما يمكن تصديقه .

أما « ثوب سلمان » فقصة بليدة السيرورة وغريبة التصوير ، وأديب لا يفرق بين الفسطان وقميص نوم أخيه سلمان هو أبله

وقصة « كاسات معدودات » تصور لنا لوناً محلياً صارخاً في حوادثهـا وتعابيرها الحوارية ، فهي قصة شامية لوناً وطعمـاً . وفي « مرآة خالدة » تصور لنا عداوة المرأة للمرأة متى مالت شمس العمر وشال الشباب في الميزان.

ان السيدة الفة قد افادت القصة العربية جداً في حديثها عن اطوار المرأة وما يتعلق بها . ومن أدرى بالمرأة من المرأة ؟

وحين قرأت قصة « يوسف عيد » قلت : هذه اقاصيص كنا في حاجـة اليها ، فهي تصور لنا كيف انه عند كل ملة ما يكفيها ، فهذا الشيخ يكتب

لامرأة حجاباً لتلد ذكراً بعد ما نكبت زوجها بسبع بنـات ، واشترط ان يسمى يوسف . ولما ولد يوم العيد ووقع خلاف بين الابوين على تسميته ، جاء الشيخ ليقبض المؤخر من الجمل ، وسماه يوسف عيد دفعة واحدة . وكما ولد يوسف عيد بأعجوبة ، كذلك نجا من الموت بأعجوبة لإيمـان امه القوي ، وانتهت القصة بسلام ، وهي بين بين .

لقد تعبت من التلخيص والتعليق فلنمر مرة عابرة ، كما هو عنوان كتابنا. استكبرت على المرأة في قصة « لو ينكسر الحديد » ان تقتـل عملاقاً بضربة فأس فتحطم جمجمته ، ولو كانت هيأتها بالوصف لتؤهلها لهذا البطش لهان ، ولكننا لم نعرف شيئاً عن سحنتها .

اما ختام قصة « كلام رجال » فأعجبني جداً وفي قصة « الآغا ابو الدب» رأيت السيدة إلفة « تقدمية » كما يقولون اليوم ، مع انها بنت باشا . فحياها الله على تضحيتها هذه وفركها انف الآغا الصخري القلب.

وفي قصة « الدرس القاسي » وصفت لنا ببراعة ما يثير الرقص في نفوس الازواج من غيرة حامية الوطيس . ولكن رابني امر ذاك الحوار الطويـل الذي ساقته السيدة الفة بين السيدةوالشاب الذي تراقصه على مرأىمن زوجها. فهل هو ممكن الحصول ؟!

اني رأيته قد طال وان كنتلا أعرف شيئاً عن الرقص وما يجري ويدور اثناءه . ثم هب انه ممكن ، فهل يقال في ذلك الموقف اكثر من جمل قصيرة جداً ؟ فقد رأيت جملاً لا يحتمل المقام طولها .

وفي القصة الاخيرة « أمجرم هو » صوّرت لنا خفة عقول الأدباءحين تبتسم لهم فتاة ، فيحسبون أنها وقعت في هواهم ولو كانوا من عمر جدها .

والخلاصة ، ان في هذه الاقاصيص الشامية دروساً اجتماعية تمليها علينـا الحوادث القصصية غالباً،واحياناً تتولى السيدة العمل بنفسها فتظهر شخصيتها، وهذا ما لا يقره الفن .

ان موهبة القص متوافرة عندها،وفي الاستطاعة ان يكون الحوار طبيعياً اكثر ، وكذلك سلامة العبارة من الضعف النحوي واللغوي ، وهذا يكتسب بالمران ، فالى الامام يا سيدتي الاديبة .

الدم الأزرق ـــ دزينة مسرحيات

لفؤاد قاسم

أول ما قام المسرح على ساقه ، كان ذلك في لبنان منذ قرن وأكثر . أما لبنان اليوم ففقير الى رحمة رب هذا الفن كنيسة صار بيت مارون النقاش أبي المسرح العربي ،ولكن المعاهد العلمية والجمعيات الادبية ثبتت عمله ومضت به إلى المدى الذي وصل اليه.أما اليوم فصرنا نسمع التمثيل ولا نراه. ففضل الاذاعات صارت الروايات تمثل قرب مضاجعنا فيأتينا رزقنا الفني رغداً،وإن كان قيل :ما راءٍ كمن سمعا

أمامي الآن مجموعة تمثيليات الاستاذ فؤاد قاسم الطيبة ، وإذا كانت مهمة الناقد أن يكتشف ، فأنا أزعم انني اكتشفت نجماً مسرحياً جديداً . كانت المدينة في حاجة إلى مسرحي يعالج شؤونها وشجونها ، وها هو فؤاد قاسمقد برز لها كما برز للقرية من قبل الاستاذ سعيد تقي الدين في « نخب العدو » و « المنبوذ » . ففي « الدم الازرق » ، و « أخبار سارة » ، و « صحون طائرة » ، و « مشروع زواج »،و « ملح الكلام » ،و « بعد عمر طويل»، و « المزين أنطونيو » ، و « بنت نديمة هانم » ، و « ما ليس بالحسبان » ، و« الورد جميل » ، صور مدنية بيروتية كنا في أشد الحاجة اليها في أدبنا ، وها هي قد برزت مجلوة كالعرائس.

قدم فؤاد قاسم أوراق اعتماده الى دولة الأدب بكل تواضع ، غير مبال بمدير تشريفات يرافقه ، ولا بحرس يؤدي له التحية ، وينشد النشيد الرسمي. ها هو ذا بلا مقدم ولا مقدمات يقول لنا في بضعة أسطر :

« هذه مجموعة من التمثيليات الاذاعية المسرحية المستمدة من صميم الواقع ، أقدمها وأنا موقن انها خطوة لا بد منها ، لتعزيز هذا اللون من الأدب الذي ما فتىء المسرح العربي محروماً منه ، والذي تنشده دور الاذاعات العربية باعتباره عنصراً رئيسياً من عناصر برامجها المتصلة بثقافة الجمهور وإشاعة المسرح بين طبقاته . لست أدعي التوفيق ، ولكني أؤمن بأني وضعت لبنة في بناء أرجو أن يتكامل » .

لا تتواضع يا أخي ، والله لقد وفقت جداً . يقول مثلنا : الرجال مخبأة في ثيابها وها أنت قد طلعت علينا بطلاً مسرحياً يسير في الطليعة. هذا حدث جديد في أدبنا العربي يستحق أن يؤرّخ ، وإذا كان قد أذيع شيء من مثله فلهذا لونه وطعمه ونكهته، والمآدب العظمى تحتاج إلى ألوان مختلفة وطعوم شتى. لقد زاد فؤاد قاسم على الفباء بلد الحرف حرفاً واحداً هو هذه التمثيليات. سماها هو خفيفة ، أما أنا فرأيتها ، فنياً ، من العيار الثقيل . انها سندويش بالنسبة للمطولات ، ولكن فيها الغذاء الكامل والطعم اللذيذ، والنكهة المنبعثة من شخصية واضعها . ما حسبت قط ان عند فؤاد قاسم مثل هذا « البتع » ولم يتغيّر رأيي فيه إلا عندما قرأت بعض تمثيلياته في مجلة أهل النفط العراقية، حيث وقعت على سخر وهزء ناعمين ، ورأيت مبضعاً يشق دمامل المجتمع وهو في غنى عن البنج .

فالاستاذ قاسم ، في هذه التمثيليات فنان كبير ، انه لا يحاول خلق مادة موضوعه ، ولكنه يلتقطها من هنا وهناك . من البيوتات ، من الطرقات ، من الجادات، من دار الاذاعة اللبنانية التي هو رئيس مصلحتها، وأحياناً من الكتب كما في تمثيلية « من وحي جبران » .

هو كاتب واقعي خالص ، يصور الواقع بأجلى صوره وبالالفاظ الجديرة به ، الموصلة الى الغرض . انه لا يسجن الصور في حبس الدم ، في تلك الالفاظ التي لفظت روحها منذ قرون ، بل في ألفاظ تختلج الحياة في عروقها .

إن جميع كلماته وتعابيره تريك العمل الذي يريده على الورق وبصورة يفهمها المتأدب والامي ويعجب بها الاديب الفنان . فهو يعبر عن رأيه بما يصوره لنا من خطوط فاتنة في رسوم أبطاله دون أن تظهر شخصيته، فكأنه لا يعنيه شيء من شخوصه ، وكأنهم يتكلمون هم ولا يد له هو فيما يعملون ، فيروحون ويجيئون على الهينة ولا حاجب ولا بواب .

ما رأيته يصفهم لنا ، ولكن صورهم تظهر واضحة جلية من خلال أقوالهم وأعمالهم ، وهذا هو الفن الرفيع . فكأن فؤاد قاسم سكرتير عند هؤلاء الناس ينقل بأمانة ما يملونه عليه،ولذلك لا تحس بوجوده أبداً . وكأن شخوصه جماعة يتمتعون بحرية غير منقوصة فتكاد تحس حركتهم من خلف المذياع واضحة جلية ، وهي كما يريدون هم ، وكأن ليس هناك كاتب يعنيه أمرهم . كأنه تابع لهم لا خالق ، ينظر اليهم بابتسامة قلما يزيد عرضها عن الميليمتر .

لا بد من نموذج نعرضه للقارىء ولنأخذه بلا تنقية ،من تمثيلية الدم الازرق. تمثل هذه التمثيلية بيتاً منبيوت النبلاء،تخاطب الزوجة رجلها دائماً ياصاحب السمو ، ولا تخرم حرفاً من البروتوكول ، وهو يفعل كذلك . ومرض سمو الباشا ، فعالجه طبيبه باعطائه دماً ، وعلى أثر ذلك سمعته زوجته يهذي ، فرابها أمر تركه مخاطبتها بصاحبة السمو ، ونبذه البروتوكول ، فراحت تستفسر تليفونياً من طبيبه:

« الو . دكتور رشدي . مساء الخير . أشكرك . لا صحة « سموه » تنهار رغم انه ينام بهدوء . إلا أن هناك أعراضاً مريبة تبدو عليه . نعم مريبة .. أسقط بيني وبينه كل كلفة .هدم الاتيكيت ونسف البروتوكول. صار بيتنا فوضى يا دكتور .وهو فوق ذلك يتحدث عن الماعز والبقر. ويهش عليّ كأني عنزة . ارجوك . لا تهزأ ولا تطيّب خاطري . اعتقد انك أنت السبب في كل ما حصل .. نعم انت . أي نوع من الدم أعطيته يا دكتور؟دم

فلاح ! عرفت ذلك،بل اكتشفت الشرك الذي أوقعت فيه أرستقراطية هذا البيت العريق . دم أبو ابراهيم الاسطواني ؟ أقوى فلاح في البلد ؟ ألم يبقَ في الارستقراطية دم تعطيـه لأصحاب السمو ؟ ألم يبقَ هناك دم أزرق ؟ يا الله الطب . العلم ؟الكرويات الحمر ... ماذا تريد أن تعطيه بعد ؟ دم أحد عمال المصانع ؟ لا .. أرجوك أعصابه منهارة ، فليكن .. دمه ضعيف ؟ أمرنا لله . لن أسمح لك باعطائه ذرة واحدة من الدم بعد اليوم حتى ولو كررته مريض ارستقراطي خير من سليم شعبي ديمقراطي » .

وهكذا يسير بنا الاستاذ قاسم في جميع تمثيلياته ، متهكما ساخراً لاذعاً. إنه من أصحاب الهزء الناعم لا من أصحاب المزاح الصاخب .

وبعد فليس لصاحبنا فؤاد في هذه المسرحيات الصناعة البلاغية القديمة ، ليس لأنه لا يقدر عليها ، ولكن لأنه لا يريدها له موهبة المسرح الفائقة ، فهو لا يكتب المسرحية بل يعملها قطعة حية فنية تمثل . كم كانت تكون أكثر حيوية لو شوهدت عياناً لا من خلف المذياع . ان مشاهدتها تزيد في روعتها أضعاف الاضعاف .

ان تعابير الاستاذ حية ، متكلمة ، تسرح وتمرح . تشيع المرح في نفسك دون أن تعرف أية كلمة سببت ذلك.فهو لا يتعمد نكتة بعينها ،بل لا تشعر انه فتش عن كلمة ،ولذلك جاءت تمثيليته وكأنها كلها نكتة ،فلا داعي لانتظار كلمة تنفع منها من الضحك . فأنت في هذه المسرحيات كأنك تسير في أرض ملغومة تنفجر أثناء سيرك .

لا نقدر أن نشبه دعاباته بغيرها ، فهي منبثقة من شخصيته التي تضحك غيرها ولا تبتسم . ان لمسرحيات الاذاعة سيرورة خاصة ، وما يصلح للمسرح لا يصلح للاذاعة إلا بعد تعديل ، وهذا المسرحي المطبوع قد أصاب عصفورين بحجر واحد . ويا ليت عندنا تليفيزيون لتظهر لك جيداً موهبة فـؤاد قاسم وتشايمي ، فهناك حركات يحلوها العيان ويوضحها .

وبعد،فاذا كنت دخلت غرفة المصور الفوتوغرافي السوداء ورأيت كيف تظهر الصورة على مهل، فبإمكانك أن تشبه تمثيليات فؤاد قاسم بها انها تتضح لك كذلك ، والطرافة تنبثق من مجموع المسرحية التي تؤديها تعابيرها لا من نكات مزروعة هنا وهناك. انها لا تهدأ كما يحصل في بعض المسرحيات ولكنها يتبع بعضها بعضاً بلا ضجة ولا صخب .

انت يا اخي فؤاد قاسم مسرحي في دمك ، وان كنت قد غيرته منذ عامين ، — وآمل الا يصيبك ماأصاب بطلك صاحب الدم الازرق ، فتكون حظيت بدم فلاح ... — فهلم اذن الى المسرحية الكبيرة ، ولست اشك ابداً انك تبرز فيها.أما الآن فحسبك انك قد سددت ثغرة وخدمت النضهة الحديثة أجل خدمة بما ابدعت من لون طريف وظريف ، خفيف منعش للقلوب .

ويا قارئي العزيز ، انني اصارحك انه ليس في الادب مراسيم اشتراعية ، والاديب والشاعر والفنان لايعملون برسوم . الأمر في الادب شورى ، فليتك تقرأ هذا الكتاب «الدم الازرق» وتوافيني برأيك ، سواء امعه كان ام عليه .

أما ما اقوله لفؤاد فهو أن يترك ان ولقد وقدويقول الحمل بدلاً من العبء الثقيلة الدم في الحوار عفواً قد نسينا السين وسوف،حرفي التنفيس والتسويف اللذين يحبسان الانفاس ثم لن ، ثم لماذا لم تقل « وقتي » بدلاً من « آني »،فلولا المدة المعروضة على ألفها لما احسنت قراءتها ولما فهمتها .

وعنوان « ملح الكلام » لم يعجبني ، فعندنا يسمون الكذب ملح الرجال قد يكونون يقولون في بيروت ملح الكلام لأن الكلام العامي يتغير في البلدتين المتجاورتين كما كان يتغير عند القبائل قبل وضع المعاجم .

وأخيراً لست ادري من ألوم على هذا الكرم الحاتمي في الاخطاء المطبعية، فليتك تباشر إعادة الطبع منذ الآن ، فحرام ان تفقد هذه التمثيليات شيئاً من روعتها .

وختاماً لك تهنئتي الخالصة ، فأنت مبدع حقاً .

ذكريات رضا التامر

هذا الكتاب سيكون له قراء ان لم يكن كان ، وسيعاد طبعه لأن قراءته ضرورية ، ففيه احاديث طريفة ووصف لبيئات ما زالت غابة عذراء .

وفيه شيء طريف من تاريخ حقبة عاشها المؤلف،فوصف ناسها وصفاً دقيقاً صادقاً ، وانتقدهم انتقاداً صارماً

قال ابو العلاء :

إذا بلغ الغلام لديك عشرا فلا يدخل على الحرم الوليد

وها هو الاستاذ الكبير رضا التامر ، رضي « الأدب » عنه ، يفتح لنا باب الحرم على مصراعيه حين يحدثنا عن زواجه في السنة الثانية عشرة من عمره . قال :

« وفي عام ١٩١٨ توفي المرحوم شبيب باشا الاسعد عن ثروة ضخمة وعن أولاد وزوجة كانت تصغره بالسن كثيراً ، هي السيدة بهية التامر ابنة عمي. وأراد والدي أن يوطد الصلة بيننا وبين ثروةشبيب باشا ، فعقد لي علىزوجته بهية التامر برغم انها كانت تكبرني بسنها اضعافاً ، وعقد لأخي على ابنتها ، ملك ناز ، وعقد لابن زوجها المرحوم علي نصرت بك الاسعد ، على شقيقتي الكبرى زينب ، وعقد لابنها نزيه على شقيقتي الثانية منيفة .

فاحكم والدي بهذا كله الصلة احكاماً شديداً بيننا وبين الورثة والثروة معاً ، ولكن الاستاذ رضا تفككت عراه ، فماتت الزوجة بهية حين كان آل

الاسعد ثائرين مشردين . وكانت هجرة «رضا الفاتح » كما سموه حين أم باريس ليتخصص ، سمي كذلك لأنه اول شيعي عاملي قصد الغرب للتعلم ... قعد الاستاذ في الحي اللاتيني ، وحمام هذا الحي ليس كحمام مكة صيدهن حرام، فهن يقمن عليك ويقلن لك: تصيدنا، كما فعلت برضا « نجمة الاولمبيا»ثم جاءت بعد حين تضرب « صدرها » وتشير إلى بطنها قائلة له ؟ : هنا شرقي صغير .

ولكن الاستاذ لم يقع في ذاك الفخ بل تنصل وقال : ربما ، لكنه ليس وائلياً .

وصح في هذه السنيورة قول المثل : « حبني غصب » فطاردت رضا ، ولكن هذا « الشرقي الكبير » كان داهية في بيته ، كما كان فيما بعد داهية في نشاطه السياسي هناك ، ثم في وظيفته واستنطاقه هنا ، اقرأ مقال « اما مستنطق حمار » لترى ان هذا المستنطق كانقادراً على سحب الحية من الحيط. كانت له وقعات مشهورة في هذه المعارك ، وقلما خسر معركة منها كما ترى في باب « ربع قرن في خدمة القضاء » .

كم تمنيت على المحامين الادباء الملهمين ان يعالجوا الاقاصيص القضائية ، ولم يفعلوا . ولكن القاضي الكبير رضا التامر شفى نفسي وابرأ سقمها . لست ازعم انه كتب اقاصيص ولكنه كتب ما يشبهها .

ترى ما هي الاقاصيص ؟ وهل كل الاقاصيص يجب ان تكون مصنوعة من طراز واحد ؟ لا ! إذن فهذه الحكايات القضائية لا ينقصها إلا التحليل النفساني المكلف حتى تكون القصة بعينها . وهذا القاضي الناجح يقول لك في باب عرض كتابه: ليس هذا الكتاب قصة او تاريخاً او بحثاً وانما هو صور مني مدى العمر ، سكبتها سكباً سهلا في فترات متشابكة .

الكاتب عارف انه سهل الاسلوب يكتب كانسان ، لا كأديب متململ يريد ان يخلق شيئاً من دماغه ودماغه لا يجود عليه بما يريده. فهنا في هذه الذكريات تجد البساطة التي تخلق الجمال لأن عند صاحبها نفساً توحي ، وقلباً يطيع. ان

اسلوبه هو السهل الممتنع حقاً ، وحسبك انني قرأته في يوم فراغ من الجلد الى الجلد . من رضا التامر العنوان ، الى رضا التامر التوقيع . انه سيرة حياة تكاد تتحرك ، ينقلك صاحبها الى مسرحه؛ وقد اعطانا اياها كما تعطي الزهرة عطرها بلا تمنين ولا تبجح ولا غرور. وهو كتاب هذا العام في بابه،واسلوبه.

كان التامر قبل ان يشب عن الطوق مجاهداً يحمل البندقية ويكر ويفر ، ثم استحال في باريس مغامراً فاتكاً كما شهد له من شهادته بألف حين قال في تقديمه لقرائه : ذكريات باريس دلت على انه اصبح في شبابه اوفر حظاً .. من هذه الناحية . والفضل ما شهدت به الخبراء

ولكنه لما عاد من باريس وصار قاضياً ، اعطى جبة القاضي حقها من الترصن والوقار والنزاهة ، وان كان في طور المحاماة لم يتورع عن الواسطة والتوصية كما يعترف في ص ١٤٤ وما يليها .

وعدنا الاستاذ في مقدمة كتابه انه لا يدع شيئاً مغطى فاعترف اعترافاً داودياً ، بل اكثر ، فداود في زبوره اعترف اعترافاً عاماً ، اما رضا فكان اعترافه مفصلاً. وان شئت فقل داود باعنا بالجملة حين تاب،ورضاباعنابالمفرق.. ثم كفر عن طيش الشباب بعدله في الحكم علىالناس في القضاء،في هذا الكتاب الذي هو محكمة تاريخية ، جلستها علنية ، ينتصر الاستاذ رضا التامر للشعب على بني عمه ، راثياً لما هو فيه حين يقول :

اقطاعية جهلاء

« كان العامليون يتوؤون تحت نير قاس تجره عليهم مشاكل الطائفية والاقطاعية ، وأعني من جملتها اقطاعية عائلتنا... تلك الاقطاعية الجهلاءالتي لا تمت الى التقدم والتوجيه الصحيح بأية صلة ... بل انها كانت تنحصر بارضاء الشعب بامور تافهة لا تمت بشيء الى عزة النفس ، وحرية الفرد ، واحترام الانسان،لدرجة انه كان منالمستحسن ان لا يجلس ابن الشعب في«صالونالبيك» بل وكان هذا الشيء محظراً على الفلاح ولا يجرؤ على تخطي هذه الحرمة إلا إذا

سمح له ، بعد إذن خاص . وصاحب الحظ الذي يحظى بهذا الإذن ويسمح له بالدخول ليلثم يد البيك ، يصبح بعد مدة من الزمن وجيهاً في قريته ومنطقته، محترماً من أفرادها تشير اليـه الاصابع كرجل محظوظ محـترم يدخل بيوت البكوات ...

إن مجتمعاً هذه حاله لا يمكن له أن يتكلم عن إحساساته بمثل هذه الصراحة وخاصة لرجل مثلك يا حضرة الكابتن بصفتك صاحب الأمر في هذه المنطقة ، خاصة وانت المعني رسمياً بجميع هذه الشكاوى والتأففات، وتلك الاحساسات والانطباعات .

بقي ان نتحدث عن الانسجام في هذا الكتاب ، فكاتبه ينقلك بسهولة ولباقة من قصة إلى قصة ، لم أر مثلها طواعية في سيرة حياة كاتب بقلمه . افاده الاغتراب والمعاشرة ، والتحقيق القضائي علماً بخفايا النفس الانسانية ، فجاء يعرض علينا تأثراته عرضاً فنياً سهلا . اقرأ « خيانة البشر » صفحة ٢٥٢ لتعلم ان هذا القاضي كاتب اديب لم يتأثر بلغة الدواوين والقضاء ، وقد فتشت كثيراً فما وقعت إلا على هنات هينات سأذكرها في نهاية هذا المقال .

وفي هذا الكتاب تاريخ للثورات على الانتداب الفرنسي منذ كان ، وقد كان لاسرة المؤلف العريقة يد طولى في هذه المقاومة، فشقوا وشردوا واضطهدوا، كما ان فيه وصف حياة شبابنا في اوروبا المقسمة بين العمل والقلب وجميـع الحواس ...

وفيه ايضاً ما يحقق المثل القائل: البغض بين الاقارب والحسد بين الجيران، وان اعداء الرجل أهل بيته كما قال الانجيل . وفيه اوضح عرض واصدقه لسياسة المستشارين الفرنسيين، كما فيه انصاف وتمجيد لنزاهة القضاء الفرنسي. وفيه تاريخ وجيز لجبل عامل الذي اسميه انا بحق جبل العلماء .

كل هذا مكتوب بفن تحسه ولا تدري اين هو. انا لا امالىء هذا القاضي، ولا احابيه، لأني لااعرفه. انه لصادق بحق، له ان يخاطب قارئه بقول النابغة :

اتيتك عارياً خلقاً ثيابي على وجل تظن بي الظنون

ان رضا التامر يدخل في كتابه إلى حصن النفس الانسانية ولكن من غير الطاقات والشبابيك التي يدخل منها غيره من المتكلفين ، ولذلك لذت قراءة كتابه من اطلعوا عليه ، فشكراً لمطبعة الآداب الحديثة على هـذا الاخراج المشرق الانيق الذي سهل لعيني السبيل اليه .

وأخيراً، لا بد من حكم على شخصية هذا الاستاذ المهنك وان كان قد تعود هو ان يحكم على الناس . انه حكم غيابي ولكني اظن انه صادق : من مطالعة كتابه هذا ، ومن ماجريات حياته كلها ، كما وصفها لنا ، بدا لي ان الاستاذ رضا التامر يعرف جميع ، اسرار « المسلك » حتى اعمق خفاياها . « يعرف يدبر حاله » كما يقول العوام .

أما المهنات التي وعدت ان ادل عليها – وان اغضب ذلك من يهزأون بها ويعدونها ترهات – فهي لا شيء في كتاب نيفت صفحاته على الثلاثمئة .

قال : اطبق بنا الظلام وتعدية اطبق بالباء تنظر إلى قول العوام: طبق فيه.
: بعثنا باحدنا متنكراً ، وهذا الفعل لا يعدى بالحرف حتى كان المبعوث وحده .
: نحواً من خمسمائة متراً ، ولعل نصب متراً نصب خطأ مطبعي .
: وارخت الايام على الحادث سدالها. ولعل همزة سدالها ساقطة أيضاً
: سهواً . فسدل لا تجمع سدال ، بل اسدال وسدول .

وقال اخيراً : وطلبت اليه ما إذا كنت استطيع الخ . فهذه (الما) هنا من اساليب لغة اصحاب الروب .

والذي لاحظته انه ليس في هذا الكتاب البديع تعبير عتيق إلا قوله : امتطينا السيارة ...

عفواً يااستاذ إذا تنطست معك فهذا طبعي،واني لأضن بمثل هذا الكتاب الذي لم يعمل مثله من بعد فارياق احمد فارس الشدياق ، وحسبك هذا .

قصة عالية !

في منتصف آب اللهاب لبيت دعوة مؤتمر كتاب العرب ، ويممنا دمشق وأنا أردد قول حسان : لله در عصابة رافقتهم .

وفي جلق طالعتنا وجوه الشباب العامرة بالإيمان والثقة بالنفس ، فسرني من تلك الجماعة ذلك الانسجام الذي لم اشاهد مثله ، فيما بعد ، في مؤتمر ادباء العرب بيت مري . رأيت في الشام التئاماً وانسجاماً ، ولم أر في بيت مري غير عنجهية شيوخ وكهول ، وقنفشة شباب طازه ، انف في السماء وإست في الماء، كما عبر أحد السلف . ديوك حبش تتسلطن وتتفرعن ، فذكرني ذلك مار بولس في احدى رسائله : العلم ينفخ والود يبني ، ولكن هؤلاء المنتفخين لا علم ولا محبة في براميلهم التي تمشي على الأرض .

وشاء الاخوان الكتاب في دمشق ان لا تفوتني فرصة زيارة المعرض العظيم فزرناه ، وكان أول معرض شاهدته في حياتي ، فأنا لا أعرف الدنيا إلا في الكتب . ورحت اتنقل بين عظمة الدول المتبرجة في معارضها تبرج الانثى تصدت للذكر ، وأي ذكر أعظم من هذا الشرق الأدنى ؟ .

وبينا نحن نتنقل بين البنايات المزوقة ، سمعت واحدة خارجة من معرض لبنان تقول لرفيقتها :

هاه . هذا مارون عبود ، قولتلك ايش جاء به إلى الشام ؟

فضحكت وقلت :السيارة يا بنتي أتوا بي حتى يعرضوني في البناية اللبنانية..

فبهتت، وخفت أن ينقطع خيط الحديث فقلت : جاوبي يا ست،يا آنسة.
فاطرقت مستحية ، فقلت لها : هاتي ما عندك ، جاوبي ولا تستحي .
قطت كلامها وقالت : ما عندي جواب
قلت بلى ، قولي هذا معرض ، لا متحف .

فضحكت ورفيقتها ولكن ضحكة من لم يفهم . وافترقنا . مضت هي في سبيلها وعدت أنا إلى الشيخ عبد الله ، فسألني الشيخ العلايلي عن الحمامتين الزائفتين ، وكان لسان حاله يقول : أبعَد الشيب تتبع الغواني ؟

فأجبته الله: يبعث اللحم إلى من ليس له اضراس . الخّير مرزوق. خليها على الله يا شيخ .

لقد شط القلم ، وعادة البدن لا يغيرها إلا الكفن ، فلنعد إلى مؤتمر بيت مري . نحن الآن في باحة الاوتيل الكبير ، نقيّل تحت صنوبرة أكبر مني سناً،نريح أعصابنا لتقوى بعد قليلعلى سماع المحاضرات والامسيات الشعرية.. وبينا كنا نتنادر لنقتل الضجر ونوزع فكاهاتنا على من لا يفهم إلا نصفها أو ربعها ، إذا بصبي يرمي على الطاولات برشاقة موزعي إعلانات السينما ، كتيباً يتأبط منه حزمة ، فقلت في نفسي حين وقعت عيني على نسخة منه : هذا كرم حاتمي حقاً ، يوزع كتابه علينا دون أن يعرف من نحن ، وهذا أيضاً يصح فيه قول حسان في ممدوحيه الغساسنة : لا يسألون عن السواد المقبل . فرحت أنظر في الغلاف المرقش وإذا بي أقرأ عليه :

« طه محمد القاضي

على مسرح الحياة

الجزء الأول

قصة من مصاف القصص العالمي

تصور حياة شاب أعمى وهو يتخبط في دياجير مجتمعنا اصدق تصوير .
قصة أدبية اجتماعية ساقها المؤلف على غرار الأيام وقد تفوق الأيام » .

فقلت : أعمى واسمه طه ، إذن الذنب للاسم يا ترى ، خير ان شاء الله . ورحت أقلب ذاك الكتاب لأن لا كتاب في ذاك الاوتيل الكبير يسليك إلا لطف مديره .

وشغلت بالي كلمة « قصة من مصاف القصص العالمي ، على غرار الأيام وقد تفوق الأيام » . ثم ضممت هذا الكتاب إلى أخيه: ثلاثون قصيدة لتوفيق صائغ . وقلت قد تأتي ساعة .

وقرع الجرس ، فرحنا إلى القاعة لنسمع محاضرة الأستاذ سامي الكيالي ، وموضوعها النقد الأدبي ، فقال عني اني ثبت في ميدان النقد حتى الساعة بينما الآخرون كانوا ينصرفون عنه ثم يعودون إليه ، وهكذا دواليك .

ولما قال ان النقد أفقد مارون عبود ثلاثة أرباع أصحابه ، رأيت الاستاذ أمين نخلةيلتفت صوبيويشير بسبابته إلى صدره وكأنه يقول: أنا آخر واحد.

وكنت إذ ذاك أفكر في طه محمد القاضي القائل ان قصته قصة من مصاف القصص العالمي، فقلت في نفسي ان هذا الشاب البالغ الثالثة والعشرين ما زال في عمر الشعر ، ولم يبلغ بعد عمر القصة ، فأنّى له هذا الغرور والادعاء ؟ هل استأذن في هذا التبجح من الاستاذ سعيد تقي الدين ؟ ألا يعلم ان الحقوق محفوظة ... والنقل والترجمة ممنوعان ؟ ثم ماذا عند هذا السكين من طراز طه حسين ليقول انه ساق قصته على غرار « الايام ، وقد تفوق « الايام » ؟ هذه التعابير الكلاسيكية أو الرواسم « الكليشهات » القديمة ؟ مسكين طه حسين . شابَ ...

ان من يقول: وكان الدهر قد عض جوليت بنابه العطبة ، وظللها بكلكله وأمطيت سفينة الحياة ، هو بعيد جداً عن قمة ذلك العلم المعصب بالغيوم .

اسمع أيها العزيز طه محمد القاضي . ان هذه الوريقات لا تستحق أن تحمل اسم القصة، فهي سيرة حياتك بقلمك، وسيرة حياة الرجل لا يعدها العارفون

بهذا الفن قصة مهما بلغت من الروعة الفنية، أما سيرة حياتك هذه فلا تستحق النقد لان أسلوبها ثمودي عادي، وتفكيرها السخيف لا أدري ماذا أقول فيه، ومع ذلك أسمعك تقول : نظرت إلى الوجود من خلال اللانهاية فعرفت معنى الوجود . وبعد تروٍ قليل ونظر صائب حكيم ، أدركت سر الخلود واللانهاية وأعاجيب الكون وأسرار الحياة .

هذا كثير ، يا أستاذ ، فابن ثلاث وعشرين ماذا يعرف من اللانهاية وهو ما يزال في اللابداية ؟

وبعد ، فأيام طه حسين ، وأين أنت منها، لا تعد قصة لانها سيرة حياة ، فكيف بسيرة حياتك البعيدة عن كل فن ؟ وإذا كانت سيرة الحياة قصة ، فالفارياق أسمى القصص .

ان للقص أسلوباً أنت لا تحسنه،وإذا ظللت هكذا تؤلف وكأنك تكتب فرضاً مدرسياً ، فنصيحتي لك ولامثالك ان تكفوا عن إغراق السوق بمثل هذه الكتب ، فقد خشينا الطوفان .

عليك يا طه ان تنقي لغتك من أدرانها ، وأعلم ان الخطأ لا يليق ان يأتي « قصاصاً من مصاف القصاصين العالميين مثلك ... » أما الحوار الذي تنعته أنت بالجميل فهل تدلني أين هو ؟ واحداث حياتك ماذا يجد فيها القارىء ؟ انها لا أحداث رصينة ولا طريفة ، فليتك تأنيت وأرجأت هذه العبقرية إلى حين ... أما الآن فما قدمت إلا طعاماً غير ناضج ، فأعد القدر إلى الموقد وذبّ لها بالحطب . فربما تقدم شيئاً يستحق ان يسمّى عليه .

أما إذا كنت تحسب أن فعلتك بمراقبة القسم الداخلي، في المدرسة العلائية للمكفوفين ، في فلسطين ، هي التي ترفع سيرة حياتك إلى مصاف القصص العالمي ، فأنا أقول لك : ان البشر وغير البشر تفعل ما فعلت، ولا تبتهر...

ان هذه العورة التي كشفتها لنا كان عليك أن تغطيها، ولو بورقة تين ، كما

فعلت حواء حين غطت شيئها . أفتكون حواء ، تلك المرأة البدائية ، أوسع حيلة من مبطها ابن القرن العشرين ؟ عندك يا ابن اخي بدل ورقة التين الف تعبير وتعبير ، فلماذا جئتنا عارياً ، بهذا « السموكن » الآدمي ؟

فلو كنت تكتب مغامرات كمغامرات كازانوفا لعذرناك ، ولكننك قلت انك تكتب قصة على غرار الأيام، فلماذا هذا ؟! أهذا هو معنى الوجودالذي عرفته من خلال اللانهاية ؟

واسمح لي أخيراً ان أقول لك ان « مسرح حياتك » تنقصه الكياسة .

الحجاج

لعبد اللطيف شراره

وهذا كتاب الفه الاستاذ عبد اللطيف شراره عن الحجاج ، طاغيةالعرب الشهير . كان الحجاج جباراً فيما عمل ، كما كان عبد اللطيف شراره فيما كتب، فأرانا شخصية الحجاج التي لم يكتب عنها بعد مثل هـذا الكتاب . درس الاستاذ شرارة تلك الشخصية الفذة على ضوء العلم الحديث ، فابدع وأجاد ، وخصوصاً في فصل « حداثة بائسة » حيث حاول تطبيق النظريات العلميـة الحديثة على تلك الشخصية العاتية ، فكان موفقاً صوره لنا منذ ولادته بلا دبر — كما ذكر المسعودي — الى دباغ ، فمعلم ، فجندي ، فحاكم طاغية يلتذ بالدم ودهدهة الرؤوس انتقاماً للعربى الوضيع ودمامة الخلق ، حتى صح فيه ما نقوله : كل ذي عاهة جبار .

ثم تعرض له معلماً ، وعزا حزمه في إدارته الى مهنته الأولى،أي التعليم ، فجبر الاستاذ شراره خاطرناوخاطره هو ،بارك‌اللهفيه،وقد نسي‌ماقاله‌الشاعر:

انّ البلادة جمّعت في ستة في حائك ومنجد واسكافِ
ومعلم الاولاد ضمه أولاً واتبعه بالحـــلاج والنداف

اما اسلوب المؤلف فخير ما يكتب به عن الحجاج وعبد الملك بن مروان اللذين قيل عنهما انهما لم يلحنا قط لا في جد ولا في هزل .

زعم لنا الاستاذ شراره ان الحجاج ، بناء على منشأه ، ظل عابساًمقطب الجبين ، مع انني لا أذكر أين قرأت أن الحجاج كهاكه ، أي تظل على وجهه هيئة الضاحك ولو غضب وعبس .

واجاد الاستاذ أيضاً في تثقيف الفاظ جديدة ظلت تدل على ما وضعت له عند القوم ، فهان على القارىء الحديث إدراك معناها بسهولة كقوله:برجاسيه واوتوماتية أي بورجوازية واوتوماتيكية . ترى لماذا لم يجعلها برجازية لتظل اقرب ؟ فليتنا نجمع على استعمال مثل هذه الالفاظ فيتقرر مصيرها ولا يظل كل واحد منا يستعملها كما يهوى ويشاء

وقد وطأ المؤلف لدراسة الحجاج بدراسة احوال الاقطـــار العربية ، وخصوصاً الحالة النفسانية في عصر الحجاج ، فجاءت الدراسة « اصولية » كما تكتب الدراسات الحديثة اليوم . فهو لم يدع اقليماً من الاقاليم العربيـــة إلا درس أحواله ، بانياً رأيه في الحجاج على الوثنية الطاغية التي لم يستأصلها دين الرحمة والسماحة من نفس الحجاج الطاغية . كنت حسبت الوثنية التي ترافقنا من اول الكتاب الى آخره كوثنيةاناتولفرانس فاذا بها تلك الوثنية الجاهلية . ومع ذلك هي وثنية في كل حال :

وقد اعجبني درس الاستاذ لأدب الحجاج،وتأثير خطبه في نفوس الخواص والعوام ، ثم ما كانت تترك رسائله من أثر في نفوس الناس حتى قطاع الطرق منهم ، فذكرني كلامه هذا بقول ابي فراس :

إذا ما أرسل الامراء جيشاً الى الاعداء ارسلنـــا كتابا

أما اسلوب الانشاء فقد قلنا انه متين بليغ يلائم كتاباً فيه كلام كثير روي عن الحجاج ومولاه عبد الملك، حتى تكاد لهجة الاستاذ شراره لا تبعد كثيراً عن لهجتهم تلك ، وقد يكون جارى من أعرب الاسماء الخمسة بالحركات حتى قال : وقتل مصعب بن الزبير اخ عبدالله ، (بدون الف) ...

لم يلطف الاستاذ عبد اللطيف شراره بالحجاج ، وقد كنت واياه على طرفي نقيض في كتابي « صقر لبنان » ، فهو قلما رأى حسنة للحجاج ، وأنا قلما رأيت سيئة لأحمد فارس الشدياق ، فصح فينا كلينا قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

تاريخ العرب

الجزء الأول

– للدكتور حتّي

وهذا رسول جديد يذيع مجد الأمة في العالمين ، بل هذا ابن بار يعرف كيف يحب أمته فيجلو للعالم تاريخها العريق . فالدكتور حتّي ارى الدنيا في تاريخه وجه الأمةالسمراء الجميلةالنبيلة،ونظف صرح تاريخها من عناكب الاساطير، فبعد أن كنا منه :

لدى جرعاء ليس بها أنيس ولا فيها الدليل بمطمئن

إذا بنا نقرأ تاريخاً للعرب شاملاً جامعاً بعيداً عن الغرض والهوى،يتحدث فيه مؤلفه موفقاً بين عقله وعاطفته وعلمه ، فلا تشيل كفة ولا ترجح أخرى. كنا نحسب صحراء العرب جافة يابسة ، فاذا بهذا التاريخ يرينا ان المدنيات الأولى قد نبتت في تلك الرمال الصفراء،وان أولئك البدو الذين كانوا يخوّفون الصغار بهم،كما قال الريحاني،هم سلالة لها ابيض يد على البشرية،والفضل للمتقدم.

يفهمنا تاريخ العرب للدكتور حتي أن شبه جزيرة العرب لا تقل مساحة عن ربع أوروبا وثلث الولايات المتحدة،وان فيها جبالاً يبلغ علوها ٣٧٦٠متراً ان لم يكن فيها ما هو أعلى من هذه . وقد قال فيلسوف الفريكة في كتابه ملوك العرب ، حين رأى بعينيه تلك الأرض : « هناك مشهد من الجبال والأودية رائع مدهش يخوف يهمس ربه في اذن الانسان : لا تكن مكابراً ولا

فخوراً. لا أظن ان في سويسرا مثل المشهد الذي ينبسط بل يتراكم أمامك في اليمن. فما هول المسافات والشواهق بشيء عند هول الوهاد والاعماق . لبنان! نعم ذكرت لبنان . ولكنه وان فاق بوعان وشبام علواً، فهو يضيع في جبال اليمن وأوديته المترامية الاطراف » .

لم يدع الدكتور حتي شيئاً مما يتوق البـــاحث الى معرفته ، حتى كاد يلم بكل شيء ، وكان في مواقفه جميعها يزيل الابهام ويقرب التاريخ من العقل ، فحدثنا عن دستورية الجاهلية، وعما عرف العرب من حضارة ومدنية وثقافة، فكانت لهم الزوايا الراسخة في بنيان الحضارة . وقد كان الأستاذ لبقاً جداً ، فحافظ على « علمية » التاريخ ، وحدثنا حديثاً رصيناً عن الأمجاد التي نتغنى بها ، فأرضى نفسه وأمته والعلم .

روى مقتل عمرو بن هند كالواثق من صحته ، ولم ينف تلك الاسطورة المنسوجة حول طرفـة ابن العبد ولم يثبتها ، وكذلك روى خبر حلة امرىء القيس المسمومة . وقد قال حين تحدث عن المعتقدات الجاهلية : أما فكرة « الآخرة » فاننا لا نجد في الادب الجاهلي اشارة واضحة اليها .

ولقد لفتت نظري لباقته حـين تحدث عن هدم قصر غمدان ، فقال : «ولعله هدم في أثناء العراك الذي نجم عنه استقرار السيادة الاسلامية في اليمن». مع أن الجاحظ خبرنا حين تحدث عن خلود الكتب قائلاً : والكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم . فقد هدموا بذلـك السبب المدن وأكثر الحصون . كذلك كانوا أيام العجم ، وأيام الجاهلية وعلى ذلك هم في أيام الاسلام ، كما هدم عثمان صومعة غمدان ، وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة .

ووفى المؤرخ الاسلام حقه فأعلن : « ان بين كل ستة أشخاص أو سبعة» في عالمنا اليوم ، واحداً من أتباع محمد . وان دعوة المؤذن إلى الصلاة تجلجل

في معظم ساعات اليوم مطوقة الشطر الاكبر من الكرة الارضية ، فتتألق على هامة العرب تلك الهالة الوهّاجة التي تقترن دائماً باسماء الفاتحين العالميين . فلقد استطاعت هذه الامة في مدى قرن واحد ، أن تنشىء دولة عظيمة واسعة الارجاء بسطت سلطانها من شواطىء المحيط الأطلسي إلى تخوم الصين،وفاقت على امبراطورية روما في أوجها » . ثم أيد كلامه هذا بما نقله من كلام مؤرخ شهير هو هوغارت الذي يقول:« استطاع العرب انيكسبوا إلى دينهم ولغتهم وشكلهم عدداً من أبناء هذه الامم مااستطاعت امة قبلهم أو بعدهم أنتكسب مثله وتهضمه . ولا نستثني من ذلك اليونان ولا الرومان ولا الانكلوسكسون ولا الروس » .

ولم يهمل الدكتور فصاحة العرب فتحدث عنها تحدث الاديب العارف فقال: « ولا ريب أن انتصار الاسلام ، كان إلى حد ما، انتصار لغة ، أو بالاحرى انتصار كتاب ». ثم يرى أن اللغة العربية قد بلغت قمة فيلولوجية شامخة نظراً لاتقاد مخيلة العربي ونبوغه في أساليب الكلام . فكأن دكتورنا يدحض بهذا القول رأي « اوليري » القائل « العربي ضعيف الخيال جامد العواطف » .

إن قفاز هذا الجرّاح ناعم جدّاً ، فتأمل كيف يقول حين يلوم : « ان التوسع العربي المنقطع النظير قد بلغ من النمو حداً جعله امبراطورية مترامية الاطراف كامبراطورية الاسكندر ، وكان مثل الخليفة في المدينة — مركز هذا التوسع—مثل رجل وُكل اليه انيضبط سيلامتدفقاً أخذت تتزايد روافده وتكثر مياهه ، بحيث تعذر عليه توزيعها ، أو التحكم في مجاريه » .

أما كلمة « رحمنان » التي استوقفت الدكتور ، فقال انها تسترعي اهتمام الباحث ، لانها اصبحت فيما بعد الرحمان في لغة قريش ، فهي في نظري لفظة سريانية « رحمونو » واختال النون الأولى زائدة ، اللهم إذا لم تكن ضميراً للمتكلمين . ان في اللغة السريانية ألفاظاً كهذه لا تحصى صقلها الذوق العربي وأحالها من ضم إلى فتح فخفت على اللسان وحسن وقعها في الاذان .

ولا بأس علينا إنتعرضنا ايضاً لعبارة أخرى من رقيم وجده العالم «دوسو» في حوران وهو مكتوب بالخط العربي الأول. أما العبارة فهذه هي: «تي نفس مر القيس بر ملك العرب كله ذو اسر التاج» . وقد نقلت إلى لغتنا اليوم هكذا : هذا ضريح امرىء القيس ملك كل العرب صاحب التاج .

لست ادري من اهمل كلمة « بر » التي معناها ابن في السريانية ، ثم كلمة « ذو » وهي اسم موصول بلغة بني طيء ، والشاهد على هـذا قول شاعرهم ابي تمام :

انا ذو عرفت فإن عرتك جهالة فانا المقيم قيـامـــة العذال

ثم لفظة «اسر» وهي سريانية ايضاً ومعناها تقلد . فإذا صح مانزعم صار التعبير هكذا: هذا ضريح امرىء القيس ابن ملك كل العرب الذي تقلد التاج .

الجزء الثاني

وها هو الجزء الثاني من « تاريخ العرب » المطول لعلامتنا الاستاذ فيليب حتي، تلحقه دار الكشاف بأخيه، متزياً بزيه الانيق، حاملاً الرقم المتسلسل . يتحدث المؤلف البحاثة النزيه في هذا الجزء عن الدولتين الاموية والعباسية ، فيرى في معاوية مثال الملك العربي . يتناول دولة هذا الملك وعماله ، وحملاته على البيزنطيين، وانشاء كل ما تحتاج اليه الدولة الحديثة العهد من جيش ومنشآت بنائية ، وفرض لغة الحاكم على الخاضعين له من الموالي وغيرهم ، ثم يتكلم عن مناحي الحياة الفكرية ومجاريها في العصر الأموي ، فيتحدث عن العـــلوم اللسانية والادب والشعر والتربية والتعليم والخطابة، ويتناول بحثه العلم الصرف كالكيمياء وغيرها ، ثم يصف الفن المعماري فيحدثنا عن قصور ذلك الزمان ومساجده فيجسد امام اعيننا حقبة مجيدة من تاريخنا العربي .

وينتقل الى الدولة العباسية ، فيرى في ابي جعفر المنصور مؤسس الدولة الحقيقي ، ثم يصف العباسيين في عصورهم الذهبية ، فيحدثنا عن علاقاتهم بالغرب، واقتباسهم الثقافة الهيلينية عن طريق الترجمة التي أيقظت الأفكار فحركت العقلية العربية فعملت بامعان في حقل الثقافة، وكان من نتاجها تلك الثمار اليانعة.

ولا يحرم الدكتور حتي اللهو من بحثه ، فيحدثنا عن الحمامات والحانات والرقيق وعن التجارة والصناعة والزراعة ، وأخيراً عن انتصار الاسلام وتغلغله في نفوس الخاضعين للحكم الاسلامي حيث لم يبق خارج الحظيرة إلا أقليات ضئيلة . ثم ينتقل الى انتصار اللغة فيقول :

« وكانت المرحلة الثالثة من مراحل الفتح مرحلة انتصار اللغة العربية على لغات الشعوب المغلوبة ، وكانت هذه المرحلة آخر المراحل وأبطأها ، وقد أبدت فيها الشعوب المغلوبة أعظم الدفاع وأشد المقاومة . وتبين فيها ، كما هو المعتاد في غيرها ، ان الشعوب تؤثر التخلي عن كيانها السياسي بل عن ديانتها القومية ، إذا اقتضى الأمر ، قبل أن تتخلى عن لغتها . ولم يتحقق الفوز الأخير للغة العربية حتى أواخر العصر العباسي » .

« ويجب أن نذكر هنا انه قد تسنى للغة أن تنتصر كلغة علم قبل انتصارها كلغة تخاطب ، إذ تسربت إليها من بيزنطة وفارس والهند مجاري الفكر وخلاصة الثقافات المختلفة المعروفة ، فاتصلت ببغداد والكوفة والبصرة في القرن التاسع بشكل لم يسبق له مثيل إلا في حضارة الاسكندرية في العصور الأولى . وهكذا أصبحت اللغة العربية التي لم تستخدم من قبل للاغراض العلمية أداة للتعبير عن مظاهر الحضارة الإسلامية » .

ثم يمضي في البحث عن التقدم العلمي والأدبي ، فلا يدع شاردة ولا واردة يستدعي بحثه ذكرها ، ولو بإيجاز غير مخل، حتى يتطرق أخيراً إلى الأدب فيقول تحت عنوان : « الأدب بمعناه الدقيق » .

« بدأ الأدب العربي بمعناه الضيق بالجاحظ شيخ أدباء البصرة ، وبلغ قمته في كتابات بديع الزمان الهمذاني ، والثعالبي النيسابوري والحريري . وإلى بديع الزمان يرجع الفضل الاكبر في وضع المقامة » ثم يذكر أبا الفرج الاصفهاني وغيره ، وألف ليلة وليلة، ويذكر بعض الشعراء كبشار وأبي تمام.

وينتقل إلى التحدث عن التربية والتعليم وإنشاء المدارس ودور الكتب وحوانيت الورّاقين . ولا يحرم الفنون الجميلة من نظرة قصيرة عميقة. وينتقل الى الفرق الاسلامية فيحدثنا عن الخصومة بين العقل والدين وعن الصوفيين وطرقهم وشعرهم ، وعن الشيع جميعاً ، وينتقل بعد هذا الى البحث في تجزؤ الخلافة ونشوء الدويلات ، ثم يختم كتابه هذا في البحث عن انحلال الدولة العباسية وتسلط هولاكو ، وينتهي الكتاب بابتداء عهد الترك العثمانيين ، آخر حماة الدين الاسلامي .

سننتظر ظهور الجزء الثالث من هذا التاريخ الصادق النفيس ، شاكرين للمؤلف نزاهته واخلاصه التاريخيين ، وللمترجمين الدكتورين جرجي وجبور . ولا شك في أن همتها الناهضة لا تقف طويلاً للاستراحة من عناء تجره ترجمة كتاب دقيق كهذا .

أخذ الله بيددار الكشاف العامرة لتخرج لنا ما بقي من سجل العرب الذهبي.

معارك العرب

لبطرس البستاني

للاستاذ بطرس البستاني ولع بتـاريخ العرب وآدابهم ، فهو تارة يؤرخ منطق الشيخ بعرب ، واحياناً سيف بنيه وأحفاده . وكل ذلك بلغة لا غبار عليها ، وتفكير ملك صاحبه. ليس بطرس البستاني من جرذان المكاتب كبعض المصنفين الذين يخرجون المرقعات من الكتب ولمها من هنا وهناك، ثم يتبهرون بالتأليف والتصنيف ... فصاحب « معارك العرب في الاندلس » يعمل بصمت ويحفي بكد واجتهاد ، وحسبه كتابه الفذ « أدباء العرب » الذي يكاد ان يكون الكتاب المنهجي الذي يصح ان يعتمد عليـه ، في التفكير والتعبير . وها هو الاستاذ بطرس بعد ان نفحنا بكتاب «الشعراء الفرسان » ثم بكتاب « معارك العرب في الشرق والغرب » ينفحنا اليوم بكتابه الجديد هذا «معارك العرب في الاندلس » فيحدثنـــا عن « ايام العرب » في الفردوس المفقود ، مبتدئاً بيوم طليطلة، مختتما بفاجعة غرناطة، فكأنه احاطنا علماً بتاريخ العرب المغاربة في خلال ثمانية قرون .

ان لغة المؤلف نقية صافية بعيدة عن الرطانة والركاكة التي نراها في كتب زملاء الاستاذ بطرس ، فله شكرنا وحمدنا وكم يطيب لي ان احمله اسم المعلم بطرس الثاني احياء لذكرى ذلك الجندي الأمين الذي ناضل في ميادين الفصحى ومات في ساحة الطراد .

ان المعلم بطرس الجديد هو وارث مجد البستانيين الادبي ، ومجدد ذكرهم بمؤلفاته القيمة الرصينة .

اخذ الله بيده وامد أجله ، ليطلع علينا دائماً بالنفيس المغذي من كتبه ، فقد مللنا قشور غيره ... ولدار المكشوف الحمد على ما تتحف به المكتبة العربية من كتب كهذا الأثر الباقي .

الادب القصصي عند العرب

لموسى سليمان

بعد ان اصدرت دار العلم للملايين كتاب «الحب العذري» للاستاذ الاديب موسى سليمان ، اصدرت له أيضاً كتاب « يحكى عن العرب» وقدقال المؤلف فيه : والذي نستطيع ان نقرره دون أقل شك هو ان التراث القصصي الذي وصلنا عن العرب هو تراث ضخم يحمل الكثير من الخير والكثير من الجمال ، فحرام ان يمر الطالب العربي مروراً سطحياً فلا يعيره اهتماماً،ولايدير اليه بالاً».

وكأني بالاستاذ سليمان — ومن اولى من سليمان بفتح الكنوز المرصودة —قد أراد ان يشبع موضوعه هـــذا بحثاً فجعل اطروحته « الادب القصصي عند العرب» فنال بها رتبة ماجستير في الادب .

اننا نهنئه برتبته العلمية الجديدة التي استحقتها كفاءته وجدارتـــه ، ولو كانت لنا سلطة منح الرتب ، ولو الفخرية منها ، لما بخلنا على الاستاذ موسى بخيرها وابقاها .

ان لقب ماجستير وغيره من الالقاب لا تحيا طويلا إذا لم ينفخ فيها كتاب مثل هذا روحاً محيياً . لقد عالج الاستاذ الماجستير في الآداب قضية بحثهـا وسيبحثها الادباء في عصر كادت القصة ان تسيطر فيه على منتوجات الآداب وأسواقها .

طريفة هي مقدمة هذا البحث،وقد استوفى مطلعها الوجيز كل ما يقتضي لتعريفنا بالكتاب وصاحبه .

إنه مطلع فيه من روعة الشعر ما هو جدير بمقدمة كتاب يتحدث عن « القصة » ، والقصة أحوج ما تكون إلى العنصر الشعري. تأمل كيف افتتح الأستاذ سليمان مقدمة البحث ، قال :

« كان ما كان » صوت عميق ، قديم من أصوات المعابد العتيقة ، يحمل بين طياته ألف لون ولون من ألوان الحياة النابضة ، الزاخرة بالألغاز والأسرار !

« كان ما كان » صوت رهيب حبيب إلى النفوس المتعطشة لجمال الحياة ، بل هو صوت الأغوار العميقة والأزمنة السحيقة ، بما فيها من آفاق فسيحة تمج بالخير والبركة ، والدين والمعرفة والعلم والفلسفة .

هو « صوت الآلهة ، يوم كانت الآلهة أبناء السماء ترش على الدنيا حكاياتها أساطير أساطير . »

هذه بضعة أسطر من المقدمة. لا تنتظر أن تأخذ على الهينة خلاصة الكتاب أو رأي مؤلفه في القصة عند العرب ، فهذا أدعه لك ، ولكنني أقول ان في الكتاب أبحاثاً جدية ، وهي تشبع الجياع إلى المعرفة وتروي ظمأ العطاش إلى الفن ، فاقرأه أنت ، وبعد ذلك نتناقش ان لم تخرج منه وأنت من شيعتي .

ثائرون !

لمحمود تيمور

نحن في غنى عن تعريف محمود تيمور . أمّا حمل الرجل لقب عميد القصة المصرية ، كما حمل الاستاذ طه حسين لقب عميد الأدب العربي ؟ !

عجيب أمر مصر كم تحب الألقاب ! ألبست شوقي خلعة امارة الشعر ، ثم مالت على حافظ ابراهيم فأسمته شاعر النيل ، وعلى أثر ذلك لقب خليل مطران بشاعر القطرين ، وعبد المحسن الكاظمي شاعر العرب . لست أردد قول الشاعر الأندلسي : القاب مملكة ... فهؤلاء كانوا وما زالوا خير ما في الكنانة من سهام ، ولكنني أعتب على الاستاذ طه حسين كيف يرضى بهذا اللقب ويعتد به وهو الذي ثار على امارة شعر شوقي حتى راح يقنع حافظ ابراهيم ألا يبايعه ، ولكن حافظ ابراهيم لبط بالأرض في مهرجان شوقي بالاوبرا وهتف :

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

اننا نشكر أبطال الثورة الذين أراحوا مصر والشرق من تلك الجلاجل التي كانت تعلق على كل اسم ، فهذا باشا وذاك بيك وذاك ...

انه داء قديم في مصر المحروسة حتى حكى أحد الظرفاء أن أحد الخديويين أراد أن يعرف كم عنده من باشاوات وبكوات فأمر في يوم العيد ، ان يمروا امامه : الباشاوات راكبين الخيل والبكوات راكبين الحمير . وكان ما امر ، ومرّت الباشاوات على خيولهم المطهمة ببدلاتهم المقصبة وسيوفهم

المذهبة وتبعهم البكوات على حيرم الفارهة ، وانقطع حبل هـذا الموكب الحـاري وتلته قافلة مشاة فسأل الخديوي : ومن هؤلاء ؟!

فأجابه احد المقربين : هؤلاء يا افندينا بكوات وقد صاروا اكثر من الحمير فلم يجدوا مراكيب ... فمشوا .

أما وقد اثرنا قضية من قضايا الألقاب فما علينا لو اتبعنـا الحبل بالدلو ، واثرنا قضية اخرى من طراز هذه، وهي قضية لقب « دكتور » فقد عم هذا اللقب حتى خم ، ووقع الالتباس بين دكتور ودكتور .

في دعوة ما سمع قروي المدعوين يخاطبون اكثر من واحد بيا دكتور ، فاسرع إلى بيته وجاء بابنه المريض ليعرضه على احد هؤلاء « الدكاترة » وكم كانت خيبته مرة حين علم ان ليس بينهم واحد يقضي حاجته ، فسأل: وكيف هم دكاترة ؟

فقيل له : هذا دكتور في اللاهوت ، وهذا دكتور في الادب ، وهـذا دكتور في العلوم ، وهذا دكتور فلسفة ، وذاك دكتور هندسة . الخ ...

فصاح أوف الله الله ، كيف تغير الزمان! وهل العلوم والفلسفة والهندسة مريضة حتى يعالجها هؤلاء الدكاترة ؟

اني ارى ، وما هي محسدة ولا ضيق عين ، ان كان ولا بد ، ان تذكر هذه الألقاب الشريفةبعد اسماء اصحابها وبعين نوعها فيرتاح السذج وغيرالسذج، ولايصغرون ويسقطون من عين انفسهم متى وقعوا في مارقع فيه ذاكالقروي .

اظن ان اكثر ادباء اوروبا يحملون هذا اللقب ومع ذلك لا يذكر لأحد ، وإذا كان هذا اللقب العلمي الرسمي لا يذكر ، فكيف بعبادة الأدب والقصة في مصر .

نحن في معرض الكلام على قصـة « ثائرون » لمحمود تيمور ولذلك درت وبحت بما في نفسي وما في انفس الناس. أن الصحف الحرة المتجددة تدرك أن قيمة الانسان ما يحسنه ولذلك نزعت هذه الالقاب واكتفت باسم الرجل .

نحن في هذه الأيام ثائرون على كل شيء ، نريد أن نعمل جديداً ، ولذلك راح فريق منا يضع القوانين والدساتير الحديثة للاديب ، كما كانوا في الزمن يكتبون للناشيء جملتين ثلاثاً ليصلح خطه عليها ، وكانوا يسمون تلك الورقة « نسخة » وهذا ما يريد بعضهم أن يعمله بالادباء اليوم . مع أن الاديب لا يعين له موضوع يكتب فيه،فهو ليس طالباً على مقعد المدرسة يكتب«فرضاً» ينتقيه له معلمه.الأديب يترك وشأنه.فالناس لم يتفقوا بعد على سيرورة القصة، والفن لا يقيد ، فعلى الاديب أن يمشي على هواه وهو يعرف نفسه أين يجيد .

أراد محمود تيمور أن يعالج الموضوع الحاضر في مصر ، في قصة «ثائرون» فلم يوفق ، وما اظن هذا الاخفاق إلا ناتجاً عن أنه يصف حياة لم يلابسها ، فهو ليس ممن عايشوا هذه الطبقةحتى يصورها تصويراً ناتئا كالذي رآه البحتري في ايوان كسرى ونقرته يداه بلمس ...

ألم يقل تيمور في مقدمة «ثائرون»: «ومتى استطاع الاديب أن يحيا في صميم القضية الاجتماعية أو المشكلة القومية تيسر عليه أن يعبر عنها تعبيراً فنياً أصيلاً يدامج أعراق البشرية ويمازج حقائق الحياة » .

فإذا قرأنا « ثائرون » نكاد لا نشعر بثورة ، لان المؤلف هادىء مطمئن. فموضوع كهذا أولى أن يعالجه من لم يول" شبابه"وخصوصاً إذا لم يكن مطبوعاً فإذا تركت « ثائرون » ورحت تقرأ الاقاصيص التيمورية الملحقة بثائرون ماجت الحياة أمامك بين السطور . اذكر منها قصة « ساق من خشب » التي تنظر إلى اقصوصة توفيق عواد الصبي الاعرج، ولا ادري أيهما اسبق،وكذلك اقصوصة « حنين » التي تحمل فذلكتها عنوان قصة خليل تقي الدين « نداء الارض » . أما قصة « يا سادة يا كرام » ولعلها من جديد تيمور ، فقرص عسل بشهده . لم اقرأ اقصوصة أحر منها عاطفة واسمى فناً ، والين سيراً . لقد ارتفع بها الاستاذ تيمور إلى القمة.فهذه القصة يدور قطبها على مثل ماحكاه صاحب المستظرف عن اعرابيين ، قال :

سرق اعرابي غاشية من على سرج ، ثم دخل المسجد يصلي ، فقرأ الامام هذه الآية الكريمة : هل أتاك حديث الغاشية .

فقال الاعرابي : يا فقيه لا تدخل في الفضول .

فلما بلغ الامام قوله تعالى : وجوه يومئذ خاشعة .

قال الاعرابي : خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي ، لا بارك الله لكم فيها . ثم رماها من يده وخرج .

ومن هذا الطراز أيضاً نادرة أخرى : سرق اعرابي صرة فيها دراهم ، ثم دخل المسجد يصلي،وكان اسمه موسى،فقرأ الامـام :وما تلكبيمينك ياموسى.

فقال الاعرابي : والله انك لساحر . ثم رمى الصرة وخرج .

ومثل هذا فعل الشيخ صفوان بطل قصة « يا سادة يا كرام » دخلالمسجد يصلي بعد دفنه ابنته حليمة التي البسته عار الأبد ، فإذا بالامام يحث المؤمنين والمؤمنات على الصون والعفاف ، ويذكر مـا اعد للمفرطين والمفرطات في الاعراض من انـكال وجحيم ، وطعام ذي غصة وعذاب اليم ...

فصاح الشيخ صفوان : ليس لك أيها الرجل أن تتحكم في مصير الناس ، لا أريد أن يتكلم عن ابنتي أحد . انها طاهرة الذيل طيبة القلب ... لقد ماتت بين يدي تائبة ...

هذه الروعة تجدها في هذه القصة وفي أكثر أقاصيص تيمور التي جارى فيها طبعه ومشى على هيئته.ولكنكلاتجد مثل هذه العفوية في قصة «ثائرون».

فالحوار الذي وفق فيه تيمور في جميع قصصه وأقاصيصهنراه هنا متعملا. فألفاظه أمسى بعضها بعيداً عـن المألوف فهذا التعبير هل للسويفي صاحب المقهى أن يقوله لغلامه فلافل : هلم يا ولد إلى أحذية السادة فانفضها ،أليست كلمة تعال أولى في هذا المقام ؟ ثم ما الداعي إلى استعمال كلمة هلاهـــل وارهاصات وغيرها ؟ .

وان هناك صبغة غير الصبغة التيمورية المعهودة ، وما ذاك إلا لانه حاول أن يعالج موضوعاً لم يتمثله ليستحيل إلى دم تيموري ويخرجه فناً من طراز مما له من فن ، أو لانه صار من أعضاء المجمع العلمي .

يقول تيمور خاتماً القصة بلسان بطل « ثائرون » : اني أعمل على اعداد جيل جديد . ففي نظري ان هذا الجيل الجديد هو الذي يجب عليه أن يقص علينا مثل هذه القصة التي تعمد تيمور أن يكتب فيها،فكل لحية ولهاموسى.

والذي قلته لتيمور أقوله للشباب أيضاً : لا تفتشوا عن ذاتكم عند سارتر وهمنغواي ، ولا عند اليوت ، ولا غيره ، فتشوا في زوايا أنفسكم عن أنفسكم. إذا كان الاطباء المخلصون ينصحون المرضى أن يتداووا باعشاب بلادهم ، فما عساي أنا أقول لكم ؟ انكم تضيعون في مهامه أولئك الفطاحل ولا تلقطون من أرضهم ولا عشبة ... ليست الذات نحاساً أو حديداً يطلى ويموه بالذهب . ان للذات عرقاً اصيلاً ومثل هذا العرق يجب أن يظهر ليُرى .

وبعد ، فقد تكون قصة « ثائرون » معمولة على حقها ، طبقاً للمقاييس القصصية الفنية،ولكنها كيفما دارت بها الحال بعيدة عن نفسية تيمور وقصص تيمور وأقاصيصه .

أثر الأديب في الحياة [1]

يا سامعين الصوت ، سلام وتحية ،

لقد حلم التاريخ بهذه العجيبة منذ خمسة وثلاثين قرناً ، بعدما رأى موسى ربه في العليقة ، وتعارفا فصارا صديقين حميمين ، ثم كانت تلك المحـــاضرة الخالدة على طور سينا .

وأنا أحدثكم اليوم ، من طور سينا العلم ، طور سينا المسيو شمبار الذي لا يدخّن ، ولا يرتجـــف كراديو سيدنا موسى ، فلا بروق ولا رعود ، انكم تسمعون صوت البوق كما سمعه بنو اسرائيل، في ذلك الزمان ، من سفح الجبل. إن صوتي ، وحده ، يطير شعاعاً ، وكم كنت أتمنى أن أرى وجوهكم الساحرة لأستمد منها نشاطاً ومرحاً ، ومعاني لم تخطر على البال . لقد صح فيّ وفيكم قول الشاعر :

فكان كمن سقي الظمآن آلاً وكنت كمن تعشى في المنام

يا ليتهم كبّروا الآلة قليلاً ليبلغ صوتنا شطرنا الثاني خلف البحار فنحدثهم ويحدثونا . وهذا هين على ام فولتير ورنان وانا تول فرانس .

ان الادباء مدينون جداً للمسيو شمبار ، فبعدمـــا كان الناس يدعونهم ليتفرجوا عليهم هنيهة ، ويرجعوا بسلام ، أصبحوا يخاطبون الناس من وراء

---

(١) القيت في اسبوع افتتاح راديو لبنان .

الحجاب . ولا عجب ، فالادباء امراء كلام كما يتمنى بعضهم أن يسمى ، ان حصة الادب من هذه الاذاعة قليلة جداً ، عشرون دقيقة لا غير في الاسبوع، فانصتوا لنا قليلاً ، واحسبوها إحدى المصيبات ، الحياة لا تكون كلهـــا « عتابا وميجانا ». وكأني بهم قد جعلوا موعدنا ليلة الجمعة ليذكرونا بالصلب ، فالأديب يحمل صليبه دائماً .

موضوعي : اثر الاديب في الحياة ، فافتحوا اذانكم الصغيره جيداً لتعلموا أن ما تحلمون به من الأمل الأخضر والرجاء الأبيض هو من عمل الأديب . أما إذا كنتم تهجسون بأسعار النقد الصعب، وتحبون سماع مشاحنات الجبابرة، وقرصان السياسة ، فردوا الباب عليّ ، واتركوني احـدث نفسي ، وشنفوا آذانكم بأصوات جلاديكم التي تقضّ عليكم مضاجعكم .

وبعد ، فمن هو هذا الاديب الذي نحدثكم عنه ؟ هو رجل ملهم خلق من الناس ليكون أباً للناس ، فهو آدمي في نفسه قبس من الحق لا يُطفأ . وقـد أكون واقفاً ، الآن ، حيث كان يقف سنكنيتن البيروتي ، الأديب العـالمي الأول، الأديب الذي سبق موسى إلى سفر تكوينه ، فخلق للعالم حواء سماها ايون ، وآدم دعاه بروتوغون ، ومن سلالتها تحدرت الآلهة ودرجت ازواجاً على هذا الشط الزمردي . خلق آلهة برية وبحرية ، أرضية وجوية ، سماوية وجهنمية ، انبثقوا من بطون كهوفنا وأوديتنا كفيلان تأبط شراً ، وطاروا على روابينا وقمنا ذكوراً واناثا كرخّ ألف ليلة وليلة . خلقتهم رعود لبنان كما تخلق البادية الكمأة في عام الرعد . وهكذا ملأت آلهة العالم القديم الأرض والفضاء فصاروا كأنهم موظفو دول هذه الأيام كثرة لكل واحد عمله ...

أما الآله الغازي فهو إيل ربّ الأرباب وسيد هؤلاء جميعاً ، وأوسمهم شهرة ابنه الوحيد أدونيس الذي كاد له المريخ ، صانع الصواعق كعامل النار اليوم ، فقتله . ولكنه مات ثم قام ليقضي ستة أشهر عند الزهرة في الأرض،

والستة الاخرى عند عشيقة ثانية في السماء، وهكذا كان يفك آلهتنا مشاكلهم على حساب عبادهم .

واطمأن الناس إلى عباداتهم أجيالاً ، حتى سئموا هؤلاء الآلهة الدساسين المشاغبين ، وشكوا في هذا الطراز الآلهي المقتتل على النفوذ والمآرب الذاتية، فهبط الوحي السماوي ، رحمة بالانسان ، فعم الإيمان برب واحد لا شريك له ، يزهق الباطل ويعد الظالمين ليوم عصيب ، وجعلت الدنيا معبراً ومجازاً، وكل الطيبات عبر مجرها .

وإذا فتشنا عن العنصر الادبي في جميع ما سعد به الانسان من تعاليم ، رأينا أن سحر البيان من دعائمها الكبرى ، وأن الله ، تقدس اسمه ، لم يكلف برسالته ، في كل دور ، إلا افصح خلقه . فالسيف والمدفع لا يؤديان رسالة السلام والاطمئنان ، فما لها إلا الأديب يحملها على أجنحة خياله ، ويطير بالنفوس معها . فهل اخطىء يا ترى إذا حددت الانسان تحديداً جديداً وقلت : الانسان فصيح فنان ؟ فالانسان لا يقاد طائعاً راضياً إلا بسحر البيان الذي هو من صفات الادباء

لا نعني بالادباء أولئك الضفادع الذين ينقون في مستنقعات الرجعية ويتقيأون على الورق ما قاله الادباء الكبار منذ آلاف السنين ومئاتها ، بل نحن نعني أولئك الذين يدور العقل البشري في افلاك وحيهم والهامهم ، وإن خرج منها إلى فلك السفاحين الجبارين عاش شقياً مظلوماً .

فمخيلة الأديب في حلم دائم ، والعلم يعبر تلك الاحلام ويحققها مخيلة الأديب تحبل وتلد ، ورجال العلم يلتقطون المولود ، كآل فرعون ، ليكون لنا عدواً ... يحلم الاديب الملهم بتجميل الحياة واسعاد الناس ، والجبابرة يصيّرون تلك الأحلام يقظة قاسية.

إذا حاق الظلم بالانسانية فالأديب أول من يتألم ويصرخ ، الأديب يرفع

صوته تحت بريق السيوف ، ولا يسكته السلطان مهما طغى وتجبر . لأن الأديب الكامل لا يشترى ولا يباع، لا يكتم كلمتهولو اعطي بها ملء الارض ذهباً ، فهو لا يبتغي إلا العدالة ، ويؤثر الموت على الخزي والعار .

يحمل الانسانية على رأسه ويمشي ، والحق يتكىء على صدره بالبيت كما قال كنفوشيوس ، ومهما ثقلت عليه يد المضطهد فهيهات أن تزحزح عقيدته الراسخة . فهو يعيش بين معاصريه ويفكر بالمتقدمين ، ويساير عصره ويعمل بما يوحي اليه الغد . لا تلين إرادته ولا تنهزم أمام المخاطر والاضطهاد ، فهو يسعى وراء المعرفة بلا ملل ، ولا راحة .

في الضمة والفقر لا يسقط الاديب كالحصاد ، وفي الوجاهة والغنى لايتنفس فرحاً وكبرياء .

كل هذا ينبئنا أن الاديب العظيم هبة علوية ، وأن في الادب السامي غذاء لا بد منه للبشر . تسأم النفوس دنيا العمل وضجيجها المزعج فتلجأ إلى دنيا الاديب ، وعوالمه التي يخلقها ، فتنفتح أمامها أفاق الأماني والأحلام ، وإذا نظرنا الى الانقلابات العالمية الخطيرة،رأينا للاديب فيها اليد الطولى . كلكم يعلم اثر فولتير وتولستوي ونيتشه في العالم الحاضر . فالاديب ، شاعراً كان أو ناثراً،يقلب ببيانه الدنيا ومثلها العليا،وهو يقضي داعماً بالأمر عن الشعب الغافل.

لست أضرب لكم مثلاً إلا شاعرين أكثركم تعرفونهما فيكتور هيغو من شعراء الفرنجة ، ودعبلاً الخزاعي من شعرائنا .لا تتعجبوا أن أحتَج لرأيي هذا بأديب كدعبل اشتهر بوعورة طبعه ، وشكاسه خلقه ، فهو على نقصه من ناحية ، أديب متمرد . أحس الشعب بضعف الأمامة وسكت على مضض ، أما الأديب في دعبل فرفع صوته في ظل الموت صارخاً :

يا معشر الاجناد لا تَقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حنينية يلتذها الأمرد والأشمط

وهكـذا يرزق قـواده خليفـة مصحفـه البربط
بيعـة ابراهيم مشؤومـة يقتـل فيها الناس أو يقحطوا

هكذا هاجم هـذا الاديب الصغير خليفة بل خلفاء ينام الموت بين شفاههم ، أما الشعب الخانع في كل عصر فيضحك من ادبائه ضحكة بهلولية ، ويتذبذب إلى ظلامه بالنيل منهم والهزء بهم . أما الأديب فـلا يسكت ، الأديب يعرض عن الاثنين ، ولا يضن بروحه ليغلب العالم .

لم تجد الجـامعة المصرية اسماً أمجد من اسم الآله « توت » . الآله الأديب الكاتب لنحفر تمثاله في المدالية الذهبية المضروبة تذكاراً للدكتوراه الفخرية التي رفعتها إلى الملك فاروق . فـلا ييأسنّ اذن من يحس أن فيه قبساً من روح الأديب الكبير. فساعته، لا محالة ، آتية، ولو بعد خمسة آلاف سنة كما استقر الآله توت الوثني على صدر الملك الصالح ... الأدب والعلم لا دين لهما .

تفخر الأمم ، كما نقرأ ونسمع ، بقلة الأمية فيهـا ، ولا يصبر على رؤية وجوه كثيرة من الناس وتعليمهم إلا الذين في نفوسهم شرارة ضئيلة من نار الأدب ، وكثيراً مـا نرى أن هؤلاء الذين يكافحون جراد الأمية هم آخر من يجيء في بال الدولة ، هذا إن جاؤوا

والذي يظهر لي بالاستقراء أن الشقاء حاجة الأديب التي لا بد منها، وإذا لم يجدها شقي بعقله . قرأت مسرحية إفرنسية طريفة أحب أن أختم كلمتي بتلخيصها لكم ، مع إعلامـكم أنني تصرفت بها قليلاً ، فانتبهوا لي ، وإلا فالخسارة عليكم .

كان في مدن فرنسا أديب تاعس الجد ، تحييه زوجته المهذبة بما نصافح به العقرب متى شرفتنا بزيارة صيفية ، ويزدريه من عرفوه في المجالس والمجامع. كان المسكين في حربين داخلية وخارجية .

وكانت الحرب العظمى فاختفى أثره ، واشتهت بلدته أن تشتهر بأديب

تفتخر به كغيرها من المدن، فرأت أن تشيد أثراً فخماً لأديبها هذا، فاضطلع رئيس البلدية بالأمر ورفع الأثر عالياً . ثم كانت حفلة إزاحة الستار فتصدرها الوزير وزوجة الشاعر يحفلهـا السواد من فوق عينيها إلى رجليها . وفي تلك الساعة الخطيرة من تاريخ المدينة وفد الشاعر بعد غيبته الطويلة ، على الطائر المنحوس . ولشدّ ما دهش إذ رأى نفسه استحال تمثالاً من الرخام ، ورفع على خازوق المجد .

أظهر نفسه للمحفل الكريم فأنكروه جميعاً حتى زوجته المتباكية وخاف سعادةرئيس البلدية أن تفسد الطبخة ويحرم الحلوان ،اي الوسام الذي في جيب الوزير فسار بالشاعر ناحية وقال له جاداً : أنت مت يا صاحبي، وقد صرفنا مبالغ طائلة من الفرنكات لتمجيد ذكرك ، فليس من الكياسة أن تكذبنا ، ولا من الحكمة أن تخسر هذا المجد .

وكان الأديب نبيهاً فتذكر روجته ورفقها به ، فصدق انه مات. ولكنه عاش طويلاً يتفيأ ظل تمثاله ، وينظم الشعر في تمجيد صاحب التمثال أديب البلد وشاعره الكبير .

هكذا صوروا الأديب عندهم ، أما أنتم فصوروا أديبكم كما ترون ، واتركوها في القلب تجرح ولا تخرج من الفم تفضح . .

وقبل وبعد ، فـــلا غنى للأمة عن الأديب ، والأديب لا يخرج الا من المدرسة . فبصفتي التعليمية أسأل السادة الذين يلعبون بنار السياسة ألا يزجوا الطلاب في غمارها ، ألا يشغلوهم بوساوس العالم قبل أن يأخذوا بقسطهم من العلم ، فيكونوا رجال غد حقاً يصلحون لتأدية رسالتهم .

ان الأمة في حاجة إلى أدباء، والمدرسة أضيق من أن تسع التأديب والسياسة، فارحموا أمتكم يا رعاكم الله .

لبنان صديق الكتاب

بمناسبة طبع لسان العرب

«..فهو مؤلف ومترجم وناشر منذ خمسة قرون.فذاك الكاهن الماروني المعروف بالصهيوني وضع وطبع في باريس نحو اللغة العربية سنة ١٦١٣ ، وفي رومية طبعوا كتباً شتى . وفي سنة ١٦١٩ ترجم الصهيوني كتاب الشريف الادريسي «نزهة المشتاق» وطبع في رومه. وسنة ١٦٤١ نشر الحاقلاني كتاب «مقاصد الحكم» لفلاسفة العرب،وسنة ١٥٣٠ طبع القرآن الكريمفي البندقية

هذا نموذج من عمل اللبناني في عصر الظلمات ، يوم كانت عربيتهم طفلة ، أما فيما بعد فصالوا وجالوا في ميدان الترجمة والاحياء والتأليف فهذا احمد فارس الشدياق ، ولو كرهه المتعصبون ، يحلّي في ميداني التأليف والنشر والتعريب ، فيضع ألفاظاً لمسميات حديثة ، ويصبح إمام اللغة في عصره ، فتنشر مطبعته التي كانت تصدر جريدته الجوائب : الجاسوس على القاموس ، وديوان البحتري، وديوان الطغرائي، وديوان عباس بن الأحنف ، ونقد الشعر لقدامة ، ورسائل الخوارزمي والهمذاني ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري ، ومقامات السيوطي ، وأمثال العرب للضبي، ونثار الأزهار في الليل والنهار، ودرة الغواص للحريري مع شرحها للخفاجي، وديوان ابن الخشاب،والمقصورة الدريدية،ونزهة الطرف في علم الصرف للميداني،وأدب الدنيا والدين للماوردي، ورسائل شتى لابن سينا والثعالبي والمقريزي ، وكلها بحرف مشرق جلي وورق صفيق » . (المشرق سنة ٣ ص ١٨٠) .

وقد بقي عشرات لم تذكرها المشرق مقدمة الأهم على المهم أما في باريس فطبع الكونت رشيد الدحداح الأديب الشاعر معجم المطران جرمانوس فرحات ، وطبع ديوان ابن الفارض مع شرحيه للشيخ حسن البوريني والسيد عبد الغني النابلسي،ونشر مجموعة أشعار حكمية لأشهر شعراء العرب ، وكتاب قطرة طوامير،وكتاب فقه اللغة،وغيرها من الروائع العربية النفيسة المخطوطة.

إن الحديث يطول إذا ذكرت ما أحيا اللبناني في أقطار العالم ، وأية بقعة من دنيا الله الواسعة ليس فيها لبناني ؟ عندما أخذت اليابان بور ارثور ١٩٠٤ وجدوا هناك رجلاً لبنانياً ، ولعله كان يفكر بانشاء مطبعة وجريدة ونشر كتب وترجمتها فمن يعلم . .

فلولا النشر والترجمة لما استحق لبنان شكر الثقافة العربية،ولولا الجوائب، والجنان، والهلال، والمقتطف، والجامعة، لظل أدبنا وعلمنا عتيقين ، ولما كان هذا التطعيم الذي نوّع الأشجار المثمرة في حديقتنا العربية . فمنذ ستماية سنة واللبناني يطبع ويترجم ويؤلف ويحيي . أعني يوم لم يكن أحد يفكر بذلك.

هذا رافائيل كحلا يطبع في باريس سنة ١٨٥٥ كتاب الفارياق للشدياق . لم يكن في الامكان طبعه في الشرق فأخرجه كحلا في باريس، وهكذا أبقى لنا هذا الأثر الخالد ، ولولا جرأته وهمته لكان ضاع كما ضاع صنوه الآخر « كتاب المرآة في عكس وجه التوراة » .

هذه مئة وخمسون سنة مرت اليوم على ميلاد الشدياق ، فهل فكرنا باحياء ذكراه كما يفعل الغرب في تكريم ذكرى ادبائه ؟ وهذه مئة وخمسون سنة تمر على ظهور الفارياق ، فهل فتح أحد فمه ليمجد ذكر جبار القرن التاسع عشر؟

دعاني إلى كتابة هذه الكلمة ظهور لسانالعرب عن داري بيروت وصادر بأبهى حلة تليق بهذا الميراث الخالد . كتب الشدياق ، إمام اللغة والأدب الأوحد ، مقدمة لسان العرب ، ويعد أن عدد فوائد هذا الكتاب بقوله :

وبالجملة فهو كتاب لغة ، ونحو وصرف ، وفقه وأدب ، وشرح للحديث الشريف ، وتفسير للقرآن الكريم ، فصدق عليه قول المثل : « ان من الحسن لشقوة » .

وإذا كان الشدياق قال في شكر عزيز مصر حين أمر بطبع لسان العرب أول مرة « فالحمد لله مولى النعم ومؤتي الهمم على أن حفظه لنا مصوناً من تعاقب الأحوال ، وتناوب الأحوال » كما نحمده على أن ألهم في هذه الأيام سيدنا الخديو المعظم العزيز ابن العزيز محمد توفيق .. إلى أن يكون هذا الكتاب الفريد بالطبع منشوراً ، ونفعه في جميع الأقطار مشهوراً » .

وبعد ، فاذا كان هذا الفيض من الثناء على صاحب مصر ، وهو عزيز أخصب دولة ، فماذا ترانا نقول في شكر السيد صفي الدين ؟ ان العمل جسيم ولكن همم الرجال تدك الجبال. فاخراج كتاب في ثلاثين مجلداً إخراجاً أنيقاً يصاحبه التمحيص والتدقيق لهو عمل تعجز عنه الجماعات فكيف بفرد !

ان ابن منظور قال حين صنف هذا المعجم الخطير : خذوا لغتكم من أعجمي . ونحن نقول له بلسان هذين السيدين الفاضلين صفي الدين وصادر : قم خذ كتابك في اشرق طبع من عربي سيد نبيل ، ومن مسيحي ورث المكتبة أباً عن جد ، والفضل يعرفه ذووه يا عبد الله محمد بن المكرم .

سمعت من قال عند ظهور المجلد الأول من هذه الموسوعة الخطيرة : وما حاجتنا إلى هذا الكتاب الضخم ؟!

لا أكلف نفسي الرد عليهم ، لأن الجواب في مقدمة ابن منظور التي قال في آخرها : « فانني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، إذ عليها مدار أحكام الكاتب العزيز والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، ولذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان ، من اختلاف الألسنة والالوان حتى لقد

أصبح الملحن في الكلام يعد لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الاعجمية، وتصافحوا في غير اللغة العربية ، فجممت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون » .

هذا القول كان يصح علينا منذ نصف قرن ، أما اليوم فقد كثر فينا عدد أحباب لسان العرب ، والامل كبير بنهضة جيلنا الطالع الذين يجمعون اذا شاؤوا بين تليد العربية وطارفها ، فاذا ضموا إلى لسان العرب معجم العلايلي كانت لهم مكتبة عامرة تقوم اعوجاج اللسان فيكتبون بلسان عربي مبين .

أجل ان الكلمة المعجمية معدن لا يقوّم بوزن ، ولا يصبح نقداً متداولاً إلا إذا اختصصناه بمعنى فتصير له قيمة فوق ما يسوى . وإذا أردنا ان نسهل لغتنا مع المحافظة على سلامتها فما علينا إلا أن نلجأ إلى العامي الفصيح هذا مذهبي وعليه معولي فيما أكتب .

لقد أحسن المجمع العلمي المصري حين أقر كلمة بيره وكونياك ووسكي ، فالمهندس اللبيب حين يقصد تخطيط طريق يسأل عن طريق القدم والحافر وهكذا يجب أن يفعل المجمعيون . يجب أن يستنيروا بمصنوعات العامة فهم على صنع الالفاظ قادرون .

وأخيراً هل اخطىء إذا سميت لبنان بلد المعاجم ، نشراً وتصنيفاً ؟ لا لعمري فما رأيت بعد معاجم القدماء معجماً عربياً جديداً إلا ومصدره هذا البلد الامين . فمن معجم فرحات إلى سر ليالي الشدياق والجاسوس على القاموس ، ومن محيط المحيط للبستاني إلى أقرب موارد الشرتوني إلى بستان عبد الله البستاني إلى المنجد ، إلى معجم هنا . وأخيراً إلى (موسوعة) العلايلي التي ظلمها حين سماها المعجم .

وان نسينا فلا ننسى معجم صديقنا المرحوم نجيب خلف وان لم ينشر

بعد . فقد صرف حياته في تحبيره ولعل الايام تقيض له من ينهض لطبعه .

أما الترجمة وليست كل ترجمة ترجمة ، فجنديها الامين اليوم الاستاذ منير البعلبكي أحد صاحبي دار العلم للملايين . انبرى الاستاذ البعلبكي لترجمة الروائع الخالدة والكتب الطريفة المفيدة، ولست أعددها لأنها أمست في أيدي القراء الذين يتلقفونها فور صدورها ، فما يعنيني هنا ان أعدد آثاراً ، ولكن يعنيني ان أقول أن هذا الأديب الصامت منير البعلبكي لهو كالزهرة التي ترسل اريجها بلا ضوضا . فإذا دخلت دار العلم للملايين رأيت رجلا منصباً على كتاب يمعن النظر فيه ثم يدون ما علق بذهنه ، حتى إذا أحس بدخولك قابلك بابتسامة مشرقة متواضعة وراح يجر معك الحديث وعقله في كتابه الذي يعده لتستنير به العقول فمنير البعلبكي خادم للثقافة لا يضيع دقيقة، فكأنه موظف أمين عند الثقافة الرفيعة وهي تؤدي له راتباً شهرياً .

والذي يعجبني في ترجمة البعلبكي هو انه قد يفتش عن الكلمة الملائمة بالفتيلة والسراج ، وإذا لم يجدها فوراً صبر عليها حتى تأتي . فمن فاتته مطالعة الآثار الأدبية بلغتها الأم يمكنه ان يعتمد على ترجمة منير فهي أقرب ما يترجم اليوم الى الأصل . قلت « أقرب » لأن لكل لغة حلاوتها وطعمها ولونها .

اما سلامة عبارته فقد تكون لا بل هي أسلم تعبير عن الفكرة الاجنبية التي ينقلها الاستاذ الى العربية . فلا حشو ولا ترثرة بل أمانة كلية في التأدية . سوف يذكر الغد للاستاذ منير هذه الخدمة الجلى للناشئة وللبنان الذي يصب في قنديله زيتاً جديدا ليكون بلد إشعاع حقاً ومن أحق بالانارة من أخينا منير ؟

لحظات مع الخالدين

دعبل

منذ بضعة عشر عاماً خطب المستر بلدوين—يوم كان وزير انكلترا الاول، ومستشار جامعة كمبردج — في مئتي مندوب من ممثلي جامعات الامبراطورية البريطانية فقال :

« ان الشعراء الكبار نادرون،بل هم أندر جداً من العلماء الكبارالذين يخلق علمهم الشيطاني المواد التي تبيد الانسانية . فلذلك اسألكم ايها السادة ، ان تكثروا بين نتاج جامعاتكم عدد الشعراء الذين ينفخون في اوروبا، بل في العالم أجمع ، روح السلام والحرية » .

فاستغرب هذا الطلب كاتب فرنسي فقال يداعب الوزير : ان الشعراء لا يُعملون توصية ، فمهما كانت قوة الوزير البريطاني الأول ، ومهما اشتد ميل الجامعيين الانكلوسكسونيين فلن يستطيعوا ان يفبركوا الشعراء جامعياً، ولا ان يصدروهم بالجملة كالمحامين والاطباء والمهندسين واللاهوتيين وغيرهم . .

ليس بحثنا هنا صنع الشعراء ، فالذي يعنينا من كلام الوزير هو ان الشاعر الكبير الذي يناشد الجامعات ان تخلقه هو قائد الرأي العام. يناضل دائماً وأبداً ولا يخفي ما تحدثه به نفسه. وهو لا يشرى ولا يباع. وإذا نظرنا الى الانقلابات العالمية الخطيرة رأينا اليد الطولى فيها للأدباء والشعراء . فحين كانت الخلافة العباسية في شرخ صباها لا يجرؤ معارض أن يفتح فمه ، سمعنا شاعراً أعجمياً أعمى يهيب بالأمة صارخاً :

بني أمية هبوا طـال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بـين الزق والعود

ان بشار بن برد قائل هذين البيتين قد كان يسكت إذا أتته الجراية ، ولم يكن يضرم نار سخطه على ما يدرك الأمة من سوء الأحوال ، ومع ذلك خلد هذا الشاعر في تاريخ الأدب ، فقلما جهله قارىء عربي بينما هناك شاعر آخر لم يسكته لا ذهب ولا فضة ولا كسوة. كان في قرارة نفسه بركان ثائر ينفجر كلما نزل بالأمة ضيم. ومع ذلك لم يحظ بالذكر في مناهج الأدب العربي الحديثة.

لست أدري لماذا ضربت عليه العنكبوت بنسجها كما قال الفرزدق في جرير . ألأنه كان شاطراً ، أي لصاً ، كما روى لنا صاحب الأغاني ؟ ان بين أولياء الله والقديسين رجالاً كانوا « أشطر » من دعبل ، ومع ذلك أحصوا بين الأبرار والصديقين ، لأنهم تابوا وأيّدوا فضائل اتفق الناس على تقديسها . فما بال شاعرنا دعبل الخزاعي الذي قضى عمره مناضلاً، وعاش منتقداً شذوذ أولياء الامور في عصره يظل نسياً منسياً ؟

ان هذا الشاعر ، على وعورة طبعه،وشكاسة خلقه، أديب مصلح متمرد. أحس الشعب في عصره بضعف الامامة وسكت على مضض ، أما الأديب في دعبل فرفع صوته في ظل الموت يثير الجند، وهو العصب الحساس في الدولة، دافعاً إياه إلى الثورة بهذه الصورة الهازئة الساخطة قال :

يا معشر الأجناد لا تسخطوا وارضوا بما كان ، ولا تقنطوا
فسوف تعطون حنينية يلتذها الامرد والأشمط
والمعديات لقـوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكـذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط
قـد ختم الصك بارزاقكم وصحح العزم فلا تسخطوا
بيعة ابراهـيم مشؤومة يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

وهو الذي قال مخاطباً المأمون :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد

ثم حمي غضبه فقال في العباسيين جميعاً :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة خيار إذا عدّوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كليهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

وقد قال حين بلغه موت خليفة منهم :

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء إذا أهل البلى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح بـه أحد

هكذا انتفض هـذا الشاعر منتصراً للأمة مطالباً بحقوقها المنتثرة تحت أقدام الأغرار المستهترين ، هاجم هذا الشاعر الذي نعدّه صغيراً ولا نذكره في براجنا ، الداء الذي قضى على إمبراطورية لا تغرب الشمس عن ملكها . هاجم خلفاء ينام الموت بين شفاههم ، واثنى يردد كلمته التاريخية : منذ أربعين سنة أحمل خشبتي على ظهري ولا أجد من يصلبني عليها .

لقد أدى هذا الشاعر رسالته لا مشكوراً ولا مأجوراً ، بل هجا من وظّفه لأنه لم ير فيه رجل الدولة ولم يبال بما يلحقه من خسارة أدبية ومادية ، وهذا شأن المطبوعين على النضال ، فانهم يقاومون ، وسواء عندهم أخسروا أم ربحوا ، فاسمع ما قال دعبل في أميره هذا :

تنوط مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصلُ
إذا الحرب كنت أميراً لها فحظهم منك ان يقتلوا
فمنك الرؤوس غداة اللقاء ومن يحاربك المنصل
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا : عجّلوا عجلوا
فانت إذا ما التقوا آخرٌ وانت إذا انهزموا اول

أن الشعب الخانع في كل عصر يضحك من أمثال هذا الشاعر ويتذبذب إلى

الذين يعبثون بمقـدراته ، أما الاديب فلا يسكت . انه يعرض على الاثنين ويضحي بروحه ليغلب العالم .

رأى دعبل اسرافاً ولهواً وتهاملاً وتهتكاً في القصور فما سكت عن ذلك كما انه رأى آل البيت يشقون ولا يأبه لهم أحد ، فقـال فيهم قائيته التي لم يقل مثلها شاعر قال :

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمرات
قليلة زوّار ، سوى بعض زوّر من الضبع ، والعقبان والرخمات
أرى فيأهم في غيرهم متقسماً وايديهم من فيئهم صفرات
بنات ذياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلواتَ

واسمعه اخيراً يختم رائعته هذه متهدداً :

فلولا الذي ارجوه في اليوم أو غدٍ لقطّع قلبي أثرم حسرات
خروج أمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
فان قرب الرحمن من تلك مدتي وأخر من عمري لطول حياتي
شقيت ولم ادرك لنفسي رزية ورويت منهم منصلي وقناتي

ان شاعرنا يستحق أن يكون في عداد الخالدين لشعره النضالي الطيب ، الذي يمثل ما قيل: التاريخ يعيد نفسه. فهذا الشاعر الثائر ينتظر ككل مصلح ساعة الانقلاب معتقداً ان الأحسن هو دائماً أمامنا لا خلفنا ، ومن يدري ؟

ولم يبرز دعبل في ميدان الهجو والرثاء فقط، بل قال شعراً طيباً في أغراض شتى حتى الغزل ، فهو القائل :

أين الشباب ، وأية سلكا بل أين يطلب ضل ام هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سَلْمَ ما بالشيب منقصةٌ لا سوقةً يبقي ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر أجد السبيل اليه مشتركا

ياليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحـــداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ان هذه الابيات الرائعة أغار عليهـا شاعران معاصران . أغار على مقدمتها الشاعر محمود سامي البارودي فقال :

هل من فتى ينشد قلبي معي بين خدود العـين فالأجرعِ
كان معي ثم دعاه الهـــوى فمرّ بالحي ولم يرجـــع

وأغار على مؤخرتها الشاعر رشيد نخله فقال زجلاً :

عيني وقلبي ضعاف من غير شي في كل يوم بيفتحوا ورشي
العين تهوى كل مـا شافت والقلب لاحقهـا على الطحشي

كلما قرأت شعر دعبل أعجب بثورته الفكرية وجرأته المنقطعة النظير ، وأجلّ سعة صدر الخلفاء حتى انني أقابل بينهم وبين ملوك هذا الزمان فأرى هؤلاء منزهين عن الانتقاد بينما كان خلفاؤنا في زمن الاستبداد يتقبلونه هجواً مقذعاً برحابة صدر .

ثم أتذكر كيف كان دعبل منافساً لأبي تمام في حياته حـتى إذا طواهما الموت خلد هذا وتنوسي هذاك . لعل الدنيا حظ كما قال المتنبي .

هو الجد حتى تفخر العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

لقد عاش دعبل شقياً محروماً ، ومات بائساً ، وها هو يحرم اليوم كل شيء حتى المثول في ديوان العرب الذي تمثله مناهج التعليم في أقطارنا فعسى أن يلتفت اليه ، فهو لم يهج إلا طلباً للاصلاح .

بارك الله لك يا دعبل في شقائك . إن الشقاء عنصر مقوم للأديب ، فلا بد له من العبور في معصرة الألم لتبقى خمرته على الدهور والأجيال .

قد رأيت بالاستقراء أن الاديب إذا لم يجد شقاء شقي بعقله ، كالمتنبي مثلاً . ولكن شاعرنا العظيم كان له بعد الشقاء بقاء ، أما دعبل فلعل حظه يستيقظ ، فمن يدري ؟..

المتنبي في راديو مصر

هو الجد حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

هكذا قال شاعرنا المفرد منذ ألف عام ، وقد صحّ به قوله ، فما وقف حظه حتى عثرت رجله ومات تلك الميتة المشؤومة قرب دير العاقول .

حقاً ان المتنبي غير مجدود،فمن تغطرس ابي فراس إلى تعصب ابن خالويه، إلى ذلك الجرح الأليم،إلى قطع جبال لبنان في الشتاء، وصيفهن شتاء،إلى مدح كافور الذي يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا ، إلى هرب الفحل الحر من وجه العبد المخصي،وخاتمة المطاف قتلة شنيعة وميتة بلا صلاة .

لقد حشا المتنبي شعره لوماً وذماً للزمان وأهيله،حتى صرخ تلك الصرخة الداوية ، في رثاء جدته ، التي صيرت رسالته انيابها سحماً :

طلبت لها حظاً ففاتت وفاتني وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي باصعب من أن أجمع الجد والفهما

يا سبحان الله ، كيف يرافق النكد هذا العبقري بعد عشرة أجيال. اليس عجيباً أن تهب أمة بطولها وعرضها ، من ضفاف النيل إلى عبر الفرات ، ومن بطحاء مكة إلى شماريخ أرز لبنان، لتكريم ذكراه بعد ألف عام، فلا يقول فيه واحد كلاماً يشبه الكلام ؟

شعر سخيف ركيك، وابحاث من نفاضة جراب ابن جنى والصاحب أقول هذا وانا أترقب حفلة دمشق ، عسى ألا يقفهم عنها ما وقف عن حفلة جامعة

مصر الجليلة ، وهذا من نكد الشاعر ايضاً، ولكن حسبه انه يصارع حكومة العبدان في حياته ، وان تهب اليوم مع ذكراه ريح الحياة القومية وتستيقظ الفكرة العربية .

أليس عجيباً ألا يفوز المتنبي من الشاعر معروف الرصافي الا بتلك «البصلة» ويكون حظه كحظ سليمى من بشار ؟ وذكر بشار يخطر على بالنا بشاره « فحليته » كانت من البضاعة الرائجة في البندر ... وقد اشتغل بنفسه عن الشاعر ، وهذا شأن من تدركهم السن ، كما التهى عنه خليل مطران باطراء وزير المعارف وسيجيئك الخبر .

فهؤلاء ثلاثة شعراء معدودون ، معروف الرصافي وبشاره الخوري وخليل مطران ، قالوا الشعر منذ أعوام ، لا يفتح عليهم في ذكرى المتنبي ، فكأني بهذا الشاعر لجة لا تقتحم ، بل كأني به أسد يخيف زئيره فتنحل العزائم حيث يسمع صوته ، والا فالى ماذا نعزو هذه الخيبة المخزية ؟ فنقول كلمتنا الاخيرة بعد حفلة دمشق، اما الآن فلنعلق هذا الهامش على متن حفلةالقاهرة.

* * *

انبأني مناظر المدرسة العام بحفلة مصر للمتنبي، عصارى الجمعة (٢١شباط) وشباط مخيف في رؤوس الجبال ، فقلت له : سأكون بينكم ، فادع الى هذه الحفلة السمينة طلاب الصفوف العليا ، وخطر ببالي قول الشاعر :

غنت سليمى في العراق فاطربت من كان في ارض الشآم نشيدا

وجلسنا الساعة الخامسة نصغي الى الراديو ، فخشعنا وطربنا لعشر من القرآن الكريم ، واظنها اول مرة يتلى فيها كلام الله لأجل الفقيد ... ان رحمة ربه تسعه وان كان من المعطلين في قوله :

فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه

كان أول المتكلمين وزير المعارف المصرية،فاسمعنا كلمة طيبة رشيقة،وفهمنا ان مصر موئل العربية وحصنها المنيع ، وانها احرى الأقطار بهذه الحفلة لأن فيها المجمع الملكي ، واسترعت سمعي كلمة حق قالها صاحب المعالي وهي أن المتنبي لا يزال يقرأ باللغة التي نظم فيها شعره بينا نرى الشعراء غير العرب لا يقرأهم بعد الف سنة إلا الاختصاصيون من أبناء جنسهم .

قلت لهذه الكلمة وجهان : أحدهما ان لغتنا لم تتطور ، والتطور دليل الحياة ، وان تفكيرنا لم يتجه اتجاها جديداً وهذا ما لا نحمد عليه ، والثاني ان لغتنا تامة كاملة لا مطمع للزائد فيها ، وهذا لا أظنه .. أجل ان لغة العرب لا تحتاج الى تعديل خطير في نحوها الأدبي ، لو لم تبل بالذين ينقبون ابداً في أقبيتها ومراديبها عن كلمات نافرة ليفتحوا بها في الأدب فتحاً مبيناً ، فمصطفى صادق الرافعي يريد أن يبعث « بنيت بها » ويقبر تزوجتها،«وبنيت بها » عدا انها غلط فهي جدة الشنفرى وتأبط شراً ، ناهيك بان عهد البناء على النساء قد انقضى ، فنحن سكان مدر لا وبر . ومحمد كرد علي عضو المجمع الملكي ، ورئيس المجمع الدمشقي سابقاً ، يقول لنا : « حذو القذة بالقذة » في تلخيص كتاب افرنسي حديث فيزيدنا عمى قلب . واحمد حسن الزيات يحاول أن يزيد في ثروتنا اللغوية ، زاده الله فصاحة فيقول :« كنا نسمر ليلة النيروز المسيحيي » ثم شرحها لنا ..

اللهم رحماك ورفقاً بهذا اللسان الذي انزلت به كتابك .

فلو عبر المتنبي كهؤلاء « المجددين » بل لو التفت وراءه ، من كان يتبعه ؟ وهل كنا نقرأه بعد الف عام كما قال الوزير ؟ لكن المتنبي تكلم بلغة الحياة والأحياء .والقرآن الكريم لو أنزل بغير لغةعصره لما فتن الناس ببيانه وحنانه. فالجديد جديد ولو قيل قيل خمسة عشرجيلاً،والعتيق عتيق في القرن العشرين، كهؤلاء الذين تفوح من اهدامهم رائحة القطران .

لو تصفحنا المتنبي كله لما رأينا فيه شيئاً من الرواسم ، وهذا سر خلود المتنبي . معان مستمدة من الحياة لا اغراب فيها ، وتعابير هي لا تزال تدور على لسان الناس ، أمس واليوم وغداً ، ما خلا الفاظاً غريبة احياها ،فماتت وأماتت ما حولها من كلامه .

اما تلك الصور العتيقة المحشوة في كلام بعضهم ، المصفوفة صفاً، كالقوالب الباطلة على رفوف السكافين ، فلم يلجأ اليها ابو الطيب ، وهذا ما مازه. قابل ان شئت ، بين بائية ابي فراس التي يقول فيها :

الم ترنا أعز الناس جاراً وامرعهم وامنعهم جنابا
وقد علمت ربيعة بل نزار باننا الرأس والناس الذنابى

ببائية المتنبي ، وغرضها يكاد يكون واحداً :

بغيرك راعياً عبث الذئاب وغيرك صارماً ثلم الضراب

ثم قل لي ماذا زاد ابو فراس على منثور العرب ومأثورهم ؟ اما المتنبي فنزه نفسه عن مومياء ابي فراس ، وان كانت « الضراب » ثقيلة ، وانقل منها « بعد طول الضراب » مطلع قصيدة بشارة الخوري في المرحوم هنانو .

وجاءت نوبة خليل مطران بعد الوزير ، فاصغينا لنلتقط كلمة (شيخ شعراء العربية) فكانت من ذلك الثناء الذي تعودنا سماعه منه في كل معرض، فكيف به وهو يتكلم عن صاحب معالي ووزير معارف ، فما لفظ اسم الوزير الا بعد سفر طويل ، فسمعنا تصفيقة حادة ما كانت لولا تلفظه باسم علّويه باشا . أما المتنبي فما قال فيه شيئاً يصح السكوت عليه — كما عبر لنا ابن عقيل — فصح بمطران والمتنبي قول المؤرخ : ارادوا عمراً فأراد الله خارجة.

كيف ترى ؟ اليس هذا أيضاً من نكد الدنيا على المتنبي حتى لا يقول فيه شيء شيخ شعراء الاقطار العربية ، كما قدمه صاحب المنهاج ؟

لقد شاخ شاعر « مقتل بزرجمهر » و « فتاة الجبل الاسود » و ملحمة

نيرون ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال .

وانبأنا المنهاج ان عبد الله العفيفي سيتكلم ، وسينحو نحواً جديداً فتنهدنا وحبسنا الانفاس ، وان شئت كلاماً افصح، قلنا لك ، أرهفنا آذاننا للسمع ، كجواد عنترة العبسي .

وتنحنح الاستاذ عفيفي فاستحسنها الطلبةوضحكوا لها ضحكة خفيفة.. وانقض الخطيب كجلمود امرىء القيس،وطفق يدهور الكلام مثبتاً ان المتنبي لم يهج المصريين ، بل الذين كانوا ملتفين حول كافور من الترك والروم والعلماء العراقيين ، وان الذين يحفون شواربهم هم العلماء .

أغاية الدين ان تحفوا شواربكم يا امة ضحكت من جهلها الأمم

ثم دلنا علىقول المتنبي، وهو برهانه القاطع المانع، كما يعبر المناطقة، علىان الهجاء لغير المصريين :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

ثم على قوله في الخصية السود ، لا ادري اذا كان هؤلاء العلماء فحولاً أم خصياناً . ولكنني اوافق العفيفي على ان المتنبي انبه من ان يهجو أمة باسرها، بل ما كان إلا محرضاً لها على ذلك العبد ليرد الخطبّ هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم .

وبعد ، فخطاب العفيفي كان خير ما قيل بعد كلمة الوزير ، لولا اكثاره من سيداتي وسادتي، ولو لم يسلبق اسم كافور والمتنبي باب نطقه فيسبق كافور مرات ويعود العفيفي مصححاً خطأه ، فكان العبد مجدوداً بعد الف سنة . وما كان شيء منهذا لو سار العفيفي على رسله، ولكنها أيضاً قلة حظالمتنبي.

وبعد ان سمعنا لا أدري ماذا من أمير الكيمان سامي الشوا اشعرنا المنهاج ان الكلمة لعلي الجارم،عضو المجمع الملكي ومفتش المعارف ، وموضوعه طموح المتنبي ، فافتتح الشيخ خطابه بصورة « رومنتيكية » فصور لنا ابا المتنبي على

باب دمشق ، وولده احمد « المتنبي » يأخذ بضبعه .

آه من هذه الضبع ، في القرن العشرين يا حضرة المفتش ، وعضو المجمع الملكي . اما عثرت بغيرها في طريقك ؟..

وتدفقت أبيات المتنبي وحمي التصفيق في « الاوبرا » وحـــان عشاء التلاميذ في عاليه فلم يلبوا صوت الجرس ، فقلت لهم : اذهبوا تعشوا . سترجعون والأستاذ لا ينتهي .. وهكذا كان فقد عادوا بعد غيبة ، والمفتش ما زال يتعنتر مترنماً ، هزجاً ، لا أدري إذا كان يحك ذراعه بذراعه كذباب عنترة .. ولو لم يقطعه صاحب المنهاج لما جرم خطابه وظل يروي من شعر المتنبي حتى الصبح ، بيد أنه تمتم قبل أن ينصرف .

ولماذا يكلف الأستاذ نفسه ، فديوان أبي الطيب سهل المتناول .

وأخيراً انبرى عادل الغضبان لمقال قسطاكي الحمصي ، ممثل حلب ، فافتتح ببيتين لم يقبينا لي ، ارجح انهـما من القسطاكي . وما شرع يحدثنا بقصة « الحصير » حتى رفع صاحب المنهاج حصير بحثه ، فحمدنا الذي لا يحمد على مكروه سواه على انتهاء الحفلة .

ان هذه الحفلة لا تبيض وجه مصر المحروسة ، وخير ما فيها انها تحت رعاية الوزير وكلمة الوزير ، أمـا أنا فلو كنت وزيراً لما شرفت هذه الحفلة بحضوري بله التـكلم فيها .

يظهر أن العقاد كان مشغولاً بالتحليق في أجواء الشعر والفن ، فهو لا بد يحسب حساب بعد الف سنة .. وسلامة موسى، برنابا العقل الباطن، يقول أن المتنبي سادي أي حصور ، وهذا هين . قد كنت أخشى ان يزعم انهم خصوه في بلاط كافور ..

ولكن ابن طه حسين ؟ ففي وسعه أن يسمعنا شيئاً جديداً ، فقد يكون المتنبي عنده شخصاً لم يكن ، كامرىء القيس ومن اليه .

وحسين هيكل ؟ ألم يبق في جرابه غير ما قال في بيروت ؟ والمازني ؟ اما استطاع ان يقول كلمة « ماركتوينية » ؟ فمجال التنادر على كافور أوسع من باب جهنم .

أتمنى أن تكون حفلة الجامعة المصرية جامعية حقاً ، وأنني في الختام اثني على الهلال التي خصت المتنبي بعدد ، هو في نظري اليق به من كل ما عمل له حتى الآن .

اما ابن السقاء فليتم مستريحاً مطمئناً فانه الينبوع الخالد .

خارطة دنيا المتنبي

لقد عبر هذا الرجل عن خلوده في أبدية الفن حين قال :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

فشخصية المتنبي دنيا فيها العامر والغامر ، وفيها الربـع الخالي والهلال الخصيب . وها أنا أرسم لك خريطة هذه الدنيا الواسعة . لا تهز برأسك ولا تحط شفتيك استهزاء ، اما استهزأ الشاعر في كل انسان :

وتزعم انك جرم صغير وفيك التقى العالم الاكبر

فكيف لا يصح هذا فيمن قال :

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً، وما قولي، كذا، ومعي الصبر

أتذكر ما جاء في التوراة عن الذي صارع الملاك فانخلع جنبه ؟ ولا أدري اذا كان قضى عمره يعرج . أما صراع المتنبي مع الدهر فكان ختام مأساته عند دير العاقول. هناك ختمت حياة قصيرة صاخبة لتبتدىء حياة أدبية أشد صخباً ، وهكذا ملأ صاحبنا الدنيا وشغل الناس .

اذن لست أحدث بدعة في عـالم الأدب ، اذا رسمت بالكلام خارطة — مصور أو خريطة أو أطلس ، سَمّها ما شئت — لهذه الشخصية التي لم يكن في تاريخ الأدب العربي شيء اغرب منها . ولا أزعم لك انني اخترعت القنبلة الذرية اذا عملت هذا ، فقد قال الطبسي في المتنبي :

كان من نفسه الكبيرة في جيش ومن كبريائـــه في سلطان

ما رأى النـــاس ثاني المتنبي أي ثانٍ يُرى لبكر الزمان
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

ففي دنيا المتنبي جبال ووهاد ، وجداول وأنهار ، وتمم عليها الثلج الخالد، وأودية لا تقع على خباياها عين الشمس ولا ينعش ثناياها هواء . تعزف فيها الغيلان طراً وشياطين الشعراء جميعاً . وفي دنيا المتنبي كهوف مهرتة الأشداق قاتمة الأعماق خاوية المخترق ، وفيها سهول مدّ العين والنظر . وفوق هذه الدنيا آفاق بعيدة لا ترى حتى بالتلسكوب، وقد نجد فيها نجوماً جديدة لم نرها من قبل . أجواء لم يخترقها إلا من كان له صدر كالنورج ويتنفس من كير . وفي جباله توأمات لا تلتقي أبداً .. فالإيمان بالجَدّ ، أي الحظ ، توأم يناوحه توأم آخر هو حب السيادة . والإعجاب بالنفس توأم يناوحه توأم القوة المجردة من كل رحمة وحنان :

لا يخدعنك من عدوّ دمعه وارحم شبابك من عدوّ ترحم
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

وفي سهوله خط جنون العظمة ، يمتد من الكوفة في المكتب، أي من أول ذاته ، وينتهي عند دير العاقول حين خلص ذلك الجسد المسكين من تلك النفس العاتية ، الجبارة المتعبة . أما هو فسمّاها كبيرة حين قال :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ويمتد إزاء هذا الخط خط آخر متفرع منه ، ولكنه كالغصن الذي ينبت على أرومة الشجرة الأم ، فيمتص ما فيها من مادية ، وهذا الخط هو خط ازدراء الناس فيرى حق ساداتهم :

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام

أما الناس فقال فيهم :

أسيرها بين أصنام أشاهدها ولا أشاهد فيها عفة الصنم

فلو أنهم تنازلوا عن ملكهم لأبي الطيب لكان غيّر وجه التاريخ.. اللهم كما يظن هو. الحرب في النظارات هيّنة وقد خاطب كافوراً في هذا فقال له:

وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يُرى مـــن الشعراء

ولا تبارح هذه الفكرة الثابتة دماغ المتنبي ، والفكرة الثابتة ضرب من الجنون – فتراه يرغي ويزبد كالبعير في شباط حانقاً على كل إنسان :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنـــه بعض الأنام
وأنفر من أخي لأبي وأمي إذا ما لم أجده من الكرام

وسخطه على الناس نصبه خصماً للدهر، لأنهم منه، وفيه، وله، كما يعتقد:

ودهر ناسه ناس صغـــار وإن كانت لهم جثث ضخام

ثم صارت عداوته للدهر كأنها مشتقة من القيسية واليمنية ، يريك الدهر شخصاً والأيام جنوداً لهذا الدهر الذي جعل اكبر همه مناصبة المتنبي العداء :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو اليها بيننا وهي جند

وما يود أبو الطيب غير السيادة والصيت المنفوخ :

وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنمـــا تـداول سمع المرء انمـله العشر

ولا تنس خط العروبة . كانت يتيمة مقهورة في عهده، فكان المتنبي لها :

وإنمـــا الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

حاول أن يكون نبياً أو إماماً،فكان حظه أرومات دلب أكلت رجليه:

دعوتك لما يراني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

ثم طمح إلى الولاية . كزميليه دعبل وأبي تمام، فإذا بكافور الذي استهبله أبو الطيب فجعله شمساً منيرة سوداء وكناه أبا المسك وأبا البيضاء . ثم عدّ الملوك : سوابق خيل يهتدين بادهم ، أي كافور ، ولكن كافوراً أدرك سخرية الشاعر فحفظها له .

ان جنون العظمة رافق أبا الطيب من المهد إلى اللحد، وقد كان هذا الميل الهائج فيه كالبركان مفسداً ما حوله من زرع وضرع ، فزعزع المتنبي في كل مكان نزله . وغروره بنفسه نفر الناس من محضره . فما قولك في رجل يلبس معظم ما خلق الله من ثيـاب ليظهر ضخماً . وهكذا قشر الشاعر العصا للدهر وبنيه :

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة ، وان يشتاق فيه إلى النسل

فشعر ابي الطيب منبثق من هذه الميول والاخلاق العاتية، ولكنها فاضلة، وهو حقاً قال عن نفسه: وللغيد عندي ساعة ثم بيننا وكما قال في شيراز: لا تخطر الفحشاء لي ببال . أما لماذا ، فلا أدري . ولعل فقدان هذا الميل عنده كان سبب غضبه وحرده . هذا تخمين .

ولا ننس خطأ آخر هو الانفة ، وهي خلق عربي ، ولكن المتنبي أفرط في التبجح حين قال لنا ، في رثاء تلك الجدة الجليلة :

وإني من القوم الذين نفوسهم بها أنَفٌ ان تسكن اللحم والعظما

إذن فلنعد له هيكلاً من البلور النقي ...

قد يكون اليـتم احد أسباب غضب الرجل علينـا . نقصه عطف الأم صغيراً ، وتدليلها له بالتعظيم والتفخيم،فتولى هو ذلك عنها ، في حياته كلها ، حتى جن هذا الجنون وقال :

أيّ محـــل أرتقي أي عظيم أتقـي
وكلما قد خلق الله ومـــا لم يخلق
محتقر في همـــتي كشعرة في مفرقي

ألف حمد لله ، جعلنا كالشعرة ، ولم يمش خلف الحجاج حين قال : أنـتم المدة والحذاء .

ليس المتنبي هرأ يعجبك شكله فتدلله وتتلذذ بدغدغة صوفه النـاعم ،

ولكنه نمر تهابه ، وتسبح ربك حين تراه معجباً بآياته . فالرجل أنوف في خده صعر ، لا تستقيم أخادعه مهما ضرب الفرزدق ، ومهما عاتب بشار . إن لومك على من أوجده ، وقد أجابنا عن هذا بقوله :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فوجود المتنبي ونشأته في عصر أقل بدوي قرمطي فيه يدعي أن عباءته تلتف على الله ، لا على لحم ودم مثلنا نحن المساكين ، قد أوقع المتنبي في هذا الجنون . ولهذا سترى الشاعر يهاجم الرسل والأنبياء ويصادف كلامه قبولاً ، لأن من كانت تقال لهم ، متأثرون بهذا المعتقد الباطني .

رآهم يصدقون ما يقال بسهولة لا حد لها ، ورأى انه فوقهم عقلاً وفهماً، فجمع هذا الجماح . هو شاعر ، والشعر كان كل العلم ، وكان آلة للصدارة ، فأخذ يحدثنا في كل ما ينظم عن نفسه ، ويطربها ويمجدها . لم يكن خروج المتنبي من نفسه بأكثر من خروج البزّاقة من قمعها ، فما أخاله حين يتحدث عن نفسه إلا محموماً حرارته فوق الأربعين ، أو كالمصروع في الهلة . ولكنه جنون كالعقل يستملح ويحب لهذا الاطار الفني ، وكم صورة جلها إطارها .

في دماغ المتنبي ظلمات مدلهمة لها عندنا ألف يد تخبر أن المانوية تكذب، ولأجل هذه الأشعة المنفلتة، لأجل هذه الأبيات المجنونة وأشباهها أكاد أجزم أن في دماغ المتنبي ناحية خربة . فهو تارة ينزلنا بواد غير ذي زرع، وأخرى عند جنات تجري من تحتها الأنهار . أتخيل دماغه كقرص عسل فيه نخاريب مقطّنة،ونخاريب عامرة فيها دواء للناس. وقد يكون هذا النقص – لا شك أن في المتنبي مركب نقص أو عاهة كما كانوا يقولون قبل علم العقل الباطن – سبباً للسمو الفني الذي جلس المتنبي على عرشه يمثل المهازل، وكم في المهازل من مواعظ وحكم .

ألا يلذ لك صراع المتنبي مع الدهر ؟ فهو غريبه لا الناس . ألم تره كيف

يمثل الدهر بشراً سوياً ليطالبه بدينه ، زيركب كتفيه . فهو يحـد فيه أبشع هوسه ويستعدي عليه كافوراً .

ويا آخذاً من دهره حق نفسه ومثلك يعطي حقه ويهـاب
لنا عند هذا الدهر حق يلطّه وقد قلّ إعتاب وطال عتاب

أرأيت كيف تموج الحياة تحت قـلم الفنان ؟ ألا ترى المتنبي يتحدث إلى كافور عن الدهر كأنه يحد ، وله حق ضائع عند الدهر ، فتكاد تقول معه: آخ منك يا دهر ، يا أكّال الحقوق . يا كافور احجز متاعه، وبعها في سوق الدلالين وأدّ حق المتنبي المظلوم .

وفي آخر الشوط يدرك المتنبي أنه أثقل ظهر الدهر بما حمله من أثقال فقال:

ما أجدر الأيام والليالي بأن تقول مـا له وما لي

وهكذا تم الصلح في بلاد فارس ، والصلح سيد الأحكام .

إن المتنبي لا يترجى غير ملكوت الدنيا ، ولا يؤلّه غير العقل ، وبهذه الاداة حاول أن يسود فأخفـق . والشكر لأبي البيضاء ، فقـد أسدى هذا المخضرم إلى الشعر العربي ، جميلاً عجزت عنه الفحول البيض. كان المتنبي يؤدي رسالته التي خلق لها وهو يظن أنـه خلق لغيرها . خال ان رسالته في الحكم ليطهر الأرض من الملوك الزعانف :

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنهـا غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يُبرى بظفره القلم

عاش المتنبي كالمصارع لا يسقط حتى يقوم ، يعالج الحرمـان بهذا الشعر المزرقّ اللهب، فينفس عن ذاك الوعاء المسلّح فلا يتصدع ولا ينفجر.وهكذا قضى وهو يفتش عن الحظ ، غير عالم أن قلة حظه هي حظ أكبر .

إن ما قاله المتنبي من شعر خالد هو وليد الطموح والحرمان ، عجز عـن إدراك مملكة زائلة ، فكانت له مملكة الآداب الخالدة .

محاضرات ومقالات تربوية

للاستاذ واصف بارودي

هذه كلمة – ستليها كلمات – جرنا اليها الفحص العتيد ، ومحاضرات في التربية والتعلـــيم للاستاذ واصف بارودي مفتش معارف الجمهورية اللبنانية ، أخرجتها مكتبة الكشاف في ثلاثة أجزاء بعدما ألقاها مؤلفها في مدن مختلفة وأذاعتها الصحف والمجلات في حينها تعميماً للفائدة . إن مواضيعهـا طريفة نفيسة ، وقد عالجها الاستاذ بارودي متوخياً افادة المعلم والمتعلم لا التفاصح والشهرة. لا يزعم المؤلف أنه كانت أو سبنسر ، أو دبوي ودركايم في التربية وفلسفتها ، إنه رجل ينهض باعباء واجبه ، ومن أحرى من المفتش بتشخيص الداء ووصف الدواء ؟

إن الناظر إلى محاضراته ومقالاته نظرة متسلسلة يدرك التطور السريع في تفكيره وتعبيره ، فالمجموعة الثالثة أرقى فناً واسلوباً ، ثم يزداد تعمقاً وبعد نظر في مقال « الضمير في المجتمع والتربية » وهذه المقالة وأخوات لها لا تزال لؤلؤاً منثوراً لا ينظمها سلك .

قل بيننا من يعنى بالتربية والتعليم ، وندر من ناقش المعلم ليصل واياه إلى طريقة تعليمية أقرب إلى العمل منها إلى النظريات ، وأندر من كليهما من شمر عن ساعديه ليسعف الاستاذ على سياسة القطيع الصغير الذي عهد اليه برعيه .

تدور ابحـاث الاستاذ بارودي حول هذه المواضيع . اللغة وتدريســـها والمدرسة والمعلم ، والولد والتربية . يريد المفتش ان يكون الاســاتذة عمليين

في تربيتـــهم وتعليمهم ، مفكرين غير آلين في تصرفهم اليومي ، شأن معظم المعلمين ، عاملين على استنباط وســائل جديدة تبث في المدرسة وابنائها حياة ونشاطاً ، واليك بعض الذي يفصح عن هدفه كما ورد في مقدمات محاضراته ومقالاته :

«المدرسة بحاجة شديدة إلى التجدد ، وإلى نبذ تلك الطرق القديمة العقيمة التي لم تجد منها الأمة إلا الانحطـاط والخمول . هي بحاجة شديدة لاعتنـاق المذاهب التربوية العلمية الحديثة ، والتي تتفق مع ما تتطلبه كل أمة تنفض عنها غبار الخمول والجمود ، وتنتزع للحياة الصحيحة بكل ما فيها من مظاهر سامية وحركات مباركة .

« ولا تتخلّص المدرسة من تلك الطريقة الببغائية العقيـمة ، التي تزرع في أدمغة التلاميـذ بذور الغرور والعجـب وتبعدهم عن العمل المنتـج ، إلا إذا تبادل رجال التربية والتعليم في الأمــة الآراء حول الطرق الحديثة ، وكتبوا فيما يرونه أكثر ملاءمة للبيئة التي يعيشون فيها ، إذ بتبادل الآراء وتصادمها تظهر بارقة الحقيقة .

« لا رقي لأمة إلا برقي معاهد التربية في بلادها، ولا ترقى تلك المعاهد إلا بطاوعتها لما يقتضيه العصر ، عصرنا ، وتتطلبه الأحوال الطارئة عندنا ، من مبادىء وأصول يجب أن تكون في صميم الطرق التي تسير عليها المدرسة. ولا ندعي الكمال فيما نكتب وانما هي محاولات يغذيها الاخلاص في المبدأ،والغيرة على هذه الأمة المتحفزة للوثوب ، والتي لا تستطيع الوصول إلى غرضها إلا بالتربية الصالحة التي تنهض بالامم وترفعها إلى المستوى اللائق .

« فهدفنا واحد لم يتبدل ، وهو نشر المبادىء الحديثة لفن التربية والتعليم بصورة عامة ، والتفكير في إيجاد وسائل جديدة لتدريس لغتنا المحبوبة » .

لا عجب أن رأينا الاستاذ بارودي يوجه كل اهتمامه إلى تدريس اللغـة

العربية ، فهو ربيب عمه العلامة الحسيني الجليل صديق الشدياق العظيم. ناهيك بأن اللغة القومية تحتل في جميع المناهج العالمية صدر المقام . وهذا جون ديوي إمام فلاسفة التربية يضع اللغة القومية في رأس المنهاج ، ويليها الحساب فالجغرافية وعلم الصحة . أما الكيمياء والفلسفة والجبر والهندسة والفلك فيراها تصلح لفريق من الناس دون غيره ويضعها في المحل الثاني من المنهاج الحديث .

يظهر لي من مقالات الاستاذ بارودي ومحاضراته انه متشبع من موضوعه، كبير الاطلاع على ما كتبه ويكتبه علماء التربية ، فكيفما اتجهت في مؤلفاته تنهض افكارهم وآراؤهم أمامك ، مصدقة قوله الذي تقدم : « وهدفنا واحد لم يتبدل وهو نشر المبادىء الحديثة لفن التربية والتعليم » ، فكل ما اذاع واصف ونشر مبني على هاتين العبارتين وهما دعامة التربية والتعليم : المدرسة تربي اولاً ، وتعلم ثانياً . الولد أتون يحمى لا وعاء يملأ .

هذا شعار المذهب التربوي الحديث ، أما ما أصابته منه مدارسنا فكهلال الشك ، لا يكاد يدرك . أن الظلمة ما زالت تكتنف الاسرة والمحيط فمن أين يأتي المدرسة النور ؟

تدور هذه المحاضرات والمقالات — وهي ثلاثة اجزاء — على قطب التربية والتعليم . ومواضيعها على تنوع عناوينها تنحصر في اللغة وتدريسها، والمعلم ، والمدرسة ، والولد ، وتربيته — فالعصر عصر الولد .

لا يزعم الاستاذ واصف البارودي انه استاذ اعظم في التربية وفلسفتها. بل صرح في مقدمة مقالاته بقوله : « فهدفنا واحد لم يتبدل وهو نشر المبادىء الحديثة لفن التربية بصورة عامة، والتفكير في إيجاد وسائل جديدة لتدريس لغتنا المحبوبة بصورة خاصة » .

قلت : أما البحث في التربية بصورة عامة فلا يطعم من جوع ، ولا

يؤمن من خوف . فالتربية تختلف باختلاف الناس وبيئاتهم ، ولا يستفيد الناس من قوانين التربية العامة إلا إذا رجعوا إلى عصر المغاور والكهوف ، فصارت أهدافهم ومثلهم العليا واحدة . ومن يعتمد على كتب التربية العامة كمن يعتمد على كتب الزراعة الأوروبية ، فلكل تربة خواص لا بد من تحليلها ودرسها لمن يطمع بالدر الغزير .

ان التربية عندنا اسم بلا مسمى . ابناؤنا كهمل تتولى رعيهم مدارس متباينة النزعات ، وليس من يربأ بهم أن يرعوا هكذا ، فكأنهم :

كرة وضعت لصوالجة فتلقفها رجل رجل

أدخل إلى أحد المقاهي ،وانظر بعينيك إلى كرات البليار والرماح تسدد إليها ، فتلك حالة أبنائنا في مدارسنا . لا هدف موحد ، أكثر ما هنالك مدارس تعلّم ولا تربي ، وهذا الذي جعل البيت اللبناني دولياً ، لكل فرد منه هدف وجّهته إليه مدرسته .

ما لنا وللتربية فلبحثها موعد ، أما الآن فلننظر في أهداف البارودي وقد دل عليها تصريحه في مقدماته .

من تتبع مقالات واصف يدرك تطورها تفكيراً وتعبيراً،فالمجموعة الثالثة خير من أختها ، وقد قرأت له مقالين صدرا أخيراً – الضمير في المجتمع والتربية ، وتطور التربية – فسرني تمكنه وتعمقه ، إذ رأيته هضم وتمثل ما قرأه هنا وهناك .

نقدر أن نقسم مقالات البارودي ومحاضراته هكذا : الجزء الأول والثاني في التعليم ، والجزء الثالث في التربية .

ففي القسم التعليمي يحاول الوصول إلى طريقة تعليمية عملية أكثر منها نظرية ، ونعم الذي فعل . كان حاتماً في إرشاد المعلمين فهو يريدهم عمليين في تعليمهم ، مفكرين غير آليين في عملهم اليومي، منكبين على استنباط وسائل

جديدة فتتمشى الحياة في مفاصل المدرسة كتمشي البرء في السقيم . ولكن هذا الإبداع الذي يتطلبه واصف يعجز عنه أساتذة أخرجتهم دار المعلمين لأن ثقافتهم محدودة .

ندر عندنا من شمر عن ساعديه ليسعف المعلم على رعي القطيع الصغير ، فالمعلمية عندنا لم تبلغ درجة يثنى عليها ، فهي أولى وسائل المرتزقة . إذا ضاقت مسالك العيش على الشباب استغاثوا بالمدارس فدخلوها ملتجئين ، فتوليهم تعليم الفتيان . كان هؤلاء أول من أمس تلاميذ تعرك آذانهم عند كل شذوذ ، وبين ليلة وضحاها صاروا معلمين ، فيا خيبة حكومة تؤدي الجزية عن يد لأناس قد لا يعترفون بها .

لا يكلف فن التربية والتعليم المعلم إلا تنبيه غرائز تلاميذه وإثارتها ، فعليه أن يفتح لهم الأبواب دون أن يلجها هو قبلهم ، فالمعلم المنشود مرشد ومعين لا يجديه علمه الغزير في مهمته ان لم تطغ عليه خصلة التعاون مع تلميذه ليأخذ بيده إلى الهدف . فالمعلم المستبد برأيه ، المعلم الذي يملي مذاهبه إملاء على تلاميذه لا ينفع أمته،فتلك المذاهب تدخل من إذن وتخرج من أخرى ، فعلى التلميذ أن يبحث ويجد بمعونة معلمه وإرشاده . فما يجده التلميذ بنفسه يبقى .

وإذا كان المعلم كما هي الحال عندنا ، جاهلاً الطبيعة الانسانية، ولا عدة له إلا ما جمعه من نظريات ، وكدسه من معلومات ، فأنّى له تدريب فتيان يجهل هو الدرب مثلهم ؟ بل من أين له الوصول إلى مطاوي نفس تلميذه إذا لم يعد إعداداً فنياً لمهمته ؟ فالتعليم فن قبل أن يكون علماً . والجمهور عندنا يعبر عن هذا بقوله : المعلم الفلاني اسلوبه ممتاز ، يفيد تلاميذه جداً . فآفة المدرسة معلموها كما أن آفة الحكومات موظفوها .

والمعلم يشغل حيزاً عظيما من محاضرات البارودي واليه يوجه نصائح لا تحصى ، أكثرها من أقوال زعماء التربية العالمين . ولكن اقرأ تقرح جرب

تحزن . مـا أجمل هذه الكلمة يا واصف : الولد أتون يحمى لا وعاء يملأ . كل التربية هنا يا صاحبي . أما الذي أصابته مدارسنا من هذا فقليل تافه . ما زالت الظلمات تكتنف الاسرة والمحيط فمن أين يدخـل المدرسة النور ؟ لا يـدير السائق سيارة إلا بعد امتحان عنيف ، وقد أمسكوا عن هذه الاجازات لما كثر السواقون . أما المعلم فليس من يسأل عن خبرته ومقدرته بل يسوقونه مساق غيره من العمال . ينظر إلى زوله وشهـادته ثم يعهد إليه بأكبادنا التي تمشي على الأرض فترجع الينا مهشمة مشوهة ، فمن المسؤول عن ذلك ؟ طبعاً الحكومة ، ولكنها حكومة مغلوبة على أمرها ، لا تصل يدها إلى معاهد تقول لها : ليـست الشريعة عليك يا أستير ، فهي تستبد حتى بأعلى شهاداتها

ليس على المدرسة إخراج بيانيين ورياضيين ومؤرخين ، إنما مهمتها تكوين رجال للوطن بواسطة هذه العلوم ، والمعلم لا يعطي صفات وطرقاً يتبعها ، بل يخلق فيه ضمير حي يرشده في مهمته ، فكل شخص يعلم بلا إيمـان تربوي هو شخص بلا روح، كما يقول دركايم، فهدف المعلم الأول أن يخلق نفساً في الجسد الذي يعلمه،ولا يقدر على دخول هذا الجسد أحد سواه.إن عملاً كهذا يستغرق حياة بكاملها فكيف يقوم به من لم يكن معلماً لو لم تضق به الدنيا ؟ وهو لاط الآن ، في إحدى المدارس ينتظر أن تمر العاصفة ويفتح الله .

وتبلغ نصائح البارودي للمعلم أوجها في الجزء الثالث لقد ذكرتني نصائح عبد الحميد لولي العهد،ولكنني رأيت،بعدالإمتحان،إنهاأقل الأدويةنفعاًمنضعف الدفاع الجـسدي،ولم تكن النفس مهيأة لقبولها.وإلى جانب هذه النظريات قام واصف بعمل مجد في تدريس قواعد اللغة،وهذه طريقة جديرة بالاتباع وعليها يجري العالم اليوم في تدريس لغته، فخير الطرق التعليمية هذه الطريقة الحدسية العملية ، وليت المدرسين جميعاً يزاولونها .

رأيت أكبر مم واصف تدريس اللغة التي شوهت الأساليب الهرمة محاسنها. إن اللغة القومية تحتل في جميع مناهج الدنيا صدر المقام ، وهذا جون ديوي إمام فلاسفة التربية اليوم يضعها في رأس المنهاج – منهاج المدرسة الحديثة .

وعدا تدريس اللغة، فجل ما كتبه واصف قواعد كلية،وقد أحسن في نقلها إلينا ، ولعل هؤلاء المعلمين غصباً عنهم يقرأونها فيفيدوا منها ، وإليك واحدة منها الآن : المدرسة لا ترغب في أن تعلم كثيراً ، بل أن تعلم جيداً .

قلت : ولماذا لا يبدي الأستاذ رأيه ، وهو مفتش معارف في الجمهورية اللبنانية،في برنامج يحمله طلابنا وهو أثقل من الأمانة التي أشفقت الارض من حملها؟

عفواً ، البارودي يعني التعليم الإبتدائي،وأنا أعني برنامج التعليم الثانوي، فلندع هذا الآن ايضاً . فالحساب آتٍ وهو عسير جداً . ولنؤيد الآن طريقة البارودي التي عبّدها لمعلمي المدارس الإبتدائية في تدريس اللغة ، أي تدريس مبادىء الصرف والنحو ، أو الاجرومية كما كانوا يقولون في ذلك الزمان .

ياليتنا من تلاميذ هذا العهد الذي تستريح فيه الذاكرة ،ذاكرة الفق قليلاً –اللهم إن لم يكن من طلاب الفلسفة – أذكر ولا أنسى واحداً من معلمي الأفاضل . كان كاهناً في جبته رائحة أعزب الدهر ، كث اللحية ، متجهم الوجه كأنه المعري كما رسمه جبران ، له كف مثل المدري ، أصابعه مصفرة من أثر دخان السيكارة،وسبابته مثل مطمطة الفيل.يدخن بلا انقطاع، كأن سيكارته نار المجوس التي لم تنطفىء إلا ليلة المولد الشريف . يتغلغل الدخان في لحيته ثم ينبعث منها رويداً رويداً كأنها حطب الموقد قبل اشتعاله ، ولكنها ما اشتعلت يوماً كما كنا نتوقع نعم بلغت النار مرة أقصى عقب سيكارته فأخذت بعض شيء من شاربه الذي أكله داء الثعلب– الثعيلبة–فكحّ وعرفنا إذ ذاك ان له أسناناً

كان مولعاً باكل الليمون ملتوتاً بالسكر ، والليمون في نهر الجوز رخيص، وفي مدرسة مار يوحنا مارون سكر كثير .

والرئيس راضٍ عن حضرة الأستـاذ ، يثق بعلمـه . فهو يعرف الصبان والخضري والأشموني بشمره وبعره . ما دخل الصف يوماً إلا وسبقته إليه سلة الليمون وصحن السكر وحزمة من السكاير–دخان بلدي كوراني يشرقط مثل البارود . والأستاذ ، ايده الله ، يؤثر إشعال سيكارته من القداحة والصوانة فتملأ الغرفة رائحة الصوفان .

كانوا في ذلك الزمان يفتتحون كل درس بصلاة«الأبانا»ويختمونه « بالسلام» فنصلي عند كل أستاذ ، وأذكر إنه كان يصلّب باليمنى محتفظاً ببقية سيكارته باليسرى ، وما تنتهي الصلاة حتى يولجها في ذلـك الثقب الذي يذكر باصبع الربيع بن زياد فتترحم على لبيد .

أما طرق الأستاذ التعليمية فدونك نموذجـاً منها ، وقد يكون هذا هو الذي حببه إلى سيادة المنسنيور .

– أتعرفون يا أولادي ، لماذا نصبَتْ إن الإسم ورفعت الخـبر بعكس الأفعال الناقصة ؟

فتطاولت أعناقنا إليه ، فتنحنح وقال : هذه إنّ أشبهت الأفعال الناقصة في الوضع ، وقصرت عنها في العمل ، فأعطاها النحاة عمل الفعل مقلوباً .

فقلت ضاحكاً : قصاصاً لها . فقال : وقصاصاً لك تكتب مئة سطر من باب إن وأخواتها في الصبان . ما أطول لسانك . قم يا شربل .

ووقف شربل الطويـل منتصباً كأنه هلال حديث الولادة . وتسمع إليه الأستاذ فشرع يسرد أمثولة ذلك اليوم،عشرين بيتاً منالفية ابن مالك،بعد أن صرف ليلة وفجرها وضحـاها على استظهـارها ،وما بلغ المسكين هذا البيت حتى أخرجه هكذا :

ككان كاد وعسى لكن ندرا غـــير مضارع لهذين خـبر

فصرخ به الخوري كمن يطرد الذئب : والو ... اقعد مطرحك يا حمار .

وقعد الأستاذ يشتمه ويخلع عليه خلعاً سنية لم يخلع مثلها السلطان على وزرائه طبعاً لا بد من الإيضاح . لماذا أخونا شربل حمار ؟

– القافية مقيدة، وكيف يطلق شربل سراحها. يجب أن يقول: «ندر» بالسكون، فقال: «ندراء»، فقامت قيامة الأستاذ لأن من عثر بحرف من الناموس عثر بالناموس كله .

لا بد أيضاً من نادرة أخرى عن الأستاذ. سأل يوماً عن محل جملة من الإعراب فاعيت الصف ، وكان يحاذي أحدهم واسمه أسعد بشاره من قرية ع. فقلت له : حالية . فانتصب أسعد بعدما أذن له ، وما فتح فمه وقال حا . حتى نهق حمار يوزيد،مكاري المدرسة ، فصرخ الخوري بأسعد : إقعد ،عمره أطول من عمرك .

كان خيرنا عنده من يحفظ جيداً ، ولا أنسى يوماً شغلنا فيه بأحوال الصفة المشبهة،كما وردت في الصبان ، فإذا هي تبلغ الستة والثلاثين ألفاً من الحالات. الخلاصة صرفنا عنده سنة سوداء كمقلة الظبي الغرير،لم يبق في مخيلتنا من آثارها التعليمية إلا سيكارته وليموناته. ومنظر وجهه الجميل، فقد كان أصفر مستطيلاً كأنه كوسايةٍ أغفل البستاني قطفها في ابانها . وما كان أقبحه أكلاً، فإن فمه يعلو ويسفل كأنه كير الفرزدق .

قد غيرت والحمد لله، هذه الأسرة الثمودية،واستراح التلاميذ، إلا بعضهم ، من معلمين لا يحيدون عن حرفية الكتاب ، ومن لم يتبع الطريقة الحدسية – البارودية – فقد اختط لنفسه طريقاً تشبهها .

ليت المدارس ، حكومية وخاصة، تلزم معلميها وتلاميذها بالتكلم فصيحاً في ساعات تدريس اللغة والتاريخ والجغرافيا ، فهي أقرب الوسائل إلى إتقان اللغة . ومتى صح تعبيرنا لا يعود يعنينا ان الفاعل إسم تقدم عليه فعل تام وأسند إليه .

الخلاصة لقد أحسن الاستاذ بارودي في توجيه معلم المدرسة ليكون تدريسه اللغة عملياً . أو حدسياً كما سماه هو ، فيرسخ في الأذهان . ولكن القول شيء والعمل شيء آخر ، فعسى ألا يظل ما كتبه البارودي حبراً على ورق فيصح المثل المقول فيه .

بيني وبين نور الدين بيهم

من نور الدين بيهم الى مارون عبود

الى « الصديق » الكريم(مكره اخاك لا بطل) الساحر الساخر والنقاد الوقاد والعملاق العلقمي والعبقري العقربي والحلو المبنى والمر المعنى الأستاذ مارون عبود هداه الله آمين .

أتذكر أيام الروضة والنصير ، يوم كنت تدبج المقالات النارية ، وكنت كالبركان الثائر تقذف الحمم وتنثر الرمم طالباً تقييد الأصياد وفك قيود العبيد، ويوم كنت نسراً على الطاغي وصقراً على الباغي وذلك منذ خمسين سنة يوم كان قد دب بك الشيب وبدا بي الشباب ؟

ولا تزال اليوم كما كنت بالأمس الصاروخ الصارخ تسجل وتناضل وتصارع وتقارع ، معلناً حرباً لا هدنة فيها ولا هوادة . على كل من يصدر كتاباً أو ينشر مقالاً ، عاملاً فيه مبضعك ومنشباً فيه مخلبك .

ولعلي أول من أصابهم رشاش سهامك ، وذلك يوم اسمعتك أبياتاً نظمتها منذ ما يقارب الخمسين سنة ، فقلت لي عند سماعها . هذا ليس بشعر ، هذا « شوربا بشميرية » ومن المؤسف أنه كان الحق معك .

أما الآن وقد بلغت من العمر ما بلغت ، عمر أحنى منك الظهر وما أحنى منك الجبين، أمد الله بعمرك ، وخفف حدة قلمك ، فانك لا تزال ذلك الجبار النقاد الوقاد . وهكذا هي حياتك كلها نصال ونضال ومصارعة ومقارعة ، ورماح وسلاح وكفاح،وغارات وثارات،فماذا تركت لأهل شارون يا مارون؟

وبعد هذا الاكثار أريد القول باختصار، انك قضيت على كل من كتب أو نشر،فارفق بالكتّاب والادباء واسلبق بعضهم كي لا تكون وحدك في الميدان حتى إذا اعترتك « الكريزة » تجد من تصارعه وتقارعه ، ومع ألف اعتذار أقدم ألوف السلامات يا عاصفة في الحرب وعاطفة في السلام . (صديقك)

نور الدين يوسف

الجواب

اخي نور الدين :

خيل إلي انك تفتتح يوبيلي الخمسيني بهذه الكلمة الممتعة، وأن هذه الجيوش الجرارة من أفاعيك هي كوكبة أوفدتها من جحرك لتحتفي بي .

قال المتنبي : والشيب من قبل الأوان تلثم . وقال جرير :

تقول العاذلات علاك شيب اهذا الشيب يمنعني مراحي ؟

ان العمر، يا أخي نور الدين، لم يحنِ مني بعد،لا الظهر ولا غير الظهر ... لقد بدأت حياتي كاتباً وصحافياً ومناضلاً . وكما بدأنا هذا الأمر نصيده .

وأنت ما لك أراك تخاطبني كأنني من بقايا ثمود وعاد ؟ حنانيك يا أخي ألا تذكر اننا يوم تعارفنا كنا وليدات ؟ فما أصدق قول جرير ابن الخطفي فيك وفيّ :

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

ولقد رأيتك في العذارى مرة ورأيت شعري وهو داج افرع

ومع ذلك أية قيمة لسواد الشعر وبياضه ؟ أما قال شاعر آخر :

يا هند لا ترمي شيبي ولا كبري فهمتي مثل حد الصارم الذكر

وهكذا نحن إذا شئنا أن نحدث بنعمة الحياة ... أما علقميتي وعقربيتي، ونصالي ونضالي فثق انه لا بد لي منها . قال نحوي كبير — بعد أن اعجزه تعليل « أيّ » كما يحاول الأب مرمرجي اليوم تعليل الألفاظ ثنائياً — قال : أيّ كذا خلقت ، والحق اقول لك : مارون كذا خلق .

طبعت على ما فيّ غير مغيّر ولو انني خُيرّتُ كنت المهذبا

هذا من كلام بشار ، ولله في خلقه شؤون

لقد ذكرتني ، يا نور العين ، وكنت ناسياً ولا ازال ، أن السبعين التي دخلت بابها منذ شهر لم توح الي بشيء .

أنت عرفتني في جريدتي الروضة والنصير ، ويا ليتك عرفتني في المدرسة، فهذا اللسان المر رفيقي منذ الازل . كنا تلاميذ في قاعة ، وإذا بحمش يطل علينا من الباب ، فهرج التلاميذ ومرجوا ، وقاموا اليه فتعنفص وراح. فقلت الآية الانجيلية : جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله . فظنوا أني اهزأ بالمخلص ، وقامت القيامة عليّ ، وخرجت من تلك المعركة بعد حبس وركوع مدة اسبوعين.

وبعد عام اصدرت مجلة مدرسية سميتها «الصاعقة» وطبعتها على « الجلاتين» فكانت معرضاً لأول بضاعتي المشؤومة ، فرفعت شكوى بعض من تندرت عليهم إلى رئيس المدرسة المونسنيور بطرس ارسانيوس ، فاستدعاني اليه وكانت أول كلمة بادرني بها : ضبّ لسانك أو ضب فرشتك . صواعق ما « بدنا » في المدرسة . أما خليفة تشيل الراس ! يا ذل خوري حنا عبود . بعدك واقف ، اركع واستغفر .

فركعت واستغفرت، ولكنيما تبت ولم يكن في نيتي أن اتوب ، وظللت سائراً في طريقي ، هائماً على وجهي ، حق رأيتني، بعد عامين ، احرر جريدة الروضة ، ثم جريدة النصير .

أجل كنت صحفياً ولكن في أيام البشالك والمتاليك والزهراويات ، يوم

لم يكن في لبنان إلا أربع صحف : الروضة والنصير والصفا ولبنان ، ويوم كان المراقب حاكماً بامره . ومع ذلك كنت ألغم المقال الافتتاحي فيمر به المراقب ولا يحس ، ثم لا ينفجر اللغم إلا بعد أيام من صدور العدد ، وهذا ما حصل في النصير أكثر من مرة . فنحتج بموافقة المراقب ونخلص بريشنا

أجل كنت صحافياً ثائراً يوم كان الصحافي منتوفا يعد نهاره سعيداً إذا دعي إلى غداء أو عشاء ، وكانت العصي والخناجر ، مرفوعة ومسلولة فوق رأسه وصدره . ومع ذلك عملت ما علي ولم ابالِ ، لا أرحم ولا أرحم ، وهكذا دواليك .

يقول المثل : من يفتقر يرجع إلى دفاتر جده العتاق ، وأنا، والحمد للعمل الذي انتجني ، لم افتقر بعد ، ولكنني ، لكي اصدق ما قلته بي ، أعود إلى جريدة النصير لأنقل إلى القراء بعضا من مقـالة أولى اسقطت الاعزاء عن الكراسي ، وارغمت يوسف باشا فرنقو على النزول عند إرادة الشعب ...

لقد لقيت غب هذه المقالة ضرباً واضطهاداً ، فغادرت بيروت إلى جبيل لاحرر جريدة الحكمة . وهناك لم اسلم من غارة مسلحة بسبب مقال .

هكذا كانت الردود علينافي ذلك الزمان . كان خصومنا يحررون مقالاتهم بزنود رجالهم ، وكان حبرنا دم قلوبنا ، ومع ذلك لم نتراجع ولم ننثن .

قال المتنبي : وفي الماضي لمن بقي اعتبار ، وقال آخر ما اشبه الليـلة بالبارحة ولست أدري أي القولين أصح في هذا الموقف . أما المقال فهذا بعضه ننشره للعبرة لا للتبجح ومزيد الاعتبار :

ما بين حانا ومانا ضاعت لحانا

مقالة عمرها نصف قرن

ما بين خمـول مجلس الادارة وارتشاء رجاله ، وتداخل رؤساء الدين

بأحكام الدنيا ، وانقياد المأمورين الى الوسائط والتوصيات ، تلاشت حقوق لبنان وسقط تحت صليبه الثقيل صارخاً من أعماق قلبه : اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا .

وما بين جدران الهيكل وتحت اقدام العرش سحقنا بأسم الدين والحكومة، فكان مثلنا ومثلهم كجزار يذكر الله ويذبح .

ومن تلك الأيدي الطويـــلة تسربت أموال الشعب وغارت في منعطفات الجيوب الواسعة فانبتت له الأرض شقاء وأثمرت ويلاً وبلاء ، فأفلت من قبضة فرعون وطفر إلى أرض الميعاد الجديدة ـ أرض كولمبوس ـ لا يقوده موسى جديد بل يقود بعضه كخراف فرت من وجه الذئاب .

قرون عديدة توالت على هذا الشعب وهو في قبضة دولة القوة والاستبداد، لا يعرف النظام ليشتكي ويتألم، لأن الشريعة كانت في فم الحاكم. قد كان هذا صبياً ووصيه رؤساء دينه ونوابه الذين بددوا أموالـــه في سبيل اهوائهم وأغراضهم ، وضحوا بحقوقه على مذبح أنانيتهم وسيادتهم، ولم يبقوا منها على شيء لنقول لهم آية الكتاب : وأتوا اليتامى أموالهم ...

من عهد الاقطاعات المظلم إلى زمان المتصرفية ولبنان صبي قاصر تلعب به الأهواء والأغراض . لا يعرف ما ورثه عن أبيه ليطالب به من أنفقوه على ملذاتهم ، ليطالب اولئك الذين جعلوه خادمهم مع انهم خدامه ، واطعموه فضلاتهم وهو رب البيت ومن ماله يأكلون .

منذ أعوام ونحن في الظلمة ولم يطلع علينا الفجر . منذ أعوام ونحن نحمل الحجارة على ظهورنا والطـــين على اكتافنا لنبني لهم القصور ولم نزل نسكن الأكواخ . منـذ أعوام وهم يلعبون بنا لعب الصبي بالاكر ويفرقوننا عصابات ليحفظوا سلطتهم ويوطدوا دعائم سيادتهم .

سدوا بوجهنا البحر فلم يعد لتجارتنا مخرج ، واحتكروا مياهـه فصرنا

نأكل طعامنا غير مملح وهم ملح الأرض وقد فسدوا،وإذا فسد الملح فبماذا يملح؟

والتنباك والدخان قد احتكروهما كذلك ، وسدوا في وجهنـا كل أبواب الارتزاق ووهبوا ملكنا لغيرنا والملك حق مقدس غير قابل الاغتصاب .

يرتفع الظالم على كرسي الحكم فيعمل في رقابنا سيف ظلمه فنتوجع قائلين: من يصبر الى المنتهى يخلص ، وها نحن اليوم كما كنا في الأمس . فمتى يكون المنتهى وأين الخلاص يا ترى ؟

أما اليوم فمن نطلب حقوقنا المهضومة؟ أمن هؤلاء الناثمين على الكراسي؟ وهي لو شعرت بثقل ما تحمل لطرحتهم عنها.من نطالب بكل ما سلب منا؟ فقد أصبحنا عراة وهم يلبسون الحرير والديباج .

رحم الله عظام عمون عمون. فقد كان يعترض على المتصرف بكل ما يراه حقاً ، وكان عيد أبو حاتم يدافع عن حقوق الشعب ويجيب صوت الحق .

جاءه كاهن من أصدقاء عيد أبي حاتم وقال له : اؤمل ان تفعل لي كذا – وكان الكهنوت في عز شبابه – فأجابه بخشونة : احك مثل لبسك ، أو البس مثل حكيك .

فمن يفعل مثله اليوم يا ترى ؟ فوالله انهم داسوا ويدوسون الشعب ارضاء لكل كبير ، ويقبلون أذياله .

ان لبنان للبنانيين وليس هو لكم،يامن خنتموه بأكلكم أمواله التي ائتمنكم عليها. غركم جهله فأضعتم كل حقوقه، ولم تقرأوا التاريخ لتعلموا كيف تستفيق الامم المظلومة وتثأر لنفسها.لم تظنوا أن الغد للحق والنور لترجعوا عن غيكم.

ان هذا الشعب كشمشون الجبار،والخونة هم دليلة التي خانته وجزّت شعره وألقته بين براثن الفلسطينيين . وكما استعاد شمشون قوته سيستعيدها الشعب أيضاً وينتقم من خائنيه وظلامه . فكونوا على حذر ، أيها الخائنون ، فيوم الحساب أشد ويلاً على الظالم منه على المظلوم ، والويل للذين افترسوا لبنان

وامتصوا دمه وصيّروه ضعيفاً مهزولاً .

أهكذا كتب لأولياء الأمر عندنا أن يكونوا مستبدين بالشعب ؟ أهكذا يظل يوظف الجاهل الذي يساعده ذاك المقام وهـذا الرئيس ؟ وهكذا يظل الشعب ممجداً الخونة الذين باعوه ويبيعونـه كل يوم بثمن بخس ؟ أيظلّ دائماً يلثم اليد التي صفعته على خديه وملأت فمه دماً ؟

مسكين هذا الشعب ، وأي مسكين ! لا يزال يجهـل أن أولياء أموره مسؤولون لديه ، لا لدى الدولة العظمى والدول الست ، ويستطيع محاكمتهم متى حادوا عن الجادة المثلى . لا يزال يجهل أن كل قوة ليس مصدرها الشعب لا تثبت أمام الحقيقة وكفانا بحالتنا الحاضرة دليلاً ، فليُعطَ إذاً مـا لقيصر لقيصر وما لله لله ، وبهذا صلاح الأمة .

كفانا، يا قوم، ما مضى، فبين عبوسة النمر وابتسامة الذئب فني القطيع.

وأنت يا شعب لبنان أفـق ، فقد استفاقت الروس . واستيقظ ، فقد استيقظت بلاد فارس ، وأشعر ، فقد شعرت الصين بالوجود ، وانبعث من ضريح الخمول ، فقد بعث الدستور من قبره بعد ثلث قرن . إرفع صوتك وطالب بحقوقك ، فما حكّ جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت جميع أمرك .

ما ضرّك لو انضممت حزباً شعبياً واحداً ، وطلبت إسقاط كل مرتكب مهما علا مقامه ؟ قوي أنت أيها الشعب ، فاستعمل القوة وكن عادلاً .

أصرخ : فلتسقط أسوار الاستبـــداد على رؤوس المستبدين ، فلتنقض صواعق النميمة على الظلام المرتكبين ، واختر لك ولاة من رجال الوطنية الأحرار، فهؤلاء يخدمونك خدمة صادقة ، وما أشد احتياجك إلى الصادقين. سيجاب طلبك إذا ميزت بين المجرم والبريء ، أما إذا رجوت إصلاحاً عن غير هذه الطريق فعبثاً تتعب .

فاقدم ولا تخشَ رئيساً أو عضواً – نائبـــاً – أو قائمقاماً أو مديراً أو

قاضياً ، بل أطلب إسقاط الخائنين كلهم .

عسى أن تستفيق يا لبنان من نومك العميق وتصرخ في المستبدين : الظلم يولد الاستقلال والحرية .

جريدة النصير ، العدد ٢٣٠ بتاريخ ١٥ آب ١٩٠٨

أرأيت يا أخي نور الدين إن من شب على شيء شاب عليه ؟

كنا للنضال يوم لم يكن أحد له ، ثم توجهنا إلى نضال آخر ، وسوف نعود إلى نضالنا الأول لنقول كلمة التاريخ في الذين لا يحسبون له حساباً ، وإذ ذاك تقول : ماذا تركت لي ؟ ماذا تركت لأهل شارون يا مارون ؟ كما قلت لك أنا بحق : هذا شعر ؟ هذا شوربا بشعيريه !

والسلام من أخ بطل لا مكره .

قرف

مجموعة اقاصيص فؤاد كنعان

اكره «مقدمات الكتب» كما أكره ان اكون اشبينا – شاهداً – لعروسين، أو عراباً – كفيلا في المعمودية – لطفل مـا . ولكن شهدت وكفلت مرة واحدة وما ثنيت . وها أنا أراني الآن أقدم الأستاذ فؤاد كنعان منشىء هذه الأقاصيص سأجعلهـــا بيضة الديك ؟ فلا يطمع بي أحد ولا يحابيني أحد . ومن أراد أن أقدمه ، فليتقدم الى مختبري ، وهناك تكون التجربة اما باردة واما سخنة . حظ ونصيب .

ان تقديم الكاتب للقراء احتقار لذوقهم الفني ، فمن لا يقدر الفن بنفسه فليس ينفعه الدليل اذا سمى له روائع الفن باسمائها .

وبعد، فماالذي كلفني ضد طبعي حتى انتصبت دليلاً في متحف فؤاد كنعان؟

أقول : انني أحب الشباب ، وارجى الخير الأدبي على يدهم . أما الذين شيخوا وشاخوا ، فقد ولّى ساقهم وسماقهم ، ولهذا قدمت طائعاً مختاراً الى القراء هذا الشاب القصصي . انه يصور محيطه وحياة ذاق طعمها ، ولهذا أحسن وأجاد . ربما اشمأز غيري من قصة أو قصتين وصاح : يا غيرة الدين ، هذا كافر ، هذا مارق . أما أنا فأرى بعد قراءة اقصوصة « البومة » ان الأمر من الأمور التي تقع كل يوم ، فالغرائز لا تكبّل بهذه القيود الوهمية المهترئة ، كلنا بشر ومن لحم ودم ، والملبوس لا يعمل القسوس .

ثم أمر باقصوصة « شباب » فارى انه لا بد لكل فتى من – سناج –

أي تمرين عند واحدة مثل أم روبير ، مدام شنتال ، وهل يكون التمرن إلا عند محام قارح ؟ أما حكاية المرأة وكلبها ، وثورتها على زوجها الذي قتله، وايثارها الكلب الحامي على الزوج البارد ، فهذا فوق علمي .

وقصة الأب برنردوس الواعظ البليغ واستحالته سمسار عرائس—أبو لحاف— فهذه مهنة بعض هؤلاء الافاضل ، ومن فاته اللحم فليشبع من المرق ..

وفي قصة « انتقام » يجيد فؤاد سرد حكاية البنية « نجلا » ، وانتقام عساف من ثيابها وحبقتها ، وقرنفلتها . لم يستطع عساف رفع بصره الى مقام جناب البيك المستبد باهالي ضيعته وأكل حقوقهم، ولم يجرؤ على مس نجلا خوفاً من سطوة سيد المزرعة ، فاغتال ثيابها وهرب . . ليت فؤاد كنعان وصف لنا ما يقع في هذه الكراخين — معامل الحرير — من احتكاكات واصطدامات وهزات عنيفة ..

وحكاية « بعث » وبطلها المعلم لطوف، فعليك أنت قراءتها والحكم عليها، ولا سيما اذا كنت اعزب دهر فتصلح مزاجك كما اصطلح مزاجه .

أمـــا اقصوصة « بونا مرتينوس » الاقرع ، ففيها وصف شائق لمركب النقص ، والكبت ، ولانتقام ذوي العاهات ممن يتمتع بما حرموا منه ، وقد قال العرب قبل فرويد : كل ذي عاهة جبار . وأكبر الظن انني عرفت هذا الأب المولع بمخلوطة الفرنجي والعربي فطالما سمعته باذني الثنتين يناغي هرة انطوش جبيل بالفرنسية ، فيقول له الآباتي المحترم واصاف الجاجي . « هذي من سبرين ، ما تعلمت الفرنجية » . أما قرعة بونا مرتينوس ، فلها معي ومع الأب واصاف قصة .

كنا نلعب الورق في احدى ليالي كانون في انطوش جبيل . وكان هـذا القس قباله الأب واصاف، فصاح بالمحترم : أشر عن ورقك يا معلمي . فتغافل الأب واصاف وابتسم ، فألح الأب مرتينوس الحاحاً حامياً ، فضحك الأب

واصاف نصف ضحكة وقالله:استحي ان أقول لك معي أص"أقرع .فتنامن الضحك ، ورمى الأب مرتينوس ورقه وغضب، وحرمنا لذاذات سهرتهتلك الليلة والتندر عليه .

أظن ان فؤاد كنعان من تلاميذ هذا المحترم ، فشكراً للقدر الذي ساق اليه هذا البطل ليخرج مثل هذه الاقصوصة .

واذا قرأنا حكاية « غزالة » عرفنا انها من حياة القرى اليومية، وخصوصاً اليوم ، انها قصة الحزبية الحاضرة ، وطنية ودستورية ، واظنها من حوادث قرية رشميا مسقط رأس فؤاد ، لأن حوادثهـا وقعت في قرية « رأس المي » وهي تعريب كلمة رشميا السريانية .

وهناك قصص أخرى أتكل على ذوقك المرهف في مطالعتها .

أما رأيي في هذه الاقاصيص فالخصه بقولي : لو لم تعجبني لم أعد طوري واقدم لها ، وحسبك هذا برهاناً على طيبتها . أما رأيي المبسط فتقرأه ، ان عشنا ، بعد ظهورها وزيارتها مختبري .وداعاً الآن .

لامين طليع

صنف هذا الكتاب القاضي الكبير الشيخ امين طليع فجاء بمنزلة القفل من العقد ، والمذهب الدرزي عقد اي عقد، طالما تاه الباحثون في دهاليزه فخرجوا منه صماً بكماً. تكهنوا ما شاؤوا ان يتكهنوا ولم يقف احد منهم على الوضوح وهيهات ان يلوح لك بصيص نور الوضوح اذا لم تكن قد ولدت درزياً. لا بل ان الدرزي الذي خرج من بطن امه درزياً ، حتى الناطق ، منهم لا يقف على السر كله اذا لم تؤهله لذلك الفضائل الصارمة المرسومة في كتبهم .

قلت اذا لم تكن قد ولدت درزياً، لأنه يستحيل على غير الدرزي المؤصل منذ اجيال ان يطلع على أسرار الدين العويصة لأنها غير مكتوبة ومنطوقها غير مفهومها. عبثاً تظن انك فهمت لأنك وقعت على احد كتب الحكمة الستة. فالكلام عندهم ظاهر وباطن، وهذا ما يتوه به القارىء ولو كان بصيراً .

يقول المثل : عاشر القوم اربعين يوماً، فاما ان تصير منهم أو ترحل عنهم وأنا عاشرتهم قرابة اربعين عاماً وما زلت منهم حيث كنت، من حيث الدين، لأن الباب اقفل منذ الف سنة .

خطر لضابط انكليزي أن يعتنق المذهب الدرزي فكتب الى صديقه المرحوم الشيخ جميل تلحوق يطلب منه تمهيد السبيل لدخول المعقل الحصين ، واعتناق المذهب التوحيدي الغامض ، فكان الجواب : أغلق الباب ومن دخل دخل ، ولا يدخل علينا جديد ، وعندما رويت هذا الخبر للبطرك الياس

تعجب ، فقلت له : يا سيدنا ، لو طلبت غبطتك الدخول لمـــا أجبت إلى طلبك . فأطرق هنيهة ثم تمتم وهو مطرق : الحق معهم . ما دخل أحد ، ملة غير ملته إلا لغرض .

ثم انجرّ حبل الحديث ورحت أروي له ما علمت عن فضائل اتقيائهم ، فقال : إذن الدرزي ناسك . قلت : لا . ولكن بعض الدروز يعيشون بين الناس عيشة الحبساء

فأجاب : وهذا هو الفضل الأكبر .

كان للدروز حقبة دعوا فيها لدينهم ، ولما انقضت أمسوا في غنى عن كل دعوة ، فلا كرازة ، ولا تبشير ، ولا ترغيب . فهم قانعون بعددهم كما قال السؤال :

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرامَ قليلُ

لقد عشت بين هؤلاء القوم الغطاريف أكثر من ثلث قرن ، فما رأيت إلاّ رعاية ونبلاً وكرم عنصر . وأشهد إنني في هـذه المدة لم أسمع من أجاويدهم لفظة خشنة ، ولا من الذين ليسوا من الأجاويد كلمة نابيـــة ، فهم أمراء الحديث وأرباب اللياقة . كانت مهمتي كمدير مدرسة تستدعي الاحتكاك ، فما جاءتني قط امرأة تشكو أستاذاً،ولا رجل خرج عن مستوى الحديث المهذب. فالدرزي ، كما يقول مثل بلاده لبنان : للسيف وللضيف ولغدرات الزمان .

وهنا يطيب لي أن أسجل في مقدمتي لهذا الكتاب كلمة كتبت منذ قرن ونيف ، دوّنها أحمد فارس الشدياق في كتابه الشهير المعروف « الفارياق » ، وهذه هي الكلمة كما وردت في طبعته الثانية : «فأما ما يقال ، أن الدروز هم من ذوي الكسل والتواني ، وأنهم لا ذمة لهم ولا ذمام ، فالحق خلاف ذلك. أما وسمهم بالكسل فأحرى أن يكون ذلك مدحـــاً لهم ، فإنه ناشىء عن القناعة والنزاهة والزهد . غير أن الصفات الحميدة التي يتنافس فيها الناس

متى جاوزت الحـــد قليلا التبست بنقيضها ، فالإفراط في الحلم مثلا يلتبس بالضعف ، وفي الكرم يلتبس بالتبذير ، وفي الشجاعة بالتهور والمغامرة ، لا بل الإفراط في العبادة والتدين يلتبس بالهوس والخبال .

« هذا ، ولما كان الدروز مفرطين في القناعة إذ لا ترى من بينهم أحـــداً يقتحم القفار ويخوض البحار في طلب الإثراء ورغـــد العيش وفي التأنق في الملبوس والمطعوم ، ولا من يسف للأمور الخسيسة ويدنق فيها ، ولا من يباشر الصنائع الشاقة ، ظن فيهم الكسل والتواني ، ومعلوم أنه كلما كثر شره الإنسان ونهمه ، كثر نصبه وكده وهمه ، فالتجار من الافرنج ، على ثروتهم وغناهم ، أشقى من فلاحي بلادنا ، فترى التاجر منهم يقوم على قدميه من الصباح إلى الساعة العاشرة ليلا .

« وإما أن الدروز لا عهد لهم ولا ذمة ، فإنما هو محض افتراء وبهتان ، إذ لم يعرف عنهم أنهم عاهدوا بشيء ثم نكثوا بـه من دون أن يحسوا من المعاهد إليه غدراً . أو أن أميراً منهم أو شيخاً رأى إمرأة جاره النصراني تغتسل يوماً فاعجبته بضاضتها وبتيلتها وبوصها ، فبعث إليها من تملق لها ، أو غصبها — هنا يغمز الشدياق من قناة داود الببي وأنت خبير بأن كثيراً من النصارى عائشون في ظلهم ، ومستأمنون في حماهم ، وأنهم لو خيروا في أن يترك مستأمنهم هذا ليكونوا تحت أمن مشايخ النصارى لأبوا . وعندي أن من كان يرعى حرمة الجار في حرمته كان خليقاً بكل خير ولم يكن ليخونه في غيرها .

«فأما ما جرى من التحزب والتآلب بين طوائف الدروز وغيرهم فإنما هي أمور سياسية لا تعلق لها بالدين ، فبعض الناس يريد هذا الأمير حاكماً عليهم وبعضهم يريد غيره » (الفارياق ص ٣١ – ٣٢ طبعة مصر، لمصطفى محمد) .

كتب أحمد فارس الشدياق الماروني اللبناني نشأة ، المسلم السني نحلة ، ما

كتب يوم كان الناس يحسبون الدروز أغوالاً يأكلون الناس، مع أنهم شركاؤهم في هذا الجبل . إن هذا الجبل ذو قرنين حقاً ، قرن شمالي ، وقرن جنوبي ، ومنذ قرن تناطح القرنان وكان استقلال لبنان الاستقلال الداخلي الدستوري في هذا الميليمتر الممتد على سيف البحر المتوسط .

والان فلنعد بعد هذه التوطئة الى المؤلف،فأمين طليع دستوره في الكلام ان خيره ما قلّ ودلّ على طرافة وظرف،بمقدار ما يمتع ولا يفضل عن المقدار.

أذكر حلاوة تعبيره واتساق كلامه ، ولا أذكر انه قال شعراً ، فهو منذ طلعته ميال الى فكر . ومما اذكره من أخبار صباه هذه الحادثة : كان ان قضى مدير المدرسة المرحوم وديع غبريل ، فاذنت الصفوف العليا بالذهاب الى دفنه في « عبره » ، وبارحنا عاليه صفوفاً . وعند وصول الموكب الى بيروت رأيت الصبي أمين طليع ، وهو ابن اثني عشر بين الذاهبين ، فاستدعيته وقلت له جاداً : وممن استأذنت ؟ فأجاب : من نفسي . وهل يحتاج الولد الى اذن ليحضر دفن ابيه ؟ فكان جوابه مسكتاً .

وبعد فطالما اشتهى الناس معرفة المذهب الدرزي وها هو ذلك الفتى النبيه الذي صار الاستاذ امين طليع يكشف الخبأ ويعطي الناس حقيقة هذا المذهب وجوهره .

ان ديانة الدروز فلسفية ، واذا شبهنا الروحاني بالجسداني قلنا : ان الله في مذهبهم رئيس الجمهورية في دولة رئيسها العقل . فهي فلسفية بكل معنى الكلمة ، متأثر أكثرها بالفلسفة اليونانية ، وخصوصاً الافلاطونية ، ولو كان مستلمو هذا المذهب من ذوي الثقافة العميقة لسميناهم فلاسفة ، لأن التقمص الذي يضحك منه الآلهيون هو من صلب معتقد الفلاسفة .

عرف الدروز الأولون حب الانسان للدنيا ، فقالوا له : أنت باق فيها ، تحور وتدور ، وستنقلب من حال الى حال بحسب اعمالك ، نفسك خالدة

وتظل هي هي ، تسعد وتشقى بحسب الجسد ، لأن الجسم هو الثوب الذي يتبدل . ومن هنا جاءت حكاية « الناطق » .

لا بد لحكاية الناطق من شرح حتى تفهم . يعتقد الدروز ان من مواليدهم من يتذكر ميلاده الماضي ويخبر عن حياة عاشها قبل الحياة التي هو فيها، ويحدد مواقع اشياء قل من يعرفها من الناس، ويدل على اشياء عرفها هو في حياته الاولى.

قلت مرة لأحد مشايخ الدروز العارفين: حرام ان يظل هذا السر مكتوماً ، فمذهبكم حاقل بالحسنات وقد سبقتم الناس عندنا في ميادين شتى .

فأجابني : نحن لا تبشير عندنا ، والباب مغلق ، فلماذا نكلف أنفسنا الجدل ما دمنا لا نعمل لزيادة العدد ، وقد قطعنا الطريق على المريدين ؟

اجل، انها ديانة لا تعتمد على الوحي كسائر الديانات . ديانة رياضية سبقت العلم الحاضر ألف سنة ، وهي القائلة مع المعري : كان قبل آدم أوادم .

اخلاقهم يعربية ، وديانتهم فلسفية يونانية كما قلنا . وإنا لنعجب من مولاهم الحاكم بأمره وصحابته كيف وفقوا الى مثل هذا التدبير .

ان حرية الفكر عندهم ألجأتهم الى التستر خوفاً من الاضطهاد، وهذا الحاكم العبقري العظيم يقول لهم في السجل مطلقاً لهم الحرية في التفكير والتعبير : من يفطر فمن ماله يفطر ، ولا اكراه ولا اجبار .

وكأن كلمة حيّ على الفلاح عامة في نظره فشاء حصر الفلاح فقال : حي على خير العمل

والآن حان لنا ان نلج الكتاب .

ظل الدروز لغزاً حتى كانت حرب ابراهيم باشا منذ قرن ونيف، والثورة الدرزية عام ١٩٢٥ ، فانتشرت كتبهم . ولكن لكتبهم مفاتيح ، فلا يفهم من يعثر عليها إلا ظاهرها ، اما الباطن فعلمه عندهم . لم يتضح لنا إلا ما كان معلوماً حين دوهمت خلوات البياضة في ثورة ١٩٢٥ . اما الأسرار العويصة

فهي مماعيه لا يعرفها الا الأجاويد الثقال ، اصحاب اللغة المكوّرة وغيرهم من اصحاب الورع الأتقياء جداً . فالدرزية كالماسونية درجات ، و «الجويد» الجديد لا يدرك الأسرار التي فوقه ، فطلوع السلم عندهم درجة درجة ، ومص القصب عقدة عقدة . وحين يخلو الأقطاب الى بعضهم يخرج اولئك، ولا تنشر عليهم الأسرار المطلوبة .

وهؤلاء المطلعون لهم تقاليد صارمة جداً، فلا تدخين، ولا شرب، ولا كلام بذيء، إن تسبه فلا يجيبك ، يفارقك بالتي هي احسن . يضيع حقه ولا يطالب به ، ولذلك قال مثلهم : عقّال بلا جهّال ضاعت حقوقهم . ومنهم من لا يشرب القهوة ولا الماء من بيت يظن ان ماله مشوب بالحرام .

هؤلاء هم الدروز الذين عاشرتهم اربعين عاماً الا ... نسيت مال الحكام، فان كبار الجويدين لا يدخلونه كيسهم ، وقد سبق ان فصلت ذلك في كتابي زوبعة الدهور .

ولنقل الآن ماذا أفادنا كتاب الاستاذ أمين طليع ، لقد أرّخ للمذهب الفاطمي منذ نشأته تاريخاً رصيناً ، وذكر الاشياء التي لا يعرفها الجميع، وقد بقي هناك اشياء لا يعلمها إلا ذرو الاختصاص والدين في الذروة فلنناقش الذي امامنا قليلا فنقول :

ماشى امين بعض الزاعمين ان كلمة بعقلين محرفة من عجلين حيث صارت الجيم البدوية قافاً والباء التي في اولها حرف جر ، وهذا غير ما اتفق عليه علماء اللغات ، فالباء منحوتة من كلمة بيت اي بيت العقال . امـــا قوله : وهكذا صار كل درزي عجلاً لأنهم ينتسبون الى بني عجل ، فأظن انا ان اسطورة عبادة العجل ونسبتها اليهم آتية معهم من مصر حين نزحوا الى لبنان هاربين من الاضطهاد الذي لحق بهم حين اشتهرت دعوتهم التي تقوم رسالتها على العبادة العملية اللاطقسية ، وعلى حرية التفكير وحرية العمل كما يتضح من

منطوق السجل الصادر سنة ٣٩٨ الذي يقول :

« يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض في اهل الروية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، لكل مسلم في دينه اجتهاده ، لا يستعلي مسلم على مسلم بما اعتقده ، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمده » .

الخلاصة ان كتاب طليع هو طليعة ما كتب عن المذهب الدرزي الذي ادرك قبلنا قدمية العالم ، وقد أقر العلماء اليوم رأي هؤلاء الموحدين القائل في حسابه ان ٣٤٣ مليوناً من السنين قد سبقت ظهور آدم الاول. والفضاء الذي تحلق فيه الصواريخ والأقمار روسية واميركية ليس له نهاية .

والدروز ينتظرون حكومة عتيدة هي حكومة الاخيار ، اذ تصبح في ذلك الزمان الحكومة واحدة والدين واحداً .

كنا فيما مضى نعتمد على الكتب الآلهية ونهزأ بالفلكيين حين كانوا كالمبرجين فبعدما كنا نهزأ بهم قائلين لكل من يبدي رأياً غير مألوف : قم، لا تتفلك، اي لا ترجم في الغيب ، صارت الكلمة لهم .

وكتاب امين الذي بدأ يدرس اعمق جذور هذا المذهب لم يقف بنا عند القدم ، بل ذكر لنا قانون الأحوال الشخصية عندهم ، وكيف اجتازت هذه الملة طريقها المثلى عبر التاريخ .

أرّخ امين دعوة التوحيد منذ نشأتها حتى وصل الى سيدها الحاكم بأمرالله، هذا العظيم الذي اختلف الناس فيه ورأوا في احكامه بعض الشذوذ، فنصيحتي للذين صدقوا ما قيل فيه ان يعيدوا النظر ويذكروا ان في الدنيا كتاباً افرنسياً عنوانه « جنون يسوع » نسب فيه مؤلفه الى السيد المسيح ما نسب .

أما أنا فاحببت شخصية الحاكم بأمر الله العملاقة التي اوجدت جيلاً من الناس جباراً على شكلها. وكم اغتبطت لأن تلميذي الذي صار من كبار القضاة

في الجمهورية اللبنانية قد صرف جهده لدراسة مذهب لم نعرف عنه الا لمحات منتشرة هنا وهناك . حدثنا أمين بامانة العالم المؤرّخ فكان لنا من كتابه القيم اصول راجحة الكفة حققت الكلمة المأثورة : صاحب البيت أدرى بالذي فيه وخصوصاً اذا كان بيتاً لا يدخله أحد من الخارجين، ليعلم ما في الزوايا من خبايا.

جزاك الله خيراً يا أمين .

لهيب وطيب

لسلامة عبيد ، شاعر جبل العرب .

يقول المثل : الديك الفصيح من البيضة يصيح ، وما مر على سلامه شهران حتى استبشرت بان سيكون عندي تلميذ ناجح ؛ ففي ساعة درسي كان لا يفارقني نظره . عينان ناعمتان، ووجه يفيض نشاطاً وإخلاصاً.نصف ابتسامة تليها أجوبة محكمة ، ووظائف تنم عن ذكاء واجتهاد ، وعبارات شخصية أحياناً كقوله مرة عن الأخطل الشاعر السياسي هو «غوبلز» اليوم ، أي وزير الدعاية والنشر في عهد عبد الملك بن مروان .

قلت له حين كنت أعلمهم العروض : ستكون شاعراً يا سلامه . فانتشر جلده عليه ، ولا عجب فهو من الشعب المعروفي ، الأصيل في المروءة . جاءني مرة يسألني عن «حق» حين سمع العبارة العامية: حق حتحتت قلوب العلماء ، فأجبته : تريد يا ابني شرح العلماء أم الافهام ، وبالاختصار تريد سندويش يشبعك أم تريد طبخة هريسة تتخمك ؟ فأجاب : الأكل في زماننا دارج على الماشي، فأفهمته حق راح آكلاً السمكة حق رأسها ، ولم يعلق في حلقه أقل حسكة .

والآن يحق لنا أن نقول : وقد يجمع الله الشتيتين .. فسلامة عبيد رأيته مرة بعدما تخرج حائزاً البكالوريا بتفوق،ثم مرة أخرى سألته فيها : تزوجت يا سلامة ؟ فاستضحك وقال : وصرت جداً يا معلمي ، تعيش وتعلّم .

وعندما صدر كتابي « الرؤوس » بصراحة لا عهد لدارسي الادب بها،حمل

عليّ الكاتب الشامي زهير مرزا ، وأراد أن يجعلني مارقاً من المروبة ، فهب تلميذي سلامه ووضع النقاط على الحروف ، وبعد حين النقيت بزهير فاعتذر اعتذاراً جميلاً على يد تلميذي القصصي المتفوّق السيد شكيب الجابري .

وبعد دفاع سلامه عن معلمه الذي أحبه حباً جماً كذبت الطغراتي القائل:

«غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل»

وبعد هذه التوطئة التي جرّتنا اليها المقام ، فلنتحدث عن الديوان ، ديوان سلامه الذي أراد أن اقدمه إلى القراء ، مع انه في غنى عن هذه المراسيم التقليدية لأن شعره يقدمه .

الديوان عنوانه « لهيب وطيب » ، وهو كذلك،فلو لم يحترق سلامه عبيد في جحيم الآلام لما خرج من رأسه الشعر العربي الفصيح الذي لم تفسده رطانة هذه الحقبة وميوعتها . قلنا انه تألم والألم معصرة القلوب والعقول ، عفواً ، فلقل انبيق ، لأن الطيب يستقطر استقطاراً على اللهيب ، وأي لهيب أحر من لهيب النبك في صحراء نجد التي عرفها سلامه طفلاً مشرداً مع أبيه والعائلة ، بعدما وضعت الثورة الدرزية أوزارها ؟

ومن العنوان ننتقل إلى « حنين » ليظل لحديثنا سياقه ، فسلامه يحن إلى الشقاء إذا فقده ، ومعه حق لأن الشقاء محك الادمغة التي يكمن فيها الشرر ، لو جاز لي أن انقل القصيدة برمتها لنقلتها ، ولكني أخاف من غيرة اخواتها، وأن يعلق الشر بينها وبينهن ، وانا كدت أصير شيخاً ، ولا قبل لي بارضاء العذارى ، فسنكتفي بشيء منها ثم نعود إلى غيرها

موضوع القصيدة حياة سلامه المنبثقة من صميم قلب الشقاء ، وسلامه كما قال ابن المعتز: وأرحم القبح فاهواه، ولذلك يحن إلى بلاياه في النبك فيقول :

ربى النبك هل تذكرين الخيام لديك مبعثرة جانبه
تحاول شمسك إحراقها وتصفعها ريحك الساقيه

وقوماً عرينهم شـــامخ رهيب بسمرته القانيه
أتوك ويا حبذا واحـة من القيـد أو ظله عاريه
وطفـلاً سباه جلال القفار وافياؤها في المسا ضافيه
صغيراً بـلا مئزرٍ أشعثاً يروح ويغدو مع المـاشيه

ويقتضينا السياق الفكري أن ننتقل من النبك إلى «أبو رمانه» التي كانت حافلة بارداً الشجر فيصفها وصف قصاص ماهر ولا يتخلى عن خياله الشعري حين يتحدث إلى بنته واصفاً الصبير بلسانها فيقول :

فهل هذي القصـور البيض يـا ربي أساطـــير
أمـــا كنا هنا أمس وكانت ملعباً قفراً
وغابات مـن الصبـــار يبدي شوكهـا الشرا
يخـــاف النهر مرآهـا فيـــلوي ضائقـاً يجري

ثم يجيب تلك البنيّة عما حدا بها إلى التساؤل فيقول لها :

ذكـــرت الأمس يا بنتي فمـــاذا كان في أمس
أمـا عضك ناب الجوع والحرمـــان واليأس
فبعنا مـا تبقى مـــن طيـور القـــن للجار
لأنّا لم نعـــد نلقى لنـا في بيتنا حبـــا
أمـــا ادمت سياط الريح ورد الخـــد والبرد
وعاد المعطف البـــالي عـــلى جنبيك ينقد
فأشعلنـــا لك الموقد من كراس أشعاري

وفي هذه القصدة التي تعصر القلب يصف ذهابه وبنته إلى الفرن فيلقـاهما الخباز بوجهه الصفيق ويتبعانه ذليلين :

وللشرطي ارعاد وللحوذي تجديف

ثم ينتهي إلى إجابة بنته عن القصور الشاهقة التي سألته عنها وقـد حلت

محل الصبار ، فتبلغ التجربة ـ كما يعبر شعراء اليوم ـ حدها الأعلى فيهتف في الختام :

نعم هذي القصور البيض من أكبادنا تبنى
فلن نبقى كما كنا عبيـــد الذل والجوع

ان وصف الجوع بهذه الصراحة لم نقرأ له مثيلاً إلا في العصر العبـاسي ، وهذا نموذج من ذلك الطراز الفريد وهو لأبي الشمقمق الذي قال يصف أولاده في العيد :

وقـد دنا الفطر وصبياننا ليسوا بذي تمر ولا أرز
وذاك أن الدهر عاداهم عداوة الشاهـين للوز
كانت لهم عنز فأودى بهـا وأجدبوا من لـبن العنز
فلو رأوا خبزاً على شاهق لأسرعـــوا للخبز بالقفز

لكأبي بالاستاذ عبيد قد جعل من حياته ملحمة من حيث لا يدري، وهو مع كل ما قاسى من شقاء ظل شامخ الرأس كالسنديانة التي لم تطأطىء رأسها للعاصفة ، وحسبك من قوله في قصيدة « غـــداً » الجبارة الحافلة بالرجاء والطموح حيث يقول :

غداً ، في غد تهدأ العاصفه وتبسم جنتنـــا الوارفه
ويطوى الحديد على نفسه وينتحر السوط من يأسه

وهو في هذه القصيدة الصغـيرة يتخفف من القافية المقيدة الطويلة النفس، ولكنه يظل متأبطاً ذراع الخليل وكأنه من المؤمنين بقول اندره جيد: يعيش الفن في القيود ويموت إذا أطلقت حريته .

وشاعرنا موضوعاته متعددة و و حماسي حتى في وصف بلواه ، وله تعابير خاصة ، وكم كنت أرتاح حين كنت أقرأ له وظيفة الدراسة والنقد حين كان عندي في المدرسة .

ان موضوعات هذا الديوان متنوعة، وهي مرتبطة بشخصية الشاعر وميوله أشد الارتباط ، وعاطفته العربية متقدة مشبوبة ، نشأ في كنف والد مجاهد أبيّ وفي ظل استاذ ، ولا فخر ، كان للعروبة يوم لم يكن لها أحد إلا بعض شعراء مهجريين ، وقيدوم هذه الحملة كان الشاعر الملهم رشيد سليم الخوري - الشاعر القروي - الذي ملأ الخافقين رنين قوافيه ، وظل شاعراً قروياً .

وفي قصيدة عيد الجلاء ، ينحو سلامه نحو الاستاذ مخائيل نعيمه في قصيدته المشهورة : اخي ان ضج بعد الحرب الخ . يجب ان نقول انه عارض لا نحا ، لأن الاستاذ نعيمه سلبي وسلامه ايجابي ، ميخائيل حفار قبور يحمل الرفش والمعول ، وسلامه كصخر الخنساء : حمال ألوية، هباط أودية .. فاسمعه يقول في ساعة النصر :

أخي ، هذا لوانا اليوم في أوج السما حر
خفوق حوله الآمال والاحلام تفتر
فقد شئناه للعزة والايمان عنوانا
وكان الحق يرعاه
فرف على جبين الشمس بعد اليأس نشوانا

وبعد أن اشرأب شاعرنا سلامه واشمخر ، انتهى الى حني الرأس تمجيداً لذكرى شهداء الثورة التي رافقها سلامه حين شب عن الطوق . ذكرنا صديقنا فيلسوف الشخروب بهذه المناسبة فلا بد من الاتمام فنقول: قصيدة نعيمه طريّة وقصيدة سلامه افصح وأقرب الى لسان العرب منها الى لساننا اليوم .

أما قصيدة « أغنية أم » فكان احرى ان تعنون «مناحة صامتة». وما أروع صرخة تلك الام حين تهتف بولدها الباكي :

جوعان ما ذنبي تديي غـــدا خرقة

وفي قصيدة الخريف يذكرني بالتشبيه اللبناني حين يصف فوعة الاغربة

فيقول :

وعلى شريط الكهربا اسراب رهبان صغار

وفي قصيدته « الحدود المحطمة » كأنه يتنبأ :

وغداً سنمشي أمة عرباء رائدها النظـــام

وفي قصيدة «الحداد» يعجبني عشق الجماد الحامي كقوله يخاطب القيون :

يا مضرم النيران زدهـا لظى واضرب فبئس الضربـة المشفقه
يهوى الحديد النـــار وهاجة ويشتهي السندان والمطرقـه

ولا عجب في هذا الرأي بعدما علمتنا الكتب ان بعض النساء يلذ لهن لسع الكرباج متى حمي تنور الهوى .ولما كنت افتش دائماً عن العبارات الشخصية وأكلف بها ، يعجبني قوله مخاطباً جبل حوران أو جبل الدروز :

فديتهـــا كل فتى باسل اتقن فن الميتة الصالحـة

وكان المهد ان في سلامه شيئاً من السخر ، والظاهر ان المجال لم ينفتح له لأنه شغل نفسه بالفتوة ، وهو ينقر على وتر لا ينقر عليه أحد في هذه الأيام لأن الأدباء ينشغلون بالرموز عن الحقائق .

ويقي الرثاء ، وفيه يبدو سلامه اتوناً مضطرماً وتنوراً مسجوراً ببيان شهي وعبارات كالبنيان المرصوص مع رطوبة اللؤلو وبريق الماس .

وما أخذت عليه الا تأنيث « الرفات » وتذكير الخمر ، كما ان لفظة « تتقفقف » لم تعجبني قافاتها وفاءاتها، ولكن الديوان رغم هذه الملاحظة التي كان يجب ان يبرأ منها،يظل في صدر ديوان العرب وهو كتاب الموسم الرفيع، وكم كنت اتمنى لو تغنى سلامه بوقعة « الوعره » كما ذكر اليرموك فذكرى بطولة الاجداد في تلك المعركة الضارية ما زالت على ألسنة الاحفاد التي تردد نداء الدروز لابراهيم باشا ، بعد مئة عام ونيف :

برهون وايش لك عندنا حوران والوعره لنـــا

مع الخالدين

لسمير شيخاني

هو مأدبة ثقافية متنوعة الألوان والمطابخ . أعدها الأديب سمير شيخاني من السندويش المغذّي ، وقد اجاد طهيها وأحسن صنعاً إذ جعل صحونه صغيرة تلتهم بسرعة تلائم عجلة العصر عدّد الاشكال ونوّعها فاختلف كتابه « مع الخالدين » عن كتبنا العربية التي هي من صنع واحد ، مثل فهرست ابن النديم وابن الأثير الذي له في كتابه «أسدالغابة» سبعة آلاف وخمسمائة ترجمة. ولكن مؤلف مع الخالدين ترجم لأشهر العباقرة العالميين ، وسير العظام تخلق العظائم . أن لهذا الكتاب ميزات تجذبك اليه ، واهمها تنوع الطعام الذي يقوّي شهوة النهم .

قالوا أن الجاحظ خلط آيات القرآن الكريم والانجيل المقدس والاحاديث الشريفة بأخبار القيان والماجنين والاباحيين ، وهذا سمير يجمع في صعيد واحد الراهب الشهيد سافونارولا ، والمصلح الديني لوثر ، والقديسين لويولا ، وتوما الاكويني ، واغسطينوس . تحدث صديقنا سمير بأسلوب من قبضوا على ناصية البيان ، ولكنه لم يحشر في كتابه هذا تلك القوالب التي كانت رائعة يوم احدثت . عبّر بلغة حياتنا الحاضرة وهذا من مميزات قلم سمير في كتبه : سالومي ، و١٢ اوبرا عالمية ، وأشهر رسائل الغرام ، ونزل الزواج ، والآن في « مع الخالدين » .

كان موعدي مع سمير في « أحداث وأعلام » ، وهو عنوان زاويته

الاذاعية ، فكنت أصغي اليه ولا أزال بعدما طالعت كتبه السابقة الذكر وكتابه هذا الذي هو قمتها .

أن كتابة السير والتراجم تتأثر غالباً بالنقل ، ولكن سمير شيخاني حاول أن يعصم نفسه من التقليد إذ عصر القناطير من الاعناب حتى اعطانا خمرة جيدة في كأس « مزوقة حبتها بأنواع التصاوير فارس » ، كما قال أبو نواس في وصف كأسه المسجدية ، ولعل الناظر إلى جلد الكتاب المرقّط يؤيد ماازعم.

ليس سمير شيخاني كاتباً فقط بل هو رائد فني،وقد احسنوا الاختيار حين وضعوه في محله بالاذاعة فنهض بها.نشأ مترجماً واظن أن دور الوضع والخلق قد حان، فعسى أن يخلق لنا مواعيد تقر بها عين الثقافة العربية ، وأن كان هذا الكوكتيل الشهي قد خلق خلقاً جديداً حتى بدا في أحسن تقويم .

عني العرب كثيراً بالسِيَر وكتبوها تواريخ عباقرتهم ، ثم جاء بعدهم الملخصون فكثر هذا اللون في مكاتبنا ، ولكنهم لم يشملوا نوابغ المسكونة جميعاً بنظرة عامة كما فعل سمير .

أراد المصنف أن يجمع عباقرة العالم في كتاب فلجأ إلى هذا الايجاز التام والتبويب الدقيق . قالت العرب : إيجاز مخلّ وتطويل مملّ ، فأراد سمير أن يبرأ من هذه الوصمة وجاءنا بكتاب لا غنى عنه للقارىء العربي الذي لايحسن لغة اجنبية .

أنا اعشق مطالعة سير النوابغ لانها تهبني همة عنيفة كلما قرأتها ، وقد اقرأها مرات لأن هؤلاءالافاضل هم سرج الأزمنة ومنارات الدهور والأجيال والتعرف بهم حافز لمن يروم الفلاح .

قالوا : كتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والأدب ثانياً ، فرحت افتش عن أبي عثمان في كتاب سمير ، فتشت عنه بين الفلاسفة ، وهو اسبق العرب إلى تأليه العقل فلم أجده ، ثم رحت اقرأ فهرست الادباء فما رأيته ، فقلت الحمد لله الذي شفى صدري بقول كلمة لعزيزي سمير :

ألم تجد ، ايها الصديق العزيز ، بين رجالات العرب أديباً يستحق أن يكون في حلقة من ذكرت ؟؟ ان الجاحظ في آثاره جميعاً يفوق أكثر من اجلستهم على عرش الخلود الأدبي ، بل هو ابرزهم شخصية طريفة، ناهيك بانه هو أول من حرك قضية الفكر قرناً كاملاً في حياته ، واحد عشر قرناً بعد مماته. وكما ان سافونارولا هو الذي شق الطريق للوثيروس وعبّدها «وزفتها» بدمه الطاهر حين ضرب أول معول في برج تاريخ القرون الوسطى الأسود ، كذلك شق الجاحظ طريق التفكير الحر لنوابغ العرب الذين ذكرتهم مع فلاسفة العالم .

وعند ذكر سافونارولا أقف لأقول لك انك لم تشر الى اهم نقطة في تاريخ حياته ، وهي صراعه مع بابا زمانه اسكندر بورجيا الذي كان يفتخر باولاده الستة ، ولما قتل احدهم أخاه دوق جانديا ، كتب سافونارولا الى البابا ، أبي القاتل ، معزيا ناصحاً :

« ان الايمان يفعل العجائب ويوحي بكل الأفعال النبيلة ، وهو يعلو على الاحساس والعقل ، ويرفعنا فوق هذا العالم ، فلتستجب قداستك لنداء النعيم المقيم ،حتى يتحول حزنك الى ابتهاج» ، أظن ان كل سيرة عظيم تبنى على فكرة تدور حولها دوران الرحى حول القطب ، وأنت لم تعرّف قارئك بفكرة بطلك الاساسية . ان صراع الشهيد الأعظم سافونارولا كان لأجل سلامة الآداب التي يوصي بها الدين . وهذا الصراع يستحق منك كلمة صريحة حول الموضوع . فالراهب رفض قبعة الكاردينالية بازدراء ، وعدّها رشوة حتى استغرب ان يعرضها البابا عليه ، ثم آثر الموت شنقاً والاحراق بعد الموت على التفريط باستقلال ديره وامتيازاته ، وظل يناضل دون ذلك حتى استشهد هو ورهبانه . لم يقبل هذا الشهيد باخضاع دير سان ماركو للبابا ، وهو لو يفعل لعاش بقية حياته على عرش شامخ كعرش البابا نفسه .

الخلاصة ، كانت حرب سافونارولا معلنة على البابا اسكندر بورجيا باسمه

لأنه غير صالح، لأنه رجل طقسيات لا فضائل، كان يفخر بأولاده على مسامع البشر ولا يسلحي ، وهذا الفخر بالزنى الوقح كان يحاربه سافونارولا علناً ، ولا يبالي بالتهديد والوعيد الذي يأتيه من قبل سلطة البابا المزدوجة .

وأراك أخيراً قد ختمت سيرة سافونارولا بهذه العبارة التي طبعت بحرف أسود مميز: إلا أن بعض النسوة المؤمنات احتفظن بقلبه الذي تركته النيران سليماً .

ان هذه اسطورة كتبت على غرار ما يكتب في سير القديسين ... ولو كتبتها للقراء بصورة الزعم لكان أسلم . أما النقطة المهمة في نظري فهي ان هذا الراهب الشهيد العظيم لم يبع البابوية حرية فكره ورأيه ثم استقلال ديره بقبعة دفع حياته ثمناً لبقاء امتياز ديره ولم يخضعه للبابا ، وحسبه ما جنى من ثمار الخلود انه خلق لوثر المصلح "معظم الذي هدم ما زعزعه سافونارولا .

ان للتاريخ عيناً لا تنام ولساناً يتحدث الى الأبد، وعنه نقلت ما دونت، فالويل ثم الويل لمن يبيعون حقوق امتهم في الاستقلال باقل من أكلة العدس التي باع بها عيسو بكوريته . . بقبعة كاردينالية أو بعرش آخر وهمي ... أو تاج تمثيلي من كرتون . ان ذكرهم يبقى ملعوناً . فعسى أن تطوب كنيسة اليوم الشهيد سافونارولا وتصلح خطأ فاجعاً ارتكبه اسكندر بورجيا وبجمعه اللامقدس .

وأخيراً أقول: لقد أجدت وافدت يا سمير . عشت للكتاب نديماً وسميراً، وسلمت يداك .

فهرس الأعلام

(أ)

ابرهيم حافظ ٢٣٥
ابن أبي ربيعة عمر ١٤ ، ٧٠ ، ٧١
١٤٤
ابن الاحنف عباس ٢٤٦
ابن اسحق حنين ٤٩
ابن خالويه ٢٥٦
ابن الخشاب ٢٤٦
ابن الخطاب عمر ٢٠
ابن خلدون ١٧ ، ١٢٢ ، ١٦٠
ابن الرومي ٦١ ، ٨٠ ، ١٦٩
١٩٧
ابن الزبير مصعب ٢٢٥
ابن سينا ٢٤٦
ابن عباد الصاحب ١٥٩
ابن عقيل ١٤٠ ، ٢٥٩
ابن العميد ٤٩
ابن الفارض ٢٤٧
ابن مالك ١٤٠ ، ١٤١
ابن المعتز ٦٨
ابن المقفع ١٤٢
ابن منظور ١٣٩ ، ٢٤٨
ابو تمام ٣٥ ، ١٥٧ ، ١٩٠
٢٣١ ، ٢٦٥
ابو حاتم عبد ٢٨٤
ابو شبكة الياس ٥٣ ، ٥٩ ، ١٠٨
ابو فراس ٢٥٦
ابو نواس ١٧ ، ١٠٦
الاحدب ابراهيم ١٤٦
الأخطل ١٧
الادريسي ٢٤٦
ارسانيوس بطرس ٢٨١
الاشموني ٢٧٦
الادلي الفة ٢٠٤ ، ٢٠٥
الاصبهاني ١٥٩ ، ١٦٠
الاصفهاني ٢١٩ ، ٢٣١
الاعشى ٤٢

الافغاني جمال الدين ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨
اليرت ١٣ ، ١٤ ، ٥٥ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ٢٣٩
انطون فرح ١٥٥ ، ١٩٦
امرؤ القيس ١١
امين علي ١١٤، ١١٧، ١١٩
امين مصطفى ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧ ، ١١٨
اوليري ٢٢٨

(ب)

البارودي محمد سامي ٢٥٥
البارودي واصف ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨
باز جرجس ١٩٤
بازين رينه ٤٣
الباني ١٤١
البحتري ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١١١، ١٧٠، ١٩١، ٢٣٧، ٢٤٦
برباري ميشال ٣٢ ، ٣٣
بريدوم سيلي ١٤٥
البستاني ٨٩
البستاني بطرس ٢٣٢
البستاني فؤاد افرام ١٣٨ ، ١٣٩
البستاني سليمان ١٤٢
البستاني عبد الله ٢١٤ ، ٢٤٩
بشار ١٨ ، ٧٠ ، ١٤٤، ٢٣١، ٢٥٢
بشير الامير ١٩٤
بطي روفائيل ١١١
البعلبكي منير ٢٥٠
بودلير ١١ ، ١٥١
البوريني ٢٤٧
البياتي عبد الوهاب ٥٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٠، ١٤٦ ، ١٤٨، ١٤٩
بيهم نور الدين ٢٧٩ ، ٢٨٠

(ت)

تابط شرا ٥٩ ، ٢٥٨
التابعي ١١٧
التامر رضا ٢١٤ ، ٢١٦، ٢١٧

تشايكوفسكي ٧٦
تشيكوف ١٧٤
تقي الدين خليل ٢٠١ ، ٢٠٣،
٢٣٧
تقي الدين سعيد ٢٠٩ ، ٢١٣،
٢٢١
تلحوق جميل ٢٩٠
التيان يوسف البطارك ١٩٢
تيمور محمود ٤١ ، ٩٧ ،
٢٠٥ ، ٢٣٥،
٢٣٧ ، ٢٣٨،
٢٣٩
توت الاله ٢٤٤
التولاوي ١٤١
تولستوي ٢٤٣

(ث)

الثعالبي ٢٣١ ، ٢٤٦

(ج)

الجابري شكيب ٢٩٩
الجاحظ ٧ ، ٨ ، ١٨ ، ٢٠ ،
٢٩ ، ٤٩ ، ٦٨ ،
١٠٧ ، ١١٩ ، ١٣٣،
١٤٥ ، ١٦١ ، ١٨٨،
١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧،
٢٣١ ، ٣٠٥
الجاجي الاب واصاف ٢٨٨
الجارم علي ٢٦٠
جبرا ابرهيم جبرا ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٦ ،
١٢٧ ١٣٤، ١٥١
جبري شفيق ١٥٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٧٦
جبران ٢٧٥
جبور جبرائيل ٢٣١
جرجي ادوار ٢٣١
جرير ٧٠ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠
الجواهري محمد ١١١
جيمس فرنسيس ١٣٤
جيمس وليم ٨٤

(ح)

حافظ عبد الحليم ١٢٠
الحاقلاني ٢٤٦
حاوي خليل ١٣٢ ، ١٣٣
حبيش فؤاد ١٥، ١٨، ١٩، ٦٩
حتي فيليب ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠
الحجاج ٢٢٥

الحريري ١٩ ، ١٤٢ ، ٢٣١ ،
٢٤٦
حسين طه ٦٥ ، ٧٤ ، ١١٢ ،
١٦٣ ، ١٨٩-١٩٢ ،
٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦١
الحلي ١٩ ، ١١١
حكيم فكتور ٤٣
الحمصي قسطاكي ٢٦١
الحويك البطرك الياس ٢٩٠

(خ)

الخازن رشيد ١٤٨
الخال يوسف ١٤
الخراساني ٢٣
الخزاعي دعبل ١١٢
الخفاجي ٢٤٦
الخليل ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ،
١٤١
خلف نجيب ٢٤٩
خلف الله محمد احمد ١٦٢ ، ١٦٦
الخوارزمي ٢٤٦
خوري اميل ٩١ ، ٩٦
الخوري بشاره (رئيس الجمهورية)
٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ،
٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
خوري رئيف ١٨٩
الخوري رشيد ٣٠٢
الخوري شاكر ٥٤
الخوري الاب يوحنا ٥٨

(د)

دارغوث رشاد ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٠٥
الدحداح ٢٤٧
دركايم ٢٧٤
دزرائيلي ٨٥
دعبل ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥
دوستوفسكي ٦٣ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ،
دوده الفونس ١٧٣

(ذ)

ذياب يوسف نمر ٥٣ ، ٥٥ ،
٥٧ ، ٥٩

(ر)

الرافعي عبد الحميد ١٧٦
الرافعي مصطفى صادق ٧٤ ، ٢٥٨
راسين ١١

رجي جورج ٧٩ ، ٨١
رزوق فرج رزوق ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١٤٩
الرصافي معروف ٢٥٧
رفقه فؤاد ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩
رمبو ١١
رنان ٢٤٠
رومان جيل ١٨٩
الريحاني امين ١٢٧ ، ١٣٤

(ز)

زعيتر اكرم ٤٥ ، ٤٦
الزهاوي ١١١
زولا ٦٣
زيدان جرجي ٤٩
الزيات احمد حسن ٢٥٨
الزيادي عبد المنعم ٨٦

(س)

سارتر ٢٣٩
سقراط ٥٠ ، ١٥٦
سلام صائب ٩٥
سلامه بولس ١٦٩ ، ١٧٢
سليمان موسى ٢٣٣ ، ٢٣٤
سنكنيتن ٢٤١
السهروردي ١٥٢
السياب ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢
سيبويه ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ،
١٧٢

(ش)

شاتوبريان ١٢٥
شاؤل انور ١٦٧ ، ١٦٨
الشبيبي ١١١
الشدياق ٨١ ، ٨٧ — ٩٠ ،
١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨
شرارة عبد اللطيف ٢٢٤ ، ٢٢٥
الشرتوني رشيد ٥٨ ، ٥٩
الشرتوني سعيد ١٤١
شمعون كميل (رئيس الجمهورية) ١٤٠
الشميل ١٩٦
الشنفري ٥٩ ، ٢٥٨
الشوا سامي ٢٦٠
شوبنهور ٨٤
شوقي ١٩٢ ، ٢٣٥
شيبوب ادفيك ١٥٠ ، ١٥٢

شيخو لويس ١٢٢ ، ١٦٠
شيخاني سمير ٣٠٤ ، ٣٠٥

(ص)

الصاحب بن عباد ٢٥٦
صادر ٢٤٨
صاند جورج ١٧٤
صايغ توفيق ٦٦ ، ١٥٤ ، ١٧٨ — ١٨٨ ، ٢٢١
صروف فؤاد ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢
صروف يعقوب ٤٨ ، ٤٩ ، ١٩٦
صفي الدين محمود ٢٤٨
الصهيوني ٢٤٦
صيدح جورج ١٠٠

(ض)

الضبي ٢٤٦

(ط)

طاغور ١٩٦
الطبسي ٢٦٣
طراد ميشال ٦٨ ، ٦٩
طليع امين ٢٩٠ — ٢٩٦
الطفراني ٢٤٦

٣١٤

(ع)

عانوتي اسامه ١٩٢
عباس احسان ١١١
عبد الحميد (السلطان) ١٥٦
عبود مارون ١٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٩ ، ٢٨١
عبود الخوري حنا ٢٨١
عبيد سلامه ٢٩٨ — ٣٠٣
العجيلي عبد السلام ٤٠ ، ٤١
عرابي احمد ٢٠٠
عزام سميره ١٧٣ ، ١٧٤
عزيز سامي ١١٤ ، ١١٥
العفيفي عبد الله ٢٦٠
العقاد ٧٤ ، ١٣٢ ، ٢٦١
عقل سعيد ٤٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ — ١٨٨
عون عون ٢٨٤
العلايلي الشيخ عبد الله ١٥٧ ، ٢٢٠ ، ٢٤٩
عواد توفيق — ٢٠٣

(غ)

غاندي ١٩٦ ، ١٩٧
غبريل وديع ٢٩٣
الغريري ١٠٩، ١١٠، ١١٣
غزليات عمر ١٠٧
الغضبان عادل ٢٦١
غوتيه تيوفيل ١٣٤

(ف)

فاروق الملك ١١٤ ، ١١٦ ، ١٤٤
فانديك ١٢٢
فاليري ١٥١
فرانس اناتول ٤٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤١
فرج الله بيضا ١٢١
فرجيل ١١
فرحات المطران جرمانوس ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٤٧
الفرزدق ٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧
فرلين ١١
فرويد ١٥٣
فولتير ٢٤٣
فريحه سعيد ٨٠ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٧، ١٦٥ ، ١٦٧، ٢٠٣
فريد عبد الخالق ١٠٦
فريد عبد الوهاب ١٠٧
فياض نقولا ٣٨

(ق)

قاسم فؤاد ٢٠٩
قباني نزار ١٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ١٣٢
القصيمي عبد الله ١٩٥
قياسه عارف ١٤٤ ، ١٤٥

(ك)

كارنيجي ديل ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦
كرد علي محمد ٣٥ ، ٣٨ ، ٢٥٨
كرامي عبد الحميد ٢٨ ، ٢٩
الكزبري سلمى حفار ١٧٦ ، ١٧٧
كنفوشيوس ٢٤٣
كنبدر شكري ١٢٠ ، ١٢١
كنمان فؤاد ٢٨٧ ، ٢٨٩
الكيالي سامي ٢٢١

(ل)

لنكولن ١٩٩
لابروبير ١٢٥
لافونتين ١٠٥ ، ١٥٠

(م)

مارك ١١٥
المازني ٧٤ ، ٢٦٢
مالرمه ١١
الماوردي ٢٤٦

المتنبي ٩ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٣٣ ،
٤٠ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ١١٣ ،
١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،
١٢٧ ، ١٧١ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٨ — ٢٦٨ ،
٢٨٠ ، ٢٨٢
مطران خليل ٢٣٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
مرزا زهير ٢٩٩
المقريزي ٢٤٦
الملائكة ١١١
ملتون ٩
ملحس تريا ١٥٤
المعري ٨٠ ، ١٩١ ، ٢٧٥
موبسان ١٠٣ ، ١٧٤
موسى سلامه ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٦٠
موليير ١٠٣ ، ١٦٠
الميداني ٢٤٦
ميسه ١٤٥

(ن)

الناصري ١٠٨
نخله امين ٢٢١
نخله رشيد ٢٥٥

النشاشيبي ١١٦
نصار نجيب ٤٦
نعيمة نديم ٥٩
نعيمة نخائيل ٥٨ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ،
٣٠٢
النقاش مارون ١٦٢ ، ٢٠٩
النقدي موسى ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
نهرو ١٩٦
نيتشه ٢٤٣
النيسابوري ٢٣١

(هـ)

هاني ايرل ٨٣
هايت جلبرت ٥١
الهمذاني ٢٣ ، ١٤٢ ، ٢٤٦ ،
هنغواي ٢٣٩
هوغارت ٢٢٨
هولاكو ٢٣١
هوميروس ١١ ، ٧١ ، ١٣٤
هينو فكتور ٢٤٣
هيكل حسين ٢٥٢

(ي)

اليازجي ابرهيم ١٤٢
اليازجي ناصيف ١٤٢

فهرست الكتاب

		صفحة
الأدب والحياة		٧
ثورة على القديم		١٠
الشيوخ والشباب		١٥
شعراؤنا والربيع		٢٠
مواثيق العهد الجديد لبشاره خليل الخوري		٢٤
من ذكريات جبيل		٣١
محمد_كرد علي		٣٥
بعد الأصيل	نقولا فياض	٣٨
قناديل اشبيلية	عبد السلام العجيلي	٤٠
ميناء القدر	فكتور حكيم	٤٣
القضية الفلسطينية	اكرم زعيتر	٤٥
جبروت العقل	فؤاد صروف	٤٨
اباطيل	يوسف غصوب	٥٣
في دروب المغيب	فؤاد رفقة	٥٨
صراخ في ليل طويل	جبرا ابراهيم جبرا	٦٠
قصائد	نزار قباني	٦٧
جانين والوجودية ... ومارون عبود ..		٧٣
غروب	جورج رجي	٧٩
دع القلق وابدأ الحياة	ديل كرنجي	٨٢
ضحكناك يا شدياق		٨٧
		٣١٧

آثار اقدام	اميل خوري	٩١
سيعودرن	رشاد دارغوث	٩٧
نداء الاعماق	عبد الخالق فريد	١٠٦
حول البياتي والسياب		١١٠
ثورة في الصحافة		١١٤
الذوق		١٢٠
اغاني الغابة	موسى النقدي	١٢٧
من هنا وهناك		١٣٠
زيارة ايران		١٣٧
دائرة المعارف الفرامية		١٣٨
خطاب طهران		١٣٩
البرعم الاشقر		١٤٤
وجد	رزوق فرج رزوق	١٤٦
بوح	ادفيك شيبوب	١٥٠
جمال الدين الافغاني		١٥٥
دراسة الأغاني	شفيق جبري	١٥٩
احمد فارس الشدياق	احمد خلف الله	١٦٢
في زحام المدينة	انور شاورل	١٦٧
ملحمة بولس سلامه		١٦٩
الظل الكبير	سميرة عزام	١٧٣
زوايا	سلمى حفار الكزبري	١٧٦
ثلاثون قصيدة		١٧٨
اسبوع طه حسين		١٨٩
كتاب الثورات	سلامه موسى	١٩٦
تاملوا	خليل تقي الدين	٢٠١

قصص شامية	الفة الادلبي	٢٠٤
الدم الأزرق	فؤاد قاسم	٢٠٩
ذكريات رضا التامر		٢١٤
على مسرح الحياة		٢١٩
الحجاج	عبد اللطيف شرارة	٢٢٤
تاريخ العرب	فيليب حتي	٢٢٦
معارك العرب	بطرس البستاني	٢٣٢
الأدب القصصي عند العرب	موسى سليمان	٢٣٣
ثائرون	محمود تيمور	٢٣٥
اثر الاديب في الحياة		٢٤٠
لبنان صديق الكتاب		٢٤٦
لحظات مع الخالدين	دعبل	٢٥١
المتنبي في راديو		٢٥٦
خارطة دنيا المتنبي		٢٦٣
محاضرات ومقالات تربية	واصف باردي	٢٦٩
بيني وبين نور الدين بيهم		٢٧٩
قرف	فؤاد كنعان	٢٨٧
نشأة الموحدين وتاريخهم	امين طليع	٢٩٠
لهيب وطيب	سلامة عبيد	٢٩٤
مع الخالدين	سمير شيخاني	٣٠٠

على الطائر

مارون عبود

على الطائر

في نقد الاحاديث النثرية والشعرية التي اذاعتها محطة الشرق الادنى

منذ ١٩٥١/١١/١١ الى ١٩٥٥/٤/٢٠

دار مارون عبود — بيروت ص.ب ٥٤٣ — دار الثقافة

جميع الحقوق محفوظة

المؤلف

١٨٨٦ – ١٩٦٢

ايضاح

راجع كتبي الأربعين المطبوعة تجد أنني لم اكتب ولم استكتب لأحد منها مقدّمة . اما هذا الكتاب الذي سجنني ثلاث سنوات ونصف ، وعدة من اشهر أخر لتشذيبه وتهذيبه ، فاراني مكرهاً على تصديره بهذه الكلمات .

طُلِبَتْ مني محطة الشرق الأدنى أن انقد احاديثها الأدبية ، وهذا يعني ان أربَط الى المذياع ، فلا تقل أجلّك الله عن الربط ، فخالقنا واحد .

وهكذا بقيت سنوات أصغي الى المتكلّمين ، يومياً ، وأدوّن ملاحظاتي ، وفي نهـــاية كل خمـة عشر يوماً أعود الى وريقاتي واكتب مقالاً ابعث به في حينه الى قبرص .

كنا فيما مضى نستورد من تلك الجزيرة ما نستورد ... وصرنا نصدر اليها اوراقاً نسودها فتسود وجهنا عند أدباء الأقطار العربية وشعرائها .

كانت محطة الشرق الأدنى ، رحمها الله ، صحيفة هوائية كبرى ، وكنت ناقدهـــا الأدبي يوم كان سماعها صعباً ، ولما سهل السماع انقطع الحبل ... الصحافة تعالج الزائل ، اما النقد الادبي فيعنيه الباقي ، ومن هنا جاء شقائي.

قال سنت بيف : ليس عنـــدي وقت للفراغ ، ففي يوم الاثنين من كل اسبوع ارفـــع رأسي قليلاً وقت الظهر وأتنفّس ساعة او ساعتين ثم يغلق الباب لأظل في سجني اسبوعاً .

قـد يكون شأني مثل شأن سنت بيف ، فالمقال عندي حَبَل وولادة ، وعندما أكتب أفكر بقارئي لا بمـــا اقبض من مكافأة ، وان كنت احوج الناس اليها . واني لأعجب من رجل يطلب مني مقالاً ولا يمهلني غير اسبوع . فكأنني عنده صاحب مصبغة يَغطُّ القماش ويشيله .

قال هازلت : باستطاعة الصحفي ان يملأ انهار صحيفته كل يوم بأي شيء وبكل شيء ، ثم يفيد كل شيء دون ان يفيد الادب من ذلـك . وهو يقول نفس الشيء عدة مرات، ولكن بأشكال لا يختلف بعضها عن بعض إلا قليلاً، اما الذي يكتب أدباً فهو غير ذلك .

قال لي صاحب حاجة : والو ! ألا تستطيع ان تكتب مقالة في يومين .. اما انا فاجبته : اسمع هذه الحكاية : سأل رئيس نادٍ كاتباً شهيراً ان يخطب في مدعويه ، وبعد جدال قال له : طيّب ، حدّثنا ربع ساعة فقط . فأجابه الاديب : أمهلني شهراً ، فضحك الرجل وقال : ترى لو قلت لك حدّثنـــا ساعة زمان اما كنت تستمهلني سنة ؟

فقام الاديب عن كرسيه وهو يكاد ينشق ، وقال له : قم ، تفضل حتى احدّثكم الآن ، اذا كان الكلام حديثاً .

هذه حالي فيما اكتب ، وهكذا قضيت ثلاث سنوات ونصف السنة اسمع الأحاديث ثم اكتب المقـال ليذاع وينشر . وبما اني ثمبت جداً حتى كتبت هذه الفصول التي تتناول نحواً من سبعمائة شخص ، رأيت ان اجعلها كتاباً يبقى ، ومـــا كتبت له هذه المقدمة إلا لأكون قدوة حسنة للمتأدبين المستعجلين ...

سميته « على الطائر » ، لأن هذا النقد السماعي اشبه بالصيد طائراً ، وقد بوّبته تبعاً لمواقيته ، لأن موضوعاته شتّى لا يجمعها جامع . اما الاعتذار الى من اغضبناهم لأننـــا نقدناهم فيجده القارىء في النقد الحادي والتسعين ، وهو خاتمة هذا الكتاب .

رحم الله صديقي الكبير محمد كُرد علي ، فكلمته لا تزال ترنُّ في اذني : الناس يبغضون الناقد . طفت اوروبا ، وما وقعت عيني على تمثـال لناقد ، فأرِحْ البشريّة وأرحْ نفسك .

فقلت له : انا لا اجيد الكتابة إلا ناقـــداً ، ولذلك تجدني معاركاً على جميع الجبهات ، فلو ألّفت صلاة ربّانية فقد لا تخلو من النقد .

فقهقه صاحبي وقال : ستعيش وتموت بعد العمر الطويل ، ولا نقد عندك إلا في كتبك ...

فيا اخواني المنقودين اذكروني بالخير ، فما قصدت إلاّ نفعكم الأدبي ، وما عملت إلا بالكلمة المأثورة : صديقك من صدّقَكَ لا من صدّقك .

عين كفاع . ايلول ١٩٥٧ .

مارون عبود

الفهرس

اسماء المتكلمين كما جاءت في فصول هذا الكتاب

المتكلم ١ عباس خضر ، نبيه فارس ، اديبة شكري ، مصطفى جواد ، عبد الرزاق محيي الدين ، وعبد الستار الحواري .

المتكلم ٢ القسيسان ابراهيم سعيد ونجيب قبعين ، عبد العزيز سيد الاهل ، قاسم منصور ، حسين مكي ، صلاح ذهني ، الشيخ محمد بهجت الاثري ، وداد سكاكيني ، مينرفا حكيم ، بنت الشاطىء .

المتكلم ٣ علي سليمان ، محمد شوشه ، سميره عزام ، عبد الغني حسن ، ميخائيل نعيمه ، سامي حداد ، موريس نصار ، عبد الرحمن سنو ، ملكيان ، وداد سكاكيني ، يوسف العش ، محمود الحوت ، أماني فريد .

المتكلم ٤ يوسف دوناتو ، انور سلطان ، ثيودوري ، القس جورج خوري ، حسين فياض ، كامل الكوالك ، عادلة فروخ ، فهيمه حافظ ، أسمى طوبي ، سميره عزام ، عائشة مرعي ، مصطفى جواد ، رشاد بيبي ، انعام الصفير ، سعيد تقي الدين ، عبدالله المشنوق ، الدكتور قسطنطين زريق ، رشاد دارغوث ، يوسف جوهر ، بهجت الاثري ، ناجي القشطيني ، عبد الباري شعيشع .

النقد ٥ انعام السعير، الفة الادلبي ، اكرام الصغير ، سلمى صائغ ، طاهر اللاذقي ، مارون عبود ، محمد المغربل ، القس فريد عوده ، احمد ابو سعد ، جودت الركابي .

النقد ٦ متيل مغنم، الياس زخريا، أسمى طوبي، الدكتور سامي الدهان ، عيسى الناعوري ، جبرائيل كاتول ، اولغا وهبي، بهجت لاثري، محمد العدنان ، يوسف يعقوب حداد .

النقد ٧ نجاتي صدقي ، كامل شهاب ، محمد العدناني ، القس فريد عوده ، حكمت هـــاشم ، يوسف العش ، محمد الرشدان ، الناعوري ، ابراهيم العريض ، عبـــد القادر الناصري ، محمود رمزي نظيم ، كرم حنون ، سلمى الصائغ .

النقد ٨ نور الدين داود ، محمود أبو زايد ، فوزية تاجي ، جورج شهلا ، شفيق جبري ، موسى الحسيني ، رياض المعلوف ، جبرا ابراهيم جبرا ، يوسف يعقوب عواد ، رشاد دارغوث .

النقد ٩ عمر شخاشيرو ، امجد طرابلسي ، وليم صعب ، نعمةالله السمعاني، سلمى صائغ ، ليلى شاهين ، ليلى اللبابيدي ، الياس نمور ، باسم الجسر ، صفاء خلوصي ، رشيقة العمري .

النقد ١٠ انيس الخوري المقدسي ، اسحق موسى الحسيني ، محمود الحوت ، عبد الحليم عباس ، حسني فريز ، خليل السالم ، نقولا شاهين ، عباس العزاوي ، عبد السلام العجيلي ، سميرة عزام .

النقد ١١ ماليكيان ، مقبولة الحلي ، سلوى نصار ، ليلى شاهين ، ربيحـة الرشدان ، سلوى حوماني ، جمال كرم، أسمى طوبي ، عبدالرحمن شكري ، عـــادل الغضبان ، مصطفى فروخ ، نجيب قبعين ، رمضان لاوند ، شكري المقتدى ، انعام الصغير ، سعيد فواز ، عزمي النشاشيبي ، ثريا ملحس ، جعفر الخليلي .

النقد ١٢ محمد كامل حسين ، حكمت هاشم ، جار الله الحسيني ، ممدوحة السيد ، رشيد كرامه ، أمجد طرابلسي ، سليم الزركلي ، أبو سلمى ، عبد القادر محمود ، حفصة عثمان ، يوسف العش .

النقد ١٣ نهاد العمري ، فؤاد عباس ، محمود الحوت ، خاشع الراوي ، الياس خليل زخريا ، اكرام الحسيني ، حسني فريز ، سلمى صائغ .

النقد ١٤ مصطفى الخالدي ، رشيد بيضون ، الدكتور ابراهيم عبده ، الدكتور جميل سعيد ، يوسف العش ، نجاتي صدقي ، ألفة الادلبي ، رشاد دارغوث .

النقد ١٥ محمد الصافي النجفي ، صلاح اللبابيدي ، نقولا بسترس ، عبد القادر الصالح ، سميرة عزام ، احمد ابو سعد ، عبد العزيز سيد الاهل ، احمد سويد .

النقد ١٦ سميح الشريف ، مسرة فاخوري ، زينب الغزالي ، محمد جواد مغنيه ، شكيب الجابري ، رمزي نظيم ، سيف الدين الكيلاني ، عيسى الناعوري ، هند بنداق ، صلاح ذهني .

النقد ١٧ الركابي ، سامي الدهان ، نعمان ماهر الكنعاني ، حسن المأموني ، عائدة فهمي هاشم ، روكس بن زايد العزيزي ، نرجس داود ، عبد السلام العجيلي ، سميرة عزام .

النقد ١٨ علي الطنطاوي ، مغنيه ، حسين مروه ، جميل البديري ، كرد علي ، كزبري ، زينب محمد حسين ، نجاتي صدقي ، فدوى طوقان ، مقبولة الحلي .

النقد ١٩ خالد الجرنوس ، عبد الله شمس الدين ، روحيه القليني ، عبد الله المشنوق ، سعيد فريحه ، حنا غصن ، قيصر الجميل ، محمد عبد الحليم عبد الله .

النقد ٢٠ لولى هـــاشم ، عبد اللطيف زغلول ، احمد عبد الحميد ، سعيد فريحه ، سلمى صائغ ، محمد العدناني ، نبيه غطاس ، ثريا حسن ، جودت الركابي ، كميل شمعون .

النقد ٢١ اسكندر البيتجالي ، عبد الحليم عباس ، محمد الامير ، احمـــد سويد ، عبد الله المشنوق ، علي عبد السلام .

النقد ٢٢ عصام حمـــاد ، رشاد دارغوث ، أماني فريد ، عزت بشور ، حسني فريز ، محمود صالح ، الحاج ابراهيم الزين .

النقد ٢٣ وداد سكاكيني ، مقبولة الحلي ، ألفة الادلبي ، غالب امين ، امين يوسف وهبه ، ابراهيم دسوقي اباظه ، العوضي الوكيل ، عثمان الغزالي ، عبده محمد بدوي .

النقد ٢٤ مفيده عبد الرحمن ، سميرة عزام ، جعفر الخليلي ، زينب محمد ، ادفيك شيبوب ، حسين مكي .

النقد ٢٥ مبارك ابراهيم ، أسمى طوبي ، محمد جواد مغنيه ، ممدوحـــة السيد ، احمد مكي ، فؤاد حداد ، زهيدة حيدان ، نجاتي صدقي ، عيسى الناعوري ، محمد علي طوال ، نور الدين الرفاعي .

النقد ٢٦ زهراء ابو المكارم ، واصف البارودي ، كامل قسطندي ، احمد مظهر العظمة ، جميل صليبا ، فدوى طوقان ، رشاد دارغوث .

النقد ٢٧ محمـــد مصطفى حمام ، سليم حيدر ، القس عقل ابراهيم عقل ، سلمى صـــائغ ، أسمى طوبي ، مقبولة الحلي ، عدنان السباعي ، عبد العزيز سيد الاهل .

النقد ٢٨ مرزية القوتلي ، شكيب الجابري ، سليم حيدر ، مبارك ابراهيم ، بديع سريبه ، يوسف جوهر .

النقد ٢٩ ثريا حسين ، ناهدة بدرشاني ، خالتي ام درويش ، فاطمـــة ابو العز ، حورية جمال ، عفاف كنفاني ، سيد الاهل .

النقد ٣٠ زينب محمد علي، مصطفى فروخ ، رشيد وهبة ، وداد سكاكيني، نخـائيل نعيمه ، هند سلامه ، سعاد ابو شقرا ، صلاح الاسير ، اسماعيل جبروت ، احمد مكي .

النقد ٣١ سهيل ادريس ، نقولا زياده ، توفيق عواد ، أسمى طوبي ، صلاح ذهني ، عبد الرحمن اللبان .

النقد ٣٢ ادوار حنين ، سلمى صائـــغ ، سهيل ادريس ، سميره عزام ، ابراهيم محمد ، رضوان البلطجي .

النقد ٣٣ زبيده عبد الكريم ، محمود عنان ، مقبولة الحلي ، زكي المحاسني ، رائدة التبع .

النقد ٣٥ راجي الراعي ، العوضي الوكيل ، عبد الحليم عباس ، مديحـة نجيب ، عواطف هانم والي ، موسى النجـــاني ، حسين مكي ، نجاتي صدقي .

النقد ٣٦ حامد يونس ، سميره عزام ، سهيل ادريس ، امير بقطر ، عزت بشور ، خازن عبود ، أماني فريد ، موريس شهـــاب ، فاخر عاقل ، حكمت هاشم .

النقد ٣٧ كامل حسين ، سميه حموي ، عادل الغضبان ، حسن القـــاياتي ، مسرة شهاب ، معروف الرصافي ، عبـد السلام العجيلي ، عزت السيد ابراهيم .

النقد ٣٨ زهيدة حميد باشا ، مـــادلين أرقش ، أسمى فارس الخوري ، فاخر عاقل، نبيه غطاس، أماني فريد ، ابراهيم محمد نجا هارون، عبد العزيز سيد الأهل ، ادوار حنين ، أسمى طوبي .

النقد ٣٩ زينب محمد حسين ، عبد الغني حسن ، عبد المجيد أبو لبن ، سميره عزام ، كمال منصور .

النقد ٤٠ احمد سويد ، سميح الشريف ، هيلين ليا ، حنينه ضاهر ، امينة السعيد ، رشيد شقير ، فريد اللاط ، صفية قراج .

النقد ٤١ فدوى طوقان ، احمد ابو سعد ، عبد العزيز عريقات ، حموده ، عزيز أباظه، عزيزة خالد، أنور، عبد المجيد لطفي، حكمت هاشم .

النقد ٤٢ وداد سكاكيني ، طاهر سبيطه ، بهيج عثمان ، نخائيل نعيمه ، محي الدين النصولي ، قسطنطين زريق ، جميل المكاوي ، زاهية ايوب ، رشاد دارغوث ، طاهر ابراهيم .

النقد ٤٣ وديع البستاني ، عزيز أباظه ، كامل الكيلاني ، عبد الوهاب الاميني ، الشيخ حسن مخلوف ، رشيد العبيدي ، جمال الحنفي ، تقي الدين الهلالي ، عمر باوزير الحضرموتي ، محمد المويلحي ، زينب لبيب ، محمد علي حماد ، بنت الشاطىء .

النقد ٤٤ فؤاد صروف ، ميشال أسمر ، عبد القادر القط، خليل المطران، سميح الشريف ، سليم النعيمي ، صلاح الاسير ، املي فارس ابراهيم ، عبدالله أبو جوده ، سامي الشقيفي .

النقد ٤٥ سلامه موسى ، جبرائيل جبور ، رئيف ابو اللمع ، الاهواني ، عبد الغني حسن ، احمد كمال زكي ، فدوى طوقان ، نعمة احمد فؤاد ، مصطفى عبد الرحمن ، جعفر الخليلي ، درويش الجندي ، حافظ محمود .

النقد ٤٦ سامي الدهان ، حسيب عبد الساتر ، فؤاد صروف ، واصف الصليبي ، اميل خوري ، رشاد بيبي ، عاطف كرم ، سميره عزام ، توفيق عواد ، سيد الاهل .

النقد ٤٧ عبد الحليم عباس ، نخائيل نعيمه ، رشاد بيبي ، أديب العامري، زهيه حميد باشا ، فاخر عاقل ، القلقيلي ، روكس بن زايد العزيزي ، عبدالله الدرويش ، وداد سكاكيني .

النقد ٤٨ وليم صعب ، أمينة السعيد ، أديب الحداد ، مصطفى محمود ، حسن جواد الجشي ، ناجيه تاجر ، عبد الوهاب حمودي ، روز غريب ، نعمة احمد فؤاد ، الياس شبل الخوري ، بنت الشاطىء.

النقد ٤٩ عبـــد المحسن الرشيد ، نجيب صدقه ، شوقي ضيف ، راجي الراعي، سليم اللوزي ، هاشم الحسيني ، سلامه موسى .

النقد ٥٠ زاهية دوغان ، محمد صـــلاح الدين ، منصور بن خليل ، عزت بشور ، سلامه موسى ، زاهية ايوب ، النجفي ، فطينه الناثب ، محمد شكري ، قاسم الخطاط .

النقد ٥١ كميل شمعون، موريس شهاب،خليل السكاكيني، موسى الحسيني ، اسكندر الرياشي ، احمد زكي ، احمد سويد ، ادفيك شيبوب ، انعام الصغير ، احمد شنيب ، مقبولة الحلي ، عدلى سامي نور .

النقد ٥٢ احمد زكي ، أسمى طوبي ، سليم الزركلي ، عبـــد الغني حسن ، روز غريب ، مصطفى خشاب ، صفيه فراج، الزبير السنوسي ، بلند الحيدري ، حسين مؤنس ، طاهر الطناجي .

النقد ٥٣ عباس محمود العقاد ، عبد الوهاب الأمين ، عزت النص ، يعقوب الرشيد ، طه البشتي ، احمد شحاده ، علي السيار ، علي سعد ، احمد ابو سعد ، محمد العبتاني ، احسان دمشقية .

النقد ٥٤ عباس العقاد ، صفية فراج ، الأب كسرواني ، محمد حسن الهاويلي، صبيحةفارس، اسحق موس الحسيني ، كمال اليازجي ، عبد الرزاق الهلالي ، علي صدقي عبد القادر ، رشاد دارغوث ، فؤاد افرام البستاني .

النقد ٥٥ أمينة السعيد ، حسين مؤنس ، الدكتور نقولا زيادة ، احمـــد رامي ، يوسف داغر ، صروف وجبور وزيادة .

النقد ٥٦ عثمان نويه ، وفيق الملايلي ، سامي الصلـــح ، عبد الله اليافي ، جبرائيل جبور ، وداد سكاكيني ، رزوق فرج رزوق ، الحسين الحلي .

النقد ٥٧ فاطمة المحب ، نجيب صالحـــه ، انيس منصور ، سميرة عزام ، ابراهيم مطر ، سامي محمد ، روز غريب ، عبد الحليم عبـاس ،

موسى الحسيني ، محمد بهجت الاثري ، عبد الوهاب البياتي .

النقد ٥٨ خـــالد الجرنوسي ، مقبولة الحلي ، الدكتور علي شلق ، أدفيك شيبوب ، الياس خليل زخريا ، وليم باسيلي ، جميل صليبـــا ، عاتكة الخزرجي ، طه حسين .

النقد ٥٩ بديع حقي ، عبد الله شمس الدين ، عزيز أباظه ، احمد رامي ، عبـد الحميد الغزالي ، عادل عسيران ، محمد رضا الشبيبي ، زاهية ايوب ، بنت الشاطىء .

النقد ٦٠ احمد ابو سعد ، جوزيف نجيم ، مصطفى محمود ، سليمان قرباني ، يوسف ملكي ،محمد الشبيبي ، باقر، رزوق فرجرزوق ،امينابراهيم اللاذقي ، منير الدويب ، الحسيني ، فائز الغول ، طاهر البشتي ، محمد علي علوية ، سعد ابو العلاء ، عبد الحميد جودة ، احمد صالح الطيب .

النقد ٦١ صفاء الحيدري ، محمد صلاح الدين ، احمد الغزالي ، احمد مخيمر ، منير بشان ، جميل سعيد، روز الغريب، عز الدين المناقلي ، محمد حسن اسماعيل ، سانحة امين زكي .

النقد ٦٢ حسن الفنـــاي ، علي صدقي عبد القادر ، زينب الشيخ ،محمدعلي احمد ، فدوى طوقان ، احمد زكي ابو شادي ، سعيد عقل ، كمال اليازجي، سميرة عزام ، انيس بيبي ، احمد سويد .

النقد ٦٣ الشيخمنصوررجب،نورسلمان،موسىسليمان،روكسبنزائدالعزيزي، سهير القلماوي ، الصافي النجفي ، النصولي ، امينة السعيد ، سعيد عقل ، عز الدين المناقلي .

النقد ٦٤ رافائيل بطي ، عبد الحليم عبـــاس ، رشيقة العمري ، أكرم شكري ، عطا صبري ، رشيد زيـــد الكيلاني ، سعيد عقل ، محمد هارون الحلو .

النقد ٦٥ دوليب المهدي ، جبور عبد النور ، علي سعد ، احمد ابو سعد ، امينة السعيد ، روز غريب ، مبارك ابراهيم ، نجاتي صدقي .

النقد ٦٦ اسحق موسى الحسيني، عبد العزيزالعريفات،فؤاد صروف،سعيد عقل ، سليم باسيلا ، امينة قطب ، احمد الشريقي ، خليل الخشالي .

النقد ٦٧ حسني فريز ، انور احمد ، اسماعيل الحبروك ، الصاغ كمال الدين حكيم ، رافائيل بطي ، امينة السعيد ، انجل عبود ، عبد النور ابراهيم .

النقد ٦٨ محمد قدوره،محمد صلاح الدين،خليل هنداوي،طه حسين،نقولازياده، محمود تيمور، جبرائيل جبور ، نقولا شاهين ، سعيد عقل ، نازك الملائكة،حكمت هاشم ، عصام حماد، علي سليمان ، سميرة عزام .

النقد ٦٩ فؤاد صروف ، اسحق موسى الحسيني ، محمد اديب العامري ، عبد اللطيف شرارة ، فايز الغول ، حسين غناي ، مقبولة الحلي، كمال منصور ، زهير مرزا .

النقد ٧٠ ربحي كمال ، محمد يحيى الهاشمي ، سعيد عقل ، رشيد زيد الكيلاني ، احمد سويد .

النقد ٧١ فؤاد عباس ، عبد النبي بحداوي ، صفيه فراج ، فؤاد طرزي ، حسني فريز ، أسمى طوبي ، محمد اسعد الحناوي ،الشيخ عبد الله العلايلي ، عبد الله المشنوق ، محمود تيمور ، محمد روحي فيصل ، اسماعيل الحبروك ، انور احمد .

النقد ٧٢ شوقي ضيف ، عز الدين المناقلي ، محمد مصطفى حمام ، ابراهيم الوائلي ، سعيد عقل ، خليل هنداوي ، امينة قطب ، محمد عبد الحليم عبد الله .

النقد ٧٣ عبد الكريم الدجيلي ، عبود مهدي زلزلة ، رشاد بيبي ، سميرة عزام ، مرتضى شرارة ، علي الشرقي ، عبد الله المشنوق .

النقد ٧٤ سلامه موسى ، المازني ، ليلى اللبابيدي ، حسين الطنطاوي ، احمد بدوي ، عبد الغني حسن ، انور احمد ، جهان عوني ، محمد سعيد شاهين .

النقد ٧٥ ميشال اسمر ، سهير القلماوي ، روكس بن زايد ، محمد اديب العامري ، احمد سويد ، سميرة عزام .

النقد ٧٦ نازك الملائكة ، عبدالعزيز عريقات ، ليلى اللبابيدي ، روكس بن زايد ، عيسى الناعوري ، امينة الصاوي .

النقد ٧٧ خليل هنداوي ، عثمان نويه ، محمد فريد ابو حديد ، خليل الجر ، قسطنطين زريق ، جبرائيل جبور ، كمال يازجي، عبدالله فكري أباظه ، أسمى طوبي .

النقد ٧٨ ايليا ابو ماضي، روكس بن زايد، حسين هيكل، امينة السعيد ، محمود تيمور ، عزيز اباظه ، نظله الحكيم ، احمد عبد السيد الغزالي ، بنت الشاطىء ، سعيد عقل ، اسمى طوبي ، سميرة عزام ، اكرام الصغير ، احسان دمشقية ، نازك الملائكة .

النقد ٧٩ اسحق موسى الحسيني ، عبد الحليم عباس ، جميل سعيد ، بشاره الخوري ، نقولا زياده ، جوليا سعيد ، محمود زايد ، موسى الدجاني ، عبد الغني حسن وزوجته رقيه ، جبرا ابراهيم جبرا ، ناجية ثامر .

النقد ٨٠ زاهيه قدورة ، ماجده عطار ، عبله خوري ، جاكلين خوري ، اديب حداد ، عبد العزيز عريقات ، محمد عبد الحليم عبدالله ، محمد الحبوبي .

النقد ٨١ دليلة رضا ، عبد العزيز الغزالي ، احمد رامي ، احمد يوسف ، خليل هنداوي ، حكمت هاشم ، سلوى نصار ، راجي صهيون، انيس فريحه .

النقد ٨٢ اكرام الصغير، فؤاد صروف، فريده خوري، سميحه فاخوري ، رشدي معلوف ، علي الخطيب ، عبد اللطيف حمزه ، شوقي ضيف ، حموده ، جبرائيل جبور، جميل حيدر، محمد الهجري ، محمد روحي فيصل ، سميرة عزام ، احمد سويد .

النقد ٨٣ انيس فريحه ، زاهية ايوب ، ادفيك شيبوب ، نقولا بسترس ، زاهية قدورة ، كمال الحاج ، عزيز أباظه ، ابراهيم سلامه ، الغزالي ، احمد عبد المنعم ، محمود حسن اسمعيل ، سعد الدين فوزي ، سالم علوان الحلبي ، محمد الدوير ، محمود غنيم ، سلمى الحفار كزبري ، رضوان مولوي .

النقد ٨٤ رشيد شقير ، عز الدين فراج ، كمال قدورة ، بشير جحى ، عبد الوهاب حموده ، نسيب عريضة، روكس بن زايد ، العوضي الوكيل ، عثمان نويه ، ميخائيل نعيمه ، الأب ميشال حكيم ، وليم صعب ، نعيم مغبغب ، انور احمد .

النقد ٨٥ سميرة عزام ، محمد بدر الدين ، زهير مرزا ، نقولا بسترس ، وليم صعب ، حنينة ضاهر ، امينة السعيد ، علي الوردي ، محمد فريد ابو حديد ، محمد قره علي .

النقد ٨٦ أميرة نور الدين ، خاشع الراوي ، فؤاد عباس ، رياض معلوف، محمد سعيد ، سميرة عزام ، جعفر الخليلي ، خليل هنداوي ، حكمت هاشم ، تشارلز بكنجهام ، جورج هارون .

النقد ٨٧ رشيد شقير ، رامي والغزالي واباظه ، عبد اللطيف حمزه، سليم الزركلي ، بشير جحا ، عيسى مخايل سابا .

النقد ٨٨ راجي الراعي ، عبد الحميد ياسين ، زاهده حميد باشا ، نقولا زياده ، فؤاد كنعان ، عنبره سلام الخالدي ، صفاء خلوصي ، سليم الزركلي، فريد مطر ،ابراهيم الوائلي ، علي سعد، احمد ابو سعد ، محمد عيتاني .

النقد ٨٩ سليمان أباظه ، الغزالي ، محمد سعيد العريان ، علي الوردي ، علي الصغير ، الياس عبدو ، خالد نصرت ، شاكر العبيدي ، نقولا بسترس .

النقد ٩٠ حسني فريز ، جهان عوني ، عيسى الناعوري ، سميرة عزام ؛ ميشال اسمر ، عيسى طماش ، راشد الزعبي، ماهرة النقشبندي، محمود ابو الوفا .

النقد ٩١ العوضي الوكيل ، احمد حسن الباقوري ، عبد الكريم الخطيب، عبد المجيد الغزالي ، ابراهيم مطر ، عارف العزوني . كلمة وداع.

سنـــة ١٩٥١

النقد الاول

١٩٥١/١١/١١

كان النشاط الأدبي اوّل حديث اصغيت اليه ، فأعجبني القـــاء الاستاذ عبّـاس خضر ، باحث هذا الموضوع . الاستاذ خضر رجل جهوري الصوت موهوب حنجرة فضّية ، فلم تفتني نبرة او خفضة من كلامه .

اما في معالجة الموضوع فلا يؤخذ عليه غير انه طوّل حيث كان يجب ان يقصّر ، وقصّر حيث كان عليه ان يطوّل ، قضى ثلثي وقته المقنّن يناقش مقالتين ، ولما جاء دور الـكتب التي ظهرت حديثاً كانت زيارته لها لماماً . والكتاب في نظري ، أحرى بطول الزيارة والامتاع والمؤانسة من المقالة ، لأنـه أشد منها دلالة على النشاط الأدبي ، وفيه مرعى تَدُرّ عليه الاقلام ، ومتى وجد الماء بطل التيمُّم .

ثم تعرّفت في ذلك النهار عينه بشخصية الاسبوع الدكتور نبيه فارس . كان الاستاذ بيبي يسأل والدكتور فارس يجيب ، فرأيتني اعود عشرين عاماً وأكثر الى الوراء . تذكرت ايام كان رشاد بيبي ، ذلك التلميذ الطاهر ، يلقي في بحر درسي شبكته الضيّقة الثقوب ، وإن كان يطرحها على دلفين .. أجل تذكرت ما كان يسألنيه ذلك الفتى فمذرت الدكتور نبيه فارس .

ما قولك بمن تسأله ما هي الكرامة ؟ حتى إذا أجاب بتمطّ وفرغ منها وهو يلهث، تسأله وما هي الشجاعة ؟ حقاً إن نَصْبَكَ نفسك هدفاً لشجاعة أدبية أي شجاعة !! ما خِلْتُ دكتورنا العلامة إلا مناضلاً على غير جبهته ،

وإلا فهو مرتجل ، والجامعيّون ، وخصوصاً علماء التاريخ منهم ، قلما قدِروا على الارتجال لأنهم يعتادون التمحيص والبحث العلمي ...

وسمعت قصة للسيدة أديبة شكري ، عنوانها : بَريق الذهب . العنوان غرّار ، وهل في الدنيا شيء يَغِرّ أكثر من بَريق الذهب ؟! ولكن القصة ليست كإسمها فلا بَريق ولا لمعان ولا بَهْرَج . كان أولى أن تسمّى حكاية لأن للأقصوصة عناصر فنية لم تفز حكاية السيد شكري بواحد منها ، فأين السياق المشوّق المغري ، وأين الانشاء الأنيق ، وأين الحوار البارع والتحليل في حكاية بَريق الذهب ؟! الشخوص لا سحنة لها ولا جبلة ، ما عرفناها إلا بأسمائها لأنها لا تحمل بطاقة هوية ... أما الموضوع فأعتق من الخبز ... كان على كاتبة قصة بريق الذهب أن تحسن ختامها على الأقل ؛ فتقف عند قول أبي رَبابْ لإبن أخيه : إن رباب لك منذ اليوم . فسيّان عند الفن أعادت لأبي رباب ثروته بعد حين أم لم تعد .

هذا من حيث الانشاء والفن القصصي ، أما القراءة فسقيمة . كان على السيّدة شكري أن تعنى بضبط ما كتبت قبل القائه ، فلا تقول وحدة — بكسر الواو — ولا عقار — بكسر العين — ولا لم تقق — بضم الفاء — وهي تريد افاق لا فاق . وقـــد قالت الغير المتكافىء ، وحقها ان تكون غير المتكافىء ، كما وردت في الكتاب العزيز : غير المغضوب عليهم .

ثم استمعت الى حديث ندوة الشرق الأدنى التي دارت رحاها في العراق فكان موضوع البحث : النقد العربي بين القديم والحديث ، وكان المتناقشون ثلاثة : الدكتور مصطفى جواد والاستاذان عبد الرزاق محيي الدين ، وعبد الستار الحواري ، فصبّوا جـــام النقاش على رأس النقد القديم . نعوا على القدماء هذه الفقرة الحِكَمِيّة : انت اشعر العرب ، ثم خلصوا الى أن أساليب القدماء لا يجب أن تتبع كل الاتباع لأن لكل أدب نقداً .

تشكّوا جميعاً من ميل النقّاد مع الهوى ثم أجمعوا أخيراً على انه لا بد للناقد من ثلاثة أشياء : إحاطة وخبرة وذوق . وتمنّى أحدهم أن يكون الناقد من المنشئين ليقدّر شقاء المؤلف وعنـاءه فلا يحاسبه على هفواته . ترى أيفوت الدكتور وصاحبيه ان النقد متى خلا من هذه المحاسبة لا يكون نقداً؟ وهل فاتهم أيضاً ان من لا يكون كاتبـاً أو شاعراً لا يحسن نقد هاتين الصناعتين ؟

وطال إنتظاري رأيهم في النقد الحديث ولكني لم أظفر إلا بمـا قيل عن النقد القديم ، وهكذا كان بحثهم فضفاضاً رجراجاً ، غير مفصّل على القـدّ كأثواب اليوم ، كما كنا ننتظر من ثلاثة أساتذة على رأسهم علاّمة تثقل كاهله ثلاثة ألقاب : دكتور ، وعضو بمجمعين عراقي وشامي .

النقد الثاني

٩٥١/١١/٢٢

لا حول ولا قـوة إلا بالله ! هوذا المحطة تستحيل كنيسة ، والقسيسان المحترمان ابراهيم سعيد ونجيب قبعين يطرقـان باباً واحداً . كان اللسان موضوع الأول منهما ، وكانت الغيبـــة موضوع الثاني ، وكلاهما في اصطلاح اللاهوتيين يعنيان خطيئة القول ... ليس لنا ان نقول لواعظ او كاتب ماذا يجب أن يقول ، فالمهم هو ان نحسن التعبير عما نريد . فالمواضيع المبتذلة اذا أحسن إخراجها وتأديتها قبِلهَا الناس ، اما اذا كتبت تقليدياً كما سمعتهـا فقد تصلح لرعية صغيرة ولكن الألوف المؤلفة من مستمعي هذه المحطـــة لا تستسيغها. واني لأعجب من اين جاء القس القديس بفعل استغاب وهو لا يدور لا على ألسنة العوام ولا على ألسنة الخواص ، ومثل هـــذا ايضاً قوله : مهما « تريدون » ان يصنع الناس بكم الخ .

اما أحاديث الصباح واكثرها من لون عظة الاحد فليتها تكون متنوّعـة لتهز سامعيها وتُذهب عنهم لوثة النعاس ... وبعد فإني اعتقد ان الانسان يكون موعوظاً عند الصباح ، وحسبك الليل من راهب واعظا .

وكان الحديث بمناسبة ذكرى « شاعر الملاح التـــائه » علي محمود طه . اجتمع عليها في ندوة الشرق الأدنى ثلاثة أساتذة : عبد العزيز سيد الاهل ، وقاسم منصور ، وحسين مكي ، فدرسوا الشاعر من الجهات الست لا الاربـع فقالوا كل ما يقال في شاعر كعلي محمود طه . أعجبتني كلمة قالهـا احدهم ،

قال ان الشاعر علي طه المهندس كان مهندساً في شعره،وهي كلعمري، خير ما يقال في شاعر متأنق كطه . وقصارى القول ان تلك الجلسة كانت منسجمة كل الانسجام • ما رأيت فيها شيئاً نابياً غير نبرات وهمهات إستحسان كانت تجيء غير طبيعية .

قصتا الاسبوع – كانت إحداهما موضوعة وعنوانها تباشير الفجر للاستاذ صلاح ذهني ، وصف كاتبها قلبين متحابين لم تصف لهما الايام . ومضى الكاتب في حل تلك العقدة النفسانية كما يفصل قصصيّو اليوم فلم يوفق . اما تلك المرأة الـــتي شاء ان يحرقها ، لينقذها ويتّخذ منها عبرة لقصته فقد رأيتها كتلك الغصون التي تنبت على الجذوع ، او كدم يدخل في شرايين مريض وهو ليس من نوع دمه ... السياق لا بأس به ، والتعـابير حسنة ، ولا يؤخذ عليه إلا قوله : صبّ من شفتيه عليهـا – اي على يد حبيبته – عهد الزواج . فليته قال : ختم عهد الزواج بتلك القبلة ، فالفم يشبّه بالخـاتم ، وهو يلائم العهد الذي يُختم ختماً ولا يُصَبّ صباً ... وقال ايضاً في آخر قصته : جـاءت اخته تقرأه تحية الصباح ، وهنا اساء من جهتين : واحدة لغوية لأنه يقال قرأ عليه السلام لا قرأه السلام ، واخرى معنوية وهي ان السلام يقرأ بالنيابة ، كما يقرأ حديثي الآن ، اما الاخت فهي حاضرة بنفسها لتؤدي التحية .

وسمعت بعرس القمر فانتظرته كحجا ، وإذا بي اسمع العلامة الشيخ محمد بهجت الاثري ينشد قصيدة لم يأخذ طولهـا شيئاً من سمنة تعابيرها واحكام قافيتها الواحدة . نعم ان اكثر معانيها مكرورة ولكن جِرْسَها رخيم ورداءها جميل ، ينعشها ما فيها من حنين وحب وشوق ، فالشاعر فيها ككل محب يخاف على طير الحب ان يفلت ، ولهذا قال :

اريـد اندماجي في نفسها لأني أحاذر منهـا الفرار

وتحدثت السيدة وداد السكاكيني عن محنة « أدبنا المعاصر » ، فدعت الى التطور والتطعيم ، ثم عَتَبَتْ على أدباء لبنان إقبالهم على الشعر الرمزي ، ودعت هي الى الشعر الابداعي أي الرومنطيقي .

ليست الآفة آفة الرمز يا سيدتي ولكنها آفة التطرّف فيه ، فعناصر الرمزية موجودة في كل شعر حتى الجاهلي منه . وأخيراً ترى ان الأدباء الكبار قد انصرفوا الى الصحافة طمعاً بالمال ، وان المرأة مدعوة لانقاذ الأدب في بيتها . أما كيف هذا فهذا ما لم أفهمه ! أعرف ان المرأة نفذت في مضائق كثيرة عجزت عنها الرجال فلعل هذا منها والله أعلم .

وعرضت علينا السيدة ميزفا حكيم النشاط النسوي عرضاً جميلاً لبقاً ، ولكن حكمها أخيراً على ان الشاعرة نازك الملائكة بلغت الأوج الفني في قصيدة ، تنقصه الحيثيات والفذلكة ، وكل قضية لا بد لها من القياس لنسلم أو ننكر . أما الدكتورة بنت الشاطىء فأطالت مقدمة حديثها وأكثرت من الهتافات ، فيا ليتها أسمعتنا عوضاً عنها مثل الذي سمعناه منها عن أرض المعجزات .

النقد الثالث

٩٥١/١٢/٧

سمعت في هذين الأسبوعين ثلاث أقاصيص : واحدة عنوانها عاقبة الغرور اقتبسها الدكتور علي سليمان ، والاقتباس في نظري يشوّه كل تصنيف وخصوصاً القصة . فالملخّص لا يعنيه غير الحادث ، والحادث ليس بعنصر القصة الأهم . التعبير جيد ولا يشينه إلا وضع الكاتب مثل عبـــارة يجدع الأنف البدوية ، الى جانب « لاحظ عليّ » ، و « كشف عليها الطبيب » العاميتين .

أما القصة الثانية فهي من عند صاحبها الاستاذ محمد شوشه وقد رأيتهـا خيراً من المقتبسة ، فكان كاتبها يدرك انه يصعب جداً على القصصي ان يعود الى جو قصته اذا تركها سنين ، ولهذا هيـــأ لبطل قصته « شكسبير الصغير » جواً ملائماً . واذا خلت هـــذه الثانية من التعابير السوقية فانها لم تخل من مثل « خفيّ حنين » التي جاءت كرقعة عتيقة في ثوب جـــديد . أما الأقصوصة الثالثة فقـــد أخرجتها الآنسة سميرة عزام بأسلوب عربي لا غبـــار عليه ، واما الأصل فـلا اعرفه لأحكم على صحة الترجمة ، وفي هذه المناسبة اقول ان ذكر اسم الكاتب واجب .

كانت قراءة الآنسة عزام بليغة ككتابتها ، وقد ذكرتني بحوّل وحوامل البحتري حين قالت الاشجار العاقرة . اما ’فجأة بضم الفاء فهي غير صحيحة، فهي فَجأة بالفتح ، او ’فجاءة بالضم وقالت ايضاً حدق في الفتاة ، وهنا يقال

حدق اليها لا فيها ولا بها .

اما أحاديث الصباح فثلاثة منها راقت لي ، كما راق سواها لغيري ، ولولا اختلاف النظر ما نفقت السلعات . اولها حديث الاستاذ عبد الغني حسن عن شخصية الجاحظ ، وان كان جاحظنا المحبوب ليس ممن يحلو ان يُتصبح بهم .. فليت الاستاذ مال ، ولو قليلاً ، الى ظرف ابي عثمان ورمي النـاس باحدى نوادره لتتفتح الأفواه الكازّة صباحاً ... اما الحديث الثاني وعنوانه « كن سعيداً » فكاتبه ممن يؤمنون بايحـاء التكرار . شاء ان يكون السامع سعيداً فردد كن سعيداً كثيراً حتى صدقت انني سعيد طول ذلك اليوم . اما الحديث الثالث فللأستاذ ميخائيل نعيمة وهو خيالي رمزي من طراز ما يحبّره قلم الاستاذ .

وكنت انتظر محاورة ادبية فاذا بي اشهد مؤتمراً طبياً ، وكذلك اصابني حين اصغيت الى حديث العمال فسمعت حديثاً اقتصادياً لا عمالياً .

لست متذمراً ، فمن كان مثلي يعيش على الحمية فهو احوج النـاس الى ارشادات الطبيب ولا سيما اذا كانت مجاناً ، وفيها المتعة والفائدة مثل جلسة الدكاترة سامي الحـداد وموريس نصار وعبد الرحمن منو ، الذين لم تفتهم الفصاحة حتى عبر احدهم بقوله عن اطباء لبنان : حازوا القدح المعلى . ان لفظة القدح أمست تقدح طبلة الاذن ، لان دهرها مضى . روى الجاحظ عن الاصمعي فقال : « قد كان للعرب كلام على معان ، فاذا ابتذلت تلك المعاني لم تتكلم بذلك الكلام » ، فأين نحن اليوم من القدح المعلى والموّطا ؟ .

وسمعت ايضاً احد الأطباء الثلاثة يقول: نصح طبيب اوروبي احد مرضاه ان يأتي الى لبنـان لأن فيه ادوية لا توجد هناك ، فقلت ترى في اي مختبر تصنع هذه ، ولكن الجواب لم يبطىء علي . فلعلّه مناخ لبنان الذي سـأل عنه الاستاذ بيبي في آخر الجلسة ، او مياه الشفة التي رددتها شفاه اطبائنا

مشددة وكان عليهم إن يخففوها فتصير فصيحة ، لأن التعبير جميل ، ولا غبار عليه إلا التلفظ به .

اما العيادة السيكولوجية فباب طريف ، وقد أحسنت المحطة صنعاً في إيجاد هذا الركن ، ولا يعيب حديث الدكتور ملكيان إلا خلطه الكلام الفصيح والعامي ، فاما هذا وإما ذاك . واذا سرنا قدماً في برنامج المرأة رأينا ان رسالة النشاط النسوي الاردنية للآنسة ندى حنّون قد كانت اخباراً محلية فما عناني منها شيء ، اما رسالة الازياء فأرى ان يدقق اكثر في كتابتها فلا يقال مثلاً : ان الكم كمين . فمحطة الشرق الادنى تكاد تكون وحدها الناطقة بالعربية فقط ، فلا عذر اذن لمن يبث منها اذا لحن . وبناء على هذا يحسن بي ان اشير الى ان بعض المحدثين يُعدون : قال وتذكّر بالباء ، كأنه يفوتهم ان في العربية جملة تسمى مقول القول . اما السيدة وداد السكاكيني فشغلتنا عن اللباب بقشور مقدمة طويلة كانت في غنى عنها . فما الداعي الى التحدث عن تقليم الاظافر ، والاهداب الاصطناعية ، ثم ذمها . ولكن الجزء الثاني من حديثها يشفع بهذا لانه كان ممتعاً وإن كان التقريظ فيه قد كيل بالمد ، حق تحسبها توزع الكوتا ...

اما برنامج الاطفال فأتمنى ان تكون لغته فصيحة بسيطة ، فالحديث موجه الى اطفال الشرق الادنى جميعهم ، فلهذا يحسن ان نبتعد به عن اللغة العامية ، اما المنهج الذي سمعته فكان حياً لذيذاً .

لقد ابقينا الأدب الصرف والشعر الى الختام . انني لم استمع إلا الى حديث واحد أدبي ، وهو حديث الدكتور يوسف العش . كان افتتاح الحديث مشوقاً مغرياً ، وظل كذلك الى النهاية . كان الموضوع « ليتني كنت أديباً » فراح الاستاذ يتدفق في موضوعه معظماً من شأن الأديب

حتى تمنى ملوك الأرض التنـــازل عن عروشهم لو ضمن لهم الجلوس على عرش الأدب .

إن حديث العش كان خير أحاديث هذين الاسبوعين ، وإن لم يعجبني منه إستعماله فعل ازدرد للعسل ، وهو لا يجهل ان ازدرد من زرد ، وفي هذا الحرف ما فيه من شد واحكام ، والعسل لا يقتضينا ذلك .

أما الشعر فسمعته من الاستاذ محمود الحوت . النظم جيد ولكن حظ الشاعر من الخيال قليل . كان الشاعر كثير التنحنح مع انه ينشد شعراً ، والتنحنح يفسد الجو الموسيقي . قال مطولة على الحاء فأضعف طولهـــا قوافيها ، كما يضعف الطول المفرط قامة الرجل ، وقـال قصيدة أقصر عنوانها « زمردة » فلم تكن كإسمها . اما قوله واهني — أي قلبه — فهي اخت خافقي ، وكلتاهما غير جديرتين بالشعر الصافي .

وسمعت أيضا شعراً للآنسة أماني فريد ، أنشدته على الانغام الموسيقية . قال المذيع : قراءة شعرية ، وقالت قبل إنشاد قصيدتها الاولى : نظمت ، فلم أدر أي الظاعنين أشيع . وقد اضحكني تأنيثها لبنان في الشعر حين قالت : لبنـان الجميلة . وترفعت عرش الجمال . وهكذا صحّ فينا قول طرفة في ذلـــك الزمان : استنوق الجمل . ان الكلام المرسل لخير من المنظوم ، ترى هـــل كانت تقول : ترفعت عرش الجمـال ، وسبحانك الخلاّق ، لو لم يضيّق عليها الوزن ، وهل كانت تقول وديان لو لم تقض بذلك القافية ؟

الى اللقاء والسلام عليكم .

النقد الرابـع

١٩٥١/١٢/٢٧

كثر الكلام عن حقوق الانسان بمناسبة ذكرى يوم اعلانها ، ولعـل حديث الاستاذ يوسف دوناتو قد كان خيرهـــا . فالاستاذ دوناتو حلل ودرس وبحث ما يعني أقطارنا من هذا العمل الإنساني العظيم ، اذا تحقق .

أما أحاديث الصباح فأكثرها معاد معار . جميـل ، مثلاً ، حديث الاستاذ أنور سلطان ولكن جلّه ليس له ، فطريقته فيه كطريقة وعاظنا فاكثر مواعظهم ليس من كلامهـم ... وعلى صعيد واحد تلتقي احاديث الصباح باحاديث الاحـــد ، فيتبادلان السلام بالرب ... فنسمع الاستاذ ثيودوري يحدثنا عن اتباع طريق الحق والمعاملة فاذا هو مكرّ مفر مقبل مدبر معاً ، لا يلتقي بعنوانه الا لماماً . اما حديث القس جورج خوري عن الادّخار المحمود فموعظة كنسيّة تبدأ حسب التقليد بـآية بولسية ثم تختم بأبد الآبدين ، آمـين ... وهكذا كان بسط موضوعه ، وخصوصاً مثل البحيرة التي لا مصرف لهـا ، خيراً من مطلعه البروتوكولي وختامه الأزلي السرمدي ... فليت الوعاظ المحترمين يقرأون لاكورديير وسواه .

ثم تأتي برامج الاطفال ، وهي من معروضات يوم الاحد ، فتراهـا جميعها معدة اعداداً حسناً يحقق فكرة المحطة في انمـاء الغرسات الجيدة لحديقة الامة . وخير ما سمعته منها برنامج السيد حسين فياض . كان مفيداً ، ومسلياً ، ومطرباً . أجاد السيد فياض تمثيل رؤيا بحيرا الراهب ، وحلم عبد المطلب ، فقدم الى الاطفال خير هدايا العيد .

اما حديث « في ميادين العلم والثقافة » فقد وجدتني مقصّراً عن مناقشته لأن أكثره كان حسابياً كسعر البطاطا وغيرها . ولكن السيد كامل الكوللك قد رغبني ساعة تحدث عن زيادة عدد البشر بعد مئة عام ، فخفت ألا أجد طعاماً في ذلك الزمان وأموت جوعاً ...

واذا انتقلنا الى برنامج المرأة وجدنا حديث النشاط النسوي في جميع الاقطار اخباراً محلية اجلها شأناً خبر نوال المرأة اللبنانية حقوقها السياسية ، وجعل صناديق الاقتراع واحدة للجنسين ، فالحمد لله على السلامة ... اما الابحاث فاكثرها لذيذ كبحث عبقرية المرأة وانوثتها للانسة عادلة فروخ . كان هذا البحث نفسانياً فسيولوجياً ، ولكن تكريرها كلمة رسالة المرأة لم يعجبني ... اما كثرت جداً هذه الكلمة حتى اصبح لكل ما هب ودب « رسالة » ؟

وفي حديث الآنسة فهيمه حافظ عن مكتبة الطفل متعة تحليلية ولكني أؤثر ان تترك تلك العناوين فلا تقول : وصف القصة . مميزات القصة . فوائد القصة . ولا أولاً وثانياً ، وثالثاً . وأخيراً فهي تحدث ولا تؤلف . وفي تلخيص الكتب أجادت الكاتبة أسمى طوبي ولكن الكتاب الذي لخصته اهتم بأمر صحفيات اكثر من الكاتبات ، وكثيراً ما تكون منشئة الصحيفة غير كاتبة كالسيدة الكسندره فيرنوه ، مثلاً .

اما ذكرى السيدة هدى الشعراوي فاحسنت الآنسة عزام احياءها ، وعددت افضال هذه الزعيمة على نهضة المرأة ، اذ حاربت الحجاب وتعداد الزوجات وأسست جمعية الاتحاد النسائي ، ففتحت افاقاً شتى بوجه المرأة .

ولعائشة مرعي حديث مولد فتان كان جامعاً مؤيداً ومن حق المرأة ان تبدع في ذكرى المولد الشريف لأن حقوقها ، بل قل حياتها قد ضمنت يوم ولد الرسول المكرم ، فاذا كان الدكتور مصطفى جواد أبا بصير هذا الموسم . فقد كانت عائشة خنساءه ، وكلاهما كانا مناضلين .

وهنا لا بد للمذيع من قرصة . كان يعد لبعضهم فراشاً وثيراً ناعماً ، وينيّم البعض الآخر على الأرض . فالدكتور مصطفى ، مثـلاً ، دكتور وفقط .. امـا هذا وذاك ، وتلك وهاتيك ، فترقص امـام موكبهم الزفزافات ، وتعدو خلفهم ، سيارات الجيب ..

لم يبق لدينا من برنامج حبيبة القلب إلا مـا سمعنا في باب « بدأن الحياة » . سمعت غناء قبل دخول الموضوع ، فأتهمت أذني ، فمدت اليه ظهر الغد ، فاذا أنا غير مخدوع ، لم استغرب تلك الطرافة التي يرتجلها الاستاذ بيي فتجيء عفو الطبع ، وتلك شنشنة اعرفها من اخزم . ولكنها حلوة جداً ، وهل أحلى من امتحان الحسان ذوات الصوت المرنان ؟ كانت تلك البادرة طريفة كأسئلة الآنسة انعـام الصغير فيما بعد ، وما كان اعظم حظ « فيروز » المطربة الناشئة بهذا الاعلان الطريف .

اما ندوة الشرق الأدنى فاسمعتنا حديثين : الاول ابطاله الشيخ سعيد تقي الدين ، القصصي الطريف ، والأستاذ عبدالله مشنوق مـارك توين العرب ، والدكتور قسطنطين زريق ابن خـلدون الوعي القومي . لقد احكمت قعدتي أمام المذياع لئلا استلقي على قفاي من الضحك ، ولكن ظني قد خاب ، فأدباؤنا هـابوا المرأة ، وكم أرهبت المرأة من ابطال . لم يمسها الا سعيد بقوله : تبرّج اجتماعي ، وكفى الله المؤمنين القتال .

أما القصص فاثنتان . واحدة للاستاذ رشاد دارغوث القصاص اللبناني المجيد ، وعنوانها نصيحة بلا ثمن . الاستاذ يعرف كيف ينتقي شخوصه ، فيأخذهم ممن قتلهم معرفة ، فيجيد التحليل والقص . لا يحرم ابطاله من تهكم رصين وسخر ناعم فيقول مثلا : صارت مشروع ابتسامة . ناهيك انه بارع في خلق شيء من لا شيء كذلك السر الذي لم يبح لنا به . قـد لا يكون هنالك سر ولكن الفن صيّره سراً يشغل البال .. واذا عرفت ان دارغوث متأدب بأدب السلف حتى التزّمت يزول عجبك من استكباره

سؤالاً بسيطاً : كم صار معاشك ؟ فاذا كنت لا تفهم شخصية دارغوث على حقها فلا تفهم قصته فهماً تاماً . أما القصة الثانية وهي للأستاذ يوسف جوهر القصصي المصري الموهوب ، فكان عنوانها « راعية الاحلام» ، وهي جميلة العرض والتحليل ، وذات عقدة مؤثرة . ولكنه طوّل ذنب الختام فحطت قصته رحالها . أما قوله : على أحر من الجمر ، فلا يتفق مع عباراته الاخرى . ترى اما وجد غيرها في عصر الندرة ؟ امـــا عبارة : ابتلع دموعي ، فما اعجبتني ، كما لم يعجبني قوله : برأسه البيضاء . فمـا الداعي لتأنيث الرأس ؟ بل ما الداعي لتذكير الحماسة ؟ نقول حماساً ونخطىء .!!

وأما الشعر فكان اكثره تقليدياً . قال الأثري قصيدة خلتها لأبي تمام ، والاستاذان ناجي القشطيني وعبد الباري شميشع ،نظما ولم يشعرا .

وروضة الشعر للدكتور جواد محبوكة كانـها مجمهرة ، ولا عيب فيها إلا ان الشاعر ، وقـــد (نظمها اسماطاً اسماطاً ، وأغصاناً اغصاناً) يقول فيهـا : لديا وأبيا ، وغويا وريا . قد يعذر من يقول مئـة بيت على قافية واحدة اذا احتاج الى السناد ، ولكن مثل هذا المجال القصير الذي يقطعه الرجل على الريق ، فلا يحتاج الى سناد .

مآخذ : وأخيراً أقول انني اتبعت هذه المرة خطة جديدة في التصحيح لعلها أستر وأقل ألماً ، وبناء عليه أقول : سمعت في هذا الاسبوع أخطاء أهمها هذه : أن بها أخبار عديدة ، والصواب : أخباراً . وقرأ أحدهم فاختطر والصواب اضطر (بضم الضاد) وقال آخر تعوّد على ، وهـــذا الفعل يتعدى بنفسه . ثم نوايا : والصواب نياتي . بلغ أشده ، وهي بضم الشين . اذا لم أفعل ذلك أكن والصواب أكون لان اذا لا تجزم . وقيل انضام وهذا الفعل غير موجود ، وسمعت بضمة مقالات والصواب بضع ، وأخيراً لن أنسى قط ، والصواب لا أنسى قط ، واما لما فمتى دخلت الفعل المضارع فهي حرف جازم .

سنة ١٩٥٢

النقد الخامس

١٩٥٢/١/٣

برنامج المرأة — بناء على تقاليد اليوم التي أعطت المرأة حق الصدارة في (التشريفات) حتى أصبحت لا تقف لأحد عند السلام — رأيت ان اقدم نقد برنامجها هذه المرة ، مبتدئاً بحديث ، الطفل المزاحم ، للآنسة انعام الصغير . العنوان مثير . كان العوام يقولون : ولد ورش . ولا يدرون انه غيور حتى جاء فرويد ، وبعد بهذه الغيرة (الولادية) الى اقصى حدودها . قابلتْ الآنسة انعام بين الغيرة في طفولة البنين والبنات . ولعلها تغير رأيها حين تقارن ما تعلمته في كتب علم النفس بملاحظاتهـــا العتيدة في الحياة ... الحديث تربوي ينير طريق الأمهات ، ولـكني لا اجاري علماء النفس الذين تطرفوا في الموضوع تطرفاً كبيراً .

ومن غيرة الطفل على امه ننتقل الى غيرة الام في قصة « المرأة الخالدة » للسيدة الفة الادلبي . التعبير جميل والوصف حسن ، والمرأة في كل حال هي اقدر منا على وصف غيرتهن . لم تحسن السيدة الفة تشابك الحوادث في سياق قصتها كما احسنت التحليل في صدرها . اما الالقاء فجيد وان كانت تخفـف صوتها للترنم فيضيع عليّ بعض كلامها . قالت : في السابعة عشر من عمرهـا ، وهي امـا السابع عشر على تقدير العام أو السابعة عشرة على تقدير السنة . أما تجاعيد فلا تنوّن لانها ممنوعة من الصرف .

وللدكتورة اكرام الصغير حديث عنوانه : هل تكفل القوانين الحديثة

الحماية الكافية للمرأة . أفاضت في موضوعها افاضة دكتورة فأثنت على تحرر المرأة الرومانية . وفاتها ان تذكر انه كان من النساء نبيات عند العبرانيين ، وانتهت الدكتورة الى ان المرأة لم تتحرر بعـــد لان عقلية الرجل تأبى ذلك . اني أخاف يا سيدتي الدكتورة ان يخلو البيت في الغد من الـكان ، فبعد تحرير المرأة سوف تأتي حرّية الأطفال متى بلغوا الفطام .

وفي هذا البرنامج حديث بمناسبة عيد الميلاد للـكاتبة المخضرمة السيدة سلمى صائغ . لم تشأ ان يكون حديثاً عادياً على النحو المعروف في هذه المناسبة فكتبت قصة جعلت بطلها رجلاً نذلاً يسرق ديناراً شاءت سيدة رعناء ان تكون بابا نويل فوضعته في حذاء بنت بائسة مكوّمة على جانب الطريق ، فسرقه مقامر خاسر وعاد فلعب به فربح كثيراً . ثم راح يفتش عن البنت ليتبناها فما وجدها . القصة ناجحة ، وليت سلمى حدثتنا عن النساء المقامرات بدلاً من الرجال ، فموضوع المرأة المقامرة نادر ، ولعله أطرف وقد لا يحسنه إلا امرأة ...

واذا انتقلنا الى حديث الصباح رأينـــا انه لا بـــد من التنويه بحديث الاستاذ محمد طاهر اللاذقي وعنوانه الدجل والدجالون ، أما مارون عبود في حديث الميلاد ، فما رأيته إلا كاهناً عتيقاً لا ينقصه إلا الثوب واللحية ، أما صوته فأراحنا منه القارىء عنه بالنيابة ، فله الشكر .

وهناك حديث جمعة للشيخ محمد المغربل ، لقد علّم الناس الحلم بالمثل بما رواه من حكايات عن رسول الله . كان العنوان : ادفع بالتي أحسن ، فأرتنا الحكايتان كيف دفع النبي العظيم فظاظة ذاك الاعرابي الجلف وألقى عليه وعلى من حضر درساً انسانياً رفيعاً .

وما زلنا في صدد الاحاديث الدينية فلا بد من الثناء أيضاً على حديث « رسالة الأرض الى السماء » للقس فريد عوده . ان رئيس الطائفة الانجيلية

في بيروت واعظ ملسان ، فالصوت صوت عيسو واللمس لمس يعقوب التعابير تعابير خطيب مدني بليغ ، واللهجة لهجة واعظ . لم يسم المسيح الا كلمة الله والروح الصالح ، ومن يطالبه بأكثر ما زال الجميع يقولون على اختلاف الملل والنحل : الكلمة صار جسداً وحلّ فينا .

ثم ننتقل الى مختارات شعرية للاستاذ احمد ابو سعد . ظننت انها باقة طريفة من شعره فإذا بها لهذا وذاك من الشعر المقروء كثيراً . كنا ننتظر من صاحب « حمم » ولو بعض حمم فخاب الظن.

أما في الاحاديث الادبية فقد تحدث الدكتور جودت الركابي عن « مسؤولية الكاتب » واراده مناضلاً عن الحرية ، لا مؤمنا بنظرية الفن للفن . ليس لنا ان نعارض .

ويلذ لي اخيراً ان أنبه الى ان استعمال « كافة » مضافة غير جائز ، فلا يقال كافة التأثيرات بل يقال : التأثيرات كافة . وكذلك لا يقال : رب قائل يقول ، كما قال الاستاذ تيودوري بل يقال ورب قائل قال .

النقد السادس

١٩٥٢/١/١٧

ان ناقد أحايث الاذاعة كمن يقنص العصفور طائراً ، فاذا لم يكن رشيقاً ضاع التعب . اقول هذا بمناسبة اصغائي الى برنامج المزارعين . بينما كنت استمع اليه اذ دخل علي احد اباء تلاميذي فأومأت اليه بجمع يدي مستمهلاً وداعياً الى الجلوس فقعد وأصغى . ولما سلمنا قال لي : ونحن نخطر على بال الناس ! اية محطة هذي ؟

قلت محطة الشرق الادنى . فهز برأسه وهو يقول : هذا حديث ينفع البشر . حقيقة انها محطة سهرانة . نشتري راديو ان شاء الله . اعجبت الرجل الاخبار والاسعار ، ووصفات المكافحة والارشادات الطبية ، ولست ازيد على ما قال لأن فيه الكفاية .

واذا انتقلنا الى أحاديث العام الجديد رأينا حديث السيدة متيل مغنم من الكلام الذي اعتدنا سماعه في مثل هذا الموقف . تمنيات وأمانٍ على كل لسان ، نضع كل خطيئة تأخرنا في رقبة الاستعمار ، وما احسبه إلا موقظاً للشعوب الغافية .

اما حديث الاستاذ الشيخ الياس زخريا فذكرني بالريحاني اسلوباً والقاء ، وسجعاً وتكراراً : هي المهرب في المهرب ... هي المطلب في المطلب . هي المصب في المصب . لازمة تعاد وأخيراً صلاة . ما أحلى الصلاة اذا لم تكثر وتصبح موضوعاً مبتذلاً .

وهنا حديث العيد وعنوانه « المحبة تستطيع » للسيدة اسمى طوبي ، ولكنه لم يكن من بابة مواضيعها التي كنت اسمعها وأقرأها . عظمت كثيراً شأن تلك التفاحة لتجعل منها حكاية من طراز : اسق اخـــاك النمرى . ولكن شتان بين تفاحة يستغنى عنهـــا ونقطة ماء يهلك من لم يشربها ، وقد هلك . ولكن للتفاحة ذكرى عند المرأة قد لا تطيب لنا نحن الرجال .

ومن الاحاديث الادبية حديث الشعر في الادب العربي المعاصر للدكتور سامي الدهان . كان اقرب الى الفهرسة الشاملة منه الى الدراسة ، وقد استغربت قول الدكتور : المدرسة الشامية ، إن صحّت التسمية ، وهذه التسمية قد صحت منذ الف عام حين تحدث الثعالبي عن البحتري في يتيمة الدهر ، ولعل التاريخ أعاد نفسه . اما المذيع بالنيابة فكسر الشعر اذ حرك القوافي الساكنة في شعر المعلوف وابو ريشه فقـال : في حفقانهِ ، ومن دخانهِ ، وهي من دخانهْ ، وفي خفقانهْ .

وتحدث ايضاً الاستاذ عيسى الناعوري عن عناصر الجمال في شعر الشابي ، فكانت الدلالة عليها مبهمة والعبارة فضفاضة مثل قوله : اساليب بيـــانية جديدة ، وعناصر جمال وحيوية . اما ما هي ؟ واين هي ؟ — وهذا ما ينتظره منه السامع ، فبقي في خاطر الاستاذ .

وتحدث الاستاذ جبرائيل كاتول عن مستقبل العلم والثقافة فأبدى آراء صائبة حول تنظيم مناهج المدارس ، ورأى ان توجه المدارس الثـــانوية طلابهـــا حسب مواهبهم ، وأن يعدل عن المناهج النظرية الى البرامج العملية فلا يرى شبابنا في العمل عاراً . لقد اصاب الاستاذ فتلك المناهج الارستقراطية هي التي اوجدت العاطلين عن العمل لأنهم كلهم يريدون ان يكونوا سادة يجلسون على كراسي وأين نجد هذه الكراسي ؟

مليح حديث « اختبري معلوماتك » للآنسة اولغا وهبي ، وقد اختبرتها انا معهن واشهد اني قصرت في الامتحان . كان في الحديث نكات ولكن الضحك لها كان اكثر مما تستحق ، وقد قالت احدى الممتحنات : النساء عمرهن طويل . وانا اقول : وسنتحاسب بعد ان ينلن حقوقهن كاملة ويصبحن غير خاليات من الهم .

اما الشعر في هذه الدورة فكان جله عراقياً ، للشيخ بهجت الاثري ولثلاثة آخرين ، وجميعهم كانوا يجولون وسط المعمعة . وقد انشد الاستاذ العوضي الوكيل شعراً حسناً وما اخذت عليه فيه الا قوله : يا من كمثل الصبح . فليته استغنى عنه .

لم تعجبني اقاصيص هذه الدورة ، فقصة « مأزق » للسيد محمد العدنان ابتدأت ابتداء حسناً ولكن حشره الشعر فيها ذكرني بألف ليلة وليلة ، كما ان ختامها كان مأزقاً حرجاً فلم يستطع كاتبها ان يخرج منه ...

وكذلك قصة « الشقيقتان » للسيد يوسف يعقوب حداد . كان فيها تكلف كثير ، ومحاولة تعسرت معها الولادة . ان الانتقام من طفل صغير بقتله حرقاً على تلك الصورة مستغرب جداً . اما القصص المترجمة فأرى ان يحسن انتقاؤها لتلذ الجماهير ، فما كل قصة تستحق ان تترجم للاذاعات ، فللاذاعات نوع خاص بها .

اما تعليقي على هامش ما سمعت فهذا هو : سمعت كثيرين يقولون إلا إن وهي ألا أن . وسمعت من قال : هما وحدُهما ، ووحد تفتح دالها دائماً الا في قولنا : نسيج وحدِه ، كما لا يقال : لوحدي او لوحده . واكثر المحدثين يقول الاستفادة الحقة ، وكلمة الحق مصدر والمصدر لا يؤنث ، وقيل شتانِ وهي شتانَ بالفتح . وقيل دكانه الكبيرة ، والدكان مذكر .

النقد السابع

١٩٥٢/١/٣١

استل الاستاذ نجاتي صدقي موضوع قصته من صميم قلب الحيـــاة ، وموضوعها استاذ جامعي أحب تلميذته حباً جماً فخطبها ، وليس هـــذا ببدع ، فتعلم الجنسين معاً يربط الصف ربطاً مغنطيسياً ، اساتذة وتلاميذ . ثم كانت بينهما مباحثة أدبية بعد اقترانهما ، فتغلبت الزوجة على معلمهـــا بالأمس ، فطعن في جبروته ، وأنكر عليها ، انتقامـــاً لانهزامه ، كل حق تفاني حتى المطالعة والاصغاء الى الراديو ، وهكذا صارت الزوجة الجامعية (جثة حية) وفقاً لعنوان القصة . أجاد الاستاذ صدقي التحليل والسياق ، وما رأيته تجاوز الحد إلا في قوله : شهور العسل . ترى ألا يكفي شهر واحد كما يقول الناس ؟

واقصوصة الاستاذ كامل شهاب ، وعنوانها « أنا القاتل » تمثل ابتهار الجنود في سرد قصص مغامراتهم الغرامية ، ولكنني عجبت لجندي يقتل نفسه ولا يرشق منتهك عرضه بوردة ! فأبو الأسود بلّ يده بقائم سيفه في الكعبة زجراً لابن أبي ربيعة . فلو لقي بطل قصة الاستاذ شهاب غب كذبه لكان الختام اروع ، ومن يعزم على الانتحار يهن عليه قتل عدوه .

وهناك قصة أخرى للاستاذ محمد العدناني ، وعنوانها : « على نفسها جنت براقش » . لم يوفق الكاتب الى مفاجأة تترك اثراً في نفس المستمع ، فليته عني بالبدء والختام ، فالبدء في معركة البيان هو الاستيلاء على المبادرة ،

والختام هو الضربة القاضية في المعركة الفاصلة .

يصح القول في حديث القس فريد عودة : ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ! الموضوع مطروق ولكن المحترم أنعشه بالقصص فلم يمل . اما حضرة الأب جبرائيل ابو سعدى ، فابتدأ علمانياً ، وتوسط اكليروسياً ، وانتهى شعرياً . لست أدري ما أقول في تقسيمه لمخلوقات الله الثلاثة ؟ قال : الملاك عقل بلا شهوة ، والانسان عقل وشهوة ، والحيوان شهوة بلا عقل . ترى ألهذا خلق الله الانسان على صورته ومثاله ؟ وجعله خليفة له على الارض ؟ واما الاحاديث الأدبية فمنها : آفاق جديدة في التفكير العالمي للدكتور حكمت هاشم . العنوان كبير وطريف ، ولكن البحث كان عتيقاً في أوله ، خليقاً بالعنوان في آخره . ومثله كان حديث « نغم الالفاظ » للدكتور جميل سعيد ، فأكثره رواية . ليت الدكتور علل وقال لنا مثلاً : لماذا آثر العرب قصر الألفاظ . وكذلك كان موضوع الدكتور يوسف العش . الانشاء أنيق واما الموضوع ، وهو إثبات وجود إله واحد ، فأراه ليس موضوع بحث . وأما حديث الاستاذ محمد الرشدان عن الشاعرة عاشقة الليل فحبذا لو كان عميقاً ، وهنا لا بد من ملاحظة للاذاعة : كانت الالفاظ لا تصل إلا تعبة منهوكة كالطيور القواطع — العابور في الربيع .

لقد أحسنت محطة الشرق الأدنى الى شاعرنا العظيم أبو شبكة ، أحسن الله اليها ، فمن حديث الاستاذ الناعوري الذي لم يترك شاردة ولا واردة ، الى أحاديث أخرى ، وشعر من شعره أنشد مع الأنغام الموسيقية . لكأني بهذه المحطة قامت بما عليها وما على غيرها من الواجب ، ولهذا أقول لها : عظم الله أجرك ! وشكر سعيك ! أما كانت هي المعزّي والمعزى في وقت معاً ؟

وأخيراً لا بدّ من الاشارة الى حديث خالتي أم براهين ، الذي لم

نجيء صوبه بعد . ان مخضرماً مثلي يعجبه جداً حديث خالته أم براهين ، وحديث عمته أم درويش ، انها صنف لا بأس به ، وتلوين المأدبة ضروري جداً لإثارة المعدة .

المختارات الشعرية كان خيرها مختارات الشاعر ابراهيم العريض ، ومع ذلك بخل عليه بلقب الشاعر حين قدم . وفي مختارات الشاعر عبد القادر الناصري وثبات تبشر بخير جزيل كقوله مثـــلاً : فمن عينيك احلامي تطل . وكقوله : كظل يداعبه البرعم . ابشر بالخير يا ناصري . واما مقطوعات الشاعر محمود رمزي نظيم فتسميتها اراجيز من باب تسمية الكل بإسم البعض ، كان حظها من الخيال قليلاً واما ديباجتها فبحترية .

وفي برنامج المرأة فلتكن اول كلمة موجهة الى الآنسة كرم حنون التي قدمتها الآنسة انعام الصغير . سمعتك يا حضرة الآنسة تقولين انك تكتبين القصة الصغيرة . فنصيحتي لك ، ولا أغرك منها ، لأنك ممن بد أن الحياة ، ان لاتهاجميها قبل اكتمال العدة . فلا تكوني كأكثر المتأدبين والمتأدبات الذين يخربشون جملاً وتعابير ويسمونها قصة . القصة يا آنستي عمل عظيم ، فألف حذار .

ولقد سمعت هذه المرة مواضيع قيمة في برنامج المرأة ، مثل حديث الكاتبة الكبيرة السيدة سلمى صائغ التي عرفتنا بكاتب لبناني مهاجر كتب قصة بلغة بلاسكو ايبانيوز الروائي الاسباني الاشهر ، ثم برز وتوفق . ومثل حديث تحديد النسل الذي بحثته سيداتنا الخائفات على انقطاع الخبز اذا كثر الناس . ترى ألم يبلغهن بعد خبر القنبلة الذريـــة والهيدروجينية ؟! وقـــد يخلق الغد قنابل شيطانية ان كان يخرج من عقل الأبالسة قنابل أشر من هذه ...

وأخيراً الجلسة الزجلية . كم كنت أتمنى أن تكون ارتجـالاً ، أي أخذاً ورداً ، لتظهر عبقرية شعرائنا ، وما على جلستهم لو خلت مرة من الأبيض والأحمر ، أفلا تفيض القريحة بدون ذلك ؟

النقد الثامن

٩٥٢/٢/١٢

كيفما جلت في برامج محطة الشرق الادنى تجدك كأنك في مخزن من هاتيك المخازن الحديثة الـــتي تكفيك مؤونة اللف والدوران في شوارع المدينة . ما كفى المحطة ان جعلت برنامج المزارعين اسبوعياً حتى اعلنت امس استعدادها لاجابة كل مزارع عما يسأل ؟ كانت المحطة منذ اعوام ، ولا تزال ، وكالة انباء مجانية تغذي الصحافة العربية نشرتها الاملائية ، وها هي تصبح اليوم معهداً زراعياً ، والله اعلم ماذا تحدث غداً من فروع .

كان الضمان الاجتماعي هدف البرامج منذ اسابيع ، وآخر ما سمعت عنه كان حديث الاستاذ نور الدين داود الذي ألقى نوراً على هذا الموضوع وزوّد السامع بمعلومات وافية . ثم تحدث الاستاذ محمود ابو زايد عن هذا الضمان أيضاً في « ركن العمال » ، وراح بعدئذ يحدثنا عن حالة عمـــال شرقي الاردن وفلاحيها حاثاً على تأليف النقابات . ويدخل البرنامج صميم البيت فتبـدي السيدة نجوى ملاحظات ثمينة للنساء اللواتي يتجمعن حول من يدركها المخاض فتزداد ضيقاً على ضيق ، ولا تنتهي السيدة نجوى من ارشاد النساء ليحسنّ تربية الطفل الاول حتى تتناوله الآنسة فوزية ناجي من حيث علاقاته مع والديه وتشير عليها بما يفعلان ليربيا ولداً مفلحاً . وينتقـــل البحث الى المدرسة فتعقد جلسة نسائية في الاردن حول هذا الموضوع . ان التربية البيتية ، يا سيداتي ، هي اساس تكوين الشخصية .

المدرسة لا تقوّم ما اعوجّ في البيت ، وقد جربت هذا عشرات السنين وما وفقت إلا قليلاً ، فليكن وحدكن المعول . قال القدماء : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . وأنا أقول بعد التجربة : ابنك ينم عن بيتك .

ومن هنا ننتقل الى موضوع آخر يقرب من هذه ألا وهو مشكلة تعليم اللغة العربية . تناول هذا الموضوع ثلاثة من اساتذة الجامعة الاميركية ، فقالوا ان أساليب هذا التعليم عقيمة ولكنهم لم يصفوا دواء يصيرها ولوداً ... سمعتهم يقولون : طريقة علمية ، وأما ما هي الطريقة العلمية فلم يقولوا . وقالوا فلنضرب بضرب زيد عمراً عرض الحائط ، ولكنهم لم يرشدوا الى الضربة القاضية . وتحدثوا عن الكتب الحديثة ، وأراها موجودة ، ولكنها تحتاج ، في نظري ، الى من يحسن قراءتها ليعلمها غيره ... وذكروا سرعة القراءة وكيف يقرأ غيرنا ٥٠٠ كلمة في الدقيقة ، فهل أغالي اذا نشدت عشرة تلاميذ وحائزين البكالوريوس يقرأون عشرة اسطر قراءة صحيحة !

ورأى الاساتذة الافاضل شهلا ورفيقاه ان مفردات اللغة تحتاج الى تنقية ، أفلا يرون معي ان الدهر نقاها ؟ فمن يقول اليوم ، كما قال لبيد :

صمل كسافلة القنا ظنبوبه وكأن جؤجؤه صفيح كران

وبعد ، فأرانا محتاجين الى من يحل هذه العقدة لا الى من يصفها .

وإذا رافقنا ندوة الشرق الأدنى الى دمشق سمعنا الاستاذ شفيق جبري ، يحدثنا على هيئته أحاديث طلية عن الأمس القريب فخيل لي انه غريب عن الساعة التي هو فيها ، كان مستولياً دائماً على المبادرة يصل حكاية بحكاية ، ويا ليته تكلم ساعة .

وكان عندنا في هذه الفترة اربع ذكريات : الأولى ذكرى علي الجارم وقد أعد لها السيد موسى الحسيني برنامجاً رائعاً فعرف الكثيرين بالفقيد

الغـالي واسمعهم شيئـــاً من شعره ونثره وأخيراً صوته . وهذه الصفائح الناطقـة التي تنشر الموتى وتهيج شؤون المحبين هي احدى حسنات هذه المحطة ، ولولاها لم يسمع صوت فؤاد سليمان في حفلة أربعينه .

والرابعة ذكرى الشاعر المبـدع فوزي المعلوف فكانت الكلمة فيـــه لأخيه رياض فأحسن حين سرد مـا قيل في أخيـه ولكنه لم يتأنّ في ضبط حديثه فقال المنحوتة قلاعها – بفتح العين – ثم قلب كلمة دراستها على وجهين حتى استقامت حركتها أخيراً .

ومن الأحاديث الأدبية كان لنا حديثان ، واحد عن الأدب الجـاهلي وأدب البادية أرانا فيه الاستاذ العديسي تقلب شعراء البادية في روايـة شعرهم يوم لم تكن حقوق المؤلف محفوظة . والحديث الآخر عن الشاعر كيتس فقال الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا نقلاً عن الرواة انه كان يفرض على نفسه نظم خمسين بيت شعر كل يوم . ان مثل هذ الفرض غريب ولكن الشعراء في كل واد يهيمون .

ومن أقاصيص الأسبوع قصة «الجوكاندا القاتلة» للاستاذ يوسف يعقوب حداد ليت الكاتب يقل من غرابة العقد التي يوثقها في بعض قصصه ، بل ليته يعمل بقول الجاحظ في بخلائه بعدما روى حكاية لا تصدق . قال : وانما نحكي ما كان الناس ، وما جوز ان يكون فيهم مثله ، لأن الافراط لا غاية له .

أما أقصوصة « ربيع » للاستاذ رشاد دارغوث فهي جيـدة سبكاً وتحليلاً ولكنها ليست فناً ، من طراز تلك الأقاصيص التي يحسنها ويتفوق فيها لأنه يعيشها ويرى محيطها وشخوصها .

ملاحظة – سمعت أحـدهم يقول : أفهمنا بأن . كما سمعت احداهن قالت : هذه أشرّ من تلك . ان لفظة شر أفعل تفضيل بدون همزة ، وفعل أفهم يتعدى بنفسه لا بالباء ، فيقال أفهمه الأمر ، لا أفهمه بالأمر .

النقد التاسع

١٩٥٢/٢/٢٦

تفكر محطة الشرق الادنى دائماً باثارة شؤون الساعة وشجونهـا ، فما اقترحت على الكتاب بحث مسؤولية الكاتب حـــتى تخطت الى موضوع « الادب وواجبات الحكومة » فعالجه كاتبان : الدكتور عمر شخاشيرو ، والدكتور أمجد طرابلسي . شكا الاول قلة الانتاج الأدبي لأنه لم ير مثل الف ليلة وليلة ، بل رأى الامة محتاجة الى شاعر يبكي عنها ويبـــارك نهضتها . أما البكاء عنها فما أرى الشاعر من النوائح ليبكي عن أهل الميت ... وقـــد شبعنا نواحاً وبكاء ، فنحن الى شاعر ينخينا أحوج منا الى من يشجينا ويبكينا ... ثم رأى أخيراً أن تأخر الادب سببه قـلة قراء ، وتقاضي حكومات ، وضرب مثلاً على النشاط الفني في سوريا حين وضعت حكومتها جوائز للرسم فبرزت المواهب الكامنة ، وقال أيضاً ان الجامعة الســوريـــة طبعت اثنين وأربعين كتاباً فهب الادباء من سباتهم . قلت : هكذا فلتكن معاهد الثقافة وإلا فلا لا .

أما زميله الدكتور طرابلسي فراح يسأل عن القصة ، والروايـة ، والتمثيلية ، والملحمة ، والشعر الوجداني الفني فوفى البحث حقه ، وخلص أخيراً الى أن الازمة أزمة قراء ، ورأى ان على الحكومة تعليم النـــاس ليقرأوا ، وان عليهـا ان تشجع دور النشر ، وتوجـــه الانتاج الأدبي بارصاد الجوائز فيشحذ الموهبون قرائحهم .

أجل ، أن اللها تفتح اللهى ، ولكن الاديب الاصيل لا يكتب إلا استجابة لجماعة روحية ، ولست أرى المال يخلق الروائع المرجوة في الادب ، وان كنت أرى جميع حكوماتنا لا تكترث الا للنافذين في ساحة العمل لتداوي الحاضر بالحاضر ، وماذا يهمها اناس لا يهشون ولا ينشون ؟ فمتى تعاضد الادباء شعرت الحكومة بوجودهم ، ولكن اصحابنا مصابون بمرض النوم تصح فيهم آية أهل الكهف .

وتحدث الشاعر القومي وليم صعب عن الشعر القومي وقال ان الياس الفرّان كان شاعراً قومياً عندما كان الشعراء الفصحاء يمدحون السلاطين. يظهر ان وليم صعب قرأ صفحة واحدة من شعر الفرّان ونسي ان يقرأ الصفحة الثانية ، فماذا كان يعمل الياس الفرّان في تلك الليالي التي كان يحييها في ذاك القصر وتلك الدار ؟ أليس هو القائل :

يا من فيك الحسن التمّ وعندك حطت رحالو
ان شاهد حسنك بدر التمّ حالا بيخبي حالو

انا من الذين قدروا ويقدرون الشعر القومي وربما افضل جيده على وسط الشعر الفصيح ورديئه ، وأرى ان الزجل أقرب الى القلب والواقع ، ولكنه لم يعجبني من الاستاذ وليم صعب هذا التحدي الصارخ للشعر الفصيح . وتحدث المونسنيور نعمة السمعاني عن الله في البيعة والمجتمع فاحسن التعليل والتحليل ، وتحدث الدكتور خليل الجر في باب « الفكر الغربي » فتطرق الى الوجودية واثبات وجود الله ، وكان بحثه جيداً وليس لي ما أقول غير ان كلمة شخصاني كريهة . فالجماعة قالوا مثلاً : روحاني ونفساني ولم يقولوا شخصاني وفكراني وعقلاني . قد يقال : واذا لم يقولوا فما علينا نحن لو قلنا ؟ قلت : قولوا ولكن لا تنسوا انهم قالوا رجل ولم يقولوا رجلة ، وقالوا جمل ولم يقولوا جملة ، وقالوا بعير ولم يقولوا بعيرة . وقالوا

كبش وأسد ولم يقولوا كبشة وأسدة بل نعجة ولبوءة . وقالوا روحاني ولم يقولوا شخصاني . وقال الجاهظ اخيراً : « وزعم رؤبة انه يقـــال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة ، وأصحابنا لا يقولون هذا ، ويضحكون ممن يقولون ضبعة عرجاء » فهل يكون الاعراب اتم ذوقاً منا ؟؟

وكانت دراسة السيدة سلمى صائغ دراسة شخصيـة رومانتيكية اكثر منها دراسة ادبية لفليكس فارس ، حتى سمعتها تقول : بعينين خضراوين . أما كيف تكون العينان خضراوين في غير عين الشاعر فلا أدري !

وفي الجلسة الادبيـة العراقية جال الدكتور جواد ورفاقه في موضوع « هل يحتاج النقد الى مقاييس جديدة » فأجادوا بحث النقد القديم ولم يقولوا شيئاً في الموضوع المقترح .

اما في باب العلم فعلمنا من باب ميادين العلم والثقافة ان الزيت والماء صارا يمتزجان ، فعسى ان يمتزج بعد هذا العقل والسلام مثلاً . وفي باب « العـلم في بيتك » كان حديث الآنسة ليلى شاهين مفيداً وطلياً . حقاً ان مثل هذه الاحاديث وغيرها لتستحق لقب « المدرسة في البيت » فمن يصغ اليها جميعاً يلم من كل فن بطرف ، فلا ينتهي من موضوع حتى يبدأ بآخر مثل سيكولوجية الطفل للآنسة ليلى اللبابيدي . كان هذا الموضوع طريفاً والالقاء مضبوطاً وأنيقاً ، فليت النساء والرجال يصغون الى مثل هذه المواضيع القيمة فيتعلمون « على الماشي » ، ويفكرون بحل مشكلة « الجمع بين التعليم والزواج » مع المتحدثات .

ما سمعنا شعراً في هذين الاسبوعين غير قصيدة « بعلبك » لأمجد الطرابلسي ، ولكن دكتورنا في بحثه كان أشعر منه في قصيدته .

أما ندوة الشرق الادنى فقد كانت جلستها الاردنية صاخبة جداً حتى ضاع عليّ أكثر كلامهم . مع اني كنت أحب ان اسمع صوت تلميذي

نسيم نصر وأخبـــار تقدم صحيفته ، كما اصغيت الى شخصيـة الأسبوع فسمعت صوت رفيق المدرســة الاستاذ محمد الياس نمور ولم أتعجب من وضعه النقاط على الحروف لاني لم انسه ، فشكراً للاستاذ اللوزي الذي جمعنا بعد ٤٦ سنة ، ولو بالصوت .

أما اقاصيص الاسبوع فثلاث : اثنتان للاستاذ باسم الجسر والدكتور صفاء خلوصي . والثالثة للآنسة رشيقة الممري . فلندع النقد الفني هذه المرة فقد أكثرنا منه ، ولنقل كلمة في العبارة . سمعت هذه الجمـــلة : فماذا عساها ملاقية هناك . وهي لا عامية ولا فصيحة وشر الكلام ما كان كذلك . وقيل : لم تكن لوحدها . وهذه اللاّم تذكرني بما كنا نعلقه بذنب الهر ونفلته . وقيل ايضاً : تمـالك نفسه ، وهي اما ملك نفسه ، او تمالك بدون النفس .

النقـد العاشر

١٢ / ٣ / ١٩٥٢

الاستاذ بهيج عثمان أديب أصيل ، وكثيراً ما يفكر بالادب ومشاكله ، وهـا هو يمسك بتلابيب الاستاذ انيس الخوري المقدسي ولا يفلته حتى يستطلعه آراءه في الادب ومشاكله . فـيرى الاستاذ المقدسي ان يمزج تاريخ العرب بآدابهم ، وألا يدرس الادب على أساس الاشخاص ، وهو صاحب كتاب أمراء الشعر العباسي !! يسأل عما احدث أكبر انقلاب أدبي فيرى انـه اعلان الدستور العثماني وهو الذي خلف القصة وولد المسرحية والرواية والملحمة .

اما أثر الصحافة في الادب فأجاب عليه الاستاذ وأصاب اذ قـال : ان معظم ادبائنا بدأوا حياتهم الادبية على صفحـات الجرائد . اجل ، ان الصحافة هي التي انزلت الادب الى ميادين جديدة كالقصة والرواية ، وكذلك اقتضت حالة المدرسة ان تكون المسرحية فكانت قبل اعلان الدستور العثماني وبعده .

وكان موضوع اللغة العامية ابرز ابحاث هذين الاسبوعين فيسأل الاستاذ عثمان الاستاذ المقدسي : يحاول البعض اظهار آثار ادبية في اللغة العامية فما رأيك في هذه المحـاولة ؟ فيجيب انه لا يحبذ اللغة العامية ، ويرى ان الفصحى هي الرابطة الوحيدة للبلدان العربية ولـكنه يرى ان يتكلم رجال العامة بلغتهم في المسرحيات .

اقول : ولا هذا ايضاً يا استاذ ، فهناك لغة وسط ، عامية فصيحة ، وهـذه وحدها يجب ان تكون لغة الحوار . وإلا فالشامي لا يفهم عن العراقي ، والمصري لا يفهم عن الاثنين ، والحجازي لا يفهم عنهم جميعاً . جاءني جماعة من المغرب فما استطعنا التفاهم الا باللغة الفصحى البسيطة . أقول هذا بمناسبة حديث الدكتور موسى اسحق الحسيني حول العـامية والفصحى . قدم الدكتور براهين عديدة وجيهة في الدفـاع عن الفصحى كأن هناك خطراً عليها من العامية . مع انها ليست اول مرة يظهر فيها هذا النجم المذنب الذي يخوف الناس من دهياء مظلمة ... فمنذ ثلث قرن وأكثر انتصب الخوري مارون غصن بقامته المديدة وفي يده كتابه عن جمال اللغة العامية ، ولكن سرعان ما انطفأ وذهب ذكره مع الدوي... ذكر الحسيني الشاعر سعيد عقـل ومقدمته العامية لديوان الشاعر ميشال طراد ، وبينا انا اتمنى بلهفـــة ان ارى هذا الديوان واذا به يصلني . فقرأت مقدمـة سعيد مثنى وثلاث ورباع حتى احكمت ذلك ، فاذا بي اخرج منها ولا ارى شيئاً من سعيد عقل فيها . قرأت شعر طراد العامي فـإذا هو الشاعر الأسمى ، واذا بسعيد عقل الشاعر الناثر قـــد ذابت شخصيته وأمست كهلال الشك ... وما عرفته الا من توقيعه ، ان للغة العامية مقاماً تصلح فيه كما قـــال الجاحظ . وبعد فلا يجزعن احد على الفصحى ما زالت مبنية على الصخرة الازلية التي لا تتزعزع ومحافظتنا على الفصحى تحملنا على القول للاستاذ محمود الحوت : مختاراتك الشعريـة من القول الطلي الجيـــد ولكن قولك : يا انت ... هو كقول غيرك من الشباب : « يا الذي ... » ان الضمير يا اســـاذ لا ينادى واذا ورد ذلك مرة عند الشعراء القدماء مثل :

يا ايحر يا ابن ايحر يا انتـا انت الذي طلقت عام جعتا

فهذا شذوذ لا يقـــاس عليه ، ونحن احوج الى قطع الزوائد ...

وكذلك قولك : وعيت في حرم ... كلاما . ففعل عيي يفيد العجز عن الكلام ، فلا يحتاج الى ذكره .

وفي الاردن علت صيحة الاساتذة عبد الحليم عباس ، وحسني فريز ، وخليل السالم تشكو هبوط المستوى الادبي وتدريس الادب دراسة فارغة ، وعدول الادباء الكبار عن مستوى الادب للأدب طمعاً بالمال . حقيقة ان الاديب يختار كيف يتجه . فقد علت قبل هذا أصوات من الشام تطلب من الاديب ان يكون مناضلاً وان ينزل من برجه العاجي ، فما عسى الاديب يفعل ؟

وفي برنامج المرأة كانت أشياء مفيدة كالنصائح المختارة من كتاب ترجمه وديع بستاني ، والبحث عن حقوق المرأة في دول العالم وقد غمزت احداهن من قناة القانون السوري حيث قالت : وفي سوريا يشترط في المرأة الناخبة ان تكون قد أتمت دروسها الابتدائية بينما لا يطلب شيء من الرجل ... فكأن القائلة لم يبلغها انهم طلبوا من المرشح للنيابة ان يكون حاملاً الشهادة الابتدائية .

وأما كلمة العلم فكان لها الاستاذ نقولا شامين ، فعرف فيها من أصغي اليها كل فائدة يريد معرفتها . وكان حديث الاستاذ عباس العزاوي عن العراق في العهد العباسي مفيداً جامعاً ولكن الالقاء كان متقطعاً فكأن الاستاذ يقطع عقبة !

اما قصتا الاسبوع فاحداهما موضوعة وهي للقصصي المعروف الدكتور عبد السلام العجيلي ، القصة جيدة حافلة بالتحليل النفساني مصنوعة على المثال القصصي الحديث ، ولكنني احسب ان مثل هذا النوع من القصص لا يلائم سواد المستمعين كما تلائمهم القصة التي ترجمتها الآنسة سميرة عزام عن ذلك الزوج الذي كان كالحمل ، وهو لولا يكون كبشاً لاستراح من

تلك الزوجة المستبدة التي كانت تخيط له جميع ثيابه وتقص وتحلق له شعره وما بقي الا ان تحلق له على الناشف ...

الترجمة حسنة ، ولكن قول الآنسة سميرة : اوشك على البكاء ، أشبه بقول المجذوب : يا انت . اما كلمة لحظتئذ فلا تعجبني وان جازت ، لأن اجتماع الظاء والذال مزعج .

النقد الحادي عشر

٢٦ / ٣ / ١٩٥٢

برنامج المرأة — وهذه المرة ايضاً كان برنامج المرأة حافلاً بكل طريف ومفيد ، ممتلئاً كأنه رمانة سكرية . ترى هل تريد المرأة ان تبرهن للمستمع على انها جديرة بما تطلب من حقوق بيننا ينـام الرجل على الثقة نومة الهانىء المطمئن ؟ اذا شبهت برنامج المرأة بالرمـانة فأرجو ألا يفهم ان البرنامج الآخر كالجوزة الحامتة — المفوفشة — لا . ان فيه لخيراً كثيراً .

فحديث العيادة السكولوجية للدكتور ملكيان يستهوي السامع ويفيده ، ولكني افضل ان يكون لدكتورة حتى لا يكون في برنامجهن ذكر . كان الحوار مع ام نديم عن الخوف فحذرها من الحكايات الراعبة ، ومنذ الف ومائة سنة أشار الجاحظ بهذا لينام الولد على سرور .

ويلي هـــذا موضوع « مع الشواعر » فسمعنا شعراً متيناً كأنه من شعر الذين لا اللواتي ، ولكنه يعج باليأس ، أبعده الله عن الآنسة مقبولة الحلي التي كان القاؤها جيداً ولكن الصوت نحيف .

ثم قـــدم الاستاذ موسى الدجـاني الآنسة سلوى ناصر على انها ممن « بدأن الحياة » وهي لا تزال طـالبة تعد العدة ... كانت الاسئلة من ذي وذا ولكن سؤالاً واحداً القاه عليها الاستاذ باحتشام كأنه الخجل ، وهي ليست من العوانس ، ليلقي الاستاذ موسى هذا السؤال بهذا الحذر ،

وكان حديث « العلم في بيتك » للآنسة ليلى شاهين ، كما كان لأبيها الاستاذ نقولا من قبل ، وقديماً كان الشعر في بيت زهير كما هو العـــلم اليوم في بيت الاستاذ شاهين ، أليس منه خرج كتاب القنبلة النرية بلغة الضاد ؟

وفي البرنامج قصة « أم أكثم » للسيدة ربيحة الرشدان . التحليل والاسلوب جيدان ، أما الحـادث فأراه لا يقوى على حمل ما أُلقي على ظهره من أعباء . فليت السيدة ربيحة تهتم في قابل بما يشغل بال سامعها ليرافقها الى آخر الشوط ويتنفس تنفس من ارتاح بعد عناء وهذا من اسرار نجاح القصة .

وقـد أعجبني حديث الآنسة سلوى حوماني حول المرأة ، رأت أن تستعمل علمها لتأسيس البيت ، وأن على ذويها أن يعدوها لتكون اماً عاقلة ، فالأم دعامة الأمة .

أجل أيتها الآنسة ، ولعلهم لهذا قد اشتقوا كلمة الأمة من الأم . ان المرأة يا ابنة أخي ، تستطيع ان تعمل عملها وعمل الرجل ، اما الرجل الذي يعارض نزولها الى ميادين الكفاح والنضال فهو يفعل ذلك لأنه لا يستطيع الاستغناء عنها ، تصوري رجلاً يريد أن يعمل في الداخل وفي الخارج ثم احكي ماذا يحل به .

وعن الأمراض السارية ألقت الدكتوره جمال كرم حرفوش ، حديثاً لا يعرف قيمته إلا من ينشغل باله بأهله وأولاده إذا أصيبوا بهذه الامراض الـــتي تزعج ولا تقتل . ومثل هذا فائدة تلخيص كتاب من الغرب ، موضوعه آلام المخاض والولادة ، وكم أتمنى أن تـكون النساء جميعاً قـد أصغين اليه . وإذا تجاوزنا تخوم الابحـــاث ودخلنا منطقة الأدب سمعنا حديثـاً للسيدة أسمى طوبي . كان الموضوع الربيـع ، وهـــذا وقته ،

فاستقبلته السيدة طوبي استقبالاً جبرانياً ، والربيع أحرى الناس بلسان الخيال لأنه يوحي ويهيج الذكريات . لقد أجدت يا سيدتي ، ولكن قولك ما فوق البنفسجي ، ليس مما يعني الشعراء فليتك بقيت عند البنفسجي .

وعلى ذكر الربيع ننتقل الى برنامج الرجال فنسمع في ندوة الشرق الادنى أصواتاً مصرية — من زمان هذا القمر ما بان — ولكن الربيع يخلق ما لا تعلمون ، فها هو الشاعر عبد الرحمن شكري يتحدث عن ربيع البحتري ، وأبي تمام ثم يعود الشعراء الى شعرهم فيسمعنا الشاعر الاستاذ عادل الغضبان أبياتاً بارعة جداً في وصف الفستق الحلبي ... لقد ذكرتني أبيات الغضبان الرائعة بما رواه ابن رشيق في وصف الحجل ، ولعلي لم أقرأ بعد وصفاً للفستق فهنيئاً للشهباء بشاعرها الذي ما برح يحن اليها ويذكرها وان شط المزار . وفي باب بريدنا الأدبي سمعت حديثاً عن عقلية الجماعة ، وان كنت قد عرفت من دركهايم ولهبون وغيرهما ان الجماهير بلا عقل قد يضلها أبله او ولد .

اما موضوع الفكاهة في الادب العربي والانكليزي فكان في استطاعة صاحبه ان يكون أفكه لو فتش اكثر في شعر جرير والاخطل وغيرهما . وفي هذا النطاق سمعت من قال ، ولكني لا أدري من : رب سائل يقول ، والوجه ورب سائل قال .

وتكلم المصور الفنان الاستاذ مصطفى فروخ عن البساطة في الفن فكان بارعاً في بحثه وصوره ، حلو العبارة رشيقها ، فكان فناناً وأديباً في وقت معاً فعبر عن جمال الفن بلغة الادباء مقارناً بين فني التصوير والكتابة ، ثم لم يقف عند هذا الحد فروى شعراً يؤيد مزعمه الفني ، وما أحلى ما قاله احد الفنانين لسائله : اني أخرج صوري بدم قلبي ،

و كذلك الشاعر والكاتب ، فاذا لم يغمسا قلمها بمحبرة القلب فلا يجيدان .

وقد القى حضرة الكاهن نجيب قبعين « حديث أحـــد » موضوعه مقاييس الحياة فبدأها بالاخلاص وختمها بالأمانة . أفلا يرى سيادته مثلي ان الاخلاص أمانة وزيادة . لقد أجاد حضرته وكلام رجال الدين يستملح ويقنع متى قلّت شواهده « الكتابية » التي يكثر رجال الدين منها . ومثل حديث الأحد اجـــادة كان « حديث الجمعة » للاستاذ علي الطنطاوي بليغاً وجامعاً .

وسمعت « حديث صباح » مقتطفاً من كتاب كيف نطلب السعادة . كان موضوعه الخوف من الاخفاق فلذ لي جداً ولهذا اتمنى على الاذاعة ان تكثر من مثله .

وأصغيت الى حديثين في سبيل الاصلاح ، احدهمـا في سبل الاصلاح القومي ، للاستاذ رمضان لاوند ، ولـست ادري لماذا بتر واستعيض عن تتمته بالموسيقى . والآخر للقاضي شكري المقتدي وعنوانه « اصلاح المجتمع العربي » . لقـــد عزا القاضي تأخرنا للأثرة وفقـدان الشعور بالواجب ، وحب الخيـال والعبارة المنمقـة ، ومن أدرى من القاضي البصير بمواطن الضعف فينا .

وافتتحت الآنـة انعـــام الصغير — في برنامج الرجال — موسم ابن سينا بحديث قيّم بزت فيه من سمعتهم يتحدثون عن ابي علي في الاذاعات الاخرى . كان حديثها اكبر من تعريف واف بابن سينا وفلسفته . جالت جولة موفقة في موضوعها ، وعسى ان توفق الى آخر مثله في العراق حيث تمثـل لبنان في المهرجان ، وقد أحسنت اذ اعتمدت على الاستاذة جواشون فجاء درسها مجتمعاً اشده ، تهنأ عليه تهنئة حـــارة ، وبيدي الثنتين .

اما شخصيات الاسبوع ، فقدم سليم اللوزي شخصية مختصة في موضوعها وهو السيد سعيد فواز فبحث موضوع الاقتصاد بحث خبير . وقـــدم الاستاذ موسى الدجاني السيد عزمي النشاشيبي فكان في حديثه ضحكاً خبيراً ظريفاً يضرب في كل فن بسهم .

وقدم الاستاذ ايضاً الاستاذة ثريا ملحس ، فكانت تدق أبواب الأسئلة دق مـدل ، وكانت حتى في المحاورة مع الاستاذ موسى تنثر عباراتهـا رصينة ملونة تنضح منها الحياة والثقة بالنفس ، وليس هـذا بكثير على صاحبة « النشيد التائه » المرنان . كان صوت الثريا جهورياً حين تجيب بينا كان صوت موسى ينخفض احياناً حتى تحسبه يحدثها سراً في المذياع .

وختاماً نلم بقصة الاسبوع للاستاذ جعفر الخليلي . القصة جيدة الحبكة والتحليل ، والموضوع معضلة اجتماعية خطيرة ، وخصوصاً اذا كانت العاقر غيرى لاتحتمل حتى في المنام ان ترى لها ضرة ... وما اثقل الضرات .

النقد الثاني عشر

٨ / ٤ / ١٩٥٢

كان حديث الدكتور محمد كامل حسين عن تأثر الادب العربي بالثقافات الاجنبية ، فعرضه عرضاً وافياً بحاجة المستمع كما تقتضي حال الاذاعة . ثم كان صباح فسمعت متحدثاً عن السعادة يقول : السعادة كالجمال فأعجبني التشبيه . وظل يرمي فيصمي حتى قال : والسعيد هو من نظر بعين العقل ، أما المتنبي فقال غير ذلك :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

وأفاض الدكتور حكمت هاشم في حديثه عن الفكر العلمي — قديماً وحديثاً — وقد أحسن كل الاحسان اذ عد الجاحظ من زعمائه الاولين ، وقد ادرك ذلك ابن العميد فقال : كتب الجاحظ تعلم العقل اولاً .

وصوّرت السيدة جار الله الحسيني في حديثها ذاك الصراع الذي قام بين الست زبيدة وزوجها الرشيد حول الأمين والمأمون ، وهو الذي استحال بعدهما الى صراع بين الفرس والعرب .

ومن أصغى الى مطالعات السيدة ممدوحة السيد تتبادر الى ذهنه الحكمة العامية القائلة : لا يخلو رأس من الحكمة . روت لنا كيف تعالج الاسود والقرود والجمال وغيرها من الحيوانات فتذعن وتطيع وتبدي الرضا والاشمئزاز ، ثم كيف تنقاد الى من يسوسونها في الأزمات والشدائد . كانت هذه المطالعات منوعة طريفة ، واسلوبها جميل وعبارتها صحيحة .

وما أخذت عليها إلا قولها : ارض تلك البلد ، والبلد مذكر . ثم قولها : تمالكت اعصابي ، وقد أشرت الى هذه الاخيرة في حديث سابق .

وكان حديث معالي الاستاذ رشيد أفندي كرامه مع الاستاذ سليم اللوزي صريحاً ، ولا بدع في ذلك فالابن سر ابيه . ولعل الاستاذ كرامه هو اول شخصية اسبوع تسأل سائلها . انها بادرة طيبة فليتها تذيع وتذاع .

وكانت المختارات الشعرية للدكتور امجد طرابلسي ، وسليم الزركلي ، وأبي سلمى . كان أبو سلمى اقرب الى الشعر المعاصر من صاحبيه حيث قال في ولده :

فيك شذاً من أمل وأرج من موعـــد

وقد ضمت مع الزركلي وما وجدت مبرراً لقوله : خفراً من كواكب اعلام — بالضم — كما لم يعجبني قوله في القصيدة عينها : كالعذارى اصابهن الغرام . فلفظة « اصابهن » واهنة هنا . وكذلك قوله من قصيدة اخرى :

نحن قوم تملك الحسن فينا ...

وفي باب « بريدنا الادبي » سمعت ايضاً شمراً للاستاذ عبد القـــادر محمود ، ولكن الموضوع صار مملولاً كغزل القدماء . اما المذيعة فلا أدري لماذا توقفت حين قدمت قصيدته « خمر وجمر » . غصت عند لولا الحب ، وتعطلت لغة الكلام هنيهة .

ومما لفت نظري في برنامج المرأة حديث الآنسة حفصة عثمان حين تحدثت عن شخصية المدرسة وأثرها في تربية الطفل . وتطلبت من المعلمة أنيق الملابس ، وأنى لها هذا وهي ممن يمتهنون التعليم ؟.. وكان حديث الدكاترة : نبيه فارس واسحق الحسيني وجبرائيل جبور حول « الزواج الباكر » فرأى احدهم ان الزواج يخمد عواطف الادباء ، وكأنهم لا يدرون ان الادباء بشر وربما أحبوا أكثر من مرة كما نعلم من سير حياتهم ...

وذكرني جدالهم الحامي حول سن الزواج فتذكرت قياساً المانيـاً لا

اذكر اين قرأته ، وهو ان نضيف عشرة الى عمر الرجل ونقسم على اثنين فيكون الجواب عمر الزوجة . فلنفرض ان عمر الرجل ثمانون وأضفنا اليه عشرة وقسمنا على اثنين علمنا ان عمر الزوجة الموافقة لهذا العريس اليانع النضير يجب ان يكون خمسة واربعين ، وما احسب هذه القاعدة بعيدة عن الصواب .

اما في الاقاصيص فكانت قصة الآنسة سميرة عزام خير اقاصيصها الموضوعة. اما قولها وقول غيرها ايضاً : غذ السير فصوابه أغذ السير او أغذ في السير .

وكانت قصة « اخلاص خازن » للدكتور يوسف العش جيدة التصميم وأحسن ما فيها محاورة ابراهيم الخازن مع نفسه كان الختام جميلاً ، وكاد يكون أزخم وأجمل لو وقف الدكتور عند : تعال خذها على الحق من هذه الزاوية .

ما لنا ولابراهيم ودموعه . ورؤيته ينوء بحمل العشرة آلاف دينار بعدما رفضها حراماً . فهل من يتعظ ؟

النقد الثالث عشر

٢٢ / ٤ / ١٩٥٢

كان ركن الطلبة ركناً ادبياً مكيناً ، اختار له الاستاذ نهاد العمري طالبين جامعيين من تلاميذه في الدراسة الثانوية . وراح يسألهما عن تطور الشعر العربي فأصابا حين رأيا ان للطبيعة والعلوم والترجمة يداً في تطور الشعر العباسي ، اما فيما عدا هذا فقد كان الطالبان برنامجيين . فما استشهدا به من شعر المتنبي وابن الرومي لم يكن غير ذلك الشعر الذي نقله مصنفو تاريخ الادب العربي . ان هذه الكتب وطرق التعليم تجعل من الطلاب ابواقاً ينفخ فيها اساتذتهم الحانهم المعهودة ... فلو روى الطالبان شعراً غير الذي يرويه المنهجيون من قول ابن الرومي لكانا قالا شيئاً جديداً ، فلو رويا ، مثلاً ، وصف بحيرة طبريا بدلاً من قصيدة المتنبي في وصف اسد بن عمار لكانا خرجا من منطقة اصحاب كتب المناهج . ولكن هذه الآفة ليست في كتبنا ، وحدنا ، بل يجدها المطلع في جميع كتب المناهج العالمية .

زعم العمري في اثناء تحدثه مع تلميذيه ان الشاعر الاعرابي الذي شبه الامير بالكلب في حفظ الوداد وبالتيس في قراع الخطوب ، هو الذي قال فيما بعد : « عيون المها بين الرصافة والجسر » . ترى ألم يقرأ الاستاذ مقدمة ديوان ابن الجهم القيمة للشاعر العلامة خليل مردم بك ليعلم ان شاعر « الرصافية » نشأ في بيئة هي من الحضارة والعلم في الذروة .

وكانت الجلسة الشعرية عراقية فقال احدهم : التقيت بالاخان ! وهذا غريب من شاعر يقدم للمستمعين . ولعل التصنع الذي استعمل في تقديم هذه الجلسة جر الى مثل هذا . امـا الشعراء فؤاد عباس ومحمود الحوت وخاشع الراوي فأسمعونا شعراً فيـــه الغث والسمين . وكانت مختارات الاستاذ عبد القادر الكرمي فاذا هي متنوعة الاغراض واسلوب الشاعر جديد بمقـدار . وفي برنامج المرأة يذكرنا شعر الآنسة فدوى طوقان بأخيها الشاعر طوقان الذي اخترم ولم يتمتع بخاطره .

والى جانب الشعر يحق لنا ان نضع حديثين فصحيّين . الاول وضع في باب قصة الاسبوع ، وما هو ، قصة إنْ هو إلا قطعة شعرية رقيعة ، وان كان نثراً . فقطعة الاستاذ الياس خليل زخريا وعنوانها « يوم الجلجلة » حافلة بتحليل عميق لنفسية المجدلية في تعبير شعري طريف عذب . ومع كل هذا لست أعدها قصة ، بل نشيداً . انها قطعة رائعة ، وان قـال فيها مثل « يخرج الضمير من الضمير ، ومريم المجدلية من مريم المجدلية ، والشبح من الشبح » . سوف تأتي ساعة « يخرج » فيها الياس زخريا من الياس زخريا وأتمنى ان تكون جد قريبة .

اما القطعة الثانية فللآنسة سميرة عزام وهي في هذا الموضوع ايضاً . أحسنت بدءها وختامها ولا ادري لماذا قالت الجلجثة ! ترى أللموسيقاها الرخيمة ام لسهولة النطق بهـا ؟ وهناك حديث آخر قـــال صاحبه او صاحبته ورجلاً بلباس ابيض « بتنوين ابيض » وهي ممنوعة من الصرف .

وقـــد قدم الأستاذ موسى الدجاني الآنسة اكرام الحسيني وطرق مواضيع دقيقة كالتعليم المختلط ، فأحسن هو وأحسنت هي اذ لم تستحسن اختلاط الجنسين في المدرسة الثانوية ، وان لم ترفضه في الجامعة . اما الذي لم استحسنه انا فهو ان يقدم الاستاذ موسى الدجاني شخصيتين في يوم واحد .

اما ما اعجبني جداً في هذه الفترة فحديث الآنسة رياض الجابري عن المرأة السورية في حقلها الاجتماعي . كان البحث مدروساً ، والالقاء رائعاً شائقـــاً . قالت الآنسة باعتدال ، ونعم ما قالت : التعديل ضروري بالنظر للمجتمع ولكن ضمن دائرة مقبولة . فهي لا تجاري المرأة الـتي تغالي في المطالبة بحقوقها ، كما انها لا تقر من ينكرون عليها كل حق .

وأحسن ما سمعت في ندوة الشرق الادنى في الاردن ، قصيدة الشاعر حسني فريز في الابن ، وان حالت الآهات والقهقهات دون سماع الشعر احياناً .

وفي حديث « كتـــاب وقارئة » للاديبة السيدة سلمى صائغ سمعت الثنـــاء يكال بالمد ، ونحن في عصر « البوند والكيلو » ، ولا عجب فالنساء والشعراء يحبون الثناء ولا اقول يغرهن كما قال شوقي .

النقد الرابع عشر

٧ / ٥ / ١٩٥٢

كان لون الاحسان غالباً على شخصيتي الاسبوعين الماضيين . قدم الاستاذ سليم اللوزي الدكتور مصطفى الخالدي الطبيب المحسن الذي يعطي مما يأخذ فينفق من كيسه وعلمه وعافيته . كان الكلام سجالاً بين اللوزي والخالدي فحمي وطيس الحديث ، ولا يستغرب هذا متى كان المحدث الدكتور مصطفى المشهور بوطنيته وانسانيته .

واختار الاستاذ بهيج عثمان السيد رشيد بيضون ، ودار الحديث حول مشروعه الجبـــار — المدرسة العاملية — فأدركنا من خلال الكلام ان المشاريع عندنا لا ينقصها الا المخلصون لترسـخ أسـها ويطول بنيانهـا ، وان شطرنا المغترب كلي الجود على من يثق بأمانته .

وفي الجلسة الأدبية للدكتور ابراهيم عبده وشركاه اعجبت بحكمة محمد علي ابي النهضة الحديثة اذ كان يعهد الى المجبرين على الاقـــامة في المحجر الصحي — الكرنتينا — بترجمـــة بعض الكتب . ثم كيف كان يحبس بعضهم ليترجموا له كتاباً ما ، حتى اذا ما استعجلوا وأساؤوا التعريب ليخرجوا أعاد حبسهم الى ان يقر ما ترجموه مجلس خاص . اني اخـاله استوحى ذلك من سيرة الرسول ، (صلعم) ، فقد كان يوجب على كل اسير يحسن الكتابة ان يعلمها عشرة صبيان من قريش ليفك اسره .

اما جلسة القدس ، فكانت كالمناظرة بين الاذاعة والصحافة ، فأدى

السادة عزمي البقال ورجـــا العيسى وهاشم وطوقان والنشاشيبي البحث حقه ، وقد اعجبني قول احدهم ان المستمعين يقفلون باب الراديو عندما يأتي دور الاحاديث . هذا صحيح ، ولكن هل الحق كله على المستمع ؟ ان للاذاعة في نظري ادباً خاصاً لا تزال تفوتنا معرفته . محدثونا يسبحون فوق الغيوم والمستمعون يمشون على الارض ، فكيف يتلاقون ؟

اما دكاترة الادب فحدثنا منهم الدكتور جميل سعيد عن « ايحـــاء الاسماء » وروى نكتة الحجاج حين سأل احدهم عن اسمه ، فأجـاب : سعيد بن جبير ، فرد الحجاج قائلا : بل شقي بن كسير . ان من حق الدكتور ان يعنى بمثل هذا الموضوع لان اسمه جميـــل سعيد وما أحلى اجتماع الجمال والسعد !

وحدثنا الدكتور يوسف العش عن « موقفنا من الادب العربي القديم » فكان اول حديثه مبوباً منظماً ، ولكنني شعرت انه افلت الخيط في اخريات بحثه .

وفي حديث الصباح الملخص عن مجلة المعـــلم العربي لم يعجبني قول الكاتب : قـــال احد الشعراء ، حين روى بيت المتنبي المشهور : ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... ان البيت وصاحبه مشهوران . اما شبعنا من قولهم قال الشاعر ؟ وهل يحسن بالمعلم العربي ان يزيد الطين بـلة ؟ نحن نطلب اليوم تحقيقاً وتدقيقاً لاننا في زمن البحث العلمي الذي يتحدث عنه كل من حمل يراعاً .

واما قصة الاسبوع فكان منها اثنتان مترجمتان ، عرفت من صاحبيهما واحداً هو الاستاذ نجاتي صدقي ، اما اسم المترجم الثاني فلم تلتقطه اذني لأن المذيعة ترخم صوتها حين تذكر الاسماء وعناوين المواضيع فـلا تأتي على آخر كلمة حتى يتلاشى نفساً في نفس . الطقس يشوش وهي تتأنق

فيضيع الكلام بينهما . اما القصتان المؤلفتان فاحداهما للسيدة الفة الأدلبي ، وعنوانها « من مآسي الطلاق » . الوصف والتحليل جيدان ، وكذلك الحكاية وعقدتها . وفقت السيدة الفة هذه المرة اكثر من ذي قبل لانها عالجت موضوعاً تعرف ضحاياه الكثيرة وتحسه ، فليتها تكثر من معالجة مثل هذه المواضيع في أقاصيصها .

وثانية هذه الاقاصيص اقصوصة الاستاذ رشاد دارغوث ، وهي من طراز قصصه الطريفة . فيها أتم تصوير للفلاح اللبناني الحديث ، وفيها النثر الشعري ، وفيها الحوار الواقعي كما هو . فقصة مزرعة الضهير تصور الفلاح كما هو في مباذله ، ولو تمت لهذه القصة طرافة الحكاية لكانت من الروائع . فالفتاة التي تعرف بها بطل القصة مقحمة اقحاماً ، ولذلك جاء الختام ضعف الزخم بالنسبة الى السياق الجيّد والتصوير الجميل .

العقد الخامس عشر

١٩ / ٥ / ١٩٥٢

جلسة ١٧ نوار الشعرية كانت حافلة بشعر زاه كنور الرياض . عرض فيها الشيخ محمد الصافي النجفي قصيدة عنوانها « الحرية الخالدة » . في هذه الرائعة نفحـــة روحانية تنبعث من كتلة جسدانية طبعت على الظرف والفكاهة . ذكرتني رحـــلة اشلائه بهزء المعري اللاذع وسخره المضحك المبكي ... حين تحدث عن مصير جسده وصرخ تلك الصرخة المؤلمة : واهاً له يتغرب ... ومـا كان الصافي في قصيدته الثانية اقل منه ظرفاً حين صحح خطأ تلك القبلة ... جميل الاعتراف بالخطإ قولاً ، فكيف به اذا كان تصحيحه فعلاً كما فعل صديقنا الصافي ؟ صحة وعافية يا شيخ ، ثن ولا تجعلنها بيضة الديك ... واذا كان الصافي عتاميـاً فقد كان أبو ليلى بحترياً . فالاستاذ اللبابيدي اسد بلاغة له لبد اظفاره لم تقلم . متنبىء ، بحتري في موسيقاه ومعانيه ، فقصيدته « اعمدة بعلبك » دمقسية النسج وقوافيها هدابة المفتل ، وكم في القوافي من روعة متى احكم بنيانهـــا . وهكذا بدت اعمدة بعلبك كأنها ماثلة امام أعين المستمعين قـائلة لهم : ها انا ذي ان كنتم لم تروني بعد ، انظروني واثنوا على الفن بآلائه .

واما قصيدة الاستاذ نقولا بسترس فمن لون آخر . هي نموذج طريف من الشعر الجديد الذي انبثق من لبنان ، على يد نقولا بسترس واضـع الحجر الاول في بنيان هذه المدرسة ، ولكن الوظيفة ، قاتلهـــا الله ،

أخذت منه أكثر مما أخذت من اللبابيدي . جال بـارس في هذا الميدان يوم كان مجاوراً في هيكل ربة الشعر ، وقال شعراً مصفّى من عيـــار ٢٤ ، فشق الطريق لشباب هذه المدرسة ، وكأني به قد قال لهم حين اعتكف في مكتب وظيفته : انحوا هذا النحو ، وظل يلتفت الى الساحة من نافذته وكأنه يقول : آه من قيود الوظيفة وأغلالها .

سمعت منه في هذه الجلسة قصيدة قالها في ولده ، فاذا فيهـــا من ورد نوار جماله ولونه وأريجه ، وسمعت مقطوعة من غزله ، فاذا هي أرق وأشهى من غزل البنات ، شعر يطرب الآذان ويبهج الطرف ويغذي العقل .

قد يقول المستمع : أنى لك هذا المدح !! أما أنا فأجيبه : هو من عند الحق ، وما خلقنا للقدح وحده .

أما « روضة الشاعر » للاستاذ عبد القادر الصالح ، فكانت أزهارها عتيقة ، والتعابير رواسم قديمة العهد تقلل من شأن معانيه الجديدة . فما قولك بهذه القوافي الرخيصة : البـــدر المنير ، ومنقطع النظير . وجه كالبدر يمحو الغسق . سحر عينيك . سبحان من خلق ...

واذا انتقلنا الى القصة وجدنا قصة « نافخ الدواليب » للآنسة سميرة عزام جيدة . استعاضت الآنسة بالتحليل الموفق عن الحكاية وعقدتهـــا ولا بأس بذلك .

أحسن الاستاذ احمد أبو سعد اختيـــار شخصيته الفذة ، فالدكتور عارف العارف نابغة حقـاً ، وحسب المستمع ان يقرأ كتابه « مرقص العميان » ليرى ما فتقت فيه عبقريته من دراسة عميقة لنفسية العميان ، ولو لم ينصرف الدكتور الى الحقوق لأدى للآداب حقوقاً كثيرة لا تزال مدفونة في زوايا ذمم عباقرة العميان .

لا أدري لماذا سحبت سبحتي عفواً من جيبي وأخذت أحصي كلمات « نعم » الـتي كان يهمهم بها الاستاذ موسى الدجاني ، فقد أربت على حبات سبحتي وهي غير قليلة .

وأما الندوة الاخرى التي عقدت جلستها في بيروت لبحث التجدد فما جددت شيئاً ، وقد أغنانا الاستاذ بيبي بكلمة الختام عن كل مـا اقول فيهـا ، ولكنه كان محابياً اذ قال اننا كنا في هذه الجلسة بين التقليد والتجديد ، اما الحقيقة فهي انها تقليد وعتيق .

لقد أحسن الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل الكلام في ذكرى مصطفى صادق الرافعي وتكلم بجرأة واخلاص عظيمين ، وبعبارة من طراز عبارة الرافعي ، ولكنه اوغل في السماحة حين عدّ الرافعي شاعراً ملهمـاً ، والرافعي في نثره اشعر منه في نظمه . نعم كان الرافعي شاعراً ثائراً مهتاجاً ولكن جواده كبا في ميدان التعبير شمراً عن تلك الثورة الجموح.

وفي باب النشاط الادبي ، سرني الاستاذ سويد حين تحدث عن الادب المتجهم الذي « يحمل العقدة بين عينيه والبسمة وراء شفتيه » . لقـد احسن في نقداته وما كل ناقد حجل . بيّضتها يا سويد ، فالى الامام .

وفي باب مقتطفات ادبية من برنامج المرأة سمعت كلامـاً عن الطفل وفحصه الطبي منذ ولادته ، فهل هـذا أدب ؟ أم هو استعداد لتنشئة طفل قد يكون أديباً ؟

العقد السادس عشر

٣ / ٦ / ١٩٥٢

وقفت المحطة في عيدها السنوي تحاسب نفسها امام مستمعيها . وكان من ينتقدون برامجها من الاباعد لم يشفوا نفسها ، فعقد احد موظفيها ، السيد سميح الشريف ، جلسة « اني اتهم » مع رؤساء الاقسام ، فكان شديد الوطأة غير سميح ... اني أشايعه على ما زعم . وان كنت أرى محطـــة الشرق الادنى أشد المحطات عناية بتجديد برامجها وأسبقها الى الخلق . ان الأدب الاذاعي لم يجتمع أشده عندنا بعد . فبعد تهنئة المحطة بعيدها نشكر لها هذه اليقظة وذلك الحذر فيها يؤديان الى التمام .

وأطل شهر الله رمضان ، أو شهر البركة كما سماه النبي ، عليه السلام ، فحيتـه السيدة مسرة فاخوري تحية المشتاق ، وتحدثت عنه السيدة زينب الغزالي الجبلي بلغة الأئمة وأساليبهم ولهجتهم ، فبدت لي كأنها شيخة حقاً .

وفي باب شخصية الاسبوع قدم الاستاذ احمد ابو سعد الشيخ محمـــد جواد مغنية ودار رحى الاسئلة حول الصوم وأسباب فرضه ، فأعجبني من الشيخ قوله : قالوا ان الغرض من الصوم هو ان يتذكر الصائم الجياع ، فاذا كان هذا ، وجب على جميع نواب البلاد العربية أن يصوموا دائماً ليتذكروا الشعب ...

صدقت يا شيخ ، ولكن الشعب لا يطلب منهم ان يصوموا ليذكروه ، بل ان يصوموا عنه فقط ... اما في آخر الحديث فتضعضع الشيخ ولم

يجب الاستاذ ابا سعد إلا جواباً متمتعاً حين سأله ان يحدد له التجديد .

واذا انتقلنا الى المواضيع المختلفة ، سمعنا الاستاذ سليم اللوزي يقدم لنا الاديب القصصي الموفق صاحب « نهم » و « قدريلهو » الاستاذ شكيب الجابري . هالني نبأ خسارة شكيب نصف مليون ليرة في زراعة القطن . وقد قال اللوزي في تعليقه على هذا الخبر : ان الاديب مخفق في ميادين الاعمـــال . ولكن كبرياء شكيب الاديب ابت ذلك فقال : ان اعظم الاختراعات هي بنت الخيال الذي يتمتع به الاديب . ثم قـال شكيب انه سيكتب اخفاقه قصة ، ولا شك في انها ستكون من الروائـــع ، وستزيد في ثروته الأدبية مـــا يعوض تلك الخسارة . كان شكيب في محاورته أديباً اكثر منه مزارعاً ، ولا غرو في هذا ، فالاديب الاصيل لا يخرج من ذاته إلا قليلاً ، ولهذا يخسر نصف مليون .

وانجر الحديث الى العامية والفصحى فكان شكيب كما أعهده من أشد أنصار الفصحى حتى رأى ان الناس مقبلون على التكلم بها . ان لغتنـا العامية لا تحتاج الى جهد عظيم لتصير فصيحة ؟

فيقال ، مثلاً ، كنت أدرس ، بدلاً من : كنت عمبدرس ، وبدلاً من هلق ، نقول هذا الوقت . وهلم جرا .

وفي روضة الشاعر ألقى الاستاذ رمزي نظيم شعراً منظوماً ... احسب انني سمعت هذا الشعر قبلاً ، او سمعت بعضه ، وعند المحطة العلم اليقيم .

وفي حديث « نحو عالم أفضل » قال من تلاه : لا يبقى ولا يذر ، وهي لا يبقي ولا يَذر . ان هذا الفعل ثلاثي من وذر وماضيه يستعمل . وقـــد سمعت من بعضهم كلمة أسطح جمع سطح . يترك بعضنا الكلام المألوف ، وهذه ظاهرة غريبة من ظواهر هذا العصر . وقال آخر سِقام ، اما سقام بكسر السين فهي جمع سقيم .

وفي البريد الأدبي عرف السيد سيف الكيـلاني المستمعين بالشاعر ابن معتوق . فأحسن الى شاعر مجيد يكاد يكون منسياً ، ولكن تلك التعابير الفضفاضه مثل : الفكر المحلق ، والخيال المجنح ، لا تعجبني . كما لا تعجبني ايضاً تلك اللحمة « السنكرية » مثل : واسمعه يقول ، وما أحلى ما قال ، وهلم جرا . يجب ان تكون المباحث الأدبية اكثر عمقاً .

وكان حديث الاستاذ عيسى الناعوري محيطـــاً بموضوعه « القصة في الادب المهجري » أما أعمق ما فيه فمقابلته بين شخوص رماد الاجيـال لجبران وشخوص رواية لقاء للاستاذ مخائيل نعيمة تلميذ جبران وزميله ، كما لقبه الناعوري .

وعرضت الآنسة هـــند بنداق كتاباً من الغرب موضوعه : المرأة الانكليزية وسعيها لنيل حقوقها . لقد أحسنت انتقاء الموضوع الملائم فهو بحق حديث الوقت للمرأة العربية وقد كان جامعاً ومفيداً .

اما قصتا الاسبوع فاحداهما للاستاذ صلاح ذهني وعنوانها « التوبة » . انها أشبه بالقصص الروسية تحليلاً نفسياً وغرضاً اجتماعياً . الروس يحبون التوبة والمغفرة ، وعلى غرارهم طبع الاستاذ ذهني قصة مصرية فوفق .

النقد السابع عشر

١٧ / ٦ / ١٩٥٢

جمع حديث تنمية الشعور الاجتماعي بين جمال التعبير وصحة التفكير . رافق الدكتور الركابي الانسان من الكهف الى القلاع التي وضع فيها حقوق الانسان اي عندما صار الانسان انساناً . ثم راح ينظر في بيئاتنا العربية فبان له انه ينقصنا من هذا الشعور شيء كثير ، وان لا دواء لهذا المرض العضال إلا بالتثقيف واكتساب الفنون ، واذ ذاك نتسامح مع الاخرين . كان الدكتور صريحاً جداً فما حابى ولا كتم عنا شيئاً من اسرار الداء الدفين الذي يهدد هيكلنا الاجتماعي ، فليته يضرب دائماً على هذا الوتر .

وتكلم الدكتور سامي الدهان عن شاعرية ابن حيوس وتحقيق العلامة خليل مردم بك لديوانه . كم كنت أتمنى لو اشار الدكتور سامي في هذا العرض الى جهود المجمع العربي الدمشقي في سبيل احياء هؤلاء الشعراء ، وطبع آثارهم ، ولعله لم يفعل لئلا يلحقه بعض الثناء على تحقيقه ديوان الوأواء واخراج المجمع له بالطبع الفاخر . فلمردم والدهان وخصوصاً الاستاذ الرئيس كرد علي شكر المروبة على ما يبذلون بسخاء من وقت ومال في سبيل احياء الغابرين من رجال القلم وخصوصاً الشاميين منهم ، والاقربون دائماً أولى بالمعروف .

وفي روضة الشاعر كان شعر الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني من المحصول

الرائج وزاد عليه الاستاذ نعمان لهجته الشجيـة المتنهدة في الانشاد حتى كدت أشعر بعظيم بلواه وأنا في لبنان ، وهو في قبرص .

وتحدث القاضي حسن المأموني بك عن شؤون المرأة الكبرى من زواج وطلاق ، فلام المجتمع لأنه يتغاضى عن الرجل ويشجب المرأة المسيئة ، ثم انتهى الى القول في الطلاق انه ابغض الحلال الى الله .

وأرادت الآنسة عائدة فهمي هاشم ان يكون لها رأي في تعليم المرأة ، ولكنها لم تقل شيئاً مما أوحى به الينا العنوان .

وفي بريدنا الادبي سمعت في حديث « الطبيعة في شعر الاندلس » ان شكسبير كان يدعو الى الريف حيث يعيش الناس بلا احقاد ولا اضغان . فاذا صح هذا القول كان شكسبير كأكـثر من عرفوا الريف من بعيد . ثم قطع هذا الحديث وانتقل الى موضوع الشعر الباكي ، وخص الباحث باللوم هذا البيت :

أفحتم علي ارسال دمعي كلما لاح بارق في محيـا

أظن ان قائله ، وهو الاخطل الصغير ، قد فاق جميع الشعراء حتى المتنبي في هذا البيت ، اما قال ابو الطيب :

ما لاح برق او ترنم طائر الا انثنيت ولي فؤاد شيق

فتأمل الفرق العظيم في الصورة بين قول بشارة وقول المتنبي .

وكما قطعوا حديث الطبيعـة في شعر الاندلس كذلك قطعوا حديث « العرب والفنون الجميلة » للاستاذ روكس بن زايد العزيزي . قال العزيزي عن صومعة غمدان ، ان النائم فيها يرى الطير في السماء ... ان العبارة مقطوعة ، فكلنا يرى الطير في السماء اينما نام . اما قصد الجاحظ منها فهو انه لعظم ارتفاعها كان يميز النائم فيها الطيور المتشابهة . اما رواية العزيزي عن استاذه الكرملي ان سفر ايوب كتب بالعربية ثم ترجم الى

العبرية وضاع الاصل العربي فأظنه غير صحيح لأننا لا نجد في سفر ايوب لون شعرنا العربي . ثم أراد روكس بن زايد ان يمجد العرب ايضاً فتاه فقطعت المحطة حديثه ، وكان أحرى بها ان تدرك الشطط قبل ان تذيع .

وحدثتنا السيدة نرجس داود في مطالعاتها عن أهمية الاحصاء عند الاميركان فتذكرت تهكم مارك توين بالفرنسيين . اما نديم الصباح فهو نديم حقاً فليته ككل ايام رمضان ، بل ليته يدوم شرط ان لا تتكرر نكاته وطرائفه .

لقد تصفت هذه المرة الآنسة سميرة عزام في قصتها سرياليزم ، فواحد من الف من مستمعي الاذاعة تطيب لهم قصة كهذه .

اما قصة العجيلي وموضوعها صوم رمضان فكانت اقرب الى الافهام من تلك ، وهي في ابانها .

ان الاخطاء في اللغة والقراءة كانت غير قليلة هذه المرة . قيل : حدقوا فيه ، وهي حدقوا اليه . وقيل : الماء المثلج ، وهي الماء المثلوج . وقيل : رأسها كانت شفافة ، والرأس مذكر . إلا اذا كانت المرأة تؤنثه لتقيم من ذلك حجة للمطالبة بحقوقها .

وقيل : تحرق ايامها على محرابه وهذه صورة غريبة بل بدعة ادبية جديدة . وقيل : فصول شيقة ، وشيقة لا تؤدي هذا المعنى . وقيل : ورب سائل يقول ، والصواب قال . وقرىء ينظرون شزَراً وهي ساكنة الزاي . اما الآنسة فهيمة حافظ فلحنت كثيراً ، وأخطأت جداً في تعبيرها فليتها تدقق اكثر .

النقد الثامن عشر

٢ / ٧ / ١٩٥٢

كان اكثر الكلام في هذه الفترة عن الصوم وفوائده الروحية والجسدية ، ثم عن العيد ومعانيه الروحية وما يجب ان يوحي الى اصحاب الاكياس الوارمة والصناديق المنتفخة المبتلاة بالكظة ، فهذا أديب الأمس وقاضي اليوم الشيخ علي الطنطاوي يتحدث الى الاستاذ احمد ابو سعد عما رأى ويرى في شهر رمضان . رأى مؤمنين غير متمسكين . رأى أن رمضان فر من الاسواق واختبأ في الجامع ، لم يره في العراق إلا في جامعي الأعظمية والجيلاني ، ثم مضى الطنطاوي القاضي يرثي الصوم بلغة الادباء . لا تحزن يا شيخ ولا تيأس فاذا كان لا يزال في المسلمين من يصوم فالنصارى عافوه جميعاً إلا نفراً قليلاً جداً .

وكان سؤال ابي سعد عن التقدمية فتجاهلها الشيخ الطنطاوي وقال انه لم يفهمها بعد . واستعار ابو سعد لسان الملحدين ليجرب صاحب الفضيلة فاحتد هذا واحتدم ، وانتهى الوقت المعين ، وكم كان الوقت فضاحاً المشاكل في موقف أحرج من هذا الموقف .

اما جلسة العيد ، وقد كانت معقودة من فضيلة القاضي مغنيه والاستاذ الشيخ محمد الشام والأديب حسين مروه ، فأصّلت العيد وفصلته ، وألمّ القاضي مغنيه بما كان يجري منذ زمان في القرى من مسالمة ومصالحة بين الناس بمناسبة الاعياد ، وسئل الاستاذ مروه عن العيد في الشعر

فروى وأحسن التعليل .

هذا ما استرعى الانتبـــاه في هذه الفترة من المواضيـع الخاصة أو مواضيع الساعة ، أما المواضيع الأخرى فمتفرقة متنوعة .

ركن الطلبة – ما اكثر نوادر المعلمين والتلاميذ وطرائفهم ، وكم أتمنى على الاساتذة أن يتصدوا لها فيفكهوا بهـا مستمعيهم . فللأساتذة نوادر وللتلاميذ نكات كثيرة عفويـــة لو جمعت لكانت مجلدات ضخمة فأين المعلمون منها . قال الاستاذ جميل البديري في حلقة طلاب المدرسة الاردنية وطالباتها : من يقصر له صفر مدور . فلو قال كذاك الاستاذ : من يقصر له كمكة بسمسم ، لكانت النكتة أبرع وأروع .

وعقدت جلسة أدبية من الدكاترة كزبري وكرد علي وحداد ، فمد لهم الاستاذ بيبي فراشاً وثيراً ثم قال انه ترك الساحة ، ولكنهم ما كادوا يجولون في بحثهم حتى نجم الاستاذ بيبي بغتة ودخـل في الدعوى شخصاً رابعاً لا ثالثاً . تلك خصلة البدن أبعد الله الكفن ، فكما كان في المدرسة يضايقني حتى يفلقني ، كذلك هو يفعل اليوم كلما عنت له كلمة ، فهو لا يدعها ولو أدت الى خراب المسكونة .

اما زجل السيدة زينب محمد حسين – وان نقصته الشاعرية والموسيقى – فلم يفته النقد المر للمرأة ، فلو حمل عليهن رجل مثل هذه الحملة لما نجا من خير التحيـــات . لقد صدق المثل القـــائل : لا يقطع الشجرة إلا فرع منها .

وكتب الاستاذ نجاتي صدقي قصة الاسبوع ، وموضوعها « سكة العيد » فأجاد الوصف والتحليل ، وتعسف في الحكاية . التعبير صالح جداً للرواية لولا بعض هنات لغوية فيه مثل : تحيك الشباك ، ومضارعها تحوك ، وان كان من مصادرها السماعية حياك وحياكة .

وكانت جلسة مع الشاعرة فدوى طوقان ، فنسي مقدمها السيد موسى الدجاني انه يحكي ولا يكتب ، فقال عن الشاعر ابراهيم : يضيق عنه الحديث في هذه المجالة ! كانت الجلسة غير موفقة أسئلة ، ولكن ضحكات السيد موسى العريضة انعشتها نوعاً ما ...

وفي باب روضة الشعر أعجبتني قصيدة للآنسة مقبولة الحلي . هي على وزن وقافية : حكم المنية في البرية جار ، واذا لم تفز الآنسة بالطريف من صور تلك ومعانيها فقد فازت بالتعبير والعاطفة . لم تعجبني كلمة الزأر قافية ، كما لم يعجبني التوقف من التالية بالنيابة . وما لي أقول هذا يعجبني وهذا لا يعجبني ؟ فربما كنت لا أعجب أحداً .

النقد التاسع عشر

١٧ / ٧ / ١٩٥٢

كانت جلسة الاستاذين خالد الجرنوسي وعبد الله شمس الدين والسيدة روحيّة القليني ضاجة صاخبة بآهات استحسان تلقى على عواهنها ، فكأن من عقدوها لا يحسبون أن في مستمعيهم من يميز الغث من السمين .

قالت السيدة روحية شعراً جيداً ، ولكن احد الاستاذين أكثر من « الله الله الله » حتى خلته جالساً على تخت أحد المغنين لا في حلقة أدبية .

وعقد الأساتذة عبد الله المشنوق وسعيد فريحة وحنا غصن جلسة أدبية طريفة . الكلام عتيق معمّر ، ولكن الطريف يظل طريفاً مهما تقادم . دار البحث حول تأثير الزواج في مهنة الصحافة ، فقدم الموضوع الأستاذ المشنوق ببراعته وظرفه المعهودين ، فكان وفريحة يتباريان في حلبة النكتة اللاذعة ، ولا بدع ، فهما من أربابها . كانت القهقهة في محلها ، والضحكة في إبانها . قلت هذا لأنني متألم جداً ممن يضحكون ولا أضحك معهم ، كأنهم يظنون الضحكة خرّاجاً اصطناعياً ...

اما قصة الاسبوع ، للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله وعنوانها « لقاء في نصف الليل » فاجتمع فيها جمال التعبير وبراعة التحليل . ابتدأت قطعة شعرية أدبية ، وانتهت اطروحة فلسفية . ولكنها لم تفقد في الأول والآخر ملاك القصة الطريفة ، وان كان مطلعها أجمل تعبيراً من ختامها وأكثر رونقاً .

النقد العشرون

٣٠ / ٧ / ١٩٥٢

في باب « رائدات المجتمع » قدم الاستاذ موسى الدجاني الآنسة لولي هاشم ، فكانت أمامه في بدء الاستنطاق كطالبة لم تحفظ درسها جيداً ، ولكنها كرجت فيما بعد ... اما الأستاذ موسى ، فالفاتحة عنده الفاء عصا القهقهة ، حتى اذا اهتزت كأنها جان ، راح يردد : نعم نعم .

وفي باب روضة الشاعر ، أنشدنا الاستاذ عبد اللطيف زغلول معلقة عمزيـــة ، فأخذ طولها من عرضها ، فبدت هزيلة تحتاج الى الكلسيوم والفيتامين . لم أفهم ما يريد بقوله : تهوى الجمال ولو حازته عنقاء ! .

وكانت الجلسة الشعرية في مصر ، فكانت قصيدة السيد احمد عبد المجيد خير قصائد صاحبيه وصفاً وحسن حبك .

وفي ذكرى المغفور له رياض الصلح ، الزعيم المجاهد ، ألقى الكاتب الظريف سعيد فريحة كلمة لمتها وسداها الاخلاص ، فألمّ بشخصية الفقيد الغالي من جميع نواحيها . أما ذكرى جورجي زيدان ، للكاتبة سلمى صائغ ، فكانت ذكرى الفقيد وذكريات الاديبة ، أطال الله بقاهـــا ، ومع هذا لم تلهها ذكرياتها عن اخراج صورة كاملة الخطوط للفقيد .

وفي بريدنا الأدبي ، تلا الاستاذ محمد العدناني قطعة غير موفقة فنياً ، عنوانها « الابن الصادق » وفيه ايضاً كان حديث للاستاذ نبيه غطـــاس عنوانه « واكتفينا بالأدب » . أراد الاستاذ غطاس ان يتهكم بالشعراء ،

ولكنه لم يحسن قراءة اسماء بعضهم ، فكان الشنفرى عنده الشُنَفْرى وأراد أن يصرف الشرق عن الادب ، ثم حاول ان يكتب قصة بعنوان « مريض » فجاءت مريضة التعبير ، وهو قوام القصة ، ناهيك بأنه كتب صورة مخربشة لا قصة . كان أحرى به ان يجعل عنوانها « هرة » لأن بطلتها هرّة ، ولأنها جاءت مقطوعة الذنب كما يقطع البعض عندنا اذناب هررتهم لتسمن ... وهنا لا بد من ملاحظة لمن تلاها بالنيابة ، فقد قرأ البطريرك البطريرِك مع أنها لفظة أمست معروفة .

وللآنسة ثرية حسين قصة عنوانها « كذب المنجمون » . انها حافلة باللون المحلي وهي مع ذلك أشبه بحديث خالتي ام درويش وزميلتها الاخرى ، ناهيك بأن الآنسة ثرية قد قصّرت في ختام قصتها اذ كلفت نفسها افهام القارىء ما فهم .

وفي « حلم العودة » ، وهي قصة للدكتور جودت الركابي ، تصابير طريفة مثل : ثديان ككرة القدم ، وغيره . وفيها تصوير جميل وسياق سريع ، وختام جيد .

ومن شخصيات الاسبوع كان الاستاذ كميل شمعون ، قدمه الاستاذ اللوزي ، فاحتج على لقب بك ، ثم سكت عن لقب « معالي » لأنه اقل ابتذالاً . اما الاسئلة التي وجهت الى النائب شمعون فتهم كل مستمع ، وكان يدلي بآراء رصينة . اما خير ما قال في نظري فهو هذه العبارة : ان البلاد العربية محتاجة الى تغيير عقليتها . ولا عجب ان بذل الاستاذ شمعون للعرب مثل هذه النصائح القيمة فهو يعرف الكثير من شؤونهم وشجونهم .

النقد الحادي والعشرون

١٤ / ٨ / ١٩٥٢

اسكندر الخوري البيتجالي شاعر ظريف له اسلوبه السهل ومواضيعه الخاصة . رأينا في وصفه لبحيرة طبريا لوناً محلياً ، وفي قصيدة « مصرع كلب » عاطفة عصرية ألهمت الاستاذ موسى الدجاني فقال بمناسبة تقديمها للمستمعين : والفضل يعرفه ذووه ... وللشاعر ايضاً ارجوزة طريفة في وصف قطين عاشقين ذكرتني بقصيدة بشار في حماره الذي عشق تلك الاتان — عشقاً حمارياً — فصرعه حبها .

وفي « ليلة في مضارب النور » اسمعنا الاستاذ عبد الحليم عباس شعراً يحسد عليه الشعراء المتحضرون هؤلاء الغجر ، ولا أبالغ اذا قلت ان ما سمعته أقرب الى الشعر الطاغوري منه الى شعرنا . كان الاستاذ عبد الحليم في حديثه اديباً وشاعراً أكثر منه محدثاً ، حتى انه تفلسف مع النوَر فلسفة ما كنت اظن النوري يدركها .

اما قصة « وصية الشيخ » للاستاذ محمد الامير الكاتب السوداني ، فحافلة باللون المحلي . كان بطلها من بخلاء الجاحظ ، وكان كاتبها في ترصيعها بالآيات المؤيدة لرأيه في بطله ، من قراء الجاحظ المدمنين . لا يؤخذ عليه إلا اهماله وصف مظهر بطله .

لقد أعجبتني نهاية حديث « مذكرات طيارة » حين دعت الآنسة عائدة النساء الى الطيران ، ثم ودعتهن على أمل اللقاء في الجو . اعتقد ان السيّدات

سيكنّ ابرع من الرجل في هذه الساحة الفسيحة ، فالطيران يطلب خفة ولطفاً.

وتكلم الاستاذ احمد سويد عن بعض مظاهر النشاط الأدبي ، فعالج موضوع الأدب المتضوي بطرافة رأيتها في حديثه مرة . اننا يا سيد سويد محتـاجون الى أدب توجيهي لا الى ادب موجّه ...

اما الاستاذ عبد الله المشنوق فهو ذاك الكاتب الظريف في كل ما يكتب ، ان صاحب « مساء الخير » و « من ثقب الباب » قد أصبـح علماً بل قلماً في رأسه نار . ضحكت لندن ، هكذا ابتدأ . ثم راح يقول : هـل استسلم الشيوعيون وهل وهل ، وكان الجواب : أشرقت الشمس .

فقلت إذ ذاك : ما أفقر لندن الى نور الشمس ، وما أفقرنا الى أنوار كثيرة .

وقد كان من شخصيات الاسبوع الغريبـة الدكتور علي عبد السلام الذي جن عشر سنوات ثم شفي .

حدثنا الدكتور عن ذكريات البيمارستان . وأما أغرب ما سمعته منه فهو أن للجنون ميكروباً وانه ينتقل بالعدوى ...

النقد الثاني والعشرون

١٩٥٢ / ٨ / ٢٧

نديم الصباح – قلت سابقاً : اخشى أن يستحيل ركن « نديم الصباح » ركن « ما يطلبه المستمعون » وأزيد الآن ، بعد ما سمعت سيولاً من الحكم تنصب فيه ، اني اخشى أن يمسي ركن مواعظ ... فلنخلق ركناً للحكم والمواعظ ، اذا شئنا وليكن موعده قبل النوم ... اما في الصباح فأتمنى على من يعد «نديم الصباح»ان يعيد أمره كما بدأه ليذهب المستمع الى عمله نشيطاً. ان الضحك فن ، ورب ضحكة أغنت عن فطور . فالفكاهات والملح ربيع القلب.

قال النبي (صلعم) : روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلّت عميت . وقال ايضاً : لا خير فيمن لا يطرب . وقال : يدخل عثمان الجنة ضاحكاً لأنه كان يضحكني . وبناء على كل هذا ، أرجو بالحاح ممن يعنيه أمر « نديم الصباح » ان يقص علينا ملحاً وفكاهات تشع منها الحكمة ، اذا كان يؤثرها ، فالحكمة اذا اعطيت صرفاً قد تمل ، ولا يصغى اليها .

ركن الكتب العربية الجديدة – وهذه محاولة جديدة تقوم بها المحطة ، فقد عهدت الى من عندها بالتحدث عن الكتب التي ظهرت حديثاً . كان الكلام عن كتاب المغرب الاقصى للريحاني الذي اصدرته دار المعارف لابساً احدى حللها القشيبة . لقد جاء التعريف بالكتاب مقتضباً جداً ، ولكن ليس في الامكان اكثر مما كان ، فكتاب رحلة ضخم ككتاب الريحاني لا يجيء التعريف به وافياً في ساعة ، فكيف يكون ذلك ببضع دقائق ؟

وهناك كتاب آخر عن الاذاعة وأدبها للاستاذ عصام حماد . كان التعريف به أوفى لأنه غير متشعّب المواضيع . قال مؤلفه : ان الاذاعة أنزلت الأدباء من أبراجهم العاجية . هذا صحيح ، ولكن على الاذاعة ايضاً ألاّ تقبل من هؤلاء مصنوعات يعملونها في ابراج خشبية ... اني أرى الكثير مما يذاع يسمح له بالمرور اما لحاجة الاذاعة اليه ، واما لتهيب المراقب اسماء كاتبيه الضخمة. لا بد لنا من أدب ، ولكن لا يظنن الأديب انه اذا نزل عن مستواه كتب أدباً اذاعياً ، ففي استطاعته ، اذا جد ، ان يوفق بين فنه وذهنية مستمعيه.

قصة الاسبوع : لم تكن قصة « المليونير النموذج » بالقصة النموذجية ، بل كان عندنا في هذه الفترة قصتان نحيلتان . الاولى للقصصي الاستاذ رشاد دارغوث ، والثانية للانسة اماني فريد ، وكلتاهما تعتمدان على الوصف لا على الحادثة . فقصة دارغوث تمتاز بلونها المحلي ، اما قصة امرأة فيلسوفة فهي لا تتقيد بمكان . وقد عجبت من وضع الجزدان الى جانب الخمار عند الاستاذ دارغوث ، فليته ادرج الخمار في الحقيبة وأراح المستمع المعاصر .

وتحدّث الاستاذ عزت بشّور في ذكرى الشيخ ابراهيم المنذر ، فما نسي ان يلم بسلسلة نسبته الغسانية ، ولا فاته اطراء جهده ونصبه في تعزيز أم اللغات . ثم درس بدقة الخبير أخلاق الفقيد وما اختلج في صدره من لواعج ونوازع ، منتزعاً ذلك من قصيدة مشهورة للشيخ المنذر . وسواء أكان ابراهيم غسانياً ام غير غساني فهو عربي صميم ، والعربي بآثاره التي يحييها لا التي يرثها، فشكراً لعزت الذي قضى عنا بعض ما يجب للشيخ الحبيب .

وعقدت جلسة شعرية في الاردن ، فأسمعنا الشاعر حسني فريز شعراً طيباً ولكن موضوعه مبتذل . إن تاريخنا كأرض استنزفت موادها المضوية ، فهي محتاجة الى تغذية جديدة لتعود الروعة الى الشعر الذي يتغنى بها . ولعل شعر الشيخ رشيد ، شريك الاستاذ فريز في الجلسة ، أقرب الى الجديد من

شعر حسني ، ولا سيما الأول من قصيدته التي أنشدها . فهمت من سياق حديثهم ان رشيداً شيخ ، ولكني رأيت في شيخوخته شباباً شعرياً . اما روضة الشعر فكان بلبلها الاستاذ عمود صالح . كان خياله أضعف من تعبيره ، كما كان في قصيدته الأخيرة « كنز الذكريات » أشعر منه في قصيدته الاولى « كوكب الصبح » ، اما الثانية ، وعنوانها « وحي الرسالة » فهي رسالة بلا وحي .

شخصية الاسبوع — كان صاحبنا الحاج ابراهيم الزين ، صاحب مكتبة العرفان في بيروت ، شخصية طريفة حقاً ، ابتُدئت الجلسة باعتراف الحاج اعترافاً صادقاً ، وختمها الاستاذ ابو سعد بكلمة وافقت المقام . حقاً ان سيرة حياة الحاج عظة للذين يسبون الدهر لأنه لا ينزل الرزق عليهم بالسل . ان السل يحمل ولا ينزل .

النقد الثالث والعشرون

١٢ / ٩ / ١٩٥٢

كانت أحاديث العيد ممتعة جميلة ، تذكر الناس بالناس ، وهل خلقت هذه المواسم إلا لمثل هذه الذكريات التي تنفع ؟ واني لأخص بالذكر حديث السيدة وداد سكاكيني ، فقد جمعت هذه الكاتبة في حديثها الفكرة الحكيمة الى الذكريات الطريفة ، والمواعظ والنبوآت ، انها لم تنس شيئاً حتى المرأة وحقوقها ، ولكن طبقاً لمنهاج السيدة وداد الخاص ، لا لمناهج المتطرفات من بنات جنسها . وبالاختصار ان العيد الكبير عندها هو ذاك اليوم الذي تنال فيه المرأة حقوقها .

اما قصيدة الآنسة مقبولة الحلي فحلّية الديباجة ، بيد انها كانت غزلية اكثر منها « عيدية » ولا عجب في ذلك ، فمن عادة الاعياد ان تطرب او تشجي.

وفي ركن القصة ، كانت قصة السيدة الفة الادلبي مكتوبة بمناسبة العيد . التعابير طريئة كلحم الاضاحي الذي كان يوزعه المرحوم زوج بطلة قصتها ، وموقف الأم الأرملة التي فاجأت ابنها يقبل الخادمة قبلة العيد أخرجه التحليل الجيد بارزاً ناتئاً. ناهيك بأن القصة ذات لون ، إن لم يكن محلياً فهو قومي . ذكرت التعبير بالخير ، وها أنا أدل على شيء منه أعجبني مثل قول الأم التي تريد تزويج ولدها من ابنة غنية ولكنها قبيحة : المال يبيض السمرا ، ويطول القصيرة . وكقولها في مكان آخر ، وهو من العامي الفصيح : يا جار الرضا ، وكل غال في سبيلك رخيص ، ولكن ذاك الجار لم يرضها فما أغمي عليها قليلاً

حتى كان قد فر .

وهنـاك حديث عنوانه « اللهو الرشيد » للاستاذ غـالي أمين . الحديث يتنكر بثوب القصة ، وهو من الطراز المرغوب فيه . التعبير الجميل المألوف يزين هذا الحديث ، ولكن اللحن يشينه . فالظرف عند الاستاذ غالي مرفوع دائماً.

اما قصة الاسبوع للاستاذ امين يوسف وهبه ، وعنوانها « الماضي البعيد »، فهي تدور على ضعف الذاكرة . في قصة الماضي البعيد فكاهة وطرافـة ، ولكن صاحبنا المؤلف كان يسوق « نروازيم » فما كان يتئد الا حين يتلعثم .

اذا قبلنا السرعة الكبرى في مواضيع أدبية ، فاننا لا نقبلهـا ابداً في القصة ، فالقصة ان كانت لا تمثل فهي لا تتلى كدرس محفوظات ... ان هذه السرعة التي اؤاخذه عليها قد جعلته يتعثر ثم يصلح ما أفسد من لفظ ، وهذه الهنات قد ذهبت بالكثير من روعة اقصوصته الطريفة .

وعقدت ندوة الشرق الادنى جلستها في القاهرة برئاسة الاستاذ ابراهـيم دسوقي اباظه ، يعاونه الاستاذان عوض الوكيل وعثمان الغزالي ، فبحثوا الشعر المصري المعاصر . أكبروا الكلام حول الالقاء وتأثيره . وتطرقوا الى القـاء حافظ ، وأخيراً خرجوا على أن الالقاء الجيد يعطي الشعر أكثر مما له .

أذكر أن أحد المصريين أطلق على أحد شعرائنا لقب « شاعر الحنجرة »، لأن شعره كان يعلو على المنبر ويسقط من الاوج الذي ارتفع اليه في أنهار الصحف .

وفي « روضة الشاعر » ، رغم المقدمات اللطيفـة الناعمة التي تفضلت بها المذيعة على الاستاذ عبده محمد بدوي ، لم يكن للاستاذ شعر طيب غير المقطع الثاني من المقاطع الاربعة . كانوا يقولون بيت القصيد ، فلا نظلم الاستاذ بدوي اذا كان له واحد من أربعة .

النقد الرابع والعشرون

٢٥ / ٩ / ١٩٥٢

عندما مضت السيدة المحامية مفيدة عبد الرحمن تتحدث عن زوجها المحامي محمد عبد اللطيف ، عن لي أن اقترح على الزوج ان يبادل عقيلته كلاماً بكلام، ولكن المذيع اعلن ان ذلك سيكون في الاسبوع المقبل وفي الموعد عينه ، فانتظرت وسمعت .

الموضوع طريف ، وقد كتبه على حقه هذان الزوجان المثقفان . كانوا فيما مضى ، اذا اقتضى ذكر الزوجة يقولون : أهل البيت ، او أم الأولاد ، ولم يكن أحد يذكر اولئك الموؤودات حيات بخير ولا بشر ، فالحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما كان يعد بالامس امراً إدّاً .

أفاضت الاستاذة مفيدة في موضوعها وأثنت على زوجها بالذي هو أهله . رأت فيه ، رجلاً مثالياً أحاط بالمعرفة والمكارم من جهاتها الست . ولما جاء دور الاستاذ عبد اللطيف ، بادل زوجه الثناء صاعاً بصاع ومداً بمد ، فرآها مفيدة كزوج وكأم ، وكاتبة ، وكرجل ايضاً ، وكم في النساء من رجال ، فصحّ المثل في الزوجين الكريمين : كما تراني يا جميل أراكا ، وشرط المرافقة الموافقة.

حقاً ان الثقافة هي خير مؤلف بين النفوس .

في هذا البرنامج كان عندنا قصتان ، واحدة للآنسة سميرة عزام : « بائع صحف » . أعجبني منها هذا التعبير : وجهه خارطة من الخدوش . جبرت الآنسة عزام خاطري بتعديتها « حدق » بالى . اما قصتها فأقرب الى أن

تسمى « صورة » من أن تسمى قصة ، وكل هذا جيد ، ولكن الخاتمة مقطوعة الذيل حتى الاحفاء .

وأما قصة « والله الذي لا رب سواه » للاستاذ جعفر الخليلي ، فحكايتها فاجعة موجعة ، ولكن اخراجها الفني قلل من روعتها وتأثيرها . حقاً اني أتألم كلما تذكرت قصة تلك الأم ، التي خيّل اليّ اني أراهـا وهي تسقط في الهاوية لتلاقي حتفها .

السيدة زينب محمد حسين زجالة مصرية من طراز عمر الزعني عندنا ، تأخذ مواضيعها من صميم البيوت ، وعندها دقة وصف تشبه التصوير فتبرز أشخاصها للعيان .

وفي باب دراسات أدبية ، تحدثت السيدة ادفيك جريديني شيبوب عن ولاّدة بنت المستكفي ، فعرفت المستمع بها أكثر مما درستها ، وزد على ذلك انها لم تذكر شيئاً عن منافسة ابن عبدوس لابن زيدون في حب ولاّدة ، وهي لو فعلت لكان حديثها أكثر طلاوة .

اما الاستاذ حسين مكي فقد أصاب الهدف حين تحدث عن مارون عبود واساوبه في كتابيه : دمقس وأرجوان ، وفي المختبر . قال ان له تعابير لا يفهمها وهذا حق ...

النقد الخامس والعشرون

٨ / ١٠ / ١٩٥٢

الى أسمى طوبي : نعم يا سيدتي ان حديث الشهر الذي ألقيته منذ مدة كان طريفاً وطلياً كما قلت . ولكنه ليس « حديث الشهر » كما يجب ان يكون هذا الحديث – في نظري على الاقل – فأرجو منك المعذرة . والى مبارك ابراهيم مترجم قصة « المليونير النموذج » اقول : لا تكون كل بضاعة أدبية « نموذجية » وإن صنعت في انكلترا (Made in England) . وحملت اسم اوسكار وايلد . ظلت قصة « المليونير النموذج » نموذجية حتى المقطعين الاخيرين ، وقد كان على اوسكار وايلد ان يستغني عنهما ... فالقصة الفنية ليست اخباراً محلية ، ولا هي مواعظ وحكم ليبدي « المصور » في ختامها آراءه الاجتماعية . ان الفنان يترك شيئاً للقارىء ، وهذا ما كان على اوسكار وايلد ان يتركه لنا .

اما عبارة الترجمة فجيدة ، ولم اسجل ساعة سمعتها إلا عبارة واحدة وهي : واني لأتمنى ان لو كنت استطيع ان اعينه على أمره . فقد وردت أن ثلاث مرات في جملة عدد كلماتها عشرة . انّ لو يا عزيزي مباركاً كافية للتأويل فلا حاجة الى القول ان لو .

اما شيخنا الجليل السيد محمد جواد مغنيه ، فقد أصاب الهدف في الرمية الاولى حين قال : وللناقد الأدبي عذره إذ لا يستطيع الانسان ان يستوعب جميع ما يسمعه بالراديو ، كما يستوعبه بالقراءة والمحاورة . ثم أصاب في الرمية

الثانية إذ قال : قال الدكتور طه حسين : ان الشيخ الذي درس عليه في الأزهر كان يقول : ان كل من يـذهب الى باريس ، إن لم يكن كافراً ، فهو زنديق على الأقل . وعلى هذا المنطق يمكن الحكم على كل شيخ يتكلم عن التجديد — وان لم يسمع — بأنه ان لم يكن مخطئاً فهو متضعضع ومتعتع على الأقل .

انها قسمة غير ضئزى رضيت بها با شيخنا الجليل ، والأذن تخدع مثل العين أحياناً ، والسلام عليك .

وبعد فلنعد الى أغنامنا كما قال رابليه .

الجلستان الأدبيتان — كانت اولاهما في بيروت والثانية في القاهرة. فالجالسون أدبياً في بيروت هم السيدة ممدوحة السيد وأحمد مكي وفؤاد حداد . وكان موضوع بحثهم نشاط المرأة الأدبي منذ ربع قرن . شكت ممدوحة السيد من ضعف المرأة الثقافي ، وعزا أحدهم تقصير المرأة في الأدب الى عدم « البوح » بمكنونات نفسها . أظنهم يتحدثون عن ذلك الزمان ، اما اليوم فأنا اتشكى من البوح الذي أسمعه من المرأة في أغانيها التي تنقلها الينا الاذاعات ، وإن كانت محطة الشرق أقلهن انتقاء لهذه البضاعة .

اما فؤاد حداد فكان كعادته متشائماً لا يعجبه شيء حتى أمه حبوبه التي لعبت دوراً أدبياً كانت فيه ملء عين الزمن . وحسبها ما كتبته تحت عنوان « وكان مساء وكان صباح » . ورأى احمد مكي ان اقبال بناتنا على النظم بالفرنسية ناشيء عن صعوبـة لغتنا ، اما أنا فأرى ان نشأتهن في المدارس الاجنبية ابعدتهن عن اللغة الأم . اما اليوم فقد بدت طلائع فارسات الفصحى ، والأمل بنهضتهن كبير ، وليتشاءم فؤاد ما شاء .

قصتا الاسبوع : كانت احداهن من طراز الف ليلة وليلة وعنوانها «القمقم» . تناولت أخبـار جني عصري ، ولعلها أحق باسم الحـكاية منها باسم القصة ، وكانت الثانية للاستاذ نجاتي صدقي بعنوان « العبد سعد » . وهي موفقة جداً

بالنسبة للاستاذ صدقي ، كما اني لم ارَ قصة اوسكار وايلد « نموذجية » بالنسبة اليـه . وفي حديث الشهر رأت الدكتورة زهيدة حميدان أن توظف المرأة في وزارة الخارجية لأنها تحسن الدعاية لبلادهـا . قد يكون ذلك اذا كانت صالحة لهذا الامر ...

وفي الأحاديث الأدبية كان خير ما سمعنا حديث الاستاذ عيسى الناعوري عن مذكرات جريح للشاعر بولس سلامه ، فهذا شاعر كاتب يستحق النقد ، وذاك ناقد دارس فاهم وإن كان يكيل الثناء بالمد ويعطي النقد بالدرهم والقمحة.

شخصيتا الاسبوع — كان الاستاذ سليم اللوزي في جهد جهيد مع الاستاذ محمد علي طوال . لم يكن يحوله في طريق حتى يعدي عنها ويعود الى طريقـه الجغرافية التاريخيـة ... ثم شاء الحظ أن يحالف اللوزي فوفقه الى شخصية فذة ، فكان الزعيم نور الدين الرفاعي أمام المذياع يتكلم بحزم وجزم . فكان اسبوع المسؤول والآمر في وقت معاً ، وكانت المتعـة في « جلسته القصيرة فاصلة على الكفاية » .

النقد السادس والعشرون

٢٣ / ١٠ / ١٩٥٢

تحت عنوان « بأقلام المستمعات » سمعنا حديثاً عنوانه « الصخرة التي تحطم السعادة » ، للآنسة زهراء أبو المكارم ، فأبانت لنا صخوراً عديدة لا صخرة تتحطم عليها السعادة الزوجية ، وارفع هذه الصخور وأكثرها شناخيب كانت صخرتا اختلاف الثقافة والطلاق .

وصاغ الاستاذ واصف البارودي حلقة محكمة أضافها الى سلسلة « أزمة التعليم في البلاد العربية » فعالج الموضوع معالجة بصير خبير ، ومن أجدر بهذا من البارودي الذي أنفق صفوة الايام في خدمة التعليم والتربية ؟ أصاب الاستاذ واصف حين قال : آفتنا التمني والدعاء والغرور والادعاء . وان المناهج لا تفرج أزمة التعليم ، وما يفرجها إلا تكوين المعلم المربي الحر ، لأن المستعبد لا يخلق أحراراً . فاخلاص المعلم هو الذي يوطد أسس الوطن ، وحل أزمة التعليم لا يتحقق إلا بحل أزمة المعلم لأن المعلم صاحب رسالة . فاذا كان صاحب البيت أدرى بالذي فيه ، فواصف البارودي هو ذاك ؛ فلنسمع له ، ولنعمل بما يقول . لقد قال بسمرك قبله بعد حرب السبعين : غلبنا فرنسا بمعلم المدرسة .

وكنت أصغي في كل صباح ، ولا أزال ، الى رواية مزرعة الحيوان المتسلسلة التي يقدمها الاستاذ كامل قسطندي فيخرجها على حقها . لقد أحسنوا اختيار هذه الرواية للترجمة ، فهي كليلة ودمنة عصرية ، بل رواية اصولية ، تتولى فيها الحيوانات مهمة البشر ، فسنوبون ذلك الخنزير الثائر شخصية كاملة

الملامح ، تامّة الالواح ، ومثلها نابليون ، الشخص الاخر .

وفي باب مع الفكر الغربي ، سمعت حديث « نحو حيـاة مثلى » للاستاذ احمد مظهر العظمة ، عرض فيه المثـل العليا في خلال العصور عرضاً دقيقـاً وجيزاً ، فأجاد وأفاد . ولكن لي اعتراضاً على قوله : السعادة الحقة . فمـا علينا لو تابعنا القدماء الذين قالوا : المصدر لا يذكر ولا يؤنث ؟ فهل الحقة أرخم جرساً من قولنا الحق ؟ واذا قلنا الحقة فهل نقيس عليها ونقول مثلاً : امرأة عدلة كما نقول رجل عدل ؟

واذا قلت لك ، ايها المستمع الكريم ، انني اصغيت بكل قواي الى موضوع « كيف تحافظ على صحتك » فلا تلمني . ان هذا الموضوع يلذ لمن كان في مثل سني ، اما الشاب فقد لا يهمه مثل هذا الموضوع لأن رأس ماله ما زال سميناً، وهو لم يمس رقيق الحاشية مثلنا ، واني أرجو من المحطة ان تكثر من مثل هذا الموضوع ، فالصحة أثمن كنوز الدنيا .

وقد أعجبني كثيراً تفسير الدكتور جميل صليبا لمعنى الديمقراطية وبحثه المستفيض فيها ، وما أجمل هذا التهكم الذي قاله لنا بلسان بعضهم: الديمقراطية هي أن ينجح جميع الطلاب في الامتحان ... حقاً ان الاخفاق سيجر الى أوخم العواقب ، لأن الانتحار أمسى عند شبابنا كشربة ماء .

كانت قصيدة « الصخرة السوداء » للآنسة فدوى طوقان من الشعر العالي ، ولكنني اسأل الله تحطيم هذه الصخرة، وإن كانت مصدر وحي للشاعرة المبدعة.

وأخيراً كانت قصـة الاستاذ رشاد دارغوث قصة طريفة حالفه فيهـا التوفيق الفـني ، ولولا خاتمتها التي تعد من الخوارق التي لا يمكن ان تكون ، لـكانت في طليعة الأقاصيص الحديثة . ولعل لرشاد القصصي المبدع عذراً في انهـا « اسطورة » ، أما أنا فما أحب من القصص إلا الواقعي وما يمكن ان يكون ... وهذه خطة درج عليها الاستاذ دارغوث ، فليته لا يتنكب عنها فيظل بيننا ولا يتغرب الى « سهلباد » ...

النقد السابع والعشرون

٦ / ١١ / ١٩٥٢

أعجبني حديث « نتيجة سوء تفاهم » للاستاذ محمد مصطفى حمام ، فهو حديث اذاعة حقاً ، أدب خفيف ، وعبارة مطابقة لمقتضى حال السامعين ، وموضوع لذيذ فيه خفة الدم المصرية في القص والنكتة . وليس لي ما يقال حول هذا الحديث إلا اني لا اوافق القائمين على مجلة المحطة في نشر الحديث الذي لم يذع بعد ، وان غيرت عنوانه . ان لدى المحطة أحاديث كثيرة فلا أقل من أن تؤجله الى العدد الذي يصدر بعد اذاعته .

وكان حديث الشهر للاستاذ ميشال أسمر عن الوزير اللبناني الجديد الاستاذ سليم حيدر . ان الاستاذ الأسمر لم يغال في اطراء الوزير الشاب ، فحياته ، على حداثتها ، مليئة بالشعر الرفيع والنثر البليغ ، والنظرات الاجتماعية الحديثة ، فما باله يعتذر عن ذلك للمستمعين ؟

وألقى القس عقل ابراهيم عقل حديث أحد كان موضوعه « كيف نستعمل ألسنتنا » . الموضوع جليل وقد قال فيه الشاعر العربي :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

ولكن تكرار الأمثلة والشواهد عند آبائنا المحترمين لا يستحسن ، فأرى ان يصغي بعضهم الى عظات بعض حتى لا تتكرر أمثلتهم . فمثل الكيس المملوء بريش الطير قد سمعته من قس آخر منذ اسابيع .

وتحدثت السيدة سلمى صائغ راجية ان تنال المرأة حقوقها في لبنان

وسوريا ، ثم راحت تدعم أملها بتعداد السيدات المحضرمات اللواتي أدين خدمة جلى للمجتمع . كتب هذا الحديث بلغة أدبية غالية ، وان كان من مواضيع الساعة التي تعالجها الصحف اليومية ، فخلعت عليه براعة سلمى جدة وطرافة .

اما السيدة أسمى طوبي فكان عنوان حديثها طريفاً كبحثها . حدثتنا عن الطلاق الذي سمتـه « موضة القرن العشرين » برشاقة التعبير وخفـة الروح والظرف ، ثم جالت في جميع أقطار الموضوع حتى حطت الرحال عند محاكم الطلاق التي تيسر ولا تعسر . ان من حق المرأة ان تطرق هذا الموضوع كل ساعة لأنه كثيراً ما يهدم أركان العائلة اذا كان ظالماً ، وإن كان أحياناً دواء لا بد من تجرعه .

ومن شعرنا الأدبي سمعنا للآنسة مقبولة الحلي قصيدة طيبة عنوانها«لا تسلني». القصيدة تنضح ألماً وجوى عبرت عنهما الشاعرة باسلوب طيب جذاب يبشرنا بلحاقها بالشاعرتين الملائكة وطوقان ، فالى الامام يا مقبولة ...

وهناك قصتان موضوعتان ، احداهما للاستاذ عدنان السباعي ، وعنوانها « الليـلة الاخيرة » وهي مذكرات رجل محكوم بالاعدام . للقصصي ان يكتب في الموضوع الذي يشاء ولكنني أتعجب كيف يكتب بهذا التطويـل رجل صار من الموت على قاب قوسين . حقاً انه قوي كالموت ... أما كان الأحسن ان يكتب السباعي بطل قصته هذه المذكرات في عدة ليـالٍ ، ثم يترك منها جزءاً لليلة الأخيرة ؟ أليس ذلك أقرب الى الواقع ؟

كان السباعي مستعجلاً جـداً في القائه حتى خلته يمثل بطـله ذا الوقت الضيق ... وقد قال : النظر الشزر ، بفتح الزاي ، وهي ساكنة ، ولكن سرعته الفائقة الحد تغتفر له أكثر من هذه الفتحة .

اما القصـة الثانية فللاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ، وعنوانها « فرتونـة السوداء » . القصة جيدة سياقاً وحبكاً ، ولا ننعى على الاستاذ إلا هـذه

التعابير المطاطة مثـل قوله : الجدار القصير الواطي الداني ... ومثـل قوله ايضاً : نعيد ونكرر ، ونكرر ونعيد ، وليل نهار ، ونهار ليل . ثم قوله : ووضعتها في صدرها تحت ثيابها . ترى أكان في الامكان ان تفتـح صدرها وتزجها في ذاك القفص ؟ وإلا فأي داع للقول : تحت ثيابهـا . لقد أعجبتني قصـــة الاستاذ حين ختمها ختاماً رائعاً بكتاب الخليفة عمر عبد العزيز . والامور بخواتيمها ...

النقد الثامن والعشرون

٢٠ / ١١ / ١٩٥٢

« المرأة في كتاب عربي » ذاك كان عنوان حديث الآنسة مرزية القوتلي. أتت الآنسة في صدر حديثها على ذكر كتاب مشهور قبل ان تتخلص الى الاستاذ شكيب الجابري القصصي الموهوب . وبدلاً من أن تتحدث عن أحد كتبه ، كما يدل العنوان ، راحت تتحدث عن قصصه : نهم ، وقدر يلهو ، وقوس قزح ، وقد أطلقت على تلك المرأة لقب البطلة الجابرية ، ثم تساءلت عما اذا كانت تلك المرأة خيالية أم حقيقية .

ان ابطال القصصيين الحقيقيين يا آنستي ، يكونون أولاً حقيقيين ، ولكن القصصي الملهم ينفث فيهم شيئاً من روحه ، فتدب فيهم حياة جديدة ويصون غير ما كانوا ، اما اذا صورهم كما هم ، فيكون الفنان ، اذ ذاك ، مصوراً فوتغرافياً لا مصوراً يدوياً . ان النواة موجودة ، ولكن صيرورتها شجرة وارفة الظلال انما تتوقف على المناخ والتربة ... فالجابري ليس واقعياً كما تظنين ويظن قارئه ولا خيالياً ، بل هو يجمع بين طرفي الواقع والخيال وهكذا يعمل كل فنان أصيل ، والجابري واحد من هؤلاء .

وكان الاستاذ ابو سعد جد موفق في اختيار الدكتور سليم حيدر شخصية اسبوع ، وكان اكثر توفيقاً إذ باحثه في معضلتنا التربوية . جال الدكتور في هذا البحث جولات موفقة وأبدى آراء صائبة نتمنى ان يعطى الوقت الكافي لتحقيقها . قال الدكتور : جيش من انصاف المتعلمين ، ويا ليته قال من أرباع او أخماس ، فأكثرهم أميون ، إلا انهم يقرأون ويكتبون ... واستطرد

الاستاذ ابو سعد الى الشعر ، فأسمعنا الدكتور صاحب ديوان « آفاق» وملحمة الخلق » رائعة جد حيدرية . ذكرتنا بتلك العهود القديمة ، يوم كان في أكثر الوزراء شعراء ، كالصاحب ، وابن العميد ، والطغرائي .

الأقاصيص : كانت الاقصوصة الاولى في هذا البرنامج مترجمة ، وقد حاولت الاصغاء الى الاستاذ مبارك ابراهيم ، فلم أستطع اللحاق به ، لأنه كان يسوق سيارته بسرعة عجيبة ، فملت من دربه الى الرصيف وتركته وشأنه .

اما قصة « مغادرة الجنة » فالضعف الفني عام فيها ، واني أنصح أكثر هواة الأقاصيص من كاتبات وكتاب ان يترجموا ، فليست القصة سرد أحاديث وقص أخبار . القصة قطعة فنية ، وأكاد أقول شعرية ، بل تفوق الشعر ، لأنها ذات حبكة وعقدة ، ومن أول شروطها البيان الرفيع .

وقد أعجبني ما قاله الأستاذ محمد بديع سربيه حول هذا الموضوع ، في حديثه عن الافلام العربية ، إذ أشار الى ما لقوة القصة وحبكتها وسياقها من تأثير في الاخراج ، فليت الطامحين والطامحات الى انشاء القصص يفكرون في هذا حين يضعون تصاميم أقاصيصهم .

ولكن ما لنا ولهذا النعي وعندنا قصة « راعية الاحلام » ، للاستاذ يوسف جوهر ، انها قصة كما يجب ان تكون القصص سرداً وحبكاً وتحليلاً نفسياً . لقد أجاد الاستاذ يوسف جوهر تحليل تلك العقدة النفسية في شخصية بطله أمين ، فأرانا ان حبه لوداد قد استحال فكرة ثابتة طلق لأجلها الكتب والاقلام والمحابر . احتل الحب ساحة شعور بطل راعية الاحلام وطرد منها كل شيء ، فصار لا يفكر إلا بعروس أحلامه . وهناك نقطة اخرى أجاد هذا القصصي الموهوب عرضها ، إذ جعل وداد ، راعية الاحلام ، تهذي على فراش الموت محدثة حبيبها كأنها معه ، ثم تفارق الحياة .

الخلاصة ان قصة الاستاذ جوهر في طليعة قصصنا العربي ، ولا أنعى على هذا القصصي المجيد إلا إلحاحه على كلمة « حماس » فليته قال حماسة واستراح. ثم قوله يحدق في الشرفات ، والوجه حدق الى الشرفات .

النقد التاسع والعشرون

٤ / ١٢ / ١٩٥٢

وانتقل تقديم الشخصيات الى برنامج المرأة ، فقدمت لنا السيدة ثريا حسين الطائرات من بنات جنسها لترينا ان المرأة تجارينا في جميع الميادين . كانت المرأة « تطيّر » فيما مضى ، حتى قال لنا ذلك الشاعر الولهان :

سددن منافذ الطاقات عني مخافة ان أطير مع النسيم

اما اليوم فطارت هي وطرنا معها شيوخاً وشباباً ...

ونظمت المحطة منهاجاً شائقاً لذكرى استقلال لبنان ، فاستعرضت مراحله منذ عام ١٩٤٣ الى اليوم ، وكلفت الاستاذ ميشال أسمر التحدث عن نهضة لبنان الثقافية ، فكان فيما قال مثالياً اكثر منه واقعياً حين تحدث عن ازالة الأمية وتأميم التعليم وتشجيع الكتاب . فكأنه كان يصور لنا أحلاماً اذا تحققت كان لنا من لبنان تلك المدنية الارسطاطالية .

ومن طرائف هذين الاسبوعين مطالعات السيدة ناهدة بدرشاني فائد . روت لنا اسطورة خلق المرأة في كتاب برهما ، فجاءت وفيها من كل شيء شيء ، ولكن رد الرجل لها مرات ، وحواره مع خالقه يذكر بكلمة الامام علي القائل : انها شر لا بد منه .

اما الأحاديث الأدبية فآسف ان أقول انها قلّت جداً ، حتى لم يعد أمامي إلا الاصغاء الى حديث خالتي ام درويش وهي تدبر عرائس للعاوزين . ما أقدرها وما ابرعها ، ويا ليت الشباب يعود لنقصد دارها ، لقد ساءتها جداً

« غلوة النقد » التي تحول دون بلوغ القصد ، وقديماً قال المثل : الذي لا يريد ان يزوج بنته يغلّي نقدها . فصبراً يا خالتي أم درويش.الفرج قريب انشاءالله.

وكانت كلمة عيد المولد الشريف للدكتوره فاطمه ابو العز فجاء حديثها جامعاً يعطي السامع فكرة عامة عن الرسول العظيم . كنت أفضل أن يلم المتكلمون بناحية من نواحي سيد البشر ، وما أكثرها وأرحب أبواب الكلام فيها ! ويا ليت حديث الأحد لحضرة الكلون نجيب قبعين وعنوانه «كان يسوع فقيراً » كان عن محمد ، فمحمد صلوات الله عليه لم يكن غنياً ، رعى الغنم وعمل في التجارة ثم انصرف عن حطام الدنيا ليعد للانسانية اربح تجارة في الدنيا والدين.

انها مناسبة فاتت الكلون او الحطة لست أدري ، وما أجمل ان يتكلم القسيسون والاحبار عن ابن عبد الله ، والمشايخ والمفتون عن ابن مريم .

اما الاقاصيص التي استمعت اليها في هذا المنهاج فثلاث هي : أولها قصة « عودة » للآنسة حورية جمال . انها بالحكاية العادية أشبه منها بالقصة الفنية. لا تحليل نفسي ، ولا عبارة من طراز التعابير التي تسبك بها القصة لتؤثر في السامعين ، وقد كان اللحن كثيراً . قالت : لا يزال امامي فسحة ، ثم قالت : طعام الغذاء وهي تريد الغداء ، وقالت : ان اعطيه له وأعطي تتعدى بنفسها لا باللام .

والقصة الثانية وعنوانها « عودة الامير » للسيدة عفاف كنفاني كانت كالتي سبقتها تقريباً . يجب ان تكون القصة مصنوعة صنعاً دقيقاً ، طبقاً لاصولها المعلومة ، وإلا فالمقالة أفضل منها ، لأنه لا يطلب من كاتبتها ما يطلب من كاتبات الاقاصيص .

اما قصة قلوب الانبياء للاستاذ سيد الاهل ، فهي كأختها فرتونة السوداء

فصاحة وحواراً ملائماً ، وهذا اللون من الاقاصيص لا يحسنه إلا من كانت له ثقافة سيد الاهـل . واذا جاءت أشبه بأحد أحاديث ابن دريد منها بالقصة العصرية ، فهذه هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي يعرفها الاستاذ عبدالعزيز عن ظهر قلب . اكثر ، يا استاذ ، من هذا اللون القومي من القصص ، فنحن اليه محتاجون .

١٧ / ١٢ / ١٩٥٢

كانت الجلسة حول مائدة الفن ، وكان المدعوون اليها ثلاثة زينب محمد علي ، والفنان الشهيد فروخ ، والاستاذ رشيد وهبه . فأحلّوا الفن محله الرفيع في الحياة ، ودلوا على أثره العميق في تكوين الشخصية وتثقيفها وتهذيبها واشاعة المثل العليا في المجتمع ، وانتهوا الى أن الاتجاه الفني ما زال ينقصنا . إذا كانوا يقولون هذا اليوم ، فما عسانا نقول نحن ابناء ذلك الزمان ، يوم كانت تنقض صواعق غضب المعلم على رأسِ هذه الموهبة اذا رفعته . ابنك يضيع وقته في الخربشة ، هكذا كان يجيب معلمي حين يسأل عني ، وسبب ذلك انني صورت وجهه مرة ، فرعبه جماله اليوسفي . هاله منظر فمه المصرور كأنه كيس تكتة قصيرة . بشاعة عبقرية لا يصبر على رؤيتها إلا من اعتادها . ولعل محبتي المكبوتة لهذا الفن الرفيع هي التي حملتني على الاكثار من الرسوم والصور على حيطان بيتي .

وكان الاستاذ بيبي ، كعادته ، يكهرب الجو ، فتدب الحياة في الجلسة كما تنفخها في الصورة ريشة الاستاذ فروخ .

ولا بأس علينا اذا انتقلنا من فروخ الى فروخ ، من مصطفى الى الدكتور عمر ، فها هي الأديبة السيدة وداد سكاكيني تتناول كتابه « الأسرة في الشرع الاسلامي »فتكون مطالعتها غير مطالعات القارئات اللواتي كنا نسمعهن، فهي لا تلخص الكتاب فقط ولكنها تناقشه مناقشة صارمة. فبعدما عرضته اوفى

عرض أظهر لي ان هذا الكتاب كاخوته من قبل ، راحت تعارضه في بعض شؤون وشجون . إن كل ما لا يختلف فيه الناس يكون عادياً ، والدكتور فروخ يتجاوز العادي دائماً في كتبه ، والسيدة سكاكيني لا يرضيها تلخيص بلا تعليق كما قالت،وهكذا وفت الكتاب حقه وقالت انه كتاب المرأةوالرجلمعاً.

ذكرتني لهجة الاستاذ ميخائيل نعيمه في نصائحه إلى الأدباء الشباب برسالة عبد الحميد الى الكتاب وبنصائح أبي تمام لابن عمه البحتري . أعجبتني تشابيهه، وأخص منها تشبيه الأديب المقلد او غير الخلاق ، كما قال ، بالاسفنجة التي تلتقط الماء لتعيده ماء . مفيدة هذه النصائح ، وإذا كانت لا تخلق أديباً فهي على الأقل تختصر الكثير من المسافات التي يقطعها اذا مشى بدون دليل خبير كأديبنا الكبير .

اما عرض مظاهر النشاط الأدبي فكان حسناً ، ولكن « أمواج » الكاتبة الشاعرة هند سلامه «ومع أيام» الشاعرة فدوى طوقان بعيدة العهد عن الشهر.

وفي ندوة « المرأة الحديثة في الميزان » كانت الجلسة رصينة جداً لم نسمع فيها حس ضحكة كما عودتنا الندوات الأخرى . قالت السيدة سعاد ابو شقرا انها لا تدري لماذا يهتم الادباء كثيراً بموضوع المرأة ، فذكرتني بتلك التي قالت: أخي لا يحب إلا التحدث مع البنات ، اما أنا فبالعكس . اما الفقرة الحكيمة التي اصدرها المحامي اللامع محسن سليم على المرأة الحديثة ، فهي أن تظـــل امرأة بكل معنى الكلمة .

واذا انتقلنا الى روضة الشعر ،رأيناها فواحة العبير بما أنشده فيها الشاعر الاستـاذ صلاح الامير . أنشدنا رائية رائعـة من الشعر الاثيري الصافي الذي عودنا ان يكون فيه نسيج وحده .

ولكن كلمة العرار التي استدعتها قافية البيت فلا أرى مبرراً لوجودها في شعر صلاح الذي لا يعرف وجه العرار ولا تمتـع من شميمه ... — هذا قبل

اتصاله بالسعودية ... وفي « وراء الضباب » ، تلك القصيدة العزيزة النظير في ادبنا الحديث ، لا أرى موضعاً لوادي العقيق ، وهو نهر شتوي يسيل مرة في العام كالنهر الذي يمر عند اقدام بيتنا ، فأين شاعرنا من العاصي وبردى والليطاني ، ونهر ابو علي ؟

وفي باب قصة الاسبوع سمعت قصة مصرية للاستاذ اسمعيل جبروت عنوانها « خطاب من نشال » ، فوجدتها موعظة اكثر منها قصة ، ولكن القصص انواع فلا بأس اذا سميت قصة .

اما قصة الرسالة الممزقة ، للاستاذ احمد المكي ، فهي من صميم الحياة اليومية . عبارتها قصصية ، وحوارها قريب من الطبيعي ، والتحليل فيها جيد ، ولكن ادراك الختام ادراكاً تاماً قد فاتني ، وقد يكون كقول المتنبي: وآفته من السمع السقيم ...

النقد الحادي والثلاثون

١٩٥٢ / ١٢ / ٣١

كأني بالدكتور سهيل ادريس قد شيّخ باكراً ، فهو في حديثه « من وحي الشتاء » يحن الى هذا الفصل القاتم الصاخب ويؤثره على اخوته الفصول الخيرة البسامة . يؤثره لأنه ، كما قال ، ينطوي فيه على نفسه ويفكر . ان من حق الاستاذ سهيل ان يكره الصيف ، فالصيف يذيب ، وسهيل قليل الجسم ، وان كان كبير الفعل ، فاذا ذاب منه شيء خسر كثيراً . اما موضوع الدكتور ادريس فطريف نادر في أدبنا العربي ، لأن الموقد لا شعر ولا كتاب له عندنا ، ولعل باريس هي التي أوحت الى الاستاذ هذا الموضوع الشعري ، وهو فيه يصف شتاء باريس الابيض ، لا شتاء بيروت الاسمر .

ان رائحة الارض قليلة في نثرنا وشعرنا ، وها نحن نشمها في هذا الحديث الذي لم ينس كاتبه باريس على قلة اقامته فيها ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، كما قال بديع الزمان لاستاذه . وكيف ينسى الدكتور صديقة ناعمة كانت تأتيه في عصارى النهار لتشرب فنجان شاي سخن في غرفة ساخنة؟.

وكان حديث الميلاد للدكتور نقولا زياده حديث ميلاد حقاً . كان مشبعاً بروح صاحب العيد وأقواله وأمثاله ، وكان قصصياً ايضاً فلامم الروح الانجيلية البسيطة الرفيعة في وقت معاً. والدكتور زياده يبدع حين يتخلى عن الاساليب العلميـــة ، فتبدو لقارئه شخصيته الشاعرة . لقـد أحسن إذ ختم موضوعه بالكلمات التي تتردد اليوم كثيراً على ألسنة أقلام الكتاب . فالحق والخير

والجمال هي الاقانيم الثلاثة التي تتكون منها ذات المسيح ، ومن ينسى بيلاطس الذي ناقشه في المحاكمة سائلاً : وما هو الحق ؟

وسمعت للاستاذ توفيق عواد في زاوية « ركن الأدب » نصف حديث ، ولكنه تحدث فيه عن شخصيتين كبيرتين هما العلامة محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، والدكتور طه حسين ، بمناسبة مذكراتها ، فأعطاهما حقهما ، وخير الكلام ما قلّ ودلّ .

وتحدثت السيدة اسمى طوبي ، في سلسلتها عن أديباتنا المنسيات ، فتكلمت هذه المرة عن ليلى الاخيلية ، فكان التعريف شاملاً والتحليل وافياً . جميل هذا الاحياء ، وأجمل منه ان تقوم به أديبة فاهمة كالسيدة اسمى .

وبمناسبة عيد الميلاد ، عقدت ندوة الشرق الادنى جلسة قال المنهاج انها لبنانية ، فاذا هي مصرية . ودار بحث اعضاء الندوة حول فكرة شجرة عيد الميلاد ، فقالوا انها وثنية قديمة ، ثم قالوا ان لها علاقة بشجرة الاسرة او شجرة ميلاد المسيح الواردة في الانجيل ، اما أنا فأرى انها كبيضة الفصح عند النصارى ، تلك رمز حياة جديدة ، وهذه رمز للشجرة المثمرة لا كالتينة التي لعنها السيد المسيح حين لم يجد فيها ثمراً . وأخيراً أقول كما كان يقول السلف الصالح : والله اعلم .

اما قصتا الاسبوع فلم أرَ قصة صلاح ذهني قصة بالمعنى الصحيح ، انها تاريخ لنكبة الاندلس ، وليس فيها شيء من مقومات القصة الفنية . وبخلافها كانت قصة الدكتور عبد الرحمن اللبان الميلادية . انها قصة عصرية من صميم الحياة وصف فيها مشاهد الناس في لندن ، ليلة عيد الميلاد ، فكان كأنه يصور ما رأى ، حتى أبدى لنا الموسيقار الفونس كالشعراء الدوارين وغيرهم. والخلاصة كانت هذه القصة موفقة .

سنـــة ١٩٥٣

النقد الثـاني والثلاثون

١٤ / ١ / ١٩٥٣

كان الميلاد والعـام الجديد موضوعاً تبارت فيه أقلام الكتاب في سموات الاذاعات وميادين الصحف،فقد حمل الاثير الى بيوت المستمعين تمنيات وأماني تدغدغ أحلامهم وهم يستريحون في هذه الواحة الخضراء من واحات العمر .

وها هو الكاتب الأديب الاستاذ ادوار حنين ، وقلما سمعناه محدثاً ، يحدثنا باسلوبه الرصين حديث العام الجديد ، فيوقظ فينا الأفكار الهاجعة ، ويدعونا الى اليقظة . فما كل ما يتمنى المرء يدركه .

والكاتبة المعروفة السيدة سلمى صائغ ، تخرج قصة هي ، في نظري ، اجمل من المواعظ التي نسمعها في هذه المناسبات . نعم ان هذه القصة « أم في ليلة عيد الميلاد » لم تخلُ من الوعظ والارشاد ، ولكنها مع ذلك ظلت قصة . فاللون المحلي شائع فيهـا ، والولد الطائش الذي ائتمنته أمه على فلس الأرملة راح يبدده في العيد ناسياً ان أمه تنتظر ، حتى صح فيه وفي والدته قول القائل : قلبي على ابني وقلب ابني على الحجر .

وذكرني حديث المسرح بالبطل العالمي شرلوك هولمز الذي عرفناه في عهد الشباب من ترجمـات الضياء لليازجي ، وروايات طانيوس عبده . حقاً ان الروايات الهولمزيـة تشغل العقل وتحمل القارىء او المشاهد على الانتظـار ، فيحبس أنفاسه الى ان يفتح الله عليه . ولمؤلف شرلوك هولمز أقاصيص تنجح لو تبنتها محطة الشرق الادنى وأخرجتها . انها مسلية وغنية بالحوادث والعقد

التي تحبب الرواية . وقد أصغيت في هذا المنهاج الى قصتين اولاهما للدكتور سهيل ادريس والثانية للآنسة سميرة عزام . المدينة العظمى مؤثرة في نفس دكتورنا ، وها هو يكتب لنا قصة مكانها في قلب باريس ، واطارها باريسي ، وحادثها باريسي ، وفلسفة حياتها باريسية ، كما فهمنا عن بطلتها التشيكوسلوفاكية . الحياة في هذه القصة الادريسية بوهيمية . يصف لنا فيها الفتك والطيش السائدين في مدينة النور ... فقد اغرقت البطلة في اللهو والسكر والعربدة حتى سقطت تحت دواليب سيارة دهستها ، فنقلت الى المستشفى حيث أقبل زبائنها على عيادتها من كل فج عميق ، وكلهم طلاب !.. ما أحسب هذه القصة الموفقة فنياً إلا صورة لحياة طلابنا عبر البحار ، فكأنهم يحيون في باريس للمرأة والحب لا للكتاب . ان بطلة قصة ادريس واعظة مرشدة ... والمثل يقول : سل مجرباً ولا تسل حكيماً .

اما قصة الآنسة سميرة عزام ، وعنوانها « أخي » فهي قصة جيدة ومن صميم الحياة كما أرى ، تزينها تعابير لطيفة ، وفيها لباقة فائقة في التعبير عن أبشع الاشياء وأسمجها . لقد صورت بطلتها أدق تصوير كما رسمت ذاك الذي راودها عن نفسها حين كانت تعمل عنده . ان الآنسة عزام لا تعوّل على الحادثة في أقاصيصها ، وعلى هذا كتّاب كثيرون من قصاصي اليوم . كثيراً ما حالف التوفيق الآنسة عزام في هذا اللون الطريف من القصص ، وأملي كبير بفلاحها فيه ... ولا انمى عليها إلا قولها عيون خضراء . افهم الوجه الابيض كيف يكون ، اما العيون الخضراء فلم أرها في حياتي حتى احكم عليها، ولعل الآنسة سميرة عزام لم ترها مثلي وان كانت ركبتها في وجه بطلةقصتها.

اما روضة الشاعر فهبت علينا منها نفحات من قصيدة « البعث » للاستاذ ابراهيم محمد ، و « الحصاد » للاستاذ نجا ، فكانتا من الطراز الحديث الذي يؤثره شبابنا .

وتفردت المحطـة ، وعادتها دائماً ان تكون سباقة ، فأسمعتنا رضوان البلطجي وأخويه يصفون لنا معركتهم الخالدة مع البحر ، تلك المعركة التي شرفت الاسم العربي في عواصم العالم . قدموا رضوان البلطجي في باب شخصية الاسبوع ، وهو عندي وعند غيري شخصية العام ، بل شخصية دهر ، وحسبه انه غلب البحر الذي لا يُغلب . أما انتزع البلطجيون من بين مخالب جبـال أمواجه وتلوله فرائس بريئة ؟ فالى الذين رفعوا اسم الشرق الادنى عالياً اقدم أحر تهنئاتي بهذا الانتصار الخـالد . لقد سماهم مقدمهم ، الاستاذ ابو سعد ، الفرسان الثلاثة ، وليس هذا اللقب بكثير على من نازلوا البحر وغلبوه .

النقد الثالث والثلاثون

٢٨ / ١ / ١٩٥٣

لا أدري لماذا انقبضت حين عرفت اني مقبل على سماع حديث بمناسبة ذكرى الدكتور زكي مبارك . لقد مات هذا الرجل وفي نفسه شيء من الشهرة . كما عاش سنين ملأت بها ثورته الصحف . قضى عمره كاتباً كالمصارع، ومناقشاً كالمناطح،وباحثاً كبوليس التحري . وبعد موته لم نسمع بمن وفاه حقه.

قد يكون مات في غير الوقت المناسب ، كما كان يثور في غير الوقت المناسب ، رحم الله دكتورنا المبارك ، وجزى الله هذه المحطة خيراً ، فهي تستحق لقب محيية الموؤودين .

كان الميكروفون سعيداً جداً في بيت الاستاذ عبد الغني حسن . سمعنا صوت ابوين كريمين يتحدثان عن تربية اولادهما ، ثم يدخل الولد شخصاً ثالثاً في المحاورة . الولد يخاف من الشجرة ويتخيلها شبحاً ، وهما يحاولان اقناعه انها ليست شبحاً ، وحجتها ان الشجرة لا تمشي .

ان هذا من خيال الشعراء ، وما اخالك إلا ورثته ابنك يا استاذ عبد الغني ، فابشر ...

وفي باب « مطالعاتي » للسيدة ناهدة بدرشاني فايد أعجبني ما نقلته عن الازمة النفسية التي تعتور المرأة في الاربعين من عمرها حين تخسر سيادتها وجمالها ، فتقعد حزينة كئيبة . كان الحديث مأخوذاً عن المجلات وكان الالقاء بالنيابة ولا ادري ما الذي انتقده ، فما بقي لي ان اقول إلا ان الانتقاء كان

جيـــداً ، وقبلي قالوا عن ابي تمـام حين انتقى ديوان الحماسة : انه كان في مختاراته اشعر منه في ديوانه .

وبما ان الشعر قل ، كما قلنا سابقاً ، فلنتعرض لفكاهات ابي خليل الشاعر العامي الظريف . ان هذا الشاعر قروي في تعبيره ولهجتـه ، ويعجبني منه دائماً انه يسيّر موضوعه ويوجهه نحو الهدف حتى يصب الختام صباً ، فينفجر كالقنبلة . وقد وفق جداً في ختام تزويج ستّه ، فبالرفاه والبنين ..

والى قصة « ميلاد جديد » أصغيت بكل خشوع الى قصصيّنا الموهوب الاستاذ رشاد المغربي دارغوث . لا ادري كيف خيل لي اني قرأتها من قبل ، ولكن هذا لا يمنـع اعجابي بها وبما فيها من لون محلي ، وان كان موضوعها خيالياً كثيراً .

اما قصة « انتحار روح » للسيدة الفة الأدلبي فاطارها جيد وعباراتها كما يطلبها الفن القصصي .

والفلاح محمود الذي كان يمر بالحبيبين ويلقي عليهما ابتسامة معناها : تمتعـا بالحب، فيذكرني بعمر بن ابي ربيعة والشابين حين اوصاهما ان يتمتعا بشبابهما.

قـد شعرت ان الاناقة في انشاء هذه القصة كانت تتضاءل كلما اوغلت السيدة الفة في موضوعها ، فليتها عندما تنقح قصتها لا تبدأ دائماً بأولهـــا ، فتصل الى آخرها تعبة ويظل الفرق ظاهراً بين أولها وآخرها .

ان المحاورة في قصة « راقصة لا ترتوي » لم تعجبني لأنهـا عامية اللغة ، فليت الاستاذ حـامد .... ظل معتصماً بالفصحى في قصته كلها ، بل ليته لم يقل : اوشك الليل على نهايته .

النقد الرابع والثلاثون

١١ / ٢ / ١٩٥٣

لا تزال المدرسة الزراعيـة مشرعة الابواب تعطي المعرفـة بسخاء ، تعد براعجها كما يعدها الأساتذة الحريصون على افادة طلابهم ، انباء زراعية عالمية ، ونصائح للمزارعين بعلم المزارع .

ومن طرائف الاستاذ فراج نبأ بغلة ولدت ، فحير علماء الحيوان هـــذا الحدث الغريب . حدث هذا عندنا منذ نصف قرن ، ولدت بغلة عند رجل من بيت مقصود في وادي شحرور ، وأقبـل النـاس من كل صوب على بيت صاحبها ليروا هذه العجيبة . قال القدماء : الديك يبيض مرة في العام ، فهل لنا ان نجاريهم فنقول ان في كل نصف قرن تنتج بغلة ؟ او كمذنب هالي الذي يشرفنا بزيارة كل ثمانين عاماً ؟ !

اما مذكرات عاملة تلفون للآنسة زبيدة عبد الرحيم ، فكانت طريفة لولا هذا الكوكتيل الذي عملته منها ، اي ذاك المزيج من العامية والفصحى . ان الفصحى التي لا تكلف فيها ولا تقعر هي اللسان الذي تفهم عنه جميع الاقطار ، فلنعتصم به في الاذاعات التي هي للجميع ، لا لقطر دون سواه .

وفي « روضة الشاعر » سمعنا شعراً للاستاذ محمود عنان . قال من عرّفنا بها انها ثمان قصائد ، ثم تليت في سبع دقائق ! ! وكان أولها ارجوزة في الديك ، وللأراجيز اصول لم تراع في ما سمعت . اما مقطوعة الصوم فليست من الشعر الجيـــد ولا المقبول . وما أرى شاعرنا المحمود إلا من فصيلة التين

ينظمون الحكم ، وليست الحكم شعراً بل نظماً ، او فلنقل هي شعر تعليمي لا اكثر . اما مقطوعته الرائية ، ولا أقول قصيدته ، وموضوعها كيف نولد غصباً عنا ، فهي أجود ما قال ، وليته ينسج دائماً على منوالها لأن للشعر نمطاً من الكلام اذا لم يراعَ ، استحال نثراً موقعاً .

ومن الشعر الجيد قصيدة « الزورق التائه » للشاعرة المجيدة الآنسة مقبولة الحلي ، هدى الله زورقها الى ميناء السلام والرجاء . حلو البكاء من النساء ، ولكن لا تنوحي يا آنستي . لا تسألي من اين جئت ، بل قولي انا موجودة ، واثبتي وجودك في الساعة التي أنت فيها . يعجبني شعرك ، وأراك تتقدمين في معراجك،ولا يبعد ان تصلي الى قمة الاجادة ، فانبذي هذا اليأس غير المريح.

لا أدري لماذا احتفلت المحطة بذكرى فوزي المعلوف وعلي الجارم ومصطفى كامل في يوم واحد ، ترى أمات هؤلاء ثلاثتهم في هذا النهار ؟ تحدث الدكتور زكي المحاسني عنهم ثلاثتهم ، وكان بحثه مصنوع التعبير ملونه ، وقد اكثر فيه التحدث عن نفسه ، وأدخل في صلب بحثه ما لا علاقة له به . اما القصص فأولها قصة شامية المحيط للآنسة رائدة النبع . بطلة القصة فتاة متعلمة (جامعية) ولكن علمها لم يحررها من عبودية البيت والمحيط . الوصف مقبول، اما السياق القصصي والزخم فضعيفان .

ولسوء الحظ لم اسمع قصة الآنسة عزام ، ففي وقت « برنامج المرأة » كان الجو عندنا غضبان ، وفي موعد الاعادة قطعت الكهرباء ، فلا حول ولا ....

النقد الخامس والثلاثون

٢٥ / ٢ / ١٩٥٣

تحدث الاستاذ راجي الراعي عن « عالم افضل » ، والاستاذ الراعي هو الكاتب الذي لم يزل يوشح الواقع ببرقير خياله المجنح ، فتختال عبارته فيه . الراعي قاضٍ ملهم شغفته المثل العليا فاستلهم الحوادث التي يلمسها وتخرج الاخلاق من معركتها ثخينة الجراح . يميل الاستاذ الى الفلسفة ولكنه لا يحاول ان يفهم او يُفهّم إلا ما يمكن وقوعه ، ومما يسلم به المنطق السليم . تسمع حديثه فتخاله جالساً على القوس حيث يشجب ويبرر ، وبعد ان يصول ويجول في موضوعه هذا يخلص الى القول ان العالم الافضل الذي تنشده الناس هو في نفوسنا . وقديماً قيل ابدأ بنفسك . اما الالقاء ، فجليل مفخم .

وتحدثت ندوة الشرق الأدنى عن المدرسة قديماً وحديثاً ، فشارك فيها الاستاذ بيبي بوصفه من المحاربين القدماء ... هنا يحارب الاستاذ باعلان ، اما في غير هذا المقام فكان يشنها غارة شعواء . وبعدما رسم المتحدثون للمدرسة القديمة صورتها المعهودة راحوا يقابلون بين عقابها البدني وعقاب المدرسة الحديثة اللطيف ، فخلصوا الى القول ان التلميذ القديم كان يكره المدرسة ويأتيها مرغماً . اما اليوم فهو يقبل عليها طائعاً مختاراً .

هذا صحيح ، لأن تلاميذ اليوم يساسون برفق . ولكنه رفق على حساب العلم . اني أرى مدارس اليوم أمست محتاجة الى الشدة ، فللرفق حد معلوم ، والحرية صارت فاضلة على الكفاية فيجب ان يؤخذ الكثير منها . لقد امسينا

نحن التلاميذ والمعلمين ، نلقن التلاميذ دروسهم تلقيناً ، وهيهات ان يعوا مـا سمعوا لأن افكارهم مشغولة بالمباريات الرياضية ، والتظاهرات،والاضرابات...

وفي ركن روضة الشاعر سمعت قصائد الاستاذ عوض الوكيـل ، فكان خيرها قصيدته التي يقول فيها :

أبُنَيّ تلك ملاعبي وانا كمثلكمُ صغير

ألم يكن الأفضل القول : وأنا نظيركم صغير ؟ فيخلص من ادخـال الشيء على مثله ؟ اما القصيدة النونية فيغلب فيها النثر على الشعر ، تاهيك ان عراف نجد وغيره من الصور القديمة البالية .

وتحدث الاستاذ عبد الحلـيم عباس عن « الادب العربي الحديث » فظننا انه سيجول في صميمه فاذا به يطوف حواليه ولا يمسه . ان الاستاذ عبد الحليم لا يحسب للجيل الطالع حساباً ، فيذكرني بقول القدماء : فلان خاتم الشعراء. والحمد لله لم يختموا بعد ! فلينعم الاستاذ عبـاس بالاً ، فسوف يـكون لكل فترة من فترات عصورنا الأدبية أدباء وشعراء ، فالأدب والجمال لا نهاية لهما ما دامت النسـاء تحبل وتلد .

وبعد ، فان جـل الاحاديث الادبية صارت من عمل العادة لا الارادة . العادة لا تأتي بالطريف ، فليت من يعنيهم الأمر يسألون الكتاب التفكير قليلاً قبـل التحبير . لقد أمسى البحث والاخراج في هذه الاحاديث مبتذلاً ، كما لاحظت انها أمست قليلة جداً ترجح عليها كفة البرامج ... قد يكون هذا ناتجاً عن رغبة المستمعين الذين يفضلون الغناء البلدي على الحديث الرفيعوالقصيدة الرائعة ، ولكن لا يجوز ان ننسى الخاصة فهم ايضاً من المستمعين الكرام .

وكان حديث مع طلبة الصيدلة المصريين الذين زاروا قبرص ، فأنشدنا شاعرهم بيوتاً مكسرة لا يجوز ان تلقى في جلسة خاصة، فكيف يصح ان تلقى من محطة يصغي الى صوتها الناطقون بالضاد في كل زاوية من زوايا المسكونة ؟

وأمام الميكروفون قدمت السيدة مديحة نجيب السيدة عواطف هانم والي. كانت مقدمة الحديث فصيحة ، ولما توغلت السيدتان فيه نهضت العامية من كل مجثم . الأفضل عندي ان نتكلم اللغـة الوسط لتفهم عنا جميع الاوساط وإلا فيكون الحديث لقطر دون سواه .

كانت احاديث ليبيا طاغية على البرنامج ، فقد غذته رحلة الأستاذ موسى دجاني ايما تغذية ، فمن شخصية اسبوع ليبية الى وصف جو وأرض ، لقـــد كانت رحـــلة موسى بطوطية حقاً حافلة بالمعلومات عن هذا القطر الشقيق . كانت مواد هـــذه الرحلة سريعـــة الهضم وما ينقصها إلا شيء من مقبلات ابن بطوطة ، فعسى ان يتحف الأستاذ مستمعيه بالطريف منها .

وفي ركن الادب تحدث الأستاذ حسين مكي عن كتب ظهرت حديثاً ، فكان يلف ويدور في حديثه . لا أكاد أقول ما هو قد وصل حتى أراه ينثني ويعود ادراجه . نعم ان للزمالة حقوقاً ولكن للنقد حقوقاً ايضاً . وعندمـــا تحدث عن ديوان للشاعر شفيق معلوف استحال راوية ، والنقد غير الرواية .

اما القصتان فكانتا مترجمتين . وما اخال الاستاذ نجاتي صدقي إلا أنه يريد ان يخلف طانيوس عبده في ترجمة الروايات وحسناً يصنع . كانت قصة البقرة كورديرا خيراً من قصة الوارث ، وان كان هذا بشراً وتلك بقرة . لقـــد شعرت بحيويـــة البقرة ومحبة أهلها لها اكثر من احساسي بذاك ، والفضل في هذا للكاتب الذي يخلع على شخوصه عواطف تحببها الى القلوب فتمسي البقرة خـــيراً من البشر متى شاء المؤلف . امـــا اسلوب الترجمـــة فيحتاج الى شد « البراغي » قليلاً .

ان طلاب اليوم يكتبون خيراً مما يقرأون ، هذا ما لحظته حين اصغيت الى ركن الطلبة . قد يعثر من يقف امام الميكروفون اول مرة ، لأن لهذه الآلة هيبتها ، ولكن على من يجول في مخيلته ان يعد لها عدتها .

اما اغلاط هذين الاسبوعين فغير كثيرة ، نلفت النظر الى « حيث » فهي دائمـاً مبنية على الضم ، والاسم الذي يليها يكون دائماً مرفوعاً لأنها لا تضاف إلا الى الجملة . اما « اما » فربط جوابها بالفاء واجب . وقال احدهم : موادٌ . وهي موادُ لانهـا ممنوعة من الصرف . وقـال آخر : يهِب وهي يهَب بفتح الهاء . أما كلما فتنصب متى كانت ظرفاً وتكتب ما متصلة . وإذا كانت «ما» التي تلي « كل » موصولية فتكتب منفصلة ، وتحرك كما يطلبها العامل .

النقد السادس والثلاثون

١٢/٣/١٩٥٣

قصة الاستاذ حامد يونس ، وعنوانهـا « قلب راقصة » ، ليس فيهـا من العناصر التي تؤلف القصة غير السرد والحوار ، وزاد في طين ضعفها بـلة ان هذه المحاورة باللغة العاميـة . أما قصة الآنسة سميره عزام ، وإن ضعف فيها عنصر عقدة الحكاية ، فقد استغنت عنه بالتعابير الطريفة وتصوير بطلة الرواية ام يوسف التي قلما تخلو منهـا بلدة أو حارة في مدينة . انهـا سمسارة عرائس حلوة الكلام ، بارزة الشخصية ، قد يكون كل مستمع يعرف اختاً لها . لقد امعنت الآنسة عزام في تصويرها فأبرزهـا ذلك الحوار الطريف الذي لذ لنـا سماعـه ، لولا مزجه بالعبارات الدمرية مثـل : لا في العير ولا في النفـير ، ومثل الطارف والتليد التي لا تصاقب شخصية ساذجة كأم يوسف بطـلة قصة « زواج المم » . ناهيك انهـا لم تتفق مع القول : حط وشال ، والضحك على الذقون . وهنـاك كلمة « خلفتها » فهي لا تلائم هذه الجمـلة : الطبخة التي خلفتها على النار ، فالأولى ان يقال هنا تركتها فتصير الجملة كلها فصيحة عامية.

لقد بلغت الآنسة عزام ما تروم من حسن الحوار ودقة التصوير ، ومرونة السياق ، ومـا بقي عليهـا إلا الاهتمام بالحكاية لتجتمع في اقصوصتها عناصر الاقصوصة تامة غير منقوصة .

أما قصة « الصورة الضائعة » للدكتور سهيل ادريس فأعجبني ابتداؤهـا اذ لم يكن من تلك الابتداءات التي تعود القصاصون ان يطلعوا علينا بها .

ولكنها في كل حال ليست من ذلك الطراز الذي تعود أن يعرضه ادريس .

أمـا الاستاذ أو الدكتور أمير بقطر فأعرفه من المجلات عالمـاً تربوياً ، وكذلك كان موضوعه اذ تحدث عن اعداء الشباب : الفراغ واليأس والمبادىء الهدامة. ان معالجة موضوعات الشباب واجبة جداً لأن آفات شبابنا كثيرة، وإذا لم نسهر على حديقتنـا نخرت جذوع اشجارها هـذه الحشرات الفتاكة واستحالت جناتنا وكرومنا خشباً وحطباً .

وفي ركن ذكريات نوابغنا ، وقلما خلت منه برامج محطة الشرق الأدنى ، تحدث الاستاذ عزت بشور بمناسبة ذكرى النابغتين ابراهيم اليازجي وصدقي الزهاوي ، فألمّ بأطراف حياتهما وعدّد مآثرهما ولم ينس إلا ناحية الصناعة في اليازجي ، فهو صانع أمهـات الحروف العربية ، وقـد نسي أيضـاً التصوير وحسن الخط ، واكتشاف نجمة .

وكانت روضـة الشاعر للاستاذ خازن عبود وامـاني فريد . اذكر انني قرأت ما سمعت من شعر خازن الجديـد الطريف . ليس شاعرنا من الهـائمين الضالين في أودية الرمزيين ، ولكنه ينتقي المقبول من كلامهم وصورهم. والشعر الذي سمعته شعر حب ، وهذه بضاعـة الشباب ، واذا كان الحب نداء الحياة كما قال الشاعر ، فالشعر هو صدى ذلـك النداء ، ولغة المحبين كما قال العـالم النفساني الاستاذ يوسف مراد . أما شعر السيدة أماني فريد فكان أقـل تخيلاً وأقل موسيقى .

وسمعت كلمة آثار جبيل فأصغيت ، والمرء يحن الى بلده ، ولو في احاديث الاذاعة . أصغيت فسمعت الأمير موريس شهاب مدير الآثار في لبنان يشرح للاستاذ الدجـاني غوامض أسرار تلك الآثار ، فراحا يجولان معاً في مجاهل الدهور والاجيال . ان الأمير موريس هو العامل الدائب الصامت في الجمهورية اللبنانية لا يضارعه في هذا أحد ، فشكراً للسيد غانم الدجـاني الذي اسمعنا صوته المخلص .

وتباحث الدكتوران عـاقل وهاشم في ندوة الشرق الادنى حول تعـلم الجنسين معاً،فاستقر الرأي على وجوب اختلاف التوجيه في المرحلة الابتدائية، وأنا أرى أن يختلف أيضاً في المرحلة الثانوية ، فما قولكم بأنثى تعلمها شعر أمرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس لتنال شهادة البكالوريا ! فالذي عندي هو ألاّ يجتمع الجنسان إلا في كليات الهندسة والطب والحقوق والتخصص في الآداب والعلوم ، حين تكون الأنثى قد قطعت خط النـار وتجاوزت الثانية والعشرين .

يظهر أن بناتنا في كل الاقطار يتعلمن المهن الحرة ، ولم يعدن يفكرن في البيت ، وهذه خطيئة المناهج التي تعلّمهن . سأل الاستاذ موسى الدجاني جمهرة من بنات مدرسة بنغازي الثانوية عما يردن أن يعملن في المستقبل ، فاذا بهن كلهن يرغبن في التعليم والطب والتمريض وما أشبه ذلك ، أمـا البيت العربي المحتاج الى التنظيم فلم يكن في حساب واحدة منهن .

وأخيراً لا بد من الاشارة الى الغلط ، فمنه استعمال كلمة القاموس للمعجم، والقاموس اسم معجم لا معجم .

وقيل : أحدّق في وجهها ، والصحيح أحدق الى وجهها .

وقيل : بحيث أنها ، والصواب حيث أنها لأن حيث لا تضاف إلا الى الجملة .

وقيل : ولا حق ، والتعبير فاسد .

وقيل : ترجوني ، واللفظة لا تؤدي الغرض، ولو قيل ترجو مني لكان أصح.

وقيل : تأمر وتنهي ، والصواب تنهى .

النقد السابع والثلاثون

١٩٥٣/٣/٢٥

« العلم التجريبي والأدب » موضوع جديد طريف . ناقشه الدكتور محمد كامل حسين وزملاؤه ، محاولين تطبيق هذا العلم على الادب كما حاول قبلهم سنت بيف وبرونتيير وغيرهما من نقاد الفرنجة أن يصنفوا الأدباء كما صنف النبـات . جالوا في بحثهم جولات موفقة ولكنهم اخفقوا حين عدوا وصف الشاعر للغواصة والطائرة علماً . فالشاعر يتناول من المشاهد ما يعني مخيلته لا ما يعني الحقائق العلمية ، فالأدب يحف ويذهب رواؤه متى صار علماً ، كما أن العلم يفقد الكثير من حقيقته متى صار أدباً .

اني أرى العلم ضرورياً للأدب،فهو يساعده على خلق صور أدبية جديدة . وإذا جهل الاديب علوم عصره بدا كأنه واحد من رجال القرون الخـالية . أما إذا عاش ذهنه في صميم العلم نصلت صبغته الادبية فأمسى لا هو في الشعراء ولا في الادباء .

فالقصصيون الذين غرقوا في لجج علم النفس،وحاولوا تطبيق قصصهم عليه فقدوا الروعة التي هي عنصر الادب وملّهم قراؤهم . مع ان علم النفس هو أقرب العلوم الى الادب ، وقد عرفه كبـار الشعراء والادباء قبل أن يوضع ، وقبل أن كتبت فيه هذه الالوان من الكتب .

يقرأ العالم السيكولوجي هذا البيت :

الحب أول ما يكون مجانة واذا تمكن صار شغلا شاغلا

فيحدثنا عن الفكرة الثابتة وغيرها ، ويقرأ بيت المتنبي القائل :

إلامَ طماعيـة العـاذل ولا رأي في الحب للعاقل

فيأخذه حجة أيضاً ، فمثل هذه الومضات العلمية التي تشع في سماء الادب تنعش النفوس ، أما متى صارت كما فعل بول بورجيه فانها تعري الادب من جماله ، ولا يبقى إلا الهيكل العظمي الكريه . الخلاصة ، قليل من العلم يفيد، ولكنه لا يصح أن يغدو طريقاً معبدة تكر عليها عجلات الادب وقاطراته..

ومن برنامج المرأة سمعت حديثاً شاملاً عن المرأة وأثرها في أدبنا العربي الحديث للسيدة سميه حموي نجم .. تحدثت حضرتها عن الكتّاب الذين كان لهـــم يد في نهضة المرأة ، ونسيت أباهم وجدهم احمد فارس الشدياق ، ذاك العبقري الذي وقف قلمه على المرأة ، وطالب بحريتها كاملة منذ قرن . كان بحث السيدة سميه جامعاً شاملاً ، ثم استطردت الى وقتنا هذا فقالت ان المرأة نالت بعض حقوقها في لبنان مع انها نالتها كلها وفوق الكل إن كان هناك فوق ، وأظنها سمعت ، كما سمعت ، الاستاذ بيي يسأل عضوات بلدية بيروت إذا كن عازمات على خوض معركة الترشيح لعضوية المجلس النيابي .

وقد أحسن الاستاذ عادل الغضبان في حديثه عن الافغاني والرصافي وتاصف حين حصر الكلام في بعض جوانبهم ،لأن ربع ساعة من الزمن لا يفي بتعريف من ملأوا دنيام حقبة من الزمن . ولكن الاستاذ عرف كيف يستغله فعرض صورة صغيرة إلا انهـــا تدل على جميع الملامح . وان كنت أؤثر أن يكون الكلام عن واحد فقط من هؤلاء النوابغ .

وفي « روضة الشاعر » لم تكن قصيدة الاستاذ حسن القـاياتي من الشعر العـالي . ان مثل هذا القريض المنظوم أصبح غير مرغوب فيه ، فأين الشعر في قوله ، مثلاً : معاذ النبل ان نرضى ... اذا أطعمت حلواها ... مطيع فيا يعصاها ؟ ..

واذا كانت قصيدة الرصافي « نحن والماضي » عباسية الديباجة لا يفارق فيهـا الشاعر عمود الشعر الذي كسره شباب اليوم ، فللرصافي قصائد أجود منها ، ولعلها اختيرت دون روائعه الاخرى لأنهـا ذات مغزى اجتماعي نحن محتاجون اليه كل يوم .

أرى اقبال سيداتنا وأوانسنا على القصص أمسى كثيراً جداً ، مع ان الاقصوصة تقتضي كاتبتهـا جهداً وفناً . وأنا لم أرَ في قصة « قسمة القدر » للسيدة مسرة شهاب شيئاً من هذا . كان الانشاء مبتذلاً ، واللحن منتشراً . لا براعة سياق ولا جمال حوار ، فنصيحتي للمهاجين والمهاجمات أن يتمرنوا كثيراً ، ثم تطلق الأسهم بعد اشتداد السواعد فتحسن الرماية .

أما الدكتور عبد السلام العجيلي فقصاص ماهر ، عارف باصول هذا الفن، وهو يطبق هذه الأصول على أقاصيصه فيوفق فيها . ان قصة « الخيل » جد موفقة . لقد كانت عقدة المودة بين الفرس والانسان محكمة الربط . وكان الوصف وصف عارف خبير يصف ما رأى وعاش . ما زلنـا نردد « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، ولكن هذه الفرس الكريمة ، رغم ما كان فيها من سمات تبشر بخير جزيل ، لم يحالفها التوفيق ، ولكنها لم تخسر الوفاء فماتت بموت من عرفت وعاشرت . أذكر انني منذ أسابيـع سمعت قصة بطلتها بقرة، والقصة مترجمة ، فخلتُ تلك البقرة واحداً من أفراد الاسرة ، وها أنا اليوم أسمع قصة فرس العجيلي فلم استغرب شيئاً ممـا حدث . فللانسان صديقان من الحيوان قلما نجد محبتها وتعلقها في غير المخلصين من البشر .

وأمـا قصـة المدير العـام للاستاذ عزت السيد ابراهيم فظلت سائرة سيراً حسناً ، حتى غالى كاتبها في نصفها الأخير ، حين نقل حوادثها من الديوان الى البيت ففقدت الكثير من ذلك الجمال الذي اسبغه عليها أولاً .

النقد الثامن والثلاثون

٧ / ٤ / ١٩٥٣

أكثر من يتحدثن في برنامج المرأة يدُرن في حلقة مفرغة هي حقوق المرأة ، فكأنما لم تبق عندهن مشكلة تستحق البحث الا هذه الحقوق . وكأن هذه الحقوق متى أعطيتها المرأة تبلغ الدنيا ذروة الكمال !! ولكن الدكتورة زهيدة حميد باشا تعتقد ان كل ما تعطاه المرأة من حقوق لا يجعلها مساوية للرجل ما لم يمح من ذهن الانثى ذلك الوهم الذي سمته مركب النقص ، وهي تعني به اعتقاد المرأة انها دون الرجل قوة . ثم أخذت تدلي ببراهينها على كفاءة المرأة الجسدية حتى انتهت الى الزعم انها أقوى من الرجل لأنها تمرّض وتطبخ !!

وتحدثت السيدة مادلين ارقش عن المساواة والاصلاح ، واني وان كنت ممن يطلبون الاصلاح ، في كل آن ، فلست ممن يؤمنون بتحقيق المساواة إلا في بطون الكتب ، أما على ظهر البسيطة فلا مساواة قط ، ولا بد من الرأس الواحد في كل كائن ، وعلى الكائن تقاس الاشياء كلها ، ولا استثناء .

وفي موضوع « علمتني الحياة » قالت السيدة الجليلة اسمى فارس الخوري ان الحياة علمتها ألا تثق بالتاريخ ، وهذا لعمري درس مفيد ، فالتاريخ ، ان لم يكن كله اسطورة ، فجله حكايات ملفقة . أما مذكرات مضيفة للآنسة... ابراهيم فمملوءة بالنصائح للمضيفات ، فالله أسأل ان يريني وجههن ولو في شطحة قصيرة ، الى قبرص مثلا ، لأرى كيف تكون تلك الضيافة الروحية وما

تعده من ألوان هي أشبه بالضحك على اللحى ...

وفي حديث النشاط الأدبي كان الدكتور فاخر عاقل ناقداً صارماً فلم تفته شاردة ولا واردة حتى ذكر اولئك الذين يحضرون الحفلات الأدبية ويتسلون بأكل البزر . حقاً ان الحاضر ينشط كثيراً متى رأى مستمعيه يصغون اليه بأفواههم ... ويصفقون له بفرقعة الفستق وبزر اليقطين ...

ونصيحتي للاستاذ نبيه غطاس الذي تحدث في بريدنا الأدبي عن « التجارة في الأدب » ان يقلب هذه الاسطوانة ، فقد أكثر من الكلام في هذا الموضوع. وأولى به أن يعمل ما استطاع بدلاً من أن ينعى على الأدباء عملهم . وعقدت الآنسة أماني فريد جلسة شعرية مع الاستاذين ابراهيم محمد نجا ومحمد هارون الحلو ، بمناسبة فصل الربيع . كان المهد بالشعراء ان يستقبلوا الربيع بالغناء والتهليل ، ولكن الشاعر نجا جعل لازمة قصيدته الربيعية : فما بك يا قلبي الخ . اذا كان الشاعر نجا ينوح ويبكي في استقبال الربيع فما عساه يفعل اذا نظم شعراً خريفياً شتائياً ؟ كان آخر قصيدته خيراً من أولها ، وخصوصاً ختامها . أما الاستاذ محمد هارون فكان خيرهما ديباجة ، واجودهما خيالاً .

وكانت قصة الاسبوع للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل كأكثر اخواتها مستوحاة من تاريخنا القديم . كان عنوان هذه «أزمة زواج » ، وقد تصرف الاستاذ فيها تصرفاً فنياً حسناً ، فأدى الفكرة كما كانت تؤدى في زمن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، وختم القصة ختاماً حسناً ، ولا يعنيني ان كان تاريخياً أو لم يكن ، فنحن في صدد قصة لا في صدد تاريخ ، ولا بأس ان تغير موعد تاريخ موت ابن ليلى لتنجح القصة ، وان كانت فيها عبارة جديدة لا أراها من بضاعة ذلك العصر ، وهي قول الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل : يطلب اليها يد احداهن !

مناسبة الفصح — كانت قصة « أم نجم » للاستاذ ادوار حنين خير المقول

بمناسبة عيد الفصح المجيد ، وان لم تكن قوية الاتصال به ، كانت قصة لبنانية جميلة لوناً وتعابير وحوادث ، وان كان لا يتذوقها حق التذوق إلا من عرف الجماعة اللبنانيـة في الحرب الأولى . لا غبـار على صحة هذه القصة إلا بعض الفاظ عامية غير فصيحة .

والسيدة اسمى طوبي في حديث « المربيات الثلاث » شاءت ان تشرك المرأة في مأساة الفصح ، ولكنها لم تخرج الرواية اخراجاً فنياً ، بل روت أخباراً يعرفها أصحاب العيد عن ظهر قلب .

النقد التاسع والثلاثون

١٩٥٣ / ٤ / ٢٢

روضة الشعر — أرى روضة الشعر ممسوخة وان كان الفصل ربيعاً ، فهذا الشعر الذي ينثره علينا المذياع متشابه متماثل فقلما تهب علينا منه نفحة جديدة . فكأن الشعراء لا يفكرون بالخلق وكأنما الشعر عندهم رصف الفاظ واستقامة وزن . فأغراضهم لا تتبدل ولا تتنوع وتكاد تكون هي اياها : شكوى وأنين وحنين .

ظل الشعر القديم على جدته حقباً من الدهر وما عتق إلا بعد عمر طويل. كان كل شاعر من اولئك يحاول ان يأتي بالبدع ، وأما شعرنا اليوم فأمسى مكروراً معاراً في حقبة قصيرة ، ومرد هذا إلى أن شعراءنا لا يبالون إلا بالتفاعيل وتمثلة الاوزان ألفاظاً ، ولهذا مل المستمعون هذا الشعر الذي نسمعه ولا ندري ما نجيب اذا سئلنا عما كنا نسمع ، فليت من يدعون الى روضة الشعر لا يكتفون بهذه الازاهير التي لا شذا لها ولا عبير .

ومن روضة الشعر يصح الانتقال الى نماذج السيدة زينب محمد حسين الزجلية النسوية . ان هذه السيدة تلج في شعرها العامي صميم قلب الواقع وتصور لنا شخوصاً نصادفها في كل مكان وزمان . فالمصغي الى ما تقول يخرج من غرفته وفي ذهنه صورة فنية لاحدى الأناث بينا هو لا يحمل من ذلك الشعر الفصيح إلا الآهات والتنهدات التي عندنا منها ، دائماً ، ما يكفينا .

وبعد عهد طويل سمعنا حديثاً أدبياً موضوعه «مع نفحات النسيم» للاستاذ

محمد عبد الغني حسن . لقد أصاب الاستاذ عبد الغني ، وهو شاعر معروف ، حين قال : ان الشعراء العرب كانوا أبر الناس بالنسيم . ان بعضنا يظنون ان الشاعر القـــديم لم يكن يصور محيطه في حين أن هذا الشاعر ما صور إلا ما أدرك وعايش من مـكان وزمان وحيوان ، وهو لم يبر بالنسيم إلا لأن النسيم يبرد قلبه المتقد في الصحراء الملتهبة الرمال . ان الهـواء في لبنان عبء ثقيل على متاكب الناس ، ومع ذلك نسمع شاعره العامي يقول : ريـــح الشمالي يا نسيم بلادنا .

ان بين الشعراء والنسيم مودة وثيقة العرى ، فهو الرسول الأمين وموزع البريد ، ومبدع الصور الشعرية ، وقد ألمّ بهذه كلهـا الاستـاذ حسن ، وهو يحسن جداً الى الادب اذا عدل في أحاديثه الى مثل هذه الموضوعات الخاصة بدلاً مما نسمع من الكلام العام حول أدبنا التائه .

وكانت زيارة الميكروفون لقلعـة حلب مفيدة ولذيذة . أحسن الاستـاذ عبد المجيد ابو لبن اختيار هذه القلعة التي يسمع النـاس بها كثيراً ولا يعرفون عنها شيئاً . زرتها مرة على عهد الانتداب فلم أعرف عنها إلا انها قلعة وذلك لفقدان الدليل، ولكنني صعدت الى منارتها المشرفة على الشهباء فرأيت مشهداً بديعاً . ما دُلِلت ، وقتئذ ، إلا على قاعة سيف الدولة . أما هذه التفاصيل التي كبرتها في عيني فما وجدت في ذلك الحين من يقولها لي .

الأقاصيص — أولها قصة « الشيخ مبروك » للآنسة سميره عزام ، التصوير فيها تام ، والتعابير طريفة ، فلا تنتهي من سماعها إلا وقد عرفت معرفة تامة الشيخ مبروك الذي صار عريساً في آخر الحياة،وتحس أن أسطورة الكرامات قـد انتهت حين مشى المزين بين ثنايا لحيته وتهاوت خصلها فتهاوت معها ثقة الناس بفضائله .

كل هذا جميل ولكني لا أزال مصراً على القول أن على الآنسة عزام أن

تقوي عنصر الحكاية في أقصوصتها ما استطاعت .

أمـا اسلوب الآنسة فنقيّ طريف ، وأتمنى أن تدع العبارات الكثيرة الاستعمال اليوم مثل : قد افتقدته أنا الآخر . ان هذا التعبير غير صحيح اذا اعتمدنا على ما وضعه القدماء من أصول . لأن الآخر هنا نعت لأنا والضمير ، عند النحاة ، لا ينعت به ولا ينعت . والصواب ان يقال : افتقدته أنا أيضاً.

وقالت : وأعطاها لأبن أخيه . وأعطى تتعدى بنفسها لا باللام .

وأما قصة « مفاجأة » للاستاذ كمال منصور فكان سياقها وحكايتها خيراً من عبارتها . ففي التعبير أغلاط وفي القراءة لحن ، ولكن التوجيه الى ختامها كان حسناً وهو عندي يشفع بما فيها من هنات غير هينات .

النقـد الاربعون

٦ / ٥ /١٩٥٣

في ركن الأدب تحـدث المحامي الاستاذ احمد سويد عن الكتب الجديـدة فتكلم عن « جعبة الصياد » وعن ديوان الشاعر شفيق معلوف ، وكتاب ناظم حكمت تعريب الدكتور علي سعد . درس « جعبـة الصياد » درساً جيـداً ، وأما في نقد ديوان المعلوف فكان عارضاً راوياً أكثر منه ناقداً ومحللاً ، وقد أقل الكلام حين تحدث عن كتاب الدكتور سعد .

واستمعت الى بريد المستمع في الدورة الفائتة فعجبت لاطالة الاستاذ سميح الشريف الرد على من انتقد جمع خدمات . ان من يجهل أو يتجاهل القياس لا يرد عليه بهـذا المقياس ... اني أشكر للشريف تفضله بالدفاع عني في الحديث الأخير وان كنت لا أزال حيـاً أرزق وانتظر رد الشيخ مبارك ابراهيم بفارغ الصبر .

وامام الميكروفون سمعت المربية الآنسة هيلين ليا فأعجبني من حديثها ، وهي مربية قديمة، انها لا ترى من اصالة الرأي أن يختلط الجنسان في التدريس الابتدائي والثانوي . لا يعرف الشوق إلا من يكابده ...

الأزجال اللبنانية — سمعت الآنسة حنينه ضاهر تنشد من قولهـا اللون المعروف عندنا بالمعنّى ، ان قولها جيد ولكنه متجه نحو الفصيح ، والفصاحة في نظري لا تلائم الشعر العامي .

وفي ركن حديث الشهر انتظرت أن أسمع الكاتبة أمينة السعيد فاذا بي

أسمع الدكتورة دريه شفيق التي كان موضوعها « شؤون النساء وحقوقهن » . لقد كثر بحث هذا الموضوع حتى صرت لا أدري ماذا أقول فيه وأعلق عليه .

أما « حديث العمال » للاستاذ رشيد شقير فكان حديثاً تاريخياً شاملاً بمناسبة أول أيار . كان هذا العيد فيما مضى عيد الزهور ، وقد عني به الشاعر الانكليزي جون روسكين فكانت تنتخب فيه من يسمونها ملكة أيار . فسبحان من يغير ولا يتغير .

وعلى ذكر عيد الزهور هذا أذيعت من المحطة اضمامة شعر عبقة الشذا للشاعر فريد الملاط. كانت الأولى من طراز المعلقات محكمة النسج رنانة طنانة، بينما كانت الثانية وعنوانها « مناجاة زهرة » من طراز شعر اليوم ، موقعة ايقاعاً حسناً ، وقد أجاد الشاعر مناجاة زهرته كقوله :

انت للوادي حلى ويك الوادي حلا

فهذا الجناس ، وان يكن غير مرغوب فيه اليوم فهو جميل متى جاء عفو الطبع كما هي الحال هنا . وتحدث الأديب العراقي الاستاذ رافائيل بطي عن شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي حديثاً ممتعاً جامعاً سيرة حياته ووصف شعره وشيئاً مما قاله كبار رجال القلم فيه ، ولا بدع ان أجاد بطي فهو في هذا الموضوع من الاخصائيين المفارد .

تحدثت السيدة صفيه فراج عن موريس مارلنك تحت عنوان « امرأة من وراء شاعر » ، وكم من امرأة ألهبت قرائح الشعراء والكتاب ابان خمودها ، ولولاهن لظل هؤلاء حيث وقفت بهم الشيخوخة ولم يبلغوا آخر الشوط . واذا نسينا فلا ننسى « مدام » اناتول فرانس التي أرغمته على كتابة خير رواياته : « الزنبقة الحمراء » .

٢٠/٥/١٩٥٣

ومن الشعر سمعت للشاعرة فدوى طوقان قصيدة « انا راحل » ، وهي من طراز شعرهـا الأنيق الذي تنهض بـه العاطفة المتقـدة الى مصاف الشعر العالي ، أقول هـذا وان لم يعجبني قولها : حلـماً بلا لون ، ونجمين في فلكين يتخبطان ... فليت الشاعرة تبتعد عن هذه الصور التي لا لون لها !! فالنجوم لا تتخبط في الأفلاك ، وهي لو فعلت لخربت الدنيا .

رمضان المبارك — أعاده الله على الملة وهي في أرغد عيش وراحة بال — قد خلق عكاظاً جديدة في محطة الشرق الأدنى . فهذا الاستاذ ابو سعد يعقد جلسة رمضانية يتحدث أعضاؤها عن الصوم عند جميع الملل ، وفي آخرهـا ألقى الاستاذ أبو سعد كلمـة ختامية بليغة جامعة ، فدفع نقداً للشيخ الذي ذكره « بمشيخته » في افتتاح الجلسة .

وفي روضة الشعر أنشد السيد عبد العزيز عريقات ثلاث قصائد ليست له ، احداها همزية مفتوحة سمعت فيها اقواء حين قال:فأنضحها بماء ... القصيدتان الاوليان قديمتان والثالثة حديثة من شعر عمر أبي ريشه ، ولعلها عندي وعند غيري خير من القصيدتين القديمتين .

ثم حدثنـا الاستاذ حموده عن رمضان في الادب العربي ، فروى شعراً كثيراً لشعراء كثيرين منهم ابن الرومي القائل :

شهر الصيـام مبـارك ما لم يكن في شهر آب

ومن عرف معدة ابن الرومي ذات الشيطان الرجيم عذره على هذا القول ، وخصوصاً متى علم انه كان من المصابين بالسكري الذي لا يرتوي صاحبه ...

وفي جلسة أدبيـة عقدها الاستاذ عزيز أباظة مع الاستاذ غزال والسيدة عزيزة خـالد دار البحث حول تأثير المرأة في الادب والشعر ، ولم يذكر المتباحثون إلا الشعر القـديم الذي أوحت به المرأة ، ولعـل هجر المعاصرين للشعر القديم هو الذي حبب اليّ سماع هذه الجلسة ، وإن كنت محيطاً بكل ما نقل فيها من شعر .

وفي ركن حصاد الفكر العالمي تحدث الدكتور حكمت هـاشم عن نقد كتاب الأغاني للاستاذ شفيق جبري. أطرى الدكتور هاشم نقد الاستاذ شفيق جبري ولا بدع فالاستاذ جبري عميق في دراسات ينحو فيها نحو كبار نقـاد الفرنجة وكثيراً ما يوفق إلى الاكتشاف . أما الذي تلا هذا الحديث فلم يحسن التلفظ بأسماء النقاد الفرنجة لأنها ، على ما أظن ، لم تكتب بالفرنسية لتلفظ على حقها ، إن مصيبتنا بتعريب الاسماء الأعجمية كبيرة ، فقد اختلف المعربون في ذلك حتى « ضاعت الطاسة » . أذكر اني قرأت اسم شاعر الالمان العظيم كما يأتي : غوت ، غوتيه ، جوت ، جوته وهلم جراً .

أقاصيص الاسبوعين — حاول الاستاذ أنور ... تطبيق عـلم النفس على أقصوصته ، فصور شاباً يحدث آنسة تلفونياً وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه ، فاشمأزت أولاً ، ثم لانت بعدئذ وأمست تنتظر ذلك الحديث وتبكي اذا لم يحدثها . انني أتمنى اطراد المحاولة فنحن محتاجون الى مثل هذا اللون القصصي ، وليت الكاتب يتوقى اللحن ، فهو مشين .

أما قصة « على الدرب » للآنسة سميره عزام فهي كأكثر أقاصيصها التي تختار أبطالها من البؤساء . ولا أنعى هذه المرة على الآنسة إلا قولها : خاتم الخطوبة ، فأين هي من الخطبة حتى تستعمل هذه اللفظة العامية غير الفصيحة؟

والغريب أن تتلى قصة سميره بالنيابة وهي تنوب عن الكثيرين ، فلا بأس عليها ان شاء الله .

والقصة الاخيرة « تحيـة الوداع » للاستاذ عبد المجيد لطفي كانت جيدة وطريفة ، صور فيها الاستاذ موظفاً صغيراً في قرية يعطيه أهاليها فوق حقه حتى لقبوه دكتوراً ، ولكن هذه الدكتوراه دعته ليـــلاً الى عيادة مريضة ظنهـا سيدة فاذا هي بقرة ... ودعي أخيراً الى توديـع ولده فاذا هو أمـام العجل الذي عاد أمه ... اني أتمنى أن يوفق الاستاذ لطفي الى مثلها .

النقد الثاني والاربعون

٣ / ٦ / ١٩٥٣

رمضان ــ خلقت أحاديث رمضان جواً روحياً موفقاً انتعش به العقل والقلب ، فكانت السيدة وداد سكاكيني متمردة في حملتها على الوعظ الذي أمسى تكراراً مملاً لا يتصل بروح رمضان ، وحملت حملة شعواء على خطإ الناس في الدين وتصييرهم اياه جبة وعمامة فذكرتني بالامامين محمد عبده والافغاني . لقد شبهت السيدة سكاكيني الحديث في رمضان بزي أصبح مبتذلاً، وعندي ان ليس حديث رمضان ، وحده ، أمسى هكذا بل كل الاحاديث الوعظية ، ما خلا نفراً قليلاً من الائمة والكهنة الذين يحاولون بحث هذه الموضوعات، على نمط جديد لا يبتعد عن روح الدين ولا يتوكأ على الكلام المعتاد ، كحديث الشيخ طاهر سبيطه الذي تكلم عن سمو الاسلام بالانسانية فأراانا بايجاز وبلاغة أن الله قريب من عباده وهذه روح دين الرحمن الرحيم .

وجال الاستاذ بهيج عثمان جولة موفقة في مجاهل الأدب العربي فأسمعنا ما قاله في رمضان كل من الاخطل والبحتري وابن الرومي وابن عباد وأبي العتاهية وشوقي فكان حديثه حياً بأقوال هؤلاء وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

وتحدث الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمه في موضوع جديد عنوانه : «ملاذنا الاول والاخير» وعدد أنواعاً كثيرة من النكبات حتى عد موت حيوان عزيز نكبة ، وأخيراً تخلص الى أن لا ملاذ لنا ، أولاً وآخراً ، إلا في الدين . ولو وعظ ألف مطران ومليون خوري لا يؤثرون في الناس مثل كلام رجل خرج

من الحظيرة ثم عاد يقول : انها الملاذ الأول والأخير .

أمـا الكاتب الكبير الاستاذ محيي الدين النعسولي الذي لم يـفارق الحظيرة قط فكان كلامه صادراً من أعماق قلبه ، تزينه ديباجته الانيقة الدمقـية النسيج ، وهو يتفق مع الاستاذ نعيمه في أن ليس للناس موئل إلا الدين .

وقدم الاستاذ اللوزي شخصيتي الاسبوع فحدثنا الدكتور قسطنطين زريق عن التربية ومشاكلها شاكياً ضعفها عندنا ، ثم تعرض للتعليم الآلي فرأى انـه يخرج تلاميذ بلا شخصية .

ولما سئل عن أحب المناصب اليـــه أجاب : التدريس ، وما أظن المربي الحق إلا كبير أمناء الأمة وحسبه هذه الوظيفة .

أمـا الشخصية الثانية ، وهي الاستاذ جميل المكاوي المستقيل حديثـاً من السلك الخارجي ، فأرانا بوضوح ودبلوماسية مشاكل لبنان وفشله في انشاء الوطن والدولة . ورأى أن هناك ستين ألف عامل بلا عمل . فهل من يصف الدواء لهذا الداء ؟

وفي حصاد الفكر العـالمي تحدثت الاستاذة زاهية أيوب ملخصة كتاب « مستقبل النشء » لكاتب افرنسي كبير ، وقد أعجبتني مته نظرتـه الى البكالوريا الـتي خلبت عقول الفتيان وهي شهادة ثانوية ليس إلا ، كما أعجبني تطبيق السيدة أيوب لأقوال الكاتب على هذه الديار التي تتلهى من العلم بالقشور .

أما الأقاصيص الثلاث فكان خيرها أقصوصة الاستـاذ رشاد دارغوث وعنوانها « ربيـع الرسول » . كان اسلوبها شعرياً ، والأسلوب الشعري عنصر هام في الأقصوصة ، بل اذا خلت منه فاتها شيء كثير .

وهنا لا بد لي من ملاحظة عامة : ان كلمة وحده هي منصوبة دائمـاً على الحالية لا تدخل عليها الـــلام حتى يقال لوحده ، ولا تأتي مجرورة إلا في قولنا نسيج وحده .

وكلمة « طيلة » خطأ لغوي ويقال طوال لا طيلة . أما « حيث » فلا يكون الاسم بعدها إلا مرفوعاً .

وكذلك لا يقال : زف الشيخ الى زوجه ، فالزوجة تزف لا الرجل .

أما حضرة الشيخ ابراهيم فنصيحتي له ألا يكتفي بمعجم واحد ليعلم أن معنى الزخم الدفع الشديد ، فليراجع الفيروز ابادى اذا شاء .

النقد الثالث والاربعون

١٧ / ٦ / ١٩٥٣

رمضان والعيد — كانت أحاديث رمضان والعيد مباراة رائعة جـال في حلبتها أصحاب الفضيلة والأدباء والمؤرخون فأفاد منها المستمعون أدباً ومعرفة . تحدّث الاستاذ الشيخ محمد حسن مخلوف عن رمضان شهر الصيام وشهر القرآن ، والاستاذ رشيد العبيدي طرق الموضوع نفسه فكان حديثه الصباحي ، على قصره ، جامعاً بليغاً جداً .

والشيخ جمال الحنفي تحدث عن الحياة العائلية في القرآن الكريم فأرانا أن النبي (صلعم) كان يشاور نساءه وإن جـاء : الرجال قوامون على النساء . ثم تخطى الى القول أن لا بد من رئاسة في البيت وهذه القيمومة لا بد منها .

وفي ندوة الشرق الادنى المعقودة في العراق تحدّث ثلاثة علماء فعرفنـا كيف يحتفى برمضان في العراق ومراكش وحضرموت . قال الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي انهم في مراكش يعدون له العدة قبـل حلوله بأشهر ، وانهـم يفطرون على « الحريرة » ، وان الزوايا الصوفية تعمل وتحيا في هذا الشهر ، كما أن لأشراف تطوان جلسـة موسيقية اسبوعية . أما الاستاذ عمر باوزير الحضرموني فخص بالذكر اعطاء المحرومين في بلاده ، وقد كان حضرته أسهل أعضاء هذه الندوة لساناً وكلاماً .

ولما أذن رمضان بالبين دار الكلام حول العيد ، فعالجت الندوة في مصر موضوع الأعيـاد في الاسلام ، وسأل شيـخ هذه الندوة ، محمـد المرتضى ،

الاستاذ محمد علي حماد « المخضرم » أن يتحدث عن العيد منذ أربعين سنة ، فأفاض الاستاذ حماد في الحديث وأشار الى توزيع الثياب الجديدة والأطعام ، أمـا السيدة زينب لبيب فقالت ان العيد لمصافاة القلوب ، فتذكرتُ كيف كنـا ننتظره في القرية لنقضي على الخصومات بين أهلها ، ثم انتقدت السيدة زينب المرأة التي تتشدد في طلب الملابس بمناسبة العيد وقالت ان رسالة المرأة هي تأليف القلوب ونشر السعادة في الاسرة .

وكأني بالدكتورة بنت الشاطىء قد شاءت أن يكون موضوعها « أسلوبنا في العيد » غريبة لكل ما قيل ، فانتقدت عاداتنا في الاعياد ورسمت لهـا مشروعاً جديداً لتكون أعيادنا أكثر جدوى ، وذلك بأن يكون العيد ذكرى لمن أحسنوا في العام الماضي ضبط النفس ، ثم حثّت المرأة على الجهاد في سبيل الخير والحق والجمال .

وبهـذه المناسبة اتحفنا الاستاذ عز الدين فراج باضمامة طريفـة من أقوال نوابغ الغرب في شخصية النبي الأعظم . لقـد أنصف هؤلاء العلماء من خلق انسانية جديـدة انتشرت في جميع أقطار المسكونة ، فمتى يقـدم منا نحن الشرقيـين من يدرسون هذا المواطن الأسمى درساً منصفاً مثـل هؤلاء ؟ لن يكون هذا إلا عندما نبرأ من دائنا الاجتماعي ، فترينا أعيننا الشخوص كما هي لا كما نتخيلها بأعين الملل والنحل .

فالى العرب أجمعين والمسلمين قاطبـة ، نقدم أخلص التهنئات ونتمنى أن نشب الوثبة الكبرى قبل العيد القادم .

روضـة الشعر — قدّم منها باقة الاستاذ عزيز أباظه فقـال في مقطوعة « قـدر » : عربد الدهر وألقى بعصاه . أظن أن من يعربد لا يلقي بعصاه بل يضرب بهـا ! وقال في مقطع حنين : حتى اذا الليل لفّتك جواشنه ، واشباع الكاف لا يجوز في علم العروض .

شخصية الاسبوع ـ أنصف الاستاذ ابو سعد إذ اختار الشاعر العلامة وديع البستاني شخصية اسبوع ، فالرجل الذي قضى عمره بين الاوراق والاقـــلام يستحق ان يكون شخصية العام ، فوديع البستاني أول من عرّب الخيّام ، وها هو يعرب المهيراته جرياً على خطة معلمه سليمان البستاني معرب الالياذة .

حديث الاطفـال ـ جميلة كانت أساطير الاستاذ كامل الكيلاني فهذا « الارنب العاصي » يروق لنا نحن الاطفال الكبار ، فكيف بالصغار ؟ اللغة صحيحة مفهومة ، ولعلها لا تقل سهولة وامتناعاً من أساطير ابن المقفع . ولعل الكيلاني قد أراد مجاراة شوقي فعمل المنشور الذي أصدرته حكومة الأرانب رجزاً . أنا لا استحسن الشعر هنا ، ولكني لم أجده نابياً كما وجدت لفظـة عرجتها أي صيرتها عرجاء . فأين الاستاذ من الهمزة ؟ فلمثل هذه الحـــالة وضعت أحرف الزيادة .

وفي هذه الفترة سمعت أيضاً قصصاً من الحياة : « كلب وثلاثة رجال » ، و «بائعة الزهور» وهما مـليتان أيضاً وإن خلتا من روعة اسطورة الكيلاني .

الأقاصيص ـ أعجبني جداً حديث الاستاذ عبد الوهاب الأميني عن خير قصة في العالم . كانت منتقاة من ستين ألف قصة . اشترك في هـــذه المباراة خمسة وأربعون قطراً ما عدا العالم العربي . الجـائزة كانت ٥٠٠٠ دولار ، ولكن اللجنة المحـكمة وزّعتهـا على أربـع أقاصيص ، فكانت الاقصوصتان الاوليان افرنسيتين . ثم أضيف الى الأربـع قصة هندية رآها المحدث خير تلك الأقاصيص ، أما في نظر اللجنة فهي الخامسة ، وقد لوحظ أن مؤلفي هذه الأقاصيص وجوه جديدة وليسوا من المشاهير .

النقد الرابع والاربعون

١ / ٧ / ١٩٥٣

«نحو عالم أفضل» — بحث عالجه الكثيرون من المفكرين والأدباء ، ولما آل القول فيه الى الاستاذ فؤاد صروف فتح فيه فتحاً جديداً ، فهيمن عليه العلم. كان بحثاً خيالياً فصار فكرة يمكن تحقيقها . جمع الاستاذ صروف في هـذا الحديث جمـــال الادب الى قوة المعرفة وعمق التفكير وصدق المحاكمة ودقة البحث . فهذا الاديب الاصيل طغى العـلم على أدبه مذ خلف عمه يعقوب في رئاسة تحرير المقتطف التي كانت منذ ولدت في بـيروت وشيخت في مصر ، مدرسة تبذر العلم والمعرفة في حقل الفكر العربي فمن استمع الى هذا الحديث يلم بتاريخ الفكر واليد البشريين وما اكتشفا من أسرار الكون ، فليت مجلة هذه المحطة تتحف قراءها بهذا الحديث ليفيد منـــه من لم يسمعه ، بل ليتها تعيد الاستاذ صروف الى جوّه العلمي فيمطر الآذان من وابل هذه الفوائد الجليلة التي تنير العقول .

حديث الشهر — لست أدري لماذا آثر الاستاذ ميشال أسمر تلك المقدمة المسجوعة لحديثه هذا ، فهو لا عهد له بمثل هذا الاسلوب . ربما كان ضجيـج المعركة الانتخابية الذي يسمعه اليوم في بيروت قد جرّه عفواً الى هذا الايقاع الكلامي والعبارات الرنانة المطابقة لمقتضى الحال ، وقديماً قالوا : لكل مقام مقال ، وخصوصاً اذا كان الكاتب من خائضي غمار المجال كالاستاذ أسمر المرشح للنيابة .

أزمة الادب ــ تحدث الدكتور عبد القادر القط عن أزمة الادب فأحسن وصفها ووضع أصبعه على الوجع حيث الدمل الخفي . أمـــا نحن فنطلب من أمثـال الدكتور القط أن ينشئوا لا أن يصفوا . اننا نرجو من الشباب ان يعملوا بدلاً من أن ينعوا على الغير أعمـالهم ، أليسوا هم أدباء ؟ اني أرى أدباء الشباب يكثرون من التعليق على هوامش الادب ، فاذا شاؤوا أن يكون لنا الادب الذي يشتهون ويصفون فما عليهم إلا أن يضعوا لنا النماذج . هين علينا أن نضع التصميمات ونطلب من البنائين ان يشيدوا قصور الف ليلة وليلة ، ولكن التفكير شيء والعمل شيء آخر . لقد ألهتهم هذه المباحث عن كل أثر يبحثونه ، فليتهم يعدون عنها ، فقد بشمنا واتخمنا . اننـا الى رائحة صغرى أحوج منا الى هذه المقالات ، فالتجديد لا يدرك بالتمني بل بالمحاولة .

ذكرى خليل المطران ــ وفى الاستاذ عادل الغضبان شاعرنا العظيم خليل مطران حقه . حلل نفسيته وشاعريته التي تفاعلت ففعلت وانفعلت . ثم ألمّ بجميع نواحيه الأخر بكلام قل ودل . اننا نوافقه على أن شعر خليل مطران هو شعر الحياة والحقيقة والخيال ، ولكن بتحفظ . فشاعرنا مطران كالمتنبي له نظم يزحف على حصباء الوادي،وله شعر يدوّم حتى يقع على اسمى الذرى. انه في شعره كالغمام ، فهو تارة : « دان مسفّ فويق الارض هيدبه » وطوراً يتعالى فوق الفوق ، وهذا لا يحول دون كونه واضع دستور الشعر العصري كما قال الشاعر الغضبان . وقصارى القول ان بحث الاستاذ عادل كان دقيقاً وعميقاً.

الكتب الحديثة ــ كان ركن الادب تعريفاً بالكتب الجديدة ونقداً وجيزاً لها . تكلم المتحدث عن مسرحية « ولادة » لحسين سراج وقدم آراء وجيهة، مبيّناً فيها لماذا لا تنجح المسرحية الشعرية . وتكلم عن كتاب الجاحظ لحنـا فاخوري وكتابي عبد العزيز سيد الاهل ، وكتب عيد الفصح للدكتور فريحه، وتموزيات فؤاد سليمان ، لقد فاتني اسم المتحدث في البداية ثم لم يذكر في النهاية،

واذا صدق الظن فالصوت صوت الأستاذ سميح الشريف ، الاديب المتكتم .

الجلسات – جلسة «أثر البيئة في الشعر» ، وهي عراقية المنشأ ، للدكتور سليم النعيمي وشركاه . يخيل اليّ اني سمعتها مرة . أما الجلسة الادبية الثانية التي عقدها ممثلو « أهل القلم » في لبنان فحدثتنا بغموض عن رسالة أهل القلم. وعدنا الاستاذ صلاح الاسير والسيدة امـــلي فارس ابراهيم بحدث عظـيم وإنا لمنتظرون . لقد تحدثوا كثيراً عن المادة ، ومن ينتظر المادة لينتج كان كمن ينتظر أدسم المآكل ليمسي جبـاراً . ان الجبار يخلقه الخبز الحاف يا صلاح ، والكناري لا ينتظر حب القنبز ليغني انشودته العظمى .

روضـة الشعر – سمعت ازجال القوال عبد الله ابو جوده ، ولا عجب ، فالزجل شعر ، ومـا كان شعراء الجاهلية إلا كهؤلاء . أرى ان يتجنب ابو جوده العبارات الفصيحة مثل : الماء النمير وغيرها ، فهذي لا تلائم الزجل ، وأن يبقي للكلام العامي لون تركيبه الخاص فهو يفقد روعته متى حوّل عنها. فقول ابو جوده مثلاً : مثل دبس بعلبكي ، مقصر جداً عن قول رشيد نخله : والشعر دبس بعلبـكي . جميل قوله : وذقتها في ميّـة العاج اغتسل ، ولكن تذكير النقن ، وخصوصاً متى كانت دقن واحدة مثـل قرقورته ساوى لا يستحسن أبداً .

قصة الاسبوع – وعنوانها «المقامر» لـسامي الشقيفي قصة جيدة ، ولكنها لا توحي الي شيئاً لأني مقصر في ميدان الحضارة ، أمـا بطل القصة بشير فلا عجب اذا اختلس مال الصندوق ، فالمقامر يسرق الجامع والكنيسة والدير .

مآخذ – قـال احد المتحدثين : لم يكادوا يفعلوا ، والصواب يفعلون . وقال : أن يعيشوا بعضهم مع بعض ، والصواب ان يعيش بعضهم مع بعض .

النقد الخامس والاربعون

١٥ / ٧ / ١٩٥٣

نحو مجتمع أفضل — الاستاذ سلامه موسى رجل عقل يؤمن بالعلم ، وهو كاتب مناضل تحت لوائه يستحق لقب رسول التطور ، فقد عقد له هذا اللواء بعد الشميل وصروف فخاض معارك النشوء والارتقاء باحثاً عن جذوره في أعماق النفس البشرية . مضى يدعونا اليه في ملبسنا وما كلنا وأثاث بيوتنا ، ولا أنسى انه دعـــا الى خلع الطربوش ولبس البرنيطة حاسباً ان ذلك يجدد تفكيرنا فنجاري ركب الحضارة . فهذا الكاتب الاجتماعي المختمر الفكر يرى بناء المجتمع على أساس العلم الحديث ، ويحارب العادات المتأصلة فينا ، ويرى ان البشر لا يدركون مجتمعاً أفضل ما لم تستحل عواطفهم الى حقائق يمكن بحثها كالقضايا العلمية ، فلا تطغي قلوبنا على عقولنا حين يمس البحث من قريب او بعيد عاداتنا وتقاليدنا .

فسلامه لا يؤمن إلا بالعلم ، ولذلك يرى ان المجتمع الأفضل هو الذي يربينا تربية تكون معها طلبة مدى حياتنا نتعلم ونختبر الدنيا وتزداد حكمةومعرفة، ثم لا يكتفي بتلك المعرفة الـتي ينشدها الخياليون ، فيحث على حرفة نرتزق بهـا لنعيش شرفاء . تلك رسالة سلامه موسى الحرة التي اعتنقها منذ شب ، وقد كان يسكت يوم لم يكن يستطيع رفع الصوت جهرة .

وتحدث الدكتور جبرائيل جبور عن اهتمام العرب القدماء بالكتابوتنافسهم في شرائه ، ثم استطرد الى الشكوى من الطلاب الذين لا يقبلون على المطالعة.

نعم ان طلاب اليوم أمسوا ولا يعنيهم إلا الحصول على الشهادة فينصبون لها الشراك في كل طريق يؤدي اليها ، وما لهم وللمعرفة ما زالوا لا يهمهم إلا تلك الورقة ولا بأس إن كانت من نوع السلاح الفاسد .

ومن شخصيات الاسبوع قدم الاستاذ محمد البيري الأمير رئيف ابي اللمع ، الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، فكان حديث الأمير كالخطابة ، ولكل امرىء من دهره ما تعوّد . نسب الأمير الكلمة المشهورة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، للامام علي ، وأظنها لابن الخطاب ، أما نصيحة الأمين العام المساعد للشباب العربي ، فلم تكن من خير ما عنده .

وتحدث الدكتور الاهواني والاستاذ عبد الغني حسن عن أثر محمد عبده في الجامع الازهر ، وكيف حاول ذلك القطب العظيم التجديد في كل شيء . وتحدث الدكتور احمد كمال زكي عن صلة الادب بالحياة ، فطاف بنا حول الكرة الارضية حتى ألقى عصا الترحال عند بشار والجاحظ اللذين مثلا عصرهما والحياة فيه أصدق تمثيل .

يعتبر الدكتور أن كل أدب يفقد قيمته اذا ابتعد عن الحياة ، وأنا أعتقد أن الادب الذي ينغمس في الحياة يفقد قيمته بعد فوات أوان تلك المواد التي كونت ذلك الادب ، الأدب يصبح تاريخاً إن لم يكن لصاحبه شخصية فنية تكفل الديمومة لما يكتب . فهذه الأبيات التي تمثل حالة الدويلات العربية في زمان المتنبي ستفقد وزنها حين يتغير وضعنا الحاضر،ولا يبقى لشاعرنا الأعظم إلا فكرته الانسانية العظمى .

وقد ورد ذكر الجاحظ عند الاستاذ قدري طوقان حين بحث الاخلاص للحق في كتب العرب . ان العربي جريء ، وكل جريء يحب الحق ويقول الحق ، وأما مزج العلم بالأدب فهذه طريق شقها الجاحظ للعقل العربي فكان كل من جاؤوا بعده عيالاً عليه .

وتحدثت السيدة نعمة احمد فؤاد عن العناصر الانسانية في الادب المعاصر، فأكثرت من المترادفات في التعبير ، ورددت ألفاظاً بعينها مرات كثيرة ، حتى انها رددت كلمة الانسان زهاء ثلاثين مرة .

وفي روضة الشعر كانت قصيدة « يا ربيع الحياة » للاستاذ مصطفى عبد الرحمن جيدة السبك ، ولكنه ارتكب في قوافيها هفوة عروضية — سناد الردف — فجمع بين بشراً ونكراً ونوراً .

أقاصيص الاسبوع — كانت قصة الاستاذ جعفر الخليلي وصفاً للجن الذين يفتقدوننا من آن الى آخر . والقصة تمتاز بمفاجأة القارىء بأن بطل الاقصوصة سعيداً قد مثل دور الجن دوراً مكنه من الاستقلال ببيت فأراح أهله واستراح هو .

أما اقصوصة « عصا الساحر » للاستاذ درويش الجندي فهي تحليلية تجيد فيها الأم تعليم بنتها سحر الرجال . واقصوصة « بعث حب » للاستاذ حافظ محمود تتألف من رسالة وجوابها ، ولكن سامعها يحسبها خطبة لا قصة حين يبدأها صاحبها بسيداتي وسادتي . الانشاء أنيق ، ولكن الانشاء الأنيق ، وحده ، لا يؤلف قصة ممتعة .

مآخذ — قال احدهم : العوامل ثلاث ، وهي ثلاثة ، وقال آخر : طيلة وهي طول ، وذكّر احدهم القِدر وهي مؤنثة .

النقد السادس والاربعون

٢٩ / ٧ / ١٩٥٣

ثلاثة رواد — ليس لكبار أدبائنا وعلمائنا وشعرائنا من «ذكر الفتى عمره الثاني» ، كما قال المتنبي ، إلا هذه الأحاديث التي تذيعها محطة الشرق الادنى بمناسبة ذكرى وفاتهم ، فقلما يصدر عدد من مجلة هذه المحطة إلا وفي المنهاج حديث عن احد رجالات الفكر .

كان الحديث عن حافظ ابراهيم للدكتور شوقي ضيف ، فاذا هو للدكتور سامي الدهان ، الذي وفى حافظاً حقه ، وبحق أيضاً أسف لجهله الادب الاجنبي الذي لو عرفه لكان لشعره شأن غير الذي نعرفه . اما تبريز حافظ في الرثاء فأحسبه مستوحى مما راقق هذا الشاعر من تعاسة وحرمان ، وما أصدق قول شوقي فيه حين رثاه :

قد كنت أؤثر ان تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياء

وتكلم الاستاذ حسيب عبد الساتر عن الدكتور جورجي زيدان ذاكراً انتاجه الوافر مستطرداً الى النعي على المعاصرين قلة الانتاج ، في عصر الندرة، فليتني أدري لماذا يكثر أصحابنا الشباب من تناول هذا الموضوع ، فأين هم يا ترى من العمل ؟ !

لم يحرم الاستاذ عبد الساتر جورجي زيدان من نقدات عابرة، وهذا حسن جداً لأن النقد واجب ، وليس في الدنيا رجل منزه عن النقد . اما تقسيم تاريخ الادب العربي فهذا تراث زيداني ، وهو لم يكن قبل أن وضع زيدان

كتابه الذي جاء أشبه بمعجم عام للكتاب والشعراء وغيرهم . واذا فـــات زيدان التعمق في كتابه « تاريخ الآداب العربية » فهو لم يفته ذلك في درس مشاهير القرن التاسع عشر .

وكانت الكلمة للاستاذ فؤاد صروف عن الدكتور يعقوب صروف ، فلم يعد الحق حين قال ان يعقوب صروف من نهضتنا كحنين بن اسحق من النهضة العباسية .

وتحدث الدكتور نقولا زياده عن أزمة الحضارة الحديثة في ركن حصاد الفكر العالمي،فكان حصّاداً ماهراً إذ جمع مواد بحثه الرصين من مصادر كثيرة.

وفي بريدنا الادبي درس الاستاذ واصف الصليبي ، الشاعر المعروف بالشاب الظريف ، فاعتمد في بحثه على عبارات غير مفصلة على القد ، كقوله فيه : عندليب يصدح وحمام يهـــدل ، وقد أكثر من قوله : أرأيت ابدع ! أرأيت اروع ! انها عبارات تفيد كثيراً ولا تفيد شيئاً ... فليت الذين يتعرضون لمثل هذه الدراسات يغوصون في اعماقها فلا درر في الشط ، ليس على وجه المياه إلا الزبد الذي يذهب جفاء ...

وكان الاستاذ اميل خوري شخصية اسبوع طريفة مفيدة فعرفنا بواجبات الديبلوماسي من سفير أو وزير أو قائم بأعمال ، ولم يكتمنا ان أصعب عمل ديلوماسي هو ذلك العمل الذي يقوم به ممثل دولة صغرى . كان الاستاذ أبو سعد في استجواباته محرجاً ، ولكن من يحرج سياسياً كبيراً ودبلوماسياً عظيماً كالاستاذ اميل خوري الذي عرفته يوم كنا شابين فكانت هذه الخصلة ابرز خصاله الكريمة .

اما ندوة الشرق الادنى فأبرزها تلك التي عقدها الاستاذ بيبي في البصرة، مسقط رأس الجاحظ العظيم ، وإن ذكر حسن البصري ولم يذكر شيخنا أبا عثمان . كانت تلك الجلسة شعرية وكان شعرها مقبولاً وإن لم يعجبني قول

الاستاذعبد اللطيف الدالبشي :

فبالي حين الثم اقحواناً على الشفتين يعلوني اضطراب

اظن ان منبت هذا الاقحوان الذي يعنيه الشاعر هو تحت الشفتين لا فوقهما. اما قصيدة « القيثار الصامت » للسيدة فطينه النـــائب فكانت حسنة ، وزادتها حسناً تلك الغنة التي في صوت منشدتها فأغنت عن صمت قيثارتها ...

وكذلك كانت روضة الشاعر عاطف كرم ذات جمـــال واريج ، ولكني اطلب من شعرائنا المحدثين ان يخرجوا من حلقة موضوعاتهم هذه ..

اما حديث الشهر للاستاذ اسمر فلم يكن كعنوانه ، ولعل المعركة الانتخابية ألهته بعض الشيء أو قل اوحت اليه ان يحدثنا عن القيم ، بعد ما رأى وما سمع من خداع الناخبين

قصة الاسبوع – كانت قصة الاستاذة سميره عزام مترجمة وكذلك قصـــة الاستاذ توفيـق عواد ، كما كانت قصـــة الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل اشبه بأحاديث ابن دريد مع بعض تصرف بها لا يدنيها كثيراً من القصة الحديثة .

مأخذ قال – أحد المحدثين : مِيعـــة وهي مَيعة بفتح الميم ، وقال آخر : طبقات ثلاثة وهي طبقات ثلاث ، وقال غيره : في القرن التاسع عشر ، والأحسن بناء العدد المركب . وقيل : ذُهن وهي ذِهن بكسر الذال . كما قيـل : وقت الغذاء ، وهي وقت الغداء .

النقد السابع والأربعون

١٩٥٣/٨/١٠

النشاط الأدبي — كانوا يتناولون في هذا الركن عدة كتب صدرت حديثاً ، ولكن الاستاذ عبد الحليم عباس وقف عند كتاب عنوانه «ام الرسول» للدكتوره بنت الشاطىء . قال انه تناوله مشفقاً على الدكتوره من هـذا البحث ... وبعد ان رآها تتكلم عن المرأة في الجاهلية وامهات الأنبياء وتاريخ البيت العتيق وعن وعن ، ظن انها تحب ان تملأ فراغاً لا تستطيع أن تملأه بالحديث عن آمنة ام الرسول. نعم، هذا هو ظني بالاستاذ الذي ناقش «تاريخياً» كتاباً قالت صاحبته انه قصة . وقد اشتد الخلاف بينه وبينها على الاولية بين بيتي هاشم واميـة . فخيل الي اننا ما زلنا كما قال ابن المعتز : نفاضل في تقديم عثمان او علي .

اما كان الاحرى به ان يعرفنا بعناصر قصتها الرائعـة بدلاً من هذا اللف والدوران واملاء الفراغ بحديث مزعـج لفريق من المستمعين ؟ فالاذاعة ملك الجميع . اما الجملة فنصيحتي للسيد عبد الحليم ان يقصرهـا ، فلا يكون ، مثلاً ، بين الفعل والمفعول مسافة لا بد لقطعها من «تاكسي». كقوله مثلاً : وفي حرب الفجار انتزع المنابس — ومعناها الاسود — وهم اولاد امية الستة ، بعد ان شدوا افخاذهم بالوثائق كما تشد الجمال ، النصر لقريش وحلفائهم.

انها عبارة تحتاج الى منجم واسع الصدر طويل البـال . وقال الاستاذ : تحت لواء ابنه ابو سفيان ، واظنـه لا يخفى عليه انها ابي . وقال اخيراً حتى لا

نكاد نلتفت الى الماضي الجميل، والنفي هنا لخبر كاد لا لكاد ، ولهـــذا يقتضي القول : نكاد لا نلتفت .

هذا بعض من كل يا استاذ عباس . المحطـــة لا ترخص لنا الصيد بالشبكة الضيقة ولا بالسلاح ذي العيار الثقيل ، فاذا أردت اكثر فأتحفني بأحد تآليفك لتحظى مني بنقد من العيار الثقيل .

وسألت المحطة الاستاذ ميخائيل نعيمه مم يشكو الأدب المعاصر ، فاستهل حديثه بقوله : انـــه بألف خير والحمد لله . ثم بحث هذا الموضوع ، وهو موضوع الساعة ، بحث خبير رافق هذا الأدب نصف قرن وكانت له مشاركة عظمى في انهاضه والسمو به . لقد شبه الاستاذ نعيمه فترتنا هـــذه باستراحة أرض تزرع عاماً بعد عام . حتى سماها اخيراً فترة استراحة بعد اجهاد . قد يصدق هذا على الادباء الكبار ، ولكن الشباب لم يتعبوا بعد حتى يستريحوا . لقد دل ميخائيل في هذا الحديث على خبرة زراعية فشبه بالتربة والغلال فقرب كلامه من عقول قلما استطاعت مرافقته الى مداه الأبعد .

وفي ندوة الشرق الادنى العراقية قدم الاستاذ بيبي طيبين وطيبة بصيغـة جمع المذكر السالم واعتذر ، فذكرني اعتذاره هذا بكاتب فرنسي تكلم عن حفلة نسائية بضمير جمع الذكور ولما انتقدوه اجاب : كان مع احداهن طفل ولعله ذكـر ...

وفي ندوة عراقية ثانية ادارت نفسها بنفسها ، على خـــلاف العادة ، كان الحديث عن العاطلين عن العمل ، فلاح لي ان اقطارنا كما قال حافظ ابرهيم :

جميع الناس في البلوى سواء بأدنى الثغر أو أعلى الصعيد

فالهامون الناشئون يقطع عليهم الطريق الموظفون النافذون ، والمـــدارس الثانوية لا تمد الطالب للكفاح في ميادين الحياة ، فليتها توجه ابناءنا توجيهاً عملياً كما قال الاستاذ اديب العامري في حديثه « اتجاهات التربية الحديثة» . وعزت

الدكتوره زهية حيد باشا مشكلة المرأة الجامعية في سوريا الى عوامل التربيـــة البيتية ، واليها عزا الاستاذ جمال الدين الرمادي الانصراف عن القراءة .

اجل ان علـــلاً كثيرة سببها البيت اولاً والمدرسة ثانياً ، ومتى اصطلحا حسنت حالنا . وفي هذا الموضوع التربوي تكلم ايضاً الدكتور فاخر عاقل وعالج مشكلة تقصير الطلاب في كل باب التي يدهش لها الاهلون في كل قطر ، فالاشبه ان هذا المرض عام في جميع اقطار المسكونة . واخيراً عد الدكتور عاقل كل بلد لا يُعنى بالنظم التربوية بلداً غير تقدمي ، فما احرى المربين ، والدكتور فاخر منهم ، ان يتنادوا الى احداث انقـــلاب تربوي خطير . فقد عتقت مناهجنا وبان هزالها .

وتكلم الشيخ القلقيلي عن الامانة واستشهد بالآية ، ولو رأى بشار العقيلي حَمَلَة الامانة الكثر، في هذه الأيام ، لما استطاع ان يقول في ذلك الذي هجاه.

كيف لا تحمل الامانة ارض حملت فوقهـــا ابا سفيان

اجاد الشيخ البليغ اذ عد الاخلال بالوقت واستغلال النفوذ من سوء الائتمان، فليت السامعين يتعظون فيقل بيننا سوء الائتمان .

وسمعت عنوان « الحياة تبدأ بعد الثمانين» فاستبشرت حتى خلت اني صبي مراهق . الحديث للاستاذ زوكس بن زايد العزيزي ، وقد خطأ المتنبي بقوله : ضيف ألم برأسي غير محتشم ، ولكنه نسي او تناسى قوله الآخر : والشيب من قبل الأوان تلثم .

ـ وفي ركن شخصية الاسبوع رسم لنا الاستاذ بيبي صورة ناتئة الخطوط للحاج عبدالله الدرويش كما عرفتا بقطر مسقط رأس الذهب الاسود والحـــاج عبدالله الدرويش التاجر العصامي الذي تفوق ولم يعلُ رأسَه سقفُ مدرسة .

وتحدثت الكاتبة السيدة وداد سكاكيني عن مستقبل المرأة العربيـــة بعد نيلها حقهـــا السياسي ، وما تتمتع به من سفور من اهم حوادث تاريخ

المرأة ، نعم لقد تساوت المرأة والرجل عندنا ولكن ويا للأسف لم يتساون رجل مع انثى في الانتخابات ، فعسى ان يكون لشأنها في الغـــد القريب غير ما كان عندنا .

ان قصة الاستاذ يوسف يعقوب حداد-مطبوعة على غرار أقصوصة «الصبي الأعرج» وقد أحسن الكاتب تصوير بطله . واما خير اقاصيص هذين الاسبوعين فهي التي للدكتور علي سليمان وعنوانها « غرام الشيوخ » ، ولا اقول « اعجبتني » لئلا يغضب السيد عبد الحليم عباس غضبته السخرية'!!

الى الاستاذ العوضي الوكيل

زعمت أني اخطأتك في قولك « وانا كمثلكم صغير» لأنك ادخلت الكاف على مثل ، ولو رجعت يا استاذ الى ما كتبت لرأيت اني لم اخطئك بل قلت هذا :

« ألم يكن الافضل القول : وانا نظيركم صغير ، فنخلص من ادخال الشيء على مثله ؟ » .

أنا اعرف جيداً قوله تعالى : ليس كمثـــله شيء ... واعرف قول التوراة وكمثل كثرة رأفتك . واعرف أيضاً شرح النسفي والبيضاوي وتأويلها لذلك[1] واظن اننا في غنى عن التأويل لقولك ، كما اوّلوا قوله تعالى .

ان الفرق كبير بين اللفظتين في «الرنة» فأنت حوطت «مثل» بكافين حين قلت: وانا (كمثلكم) صغير ، فجاءت بنت عم تكأكأتم كلالة-ان لم يكن لها الشعر موسيقى اولا يا حضرة الاستاذ الفاضل ، فحكـم اذنك في شعرك ، ثم قابل بين قولك وقول القرآن الكريم لترى نغومة « كمثله» وخشونة كمثلكم ... فليكن الذوق الفني قائدنا في الشعر والانشاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل...

---

(١) راجع شرحها للآية ١١ من سورة الشورى .

النقد الثامن والأربعون

١٩٥٣/٨/٢٥

برامج العيد — اعدت المحطة عدة برامجها لاستقبال عيد الاضحى السعيد ، اعاده الله على الامة والملة باليمن والاقبال والفلاح .

فالكاتبة السيدة امينه السعيد كانت ترى العيـــد ، ومن الجهة النفسية ، كما رآه المتنبي يوم زار مصر تلك الزيارة المليئة بالخيبة، ولكنها روّضت نفسها لتجعل يوم العيد يوماً نافعاً لا يوم مأكل وملبس .

وتحدّث الاستاذ احمد مكي عن ذكريات العيد في الغربة ، فما ابتعد عن أبي الطيب ، فكان رأيه فيه كرأيه . والفرق بين الشاعر والكاتب ان هذا كان في وسط تزيّنه حمائم بيض ، وذاك كان عنـد غراب يغرق في ليل حالك من النحوس .

وعقدت بمناسبة هـذه الذكرى المباركة جلسة شعر عامية كان موضوعها الحج ، فتساجل فيها الاساتذة صعب والعريضي والحـداد وآنسة ابدعت في القول لولا دنو زجلها من الفصحى . قال الجاحظ : النكتة البلدية تروى بلغة قائليها كما لا يحسن ان تروى نادرة الاعراب إلا فصيحة . وقد شعرت ان حبل وزن الزجل كان يضطرب في قافية المعنّى عند الآنسة كقولها مثلاً : وخلّي السعادة بيننا تنمو وتزيد ، وكذلـك رأيت في «تطويبات» العريضي كقوله : طوبى للذي هلل وكبر . فهذه الطوبى محتاجـة الى الواو ليستقيم الوزن ، فليته استعارها من الآنسة فهي زائدة عندها .

وقال صاحبنا الشاعر اديب الحداد : وتلبس حلي من البرفير ، مع ان

لبس الحج ابيض ، فلا برفير ولا ارجوان .

ومن روضة الشعر كان للعيد نصيب ، فقال الاستاذ مصطفى عمود قصائد او مقاطع كان بين بعضها والزجل بعض النسب ، فالعرزال والوزال هذه من بضاعة شعراء العوام . وفي المقطوعة الاخيرة ذكرنا المنديـــل الأبيض الذي تنزل به الاستاذ محمود ، بشال صاحبة الشاعر سعيد عقـــل ... وأما شعر ندوة الشرق الادنى التي عقدها الاستاذ بيبي في البصرة ، فكان شعر شباب ، والشباب يغني على ليلاه .

ومن البحرين ارتفع صوت كاتب اديب هو الاستاذ حسن جواد الجشي ، فتحدث عن طرق الاصلاح وطلب ادباً نظيفـــاً بدلاً من الأدب الرخيص ، وشكا من الأغاني المائعة والأفلام التي تغري وتثير .

وتحدثت السيدة ناجيه تاجر عن أوقات الفراغ ، فرأت ان الراحة في تنويع العمل ، وهـــذا صحيح ، ولكن لكل واحد من المتعبين ضرباً من الراحة يلائمه . فالكاتب والمعلم والموظف وكل من يعمل قاعداً يوافقه عمل بدني في وقت الفراغ ، والعكس بالعكس . وقد توجهت الى السيدات تسألهـــن الاهتمام بشؤون البيت بأنفسهن في وقت الفـــراغ ، لأن الخادم لا تتقن العمل كالسيدة التي تعمل لنفسها . اما انا فما رأيت بيتـــاً نظيفاً مرتباً الا وعلمت فيما بعد ان سيدته هي التي تراقب وتشرف على كل عامل وعاملة فيه .

وحدّثنا الاستاذ عبدالوهاب حمودي عن الفكاهة في الشعر فأطال الكلام عن الضحك ، ولكنه لم يضحكنا الا قليلاً . كنا ننتظر ان نتفكه فاذا بنا لا نسمع إلا نكتاً عتيقة كنكتة الجاحظ الـتي حوّرها الاستاذ ، مع ان نكتة بشّار التي رواها على حقها هي امرّ منها .

ولست ادري لماذا عـــدت الاستاذة روز غريب الادباء والشعراء خصوم المرأة ، مع انهم يتهافتون عليها تهافتـــاً غريباً ، حتى عجّت كتبهم ودواوين شعرهم بادعاء محبتها . الآنسة غريب كاتبة اديبة وحسبها كتـــابها النفيس ، «الجمال الفني» . لم أرَ اولاً وثانياً في حديثها ما يلائم ذلك الجمال الذي تحدثت

عنه بذوق كلي . أظن ان هذا قد علق بقلمها من الاستادية ... واذا وافقتها على احتجاجها على المعاهد التي تدفع اجرة المعلمة ثلاثين ليرة ، فلست اوافقها على قولها ان « المرأة التي تأتمر بأمر زوجها في الانتخـــاب تمارس عبودية ، فطاعة المرأة ليست عبودية بل محبة

ولقد احسنت المحطة حين كلفت الاديبة نعمت احمد فؤاد أن تتكلم بمناسبة ذكرى وفاة المازني ، فتحدثت مجتهدة مخلصة عن هـــذا الكاتب العظيم ، وتعمقت كثيراً في بحثها حتى استحقت ثناء من اصغوا الى حديثها . وقـــد رافقت الاستاذ فؤاد صروف في «رحلته في الفضاء» فعدت منها عارفاً بأسرار كثيرة قديمة وحديثة .

ذكرني حديثه السهل الممتنع بأسلوب فلامريون الذي قرب علم الفلك من الافهام ، ولعـل فؤاد في هذا الحديث وفي غـــيره هو اخبر كتابنا وعلمائنا بأدب الراديو .

اما شخصية الاسبوع فقدمهـا اثنان على خلاف العادة ، الاستاذ بيبي اولاً ثم الاستاذ أبو سعد ، ولا أقول شيئاً في الاستاذ اليـاس شبل الخوري رئيس الجامعة الوطنية ، لانني رافقته ثلاثين عاماً غير منقطعة . اني اؤجل ما اقول الى حين يظهر الجزء الأول من مذكراتي .

قصة الاسبوع ، وعنوانهـــا « بدوية » للدكتوره بنت الشاطىء . تزعم الدكتوره ان الواقع فوق الفن ، اما انا فأرى ان الفن هو الذي يجمل الواقع. والكاتب الذي ينقل الواقع نقلاً كان كمن ينسخ صورة خالدة . فلولا العنصر الشعري وتصوير شخص قصة بدوية لقلت انها مبتذلة ، وهي تحذو فيها حذو تيمور طه في ذهابها الى الريف مفتشة عن قصة قد تجد افضل منها في شوارع المدن . ان ختام القصة جميل ، فهو اشبه بقطة القـــلم يوم كنا نبريه قصبا . اما «قصة ليتنا نستطيع» للاستاذ محمـــد عبدالحليم عبدالله ، فعبارتها طلية وجيدة ولكنه مع ذلك « لم يستطع» ان يخلق قصة .

النقد التاسع والأربعون

١٩٥٣/٩/٩

روحة الشعر — ابتعدت مـــع الاستاذ عبدالمحسن الرشيد عن المواضيع المعهودة كالغزل وما اشبهــه من ضروب الوحي والالهام . كان الشاعر متوددآ الى الفلسفة وان لم يجيء بشيء جديد ، فقــد تلاقى مع احمد شوقي في قصيدة « بُنَـي» ولكن هذا اللقاء معكوس ، فشوقي قال في ابيه . انا من مات ومن مات انا ... وقال السيد الرشيد : بُني مــا انت إلا انا . كلاهما صادق فيما قاله ، وقد أدركوا ذلك قبلنا فقالوا : الابن سر ابيه .

شخصية الاسبوع — الاستاذ نجيب صدقه مــدير التربية الوطنية اكثر من شخصية لسبوع، فهو شخصية عام حقاً ، أما أحسن الى الثقافة في الامتحانات الرسمية اللبنانية الاخيرة التي ستؤدي حتماً الى نتائج طيبة ؟

لقد قرأت تقريره الاخير حول هذا الموضوع الهام والشائك في وقت واحد، وها آنا اسمع اليوم ما تحدث به الى الاستاذ احمد ابو سعد الذي عــالج معه موضوع الساعة الذي يهمنا ويشغل بال ناشئتنا .

دار الحديث حول المعلم ورفــع مستواه ، فنرجو ان يحقق الاستاذ صدقه شيئاً للمعلم الذي يحق له ان يخاطب الدولة بقول بشار ليعقوب وزير المهدي:

فسقيتهم وحسبتني كمونة نبتت لزارعها بغير شراب

ان المعلم ، اذا لم يكن مخلصاً ، يصبح اداة هدامة . وقد عرف من سبقونا ذلك فقال الشاعر :

ان المعــلم والطبيب كليهما لا يخلصان النصح ما لم يكرما

فغمزة عين وابتسامة خفيـة من معلم قد تهدم ما نحاول بناءه . فهو الذي يكوّن المواطن الصالح ، وهو الذي يحوّل ابناءنا في المجرى الذي يشاء .

لقد ألقى الاستاذ صدقه مسؤولية الرسوب في الامتحـانات الاخيرة على المعلم والمدرسة ونسي التلميـذ . التلميـذ الذي يُعنى بالسياسة وماجرياتها اكثر من عنايتة بدروسه ، وسلاحه الرهيب الاضراب الذي سرت روحه فيجسمنا الاجتماعي حتى كاد يهلكنا .

وبعد ، فاننا نرجو كل الخير على يد الاستاذ صدقه ، لأنه اديب وعـــالم وخبير ، وما بقي إلا أن يكون مطلق اليد .

مم يشكو الأدب الحـديث — وبعد الاستاذ نعيمه يجيء الدكتور شوقي ضيف ليحدثنا في هذا الموضوع ، والذي عندي هو أن الأدب الحديث لا يسلم من الشكوى ويصير بخير وعافية ما لم يكتب لنا الروائع العالمية هؤلاء الذين يصفون الداء ، وهم لا يدرون انهم هم الدواء. فالعمل اولى من وصف الضعف الذي يرونه في الأدب .

واقرأ واسمع احياناً ان الادب في محنة ، اما محنة الأدب الكبرى فهي في هذه المباحث وهذه الآراء التي لا تغني فتيلاً . التعليم اليوم بالمثـــل ، فليضع هؤلاء لنا النماذج ولينقـلوا الخطو على ما يرسمون . يريد الدكتور شوقي ضيف ان تكون لادبنا خطة واحدة وهدف واحـــد ، وهذه بلية مُني بها الأدب العربي احقاباً ، وبين جدرانها السوداء دفنت شخصيـات عديدة ، وصارت اغراض ادبنا محدودة . ولولا تمرد بعضهم لما استطبنا شيئاً من ادبنا المكرور الممل .

وتحدّث الاستاذ راجي الراعي عن الارادة ، فكان في حديثه هذا عالماً نفسانياً بعد ما عهدناه شاعراً وكاتباً متخيّلاً، ولا عجب إن جال في موضوعه هذا جولة موفقـة ، فهو قاضٍ كبير تمر امامه نمـــاذج شتى كالتي عرضها بأسلوب أدبي رفيع لا يفـارق الراعي حتى في مواقفه كنائب عام . الارادة في نظر الاستاذ كالذكاء والشجاعة ، بل هي المـرء كله . وكم كنت اتمنى ان

يرشد الناس الى توجيــه الارادة لتصير قوة خير فتقل متاعب الأستاذ النائب العام وتخفف ويلات البشر التي تسببها الارادة غير الحسنة .

ودار الحديث بين الاستاذ سليم اللوزي والدكتور هاشم الحسيني ، النائب الجديد ، ومما قاله اللوزي والحسيني ان الاطباء كانوا غائبين عن المجلس النيابي، مع ان مجلسنا الموقر كان يضم دائماً نفــراً من كبار أطبائنا . وانجرّ الحديث الى الضحك فقال الدكتور الحسيني ان الكثـير من الضحك مضر ، اما المفيد فهو الابتسام ، وفعلاً عمل الدكتـور الحسيني برأيه الطبي حين اسمعه اللوزي نكتة عن ذاك الطبيب الذي قيل له ما رأيناك تمشي خلف جنازة يا دكتور، فأجاب ؛ انا لا افتخر بأعمالي .

النكتة مضحكة فهقه لها اللوزي وحده ، اما الدكتور فما سمعنا صوته ولا أدري اذا كان ابتسم ، كما بشير طبياً .

وعندما بدأ الاستاذ سلامه موسى حديثه «بيني وبينك» بقوله : مارست الزواج ثلاثين سنة، خلت انه يتحدث عن مهنة ما ، ولما اسبغ حلل نصائحه وارشاداته للمرأة ، خطيبــة وزوجة ، عرفت انه خبير علم . ومن تلــك النصائح حثّه لها على عدم السمنة ، ولو سمع كلامه ابن ابي ربيعة لاعتــبره متحدياً له . وقد حمل الاستـاذ على الثوم حمــلة شعواء وطلب ان تحظر الحكومات زراعته وبيعه ، فهــل يريد الاستاذ ان يكون « حاكماً بأمره» ؟ اما ما علاقة الطلاق بالثوم فلست ادريها لأنني مارست الزواج بضع سنوات لا اكثر . اما منذ ربـع قرن فنازلاً فأنا من الهواة ليس غير .

مآخذ — قالوا الثامن عشْر ، وتحريك الشين افضل من تسكينها .

وقيل : ليسوا هم المسؤولون وهي المسؤولين (خبر ليس) .

ولا يقال : وما كان منها حتى نهضت بل الا إنها نهضت .

وقيل : حيث أن ، وهمزة إن تكسر بعد حيث .

وقيل : بين ظهرانيّهم ، وهي ظهرانيهم .

وقيل : انهم اضطَروا ، وهي اضطُروا ، بالمجهول .

١٩٥٣/٩/٢٢

جلسات الندوة — كان للجلسة البيروتية التي عقدتها الآنسة زاهية دوغان أثر عميق في نفسي . ذكرتني بعهد عشته ولا يمحوه من مخيلتي كر السنين. قال المتحدثون عن نشأة الكتاتيب ان الرسول محمداً والسيد المسيح كانا معلمين ونسيا ان يقولا أنهما تلميذا المعلم الاعظم الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لا يعلم . الجلسة على عتق موضوعها طريفة وأطرف ما فيها ان الاستاذ بيني علّم العميان حصة من الزمن ... ذكر اعضاء الندوة الفلق وقضيب المعلم مندّدين ، ورأوا في المدرسة الحديثة جنة لذة للطالبين ، اما انا فأرى ان العلم ضعف جداً حين اصبح اختيارياً، وأرى القسوة ضرورية جدا لفريق من الطلاب. فعندما الغيت العقوبة الجسدية حتى فركة الاذن ، ركب التلامذة رؤوسهم واضبحت المدارس مأوى .

عزا أعضاء الندوة كره الطلاب للمدرسة القديمه وتغيبهم عنها الى قسوة معلميهم ، وفاتهم أن طلاب اليوم يغيبون ساعة يريدون ولا يعاقبون لأن اوليله امرهم لا يبخلون عليهم بالمعذرة الكاذبة .

أجل ، كانت المدرسة قاسية جداً ولكنها علّمت ، واما مدرسة اليوم فلا تعلّم إلا من يريد ان يتعلم .

وفي مصر كانت الجلسة التي ترأسها الدكتور محمد صلاح الدين ادبية موضوعها الغزل في العصر الأموي ، فدلّ اعضاؤها السامعين على جمال ذلك الشعر العفوي الذي

ينظر اليه الجيل الطالع بعين تغمز وشفاه تقلب وتمط . حاول الدكتور الذي كانوا يخاطبونـه بالرئيس أن يرد على منكري وجود مجنون ليلى فانقاد له ولرفاقه البرهان واحلوا مجنون العامرية المقام الذي يستحقه شعره الخالد .

- شخصية الاسبوع — قدم لنا الاستاذ بيبي شخصية طريفة ، ولعله انتقاها كما كان ينتقي الجاحظ شخصيـاته . لعل بيبي أراد أن يعمل بقول مار بولس عن سيده يسوع المسيح : انه اختار ضعفاء العالم تلاميذ له ليخزي الاقوياء ، بل ربما كان قصد بيبي في مرة مضت وهذه المرة ايضاً أن يقول لنا : في الدنيا شخصيات من لحم ودم لا من حبر وورق ، فلنعرضهم على الجمهور . هـــذا جميل ولكنني احسست حين أصغيت الى السيد منصور بن خليل الذي انتقاه انه كان معه في عناء شديد ، يريه السهى فيريه القمر .

ذكرى الريحاني — كان الاستاذ عزت بشّور موفقاً في هذا الحديث الذي يستحقه الريحاني المجاهد ، ولا ازيد على ما قلت لأن عزت ذكرني في حديثه ونوه بي ، فلنستمع رأيه .

نحو عالم افضل — الاستاذ سلامه موسى نسيج وحده في الآراء والأسلوب وحرية الفكر ، وقد أحسن الى الجمهور حين عرفهم بمكيافللي السياسي الشهير ، كما احسن بافهامه الناس ان السياسة ليست دهاء ومكراً بل هي علم وخدمة .

واخيراً استطرد الاستاذ الى القنبلة الذرية التي يخالف النـــاس حتى في اسمها فترجى منهـا خيراً يؤدي الى تأليف حكومة عالمية موحدة . حقق الله آمال الاستاذ .

وتحدثت الاستاذة زاهيه ايوب عن الوصولية الهدامة باسلوب بياني جميـل فكانت حملتها على الوصوليين هدّامـة كعنوان مقالها ، ولكن هؤلاء كما يقول المثل . يا بحر ما يهزك ريح .

روضة الشعر — أسمعنا الشاعر الطائر الصيت محمد الصافي النجفي قصائد

غراء ، ولسنا نقول في وصف الشاعر وشعره ، إلا مـا قاله هو في القصيدة الأولى :

اعيش وليس لي بيت ، وشعري يعيش وبيتـــه سامي العماد

وليس هذا بكثير على شاعرنا المحبوب..

اما قصيدة السيدة فطينه النائب فقوامها عاطفة مشبوبة تلهيك عن تعقب هناتها ، وحسبك منها هذا البيت لتوافقني إن شئت . قالت الشاعرة :

أيا روحي ، اما يكفيك لا تستعبـدي ، ثوري

الأقاصيص — كانت قصة الاستاذ محمد شكري عبد الكامل قديمة العهـد فعشنا ربع ساعة في زمن الرشيد الذي اشتهر بالحب والـترف ، اعمت بهيرة نفسها لتنقذ حبيبها من الموت ، والمحبة ، كما قيل ، اقوى من الموت .

واما قصة الحاج لطفي ففيها مبالغة كالقصة السابقة . اراد الاستاذ قاسم الخطاط ان يسمي الاحسان ضماناً اجتماعياً والضمان الاجتماعي حق لا صدقة .

مآخذ — ما اكثر من يحسنون التعبير ويسيئون القراءة . سمعت حديثاً لا يفارق كاتبه عمود النثر ، ولكنه لا يحسن قراءة ما كتب .

قيل : يواجه مشكلات كثيرةٌ ، وهي كثيرةً بالنصب .

وقيل : ان يثير فينا ، نحن المسلمون ، عواطف ، وهي المسلمين بالنصب على الاختصاص .

وقيل : خمسة عشر سنة وهي خمس عشرة سنة .

وقيل : مسجى للمريض ، والتسجية للميت .

وقيل : اكثر منه جسدي ، وهي جسدياً .

وقيل : استرجلت للمرأة — وهي ترجلت .

١٩٥٣/١٠/٧

عيد رئاسة لبنان ــ كانت كلمة فخامة الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية بمناسبة ذكرى انتخابه بليغة حقاً ، فألمّ بالموضوع ولم يطـــل سفر الكلام كما قال ابن المعتزّ في البلاغة . وكأني بمحطة الشرق الادنى قد أرادت ألا تفوتها هذه الفرصة فاحتفت بهـا منفردة رغم ان حضرة الاستاذ الرئيس امتنع عن تقبـل التهنئات . وبهـــذه المناسبة زار ميكروفون المحطة قصر بيت الدين التاريخي فسمعنا الامير موريس مدير الآثار اللبنانية يعرّف مندوبي المحطة ببيت لبنان .

إن الأمير موريس لا يظهر على الشاشة إلاّ مكرهاً ، ولا ينطق إلا حين يحمل على الكلام حملاً ، تواضعاً منه وزهـداً بالشهرة ، ولكن ما حيلته وهو دون سواه « تاريخنـا يمشي على الارض » . فالذين يعرفون من تاريخ إمـارة لبنان ما يعرفه الامير موريس قلما تجدهم اليوم ، وان وجدنا منهم واحداً ففيه يصح قول ابي نواس في النظـّام : عرفت شيئاً وغابت عنك اشياء ...

خليل السكاكيني ــ أديب من ادبائنا الكبار المخضرمين وان قلـّت كتبه. وفـّاه حقـه بمناسبة وفاته ، الدكتور الأديب اسحق موسى الحسيني فعرّف المستمع بجميع نواحيه تعريفاً جامعاً مانعاً ، ودلّ على ما في زوايا تلك القلعة الضخمة من خبايا . كان الدكتور موسى يتكلـّم مندفعاً مخلصاً ، يلقي كلامه بحمية لا تنبع إلا من صدر مملوء محبة وتقديراً واحتراماً. ان خير من يكتب

عن الاديب هو ذاك الذي عرفــه عن كثب ، وهذا مــا بدا لي من حــديث الدكتور الحسيني حــين وقف يحلل ويعرّف النــاس بأديب كان أزهد الادباء بالشهرة والصيت البعيد ، واقتناص الثنــاء . فالسكاكيني رحمه الله كان على ما في اطواره من غرابة يحاول دائماً ان يكون انساناً قبل كل شيء .

ويجدر بنا الانتقال الى الصحافي التــائه الاستاذ الرياشي أطال الله بقاءه ، فبينه وبين السكاكيني اقرب النسب، من حيث الظرف وخفة الروح والطرافة وحرية الفكر . كان الاستاذ الرياشي اعنف شخصية اسبوع عرفناها . تكلم بحرية واسعة عميقة الجذور وخــالف آراء زملائه الصحفيين مخالفة صارخة ، قال انه لم يحترف الصحافة لأنها رسالة بل لانها مهنــة كالمهن الاخرى ، وسئل عن فلسفته في الحياة فأجاب انهــا فلسفة راحة وشبع ... فالحياة في نظر الاستاذ لذة وراحة كما قال عمر الخيام .

واجاب عن رأيه بصحفنا بقوله : انها نسخة واحدة ، فمن يقرأ احداها فكأنه طالعها كلها. ثم رماها بالانتهاز وتبديل الآراء كما تبدل الثياب. واخيراً طلب منه مقدمه نصيحة يسديها الى الشباب الذي يصبو الى الصحافة فقال : عليه ان يتقن الاحتيال والنصب (كــذا) . ذكرني هذا بالحطيئة حين سألوه ماذا توصي للايتام ؟ فأجاب : كلوا اموالهم . ولعل الرياشي حطيئة من طراز آخر ... واخيراً شكر محطة الشرق الأدنى لانها مكنته من التكلم بصراحة. ان جل صراحة الاستاذ مقبولة إلا نصيحته للشباب ، فقد كنا نرجو منه نصيحة امثل ، فليست الصحافة كذباً ونصباً وان كان بين محترفيها اناس غير كاملين .

واما شخصية الاسبوع فكان الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة . قرظه مقدمه الاستاذ سامي محمد تقريظاً ما سمعت بعد اسهب منه ولا اجمع ، كأن عبارات الثناء قد جمعت على طبق امــام الاستاذ سامي ، فاختار منها

ما استطاب وانتقى ما استحلى . كانت الاسئلة شتى كما كانت الاجوبة سديدة، ولعل أبرز آراء حضرة المدير الجليل هو هذا التعبير : « الادب يرفه والعلم يشبع » . وما أخال حضرته إلا مستلهماً تعريف القدماء وقولهم في الادب انه أُلهية . أما نحن فننتظر ممن يوجه النشء ان يرى الادب مهذباً للشعوب ومرقياً لها لا الهية يرفه بها عنهم ليس غير .

وتحدّث الاستاذ احمد سويد عن الادب الخالد وكيف يكون ، فوضع له مخططاً كبيراً . كان أسلوبه وتعبيره من الطراز الأمثل وهو لو حاول ان يكتب بها قطعة ادبية اسمعها الناس لكان معلماً بالمثل . ان قطعة أدبية بل صفحة تبقى أفضل جداً من بحث موضوع كثر اللغط فيه ، فالادب الصافي يمكن ان يكون في كل موضوع ولا فرق بين الخيال والواقع والانضواء .

وكان حديث السيدة ادفيك جريديني شيبوب من البيان المنمق ، فكما موضوعها المبتذل — حقوق المرأة — جمالاً وبهاء . وكحديث السيدة شيبوب، كانت مقدمة الاستاذة الآنسة انعام الصغير ، طيبة منمقة . تحدثت عن المرأة العربية في الأندية الأدبية واقامت شعر المرأة الجاهلية دليلاً على علمها وثقافتها، أما أنا فأظن ان شعرهن ذاك لا يعلو مقاماً ثقافياً على الزجل ، فقد كن يقلنه عفو الطبع كما يقال الزجل اليوم ، فهو لا يحتاج الى علم ، ولا هو دليل على الثقافة في جاهليات الشعوب جميعاً .

وحاول الاستاذ أحمد فؤاد شنيب في « روضة الشعر » ان يسمعنا شعراً قصصياً وأدب واقع ونضال كما يريد بعضنا أن يكون الادب اليوم ، فأسمعنا شعراً رصيناً . بيد ان هذا الشعر لو وضع في ميزان الشعر الحديث لما زاد على انه نثر موزون مقفى ، فلا صورة فيه ولا وثبة .

أما قصيدة « أشواق » للآنسة الشاعرة مقبولة الحلي فلم استطع ادراك او استجلاء سر « الكسر » في قوافيها. وكذبت اذني فسمعتها ثاني مرة ، ولسوء الحظ لم أبلغ ما أروم من التثبت .

وكانت قصة الاسبوع للاستاذ عدلي سامي نور وعنوانها « قليل البخت ». جيدة القص لا تخلو من عبارات طريفة ، وهذه العبارات من الاقصوصة كباقة الزهر من المأدبة ، أما ذاك الحوار باللغة العاميـة فيشين القصص ولا يزينـه . اننا لا نحتاج في حوارنا الى لغة العوام ما زال عندنا في العامي الفصيح ما يسد مسدها ، فلنعدّ عن ذلك .

مآخذ – قيل : هذا الأدبُ الذي ننشد ، بضم كلمة الادب وهي مفعول به لننشد .

وقيل : وفق بكسر الواو وهي وفق بفتح الواو .

وقيل : كانت هي الوسيلة بضم الوسيلة وهي مفتوحة لانها خبر كانت .

وقيل : الغِيرة وهي الغَيرة بفتح الغين .

وقيل : نَدّ وهي نِد أي المثل والنظير .

النقد الثـاني والخمسون

٢٠ / ١٠ / ١٩٥١

الدكتور احمد زكي كاتب متأنق يخرج أحاديثه اخراجاً بديعاً ، وان فاق الاصبهاني في مطلع حديثه « الجار قبل الدار » في تكرار قالت وقلت . اما كلمة « من الناس » في أخريات حديثه ، فذكرتني بمقالات احمد فارس الشدياق التي جعل عنوانها : « جمل أدبية » . إن حديثاً كهذا يلذ للسامع الاصغاء اليه ، لأن اخراجه ، إن صح هذا التعبير ، يضفي على هـذا الموضوع المبتذل ثوباً منمنماً .

ومن طراز حديث الدكتور زكي في الاخراج حـديث « مرضى » للسيدة اسمى طوبي ، فقـد كان قطعة أدبية جميلة . ومثله في المعنى حديث الصبـاح للاستاذ سليم الزركلي ، وعنوانه « همسة في أذن الجار » ، ولكن جـاراً كذاك الجار لا يفهم لغة الهمس. ان من يدع المذياع يحدثنا بملء شدقيه ويخرج أنكر الاصوات لهو في حاجة الى النخس .

وفي الأدب الموجه ، كان عندنا ، على ما نذكر ، حديث الاستاذ محمد عبد الغني حسن . جـال الشاعر جولة ساميـة آرية . فمر بأساطين شعراء الشرق والغرب مبيناً ان لا بد لكل فن من رمز وغاية ، وان الادب الرفيع هو الذي يوجه الناس . وهذا حق ، فكبار المصلحين هم سادة القلم ، والبيان عدتهم ، ولهذا جاء : ان من البيان لسحراً .

لقد كثر التحدث في هذه الايام عن الادب الموجه (بكسر الجيم) ، وما

احوجنا اليه شرط ان لا يكون ادباً موجهاً ، « بفتح الجيم » ، كما يبدو لنـا مما يكتبه الداعون اليه . انا اؤمن بتوجيه الأدب ، ولكني اريد ان لا يسخر الاديب فيكون بوقاً لفئة او جماعة من الناس . وسمعت دراسة ادبية للاستاذة روز غريب ، فتمنيت لو تتجه دراساتها نحونا ، فكتاب الغرب وكاتباته قد شبعوا درساً ، في حين ان عندنا كثيرين وكثيرات هم احوج الى دراسات روز العميقة .

وفي ندوة الشرق الادنى عرض الدكتور مصطفى خشاب ورفاقه لتحديد النسل ، فبحثاه على ضوء العلم والاقتصاد ورفع مستوى المعيشة ، وقبل ان يعترض عليهم احـد عادوا هم في آخر المناقشة الى كتاب الله محتكمين اليه ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وكان للسيدة صفيه فراج سلسلة احاديث عنوانها « مقومات الجمال » ، ولا احسب ان للجمال مقومات ، ما دام الباحثون لم يقرروا بعد اذا كان الجمال في نفس الناظر ام في نفس المنظور .

وفي روضة الشعر اسمعنا السيد الزبير الشريف السنوسي شعراً من الطراز القديم الرصين . القديم في موضوعه والقديم في اسلوبه ورصانته ، وللقديم مهابته اذا فاتته الاناقة ... اما الشاعر بلند الحيدري فقد وجدته هذه المرة متفلسفاً اكثر منه شاعراً ، ولكن فلسفته هذه لم يعجز الشعر عن حملهـا لان العاطفة الحيدرية قوية .

قصة الاسبوع — قصة « حرمان » للدكتور حسين مؤنس ، ففيها الكثير من مقومات الفن القصصي ، ولكن الحوار العامي شانها وما زانهـا كما يرجو مؤلفها . لقد استعمل موبسان الحوار العامي في قصصه الاقليمية فأزعج الذين احتاجوا الى ترجمتها الى الفرنسية الصحيحة ، واذا لم يكن الدكتور قد ازعج المستمعين كما ازعج موبسان الباريسيين ، فالامر لا يخلو من ازعاج . ان اللغـة

الفصحى السهلة هي آلة التفاهم والتعارف بين جميع الأقاليم العربية ، فلنعتصم بها.

ذكريات — « والذكريات صدى السنين الحاكي » ، هكذا قال شوقي . فجع الادب العربي بالاديب صلاح ذهني الذي كان يرجو الادب على يده خيراً جزيلاً ، وفاه حقه الدكتور حسين مؤنس والاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وما اعظم وقع صوت من يفارقنا حين نسمعه من هذه المحطة اليقظة التي لا تغفل عن تمجيد الادباء بطرق شتى.. وفي ذكرى مي تحدث الاستاذ طاهر الطناحي حديثاً عميق الغور لانه عرف نابغتنا عن كثب .

قال الاستاذ الطناحي ان مي لم تنظم بيتاً واحداً من الشعر . فاذا اعتبرنا الشعر كلاماً منظوماً مقفى ، كما قال القدماء ، فلا اعتراض لنا على قوله ، اما اذا لم نعتبر تلك القيود ، فأكثر نثر مي هو الشعر بعينه .

مآخذ — قيل يا لِقومي بكسر اللام ، وهي لام الاستغاثة المفتوحة .

وقيل : لم يعقّب بتشديد القاف وهي لم يعقب .

وقيل : بعُنف ، وهي بفتح العين لا بضمها .

وقيل : ان سيدركَني بنصب الكاف ، وهي مرفوعة فان هنا مخففة من ان وليست حرف نصب .

النقد الثالث والخمسون

١٩٥٣/١١/٤

تحدث الاستاذ العقاد عن العالم المضطرب ، وفي فمه ضحكة ابي تمام من المنجمين في ملحمته «السيف اصدق انباء من الكتب»،فبشرنا ببقاء عالمنا هذا رغم انوف المتنبئين الذين يطلعون علينا بافتراضاتهم الجديدة . وهكذا انتهينا من سماع حديثه العميق وفي قلوبنا اطمئنان وطيد لا تزعزعه عواصف المتخرصين ذوي الاحاديث الملفقة ، وصرنا لا نخاف على فناء دنيانا كما ينعق هؤلاء بين آونة واخرى .

وتحدث الاستاذ عبد الوهاب الأمين عن «الوجودية» التي كثر الكلام عنها في هذه الايام ، فأثار ألباب المستمعين اذ اطلعهم على ما يحسن الاطلاع عليه من مبادئها . ان اكثر هؤلاء يسمعون بالوجودية ولا يعرفون عنها اكثر من اسمها ، حتى ظن بعض من حدثني عنها انه موجود دائماً وابداً . لم يكن هذا الحديث عميقاً كل العمق ، ولكنه كان وافياً بغرض الادب الاذاعي المطلوب منه التيسير لا التعسير . أما القراءة بالنيابة فكانت صافية بليغة فزادت في رونق هذا الحديث .

وتحدث الدكتور عزت النص عن شأن المرأة الخطير في المجتمع، ودلّ على خطورته بأقوال شتى تدل على مساواتها للرجل. قال انه لا ينقصها إلا النبوة، مع ان التوراة التي نصدقها مسلمين ونصارى تقول ان في النساء نبيات ايضاً مثل حنة وغيرها ...

وتكلم الاستاذ يعقوب عبدالعزيز الرشيد عن النهضة الأدبية في الكويت ، فعلمنا من حديثه ما لم نكن نعلم . ذكر لنـــا اسماء ارباب قلم لا يسمع بهم في الاقطار الاخرى إلا نفر يعدون على الاصابع . جميـلة جداً هذه الاحاديث التي تكشف الغطاء عن هؤلاء المفارد الذين زادوا ثروتنا الادبية بمـــا ألفوا وصنفوا . ولا عيب في حديث الاستاذ الرشيـد الا اللحن الذي كان منتشراً في حديثه ، فليته دقق فيه كثيراً ليسلم من الهفوات . قال الاستاذ توفي فلان ـنسيت الاسم ـ وهي تُوُفيّ او توفاه الله ، وسمعت ايضاً يلوموني الصحاب، ولعل قائلها ممن كانوا يعيشون في عصر البراغيث ، أما اليوم فقد قضي عليها ويجب ان يقضى ايضاً على لغتها ...

ومع هذا الحديث تندمج جلسة ندوة الشرق الادنى التي دار الحديث فيها حول النشاط الأدبي في طرابلس الغرب . كان وصف الحالة الأدبية فيها جميلاً، وما اجمل ان تعرف الاقطار العربية بعضها بعضاً أدبياً . كم كنا نسر لو سمعنا نماذج من ذلك الادب الطرابلسي الغربي الذي حدثنا عنه الأساتذة طه البشتي وشركاه . وليت المحطة تسمعنا ، في قابـل ، ما تعذر سماعه في هذه الجلسة الضيقة النطاق مثل قصة طرابلسية ، وقصيدة رمزية ، ومسرحية ايضـاً ، فقد قالوا ان للمسرح مكانة عندهم .

وفي روضة الشعر سمعت شعراً من الطراز الجديـد للاستاذ احمد شحاده . كانت قصيدته «دروب» حارّة العاطفة ، حـلوة الجرس ، ولكنني لا اوافقه على جمع درب ادرب، فالشاعر لا يحق له ان يتمرد على الالفاظ المسموعة لئلا تصبح لغتنا فوضى حين نجمع كما نشاء ونؤنث ما نشاء حين نضطر .

وللاستاذ علي السيار شعر عاطفي وجداني ناعم الديباجة . ألفاظه من تلك الكلمات التي يتهافت عليها شباب القريض اليوم ، ولعل الاستاذ منهم. الشعر الجديد جميل رائق ، ولكن ألفاظه وصوره واغراضه شاخت قبل الاوان .

وهذه جلسة ثالثة تعالج مشاكلنا الأدبية الحاضرة — اللغة العربية — كان المتباحثون ثلاثة من اقطاب اسرة الجبل الملهم : الدكتور علي سعه والاستاذ احمد ابو سعد والاستاذ محمد العيتاني ولولب الندوة الاستاذ بيي الذي له في كل عرس قرص. لا بدع ان غار هؤلاء الادباء الثلاثة وفيهم الكاتب والشاعر على امنا الفصحى فهم من أمناء دعاتها الغيُر على سلامتها ونموها وتطورها تطوراً لا يعرضها للانتكاس .

الاقاصيص — القصصي كالمصور ، فبقدر ما تكون الملامح ناتئة ، والالوان منسجمة ، تكون القصة ناضجة ، فاذا لم 'نعْنَ في ابراز ملامح شخوص قصتنا فلا تدب الحياة فيها . السرد البسيط لا يخلق الاقصوصة ولا ينعشها ما لم يكن مثصلاً بتصوير شخوصها تصويراً ينطبق على ما نريد ان نجمل في هذا البطل او ذاك من اخلاق . ولا تنس المحيط ، فوصفه واجب ، ومتى أجيد وصفه ، تلبس القصة ثوباً مفصلاً على قدّها . فلتنظر السيدة ربيحة الى هذه الشروط وتحكم هي بنفسها على قصتها «البائسة» ...

وفي ندوة نسائية كان موضوعها : «هل ادت الفتاة الجامعية رسالتها في ميدان اختصاصها ؟ » تحدثت الأوانس احسان دمشقية ورفيقاتها، عن الأدب والمحاماة والشعر ، ونحن لا تنقصنا هذه البضاعة التي اتخمت اسواقنا . اننا احوج ما نكون الى ما يكوّن الاسرة تكويناً وطيداً صحيحاً ، فقد كدنا نفقد لوننا ونضيع بين الشعوب . اني ارى الجامعات تصبغنا وتطلينا، والتربية القومية يجب ان تكون صقلاً وجلياً لاظهار العرق الاصلي ، لا لطمسه بالدهان والاصباغ .

ارجو ألاّ يغضب الجامعيين ما اقول ، فكثيرون منهم ينصل صباغهم الجامعي حين يدخلون جامعة العالم الكبرى ، وهؤلاء هم رأس مالنا ، وعليهم المعوّل في ادخار البقية الباقية من لوننا المحلي . والسلام .

النقد الرابع والخمسون

١٩٥٣/١١/١٩

كثر الكلام عن الفن في هذين الاسبوعين ، فالاستاذ عباس محمود العقـاد يتحدث عن حاجتنا الملحة الى الفنون الجميـلة زاعماً ان سوقها لا تبور . وفي ركن حصاد الفكر العالمي كان الكلام عن توماس مان وعما قاله في تأثير الفن في المجتمع ، وموقف الفنان من نفسه . اني اخال الفنان كالنحلة حين تعد العسل ، فهي ليست تدري إلا انها تعد لها طعاماً ، وتتذوق عسلها كما نتذوقه نحن ونرى فيه ما نرى . اظن ، بل اؤكد ، ان الفنان لا يضع هو المقاييس ولا يقوّم ما يصنع ، ولكن عبقريته تخلق عفواً تلك الروائع فتعجب الناس ويجعلونها نماذج يقاس عليها .

وبعد ، فان كلمة فن في زماننا قد اصبحت تطلق على كل شيء، حتى الزواج . فهذه السيدة صفيه فراج تتحدث عنه تحت عنوان « فن الزواج » . لقد توسعنا كثيراً في هذه اللفظة حتى كادت تشمل كل شيء .

وفي كلمة الأحد تكلم الاب كسرواني عن « هذا الانسان » ففزعنا من قذيفة تقضي على الناس اجمعين . لا ادري لماذا لا نقيم وزناً لهـذه القنبلة التي يهددون بها الناس ، فاذا كان داود قال في زبوره عن هذا الانسان « وعلى اعمال يديك سلطته » ، فلا يعني هذا ان مثل هذه القنابل تقلب وجه الكون . اعتقد انه لا بد من ان يكون في الكون خط دفاع تجاه كل ما يهدده بالفناء .

وقـدم المقدم محمد حسن المحاويلي صوراً من حيـاة المرأة في اليمن لذ لي

سماعها ، واني لأتمنى على اخواننا حملة الاقلام في اليمن ان يكتبوا اقاصيص تصور هذه العادات والتقاليد ، فانها مرعى خصيب للقصصين وقد يخرج منها قصص رائعة لو قيضت لها اقلام تحسن التصوير والاخراج القصصي .

واهم ما يلفت النظر في برنامج هذين الاسبوعين هو المشكل الذي عالجته ندوة الشرق الادنى في بيروت . كان الباحثون فيها السيدة صبيحة فارس والدكتوران اسحق موسى الحسيني وكمال اليـازجي ، وكان موضوع بحثهم مشكلة معقدة يحق لنا ان نسميها مشكلة الساعة ، بل مشكلة كل ساعة ، امس واليوم وغداً . ان قضية تخصص الطالب في الموضوع الذي يلائمه مشكلة مستعصية الحل . يريد الاساتذة الجامعيون ان يبدأ التخصص او التوجيه اليه في المدارس الثانوية ، في حين ان المدارس الثانوية لا يعنيها الا الثقافة العامة ، ولا يبدأ التخصص إلا في الجامعات . ولكن اصحابنا الجامعيين يريدون ان يلقوا هـذا الحمل عن اكتافهم . ثم يتوغلون في البحث فيرون ان على الحكومة ان توجه المدارس الثانوية ، ويقترحون ان تتفرع البرامج فيها ، مع ان المدرسة الثانوية لا تتسع لأكثر من برامجها .

انا ارى ان المدرسة الثانوية تكتشف الموهبة وتصقلها مـا امكنها ، وعلى الجامعة ان تنميها . اما حاجات البلاد فأحرى بالجامعات ان تنظر اليها ، فاذا رأت مثلاً كثرة الاطباء والمهندسين وغيرهم ، فعليها ان توجه القادمين اليها في الطريق التي ترى البلاد اليها احوج .

وفي روضة الشعر – سمعت الاستاذ عبد الرزاق الهلالي ينشدنا شعراً يذكر فيه الثمانين عاماً مثل زهير . ان شعره فكر اكثر منه صوراً ، وهو في كل حال رصين متين . قـال قصيدة عنوانها « الفراشة والنار » تخيل فيها بعض الشيء ، ولا ادري ماذا يقول الاستاذ في هذه الشطرة : تمهّل تنج من الآمال ؟ اني ارى جزم تنج واجباً ، واذا جزمنا اسأنا الى عـلم الخليل ، فليت الشاعر

يعيد النظر في بيته وهو لا شك واجد لفظة تسد هذا المضيق . واما الاستاذ علي صدقي عبد القادر فكان شعره نظماً فلسفياً ، قريحة سمحاء وما كل سماح كرم . وقد سمحت له قوافي خير متلائمة مثل : بحيرة ومره وبحره فهذه الحبات لا تنتظم في سلك واحد . اما الاقاصيص فخيرها قصة رشاد المغربي دارغوث، وإن كانت تاريخية لا يعرف محيطها ليستطيع تحريك شخوصها وتلوين اطارها . ان الاستاذ دارغوث يجيد الاقصوصة حين تكون واقعية وقد رأى بطلها ، اما حين يكتب قصة بعيدة عنه فلا تنبض اقصوصته ، فمهما اشتد في القائها تظل رخوة كأن عظامها من خيزران .

شخصية الاسبوع — واصغيت الى سماع ما يقوله فؤاد افرام البستاني كشخصية الاسبوع ، وكم كنت اتمنى عليه ، وهو من المعجبين بالبحث العلمي ، ان يذكر ، ولو بكلمة عابرة ، ذلك الشيخ الجليل الاب لويس شيخو عندما تحدث الى الاستاذ احمد ابو سعد عن كتابه الروائع . فالاب شيخو ، رحمات الله عليه ، هو الذي وضع النموذج الاول من الروائع ، واظنه كان عن ابي العتاهية ، وعلى غرار هذا الكراس طبع الاستاذ فؤاد كراريس روائعه . الاقرار بفضل من سبقونا واجب على الاساتذة ، وخصوصاً ممن كان كالاستاذ فؤاد يشرف على ترجمة دائرة معارف انه مسؤول عن هذا من جهتين : الاولى لأنه ربيب اليسوعيين المحترمين والاب شيخو احدهم ، والثانية لانه اليوم مدير الجامعة اللبنانية وعليه ان يكون قدوة لمن يتخرجون في الادب منها ليؤدوا الامانة .

النقـد الخامس والخمسون

٢ / ١٢ / ١٩٥٣

كانت اقاصيص هذين الاسبوعين ثلاثاً من طراز واحد تقريباً . مؤلفوهـا يحاولون محل ابطالها في الكلام ، والاروع في القصص ان نعرف الناس بشخوص الاقصوصة ثم ندعهم يتكلمون هم، لان ذلك يدب الحياة في الاقصوصة فتنتعش وينتعش قارئهـا او سامعها . وقد سمعت احد كتاب هذه الاقاصيص يردد اسم بطلة قصته « بركة » مرات عديدة لم أحاول احصاءها لانها كثيرة جداً. فمثل هذا التكرار يفقد القصة متعتهـا . فخير للقصاص ، بل اولى مهماته هي ان يتوارى خلف شخوصه ويدعهم يعملون ... وإلا فانهم يكونون كتلك اللعب التي تتحرك متى جستها يدك وتقف حركتها اذا كففت يدك عنها .

قـال احد كتاب هذه الاقاصيص : ذكرت هي الاخرى ، والصواب ان نقول ذكرت هي أيضـاً لان الضمير لا ينعت ولا ينعت به . وهذا التعبير كثيراً ما يستعمله أكابر الكتاب وهو غلط ، فليتنا نقلع عنه .

روضة الشعر — انشد شاعر لم تلتقط اذني الا اسمه الاول — احمد — كان الجو وقت حديثه مغيظاً محنقـاً ، ومع ذلك لم يفتني من شعره إلا القليـل . كانت « الخالدون » أولى القصـائد التي أنشد ثم « عينـاك » ، و « لذة » ، و « الطين » . ولعل لذة هي خير ما قال ، لانه عاش موضوعه وتأثر به .

ماذا لديك — حدثتنا السيدة امينه السعيد عن م. م. ن. احد علمـاء بني غازي الذي شكا اليها ظلامته . عقيلة الشيخ الجليل أصرت على ان تكون

اضحيتها كبشاً سميناً ، ولما لم تحصل عليه ، تركت بيت زوجها وانزوت في البيت الابوي آبية أن تعود ما لم تحصل على الكبش . وعلقت السيدة امينه على هامش هذا الحادث تعليقاً رصيناً ، وكان حكمها عادلاً . ولكن هذا العالم لو كان كبش نطاح ما فرضت عليه زوجته مشيئتهـا واستبدت به مرة واحدة وحاصرت في بيت أهلها .

وفي ركن « بيني وبينك » كان الدكتور حسين مؤنس محدثا لبقاً. قال ما شاء دون ان تنقطع شعرة معاوية بينـه وبين المرأة . لم يرجع بها القهقرى ، ولكنه حثها على أخذ المفيد من حضارة الغرب ولم يزعم كغيره اننـا لم نفـد منها شيئاً ، وهكذا أثرت كلماته فيمن سمعته من السيدات اللواتي يؤثرن ان يكنّ بين بين .

ركن حصاد الفكر العالمي — كان حديث الدكتور نقولا زياده بعنوان « شاعر وأديب ». وطأ لحديثه هذا بكلام جيد تناول فيه المعنى والمبنى في النصوص الادبية ، ورد على من قال ، منذ شهر واكثر : الادب يرفه والعـلم يشبع . ثم انتقل الى الكلام عن الشاعر الاميركي اليوت ونقل شيئاً من أدبه. قال ان الشاعر لا يعظ ولا يتفلسف ، ولكنه يثير المسائل ، وهـذه لعمري احدى خواص القصصي الحق .

أحسست في مطلع حديث الدكتور انه لا يكترث للاسلوب ، واذا بي اسمعه فيما بعد ، في أثناء كلامه عن اليوت ، يقول انه تفرد باسلوبه. أنا أظن ان الجمال الفني هو في الاسلوب لا في الافكار التي قلما نظفر منها بشيء جديد. وأخيراً رجا الدكتور المتقدمين من الادباء والشعراء أن يقرأوا اليوت لعله يجدد لهم شباباً ، وانا اقول للدكتور ان الشبان والشيب في هذا سواء . انها طاقة يا دكتور . فقد تكون في بطـارية خدمت طويلاً اقوى منهـا في واحدة خرجت حديثاً من المستودع ... فليس ، اذن ، في الادب شيب وشبان . القصة قصة موتور أي دماغ وأعصاب . فقراءة شاعر أو أديب لا تفتّي ولا تشيّخ . ومن لا يصدقني فليجرب .

ركن الأدب — تحدث الاستاذ احمد رامي ، في هذا الركن ، عن الشاعر علي محمود طه بمناسبة ذكراه . وافاض في عرض أثر هـذا الشاعر في الشعر العربي الحديث فوفق في البحث والتحليل . كان البحث تاماً لو لم يكتف الباحث بناحية واحدة . فالشاعر يكون دائماً فاعـلاً ومنفعلاً ، وكما عرفنا أثره في غيره حق لنا ان نعرف تأثره بغيره . قال أحدهم : ان وراء كل شاعر جديد شاعراً آخر قديماً أو جديداً . ان هذه الناحية بقيت غير مجلوة رغم ما في هذا الحديث من دقة وعمق .

وكان الاستاذ يوسف داغر احد شخوص الاسبوع قدمته الآنسة نور سلمان ليتحدث عن الكتاب ، فأجاد الاحصاء كل الاجـادة ، وهو من الاخصائيين بهذا ، ولعله خير من عندنـا في فن تنظيم خزانات الكتب ، ولكن الآنسة نور قد احرجته حين سألته أسئلة أدبية محضة ليست من اختصاصه .

الجلسات — عقـدت جلسة كانت الحلقة الثالثة من السلسلة الجامعية وكان موضوعها : « أأفضل لطلابنـا ان يدرسوا ويتخصصوا في جامعـات الغرب واميركا أم خير لهم أن يظلوا في بلادهم اذا كان ما ينشدونه موجوداً ؟ »

قـال الاساتذة صروف وجبور وزياده كلامـاً له قيمته ووزنه في هـذا الموضوع ، ولكنهم لم يرونا الحقيقـة عارية وهـذه هي : الدروس الثانوية لا يطلبها في الغرب إلا أكثر الذين يعجزون عن تحصيلها هنا. وكذلك الشهادات العليا، والالقاب العلمية الضخمة. انني قليل الثقة بهذا الدرس وذاك التخصص . اعرف واحداً يحمل لقب دكتور في لغة لا يحسنها ان لم اقـل لا يفهمها . فأكثر طلابنا يعودون الينا عارفين ما في البارات والكازينات وعلب الليـل أكثر مما يعرفون عن الجامعات .

لا أدري لمـاذا أنا ضعيف الثقـة بهـذه الألقـاب التي تستورد من الغرب واميركا . لا اراهـا من المصنوعات المتينـة المكفولة ، لقد أمست بضاعة « بازارية » ناهيك ان الكثيرين من طلابنا يرضون من الغنيمة بالاياب ، اذا لم يوفقوا الى من يمهد لهم السبيل الى نيل شهادة لا تشهد إلا بحماقتهم .

النقد السادس والخمسون

١٧ / ١٢ / ١٩٥٣

يتشبث الكتّاب ، الناشىء منهم والمجتمع اشده ، بأذيال كلمات معلومات يحشرونها في كلامهم ، لتدل على عمق تفكير وغزارة علم ، ثم يرددونها في كل مناسبة . وتعجب غيرهم فيتناتشونها مثلهم ، فتارة تقعد مطمئنة واحياناً تقعد حسيرة ملومة ... وهذا ما اشار اليه س. اليوت في حديث « معنى الثقافة » للاستاذ عثمان نويه .

فهذه الكلمات الواسعة الفضفاضة اذا انسجمت مع اخوات لها في كلام بعضهم فلأنهم فاهمون ما تدل عليه ، اما عند الآخرين فهي لا تدل على شيء ، لانهم يستعملونها ولا يدرون ما تؤدي . لقد كان حديث الاستاذ نويه ممتعاً ومفيداً ، ولعله الدواء الشافي لاولئك الذين يريدون ان يكون لهم سمت المثقفين وهم لا يعرفون من الثقافة إلا هذه اللفظات التي يتهافتون عليها لاستحسانهم لها .

يطيل الاستاذ وفيق العلايلي المقدمة حين يعرف المستمع بالشخصيات التي يقدمها ، ولعل له عذره لانه يقدم شخصيتين عظيمتين صاحبي دولة كالاستاذين سامي بك الصلح والدكتور عبدالله اليافي . وعلى كل حال لو اراد الاستاذ العلايلي لاستطاع ان يقول ما يريد في سياق الحديث مع من يتحدث اليه ويستطلع آراءه . وهذا ما يتوق اليه الجمهور . فرأي هذين السياسيين الكبيرين

في الشؤون الطارئة والمشاكل التي تحاول البلاد حلها يعني المستمعين كثيراً . ألسنا كلنا في الهم شرق ، كما قال شوقي ؟

فهذه الطائفية داؤنا الوبيل ، وقد اتفق رجلا الدولة ، الصلح واليافي ، على ان ساعة الاجهاز عليها لم تأتِ بعد . يرى سامي بك انهـا مرض يزول مع الزمن ، ويرى الاستاذ اليافي ان الافكار غير مهيأة لها الآن . واني ارى اننا ما زلنا نتحدث عنها ويثار الجدل حولها لا تستأصل جذورها، فترك البحث خير علاج للقضاء على ميكروبها . يصر الاستاذان ايضاً على تجهيز الشباب بالعلم الحديث ليكون عندنا رجال يقومون باعباء الحكم . والخلاصة ان عنوان شخصية الاسبوع اضيق من ان يسع الصلح واليافي اللذين كان لهما ابعد الأثر في تطوراتنا . لقد احسن العلايلي السؤال ، ففاز بالجواب الذي القى نوراً ساطعاً على بعض النواحي من حياتنا الحاضرة .

وتحدث الدكتور جبرائيـل جبور بمناسبة ذكرى وفاة الامير شكيب ارسلان ، فكان حديثه مبوباً منظماً . وصف تطور اسلوب الامير شاعراً وكاتباً . وذكر انواع ادبه ومواضيع ابحاثه كلها ، واكتشف رسائله التي قال ان احـداً ممن تكلموا عنه لم يأت على ذكرها . جميل هذا الشمول ، ولكن مهما قـال الرجل : ان انس لا انس ، فهو ولا بد ناسٍ . لقد نسي الدكتور الترجمة والتعريب، فالامير عرب في فجر حياته الادبية رواية آخر بني سراج، وفي كهولته ، كتاب اناتول فرانس في مباذله، وفي هذا الاخير يظهر تطور عظيم جداً في اسلوب الأمير ، وفيه تظهر ثروة لغوية قلما نجدها عند غيره .

اما اهم ما استرعى سمعي في حديث الدكتور جبور فهو قوله اخيراً عن الامير شكيب : انه خير كاتب ظهر في زمننا قبل ظهور التخصص . لست افهم كيف يكون التخصص في الكتابة !! قد يصدق هذا بعض الشيء لو لم

يعمم الدكتور . فأنا أرى أن الجامعات والتخصص الذي تعنى به يخلق علماء ولا يخلق كتاباً وشعراء ، وقد تخلق الجامعات باحثين، ولكنها لا تخلق كتاباً موهوبين . فالكتابة موهبة لا علم وتخصص . والامير شكيب خلق شاعراً كاتباً . . فمهما آمنا في التخصص فاننا نظل نراه عاجزاً عن خلق كاتب عظيم، لان الكاتب يكتب عفو الطبع ، واذا قيدناه بهذا الذي نسميه تخصصاً صار عالماً كغيره .

درس الدكتور جبور فأحسن درس من تحدث عنه بمناسبة ذكراه ، وبمثل هذه الاقوال يمجد الاديب ، لا بسرد حياته واظهار اعجابنا به .

واصغيت الى حديث الكاتبة السيدة وداد سكاكيني في دراسات ادبية ،وكم كنت افضل ان يتناول قلمها الرشيق غير هذا الموضوع الذي عمّ حتى خمّ . ان هذا الكلام عن ادبنا لا يقدم ولا يؤخر ، وادبنا يظل كما هو اذا لم يحاول كل منا ان يضيف شيئاً الى ثروته ، فالسيدة سكاكيني تستطيع ان تكتب قصة وتجيد ، أفما كان من الخير لها وللادب ان تكتب قصة رائعة كالتي كتبتها ونالت جائزة المكشوف منذ زمان ؟

انني ارى الاقاصيص ، في هذه الفترة ، قد اعتراها جمود ، ونحن نريد ان نسمع منها جديداً فالى الاقصوصة ، غير مأمورة، يا سيدتي .

وفي «الندوة» كان الحديث عن شرعة حقوق الانسان ، ومنذ خلق هذا الانسان وهو يشترع ويشترع ، وما نراه ادرك حقاً من حقوقه الا بباعه وذراعه . فالشرائع لا تؤتي آكلها ما لم تتجسد عملاً ، ولا يدرك الانسان حقوقه إلا اذا ترك كل فرد الطمع بأكثر من حقه .

وكان الاستاذ رزوق فرح رزوق بلبلاً صادحاً في روضة الشعر ، ناعم الديباجة ، من طراز شعراء الساعة ، تؤازر خياله عاطفة حارّة . ففي قصيدة

«لا تراني» خرجات لطيفة على نسق البناء الاندلسي . ان للاذاعة فضلاً جزيلاً في تعريفها الجمهور بمثل هذه النخبة من الجيل الجديد .

اما العلامة الحسين الحلي، فهو لا يفارق عمود الشعر في مواضيعه وافكاره. خاطب طائراً في احدى قصائده فزودنا بالحكمة التي اعتاد القدماء ان يزودونا بها ، واحسن في الثانية مخاطبة شيخ المعرة وتحليل آرائه . وجملة القول في شاعرنا العلامة انه متأثر بالحليّ الاشهر ومن طرازه .

النقد السابع والخمسون

٣٠ / ١٢ / ١٩٥٣

شخصية الاسبوع — عندما وضع القدماء قواعد اللغة العربية جاروا من تقدموهم في الفرق بين المذكر والمؤنث ، واليوم ارى محطة الشرق الادنى تطلق على التحدث الى مشاهير الذكور عنوان شخصية الاسبوع ، وتُعنون مثل هذا الموضوع «امام الميكرفون» حين يتحدث مندوبوهم الى سيدة او آنسة معروفة . فهل لي ان اسمع المحطة صوت بعض من كتبن الي محتجات طالبات ابدال هذا العنوان ؟ انهن يطلبن عنواناً ادل على مساواة الذين باللواتي بعدما هبين من كل فج عميق مطالبات بحقوقهن ، وقد نلن اكثرها ، وهذه احداهن الآنسة فاطمة المحب قد فازت في مسابقة فنية عالمية في النحت ، واذا كان ذلك كذلك، فهي اكثر من شخصية اسبوع ، انها شخصية عالمية.

يقول بعض من اثروا : الدنيا كد وجد . وهذا الاستاذ نجيب صالحه الاقتصادي العبقري يقول لمقدمه الاستاذ نجاتي صدقي : ان الظروف لعبت دورها في توجيهه ، ولكنه استدرك فيما بعد فقال : ليس الحظ كل شيء ...

وهذا الرجل العامل ، الاستاذ صالحه ، يرى ان الثروة ليست كل شيء ، ولما سئل عن الاحسان قال : يجب ان لا يمشي امامه طبل وزمر ، اما الذي يلفت النظر في حديثه فأمران : رأيه في عدم تبدل الوزارات كل بضعة أشهر، ونصيحته الى الشباب لكي يتسلحوا بالعلم والصدق والاستقامة . وأشار حضرته الى مشاريع عمرانية ضخمة ، فنسأل «الظروف» ان تمد يدها كما مدتها في فجر

حياته ليستطيع تحقيقها فتعمر البلاد .

وفي عنوان «بيني وبينك» تحدث الاستاذ انيس منصور الى المرأة فما ترك شهيراً من اعدائهـــا الا أتى على ذكره . ثم انحى باللوم على الأم المشغولة عن بنيها ، وهذه آفة اجتماعية تضج منها الدنيا بأجمعها . اما قوله ان الولد يفتش عن أمه في انثى ثانية اذا حرم حنان الام ، فهـــذا رأي فرويدي كثيراً ما يناقضه الواقع .

قصة الاسبوع — تمكنت من سماع اقاصيص هذين الاسبوعين كلها بجلاء ووضوح. فقصة «سعاد» للآنسة سميرة عزام، وهي من طراز اقاصيصها السابقة، ولكنها اكثرت فيها من لفظة كنت او كان . وقصـــة «هدية المجوس» التي ترجمها الاستاذ ابراهيم مطر كانت عقدتها المفاجئة خير ما فيها، وان كان كاتبها بوهاري الشهير ... فليس كل ما يكتبه الشهير يكون شهيراً ...

اما قصة « على الارض السلام» للاستاذ سامي محمد ، فعبارتها من الانشاء المنمق ، وقد اجاد كاتبها تصوير المكان والزمان ، وان بالغ فقال عن حـــلم نابليون بملك عرضه السموات والارض . ان قصتـــه تنظر الى قصيدة هيغو الشهيرة ، وتقصر كثيراً عن تلك التي كتبها الفرد دافيني عن نابليون والبابا . قال الاستاذ سامي محمد : مذود من القش . والمذود هو المعلف ، والمعلف لا يكون من قش ، ولو كان لأكلته البهائم .

واما قصة الاستاذة روز غريب فجيدة ، ولكنها تحتـــاج الى مسحة من الجمال الفني .

وفي هذا الركن أيضاً تحدث الاستاذ عبدالحليم عباس في موضوع الأدب والحياة ، وهذا موضوع امسى مكروراً جداً فليت الاستاذ عبد الحليم يخرج من هذه الحلقة المفرغة التي يدور فيها ، ويسمعنا الجديد الطريف وهو على ذلك قدير ، واذا لم تخن الذاكرة فاني اذكر ان موضوعه هذا لأخو موضوعه ذاك

الذي أغضبه نقدنا اياه . قال تولستوي : هـــات ما عندك من جديد حتى اقرأك واسمعك .

ندوة الشرق الأدنى — كان موضوع الحلقة الاخيرة مهمة الجامعة في البلاد العربية، وملخص تلك المهمة هو انماء شخصية لا حشو الادمغة ، اما مشاكلنا الاخرى فزعموا ان التخصص يحلهـــا ، ولولا قالوا يحل بعضها او اكثرها لكان الكلام أصدق ، فعنـــدنا مشاكل لا تحل عن طريق الأدمغة بل عن طريق القلب .

حديث الشهر — كان للدكتور موسى اسحق الحسيني فلخص محـــاضرة الدكتور طه حسين التي قال فيها : ان مصر تكاسلت فتنازلت عن زعامتها الادبية التي آلت الى بيروت ، وهنا تبسط الدكتور الحسيني في شرح هذه العبارة الاخيرة. لست اناقشه فيما زعم ولكنني اناقش الدكتور طه الذي قال ان الشباب يكتبون قصصاً ولا يكتبون الا القصص . أما انا فأذكر ان الدكتور هو الذي دعاهم في سالف الزمان الى كتابتها . فليته نصحهم اليوم ان يتقنوا هذا الفن الذي تعاورته اقلام جميع الكتاب ولم يبرز فيه إلا الاقلون . بل ليت النقاد — ولكنَّ النقد نائم نومة أهل الكهف — ينصحون الكثيرين من مؤلاء فلا يضيعون وقتهم في كتابة ما ليس من طبعهم .

روضة الشعر — كانت قصيدة الشيخ محمد بهجت الأثري طويلة وجيدة جداً، وآخرها كان كأولها، وهذا نادر . القصيدة راعويه صور فيها الشاعر الطبيعة تصويراً حسناً. ومع كل هذه الطلاوة الشعرية التي تحييها عاطفة متقدة ، انني لا اوافق الشيخ في قوله : مللت غناء شبيه النهاق .

اما قصائد الاستاذ عبد الوهاب البيـــاتي فثلاث ، وخيرها اولاها . اما قصيدة «سوق القرية» فهي سوق قرية حقـــاً ، واين الشعر في قول شاعر كالبياتي : زرعوا فنأكل ونزرع فيأكلون ، ثم قوله: لا يصلح العطار ما افسد

الدهر. اظن ان كلاماً كهذا بعيد جداً عن الشعر الصافي ، فأسأل البياتي ملحاً ألا يتهافت عليه .

مآخذ — قيل : ترغب ان تبتاعها ، ورغب هنا تتعدى بفي .

وقيل : يعودون للثاني ، والصواب يعودون الى الثاني .

ولحن احدهم فقال : عنهِم والصواب عنهُم بضم الهاء .

وقيل : فحدق في القراغ ، والصواب حدق الى القراغ .

سنة ١٩٥٤

النقد الثـامن والخمـسون

١٤/ ١ / ١٩٥٤

بمناسبة الميلاد ورأس السنة قيل شعر ونثر ، فالاستاذ خـــالد الجرنوسي أنشد قصيدة ميلادية ملأت الوقت المرصود لروضة الشعر . كانت حلوة الجرس انشاداً ، ولكن المدقق في الفاظها وتراكيبها لا يدرك فيها الشعر الصـــافي والصور الرائعـــة . من نوع الموشح وقد أعـاد الشاعر اللازمة مراراً ، وكم كنت اتمنى لو كانت القصيدة ارشق عبارة وأدق صياغة . فأين الشعر في مثل قوله : يشكر الله ملحاً في الدعاء .

وقال الشاعر الجرنوسي : يكره الحرب ويدعو للسِلم أي للسلم ، فهـــذا التحريك قبيح وان جاز ... ومن عيوب القافية في هذه القصيدة جمع الشاعر بين امكم وظلكم وكلكم في قافية واحدة .

ومثل تحريك السلم ورد تحريك الطعم عند الآنسة مقبولة الحلي في قصيدتها «عند الشاطىء الاخضر» فقالت : مر الطعم . اما قصيدتها فلعلها من أروع ما سمعت لها ولغيرها من شعراء وشاعرات المحطة، فحديث زهرة الاقحوان ، وحديث الطير المهيض الجناح ، وأخيراً تلك الصرخة الصادرة من الأعماق : عصفور كان هوانا وراح . كل هذا طريف ومؤثر .

ويندمج مع الشعر حـــديث « في ركب الزمان» للدكتور علي محمد شلق الذي يذكّر بانشاء المنفلوطي وأسلوبه في مخاطبة الغد . أجاد الدكتور علي مناجاة الزمان ، فليت للزمان اذناً تسمع .

ومن طراز حديث الدكتور شلق في العبارة المنمقة تشابيه واستعارات

حديث السيدة ادفيك شيبوب ، وكلا الأسلوبين يذكراني باناقة نثر القرن الرابع . ومع هذا المثال من الانشاء تنسجم قصة الاستاذ الياس خليل زخريا الميلادية الملأى بالشاعرية . ربما لا تعجب هذه القصة بعض الذين يخالون ان للقصة دربا معبدة، ولكن الاقصوصة أنواع شتى ، وللكاتب أن يتصرف فيها على هواه شرط أن يخرج أقصوصته اخراجاً مرغوباً فيه كما أرانا الاستاذ الياس بطله الذي يريد وجهاً جديداً .

اما قصة «غانية» للاستاذ وليم باسيلي فتكاد تكون عامة تصلح لها بطلة أية امرأة كانت، فمسرحها لا اطار له ولا زينة . ولم ينطبع في أذهاننا شيء منها ، واجمل ما فيها عنوانها «على أطلال الشباب» . اذن ما على الكاتب أن يعمل لتتحرك ابطاله حركة طبيعية ؟

ان كلمة تجيء في مكانها الملائم تحرك الشخصية وتبرزها لنا حتى كأننا نراها بأعيننا ثم لا ننساها . فلنفتش عن مثل هذه الكلمات فهي السمات التي التي تعرف بها الشخصيات الواقعية أو المخلوقة خلقاً .

وفي ركن حصاد الفكر العالمي حدثنا الدكتور جميل صليبا عن برغسون في كتابه «منبعا الأخلاق والدين» . ان الدكتور صليبا اخصائي في مثل هذه الابحاث ، ولعل كتابه في علم النفس خير ما اخرج ، لأنه مطبق تطبيقاً محكماً لا تلمس أي أثر للترجمة فيه. قال الدكتور عن برغسون : ان تعاون الحيوانات غريزي ، بينما تعاون البشر عن تصور وتصميم ، واننا مساقون بحكم الطبيعة الى محبة بني جنسنا ..

قلت : يا ليت هذه المحبة حاصلة ولا فرق عندنا من أين أتت . أما الكلمة الخالدة في هذا الحديث فهي هذه : البطل لا يعظ، ولكن وجوده يقود البشر الى المثل الأعلى ، والمثل الأعلى عند برغسون هو الحب، والدين الحركي المنظور هو دين الفلاسفة .

جميل ان تطلع على كتاب فلسفي عويص في ربع ساعة زمان ، وأجمل

من ذلك أن يلخصه لك دكتور فاهم موضوعه كجميل صليبا .

مشكلة الأدب – تسيطر على أحاديث المحطـة موضوعات أدبية صرف ، فالناس اليوم فريقان ، فريق يحاول اخضاع الأدب لمقاييس معـلومة وفريق يرى أن يترك الأديب حراً يتبع الهامه ويختار الموضوع الذي يجيده . فمنهنا وهناك تتعالى هذه الأصوات وكل يغني على ليلاه. ففي العراق تحدثوا عن تخلف الشعر عن موكب الفنون الأدبيـــة ، فهبت آنسة الجلسة، عاتكة الخزرجي تدافع عن الشعر نظماً تنشده انشاداً بليغاً ، فاحتج الاستاذ باشكير قائلاً ان انشادها يحمل ما تنشد ، كأنه يفوته ان الشعر وجد لينشد لا ليتلى .

أما قول أحدهم : انه لا يهجر الشعر الا من لا يـبرز فيه ، فالجواب عنه ان اجادة القصة ليست أسهل من تجويد الشعر ، فالقصصي الكبير لا يكون إلاّ شاعراً

أحسنت الخزرجية الدفـاع عن الشعر ، ولكنها لم تصب حين زعمت ان الشعراء الغاوين ليسوا شعراء ، لأن الشعر ، في نظرها ، هو السمو بالانسانية، وهناك قضية ثانية اثارها الدكتور طه حسين، فكثرت المناقشة فيها والتحدث بها كأنها نعمة ربك ...

اني لا أخشى ان يصح بنا ، نحن اللبنانيين ، هذا البيت المشهور :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ان رأي الدكتور محترم ، ولكنه دائمـاً مثالٍ ، ينهج نهج برناردشو في اثارة الشؤون والشجون . هاله ان تحتجب مجلات مصرية خطيرة كانت ساحة نضاله الادبي ، وسره ان يرى اخوات لها تظهر في لبنـــان ، فتلفت يولينا سؤال الكريم عن جيرانه كما يقول «صديقه» امـير الشعراء احمد شوقي . اما القول الفصل فهو للتاريخ بعـــد حين ، يوم تتبدل الموازين والمكاييل .. والكيالون ...

النقد التاسع والخمسون

٢٧ / ١ / ١٩٥٤

كانت روضة الشعر عابقه بالطيوب قديمة وحديثة ، عنبر العربية السعيدة ومسكها، وعطر باريس حفيدة بغداد وحاملة لوائها في عصرنا الحاضر. فهذا بديع حقي ، واظنه دكتوراً من باريس ، ينشدنا شعراً من الطراز الجديد الذي تهافت على قوله شبابنا وراحوا يلحمون ويسدون وينسجون ويديجون.. سمعت له أربع قصائد : نحت ، وسيجاره ، وليالي بغداد ، والـ ... وكلها من هذا الشعر الجديد المنمق الناعم . جل كلماته من تلك اللفظات المنتقاة التي تدور على ألسنة اقلام شعرائنا الشباب ، وصوره ومجازاته من البضاعة عينها، فالازميل تعب ، والحجر انهد ، والمرمر ذوى ، وسكن من غلمة الطين الفكر ، كما خشينا نحن ان يضمحل الفكر ويذوي الشعر اذا ظل هكذا ، زهراً بلا ثمر . القصيدة غنية بموسيقاها ، وألفاظها المختارة كعنوانها منحوتة نحتاً ، ولكن هذا النحت لا يقام منه تراث يبقى .

انا احب هذا الشعر الصافي ، ولكن محبتي له تنتهي فرر انتهاء انشاده . لقد كادت اذني تلتقف كل حرف رغم ان من انشد قصائد الدكتور حقي كان منتشياً بها ، فراح صوته يعلو ويسفل حتى نسي ضعف الموجة وليالي كانون العاصفة. حقه ان يثمل، فهذا الشعر الجديد تغويك موسيقاه وتغريك صوره ، وان لم يكن تحتها طائل ، فأصحابها ، اتباع هذه المدرسة ، يقولون ان فيها من الايحاء ما لا يفهمه الا الراسخون في العلم ، والله اعلم ...

هذه طيوب باريس ، اما عنبر العربيـــة السعيدة ومسكها فيفوحان من «معلقة» الاستاذ عبدالله شمس الدين ، وعنوانها «صلوات» . من عادة الصلوات ان تكون مقاطع ، أما صلوات السيد شمس الدين فذكرتني بنفس ابن الرومي الطويل . القصيدة رصينة العبارة ، ولكنها أقل صوراً ناتئة كالتي رأيناها في شعر الدكتور بديع حقي. ولعل الصلاة التي تعني شمس الدين لا تستدعي الجاز والاناقة ، كما ان حميـا الشباب هي التي أوحت إلى حقي بتلك الزركشة ، ولكل ثمرة ابان .

ومن روضة الشعر يجدر بنا الانتقال فوراً الى الجلسة التي عقدهـا الاستاذ عزيز اباظه مع الاستاذين أحمد رامي وعبد المجيد الغزالي . تحدثوا عن الشاعر العظيم احمد شوقي ، فقال الشاعر رامي انـه درة في تاج الشعر العربي ، فجاء في بالي قول ابن الرومي في وحيد المغنية :

يسهل القول انها احسن الاشياء طرا ويصعب التحديد

ولهذا كنت انتظر من رامي غير هـذا الوصف والتعبير الذي أمسى لا يدل على شيء .

لقد أصابوا حين قالوا ان شوقي ترك بعده فراغاً ضخماً في الأدب العربي ، ولكن ما شأن الحسد الذي تحدثوا عنه طويلاً ؟ لقد أصابوا في الاعتراض على من نقد ابيات شوقي التي تصف هيكل اسوان . فهذه الأبيات لم يقـل شاعر معاصر وغير معاصر أحسن منها وصفاً وتصويراً وديباجة. شوقي استفاد وبَز ثم لم يُبز حتى الآن ، نهج نهج البارودي وصبري في تصفية الشعر ثم بزّهمـا ، أما الذين يمشون على أثره حتى الآن فلم يبزه أحد منهم .

كانت شخصية الاسبوع من ابرز شخصيات لبنان ، الاستاذ عادل عسيران رئيس المجلس النيابي ، قدمه الاستاذ احمد ابو سعد تقديمـاً طريفاً ، وكانت سؤالاته عميقة الجذور، فانتزعت من الاستاذ عسيران المعروف بحريته وصلابته

ما يحب أن يسمعه العربي الواعي وغير الواعي ليتشدد ويستيقظ. قال الاستاذ بتواضع عميق « نفسي التي اشتمت شيئاً من المعرفة ». ثم هدر فيما بعد ببلاغة وفصاحة فكان أبلغ شخصية أسبوع لم تلحن قط .

قال عسيران : السياسة توجيه الى الخير ونضال ، لا خبث ورياء . ورأى ان النظام البرلماني هو النظام الأمثل ان كان وراءه شعب واع . وسئل عن القضية العربية فدق ناقوس الخطر دقات عنيفة جداً : القضية العربية تمر اليوم في أسوأ أطوارها . تنازع على السيادة ، أموال تنفق بجدوى وغير جدوى، والعرب ممعنون في الضلال .

ان الاخلاص أملى على حضرة الرئيس هذه الحقائق ، فكان صريحاً جداً لم يحاب ولم يوارب وعلى الرائد ان يصدق أهله . والداء المكتوم عصي الشفاء .

وفي ركن الاحاديث كان حديث الاستاذ السيد محمد رضا الشبيبي دراسة علمية عميقة شاملة عرّفتنا بمعجم النبات للادريسي تعريفاً تاماً ، وكذلك الاستاذة زاهية ايوب التي تحدثت عن الفقيدة الكبيرة السيدة سلمى صائغ ، فقد عرضت نماذج دلت على الكاتبة وروحها . لامت البلاد على تقصيرها تجاه الأدباء وانا اعتقد ان الشقاء من المهاميز التي لا بد منها ليسير الأديب في شوطه خبباً .

أما في الأقاصيص فأطالت الدكتورة بنت الشاطى مقدمة اقصوصتها ، ولعل هذا مرض الدكاترة ... أما تسمية بطلة قصتها بالصابرة فأظنه غير طبيعي بالنسبة للمحيط الذي جعلتها تعيش فيه . وزعمت انهم هم سموها هكذا أما قصة « بنت الراعي » فهي من الاقاصيص القديمة ومغزاها نبيل جداً ، ونحن أحوج الناس اليه ليقبل شبابنا على الأعمال اليدوية التي يأنفون منها وهم أحوج ما يكونون اليها .

١٠/٢/١٩٥٤

وكانت جلسة شعرية للاساتذة احمد ابو سعد وجوزيف نجيم ومصطفى محمود فقالوا شعراً طيباً دخل الآذان بلا استئذان . وكيف يستأذن الدفء في شباط والناس في انتظاره ؟ فأبو سعد أسمعنا انشودتين من ديوانه الحديث « قصائد دافئة » لم نسمع من عيارهما إلا في الندر ، أقول هذا وان لم يعجبني قوله :

تمشين يا تمشين يا يا يسلم التبختر

فهذا النداء وهذه القافية الضخمة — التبختر — لا ينسجم مع تلك النعومة الملكية في الأبيات الأخر . ناهيك ان التي صاغها الشاعر من الأثير لا يلائمها التبختر !

وكذلك قصيدة نجيم « الى درة » فهي تبشر بشاعرية يكون لها شأن اذا أحسنت سياستها ، فليت الاستاذ جوزيف نجيم يهتم بالانتاج شعراً ونثراً فكرسي « الهمزة » قلقة منذ خلقت ...

أما الجلسة الثانية فكانت كوكتيلاً غريباً عجيباً سكبه لنا أبو العجائب الاستاذ رشاد بيبي . لقد جمع في الجلسة بين الشعرين العامي والفصيح ، بين الزجالين سليمان قرباني ويوسف ملكي وبين الاساتذة الشعراء العراقيين محمد حسين الشبيبي وباقر ... ورزوق فرح رزوق . كان الزجالان من مدرستين

مختلفتين ، الأول يمثل المدرسة الزجلية القديمة ، والثاني يمثل الشعر العامي الحديث .

أما الشعراء فقال كل منهم مقاطع كان للبنان منها حصه الأسد ، وكان لها من الفن حظاً وافراً . يظهر ان لبنان هو الجبل الملهم حقاً ، ولولا ذلك فمن اين للملكي الشاعر العامي أن يقول : « من كعب الارزه لراسا غربه » أليس جميلاً تصور الاغتراب لمن يتسلق أرزة من أرز لبنان القديم الأجيال ؟

أما روضة الشعر فملأها الاستاذ امين ابراهيم اللاذقي آهات ، حتى قال : « يا نديمي ردد الآهات آه ... » وما انتهى من ترديد آه حتى تهاوى على « تعود وتعال ، وانا وحدي » ، وقال أخيراً : « فلا مثلي ولا بعدي . أنا وحدي أنا وحدي » .

ثم كانت قصيدته «الى سمرا» خاتمة المطاف ، فعاد الى نغمته الأولى ، والخلاصة كان اللاذقي مزاجاً أكثر منه شاعراً .

والاستاذ منير الدويب، هو من الشعراء المختارين للبرنامج ، كانت قصيدته الأخيرة « انت وانا » كالحلوى من المائدة ، فهي خير ما انشد . أما قصيدته الأولى فبعض قوافيها تشكو السقام. كان وصفه جيداً، أما مواضيعه فمتذلة.

انتظرنا الاستاذ ميشال الأسمر في حديث الشهر ، فاذا بنا نسمع الدكتور موسى الحسيني يلخص لنا حديث الاستاذ سعيد عقل عن « النخبة » . ومن اين نجيء لسعيد ببشر فوق البشر ؟ وكم كنت أتمنى لو كان حديث الدكتور العلامة تعليقاً لا تلخيصاً ، وهذا ما يطلب من الجامعيين ، فالتلخيص لمراسلي الصحف لا لأديب كبير كدكتورنا الحسيني .

وفي ركن الأدب سمعنا الاستاذ فائز الغول يحدثنا عن ابن الرومي ، وكم كنت أتمنى أن يعرف الاستاذ المستمع بشاعر لم تتعاوره الاقلام كابن الرومي، وإلاّ فكان عليه أن يفتش عن جديد عند ابن الرومي .

ما أجمل أن نعرف ما عند اخواننا في الأقطار العربية النائية ، من نهضة تبشر بحياة أدبية ، وليت الاستاذ طاهر البشتي فصّل ما أجمل ، او ملأ على الأقل الدقائق المعينة له ، فقد كان فيها الكفاية .

كان شخصية الاسبوع الاستاذ محمد علي علويه وزير المعارف المصرية ، فقُدم مع جيش من القابه على الطريقة الانكليزية ، ان معالي الوزير علويه شخصية ناضجة مخلصة ينم كلامها ولهجتها عن اخلاصها فيما تقول . الرجل مجدد كل التجديد ، حمل على أزياء مصر المختلفة ، من الطربوش والقفطان والجلابية ، حتى عدها نوعاً من الكرنافال . قال : يجب ان نوحد اللباس ، فلا يبقى إلا لباس خاص لرجال الدين ليكون لهم احترام خاص ، فالديانة في الخلق لا في الأزياء ، والأمم لا تقوم إلا بالعلم ، والاختراع في نظره عبادة حتى لو اخترع الرجل مدفعاً . جميل أن نسمع مثل صوت هذا الشيخ الذي يبز شباب الشرق في آرائه الحديثة ، فحيّاه الله وأبقاه .

وهناك شخصية ثانية هي الاستاذ سعد ابو العلاء ، وهو من رجال الاقتصاد ولكنه يُعنى بالكلام ، فهو فصيح اللهجة مفكر راق ، ساءه جداً أن يسمع أهل بلادنا يسمون الفستق السوداني فستق العبيد ، وهو على حق حق لو كان هناك سوء نية ، فأنا أعتذر للاستاذ ابو العلاء عن أهل بلادي واؤكد له ـ والاعتراف بالجهل فضيلة ـ انني كنت أجهل منبت هذه الثمرة التي أحبها جداً ، ولن أقول فيما بعد إلا كما يروم .

قصة الاستاذ عبد الحميد جودة وعنوانها « المغرور » كان وصف شخصيتها جيداً ، وكذلك الحلم والكابوس ، والذهاب الى النار الذي كان ينقصه شيء من الاضطراب والجزع .

أما قصة « قال الاولون » للاستاذ أحمد صالح الطبيب فليست قصة الاسبوع ، بل اسطورته التي كنا نقرأها صغاراً في كتاب مجاني الأدب ...

مآخذ – قيل : عن بِكرة أبيها وهي بَكرة بفتح الباء .

وقيل : كانت له معـارك بالتنوين وهي بضم الكاف لانهـا ممنوعة من الصرف .

وقيل : وأكثر سكانه بضم النون وهي بكسرها .

وقيل : وهي وحدها بضم الدال ، ووحد دائماً بالفتح ومحلها من الاعراب حال ، إلا في قولنا : نسيج وحده وجحيش وحده بالكسر على انها مضاف اليه . عفواً اذا كررت ...

النقد الحادي والستون

٢٤ / ٢ / ١٩٥٤

حدثنا الشاعر الاستاذ صفاء الحيدري عن المذاهب الادبية الحديثة في العراق ، فنعى الينا الأدب العربي القديم الذي أعرض عنه شباب العراق ولم يعد أحد منهم يقرأه ، مع ان المثل عندنا يقول : احفظ عتيقك جديدك لا يبقى لك . انا لست من الذين يعرضون عن القديم كل الاعراض ولا من الذين يتمسكون به بأيديهم وأرجلهم ،ففي القديم جديد كما في الجديد قديم جداً... أما تحطيم الشباب العراقي لعمود الشعر ، ذلك الصنم الذي نصبه القدماء في هيكل الأدب والفن وقالوا للذرية اسجدي له ، فهذا عمل نشكر الشباب عليه لأن هذا العمود هو الذي حنّط أدبنا شعراً ونثراً .

كان حديث صفاء حديث صاحب البيت عما فيه فجاء شاملاً وعميقاً ، ولا عجب فصفاء شاعر متمرد ثائر في أسلوبه وتفكيره ، وهو من أركان النهضة العراقية الميمونة . ولم آخذ عليه في هذا الحديث إلا قوله : ان الأدب تلقح بالمذاهب الحديثة بعد دخول الانكليز العراق والفرنسيين لبنان . فاذا كان يصح ذلك في العراقي فهو لا يصح في لبنان الذي عرف تلك المذاهب منذ عهد بعيد جداً . ان في العراق نهضة مباركة فبارك الله فيها وأطال عمرها ولا بلاها بنكسة ، فأخطر الداء نكس بعد ابلال كما قال البحتري .

وفي ندوة الشرق الأدنى كان عنوان الجلسة « حوار أبي العلاء » عقدها الدكتور محمد صلاح الدين والاستاذان احمد الغزالي واحمد مخيمر . لقد تحاوروا

م ثلاثتهم ولم يفز المعري بغير العنوان . أما شاعريته التي امتدحوها فهي، كما أرى ، في غير لزوم ما لا يلزم ، وأما التناقض الذي يجده قارئو شعره، فهو في العرض لا في الجوهر ، فأبو العلاء مؤمن بالله وحده ، وبدون كلفة ...

وحدثنا الاستاذ منير بشان الذي قدمه الاستاذ موسى الدجاني، عن تاريخ الصحافة في طرابلس الغرب ، مبتدئاً بعصر المطبعة الحجري وانتهى بعصرها الحديدي فما ترك شاردة ولا واردة ، ولم ينس وريقة ما ، وكل ذلك بدقة تاريخية دلت على عنايته الفائقة .

وكذلك كان حديث الاستاذ جميل سعيد في حديثه عن التربية في الكتب القديمة عند العرب . ان التربية كعلم النفس لا جديد ولا قديم فيها ، فهي تجارب وملاحظات ، وما أكثر ما يلاحظ الناس أولادهم ، وما أقل ما يلاحظون أنفسهم. والآنسة روز غريب كان لها حديثان الأول « تربية الفتاة العصرية وتوجيهها » ، وقد احسنت فيه وصف استقبال مولد البنت ومولد الصبي، ثم أخذت تصف العقد النفسية التي تولدها في نفس الفتاة هذه الفوارق، وأخيراً عتبت على الناس كيف يقولون للشاب « فرحتك » على مسمع التي لا يقولون لها شيئاً . نحن نعلم انهم لا يقولون لها ذلك تأدباً وتلطفاً لا ازدراء كما يخيل الى الآنسة روز. وفي موضوعها الثاني « مشكلة الزواج »، رأت الآنسة كما نرى نحن ان زواج الفتاة المثقفة مشكلة ، وأنا أراها مشكلة المشاكل وخصوصاً اذا كانت جميلة ومن المطالبات بحقوق المرأة كاملة غير منقوصة .

رأت الآنسة ان الزواج الباكر قبلي ، والزواج المتأخر حضري ، وأنا أرى ان خيرهما ما كان بين بين ، والفتاة المثقفة حقاً لا يمكنها ان تتزوج اثنين في وقت واحد : كتبها وعائلتها ، أما الجامعات فقلما تنتج زواجاً لا تتفصم عراه فيما بعد .

« اجل لقد جاء الربيع » هو عنوان قصة الاستاذ عز الدين المناقلي كان

أولها أكثر أناقة من آخرها، فاللون المحلي ينعشها، والاطار يزينها ، ومغزاها يصدق ما قاله أبو العلاء : هذا جناه أبي علي .. وكم في رقبة الآباء والأمهات من جنايات اذا كانوا مثل بطلي رواية المناقلي .

وكانت روضة شعر محمد حسن اسميل زاهرة زاهية حتى سبح الزورق في البطاح ... كما قال في قصيدته الأولى ، أما قصيدته الأخيرة وموضوعها الجمال فهي خالدة اجتمعت فيها الصورة كاملة الملامح تزيدها الألوان جمالاً ، وختامها الصوفي فيه روعة .

وحديث الدكتورة سالحة امين زكي مفيد جداً،وما أحوج الآباء والأمهات الى سماعه كيلا يتخاصموا أمام أولادهم. ولكن قراءة الدكتورة لحديثها كانت سقيمة جداً. ترى بأي لغة أخذت لقبها الجامعي؟ قالت الدكتورة أول مرة: بأن أمُّه ، وقالت مرة ثانية ، بأن أمُّه جاهلةٌ أمية ، وقالت يومين هنا وثلاثاً هناك وقالت ايضاً : ان يذكروا احدهما الآخر .

حقاً ان هذا غريب جداً ، واذا لم تصدق الدكتورة ما قلت فالحديث مسجل واستعادته ممكنة .

النقد الثاني والستون

٩ / ٣ / ١٩٥٤

كان برنامج هذين الاسبوعين غنياً بالشعر . سمعنا نموذجاً من الشعر الليبي قدمه الاستاذ حسن الغناي وهو فيما قال لم يفارق عمود الشعر بل كان متمسكاً به بيديه الثنتين . لا بد للشاعر من تخيل ، وخيال شاعرنا الغناي غير مجنح ، أما الشاعر الليبي الآخر ، الاستاذ علي صدقي عبد القادر ، فكان أبعد من الغناي عن عمود الشعر وأقرب الى الجديد . أنعشت شعره عاطفة قومية عبر عنها بأسلوب قصصي جيد الديباجة وان لم تطاوعه كلمة ليبيا التي كررها في نشيد المجد فجاءت محشورة في الشعر الذي هو ديوان العرب ، ومن حق الجالس في الديوان ان يقعد الجالس فيه مستريحاً . قال الشاعر عبد القادر : « انا من حررت ليبيا باليمين » . ثم كررها على هذا الشكل فأزعجها وأزعج بها السامعين والمنشدين ان شعر النشيد يقتضي ان يكون سارحاً كالنسيم .

وفي الجلسة الشعرية التي عقدت في وادي النيل لانشاد الشعر العاطفي خصيصاً كانت قصيدة « يا لأمسي » للشاعرة زينب الشيخ من الشعر الحامي المنبثق من كبد مقروحة . دلنا على ذلك انشادها الحاد النبرات وتعبيرها الحي ، وفي نظري ان هذه القصيدة كانت درة ذلك العقد النفيس ، ولا تقصر عنها قصيدة الملازم الأول محمد علي أحمد ، وعنوانها ذكريات .

وهذه خنساء زماننا الشاعرة فدوى طوقان لا تنسى صخرها ، فهي ما فتئت تبكيه وتبكّي المستمع في قصيدتها « عودة » . هنيئاً لشاعر له اخت

شاعرة من طراز فدوى تقول فيه :

وشعرت انك عدت انك في الطريق

هذا شعور الوالهة المفجوعة قد جسدته لنا الشاعرة في هذا البيت .

وينتظم في هذا السلك حديث الأستاذ احمد زكي ابو شادي عن الشعر المهجري . قال ان في الشعر المهجري ابداعاً لفظياً في الصيغة ، مع ان تجديد شعراء المهجر كان في معالجة موضوعات جديدة اكثر منه في التحرر من قيود الألفاظ والتعابير . فهم الى هذا التحرر اللفظي مسبوقون . سبقهم اليه الأندلسيون وما كانوا هم في هذا إلا اندلسيين جدداً ولا فرق بينهما إلا في المكان والزمان .

وحدثنا الشاعر سعيد عقل عن ايمانه بالحقيقة ، وما أكثر المؤمنين بها وان لم يتفقوا إلا على ختام حديث سعيد أي الايمان بالله الحي القيوم الذي لا شريك له .

وكان حديث الدكتور كمال اليازجي بمناسبة ذكرى شيخ العربية ابراهيم اليازجي منظماً تنظيماً جامعياً قدم له الاستاذ بكلمة عن النهضة في العصر الذي عاش فيه المتحدث عنه،فذكر من ذكر ممن عاصرهم الشيخ ابراهيم ونسي أو تناسى الزعيم والركن احمد فارس الشدياق الذي كان الموجه الأول لشيخنا اليازجي . والشيخ ابراهيم اعترف بذلك . لقد كان عدواً أدبياً لهم ، ومن العداوة ما ينالك نفعه .

وفي ركن حديث الشهر تحدثت الآنسة سميرة عزام عن حقوق المرأة بمناسبة الانتخابات النيابية في لبنان ، وكأنها كانت ترجو أن ترى ثلث نواب لبنان سيدات وأوانس ... ان مثل هذه الحقوق تؤخذ ولا تعطى .

ان شخصيات الاسبوع هي دروس نافعة للمستمعين وخصوصاً متى كانوا من رجال الأعمال الناهضين كالسيد انيس بيبي الاقتصادي العمراني الذي قدمه

الاستاذ نجاتي صدقي. فعسى ان يتشبه شبابنا الحائر بثبات السيد بيي وصدقه وأمانته ونشاطه . انهم يتطلبون النجاح بين ليلة وضحاها ، وإلا فانهم يسبون الدهر ويلعنون الحظ الذي لم يوقعهم على كنز .

أما الشخصية السودانية التي قدمها الاستاذ أبو لغد فهي تاريخ حي ناطق، وحسبك ان تسمع حديث رجل في الخامسة والتسعين وهو لا يزال متمتعاً بحواسه وعقله .

الأقاصيص – كانت اقصوصة الاستاذ احمد سويد بلدية قروية صارخة اللون، فيها التحليل النفسي العميق لذاك الفلاح الحائر الذي ازعجه التراكتور المزاحم لحيواناته التي عايشها فألفها.صراع شديد قام في عقله عبر عنه الاستاذ سويد بأسلوب أنيق تتطلبه الاقصوصة لتحيا وتنتعش وتسير بأقدام سريعة ثابتة نحو الهدف .

ملاحظة : ان فعل (احنى) يتعدى بلا همزة ، وان فعل عشمش عامي وفصيحه عشش .

النقد الثالث والستون

١٩٥٤/٣/٢٤

ألمّ فضيلة الشيخ منصور رجب بالسيد جمال الدين الأفغاني حتى جعله ممن يعرفون الغيب .

ان ربع ساعة من الوقت لا يكفي للتعريف برجل ملأ عصره ، وكان وجوده قذى في عيون المسلطين والمتسكعين في ظلال خرافاتهم وتقاليدهم .

كانت محطة الشرق الأدنى تحتفل بذكرى وفاته كل عام ، أما في هـذه السنة وهي الذكرى الستون لوفاته ، فتنادى الأدباء والمفكرون في الأقطار العربية وسائر الشرق الأوسط إلى عقد مؤتمر ثقافي بالقاهره احتفالاً بذكرى هذا الشهاب الثاقب الذي سطع في سماء المشرق فأنار البصائر، ومزق الظلمات المدلهمة التي كانت تلف الشرق بمسحها الأسود .

حقاً ان العلماء هم سراج الأزمنة وقد كان جمال الدين سراجاً وهاجاً منيراً، رحمه الله .

وكان حديث التشابه بين الأدبين الانكليزي والعربي عميقاً واسماً ، فأزال عن عيون المستهزئين بأدب أمتهم تلك الغشاوة السميكة ، فأفهمهم اننا فاعلون ومنفعلون ، ولنا يد في تكوين الآداب العالمية ، وهذا ما أشار اليه العلامة المستشرق جب الانكليزي منذ سنوات .

ان شعراء الغرب وكتابه تأثروا بادبنا وأحبوا أن يتحدثوا عن الشرق

بعلم وغير علم ، فقال شكسبير في احدى رواياته : ان السفن رست في حلب، كما قال شاعر فرنسي ولعله ده هيريديا : ان جبال لبنان تدخن .

وقدمت الآنسة نور سلمان الاستاذ موسى سليمان ، فتحدث عن اللغة العربية وطواعيتها ، وأخذ على الطالب العربي انه لم يعرف الحقيقة ، أما ما هي تلك الحقيقة ، فهذا ما لم يقله لنا الاستاذ سليمان ، فليته يضع اصبعه على الدمل ويقول هنا العلة .

وقصارى القول ان الاستاذ سليمان فاهم اننا :

نعيب « لساننا » والعيب فينا وما « للساننا » عيب سوانا

وتحدث الاستاذ روكس بن زائد العزيزي تحت عنوان « كتب أعجبتني » ولكنه غالى جداً في وصف ما أعجبه حتى قال: « وكأنه وحي من الوحي». بالغ ابن زائد في الاطراء فمشى في حديثه على سنن القدماء ، وكال مثلهم الثناء بالمد . انه لم يجد في الكتب التي أعجبته غير الجمال وهو معذور لأن عنوان حديثه « كتب اعجبتني » .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وكان الكتاب الذي راجعته الدكتورة سهير القلماوي مفيداً جداً للآباء والأمهات والمربين . عنوان الكتاب « الطفل الحر » ويقول مؤلفه ان مهمة المربي هي أن يزيل الشذوذ ، وان التربية الحديثة هي انماء الشخصية .

اذا صحت عند بعضهم هذه القاعدة ، قاعدة ترك الطفل يركب رأسه ، حتى اذا ما شجه رحنا ننصحه ان لا يعود لمثلها ، فهي ، في نظري ، لا تصح عند الكثيرين ، فأنا أرى أن لا بد من الجز لتكوين شجرة بستانية .

وفي موضوع الكتاب الذي لخصته الدكتورة سهير قلماوي تناقش الاساتذة حسني فريز وراجي عبد الهادي وفايز الغول ، انهم ثلاثتهم يضربون في التربية بسهم ، فتحدثوا عن البناء الذاتي ، وكان للمستمع من حديثهم فائدة ومتعة .

أما النقيب حركة ، وهو شخصية الأسبوع ، فقد استحق شكر لبنان . قدمه الاستاذ نجاتي صدقي فأفضى هو الينا بجميع المعلومات المسلكية التي تهم المستمع ، فأضاف القول الى العمل الذي أشاد بذكره .

وكان حديث « بيني وبينك » بين الاستاذ محيي الدين النصولي والسيدة أمينه السعيد ، وكلاهما شهير في دنيا القلم والفكر ، فزود المرأة بنصائح قيمة، حلاوتها في صراحتها .

وفي روضة الشعر اسمعنا خيامنا العربي الشاعر التائه احمد الصافي النجفي شعراً خيامياً من ترجمته فجاء كأنه مشتق من روحه النبيلة .

روى الصافي عن الخيام ما ترجمته :

اذا كنت تجزي الذنب مني بمثله فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي

يذكرني هذا وكثير من مثله في شعر الخيام بقول مار افرام السرياني، وهو أول من شق طريق اسقاط الكلفة بين الشاعر وربه ، ولست أحسب الخيام إلا مطلعاً على شعر افرام الذي كان معروفاً في عصره .

وسمعنا من الشاعر سعيد عقل مقطوعات من شعره الرائع ، ولا شك في انها راقت لمن سمعوا وفهموا، وعلى كل فسعيد لا يعنى إلا بالنخبة ، أكثر الله منها بيئتنا لنتمتع بمثل هذا الشعر الصافي .

ان قصة « بين القبور » للاستاذ عز الدين المناقلي تشكو من السرد الذي يحول دون اطراد السير ، فتنقلت قصة المناقلي ببطء ولم تبلغ الهدف إلا منهوكة ، فليته ينعشها ثاني مرة بتصوير شخوصها تصويراً ناتئاً، وباللون المحلي الخاص لا العام .

النقـد الرابع والستون

٧ / ٤ / ١٩٥٤

اذا فات محطة الشرق الأدنى تكريم الاستاذ محمد كرد علي في حيـاته فلم يفتها ان تكون السباقة الى تكريم ذكرى وفاته الأولى .

منـذ عامين فكرت المحطة باقامة حفلة تكريمية كبرى في بيروت لهذا الفقيد العظيم ، ولما عرضتُ عليه ذلك أجاب ، رحمه الله : اجلوها الى مـا بعد الوفاة . وقضى الله ان يموت كرد علي صاحب « خطط الشام » ومجـلة المقتبس ورئيس المجمع العلمي العربي ، وألا نسمع صوت نابس بعـد وفاته إلا صوت الاستاذ روفائيل بطي الذي سألته المحطة ان يتحدث عن فقيد العروبة والشرق .

لقد وفاه الاستاذ بطي حقه ، وان لم يكن كله فجـله . فالرجل كان صديق العـلم والأدب حيث كان وان اختص الشام بالحب الشديد فكتب خططها . كان الاستاذ الرئيس كرد علي ملء دنيا العرب فلم يدع موضوعاً فيه فائدة لأمته إلا طرقه ، ولكننا نحن الذين انتفعنا بآثاره لم نكرم ذكراه التكريم اللائق بعالم عامل ، حرث حقل الثقافة وقضى ويده على محراثه .

لم تخط يد الفقيد حرفاً الا لغاية قومية.عاش لأمته ومات في سبيلها شهيد يراعه ، لم يبـال بالضغط الشرياني لأن دم العروبة يغلي في شرايينه ، فـات تاركاً لنا ميراثاً خالداً عشرات المجلدات . أجزل الله ثوابـه واعـاض القطر الشامي علاّمة عاملاً يسد مسده .

كان الاستاذ عبد الحليم عباس صريحاً جداً في حديثه «خبراء في السياسة» فأبدى آراءه بوضوح لا مواربة فيه ، وإن كانت السياسة تقتضي اللف والدوران . فهل يسمح لي الاستاذ عبد الحليم أن أقول ان حديثه «أعجبني» جداً ؟ وليته يتحفنا دائماً بمثله !

وعقد الأستاذ رشاد بيبي ندوة نسائية مع الآنسة رشيقة العمري ورفيقاتها، ودار الحديث حول فشل المرأة في دخول الندوة النيابية ، ولعل هذا الفشل كان مقدراً ، فالجلسات عندنا حامية الوطيس بدون نساء ، فكيف بها متى كانت للمرأة يد فيها ؟

وفي العراق عقدت جلسة مختلطة من الآنسة عالية والأستاذين أكرم شكري وعطا صبري ، فعاد بنا البحث ستة آلاف سنة الى الوراء ليرينا المدرسة الصومرية الفنية، ويربطها بالمدارس التي جاءت بعدها وأخذت الكثير منها مع بعض تحوير . وهكذا عرف من يهمه الأمر، تاريخ الفن منذ كان حتى الساعة . حقاً ان المشرق بأسره متحف فني يذكرنا بقول شوقي :

هذا الأديم كتاب لا كفاء له رث الصحائف باق منه عنوان

وأنشد السيد رشيد زيد الكيلاني قصيدة نونية طويلة النفس ضمنها حوادث حياته ، فأنبأنا ان اباه مات والأم كما نعلم حنون ، فنشأ على هواه وخسر كثيراً من التربية التقليدية . وليس الشاعر الكيلاني هو أول شاعر عربي كان ضحية اليتم .

ذكر الاستاذ ابنه الذي فقده فقال في رثائه :

. . . . وهل يبرد الحشا رجائي ان ألقاك في العالم الثاني ؟

انه رجـــاء يا استاذ ! ولولاه لا تعزية للسواد الأعظم من الناس . وقد أجاب على هذا كاتب انكليزي حين عزوه بهذا الرجاء فقال في معرض الكلام في قصته : انه أحب جسد ابنه لا نفسه الخالدة . لم يضعف قصيدة الكيلاني

طولها فبقيت متماسكة حتى النهاية ، ولكنه أنث الفردوس لا أدري لماذا ، مع أنه كان في الامكان التذكير . فلو قال وضمك فردوس بدلاً من « وضمتك فردوس » ، لجارى البلغاء وظل بيته سليماً معافى .

وأمـــا قصائد الاستاذ محمد هارون الحلو فديباجة التي عنوانها « دميه » متماسكة ، ولكن صورها عادية وان كان عنوانها دمية . أما وصف الوزة فحافل بالتخيل. جميل تشبيه الوزة العائمة بالزورق ولكن قوافي هذه القصيدة لم تكن كلها كما يجب ان تكون .

وحدثنا الاستاذ سعيد فهيم عما قامت وتقوم به الجامعة العربية من تعزيز للثقافة ، ونحن نشكر لها سعيها ، ولكن اذا ظللنا ولا منهج يوحدنا ، وكل منا يغني على ليلاه فلا عزة للثقافة فلنوحد المنـــاهج العامة ففي توحيدها عزتنا وكرامتنا .

وفي ركن الأدب اسمعنا الشاعر سعيد عقل اقصوصة عنوانها « بنت الملك والشاعر » . حدثت تلك القصة في صور وفي سالف العصور ، وسعيد مولع بهذه العاديات التي تنشر ميت الأمجاد لتبعث الهمة في الأحفاد . القصة طريفة قوية ، ولكن بعد الشقة بينها وبين المستمعين يفقدها شيئاً من روعتها .

٢١ / ٤ / ١٩٥٤

تحدث الاستاذ دوليب المهدي عن رفع مستوى التعليم العـــام في الشرق الأوسط ، فعالج بحثه معالجة خبير ، واقترح ان تذاع مناهج التعليم في الراديو لعلها تتوحد في الشرق الأوسط . ثم لم ينس يد الصحافة البيضاء على رفع هذا المستوى . ان كلمة رواها الاستاذ المهدي عن فيلسوف قال : ان العلم عملية تدوم طول العمر ، قد ذكرتني بالكلمة المأثورة ، ولعلها من صحيح الحديث : اطلبوا العلم من المهد الى اللحد. انني لا أرى شهادات هذا العصر، مهما سمت، إلا مفـــاتيح لدخول دار المعرفة ، وبقدر كدنا نكتسب . وبعد فماذا تنفع البرامج والمناهج اذا لم يكن لهـــا شباب يتطلب المزيد من العلم ، ومعلمون مدربون مخلصون لعملهم ؟ ان مستوى التعليم لا يرتفع ما لم يقم على أكتاف المعلمين الأكفاء. ولا بد هنا من الاستطراد الى ركن « اضواء على الشيوعية »، ففيه سمعت حديثاً عنوانه : تنسيق اتحادات الطلبة . اني أرى ان بطيختين لا تحملان في يد واحدة . فأشغال الطلاب بالشؤون التي تلهي عن العـــلم ، وخصوصاً السياسية منهـــا ، لا تلائم الطالب ، بل تفسد الغاية التي دخل المدرسة من أجلها . فالعلم يتطلب الانتباه الشديد ، والطالب المنضوي تحت لواء حزب ما ، يفقد وعيه العلمي وتستيقظ فيه النعرة العقائدية فتطغى على واجباته المدرسية . فاذا أرادت الحكومات ان تنشىء رجالاً وجب عليهـا ان تحول ، على الأقل ، بين الطـــلاب الثانويين والانضمام الى الأحزاب مهما سمت مبادئها .

ان التظاهرات والاضرابات التي يتهافت عليهـــا طلاب اليوم تعرقل سير التعليم ، فعلينا ان نضع حداً لهذه الفوضى اذا شئنا رفع مستوى التعليم في شرقنا وغير شرقنا ، واذا كنا نربأ بأبنائنا ان يكونوا مطايا للسياسيين ، وهذا هو سبب تدني المستوى التعليمي ، ليس في شرقنا الأوسط فحسب، بل في جميع أقطار المسكونة .

وكان حظ الزجل كبيراً اذ تحدث عنه في ندوة الشرق الأدنى الاستاذ الكبير الدكتور جبور عبد النور الذي درسه زمناً وكان موضوع اطروحته لنيل الدكتوراه. وساجله في هذا المضمار دكتور اديب هو علي سعد ، وشاعر مجيد هو الاستاذ احمد ابو سعد . أرّخ الدكتور جبور عبد النور الزجل اللبناني وذكر خصائصه ، واعترف الشاعر ابو سعد ، وهو صاحب ديواني « حمم » و « قصائد دافئة » بتقصير الشعر الفصيح عن العامي ، فقلنا وشهد شاهد من أهله... وقال الدكتور علي سعد ان الشعر العامي سائر الى الالتقاء بالشعر الفصيح ، واذا صح ما زعمه الدكتور كانت تلك الساعة نهاية الشعر العامي ، اذ يفقد هذا ميزاته ولونه ولا ينتفع ذاك من هذا اللقاء ، بل تخسر اللغـــة العربية لوناً أدبياً طريفاً حلاوته في سذاجته .

فليت كل من تسألهم المحطة ان يتحدثوا عن أدبائنا الغابرين يدرسونهم بهذا العمق الذي رأيته في حديث الدكتور عبـــد النور ، فقد سئمنا سير الحياة وخصوصاً تلك التي لا جديد فيها .

ورأت السيدة أمينه السعيد ، في باب « ماذا لديك » ، ان الزواج هو خاتمة المطاف عند الرجل ، أي بعد فراغه من المغامرات... وان في استطاعة الاناث وحدهن ، ان يضعن حداً لتلك المغامرات بأعراضهن ، وتقصير زمن الخطبة الذي يفسح أمامه في المجال متى طال ، وكثيراً ما يؤدي الى نقض ما ابرم من عهود .

وألقت الآنسة روز غريب حديثـــاً بمناسبة عيد الفصح عنوانه « جبل

الزيتون » فكان مطلعه أنيق العبارة ، ثم ألمت ، تقريبـــاً ، بجميع تعاليم المسيح . أمـــا جبل الزيتون فكان حظه من الكلام قليلاً ، ولعله من باب تسمية الكل باسم البعض .

وكان للفصح حظ من الأقاصيص،فكتب الاستاذ عبد الحميد ... اقصوصة فصحية كانت أقرب الى الحديث منهـا الى القصة . وترجم الاستاذ مبارك ابراهيم قصة طريفة « الوهم » فكساها حلة بيانية جميلة . أمـا قصة الاستاذ نجاتي صدقي فكانت محلية وافية الوصف الجميل للمحيط والشخوص ، ولكنني استكثرت على قروي لبناني ان يروي لابن أخيه وعن ظهر قلب كلاماً كثيراً من سفر نشيد الاناشيد ... وعلى كل حال انها اقصوصة جيدة ، وميزتها انهـا لا تصلح لكل مكان كأكثر الأقاصيص التي تـــذاع ، وهذا من عيوب الاقصوصة

٢ / ٥ / ١٩٥٤

كان الاسبوع الفائت اسبوعاً ثقافيـاً محجلاً في الجـامعة الاميركية ، وقد ألمّ الدكتور اسحق موسى الحسيني في حديث الشهر بتاريخ هذا المؤتمر السنوي الجليل ، ملخصاً بحوثه السابقة في دوراته الثـــلاث ، وحاثاً على استمرارها لتكون للعرب حيـــاة . وكان من حسن نشاطي ان حضرت جميـع الجلسات فعرفت جو الجامعـــة عن كثب وخلصت الى القول : ان جامعـة بيروت الاميركية هي الباب الاكبر لهيكل العقل والمعرفة في شرقنا الأدنى .

وكانت جلسة ندوة الشرق الأدنى في مصر ، ودار موضوع بحثهـا حول مسؤولية الأديب. هذا الموضوع الذي كثر البحث فيه هذا العام ، وكان محور المناقشات في مؤتمر الجامعة الأميركيـة . أما أنا فأظن ان المسؤوليـة تختلف باختلاف الشخصيات ، وليس لنا ان نقول لأديب اكتب في موضوع كذا .

وشخصية الأسبوع كانت الدكتور نخو النطاسي الاخصائي بمرض السل ، وقد اعجبني من هذا الحكيم انه لم يفزع المستمع من ذلك المرض .

وفي ذكرى الشاعر عبد المحسن الكاظمي تحدث الاستاذ عبد العزيز عريقات فكان محللاً للشاعر الكبير لا متحدثاً عن سيرة حياته ، وهذا لعمري ، خير ما يفعل في هذه المناسبات . قـــال الاستاذ عريقات : واحسب انه ، أي الكاظمي ، لو تمتع بشيء من الراحة لكان من أمره غير الذي كان . فلو قال الاستاذ : لو تمتع الكاظمي بشيء من الثقافة الغربية لصح القول ، أمـــا القلق

والشقاء والألم فهي عناصر مثيرة لقرائح الشعراء والكتاب، واني أتمناها لكل من يرجى خيره الأدبي .

وتحدث الأستاذ فؤاد صروف عن شاعر الهند اقبـــال في حصاد الفكر العالمي فكان كعادته حاصداً ماهراً قوي الساعدين ، حـاد المنجل في حقـل الأدب كما كان في حقل العلم . انه لم يتخلّ عن علمه في بحثه الأدبي فتحدث عن اقبال كشاعر عالم متصوّف فرأينا ان الشعر يستوعب كل موضوع اذا كان قائله ملهماً مبدعاً لا ناقلاً .

ومن احاديث الصباح احب ان أعيد نكتة جميـــلة من حديث صباحي عنوانه : « الشكر والصبر » . قالت امرأة جميلة لزوجها البشع القبيح : آمل ان ندخل الجنة معاً. انا ابتليت بك فصبرت، وانت أنعم عليك بي فشكرت، وللصابر والشاكر أجر عند ربّهما .

وفي ركن الأدب حدثنا الشاعر سعيد عقل عن شكسبير واللبنانية مارينا، فأثار عندي قضيتين : الأولى : اللغة العـامية التي قال ان شكسبير كتب بها متحدياً اللاتينية لغة الأقلام ، فكأن سعيداً اذ يذكر هـــذا يريد ان يعلنا بمستقبل العامية عندنا ، وأنا أرى غير ما يراه .

والثانية هي أن شكسبير قدس طهارة مارينا ، ولطهارة مارينا حكاية طريفة في التقليد الماروني اللبناني ، فهل عرفها سعيد وشكسبير يا ترى ؟

تقول اسطورتنا : ان مارينا تنكرت بثياب رجل ودخلت دير الرهبان باسم مارينوس، وبعد حين اتهمت بريبة فكان قصاصها ان تربي الطفل فرّبته، ولما توفي مارينوس عرف الرهبان انه راهبة لا راهب ، فأكبروا صبرهـــا وطاعتها . أنا لم أقرأ قصة شكسبير لأجلو الظن، ولكني أعرف ان شكسبير كان يتوخى مثل هذه العناصر المشرقية . فليحقق الأستاذ عقل هذه الرائعة الشكسبيرية التي تحدث عنها على هذا الضوء اذا شاء .

الاقصوصات – كانت اولاها للاستاذ سليم باسيلا وهي حافلة بالتعابير الانيقة والتصوير، لا ينقصها الا السير الفسيح الخطوات نحو الهدف،وبعكسها كانت قصة «اشجان عيد» للآنسة امينة قطب فهي ترمي الى هدف يرينا أن البنت صندوق مقفل كما يقول مثلنا ، وان الخل لا يعود خمراً ، فبينا كانت بطلة الرواية تظن انها تشفي من اختارته قريناً ، إذا به يجرها الى مهاوي نقائصه ، وقبض عليهما معاً في نادي القمار . فلو تم لهذه الأقصوصة جمال التعبير وبراعة السرد لكانت في المستوى الرفيع .

روضة الشعر – انشد الاستاذ احمد الشريقي قصيدتين اولاهما عاطفية رشيقة ، والثانية ميمية رصينة متينة شديدة الاسر ، فكأن الشاعر راعى النظير في الاخيرة وموضوعها المتنبي ، والكلام في المتنبي يستدعي شدة وقوة لأنه شاعر القوة .

واسمعنا الاستاذ خليل الخشالي الشاعر العراقي قصيده رائية متأججة العاطفة ، طويلة النفس ، تدل على طبع فياض واسلوب أنيق . وكذلك قصيدة «الفتنة السمراء» فهي ليست اقل فتنة من الرائية ، وان كانت قوافيها اقل غنى وروعة .

النقد السابع والستون

١٨/٥/١٩٥٤

قابل الاستاذ حسني فريز في حديثه «الآباء والابناء» بين السلف الصالح والجيل الطالع وذكر الامام علي بن ابي طالب الذي كان يخصف نعله ويحمل حوائجه ، فذكرني بذاك الشاب الذي كان يفتش عن حمال ينقل له حاجة صغيرة الى بيته ، فتقدم منه جورج واشنطن المتنكر وذهب بتلك الحاجة وسلمها لأم الشاب قائلاً : قولي لابنك ان عتاله كان جورج واشنطن . ثم دفع لها الاجر الذي اخذه من ابنها .

وحدثنا الاستاذ أنور احمد عن أثر المرأة في حياة كبار ادبائنا ، فاذا ببطلة قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم هي بنت الجيران ، واذا بتلك الرواية التي قامت عليها شهرة الحكيم هي ثمرة حبه الأول ، كما ان حبه الثاني كان في باريس ، وبرزت صورته ناتئة في «عصفور من الشرق» . ثم ذكر العقاد في قصته سارة ، والصاوي في «حياة قلب» ، والرافعي في «رسائل الاحزان» و«اوراق الورد» .

ألا رحم الله مي التي اثرت في الكثيرين ثم ذهبت هي ضحية واحد ...

وكان حديث الاستاذ اسمعيل الحبروك في ركن «بيني وبينك» نافعاً للامهات والآباء معاً ، فدراسة الولد وسياسته ومعاونته في شق طريقه نحن أحوج ما نكون اليها ، لأن الأطفال هم نواة المجتمع وشجيرات الروضة الانسانية ، فاذا ما أحسنا سياستهم وتوجيههم خلقنا ناساً في احسن تقويم . وحسناً قال الصاغ

اركان حرب كمال الدين حكيم لمقدمه الاستاذ محمد عـلوان في ركن شخصية الاسبوع انه أول ما يعنى به هو تربيته بنيه ، ولو ان كل واحد قد فعل فعله لخدم وطنه اجل خدمة ، فالوطن برجاله .

وتحدث الاستاذ رافائيل بطي عن الصحفي العراقي ابراهـيم صالح شكـر واسلوبه ، فعرّفنا بشخصية ادبية كنا نجهلها ، فهل لي ان اسمي الاستاذ بطي محيي الموؤودين بعد ما رأيت من عنايته بمن لا يذكرهم احد ؟

اما اطرف الندوات فكانت ندوة الكاتبة المجاهدة السيدة أمينة السعيد . كانت تلك الجلسة حملة شعواء على الرجعيـين المقاومين لحقوق المرأة . أدلت السيدة امينة ورفيقتها بالحجج الدامغة التي تؤيد تلك الحقوق ، حتى اذا أدت بهن خاتمة المطاف ، الى الطـلاق ، رفعت السيدة امينة السعيد الصوت جهرة مطالبة بالتعويض للمـرأة متى طلقت عملاً بقانون العمال والموظفين ... انهـا صرخة مؤلمة ، والجمرة لا تحرق إلا في موضعها كما يقول المثل عندنا ...

فالى السيدة امينة اقول : الى الامام ، واذا لم تفلحي في صومتك الأولى فتذكري ان دودة القز تصوم اربـع مرات لتكسو الناس خزاً وديباجاً ...

واقصوصة الآنسة انجل عبود حسنة السياق لولا ان الآنسة كانت تجعل نصف الجملة من الفصيح والنصف الآخر من العامي. « دخلك يا ستي، كم يساوي هذا الكتاب» . فالحوار إما ان يكون فصيحـاً كله او عامياً كله . وليس طريفاً ان تتـكلم الخادم بلغة العوام وتجيبها سيدتها بلهجة خواص الخواص .

اما شعر الاستاذ عبد النور ابراهيم فـكانت قوافيه من التعابير الجاهزة ، لا تبقي ولا تذر . وفي خدها صعر . وفي الجملة كان الشاعر شديد التأثر بالقديم، فجاء نسجه شديد الاسر ولكن الخيال فيه نادر .

النقد الثامن والستون

١٩٥٤/٦/٢

كان لرمضان المبارك حظ وافر من المنهاج ، فمن جلسات عقدتها نـدوة الشرق الأدنى الى احاديث فيهـا العبرة والذكرى ، وقد كان حديث الاستاذ محمد قدورة انيق العبارة بليغهـا ، فبرزت فيه الأفكار على عتقها وقدمها كأنها جديدة ، ولهذا قيل ان من البيان لسحرا .

اما الجلسة التي عقدها الدكتور محمد صلاح الدين والغزالي،فكان لابن الرومي الحظ الاوفر منها ، كما في العام الفائت ، فهذا الشاعر النهم الذي لا يصبر على الأكل لا يستغرب منه هجو شهر الله .

وهناك موسم آخر هو مؤتمر الدراسات العربيـة الذي كان حديث الشهر كله . فهذا الاستاذ خليل هنداوي يتحـدث عنه وعن نشاط الفكر في شهر نوار ، فيلمّ بكل ما حدث في دمشق وحلب والقـاهرة ، ولم ينس حديث الدكتور طه حسين عن ادبنا القديم وارادته جعل الأدب انسانياً .

يا مصيبة الأدب ! فكل واحد يريد ان يحوله في مجرى ، مع ان الأدب لا يعرف القيود . وليس لنا ان نكلف الدكتور طه ان يقول ما نريد بل من حقه هو وحده ان يقول ما يريد بشرط ان يخرج ادباً يبقى فالجاحظ حين تحدث عن الذبان والقاضي ابن سوار ، وعبـد الرحمن آكل الرؤوس ، وفلان صاحب العقار ونضاله مع المستأجرين ، لم يفكر في الانساني وغير الانساني. وأدب نشيد الأناشيد ، وهو حديث قلب خالد اين نضعه يا ترى ؟

وفي جلسة ندوة الشرق الأدنى في بيروت تحدث الدكتور نقولا زياده مع الاستاذين تيمور وجبور حول محاضرتيهما في مؤتمر الدراسات ، فلفت نظري قول احدهم ان « في الصيف ضيعت اللبن» قصة عريس رُفض ، مع انها قصة زوج شيخ ابغضته زوجته فطلقها وتزوجت فتى جميـــل الوجه ، واجدبت السنة فبعثت المطلقة الى زوجها الأول تطلب ناقة حلوباً فأجابها : في الصيف ضيعتِ اللبن ، لانها طلقته في ذاك الزمان .

ويعد فالمثل لا يعد قصة ، والقصص موجود عندنا ، ولكن في زي غير ازياء اليوم ، والأزياء تتبدل داغاً ، وقد يأتي زمن تعد فيه قصص اليوم كما تعد المقامات وقصص التوراة .

وتحدث الاستاذ نقولا شاهين عن القنبلة الهيدروجينية فكان حديثـــاً جامعاً للتاريخ والتعريف بالطاقة والذرة والكهرب، فأفاد المستمع الذي بات ينتظر قنابل أقوى كما وعده الاستاذ .

وتحدث الاستاذ سعيد عقل في ركن الأدب فألم بفعل الخلق ، والهو وما هو ، ومثل المرآة ، وخرجت اخيراً من هذا الحديث وانا لا أدري اذا كان سعيد عقل يريد ان « يؤدب » الفلسفة أو يفلسف الأدب !

وتحدثت الشاعرة نازك الملائكة الى الآنسة فوزية ... التي قدمتها شخصية اسبوع ، فقالت نازك انها ساهمت في تجديد الشعر المعاصر . فاذا كان التفلت من قيود القافية والوزن تجديداً في نظر بعضهم ، فهو عندي رجوع الى قديم لم يطل عمره ، واقول للشاعرة نازك التي استغنت عن عتيقها ان جديدها لا يبقى لها ، فهي شاعرة «عاشقة الليل» فحسب .

وقالت الآنسة لمحدثها انها تكتب القصيدة بجلسة ولا تنقحهـــا ، فليتها تنقح وتنقح ليبقى شعرها ، فالفن عمل وجهد مستمران .

وفي حصاد الفكر العالمي تحدث الدكتور حكمت هاشم عن اللذة وذكر

اندره جيد ، وقد عجبت كيف نسي ابا نواسنا مع انها صنوان وفرسا رهان في هذا الميدان ...

والاستاذ عصام حمـــاد قال شعراً كالرمزي ، ولكنه لم يوفق كثيراً الى الألفاظ التي توحي .

أما قصة « زوجتي لورا » للدكتور علي سلمـان فتعبيرها عربي لا ينم عن ترجمة ، بينما نرى حوادثها تشير الى غـير ذلك . اراد الدكتور أن يقول كل شيء فأساء إلى قصته ، مع ان عمل القصصي هو ان يشذب الزوائد ، ويعنى بتصوير المكان والشخصية وهذا ما أقل منـه الدكتور حتى اننا لم نعرف من لورا غير اسمها . وقصة « الصورة الضائعة» للدكتور .. وصف لحالة شبابنا في باريس حيث تتكاثر الظباء على خراش... واني لأعجب كيف يتعلم شبابنا في مدينة النور اذا كانت هذه حالهم . القصة حكاية حال وما اكثر الحكايات التي هي من هذا الطراز .

وفي ركن « ازواج امام الميكروفون » اقول للآنسة سميرة عزام انه اذا جاز لها ان تتحدث مع الآخرين باللغة العامية فلا يجوز لها ذلك مع الدكتور جبرائيل جبور رئيس دائرة العربية في الجامعة الاميركية ، فآمل ان تراعي فيما بعد مطابقة مقتضى الحال .

النقد التاسع والستون

١٩٥٤/٦/١٥

فؤاد صروف شخصية عام لا اسبوع ، فهذا الدمـــاغ المنتج الذي يفيض علماً وادباً وتفكيراً لجدير بأن يقـــدم للجمهور الناطق بالضاد ، وان كانت المقتطف والمختار قد حملتا علمه وادبه الى كل قطر ، فان كتبه العديدة عبرت عن شخصية تكونت على مرّ السنين من خلاصة العـلم . ان البيت الشرقي يداً كبرى في تكوين الشخصية ، وبيت صروف بيت علم عريق فهو الذي نشره في البيت العربي يوم كان من يحسن الاطلاع على العـــلم في مصـادره الأصلية نادراً جداً .

اما كتابه «على الطريق» الذي اتخـذ مناسبة لتقديمه شخصية اسبوع فهو سراج للذهن ، وما كان ليفوت الاستاذ صروف ان يضيء سراجاً في هيكل العلم كل اسبوع ، فشكراً لمحطة الشرق الأدنى التي تعرفنا دائماً الى شخصيات فذة ، كالاستاذ صروف الذي هو خير قدوة لشبابنا المتحفز للوثوب.

وفي ركن « مع العامـلات » أعجبني نقد احداهن للمدرسة لان المعلـــين والمعلمات لا يرغبون في الدرس ، ولهـــذا نفرت تلك العاملة من مـدرستها وانصرفت الى العمل .

لقد أحسنت يا اختاه، فالعمل نتيجة كل درس ، وما عليك اذا اختصرت الطريق .

وفي حديث « خواطر في العيـد » أحسن الدكتور اسحق موسى الحسيني

شرح مشاعر الاسلام ودعائمه ومغزى الصوم والعيد والصلاة والمحرمات، فأفهم المستمعين أن العيد ليس اكلا وشرباً ولبس جديد، بل بر واحسان ومعروف.

اما «رسالة الزعيم» للاستاذ محمد أديب العامري فذكرتني برسالة عبدالحميد الكاتب لولي العهد ، وقد كان اولى بعنوانهـــا ان يكون «صفات الزعيم» لا رسالته . احسن الاستاذ العامري حين اطلق لقب « مهندس الافكار العامة » على الزعيم ، وقديماً قال ابن المقفع في رسالة الصحـــابة : ومتى صلح الامام اصطلحت الرعية . اما أمثال بلدوين الذي أوصى بقسم من ثروته للامة فليتنا نفوز بواحد من هذا الطراز فيشق الطريق لزعماء الشرق .

وشاء الاستاذ عبداللطيف شراره ان يتحدث عن حقيقة الصوم والفطر فلم يوفق في حديثه توفقه في احاديثه الأدبية وغيرها ، ويا ليته حدثنا فيما يحسنه.

وقال الاستاذ فايز الغول ان الجاحظ كاتب واقعي لأنه لم يشبّه ولم يستعر، وانه كان يدوّن ما يرى، كما فهمت من حديثه، فأنا ارى أن الجاحظ خلاّق وهو كالقصصي يلتقط قصته ثم يصنع شخوصها في معمله فتخرج منه وعليها ماركة الجاحظ المسجلة التي لا تقلد . ليس الجاحظ في واقعه مصوراً شمسياً ، ولكنه رسام يدوي ينفخ روح فنه في شخصه فتحيا الى الأبد . فليس عبدالرحمن وابن سوار إلا من مصنوعات الفابريكة الجاحظية .

وفي روضة الشعر خرج الاستاذ موسى الدجاني على المألوف فعرفنا بشاعر الروضة الاستاذ حسين غناي . الاستاذ شاعر ولكني رأيت ، بـــل سمعت اضطراباً في «عروض» قصيدته «عمر المختار» ، كقوله مثلاً :

اذا عد عمرو وابن الوليد وعقبة ثم صحـــابته
فقول الكتاب له مبـــدأ وصوت السلاح سياسته
وعلمهم ان وكر النسور حرام على البوم وطأته

أما قصيدة «اشواق ولقاء الحبيب» للانسة مقبولة الحلي فأخال انني سمعتها

من قبل ، وقد يكون في الدنيا خداع السمع كما يوجد فيها خداع البصر .

وكذلك قصة « مفاجأة» للاستاذ كمال منصور ، فقد سمعتها أيضاً، واقول فيها الآن ان ختامها جيد وهو الذي اعادها الى ذاكرتي . لقد أحسن منصور توجيه حكايته الى الهدف بزخم ، فجاء الختام صاعقاً رائعاً ، كما أحسن ايضاً تحديد شخصية نوال ، بطلة القصة . والتعبير جيد ايضاً لولا تلك العبارات العتيقة مثل : يشار اليه بالبنان ، وعلى أحر من الجمر ، وغيرهما . ان التعابير البلاغية التقليدية خطر على الفن ، فكثرة تكرارها صيرها مبتذلة . والى جانب هذه العبارات البلاغية عبارات غير فصيحة كقوله : اطمئن على انها ، ففعل اطمأن هذا يتعدى بإلى . وكقوله ايضاً : عاودت أدراجي ، والصواب عدت .

اما قصة الاستاذ زهير ميرزا فجيدة التكوين والقص، وان كانت سندبادية من طراز حديث .

النقد السبعون

١٩٥٤/٦/٣٠

مباركة كانت تلك الساعة التي دعا فيها فخامة الرئيس الدكتور شمعون ، الاستاذ عبدالله المشنوق لمرافقته في تلك الرحلة السعيدة ، فلولا تلك الدعوة لم نقرأ تلك الفصول الطريفة في بيروت المساء ، ولم يكن هذا الحديث الممتع في محطة الشرق الأدنى التي لا تفوتها مناسبة . حدثنا الاستاذ عبدالله عن تلك الأم المنجبة ، ام السبعة ، وكلهم عظيم ، كما قالت بنت الحوشب في بنيها . ثم صور لنا اميركا الجنوبية وعظمتها وبروز الجالية اللبنانية فيها حتى لم نعد نستغرب قول الاستاذ انه لم يحتف برئيس بلاد قط كما احتفي بالدكتور كميل شمعون ، فالمرء يعز بقومه ، وجماعتنا هناك اعزة . كل ما اعلنه الاستاذ يفرح ويسر إلا نبأ تقهقر لساننا العربي هناك ، والخوف من توقف العصبة الأندلسية كما توقفت من قبل مجلة الاندلس الجديدة .

وفي السودان عقدت جلسة ادبية أدارها الاستاذ مبارك ابراهيم ، فكان فيها موجهاً بارعاً ، له نقدات صارمة ، فجاءت تلك الجلسة فريدة في اتجاهها الجديد . الشعر الذي انشد فيها كان ينظر الى القديم تفكيراً وتعبيراً وصورة، ولكن العاطفة الحارة فيه ادبّت اليه الحياة . اظن ان تلك التعابير العتيقة مثل : شالت نعامته ، كما قال احدهم ، لا توحي الينا اليوم شيئاً ، واحسب ان شاعر اليوم ينطق بها ولا يحسها ، فهي لا تملأ الفراغ الذي سدته في الأمس البعيد .

قال احد شعراء الجلسة بيتين رائعين في السواد، ولعل صباغه محكم لاينصل. قال ان سواده رمز حداده ، فذكرني بمحمد امام العبد الذي اجاب من لامه على تركه الزواج بقوله :

انا ليـل وكل حسناء شمس فاجتماعي بهـا من المستحيل

لقد كانت للسواد يد على خيال الشعراء منذ عصر عنترة حتى اليوم ، كما كان البياض أيضاً خالقاً صوراً شعرية شتى ، ومنها هذه الصورة :

اذا كان البياض لباس حزن بأندلس فـذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شعري وذاك من الحداد على الشباب

والشعراء في كل واد يهيمون .

وتحدث الاستاذ ربحي كمال عن اللغة والأدب ، فقال ان الثروة اللغويـة ضرورية للكاتب والشاعر . ان هـذا صحيح ولكن نحن اشد حاجة الى من يحسنون انتقاء تلك الالفاظ. ويحكمون القران بينها . حدثنا الجاحظ في بيانه وتبيينه ان العرب قالت بمن لا قران بين كلامه : كلامه كبعر الكبش .

ان الثروة اللغوية ضرورية ، وانما الشرط الأول في تلك الثروة هو ان تكون مما ينفق في سوق هذا العصر . كان اناتول فرانس في آخر عمره يطالع المعجم القديم ويرى في الكلمات كائنات حيـة ، ولكن بين هذه الكائنات ما يجوز لنا ان نبعثه حياً ، ومنها ما يجب ان يظل مقبوراً . ليست الكلمات في التأليف الا رفيقات سفر ، وشرط المرافقة الموافقة .

وفي حديث الشعر روى الاستاذ ابو سعد ما قاله تيمور وغيره حول عمل الأديب. ان رسم الخطط هين ، اما العمل فصعب ، ناهيك ان الأديب، شاعراً كان أم ناثراً ، لا يرشد الى ما يعمل.

والاستاذ محمد العثمان تحدث عن جو الأدب وثار على تلك الألقاب الفارغة

التي نتمنطق بها منذ سنين فنقول : امير الشعراء ، وشاعر الأقطار العربية ، وشاعر النيل الخ .

نعم يا سيد عثمان، انها افرغ من الطبل وها هي قد ماتت ولم يبق لأصحابها بعدها إلا ما لهم من الشعر الصافي . ان التاريخ هو ذلك القاضي القديم الذي لا تعرف محكمته المحاباة .

وحدثنا الدكتور محمد يحيى الهاشمي عن طفل نبغ في الرياضيات وهو في العاشرة من عمره ، فكان لا يستعين بالورقة والقلم حين يحل عملاً . لم استغرب ذلك لأني رأيت بعيني مثل هذا الفتى . كان عندنا ولد مات في الحرب الأولى جوعاً ، وكان يسبق الرياضيين المستعينين بقراطيسهم واقلامهم ، فكم من نوابغ عندنا كان حظهم رعاية البقر ثم ماتوا وما عرف احد ما مات معهم من عبقرية.

ليس «سر العصفورة المنتحرة» للاستاذ سعيد عقل الا قصة . أقول هذا لأن قارىء منهاج المحطة كان ينتظر أن يسمع في ركن الأدب حديثاً عنه من احد اركانه . انها لقصة فنية جميلة جاء جمالها في تلك الحالة الأرجوانية التي كساها اياها سعيد ، وان كان لم يعجني منه ، وهو يكتب قصة ، ان يقول : ان زوجه ماتت .. أليس على سعيد ، وهو من دعاة العامية عندنا ، ألاّ ينفر من فصيح العوّام ويقول زوجته ؟

وقال الاستاذ رشيد زيد الكيلاني شعراً في الغزل والحكمة ، ولعل قصيدة «المصافير» اجود ما انشدنا ، كما ان هذا البيت الذي علق بذاكرتي هو اجود بضاعته الغزلية :

مولاتي الحسناء لي قلب وليس لي اصطبار

الصبر مفتاح الفرج يا سيدي ، وعسر النساء الى ميسرة كما قال بشار ، الخبير الفني .

كانت قصة «مالك الحزين» خير اقاصيص هذه الفترة ، كتبها الاستاذ احمد

سويد في اسلوب طريف . التصوير بارع تام ، ولكن في الاستاذ رغبة ملحة في جمع المقابح ليدمغ بها ابطاله اشد من رغبة هواة طوابع البريد . وهو ايضاً يتكلم دائماً عن بطله ولا يترك له مجالاً ليعبر عن نفسه ، ولعل هذا من خصال المحامين ...

اني أتمنى على المحامي احمد سويد ان يستوحي عمله ، فكم في المحاكم من قصص تعرض كل يوم وفيها لأصحاب الاقلام مرعى خصيب ، ونحن الى هذا اللون القصصي مفتقرون .

النقد الحادي والسبعون

١٩٥٤/٨/١٢

انشد الاستاذ فؤاد عباس ، في روضة الشعر ، مطولة رائية جيدة،انمشها تنوع مساقها والتفاتات تسترعي انتباه المجتمع ، ثم تلتها لامية في البحر عينه، ولكنها دون الأولى جودة .

اما الاستاذ عبد النبي عبدالقادر مجداوي فجمع في قصيدته التائية قوافي لا تلاؤم بينها كقوله : اناتها ، وضيعتها ، وحياتها ، وطلقتها ، وحطمتها ، وهذا من عيوب القوافي ، فالشاعر الذي يؤسس قصيدته على الألف لا بد له من التزامها في القصيدة كلها ، وهذا العيب يسمى سناد التأسيس . فشوقي ، على رغم ابداعه ووثباته الى أعلى ذرى الفن في تائيته « لبنان » لم يغتفروا له سناد الردف حين جمع بين قوته وملكوته ، وقنصته وزخمته .

وتحدثت السيدة صفية فراج عن المرأة المقلدة ، وحسناً صنعت ، لأن التقليد آفتنا ، وقد كرهه العرب فضربوا المثل بالغراب والقطا، فقال شاعرهم في ذلك :

ان الغراب وكان يمشي مشية ... فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطا وأراد يمشي مشيها ... فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها ... فلذاك سموه أبا مرقال

نعم لقد أفقدنا التقليد لوننا فصرنا لا غربيين ولا شرقيين .

وفي ركن الأدب تحدث المحامي فؤاد طرزي عن المذاهب الأدبية في

الأدب الغربي فلحن كثيراً حتى خلت ان العجمة قد سرت اليه من موضوعه. ومما أذكره من لحنه جره كلمة اقاح بالفتح ، فكأنه حسبها ممنوعة من الصرف لانها من صيغ منتهى الجموع ، وهي ليست منهـا . اما البحث فليس فيه الا ما يعرفه كل متأدب .

والاستاذ حسني فريز ارتفع في مطلع حديثـــه عن «المتاعب» الى ذروة عالية من البيان ، ولكنه مشى على الطريق المعبدة حين تبسط . وقد احسن حين قال : « ان القوى العادية لا تستطيع ان تأمر الجفن بالمنـام ولا القلب بالهيام ، ولذلك تظل القوى الروحية هي السائدة » .

لا أدري اذا كان هذا من كلام الشعراء لا العلماء ، فأنا غير متضلع من هذا الموضوع لاشايع الاستاذ حسني على تعظيم شأن القوى الروحيـــة والشعور بتأثيرها الغريب في مجاري حياتنا .

ولخصت السيدة اسمى طوبي كتاب «نساء صغيرات» فأحسنت عرضه على الناس ، وان كان مثل هذا التلخيص يعرفنا بالفكرة لا الفن . فـكم من فكرة يبدو جمالها حين يحسن عرضها على الناس . فتلخيص الاثر الفني ، وخصوصـاً ما اعتمد منه على الأسلوب، يشوّه ذاك الأثر ويعفي معالم حسنه ، واذا كانت روائع الروايات الملخصة في كتـاب تفقد الكثير من ملامحها الفنية ، فكيف بكتاب يلخص في ثلاث صفحات أو اقل؟ ليس هذا النقد موجهاً الى السيدة طوبي التي قامت بعملها على وجهه الأتم ، ولكنه كلام موجه الى السامع لئلا يكتفي بهذا الصندويش الذي لا تستطيع المحطة ان تقدم اكثر منه .

وتكلم الاستاذ محمد احمد الخناوي في ذكرى الامام محمـــد عبده وتلميذه المنفلوطي ، فبذل جهداً موفقـاً في التعريف بهذين الجهبذين حتى جاء ايجازه غير مخل . وكان شيخنا الاستاذ عبدالله العلايلي شخصية اسبوع بمناسبة صدور كتابه المعجم ، فأفاض الاستاذ العلامة في التعريف بكتابه الفريد،وجلا بعض

ما غمض على الادباء من دقائق هذا الكتـاب الفذ . وكما قدم الاستاذ اسامـة عانوتي الشيخ عبدالله ، كذلك شارك الاستاذين محمود تيمور وعبدالله المشنوق في طوافها حول الاقصوصة . قال الاستاذ مشنوق انه لم يكتب القصة ، وقد نسي انه يكتب قصتنا ، يومياً ، في بيروت المساء، وبأروع اسلوب قصصي، ناهيك ان الاستاذ عبدالله عينه هو اروع قصة حية . قال الاستاذ عبدالله، أو غيره ، ان محمود تيمور هو رائد القصة الأول ، مع ان جبران كان اسبق اليها منه ومن اخيه محمد أيضاً .

لم اتعجب من تعجب تيمور حـــين سمع الاستاذ المشنوق يطري مضيرية بديع الزمان ، فقد رأيت من تيمور ما هو أدهش ، سمعته يحشر احمد فارس مع ناصيف اليازجي ويعده من كتاب المقامات .

وفي عرض الحديث قـــال تيمور ان قصتنا تأثرت اولاً بالأدب الغربي ثم استقلت . فهل نسي ان الأدب الروسي تأثر أولاً بالأدب الفرنسي، وان كبار قصاصي الروس كانوا مقلدين لاولئك؟ ان الأديب يولد اديباً ، ولكن المطالعة تجلو عرقه الأصيل، وتوقظ ما كمن في ذاته من اسرار فنية ، فلا نتعب انفسنا في السؤال كيف نكتب القصة .

وفي قصة « في السينما» اكـثر الاستاذ محمد روحي فيصل من القول : « كما ستعلم في نهاية القصة» . مع ان القصصي لا يشير كالمؤرخ الى مثل هذا ، انه يقص فقط ، وليس عليه ان يدل احداً على شيء .

وقصة الاستاذ اسمعيل الحبروك لا يشينها غير اللحن في قراءتها . فحبكتها وسياقها وتطور الموقف جيدة كلها .

قالت امرأة بطل القصة انها تقتـــل من يخون زوجته اذا رأته متلبساً بالجريمة ، وحين رأت زوجها كالمتلبس بالجريمة لم تفعل شيئاً . حسن جـــداً

ان نجنح بالابطـال عن الطريق المرسوم الى حيث لا يظن المستمع ، واحسن منه ان نصور العراك النفسي كما رأيناه في ختام قصة الحبروك .

وفي سلسلة «المرأة في حياتهم» روى الاستاذ انور احمد عن ابراهيم لنكولن انه قال لمهنشيه : هنئوا امي .

واني اقترح على الاستاذ انور ان يتحدث عن المسيئات ايضاً ، ثم لا ينسى ان يقف على رأي لنكولن في زوجته التي رشقته بكوب الشاي المغلي...

النقـد الثاني والسبعون

١٩٥٤/٧/٢٨

الشعر والقصة هما شغل الادباء الشاغل . سهل جداً على الأديب والمتأدب أن يعالج بحث المقاييس ، ولكن العمـل صعب ، ولذلك قال المثل : الحرب في النظارات هينة . اننا محتاجون الى من يعمـــل ، لا الى من يرشد الشاعر والقصصي الى ما يعمل . فلو حاول أعظم مهندس أن يبني مدماكاً واحداً في قصر وضع هو تصميمه الرائـع لبدا له ضعفه تجـاه ذلك البنـّاء الامي . فاذا أردنا أن يكون لنا قصص رائع وشعر رفيـع ، فلنحاول النظم والكتابة غير مبالين بما يرسمه لنا هذا وذاك من خطوط ، فالفن يولد ثم يقاس عليه .

أقول هذا بمناسبة جلسة عقدت برئاسة الدكتور ضيف وبحثوا فيها موضوع تجديد الشعر . سمعتهم يتحدثون عن الأوزان ويقيمون لها وزناً كبيراً، حتى ذكروا ان الاستاذ رئيف خوري نظم قصيدة على عـدة أوزان ، وانا اذكر منذ نصف قرن تقريباً ان شيخ العربية المعلم عبدالله البستاني عمل مثل هـذا الكوكتيل في رثاء الشيخ ابراهيم اليازجي .

وبعد فلست أرى في الأوزان معضلة شعرنا الكبرى ، ولا يكون تجديد الشعر في التمرد على اوزانه ، او خلق اوزان جديدة ، فالخليل هو ابو الوزن وليس لشعره أقل وزن . . وقد ادركت العرب هذا فميزت شعر العلماء من سواه . الوزن له شأن كبير ، خصوصاً في الشعر العربي : ولكن تعبئة تلك الأوزان هي أهم جداً . فليس الشعر في موضوعـه ولا في وزنه ولا في تحليل

التجربة ، ولكنه في تزاوج الألفاظ ، وفي الفكرة التي يبرزها الشاعر في اجمل حلة . وليست القافية هي العقبة في سبيل ابداع شعر صاف ، فحيث يكون الطبع الصحيح او القريحة، كما كانوا يقولون، لا تحس ان هناك قافية. فالشاعر غير المعلم المعماري الذي يضع الزاوية أولاً ويبني عليها مدماكه ، فاذا شئنا ان نقول شعراً جديداً ، علينا ان نفكر بغير عقلية أسلافنا .

اما موضوع القصة فعالجه الاستاذ عز الدين المناقلي تحت عنوان «القصة الحية» فحسب حساب العين النفاذة التي تلتقط ما حولها ، والقلب الذكي، واللغة ، والعرض ، والتحليل ، واخيراً العقدة . نظريات جيدة ولكنها لا تنفع إلا قليلا حين يبدأ العمل الفني . القصصي كالشاعر يولد موهوباً ، وكثرة السنين لا تخلق قصصياً . فرب انسان كتب القصة طوال عمره ولم يلمع نجمه ، ورب آخر كتب قصته الأولى فطارت شهرته ، وهناك قصصيون مشاهير لم يأبه لهم أحد في أول الشوط ، ولكنهم ما انفكوا يعملون حتى استولوا على الأمد بعد حين . فلنجرب ، فالأدب لا ضوابط له .

ولا داعي لرقي البيئة حتى ترتقي القصة ، فقد تكون قصة رجل ساذج يحسن القصصي تصويره خيراً من قصه فيلسوف لم يتحرك تحت ريشة صانعه . فلا اهمية للموضوع. الأهمية الكبرى لاخراجه في صورة فنية ، فعرض الحقائق كما هي في الواقع ليست فناً . والقصة ليست عظة ولكنها تتضمن المواعظ ، اذا شئنا ، دون الاشارة الى اننا نعظ . اما القصصي الذي لا ينقصه إلا « اما بعد » فهو يسقط من عين الفن .

والعقدة التي أشار اليها الاستاذ المناقلي اين هي اليوم في القصص التي تعرض وتذاع ؟ صارت القصة مقالة ، او كالمقالة ، لأن كتابها لا يخلقون فيها قصة .

وسمعت ما دار في جلسة حول الأدب في السودان . استطردوا فيها الى الادب القومي السوداني الذي رووا نتفاً منه . كم كنت اتمنى لو كان ينصت

معي واحد من دعاة اللغة العامية ليقول لي ماذا فهم؟وما هو رأيه في الموضوع؟ اني اقسم بالله انهم لو لم يفسروا تلك المقطوعة العاميـــة السودانية لما فهمت منها كلمة .

وتحدث الاستاذ محمد مصطفى حمام عن الفكاهة في الأدب المصري فكان فكهاً لذيذاً طريفاً . أدخل الاستاذ حمام شيئاً جديداً على الحديث فأحياه . غنى بصوته الحلو انشودة وزير الأوقـاف الذي أختر العطاء . الفكاهة من طبـــع المصريين ، وإذا لم تشع في أدبهم وشعرهم فلتزمت الشعـراء وتوقرهم وعدم الهزل ساقطاً عن رتبة الشعر .

إنّا لموعد حديث الاستاذ حمام عن دعابات شوقي لمنتظرون ، شرط ان يخرج الحديث مرة إخرى عن طريقه المعبدة .

والاستاذ ابراهيم الوائلي ذكرنا روعة انشاد الشعر في قصيدته «الملاّح » ، ولا غبار على ما أنشد من شعر إلاّ جمعه بين مني واني وعيني في قافية واحدة.

وتحدث الاستاذ سعيد عقل عن دواوين الشاعر هيكتور خلاط الاريمة ، فأحرق كل بخور لبنان امام شاعره . فليت سعيـداً ترجم للمستمع شيئاً من شعر خلاط ولم يكتف بكلامه هو عن الشاعر . فبعد ذاك التعريف الطويل العريض أمسى المستمع متشوقاً الى سماع شيء من شعر هذا الشاعر الفذ .

لا ادري اذا كانت قصة الاستاذ خليل هنداوي مترجمة أو موضوعة فقد قيل لنا انها قصة يونانية . وعلى كل كان في القصة صراع مبادىء بين ابقراط وزوجته . الزوجة تهجس بمال الملك، وبقراط ، ابو الطب، ينشد المثل الأعلى ويزدري المال .

وقصة «عودة القطيع»– أي العمال– للآنسة أمينة قطب مؤثرة لما فيها من وصف رائع لحالة اولئك البؤساء المساكين ، ثم نكبتهم اخيراً بتدهور القطار وموت بعضهم .

اما قصة الاستاذ محمد عبدالحليم عبدالله ، فحيـاة بطلهـا المدير اقرب الى المعجزة منها الى ما يمكن حدوثه . ومع ذلك نقول ان غرائب الحياة كثيرة وليس فيها مستحيل .

مآخذ ــ جر احدهم آخر وهي ممنوعة من الصرف .

وقيل ما هي إلا طرقاً ، وما يبطل عملها متى اقترن خبرها بالا .

النقد الثالث والسبعون

١٩٥٤/٨/١٠

حدثنا الاستاذ عبد الكريم الدجيلي عن حيـاة الشعر في العراق فقسمها ثلاث مراحل : قبل الدستور العثماني ، وبعد الدستور ، ومن الحرب الكبرى الأولى حتى اليوم . لا اكرر ما قاله عن المرحلة الاولى التقليـدية ، ولا الثانية ولا ولا ... فكل ما قاله الاستاذ عبدالكريم جاء في محله ، ولكنني عجبت كيف لم يذكر الزهاوي مع انه لا يمكن نسيانه او تناسيه .

وقف الاستاذ الدجيـلي عند الجواهري ولم يقل كلمة عن الجيل الجديد في العراق ، مع ان هذا الشاب الواثب قد حـاول اثبات وجوده وأفلح ، واذا غالى في محاولته التجديد فلا بد من ان يثوب الجواد بعد الجماح . ولكن ثورة الشباب هذه لا يستطيـع مؤرخ الأدب ان ينكر وجودها .

وكانت جلسة حول الشعر العامي السوداني فلم افهم منه شيئاً إلا ما قرب من الفصيح أو ترجم اليه .

وفي ركن شخصية الأسبوع حدثنا الاستاذ عبود مهدي زلزلة مفتش عـام وزارة المعارف العراقية ، فأثلج صدورنا نبأ هذه النهضة التربوية . وخصوصاً ما يسمونه التعليم الأساسيأي تعليم المواطن ما يلزم من المعارف لـياسة نفسه.

وفي ركن «مع الناس في بيوتهم» ، وهـذا عنوان جديد ، تحدث الاستاذ رشاد بيي مع السيد كامل الداوودي والسيدة ام رياض زوجتـه . الزوجة ، وهي ام ستة، اللهم زد وبارك ، لا تريد اولاداً لقلة المادة والعجز عن تربيتهم.

كان استنطاق رشاد دقيقاً جداً ، وكان الاعتراف داووديا ... ام رياض جبّارة ، والاستاذ بيبي جبّار اكثر من عماليق المحدثين ، أراد ان يعرف كل اسرار العائلة حتى الخلاف الذي ينشب بين أم رياض وأبي رياض ، فكان له ما أراد .

وكانت هذه الجلسة طريفة منعشة أراد فيهـــا الاستاذ رشاد ان يعرف البيضة من باضها ، كما يقول المثل .

وفي حديث الشهر للآنسة سميره عزام سمعتها تتساءل ، وهي تتحدث،عن كتب التدريس : لماذا يقال ضرب زيـد عمراً . ولا يقال : زار زيد عمراً ؟ تريد الآنسة ان تبني الكتب المنهجية على المحبـة ، والحق معها ، اما قولهم قديماً : ضرب زيد ، وقتل عمرو ، فلأن عهد القدامى كان عهد قتل وضرب. ومؤلفو الكتب لم يكلفوا أنفسهم خلق مثل يطابق مقتضى الحال ، فنقلوا هذه المحنطات.منذ قرن واكثر سأل داود باشا،والي العراق، استاذ مدرسة زارها: لماذا تقولون دائماً في نحوكم : ضرب زيد عمراً ؟

وكان الاستاذ العراقي حاضر الجواب فقال : يا مولانا ، هذا عمرو سرق الواو من اسم دولتكم، فسلط النحاة زيداً عليه يضربه صباح مساء . وهكذا فكت النكتة المشكل .

وكان لنا من الشعر روضتان، واحدة غربية قدمها الاستاذ مرتضى شراره، فأحسن الانتقاء والتعريب ، وكان خير ما سمعت اغنية «القميص» الرائعة .

اما بلبل الروضة ، معالي الاستاذ علي الشرقي ، فقد أنعش تغريده روضة الشعر . جمع الشاعر الاستاذ الشرقي الى جمال التعبير ووحدة العاطفة تفكيراً اجتماعياً ، فذكرني بأساطين شعراء العراق كالزهاوي والرصافي . قال الشاعر:

لم أجد في العراق ليلى ولكن كل يوم أمر في مجنون

وفي الطموح قال الشيخ :

معي يا بلبـل الروض الى النروة أو ابعـد

وفي الدعوة الى التساهل يقول : دعونا نوسع آفاقنا .

ويخاطب البلبل :

تجنب قبلة الورد فقد ازعجته نقرا

وأخيراً يقول ، بعد يأس من ضياع المرأة اذا عرضت لعيان :

بلدي رؤوس كله أرأيت مزرعة البصل ؟

لقد آثرت ان أدل على جمال شعر الاستاذ علي الشرقي وسمو تفكيره بما التقطت اذني ، وكفى بذلك دلالة . فالانشاء هو الرجل .

وكان حديث عيد الاضحى من نصيب الاستاذ عبدالله المشنوق ، فكان حظ المستمعين اكبر ، اذ قدّم لهم الاستاذ هذه «العيدية» . حثهم على البر والاحسان وادخل السرور على قلوبهم ، كما قال له مرة المفتي الاكبر المرحوم مصطفى نجا .

حقاً ان عيد الأضحى هو عيد التضحية ، ومن لا يضحي في سبيل الله لا يستحق نعمة العيد .

اعاده الله بالخير والاقبال على الامة والملة .

النقد الرابع والسبعون

١٩٥٤/٨/٢٥

الاستاذ سلامه موسى ، كما عرفناه ، كاتب حر مستقل التفكير ، تحدث عن ابن خلدون فما عناه ما قاله غيره فيــه ، بل مضى يشرح مقدمته الشهيرة ويرى في مؤلفها شخصاً تنقـّص من قدر العرب لأنه يكرههم .

قال الاستاذ سلامه عن ابن خلدون انه عرف الاعراب ولم يعرف العرب، واتهمه بسرقة ما كتبه اخوان الصفاء ، ثم راح يدافع عن الحضارة العربيــة وعلوم العرب ، التي كانت السبب في اهتداء كولومب الى اكتشاف اميركا . وأخيراً ترك ابن خلدون وتغلغل في نظرياته هو الاجتماعية ، فأصاب في أراء واستنتاجات شتى. لم يكن ينقص هذا البحث إلا تأييد مزاعم الاستاذ بشيء ولو قليلاً جداً ، من اقوال ابن خلدون التي حمل فيها على العرب ، وما اكثرها في المقدمة الخلدونية الشهيرة . قــد يكون عذر الاستاذ سلامه ضيق المجال ، ولكنه كان في وسعه ان يستغني عن بعض ما قال .

وكانت الكلمة في ذكرى الكاتب العظيم الاستاذ المازني لولده محمد ، ومن ادرى بالأب من ابنه ؟ كشف لنا هذا الابن البار دقائق شتى في حياة ابيه، وكم كنت اتمنى ان اسمع هذا الحديث قبل طبـع فصل المازني في كتــابي جدد وقدماء الذي يظهر قريباً .

كان محمد عبد القادر المازني صادقاً جدا حتى اعترف لنا كيف سرق مرات بعض المال من جيب أبيه ، وكيف كان صمت ابيه في اكثر المواقف يغني عن

الشدة والعنف . ان آثار المازني تم عمـا انطوى عليه من لين عريكة وطول بال ، وحسبه ان يكون بـدأ حياته معلماً ليتسع صدره ويحتمـل اكثر مما كان يحتمل .

وتحت عنوان «مشاكل التربية» عقدت الآنسة ليلى اللبابيدي جلستين كان موضوع اولاهما التنافس بين الأخوة ، فعُزي ذلك الى تحيز الأبوين ، وكان موضوع الثانية «الطفل وتعلم الدين» ، تشاركهـا فيها الاستاذة فائزة انتيبا المعلمة والمربية، فذكرت روح الطمأنينة فذكرتنا بقوله تعالى : ولكن ليطمئن قلبي . أجل ان في الدين طمأنينة قلب لا تخويف . مفيد جداً هذا البحث ، وفيه لنا ، كباراً وصغاراً ، فوائد جليلة تلقي على الأديان أضواء تنير وتهدي من لا يرون الدين الا على ضوء الأبدية .

وبمناسبة عيد الأضحى اصغيت الى زجلية الاستاذ حسين الطنطاوي فسمعت انتقادات اجتماعية قيمة جداً لم تحط من قدرها لهجتها العامية . فما قولنا في رجل انفق ما يملك على شراء كبش سمين وما عناه ان يستدعي طبيباً لابنه المريض ؟ كل ذلك اتباعاً للتقليد وهرباً من ألسنة الناس ، وما بلاء الناس إلا ألسنة الناس . وبعد ان أشبع الطنطاوي المجتمع انتقادات مرة صادقة ختم زجليته الطريفة بالأدعية والنصائح .

وفي جلسة « التاريخ يعيد نفسه» تحدث الدكتور احمد بدوي وحرمه ، والشاعر محمد عبد الغني حسن وحرمه ، فبينوا لنا ان الجيش هو الذي انقذ مصر الفرعونية ومصر اليوم . ثم استطرد المتحـدثون الى موضوع اختلاط الجنسين في معاهد العلم ، وأنا لست أرى ما رأوا لا في المعاهد الثانوية ولا الجامعات ، وان قلنا غير هذا غالطنا أنفسنا .

وروى الاستاذ انور احمد في حديثه عن وليم بت الذي تولى رئاسة وزارة بريطانيا في الخامسة والعشرين انه قال عن الوزراء : انهم اولا يجتمعون ليلعبوا

ثم ينصرفون ، فذكرتني هذه النادرة بقول احـــد وزراء المنتصر — احمد بن الخصيب — : «مثلي مثل الناقة التي تزين للنحر». وفي كل حال انني أرى سير الرجال تشحذ الهمم وتوقظ المواهب ، فليتنا نكثر منها ، شرط ان تكون مكتوبة على حقها كحديث الاستاذ انور .

وهناك حديث آخر من هذا الطراز الجيد كان موضوعه : هنري جيمس القصصي الذي اشتهر بالقصة الصغيرة . لفت سمعي في هـــذا الحديث قول المتحدث فيه : ان الفن لا يخلق الحياة ، ولكنه يترجم الحياة . أما انا فأظن ان هنري جيمس يقصد الترجمة بتصرف.. لا الترجمة الحرفية التي تصير كالنقل. ان الفن الأصيل يترجم الحياة ولكنـــه يخلقها خلقاً جديداً ، واذا لم يكن كذلك فلا يكون فناً .

وكانت قصة « خروف العيد» للسيدة جهان عوني جيدة التعبير والتصوير والتحليل الوجداني ، أما قصة «زوجـــة صالحة» للاستاذ محمد سعيد شاهين فكانت ذات شقين ، فالشق الأول جدير بالانتباه ، ولكن الشق الثاني كان دون الأول براعة . اكثر الاستاذ من ترديد هذه العبارة : ماتت الكلمات على شفتي ، واكثر من قوله : عندها ، أي عند ذلك ، أما المصيبة الكبرى في أقاصيصنا فهي انها كادت تصير بلا قصة .

النقد الخامس والسبعون

١٩٥٤/٩/٧

يوحي عيد الهجرة الى كل عربي النضال المستمر العنيف لأجل ما نعتقد ان فيه خير امتنـــا وصلاحها . ألم تكن هجرة النبي ، صلعم ، خطوة اولى في سبيل الهدى الذي ضاء نوره في المشرقين؟ وما جعل العيد إلا تذكاراً لمبادىء سامية ، وأي شيء اسمى من تكوين أمة ؟

وكان حديث الشهر للاستاذ ميشال اسمر ، والدكتورة سهير القلمـاوي . فتحدث الأستاذ الاسمر عن الصيف حديثاً ممتعاً مليئاً بالعطف والمحبة. والمثل عندنا يقول : لو كان للصيف أم بكت عليه . ولكن الصيف فصل راحة ، كما قال الاستاذ ، لمن يجلسون على الكراسي في سجون المـــكاتب ، أما الفريق الكادح من البشر فهو لهم فصـل تعب : فصل الحصاد والدرس ، فصل العمل المستمر . فاذا استراح الكاتب والموظف والتـاجر في الصيف بعض الشيء ، فأخونا الفلاح لا يعرف الراحة فيه ، إلا حين يقيل في ظل شجرة لينهض ، بعد تلك القيلولة ، الى استئناف العمل ، فالعريشة والتينة والزيتونة في انتظار عنايته ، ومع ذلـــك يقول الكادحون : بساط الصيف واسع ، وفي الصيف المؤونة على العود ، وفي ذلك يجدون الراحة الكبرى .

وكان حديث الدكتورة سهير القلماوي عن السلم والحرب، فأهابت بالمرأة ان تنهض وتناضل لتحمي اولادها الذين يكونون للحروب وقوداً . ولما كان الجمال وما اليه يعني المرأة ولو كانت دكتورة، لم يفت الآنسة أن تذكر لنا ملكات

الجمال ، وخصوصاً ملكة الجمـــال الالمانية التي امتازت بشاهيـــة قوية والتهام الشوكولا . عجيب أمر الغربيـــين فانهم يفخرون بكل شيء حتى بكبر البطن ! وعلى هذا القياس لو كانت فلانة بنت ضيعتنا في عصر ملكات الجمال لكانت ملكة جمال عالمية لانها كانت تلعق سطلاً من العسل .

وتحدث الاستاذ روكس بن زايد العزيزي عن المعلقات وأثرها في عقليـــة العرب ، ثم استطرد الى الشعراء المرتزقة . الموضوع مفيد ولكنه لا جديد فيه ، وقد عودنا الاستاذ روكس ان يعالج مواضيـع اطرف واعمق . وحدثنا الاستاذ عيسى سليم المصو عن شعراء العرش الانكليزي فتذكرنا أبا تمام والمتنبي والبحتري وغيرهم ، وان لم تكن لهم الصبغة التي كان يصطبغها شاعر العرش الانكليزي.

وفي ركن «بيني وبينك» قال الاستاذ محمد أديب العامري : الحياة تسعى على قدمين : قدم الجوع وعليه تسعى لحفظ الفرد ، وقدم الحب وعليه تسعى لحفظ الجنس كله . هذا كلام واقعي ، امـــا قول الاستاذ ان المرأة اعمق فهماً لرسالة الحياة فأشك فيه ، والحوادث لا تكذبني .

وكانت أقصوصة المحامي احمد سويد موفقة . فقد لبس فيها ثوب القصصي لا (روب) المحامي الذي لا يفسح في مجال الكـلام لموكله . فقد تكلمت بشخوصه هذه المرة اكثر من ذي قبل . اما ختـــام قصة «عودة الغائب» فليته وقف فيها عند قوله : من غربة الى غربـة ، واستغنى عن : حيث يتسع له صدر الأبدية . يجب ألا نتبسط في أقاصيصنا كثيراً ، بل يجب ان نترك شيئاً للقارىء اللبيب.

أما أقصوصة الآنسة سميره عزام فمن طراز أقاصيصها الجيدة لولا التكرار والترداد ، والاكثار من ليلتها وساعتها بدلاً من تلك الساعـــة وهاتيك الليلة ، ولكنها ، على كل حال ، تظل أفضل من ليلتئذ وساعتئذ .

أما تأنيث « الخد » فـلا أجد مبرراً له إلا فلسفة بعضهم . وكذلك قولها : لا تطوله يد فهي عامية غير فصيحة .

النقد السادس والسبعون

١٩٥٤/٩/٢٢

شعر الآنسة نازك الملائكة لا غبار على فصاحته ، وفيه عاطفة نارها دائمة اللهب . الشاعرة متمكنة من اللغة وأصولها . وثقافتها الغربية زادتهـــا عمق تفكير، ولعل تأثرها بشعر الغرب المحاولة عراء هو الذي أهاب بها الى تقليده، فارتكبت خطاء ناسية ما قاله الجاحظ إمام أدبنـــا الأول والآخر : الشعر لا يترجم ولا يجوز عليه النقل ، واذا ترجم أو نقل بطـــل وزنه وسقط موضع التعجب منه . فنصيحتي للآنسة الشاعرة ان تدع الاستقلال الناجز فهو ان أفاد في السياسة فلا ينفع شيئاً في الأدب ، فلشعر هل أهة خواص .

وبعد فان النثر المنمق خير من هذا الشعر الذي يريدون خلقه .

وهناك لون آخر في شعر نازك ، هو لون اليـأس الاسود فلتنزع الشاعرة نظارتها السوداء لترى بهجة الكون ، فقد كاد يكون موضوعها واحداً. ان المائدة ذات اللون الواحد لا تشبع النهم مهما كان ذاك اللون شهياً

فمن تراه يقرأ ديوان الخنساء من الجلد الى الجلد ؟ لا احد .

كم كنت أتمنى ان يتجاوز الاستاذ عبدالعزيز عرفات حدود التقريظ حين ينظر في الكتب الحديثة ، فالتقريظ الصرف يثير في نفس المستمع شكاً. ترى ألم يعثر ولو على هنات هينات يشير اليها؟ فكتاب الاستاذ عبدالرؤوف المصري قال فيه انه يصلح للعالم والأمي . جـاء في ذلك الكتاب ، كما سمعت، ان العرب عرفوا كل شيء حديث : حدائق الحيوان ، والتغط ، وأوراق النقد ،

والدبابة، وعملة الورق. كنت أقرأ كل هذا عند العلامة نور الدين بيهم بمناسبة ظهور كل جديد ، واليوم سمعته مجموعاً في كتاب الاستاذ عبد الرؤوف المصري وهتفت مع سليمان : لا جديد تحت الشمس .

كل هذا جيد ، والاجود منه ان نقول ها نحن ولا نقول كنا ، فلو لم يكن للعرب كل ما ذكر لما كانت لهم الامبراطورية التي لم تغرب الشمس عن ملكها، ولما حملوا مشعل الثقافة زاهراً أربعة قرون ، وما زال الناس يعشون الى ضوء نارهم في عصر الكهرباء ...

لقد كان الاستاذ عريقات معلماً عن الكتب الحديثة لا ناقداً لها ، فليته يقسّي قلبه في قابل ، فآفة كتبنا قلة النقد لها .

وتحدثت الآنسة ليلى لبابيدي في جلستها التربوية عن مشكلة الاكل عند الاولاد . وكانت نصيحة السيدتين أسمر وبركات ألا يطعم الولد إلا حين يجوع وإذ ذاك يرضى بما قسم له . كنت اسمع شيوخنا يقولون لا تأكل لقمتك إلا مغموسة بالعسل ، وهم يعنون الجوع الذي وصفته السيدتان علاجاً للاولاد المزعجين ، ولكن أي أم تستطيع ان تستمهل ولدها ؟ وهل يفكر الولد بغير بطنه ؟

حكي ان ولداً كان يبكي على الدبس، وحاولت أمه اقناعه ان لا دبس عند أحد في الضيعة ، فزاده ذلك صراخاً ، ولما رأت أمه منظر عينيه قالت له : يكفيك بكاء ، صارت عينك مثل البيضة . فبكى على البيضة ونسي الدبس، ومن أين للأم البيض في شباط ؟

ان قصة الاولاد قصة ، أما رأيي الخاص فهو ان يشغل الولد بلعبة حتى لا يفكر بالاكل ، ويدرس مشاريعه درساً دقيقاً ...

وهذا الاستاذ روكس بن زايد العزيزي يعالج موضوع الاغاني البائسة في الشعر العربي،ويبحثه بحثاً جذرياً فيرى ان الحرمان هو العنصر الهام في شعرنا،

ويرى ان تحجّب المرأة هو أحد الاسباب الاربعـة التي ذكرها الاستاذ . اما الحجاب فما اراه سبباً ، فاذا كان الشاعر ، فصيحاً او عامياً ، قليل الحظ من النساء ، فسيان ان يكون هناك حجاب او لا يكون لانه محجوب طبعاً ...

ورأى ان ظلم الزعماء من موحيات الشعر الباكي . نعم قد يكون هذا عند النفوس الميتة ، أما النفوس الأبية فتثور ولا تبكي .

أظن ان بؤس الحياة وشقاءها عندنا همـــا اللذان اوحيا القسم الاكبر من الشعر الباكي الذي ثار عليه أمين الريحاني في معركة أدبية ليس يومها بسرّ . واذا عدنا الى اللغة ، وهي أصدق دليل على حياة الشعب ، رأينا الفاظ السعادة تعد على الأصابع ، أما الفاظ الشقاء فنراها في معجمنا انّى اتجهنا .

واستطرد الاستاذ العزيزي الى حكايات من أكلوا الأولاد ، فـــلم استغربها لاني رأيتها بعيني في الحرب الأولى حين بسطت المجـاعة جناحيها الاسودين على بلدنا . أرادها الاستاذ روكس برهاناً على الشقاء الذي أوحى الى أدبنا بالبؤس وعدم المرح ، ولكنني احسب ان ذلك طبع فينا ولذلك ندر الضحك والمرح في شعرنا .

وكان لنا من الأقاصيص قصة جيـدة التحليل للاستاذ عيسى الناعوري . انها محاولة موفقة ، وعلينا ان ننوع أدبنا القصصي ، فقد ملانا الطبع على غرار واحد .

وهناك أيضاً نوع آخر من القصص حاولته السـيدة امينـه الصاوي فوفقت الى حديث في قالب قصة ، أو قصة بعنوان حديث ...

اما الموضوع فامرأة فترت محبـة زوجها لها فتولت سيدة اخرى تدريبها وارشادها الى السـبيل السـوي .

انني لا احب الطرق المعبدة ، فليشق أدباؤنا طرقهم .

النقـد السابع والسبعون

١٩٥٤/١٠/٦

«الغابة السوداء» للاستاذ خليل هنداوي قصة فيهـــا عنصر التشويق الى النهاية ، وفيها التحليل الذي يسير بالمستمع سيراً وئيداً ، فينتظر وقلبه يدق خوفاً على طفل قعدت أمه تعالجه بوسائلها الخاصـــة ، وراح أبوه يضرب في مجاهل الغابة السوداء مفتشاً عن الطبيب المـداوي ، فاذا به بعد كد وجهد يرى نفسه في خيمته امام ولده الذي لفظ انفاسه .

انها مفاجأة لم تكن منتظرة . فمنذ زمن وأنا انصت الى اقاصيص لا حكاية فيها . أما الاستاذ الهنداوي فقد جمع في قصته «الغابة السوداء» بين التحليل والقص وصفاء التعبير .

وفي ركن الأدب فاجأنا الاستاذ عثمان نويه بما سماه أدب الهرب من الحياة. تحدث عن الآلة العصرية والأدب الذي لا يقبل على استلهامهـــا . اذكر اني قرأت كتاباً فرنسياً قال فيه واضعه ان الصفاء الذي فارق الأدب قد يكون سببه غرق الناس في الميكانيكيات وتحويـــل نظرهم عن الطبيعة حتى رأى الكاتب أن السفينة البخارية وعظمتها الآليـة لا تلهم الشاعر شيئاً مما يلهمه إياه ذلك المركب الشراعي الذي يصارع الرياح والانواء . قد يكون للعـادة أثر في هذا ، كما ان الانسان يحن الى قديمه من تفكير وتعبير، وهذا ما يسبب الجمود في الحياة الأدبية ، اما الملهم المرهف فمن استطـاعته ان يعالج ما يشاء

من مواضيع ويخرجها اخراجاً أدبياً رائعاً دون أن يهرب من الحياة ، وكيف نهرب من الحياة والى أين ؟

اما قال الاستاذ محمد فريد ابو حديد في حديثه عما ادخل على نظم التعليم في مصر ولماذا ادخل ؟ ألم يقل مجيباً الاستاذ محمد عبدالواحد خلاف : من العجب ألاّ يدخل ما دامت الحياة قد تغيرت وصارت ذات أسلوب جديد . ان الأدب صورة الحياة فلست أرى الهرب منها مستطاعاً .

وتحدث الدكتور خليل الجر عن امين الريحاني فأخرج صورة كاملة ناقشة المخطوط بينة الملامح لذاك المجاهد العظيم الذي لم يهجر الحبر والورق إلا أسبوعين فقط ، حين كبا تلك الكبوة التي أودت بحياته .

لقد كثر الكلام في الآونة الاخيرة عن مشاكل التربية والتعليم ، ومن اجدر من نائب رئيس الجامعة الاميركية ، الدكتور قسطنطين زريق ومعاونيه الدكتورين جبرايل جبور وكمال يازجي ، بالتحدث عن السياسة التربوية في البلدان العربية ؟ وبعد أخذ ورد رأوا أن لا يحدد التعليم الابتدائي ، وان ينوع التعليم ليكون مواطناً صالحاً للحياة . أما التعليم الجامعي فيجعل للنخبة فقط . ورأى الدكتور زريق ان تنظم مناهجنا طبقاً لحاجاتنا ، فيؤخذ ما يلائمنا من كلا المنهاجين اللاتيني والسكسوني ، ورأى الاستاذ يازجي أن تؤخذ مناهجنا من تاريخنا بدلاً من تاريخ غيرنا . نعم ان معرفة تاريخنا واجبة جداً ولكن جهلنا تاريخ غيرنا لا ينفعنا . وقد أدرك ذلك الأوائل فترجموا تاريخ الفرس ليروا الأسباب التي أدت الى تهديم اركان ذلك الملك العريق وينقوها .

أما جلسة «المواطن الصالح» التي ترأسها الاستاذ عبدالله فكري أباظه فكان نصفها انشاد شعر لشوقي . لقد أنعش ذلك الانشاد الجلسة وان جعل البحث في المواطن الصالح على هامشها .

وكان حديث الشهر للسيدة اسمى طوبي ، فتكلمت عن مؤتمر أدباء العرب

الذي عقد في بيت مري ، فألمت بأبحاثه العامة المامة كافية للتعريف به. ومما قالته فيهذا الصدد هو أن بعض المؤتمرين رأوا أن يكون الحوار فيالمسرحيات عامياً ، ويا ليت شعري ، مـاذا يبقى من المسرحية فصيحاً اذا كان الحوار عامياً ؟ وهل في المسرحية شيء غير الحوار ؟ أليس معنى هذا القول أن تكون المسرحية في اللهجة العامية ؟

وتحدثت السيدة طوبي أيضاً عن المناهج بمناسبة افتتاح المدارس، وشكت كثرة الكتب التي يفرض على الطالب درسها . حقـــاً ان نقل كتب الطالب المنهجية يحتاج الى عتال. قيل فيما مضى: اني أخاف صاحب الكتاب الواحد، أما مناهجنا فتفرض الكتب بالعشرات على اكبادنا التي تمشي على الارض.

النقد الثامن والسبعون

٢٠ / ١١ / ١٩٥٤

قصيدة «الطين» هي من روائع الشاعر المهجري ايليا ابو ماضي، ولعلها احدى الزوايا الضخام التي رسخ عليها أساس شهرته الذائعة . ولكن الاستاذ روكس بن زايد العزيزي ، في حديثه عن أثر البادية في شعرنا المعاصر ، قد عارض هذه القصيدة الشهيرة بقصيدة قالها الرميثي الشاعر البدوي ، فاذا بمعانيها مأخوذة من ذلك الشاعر الأمي الذي قال قصيدته منذ سبعين عاماً واكثر . تكاد تكون قصيدة أبي ماضي طبق الاصل ولا فرق بينها وبين قصيدة الرميثي إلا ان الرميثي يخاطب شخصاً بعينه بينما شاعرنا ابو ماضي يخاطب البشر اجمع في شخص انسان ما إذ يقول :

نسي الطين ساعة انه طين　　حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى　　وحوى المال كيسه فتمرد
يا اخي، لا تمل بوجهك عني　　ما انا فحمة ولا أنت فرقد

وانك لتعجب إذ يعارض العزيزي كل بيت بآخر مثله حتى تردد قول الشاعر :

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته　　ولكنه سهم وثان وثالث

ولو كانت قصيدة الرميثي متداولة لما خامرنا شك في هذه الغارة الشعواء، فالشعراء في هذا الميدان لا يشق لهم غبار .

وتحدث الدكتور حسين هيكل والاستاذان أمينة السعيد ومحمود تيمور

عن أثر المرأة في الحياة الفكرية في مصر ولبنـــان ، فخلصوا الى ان المرأة مصدر الهام للرجل كما ان الرجل يلهم المرأة وهـذا ما كان يرجوه المستمعون من مفكر كبير كالدكتور هيكل وزميليه .

وعقدت جلسة اخرى تحدث فيها الاساتذة عزيز اباظه ونظله الحكيم واحمد عبد السيد الغزالي عن شوقي في الأدب العربي ، فغلب الانشاد فيها على الدرس والتحليل حتى كدنا نظنها مباراة محفوظات . واخيراً تمنى احدهم لو كان شوقي في عصر صاحب الاغاني، فكأنه لا يكفيه انه كان في عصر عبدالوهاب وام كلثوم .

وتحدث ايضاً الاستاذ عزيز أباظه عن الشاعر ابي القاسم الشابي في ذكراه، فكان اعمق وأدق منه في جلسة شوقي . ألم بأغراض شعر الشابي فذكر كيف كان ينظر الى المرأة والى الطبيعة ، ولم يرو له إلا الشعر الذي يؤيد رأيه فيه. وتحدثت الدكتورة بنت الشاطىء في ذكرى مي وملك ناصف، فكانت عبارتها انيقة وتحليلها لنفسية الاديبتين عميقاً عدلت الدكتورة عن الطريق المعبدة في مثل هذا المقام وارتنا ان ملك ومي قد فجعتا بأنوثتها فكانت فجيعتها غنماً للادب .

وقال الاستاذ سعيد عقل ان العرب لم يتغزلوا، فهل من يقول لي ماذا نسمي ذلك الشعر القديم؟ واذا لم يكن ذاك الشعر غزلاً فمن يقول لنا كيف يكون الغزل ؟ أيريد ان يقول سعيد لا غزل قبل رندلى ؟..

وفي «حصاد الفكر العالمي» كانت السعـادة موضوع الدكتور عبد الوهاب خياطه . استمد موضوعه من كتاب الاغذية الارضية لاندره جيد ، وليس كل قارىء وسامع يشايـع جيد في شهواته اللحمية . وبعد ، فالسعادة ستظل ضالة الانسانية تنشد ولا توجد، فليكتف الناس بما يرون فيه سعادتهم واطمئنان قلوبهم .

اما عنوان حديث السيدة اسمى طوبي « حواء عند ابن معتوق» فظريف ، ولكن الدرس غير عميق ، فابن معتوق شـاعر موسوي تهمه حواء كثيراً ، وأي شاعر لم يهتم بحواء ؟ لقـــد أحسنت السيدة طوبي اذ عرجت على شاعر كاد يُنسى مع انه شاعر غزل رقيق جداً وان لم يطبع على غرار سعيد عقل!

وكانت الندوة النسائية للسيدة امينة السعيد ، فحلت محلها الآنسة سميره عزام ، فتحدثت الى الدكتوره اكرام الصغير والآنسة احسان دمشقيه، وكان الموضوع : « هل قامت الفتاة الجامعية برسالتها ؟ » فكان الاجماع على ان الفتاة الجامعية الشرقية لم تؤد رسالتها لأن مجتمعنا لم يتعود بعد ان يرى الفتاة طبيبة أو محامية . كما ان التعليم لم يوجه الفتاة التوجيه الملائم .

اذا كان الفتى لم يحسن بعد توجيهه العلمي فكيف بالفتاة ؟ واما والحديث عن «الرسالة» فاني أرى ان صاحب الرسالة الحق لا يحتاج الى من يوجهه، بـل هو يشق طريقه ، انثى كان ام ذكراً ، فعـدم ثقة الفتاة بنفسها ، كما قلن ، وعدم ثقة المجتمع بها، والنظر اليها كمنافسة لا يحول ، في نظري ، دون سيرها في ميدان الحياة ، فالمستقبل فريسة النشيط .

و«شجرة القمر» للشاعرة نازك الملائكة كانت موسيقية الجرس، لم يضعفها طولها فظلت محافظة على مستواها العالي. ولكن قول الشاعرة : واين سيهرب الخ ... لم تستسغه اذني ، فهذه السين بعد الاستفهام لم تقع عليهـــا عيني ولا سمعتها اذني بعد .

وفي القصة الشرقية «مزرعة الآلام» ، وهي جيدة الختام استعمل كاتبهـا الحماس بدلاً من الحماسة ، وقال : حـدق فيه ، وهي حدق اليه . وقال : في يوم من الايام ، واليوم لا يكون من الليالي . ان الاقصوصة الناجحة كالقصيدة الغراء ، ولهذا يجب ان تكون سليمة اللغة .

النقد التاسع والسبعون

٢ / ١١ / ١٩٥٤

كانت مشكلة الأدب أبرز أحاديث هذين الاسبوعين، فهذا الدكتور اسحق موسى الحسيني يلم بما ثار ويثور حول الادب من نقاش ، ثم ينظر في واجبات الاديب من حيث الالتزام وعدمـه ، ثم خلص الى القول : « ان الالتزام اذا كان من الداخل ، اي من اعماق نفس الأديب ، فهو حسن وطبيعي ، وبـه يؤدي الاديب الرسالة الأدبية ، اما اذا كان يكتب بوحي من الخـارج ، اي تسيّر قلمه عوامل خارجية فهو غير أديب» .

فرق الدكتور الحسيني بين الاديب والـكاتب ، ولعله ، وان لم يقـل ، يريد ان يسمي «الاديب الانضوائي» كاتباً ، لان الادب الحقيقي فوق كل شيء حتى الحقيقة . انه سحر . ثم تطرق الى ما يقال عن اخفاق أدبنا الحاضر ، وراح يفند ذلك .

ان الحكم على اخفاق الادب وفلاحه لمنوط بالغد . ماذا قيل عن الجاحظ في زمانه ؟ كم استخف بكتبه ذاك الناقد الذي رد عليه الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان ؟ ومع ذلك اعطي الجاحظ الصدارة وصار لقبه شرفاً يتمناه كل كاتب.

ثم عكف الدكتور اسحق على العامية والفصحى فعالجهما معالجة خبير . وعندي ان دعاة هذه البدعة هم الذين يجهلون الاصول ، وقديماً قيل : الناس اعداء ما جهلوا. فلا حرم أدبنا ولغتنا ممن يدافع عنهما بحماسة حارة كالدكتور الحسيني .

وتحدث الاستاذ عبدالحليم عباس عن الادب ، فنصح الأدباء والمتأدبين ان يقرأوا كثيراً ، وألا يختاروا السمين دون الغث بل عليهم بالاثنين معاً . ان هذا ضروري لمن لم تتكون شخصيته بعد ، وهو لا يزال في مقتبل العمر ، اما من كان مثلنا، فلا بد له من الانتقاء لان مدته قد قصرت ... لقد أحسن الاستاذ عبد الحليم النصح ، فبدون المطالعة يظل الادب أجوف ، ومن أين يستمد الكاتب أو تتغذى مخيلة الشاعر اذا كان لا يطالع ؟ أليست المطالعة للذهن كالغذاء للجسم ؟ وتأييداً لرأي الاستاذ عبد الحليم عباس في المطالعة اذكر ما رُوي عن الجاحظ من انه لم يكن يمر بورقة مرمية على الطريق إلا تناولها وقرأها ، فان كان ما فيها نافعاً قرأها ثم رماها ، وإلا احتفظ بها .

وتصدى الدكتور جميل سعيد للتربية المدرسية فرأى أن مدارسنا تعلم ولا تربي ولا تحسن معالجة نفسية الفتيان لتجعل من الفتى رجل غد ، وذكر كيف عالجوا في احدى مدارس انكلترة ولداً كان قصير القامة صار مهزأة لرفاقه فكرههم وكره المدرسة. رأىمربوه ما يعاني من مركب نقص فداووه وصار شاباً محترماً فيما بعد .

هذا ما عالجته المدرسة ، اما بشار بن برد فعالج هو نفسه ، وكان سلاحه شعره الهجائي فرد به ازدراء البيئة له ، امـا الولد الذي تظلله الطبيعة عندنا فيكون رفاقه له أظلم ولا يحرك المربون ساكناً لانهم معلمون لا مربون .

وفي بريدنا الادبي سمعت حديثاً رائع المقدمة عن لبنـان تخلص كاتبه الى الشاعر بشاره الخوري والمقابلة بينه وبين الاخطـل الكبير في الشعر المدحي والخمري . وفي سرد شعر الاخطل الكبير قيل شمس العـداوة (بفتح الشين) وهي شمس جمع شموس بالضم . وقيل : عياقو الختا ، (بكسر الخـاء) وهي بالفتح، ويندمج مع هذا الخطأ قول من تحدث في ذكرى ميثاق الامم المتحدة: ان لميثاق الامم المتحدة هدفان ، وهي هدفين (اسم ان مؤخر) .

ما أجمل ما تكون الجلسة حين يديرها الدكتور زيادة فيشيع فيها ظرفاً، فهو اقدر من عرفت في حصر النور في بؤرة العدسة ، فاذا أدار جلسة حاول ان يحول دون الخروج عن الموضوع فيعيد المباحث اليه اما بنكتة غير موجعة، أو برأي وجيه ، ولا يدع الموضوع دون ان يسبر اعماق اعماقه، كما حصل في الأخير مع السيدة جوليا سعيد والاستاذ محمود زايد في موضوع الفلسفة اليسارية ومعنى الحرية .

اختارت السيدة صبيحه فارس كتاباً كان خير مرشد الى الزواج الصالح الهادي ، فليت المستمعين ممن لا عمل لهم ولزوجاتهم غير النقار ، يصغون الى أحاديث برنامج المرأة ، ففيه ما يشق لهم درب حياة هادئة.

أما ركن الطلبة فكاد يصير مدرسة جبانية قائمة أركانها في الهواء، فصاحبها الاستاذ موسى الدجاني، يدخل اليها دائماً عناصر جديدة . جمع فيها الاستاذين محمد عبد الغني حسن وزوجته الاستاذة رقية بدير ليتحدثا عن ذكرياتهما ، فأفاض الشاعر عبد الغني في ترديد ما قاله شوقي في الذكريات. وشاءت زوجته ان تتحدث فقاطعها ليعيد ما قاله شوقي في معنى ما تقول . كنا نتوقع ان نسمع ذكريات الشاعر الطريفة فأكثر من الرواية وأقل من الحكاية . وحسناً قال حين أجاب : اما الفن للفن والأدب للحياة ، فلا أدري كيف افصلها .

قصة الاسبوع للاستاذ جبرا وعنوانها «الشجار» هي من النوع القصصي الطريف الذي يتعمد تصوير قطعة من الحياة ، وقد نجح كاتبها فيما قصد اليه . اما السيدة ناجيه تامر في «ضربة فأس» قتلت بها امرأة زوجها العاتي فأظنها قد حملت المرأة اكثر مما تستطيع . لا أقول ان هذا مستحيل ، ففي النساء جبابرة كما في الرجال ، ولكنه نادر الوقوع جداً .

ذكّرت السيدة تامر القدر وهي مؤنثة . وقالت : اضطَرت وهي اضطُرت. ان من يريدون احلال العامية محل الفصحى يرون هذا تحذلقاً، اما أنا فأرى ان على الكاتب ان يكتب صحيحاً ويقرأ صحيحاً .

النقد الثاني

١٦٥٤/١١/١٧

عالجت الدكتوره زاهيه قدوره موضوعاً جديداً هو موضوع مساهمة المرأة في نصرة الرسالة الاسلامية وجهادها في سبيل تأييدهـــا . عددت النساء المجاهدات من حليمه السعدية، مرضع النبي ، الى زوجه خديجة ، الى أم ايمن، واسماء ، ولم يفتها إلا ذكر ام عمارة بطلة وقعة أحد التي فاقت الرجال بطولة.

حقاً انه، صلى الله عليه وسلم ، هو اول من اخرج المرأة من ظلمات ديماميس الجاهلية ففرض لها ونظر اليها نظرة عطف وحنان . « رفقـــاً بالقوارير » ، تلك كلمته المأثورة ، ولكن هؤلاء كن حـديداً وفولاذاً في معركة الحق ،

فشكراً للانسة قدوره فقد جاء حديثها برهاناً على جهاد المرأة في احرج ساعات المعارك الفاصلة .

اما السيدة ماجدة عطار فلا ادري لماذا «قرأت لنا» هذا الفصل ، فصل انفصال البنت عن ابويها واستقلالها في بيت تتمرن فيه لتكون زوجة عاملة في المجتمع ؟ ترى ألا تستطيـع البنت ان تعمل هذا «الستاج» عند ابيها وتحت عيني امها ؟! اما قالوا ان البنت بلا ام كبيت بلا بوّاب ؟ وهب ان هـــذا الاستقلال يكون في امريكا بلاد العجائب، فلست أظنه يكون سليم العواقب، فالبنت التي تعيش في هذا الجو من الحرية هيهات ان يقيدها رجل فيما بعـــد مهما كان حازماً . واغرب من هذا الحديث الذي قرأته السيدة ماجدة عطار تساؤلها اذا كان هذا الأسلوب يصلح لنا . ترى اجرّبوه في امريكا ووجدوه

صالحاً حتى نعيره نحن هذا الاهتمام ؟

وفي ركن «مع النساء» كانت السيدة عبلة خوري شخصية برنامج المرأة . كانت السيدة عبلة دائرة معارف فبحثت كل شيء حتى النقد والشعر ، اما الآنسة جاكلين خوري فقد المت بجميع ملكات الجمال في التاريخ القديم فبررت موقف المعاصرين ، حق الطلاب .. من هذه البدعة . وسمعت الشاعر العامي السيد اديب حداد ينتقد بأسلوب جميل تشبّه النساء الذي يقصم ظهور الرجال . تصور رجلاً مغموراً تفرض عليه زوجته كذا ليوم الاستقبال الاسبوعي . اما عليه ان يستعد دائماً لاستقبال نكبة جديدة تحل بكيسه ؟

وعن الكتب الحديثة تحدث الاستاذ عبد العزيز عريقات فكان اول ما تحدث عنه ديوان « زهر الربى» للاستاذ نخائيل خليل الله ويردي، فألقى ابياتاً من القصيدة التي نهج فيها الشاعر ويردي نهج بردة البوصيري . ثم تعرض للتشطير والتخميس الذي أفاض فيه الاستاذ ويردي حتى خمّس ابياتاً لامرىء القيس . ومضى الاستاذ عريقات يبرر موقف الشاعر ويفرق بين تخميس وتخميس . ان التشطير والتخميس والتضمين وغير ذلك بضاعة لم تعد تنفق في سوقنا اليوم . ماذا يفيدنا تخميس شعر امرىء القيس الذي مضى زمانه ؟ واي شاعر غزلي يستعير قول غيره ليعبر به عن لوعته اذا كان هو شاعراً ؟ علق بالذاكرة تخميس هذا البيت ، ولعله كما اسمعناه الاستاذ عريقات .

أمياسة الأعطاف أخت العنادل تعالي نبث الشوق بين الخمائل
وان قلت دع مغناي ردت شمائلي اغرك مني ان حبك قاتلي
وانك مهما تأمري القلب يفعل

انني لأرى البعد بين القولين كالبعد ما بين القرن العشرين وزمن امرىء القيس ، والأدب اليوم لا يقر هذا اللون من النظم لانه لا يعبر عن شيء إلا تعب الناظم ليلائم بين قديم وجديد وشتان ما بينهما ...

اما في الأقاصيص فكانت اقصوصة «لكل شيء نهاية» وصفاً للواقع كما هو. وصف الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله واقع اقصوصته سرداً، ووصف الواقع ، اذا لم يكن فيه فن يرغّب في سماعه أو قراءته ، تموت القصة في منتصف الطريق . ان الاقصوصة تتطلب فناً يحبكها حبكاً لانها قطعة من حياة .

وفي روضة الشعر كان شعر الاستاذ محمد الحبوبي موسيقياً متماسكاً ،ولعله على مذهب من قال : اضحك يضحك لك العالم ، حتى قال مخاطباً من يحب:

وثقي ان اسعد الناس حالاً ضاحك للحياة في كل حال

ان الضحكة احبولة كل طالب صيد ، ولعل هذه الفلسفة هي التي يفلح صاحبها في الحياة .

النقد الحادي والثمانون

١٩٥٤/١٢/١

يظهر ان بحور الشعر نضبت ولم يبق لشعرائنا المعروفين في عالم الشعر إلا العودة الى دفاترهم العتيقة ان لم نقل الى دواوينهم . فاكثر ما اسمع في ما يسمونه أمسية شعرية أو روضة الشعر هو من اعتق طراز . ففي الندوة الشعرية انشدت الشاعرة دليلة رضا قصيدتين كانت الاولى خيراً من الثانية ، ولعل تفلتها فيها من قيود القافية أضفى عليها تلك الأناقة .

اما الاستاذ عبد العزيز الغزالي فأنشد قصيدة قالها في الفيّوم تستحق أن يحتفل بيوبيلها الفضي لانه نظمها كما أعلن منذ ربع قرن . ثم انشد الشاعر احمد رامي فيّومية اخرى ، وكلتا القصيدتين لا تشكوان إلا العتق الذي لا يحمد في الاذاعات التي تتطلب الجديد دائماً . إن دواوين الشعر في متناول المستمعين ، وكم سمعتهم يتذمرون من هذه البضاعة القديمة ويتلهفون إلى سماع الجديد .

والاستاذ أحمد يوسف أنشد قصيدة رنانة عنوانها « تعالي » ، فبدا لي أنه شاعر ديباجة اكثر منه شاعر خيال . لقد احسن اذ اختار الاوزان الخفيفة القصيرة لأن تعبئتها اسهل من تعبئة غيرها ، ولذلك فارقته تلك الديباجة المتينة في قصيدته «ذكرى مهاجر» التي من بحر البسيط .

وتحدث الاستاذ خليل هنداوي في موضوع هل للشعر رسالة ، فنفى ان يكون في الشعر أوامر تعطى ، وان الرسالة لا تفرض فرضاً ، وخلص

اخيراً الى القول ان رسالة الشاعر هي رسالة الجمال .

هذا الموضوع يشغل اليوم بال المتأدبين ، فكل واحد من هؤلاء يريد ان ينضوي الشاعر تحت اللواء الذي يرفعه حزبه ، والا فكلامه هراء. انا اعتقد ان الشاعر بل الأديب لا تصدر لهمراسيم ، ولا يعنينا موضوعه كما يعنينا فنه. وهب انه حاول ان يؤدي رسالة فهل يؤاتيه فنه ؟ أفلا يلتقي والصحفي على صعيد واحد ؟

وعالجت سيدة أو آنسة ، لم اتثبت من اسمها ، لأن الرعد حال دون وضوحه ، موضوع تشاؤم ابن الرومي . ان الموضوع مبتذل وما اكثر من تحدثوا وتحدثن عن تشاؤم ابن الرومي والمتنبي . ان ابن الرومي ولد متشائماً متطيراً قبل موت امرأته واولاده ، اما المتنبي فلا يصح ان نحشره في زمرة المتشائمين المتطرفين ، فما ابعد التشاؤم عمن يقول :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في امر عظيم

ان رجلاً عاش قصيد بيته كابن الرومي لا يحصى مع القائل : الخيل والليل والبيداء تعرفني. فأين من يصارع الدهر طول عمره ، من رجل تأخذ بيته انثى!

كان موضوع «عبودية الانسان للآلة» الذي عالجه الدكتور حكمت هاشم دراسة قيمة ممتعة تفتح امام الفكر أفاقاً بعيدة واسعة . يقول الكثيرون منا : لقد قل ظهور الشعراء في هذا الزمان ، وهذا حق فالانسان صار عبداً للمادة ، بل للآلة التي اختزلت المسافات وحالت دون التأمل والتخيل اللذين يدعو اليهما السير الرشيد ، فاين الهام البواخر من وحي الشراع المتهادي ؟ !

ويقرب من هذا الموضوع ما عالجته استاذة الفيزياء الآنسة سلوى نصار . قالت باختلاف نظر العالم والشاعر الى الزهرة ، وأظن ان الأمر اوسع مما ذكرت . أرى ان كل انسان ينظر الى الاشياء بعين موهبته او مهنته . اما

اخبرنا الجاحظ انه عندما روى لفاخوري الأبيات السينية التي قالها ابو نواس : تدار علينا الراح في عسجدية ... انه اظهر اعجابه بها بقوله : هـذا شعر لو 'نقر لطنّ' . فقال له الجاحظ انك تتحدث بلغة جرارك .

قالت الاستاذة نصار : العلم يوصلنا الى الحقيقة ، واقول انا ان العلم يوصل الى الحقيقة الجافـــة التي تجهز على الخيال فتقطع الرجاء ، ويا تعس من يعيش بلا امل .

وفي ركن « ازواج امام الميكروفون » تحدث الاستاذ راجي صهيون عن التكافؤ بـــين الزوجين الذي يوجد في البيت رأسين ، فتذكرت الحية ذات الرأسين التي زعم ارسطو انها وجدت ، فراح الجاحظ يكذبها . حقاً ان وجود الرأسين في الجسد الواحد بلية ، وما الزوجان الا واحد .

وقال الاستاذ صهيون ان مشاركة المرأة للرجل في شؤون الحياة كانت بعد الحرب الاولى ، مع ان المرأة ، منذ الجاهلية ، كانت تشارك في الحرب ، كما يتضح من قول عمرو بن كلثوم :

على آثارنا بيض حسان نحاذر ان تقسّم او تهونا
يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنـــا إذا لم تمنعونا

الدكتور انيس فريحه من جهابذة علماء اللغة ، ومشكلة اللغة تشغل باله . عالج في تآليفه وبحوثه هذه المعضلة التي لا تحل ، لأن قلب اللسان العربي رأساً على عقب لا ينتظر ، فخير لنـــا ان نسهل ولا نبدّل ، والمجال واسع امامنا . وما اظن آفة اللغة الا علماء اللغة ... فمنهم الجامد ، ومنهم الطافر ، وكلا هذين ان زاد قتل .

أما الاقاصيص فلم يكن فيها ما يلفت النظر ، فليت كتابها 'يقلّعون من هذا الادب القطير .

النقد الثاني والثمانون

١٥ / ١٢ / ١٩٥٤

تحدثت الدكتوره اكرام الصغير بمناسبة ذكرى حقوق الانسان واستطردت الى حقوق المرأة فأفاضت . والذي أراه اننا جميعاً ، نساء ورجالاً ، نطلب حقوقاً . فمن عهد يسوع الى زمن محمد الى الثورة الفرنسية الى شرعة ولسن بعد الحرب الاولى ، الى التي نعيّد اليوم لذكراها ، وهذه الشرعات توضح وتعلن . اما ما ادركناه اليوم فليس بالقليل، وهذا ما اوضحه الأديب العلامة الاستاذ فؤاد صروف . لم يهلل الاستاذ لهذه الحقوق واعلانها ، ولكنه راح يعرضها على محك العلم مبيّناً الاسباب العلمية الاقتصادية التي دعت الى ايجادها لاطمئنان الانسان وتركيز شخصيته على أسس راسخة ، وهذا دأب الاستاذ صروف مؤلفاً ومحدثاً .

وفي باب « من هنا وهناك» نقلت الينا الآنسة فريده خوري سلسلة اساطير غنية بالغرائب واغربها تحجب الرجال لا النساء. لست استغرب شيئاً فالتاريخ حافل بالاضداد ، فهذه التوراة تخبرنا ان الحجاب لم يكن للحرائر في ذلك الزمان ، بل لغيرهن من الآدميات .

كان حديث الدكتوره سميحه فاخوري ، شخصية الشهر ، خليطاً من العامية والفصحى بلهجة مصرية ، والموضوع «الموسيقى الاسلامية» ، فماذا كانت تترك لأم كامل لو تحدثت عن الشؤون العارضة ؟ ان مواضيع رصينة كهذه لا يعبر عنها بهذه الرطانة ، ولا سيما ان المتحدثة دكتورة .

واعجبني من الاستاذ رشدي معلوف تحدثه عن التخصص بالامومة، ولعلنا نحن أحوج ما نكون الى هذا ، أما قال جبران: وجه أمي وجه امتي ؟ فما احرى هذا الوجه ان يكون جميلاً .

وليس هذا كل شيء ، بل هناك في هذا الحديث الممتع ، حديث رشدي معلوف ، شيء آخر طريف وهو التفريق بين الأم والوالدة، فليست كل والدة اماً في نظر الاستاذ رشدي ، ولا بدع ان صدر مثل هذا عنه فقد عودنا فيما يكتب على مثل هذه الاكتشافات في التفكير والتعبير كما نقرأ تحت عنوانه الدائم « مختصر مفيد» .

وتحدث الاستاذ علي الخطيب عن الانتفاضات الادبية عبر تاريخ الادب العربي فوفق الى شيء كثير ، وخصوصاً في ختام حديثه حيث قال : ان أدب النكبة ، نكبة فلسطين ، كان نكبة فينا . اظن اننا نظلم الشاعر ابرهيم العريّض في هذا الاطلاق، فلحمته ارض الشهداء لا تقل وزناً عن الشعر الذي عده الاستاذ علي الخطيب من الانتفاضات الادبية .

وكانت جلسة الفكاهة في الأدب العربي معقودة اللواء للدكتور عبداللطيف حمزه ، فأفاض هو والدكتور شوقي ضيف والاستاذ حموده في هذا الموضوع ، ولم ينسوا صاحب البند والعلم في الأدب الضاحك ، بل مبدعه في الكتاب العربي، وما اعني الا الجاحظ صاحب ذلك الوجه الظريف الذي اضحك عصره والذرية ، ولا يزال يضحكنا حتى اليوم . ان الضحك عنصر هام من عناصر الحياة . لست ادري اذا كان في الجسم غدة تفرز الضحك ، ولو كنت خالقاً لخلقتها كما خلقت غيرها من الغدد الاخرى .

واحاديث الذكريات كان خيرها واجمعها حديث الدكتور جبرائيل جبور بمناسبة ذكرى الامير شكيب ارسلان . اذا عالج الدكتور جبور موضوعاً

يخرجه على حقه ترتيباً وتبويباً بلغة نقية لا غبار عليها . وقد تمنى حضرته لو يقوم من يدرس الامير شكيب ارسلان دراسة كامـــلة ، ومن اجدر بهذا من دكتورنا الاستاذ جبور صاحب دراسة عمر ابن ابي ربيعة الفذة ؟

وفي الجلسة الشعرية النجفية التي قدمها الاستاذ رشاد بيبي كان شعر شباب حقاً ، واذا أفاض الاستاذ بيبي في تقديمـــه لهم فهو على حق ، فهزيمة الشيخ جميل حيدر جميلة ، طيبة ، مجنحة الألفاظ مديجة التعبير ، بعيدة عن القديم ، فجاءت ،بخلاف ما كنت اتوقع، من معقل الفصحى.ومثلها قصيدة الاستاذ محمد الهجري التي قالها في ابنه ، فالأماني اخضرت فيها ، وألذّ من فكرة معطرة . ومن هذا الطراز الموشى شعر الشاعرين الآخرين ، واني اهنىء الاستاذ رشاد بيبي على هـــذا الاكتشاف . اما اعتذار الاستاذ بيبي عن حداثة سن هؤلاء الشعراء ففي غير محله ، فهذه هي سن الشعر . اننا في حاجة الى الاكتشاف دائماً ، والشهرة كثيراً ما تعمي وتصم ، فلنفتح اذاننا وأعيننا .

ومن السودان غنانا في روضة الشعر شحرور رخيم الصوت ، ولكنه ، ويا للاسف ، شاعر عامي لم افهم منه شيئاً ، الا انني استفدت عبرة وهي انه لو تغلبت العامية على الفصحى لانحلت العروة الوثقى بين اقطارنا ، ويتم اذ ذاك قول المتنبي : فما يفهم الحدّاث الا التراجم .

وفي الاقاصيص كانت قصة الاستاذ محمـــد روحي فيصل جيدة التحليل والسياق . لم استغرب عنوانها « حفلة غرام على البـلاج » فالبلاج ليس لزياح القربان ، ولا لحلقات الذكر . وقـد كان الاستاذ روحي بارعاً جداً في طمر ختام هذه الاقصوصة ...

وكانت قصة الآنسة سميرة عزام من طراز اقاصيصها الجيدة ، ولعل هذه كانت أسهل معالجة . مسكينة بطلة قصتها ، فتشت طويلاً عن حبيب جبار

فوقعت في شراك مغامر يكره التأجيل ... وما انقذها منه الا الفرار .

اما الاستاذ احمد سويد فلم يحالفه التوفيق الذي كان يمشي تحت لوائه في اقاصيصه السابقة ، فاقصوصته « رسالة الى ... » مقصرة عن اخواتها . لم يعجبني قوله فيها : فامتطيت سيارتي ، فالامتطاء كثير على السيارة ، لأنها في متناول الرجل لا تقتضينا امتداداً وتطاولاً ؛ ناهيك ان هذه اللفظة قد امست حرّية بدور الآثار .

النقد الثالث والثمانون

١٩٥٤/١٢/٢٩

«الميلاد عيد الامل الجميل» ، وهذا كان عنوان حـــديث الدكتور انيس فريحه، وبهذا بشرت الاوركسترا الملائكية حين انشدت: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر . اما الجميل في حديث الدكتور العلامة فهو ازاحة النقاب عن وجوه تلك المساخر التي تنشر في هـــذا اليوم الخالد . دلّ الدكتور فريحه على مصادرها وفك رموزها، فصارت ذات معنى رفيـع وكبرت في عين الناظر اليها بعد ما كانت مهازل .

ان مفاهيمنا للعيد ، ويا للأسف ، قد أمست مفاهيم أكل وشرب وثياب جديدة . نغيّر على ما اجسادنا وتبقى نفوسنا كما كانت : جميـلة هي النظريات التي تحدثت عنها السيدتان الاستاذة زاهيه ايوب والشاعرة ادفيـــك شيبوب ولكنني اعتقد انها حبر على ورق ، فالسر ليس في فهم العيد بل في العمل .

ومن نوع مفاهيمنا للعيد كانت جلسة «المواطن الصـالح» التي تولى مناقشة موضوعها الاساتذة نقولا بسترس وزاهيه قدوره وكمال الحاج . لا يجهـل احد كيف يكون المواطن الصالح، ولكننا نحن أحوج الى من يخلق لنا هذا المواطن، فعلى من يتولّون شؤون الثقافة والتربيـة ان يسهروا على تكوينه ، فالتعليم غير التكوين. ان المبادىء التربوية كالاصول الزراعية فعلينا ان نغرس ما يوافق تربتنا وينمو فيها .

وهناك جلسة ثانية كان موضوعها «الادب المعاصر والشعر التمثيلي». بحثها الاستاذ عزيز اباظه مع الدكتور ابراهيم سلامه والاستاذ عبدالمجيد الغزالي، وقرّ رأيهم على ان الفكرة والعاطفة هما لجميع النـاس . والاديب بأسلوبه ، وهذا ما عُبّر عنه ، منذ البدء ، بسحر البيان . أوصى الدكتور سلامـه بضرورة درس الآداب العالمية الى جنب درس ادبنـا العربي لتتطوّر اساليبنا التي تحجرت. نعم ، ان التطعيم ضروري في كل شيء ، حتى الأدب. اعجبتني تسمية القافية أمَة متبرجة ، فالفكر والتعبير جميلان ، ولكن لا ننس ان للقافية جمالاً ، وليست كل قافية أمة متبرجة ، فمتى استقرت في مكانها غير مقهورة ولا مجبورة كانت سيدة البيت لا أمته .

ان الشعر ، وخصوصاً العربي منه ، لا يصلح اداة للمسرحية ، تاريخيـة كانت ام غير تاريخية . المسرحيـة تقوم على الحوار ، واذا كان الحوار غير طبيعي في النثر فكيف في النظم ؟ اما القافية المطلقة فالنثر خير منها .

وتحدث الدكتور احمد عبد المنعم عن الأدب الجـاهلي والقصة ، فعدّ من الاقاصيص حكاية امرىء القيس مع التي سما اليها سمو حباب الماء . اجل انها قصة ، وفي الشعر العربي اقاصيص ، ولكن الذين يقولون بخلو ادبنا القديم من القصص انمـا يقيسون على اقاصيص اليوم ، ومثل هؤلاء مثل من يقول ان جده كان عريان لانه لم يلبس على طراز اليوم... ان القصة ابتدأت مذ قال الله للدنيا كوني فكانت ، اما الازياء فتتغير ، وسيمـي هذا الجديد قديماً ...

وفي روضة الشعر انشد الاستاذ محمود حسن اسماعيل شعراً جيداً، فكانت قصائده الثلاث من الشعر الرصين المرنان كقوله في احداها :

فكأنها في ليلة سر يغلّفه الضمير

وان كانت لفظة يغلفه اخشن من السر والضمير ... اما الاستاذ سعدالدين

فوزي فقد اتعبه الشعر القصصي في قصيدته الأولى ، والشعر القصصي مثعب حقاً ، ولعل قصيدته الأخيرة ، وهي وجدانية ، قد كانت اشعر من اختها .

وذكرتني قصيدة الاستاذ سالم علوان الحلبي ، وموضوعها « عقوق ابن » بقصيدة لبيد : غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً ... فما أمر عقوق الابناء ! اما الاستاذ محمد الدوير فقد جمع بين القبر والطير والأجر في قافية واحـدة وهذا غير مقبول .

والاستاذ محمود غنيم استهل قصيدتـه « مضيفة الطائرة » بقوله : سائلوا الركب ، ركب اخت العقاب . مسكينة اخت العقاب انهـا لا تصلح اختا لهذه الطائرة ، فاذا سمعت زئيرها كرت الى وكرها تسأل ربها الستر .

وبعد ان وصف انس تلك المضيفة وصفاً جديراً بكل حسناء ، ختم قصيدته بقوله : انا اشتاق رشفـة من رضاب . يظهر ان الجو كان مؤاتياً ، والبال فاضياً ...

اما الاقاصيص فكان القاء قصة « الوجه الناقص » ناقصاً ، نغّم قارئهـا ورخّم كثيراً غير حاسب حساباً لضعف البث في الساعة الثامنة ، ولذلك ضاعت القصة بين الهزيم والترخيم .

وفي اقصوصة « وفاء » اجادت السيدة سلمى الحفـار الكزبري في رسم الاطار ، واحسنت ايضاً وصف الناس الذين يتحدثون في العزاء عن الفقيـد ، بعباراتهم التقليدية .

وفي قصة « حين يبتسم الحظ » ما ترك الاستاذ رضوان مولوي شيئاً ممـا يقال بمناسبة عيد الميلاد الا وصفه حتى المطر الغزير الذي هو من متممات جو هذا العيد . هرب بطل القصة المفلس من جو بيتـه فابتسم له الحظ ورزق مبلغاً حـلالاً مكنتـه من حمل الهدايا الى البيت ، فشكر الصغار البابا نويل ،

أما الأم ،وقد اعجبها العقد ، فأثنت على ذوق زوجها ، وهكذا حلت البسمة محل الجهمة وعيّدت العائلة .

كانت قصة رضوان المولوي خير اقاصيص هذا المنهاج ، وكانت حافلة بدقة التصوير ، وحسن السياق ، والسير الحثيث نحو الهدف ، ومع ذلك بخل عليه المذيع بكلمة « الاستاذ » المبتذلة ... ان على محطات الاذاعة ، والمجلات والجرائد ان تكتشف من يستحق وتنوّه به .

سنة ١٩٥٥

النقـد الرابع والثمانون

١٢/ ١ /١٩٥٥

عقد الاستاذ رشيد شقير جلسة عامرة موضوعها « الهجرة من القرية الى العاصمة»، وقد أصاب المتكلمون فيها كل الاصابة ، فالقرية لا يُعنى بها احد، وكل هم الدولة في العواصم والمدن ، فالقرية ، على ما فيها من عمران ، محرومة من جميع اسباب الترفيه ، ومع ذلك فالقرى اللبنانية لا يصح ان تسمى ارياقاً لأنها جبلية ، والريف اما أرض فيها زرع وخصب ، واما ساحـــل يقارب البحر ، فأين لجبالنا ما لريف مصر من طمي وماء ؟ ولكن كتابنا يستملحون الفاظاً فيقبلون عليها ويلحون .

ورغم اهمال القرية اللبنانية ، نراها عامرة زاهرة تتألق على صدر الجبل عقوداً مختلفة ألوانها . ان العمران في لبنـــان محصور في شطوطه وفي مدن الاصطياف ، حتى نستطيـع ان نشبه هذا البـلد بصندوق تفاح افخر ما فيه ما يواجهك حين تفتحه ، اما الرديء ففي الكعب . ولو صلحت القريـــة لاستراحت العاصمة من هذا الضغط الذي يؤدي حتماً الى الشلل او الفالج .

وتحدث الاستاذ عزالدين فراج فنعى علينا اننا نلقي كل التبعات على الحكومة ونطلب منها ان تقوم بكل شيء، وضرب مثلاً على ذلك ما حدث في انكلتره مرة : سعرت الحكومة اللحم ولم يتقيد بذلك الجزارون ، فاعلنت الحكومة ان الكلمة للشعب ، فقال الشعب كلمته واضرب عن شراء اللحم ، فـأطاع الجزّارون ورضخوا لأوامر الحكومة .

ومن المواضيع المبتذلة ما حدثنا به السيد كال قدوره عن الادب وتذوقه، وقد قال : « ان للادب معنيان» وهي معنيين ، لانها اسم ان مؤخر . وكذلك كان موضوع السيد بشير جحى « الشاعر والانسانية » . فمثل هذه المواضيع اذا لم يبتكر صاحبها شيئاً كانت سواداً على بياض . تحدث الاستاذ جحى عن الشاعر والانسانية ، ولكنه لم يقم دليـلاً على ما يستفاد من عنوانه في الشعر الذي رواه لشوقي ، وحافظ ، وبشارة الخوري ، ورشيد الخوري . لم يرو لهم الا الغزل ، وما أرى الغزل برهاناً على عنوان موضوعه .

اما كلمة الأموي بضم الهمزة فهي أموي بفتحها ، ولكن قـــل من يعير هذه الهنات اهتماماً ، فجل كتابنا يكتبون ولا يقرأون .

وفي ركن الأدب تحدث الاستاذ عبد الوهاب حموده عن الصدق والكذب في الفن ، وحاول ان يبرر كذب الشعراء ويقربه من الصدق . ان الفن ليس علماً ، وهو متى صار حقيقة فقـــد جماله ولهذا كانت الاستعارة من اروع ضروب البيان . والمصور الذي يدقق في كل خط ليأتي ما يرسمه طبق الأصل لهو رسام لا مصور فنان ، وقد أجاد الاستاذ حموده حين وقف عند كلمـــة ضاحك في قول المعري :

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد

والبؤس في شعر نسيب عريضه الذي دل عليه الاستاذ روكس بن زايـد العزيزي سببه جنوح بعض الشعراء المهجريين الى الصوفية ، وهي بضاعة قديمة يعرضونها اليوم بعد ان بارت سوقها . لا بد للادب من بعض ومضات صوفية، اما ان تطغى عليه فأمر غير مستحب . احسب ان المادية الامريكية الطاغية هي التي انمت شعور الشاعر نسيب عريضه بالبؤس الذي انحرف اليه ، كما توجه ابو العتاهية الى الزهد في زمن فاض فيه بحر الملذات .

وجلسة « مستقبل القصيدة في الأدب العربي » التي تحدث فيها الاساتذة

العوضي الوكيل ، وعثمان نويه ، وهلال ... كانت جلسة مدرسة . قالوا فيها ان القصيدة قديماً كانت وحدهـا اداة نشر ، وان الشعر العاطفي الانساني يبقى ، وتذمروا من ادعياء الادب الذين يستأثرون بالقراء السطحيين .وزعموا ان الشاعر يقلد الحياة . فكلمة تقليد هنا تحط من قدر الشعر لأن الشاعر الحق يخلق مرئياته خلقاً جديداً حين تحبل بها ذاته وتلدها ، وإلا فهو ليس بشاعر .

وارتأوا اخيراً ان القصيدة ستبقى للتلحين ، وتساءلوا عما اذا كان النثر يلحن كأنهم يجهلون ان عندنا نثراً يلحن ، بيد ان الشعر اقرب الى التلحين واسهل ، لأن بحور الشعر ألحان ...

وكانت الاحاديث في موسم العيدين تترى ، وخيرها وابلغها حديث الاستاذ ميخائيل نعيمه الذي عنوانه : « لمن التهاني ؟ »

وقال ميخائيل : فلو كنت من المتشائمين . ثم لم يعجبه أحد في هذه الدنيا من روحيين وزمنيين ، فلا ادري كيف يكون التشاؤم اذا لم يكن في مثل هذا الكلام المختوم بتنغضبات نبوية اشبه بما نطق به ارميا وأشعيا وعاموس. ان الاستاذ نعيمه يظهر باسماً غير متشائم ولكن ابتسامته حزينة .

وقال الاب ميشال حكيم في هذه المناسبة ان البقايا المتهدمة كالاهرام وغيرها لا تنطق بشيء ، مع ان كل أثر في هذه الدنيا يكلمنا اعتباراً . نعم انها ليست بذات تعاليم آلهيـة كالمسيح ، ولكنها تقول شيئاً عظيماً ، ولولا هذا لما قالوا في الاسكندر : وانت اليوم اوعظ منك حياً .

وبهذه المناسبة،اي مناسبة العام الجديد، كان زجل الاستاذ وليم صعب حافلاً بالوطنية والعقيدة القومية . كان زجـل وليم اقرب الى اللغة الفصحى منه الى العامية ، وهو لو ابتعد عنها في زجله لكان ذلك اكمل ، فالفصحى تبعـد الزجل عن طبيعته .

والاستاذ نعيم مغبغب، وزير الاشغال العامة اللبناني ، كان ابرز شخصيات

الاسبوع فصاحة وبلاغة، كما كان وزيراً مفلحاً حازماً ، وهكذا جمع بين القول والعمل ، فأزال خوفنا من محلّ الرجال .

أعجبني قول الاستاذ انور احمد في قصته « الينبوع » : الجمهور طفل صغير عقله في اذنيه. القصة جيدة وهو لو وقف حين اغمي على «هناء» لكان ختامها أبرع . عد علماء البديع براعة الاستهلال وحسن الختام من جمالات القصيدة ، والقصة قصيدة منثورة .

النقـد الخامس والثمانون

٢٥ / ١ / ١٩٥٥

قالوا في أبي تمام انه في انتقـائه شعر ديوان الحماسة اشعر منه في ديوانه ، ولعل هذا القول يصدق في الآنسة سميره عزام ، فهي فيما تختار للترجمـة من الاقاصيص تحسن كل الاحسان ، اقول هـذا ليس لأن اوسكار وايلد كاتب مشهور ، فكل كاتب عنده غث وسمين ، ولكن اقول هـــذا لأن الآنسة عزام تختار ما يلائم المستمع ، فما كل قصة تأخذ بتلابيب المستمع ولا تدعه .

واني لأعجب من كتاب القصص كيف يتهافتون على قصعة واحدة . ترى أليس في الحياة غير احبها واحبته ؟! ينصب الكاتب على ما يظنه تحليـــلاً نفسانياً ويروح يلحم ويسدي في فكرتـه حتى يصرف معظم الوقت في شرح هذه التوافه ، ويا ليته يزيدها ايضاحاً . لقـد ردد الاستاذ محمد بدر الدين : كانت وكان ، وكان هو الآخر ، عشرات المرات حتى أمست قصتـــه باردة بطيئة تسير على عكاكيز .

اما قصة «رغيف اسود» واحسبها لزهير مرزا اذا لم تخني أذني في تلك الساعة المشوشة ، فقد كانت حسنة السير وكان بطلهـا بارزاً كل البروز ، يجاهد من أجل رغيف أسود ينتظره أبوه اللهفان ، وأخيراً ذهب البطل البر بأبيه شهيد الخشكار ... القصة حسنة التعبير والتصوير ، وكان في أستطاعـة الاستاذ لو صبر على «رغيفه» حتى يختمر ان يجوّد عبارتها اكثر ، فلا يقول: استدين من جيراني خبزاً . اما تذكر قول بشار لابن برمك .

فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقها ان العواري المرد

وكذلك قال الاستاذ محمد بدر الدين : وكان هو الآخر ، وهـــذا التعبير غلط ، ولو استعمله كبار كتابنا ، والوجه ان يقال : وكان هو ايضاً لأن الضمير لا ينعت ولا ينعت به . ان تجويد عبارة القصة وتصحيحها ضروري جداً لأن الاقصوصة قطعة فنية كالقصيدة والمقالة وغيرهما .

الاستاذ نقولا بسترس كان طليعـة الشعراء الجدد ، ولكن الوظيفة شغلته كما شغلت غيره ممن كان يرجى ان يكونوا شعراء وأدباء كباراً لو ثابروا. ونقولا قلما احب الظهور في المنتـديات والصحف ، فشكراً لمحطة الشرق الأدنى التي اسمعت الناس صوته الزجلي والشعري . كان نقولا في ضحى شاعريته يسابق سعيد عقل في شعره الجديد حتى خشي عليه سعيد منه، وها هو اليوم يسمعنا زجلاً في روضة الشعر كما فعل سعيد في الندوة اللبنانية . ان زجل الاثنين غير موفق لانهما شاعران فصيحان،وزجلهما مشوب بالفصحى،والفصحى ليست له. فلعلهما يحسنان صنعاً اذا تركا هـــذا اللون الشعري لميشال طراد واسعد سابا ومبارك وغيرهم .

اما شعر بسترس الفصيح فلا غبار عليه، وهو من الطراز الاول بين الشعر الجديد فليكتف به وما له وللزجـــل . واذا كان ناصيف اليازجي وابراهيم اليازجي ، وابراهيم ألحوراني قالوا الزجل قبلها فقد قالاه على حقه .

ومن أصغى الى الحفلة الزجلية التي اذيعت وداعاً واستقبالاً للعام الجديـد يرى رأيي في زجل الاستاذ وليم صعب،فهو زجل مفصّح ، او شعر مسكّن. انصتُ الى زجليته الهائية فاذا بهـا عنترية النفس ، ولكن ليس فيها ما في زجل حنينة ضاهر من نعومة الزجـل وحنانه . كل ذلك لأن وليم أميل الى الفصحى منه الى العامية .

وكانت الى الاستاذة امينة السعيد نـدوة بحثت الصداقة وكيف نكسب

الاصدقاء . ان اكتساب الاصدقاء ليس علماً وان كان العلم يفيد فيه ، اظن ان هذا طبع ، فالبعض مهما تزلف لا يستطيع كسب أحـــد ، بينما نرى الآخر يكتسبهم بلا عناء. قالت السيدة امينه : الأنانية أعدى اعداء الصداقة،وهذا عين الصواب .

وقال الدكتور علي الوردي في حـديثه عن الهوى : وعين الرضا عن كل عيب ، كليلة ، وقديماً قيل : الحب يعمي ويصم ، كما قال المتنبي: ولا رأي في الحب للعاقل . وخلص الدكتور اخـيراً الى القول : ان خمسين بالمئة من عقود الزواج تنفصم قبل مرور خمس سنوات عليها ، ورأى ان اطالة زمن الخطبـة تحل هذه المشكـلة ، فهو يسمع من يستعجل فلا يقع في الكمين ؟ فخير لخـاتم الخطبة ان يرفض من ان تفصم سلسلة الزواج .

وكان حديث الاستاذ محمد فريد ابو حديد ورفاقه الاساتذة كمال واحمـد حول المؤتمرات الأدبية التي انعقدت في الصيف الماضي ، فرأوا انها لم تفك شيئاً من مشاكلنا ، فالمصطلحات العلمية لم تزل حيث هي ولم تفز إلا بالتوصيات . ان التوصيات توصيات ، يا استاذ ، والمؤتمرات في نظري تعقد ولا تحل .

ورأى اساتذة هذه الندوة ان المؤتمرين كانوا من الكلاسيكيين وهم يريدون ان يشاركهم المحدثون . لعلهم يريدون ان يقولوا من الشيوخ ، فاستبدلوا كلمة بكلمة والله اعلم . قد تكون المؤتمرات العتيدة من الكلاسيكيين وغـــيرهم كما يتمنون ولكنهم في كل حال لا يقضون مشاكلنا في اجتماعاتهم هذه .

وحدثنا الاستاذ محمد قره علي عن الشعر المهجري فأفـاد وامتع ، وله في هذا الموضوع كتاب يجدر الاطلاع عليه ففيه مختارات رائعة مما تفرق من آثار هؤلاء الشعراء الذين كان لهم فضل المجدد .

النقد السادس والثمانون

١٩٥٥ / ٢ / ٩

منذ قرون قال الأمام العادل عمر بن الخطاب : الشعر ديوان العرب ، ثم قال بعده الجاحظ ما معناه : ان الشعوب خلدت ذكرها ببنيان القصور والحصون ، امـا العرب فخلدوا مآثرهم في شعرهم . وكما تحدث الاستاذ بيبي عن وفرة الشعر في العراق ، كذلك قيل فيما مضى عن الأندلس ، اي انـــه قلّ منهم من لم يقل الشعر . ففي جلسة ندوة الشرق الأخيرة انشد شاعران وشاعرة شعراً له في السمع وقع طيب . فالآنسة اميره نور الدين تنقاد لهـــا القافية ، وفي قولها عاطفة حارة لو انضم اليها خيال بعيد المدى لجاءت مجلّية . وزميلاها الاستاذان خاشع الراوي وفؤاد عباس يجاريانها في هـذا المضمار ، وان لم ينالا في تلك الجلسة ما نالته الآنسة من استحسان صارخ .

اما الشاعر رياض معلوف الذي كان بلبل « روضة الشعر » فأجاد في اول مقطع اسمعناه اجادة تستحق التمجيد ، اما المقطع الذي يقول فيه : فرحتَ وراحتْ عيوني معك . فتغلب فيه رائحة الزجل على رائحة الشعر ، والمقطع الأخير الذي قال فيه : ولطفك فاق كل الناس لطفاً ، لست ادري ماذا اقول فيه ... فاذا كانت في الشطر الأسبق صورة تذكرنا بنثر بديع الزمان : وسافرت خلفها العيون ، فهذا الشطر ليس فيه شيء ، فهو الى كلامنا الذي نتفاهم به اقرب منه الى الشعر .

وهناك شاعر ثالث من شعراء الروضة لم التقط اسمه قال في « ٢٠ / ١ »

شعراً عتيق الطراز ، جيد السبك ، ولكنه مبتذل الفكرة كقوله : يغيب البدر ان ظهرت التي يتغزل بها . ان آفة شعرنا عبارته التقليدية وفكرته المبتذلة .

وتحدث الاستاذ محمد سعيد في « ركن الادب » عن القصة التي تشغل اليوم الحيز الأكبر من الأدب ، وعزا تأخر قصتنا الى اسباب محيطية منها الحجاب، مع انه يساعد القصصي الملهم على الخلق . اما القصص المستوحاة من التاريخ التي ارشد الاستاذ القصصيين اليها وحثهم على معالجتها فقد ذهب زمنها . فالقصة المرغوب فيها اليوم هي تلك التي تؤخذ عناصرها من الذات والمجتمع وتصورهما . لا يعني هذا ان الكتابة في التاريخ قصصياً لا تجوز ، فالسر ليس في موضوع القصة ، السر في اخراجها . فالسياق والحوار وتصوير الابطال وتحليل نفسيتهم واحياء الشخوص حتى تتحرك ، هي من مقومات القصة الناجحة . واخيراً ان القصصي الموهوب لا يقال له اعمل كذا كذا ، انه يعمل ولا يدري لماذا يعمل .

وبعد ، فأنا غير متشائم ، أرى ان خطى أدبائنا سريعة ، وقصتنا تسير الى الامام ، ولكننا نحن كغيرنا من الشعوب لا نقيم وزناً للحاضر . اننا كتلك النباتات (البطاطا والبصل) ، مثلاً ، خير ما فيها تحت التراب ، والتقليد يعمي ابصارنا ، فلا نسمع بأديب اجنبي راجت كتبه حتى نحذو حذوه او نسرقه .

وما زلنا نتكلم عن القصة فلنقل كلمة عن اقاصيص هذا المنهاج . فقصة « غسالة الكهرباء » للآنسة سميرة عزام جيدة وكان ختامها رائعاً كأنه قطة القلم . ليت الآنسة عزام تتجنب اللفظ العامي غير الفصيح فانه وان أدى المعنى كاملاً فهو ينقص من قيمة الاقصوصة من جهة أخرى . انها تجد اذا فتشت ، ولكن العامي الفصيح لا يأتي عفواً كالتعابير القديمة التي تنفثها اقلامنا ولا نحس بها .

ان غسالة كهرباء سميرة عزام تشبه في غرضها قصة « تراكتور الحامي » احمد سويد ، وكلتاهما طريفتان جيدتان . اما قصة « الحجّية » للسيد جعفر الجليلي فلا اذكر اين سمعتها او قرأتها . فكل ما اذكر هو انني عرفتها معرفة وجه .

وكان حديث الشهر للاستاذ خليل الهنداوي ، فتحدث عن النشاط الادبي في العواصم العربية واعجبني منه تعليقه اللبق على محاضرة أحد العلماء الافاضل الذي زعم ان اللغة العربية أصل جميع اللغات ، فقال الهنداوي : ان الشيخ مدفوع بقوميته لا برهانه .

وأفاض الدكتور حكمت هاشم في تعريف المدنية والحضارة ، فنفى ان تكون البحبوحة المادية مقياساً للمدنية والحضارة ، فالمدنية توازن بين المادة والروح ، واذا طغت المادة كان الانهيار . ثم عرج على جورج ديهامل الذي حدد المدنية على انها نظام لا هرج ومرج .

الدكتور حكمت هاشم مفكر رصين ، عادل في احكامه ، وهو يتناول غالباً المواضيع البكر التي قلما نعالج .

أما سلسلة أحاديث المستشرق تشارلز بكنجهام ، استاذ الدراسات العربية والاسلامية في جامعة مانشستر في بريطانيا ، ففيها الكثير من الصراحة والجرأة والانصاف مما لا نقع على مثله إلا في هذه الاحاديث التي لا مواربة فيها ولا لبس ، ولا محاباة . فهو يوضح بكل جلاء ما ادى به اليه تفكيره حين يتكلم عن اعجوبة الفتح التي لم يمر بمثلها التاريخ في مراحله العديدة . كما أرخ انتشار اللغة العربية في الغرب تاريخاً دقيقاً ، وكيف نظر مفكرو الغرب بعد تعلمها الى الثقافة العربية واحترموها . ثم كيف كانت لغة الضاد لغة الفلسفة والعلوم ، فحفظت الثقافة العامة زمناً ثم سلمتها الى الاجيال المتتابعة .

ونحن نشكر امانة هؤلاء العلماء الذين كانوا قيمين على كنوزنا الثقافية

فحفظوها ولم يفرّطوا بها ، وها هم يتولّون نشرها لتنتفع بها الانسانية .

وتحدث الاستاذ جورج هارون عن شاعر فرنسا فيكتور هيغو ، فدرسه دراسة وجيزة ممتعة، فليته يخص أحد شعراء العرب، أو احد ادبائهم ،بدراسة قيمة كهذه . ان اكثر ما نسمع من أحاديث عن أدبائنـــا في ذكراهم ليس له هذا العمق والشمول ، ولعـــل قلة المصادر والدراسات والنقد هي التي تحول دون ذلك .

النقد السابع والثمانون

١٩٥٥ / ٢/١٣

عن « الضمان الجماعي في لبنان» تحدث الاستاذ رشيد شقير الباحث المختص بشؤون العمال . ان هذا الضمان صغير السن ولكنه عندنا ما يزال طفلاً يحبو . فالتفكر بالعجز والفقر رهيب جداً. تصور ان احدهما يرعد المفاصل، فكيف بهما اذا اجتمعا؟ ففي نظري ان الضمان الجماعي هو اقدس عمل تعمله الحكومات، وأحسب ان هذا الركن في محطة الشرق الأدنى هو احـــد الاركان الخطيرة واجلّها فائدة لمن نزلت شمسهم عن ميزانها .

وكان الحديث عن الفتوة العربية للاساتذة رامي والغزالي وأباظه فاستعرضوا في جلستهم الخيل والرماح والسيوف والنبال استعراضاً ، فصح فيهم ما قيل : الشعر ديوان العرب . لقـــد استنطقوا الشعراء منذ أقدم العصور فوجدوهم يعتزون بالفتوة ويباهون بها . وكلمة فتوة لا تزال على ألسنتنا اليوم نعتز بها، فاذا مدحنا رجلاً جمع الشجاعة والكرم قلنا في العامية : «فلان فتى» فكأننا جمعنا فيه مكارم الاخلاق كلها . ولعل عوامنا انما يعنون الكرم قبل كل شيء لأن الكريم لا يكون إلا شجاعاً . قال لي والدي مرة : الشجاع هو الذي لا يكون عنده إلا عشاء ليلة ويقدمه للاخرين ، لا الذي يضرب ويقتل . فليت جميع الطلاب اصغوا الى هـذا المعرض الأدبي ليعرفوا متى عرض عليهم بحث أدبي من هذا النوع كيف يعالجونه ويلمون بأطرافه من جميع نواحيه .

وفي حديث «الصحافة صانعة الأدب الحديث» قال الدكتور عبد اللطيف

حمزه : الصحافة أدب واقعي يعني فيه الصحـافي بغيره لا بنفسه . وأظن ان الشاعر القبلي ، وهو صحافي ذلك الزمان ، كان يعني بغيره وبذاته معاً . ان الصحافة هي أساس الأدب الحديث فالأمر كذلك ليس عندنا فقط بل في كل أمة من الامم الحديثة . فهؤلاء مؤرخو الأدب في كل أمة يرون ان الصحـافة أقوى العوامل التي مكنت للأدب في الاذهان وخلقت فيه فنوناً جديدة كانت لها غذاء ووسيلة للانتشار . فكل كتّاب العصر الحـديث مدينون للصحافة ان لم يكونوا هم صحـافيين ، وللصحـــافة المثلى فضل على اللغة عظيم لانها حضّرتها وطوّرتها وحلت محل المجامع عندنا، فـكم من لفظة وضعها الصحافيون القدامى ولولاهم ولولا صحفهم لم تكن .

ولا ننس الصحف الهوائية ، اعني الاذاعات فهـــذه ايضاً ، وان كانت حديثة العهد ، قد وجهت الادباء في سبل جديدة ما كانوا يسيرون فيها لولا الاذاعة . ان أدب المقالة ضعف شأنه في صحف ايامنا ، ولكن الاذاعة تعنى به عناية الصحفيين القدماء بمقالتهم الافتتاحية .

والقصة الصغيرة التي وصلت الى ما وصلت اليه من التقدم قد ابصرت النور في الصحافة وافسحت لها الاذاعة في مجال براعجها فمشت قدماً . لقد عالـج الدكتور عبد اللطيف حمزه موضوعاً يكاد يكون جديداً ، وليته يعيد الكرة فيذكر الجيل الحاضر بمن غبروا وكان لهم اكبر الفضل لانهم جاهدوا وتعبوا كثيراً ولولاهم لما بلغت صحافتنا هذه المرتبة الخطيرة .

ان ذاك الرعيل المنسي يستحق ان يذكّر الناس به ، في الصحف وفي الاذاعات والكتب لانهم بناة ادبنا الحـــاضر الذي نشأ صحفياً كما نشأت كل آداب الأمم الحديثة .

وفي «روضة الشعر» انشد الاستاذ سليم الزركلي قصيدة عنوانها «حيرة» فكانت شعراً شديد الاسر مليئاً بالموسيقى ، وكذلك القصيدة الرائية ، وهي

من بحر الطويل . وهذه الأخيرة غنية ببلاغتها اكثر منها في معانيها وصورها. وكم تمنيت لو سمح لي الجو المشوش ان اسمع قصيدته «الخيـــال المغامر» لأرى مقدار خياله فيها ، ولكني كنت عند سماعها في جهد جهيد بل قل كنت كمن يصارع الجو .

وفي البريد الأدبي سمعت للاستاذ بشير جحا مقطوعـات شتى من الشعر ، وقد سمعته يقول عشمش وهي عشش . وقال في قصيدة : ولكننا رغم ... عشيقين ، وهي عشيقان أمـــا الشعر فليس من الطراز العالي وهذا نموذج منه قال :

لم يكـــن حبي له عن غاية انه حب شريف بالنظـــر
هيفاء ، اني نظمت الشعر مبتكراً هل ينظم الشعر إلا فيك مبتكراً

كما قال ، أطال الله عمره ، في قافية بيت : وابكي علي المراثيا ..

اما السيد رزوق ابراهيم رزوق فاذكر انني سمعت له قديماً شعراً اعجبني اكثر مما سمعت ، ولعـل الاستاذ رزوق أراد ان يبني شرفات وخرجات في عمارته الشعرية ، فلم يؤثر كثيراً في الاذن . وربما كان مثل هذا الشعر يصلح للقراءة اكثر منه للانشاد الذي يعتمد على الايقاع . وعلى كل لم يـــبرح السيد رزوق جوه الشعري رغم تفككك قوافيه .

وكان للكاتب حديث وصف فيه الاستاذ عيسى مخائيل سابا ما يعانيه المؤلف ليخرج كتاباً يتمتع به القارىء غير ذاكر ما تقتضيه المؤلفات من تعب في سبيل اخراجها . وعتب أخيراً على اغنيائها الذين يتنافـون في اقتناء السيارات وغيرهـــا ولا يقتنون كتاباً . ان الاستاذ سابا مؤلف وله كتب ، وفيه يصح قول شاعرنا : لا يعرف الوجد إلا من يكابده .

النقد الثامن والثمانون

١٩٥٥/٣/٩

الاستاذ راجي الراعي كاتب من الطراز الأول ومثقف واسع الثقافة عميقها، لا ينقطع عن التفكير في المسائل الكبرى مثل مشكلة الحياة التي حدثنا عنها. اعجبه رأي الدكتور موريس فرنيه في كتاب «مشكلة الحياة» اذ قسم الطاقة الحيوية إلى ثلاث دوائر، الجسد والروح والنفس، فالروح ترى في المرئيات والنفس ترى في ذاتها وتتصل بالخالق، فالمنطقة السفلى والوسطى هي الروح، والعليا هي النفس رفيقة الله، تعطي رفيقتيها الحياة ولا تأخذ منها شيئاً. ثم خلص الى القول ان معضلة الحياة لا تزال مجهولة وهي طاقـــة حيوية تمارس واجباتها في الجسد. والاستاذ مطمئن الى تفريق فرنيه بين الروح والنفس.

انها معضلة لا تحل وستتعب الفكر والمفكرين الى ما شاء الله. فلا راحة إلا في الايمان، وهنيئاً لمن له منه مقدار حبة خردل. ان العقل لا يحل هذه المشكلة العظمى، فلنفتش عن غيره فلعلنا نجده ونجد عنده حل مشكلتنا. فلننتظر اصحاب الصحون الطائرة والآتي قريب، فقد يكونون اوسع مداركَ منا كما قيل فيهم.

وتحدث الاستاذ عبـــد الحميد ياسين عن التربية البناءة فذكرني بقول اساطينها: ان الفتى تنوّر يحمى لا وعاء يملأ. وان التربية صقل لاظهار العرق الاصيل في الشخصية لاطلاء ودهان، فعلينا ان نربي اولادنا تربيـــة مستمدة عناصرها من عرقنا، واذ ذاك نبلغ الهدف من التعليم. كان حديث

الأستاذ ياسين ممتعاً ومفيداً وحبذا لو عمل به .

وكنت أتوقع من الدكتوره زاهد حميد باشا ان تتناول في حديث الشهر اشياء من ماجريات الشهر فاذا بها تتناول ما يقع تحت غير هذا العنوان . ولكنها أجادت فيما بحثت وليس على الكريم شرط كما يقولون .

اما الدكتور نقولا زيادة فلم يخرج ، وتلك عادته دائماً ، من دائرة موضوعه، فحدثنا عن محاضرة الاستاذ فؤاد كنعان في الندوة اللبنانية التي تركت دوياً في الاوساط الادبية . ان الدكتور زياده من امهر المناقشين عندنا ، وقد ناقش الاستاذ كنعان كما ناقش عـــدة نقاط من محاضرة السيد عنبره سلام الخالدي وأجاب عنهـــا جواباً حكيماً . اما الطائفية ، وهي من النقاط الرئيسية في محاضرة السيدة الكريمة فلها عندي دواء وهو ألا نذكرها أبداً في محاضراتنا وأحاديثنا اذا شئنا ان نقضي عليها .

وفي ركن الكتب الحديثة كان للدكتور صفاء خلوصي نصيب من الكلام ، فتحدث عن اقاصيص الاستاذ جعفر الخليلي وهي مجموعة تتضمن ستاً وعشرين اقصوصة ، فحلل اكثرها وقرظها تقريظاً جميلاً ، الدكتور جميل صفاء قاص ، وكنت خشيت ان يقصر حديثه على الثناء فاذا به لم يحرم المؤلف والمستمع من النقد العادل ، وهكذا يكون النظر في الكتب .

وكان حديث الاستاذ سليم الزركلي ، وعنوانه « عقدة نفسية » ، مكتوباً بفصاحة وبلاغة منمق العبارة مفيداً لمن يراقب نفسه ويدرسها . وفي بريـدنا الادبي ورد حديث عن القصة ، وقد تكرر هذا البحث في هذه الآونة ومن هذه المحطة . ان بحث هذا الموضوع لا يخلق القصصي المنشود . لا يخلق القصصي إلا التجارب والثبات ، فخير للشباب ان يحاولوا كتابة قصة واحدة من ان يتعلموا أصول كتابة القصة . فليطالعوا كبار كتـاب القصة ويتأملوا ، فذلك شحذ لاذهانهم واظهار لمواهبهم ، ان كان ثمة موهبة .

وفي هذا الركن ايضاً تحدث الاستاذ ابرهيم مطر عن القلق وقال ان النوم هو الراحة ، فذكرني بقول فيكتور هيغو : النوم موت موقت . وقـــال المتحدث : ان عدم الايمان بالله هو من اسباب القلق ، ولا ادري كيف يكون هذا ! اعرف أناساً غير مؤمنين وينامون على فرد جنب من المساء الى الصبح .

وفي روضة الشعر احيا لنا الاستاذ ابرهيم الوائلي عهد الانشاد ، ولا بدع فهو عربي أصيل كما تنبئنا نسبته . انشدنا فأطربنا وكانت قصيدته السينية من الشعر العريق ، الفاظها منتقاة متقارنة قراناً مباركاً تفوح منها رائحةالعروبة الذكية .وهو لو لم يطلق سراح القافية في آخرها لقلت انه لم يفارق عمود الشعر.

وكانت جلسة ندوة الشرق الادنى في بيروت ، وفيها بحث الدكتور علي سعد والاستاذان احمد ابو سعد ومحمد عيتاني موضوع اللغـة العربية والحياة ، وهل تستطيع ان تعبر عن افكارنا وحاجاتنا ؟ الموضوع يشغل بال الادباء اليوم ، واني لاعجب كيف يكون التراجمة للسريان في العصر العباسي اقـدر من مجامعنا العلمية اليوم . ايطوع السريان لغتنا ويخضعونها للتأدية عن افكارهم ونعجز نحن ؟ لقـد كانت مهمتهم أشق من مهمتنا ومع ذلك لم يتراجعوا ولم يتساءلوا ، بل عملوا ، فما علينا إلا ان نعمل .

العامية بمجرها وبحرها لا تصلح ، كما ان مومياءات الفصحى قد فارقتها الحياة ، واللفظة الميتة كالجثة فكيف نرجو للكلام حياة اذا عبرنا بها عنه . فلنكن حكماء . ففي مكنتنا ان نسلك الى غايتنا طريقـــاً وسطاً ، اي في استعمال العامي الفصيح الذي انتقاه لنا العوام .

النقـد التاسع والثمانون

١٩٥٥/٣/٢٢

كان القدامى من شعراء ونقاد يقيمون للتعبير اكبر وزن، وكانوا يقولون : هذه لفظة شعرية وهذه غـير شعرية، وكان على من يقول الشعر ان يتحاشى كتابة النثر لئلا يتأثر اسلوبه بتعبيره ، ولهذا ذكر ابن خلدون في مقدمته ان أحد الأيمة قال : هذا شعر علماء ، حين روي له هذا البيت :

لم أدرِ حين وقفت بالاطـلال ما الفرق بين جديدها والبالي

ولما قيل له : وكيف عرفت ؟ قال : من قوله مـا الفرق ، لأن هذا من تعابيرهم .

وكانوا يحلّون العلماء عن ان يقولوا الشعر ، وفي ذلك قال ابو حنيفة :

ولولا الشعر بالعلمـاء يزري لكنت اليوم اشعر من لبيـد

ومع ذلك كان من القضاة شعراء وان لم يبلغوا القمة ، وهذا ما أفاض فيه الاستاذ سليمان محمـــد أباظه والاستاذ الغزالي في الجلسة التي كان موضوعها : القضاء والشعر والادب . رحم الله السلف من باحثين ونقاد ، فقد ضيقوا على الشعراء كثيراً وحطوا من قدر الشعر ، وجنوا على هذا الفن اذ رفعوا للشعر عموداً ، وعلى قياس هـــذا العمود جعلوا المتنبي والمعـري ساقطين عن رتبة الشعراء .

روى الاستاذ أباظه ورفيقاه شعراً طريفاً لقضاة عديدين ، ولولا هـــذا التزمت القديم لكان لنا شعر كثير ينبع من جميع الطبقـات ، ولكن الادب

كالازياء يتغير ويتبدل في كل زمن ، ورحم الله من قال : كما كنا تكونوا .

وهذا الاستاذ محمد سعيد العريان يجاري سواه ممن يقولون اليوم بتوجه الاديب . تحدث عن ادبنا القومي من شعر ومنثور ، وبعد ان وضع للأدب عموداً جديداً راح يتحدث عن الأبراج العاجية وعن الفن للفن ، ويتساءل اين الشاعر القومي ، والكاتب القومي ، والقاص القومي ، وكان الجواب : لا أرى أحداً . ثم قال انهم آحاد بين آلاف .

انا لا اعتقد انه يوجد أدب لا غاية قومية له ، فكما ان الأديب لا يخرج من ذاته ، كذلك لا يخرج من مجتمعه ، فالمجتمع هو الينبوع الذي تستقي منه الاقلام . وكل أدب فيه توجيه وهو لا يبرح دائرة الحياة مهما بدا لنا مبتعداً عنها. اما اذا كنا نريد الأدب وعظاً سافراً فهذا لا يكون له حظ كبير من الفن ويصبح من عمل الصحفي لا الاديب الذي تفتش سفينته دائماً عن منارة الفن .

وهنالك فرق بين الأدب الموجّه، فليوجهنا الأديب مخلصاً شرط ألاّ يكون هو موجّهاً . فلا نفصّل للأديب ثوباً يلبسه لأنه اذا كان لا يحسن تفصيل ثوبه فهو ليس بأديب .

قال الاستاذ العريان ليس عندنا أدباء قوميون بل محليون ، وانا أظن ان معظم أدباء العالم الكبار هم محليون، فهل خرج كرامازوف وغوغول وفلوبير من محيطهم في روائعهم الخالدة ؟ قد يكون كتّابنا محليين ولكن هذه المحلية تتألف منها مجموعة قومية موحدة متى شئنا . ان الذي يبقى من آثار الادباء هو الذي يلامس الحياة ولا أخال ان احداً من الكتّاب والشعراء لا يلامس الحياة ولو بمقدار .

وتحدث الدكتور علي الوردي عن طبيعة العقل البشري فخلص الى القول: ان هذا الانسي وحشي بالطبع مدني بالتطبع . ليت الدكتور ، وهو ابن هذا

العصر كان حدثنا عن غير طفل ابن طفيل ، وهذا ما ينتظر من عالم يحمل لقب دكتور . لقد تقدم درس طبيعة العقل البشري اشواطاً حتى صارت حكاية ابن طفيل من طفيليات العلم .

وفي روضة الشعر كان شعر الشيخ علي الصغير من الطراز الكلاسيكي معنى ومبنى ، شديد الاسر ، حسن الرصف ، وقد علق بذاكرتي قوله : متى كان بين القلب والبحر مضمار . أجل ان القلب ضعيف ولكنه يجاري الدنيا لا البحر وحده . وقد كانت قصيدة الشيخ علي الاخيرة اروع ما قال ، وكنت أود ان التقط منها شيئاً ، ولكن رداءة الجو حالت دون ما تمنيت .

وفي بريدنا الأدبي ازدحم اربعة شعراء في ذلك المضيق ، وقد بدا لي ان عنوان قصيدة السيد الياس عبدو، «الواحة الضائعة» أشعر من شعره انتظرت الكثير من هذا العنوان ولكن الكتاب لم يعرف من عنوانه هذه المرة ، فالخيال ضعيف والتعبير لا شاعرية فيه .

اما حيرة الشاعر الاستاذ خالد نصرت فأجود من قصيدة «الشاعر» لمصباح العلي، وكذلك قصيدة الاستاذ شاكر محمود العبيدي فانها تأتي قبل قصيدة خالد تعبيراً ولكن خالد ابعد مدى الخيال . فليت هؤلاء الشعراء يزرعون في ارض بكر فكل مواضيعهم قد سبق لغيرهم ان تمامروها وما تركوا لهم ما يقال فيها . فما اكثر من قال في الشاعر وحيرته والواحة وما توحي .

ومن الاقاصيص ، وقد قلت ، كان لنا «قصة السقلاوي» الشاعر الاستاذ نقولا بسترس وهي مكتوبة باسلوب عوّدناه الاستاذ بسترس في شعره ونثره، ولا بدع ان أفاض في وصف ذكاء هذا الجواد فالخيل تستحق هذا التقدير لانها كما جاء في الأثر : معقود بنواصيها الخير .

النقد التسعون

٦ / ٤ / ١٩٥٥

« المسرة بالعمل » كان عنوان حديث الاستاذ حسني فريز ، وكل عمل يقبل عليه صاحبه وهو غير راغب فيه فهيهات ان يؤدي على حقه . وقد نصح احد علماء امريكا كل ذي عمل ان يدخل على قلبه السرور قبل ان يقبل على عمله ، بل عد ذلك من شروط النجاح والفلاح ، وهيهات ان نجد المسرة الكاملة إلا في حبنا لعملنا مهما اختلفت انواعه . ان حديثاً كحديث الاستاذ فريز مفيد جداً لنا ، نحن الذين نعد الابتسامة مذهبة للوقار ، والضحكة خفة . ودون ابتسام وضحك لا ادري من اي باب يدخل الفرح الى القلب .

وتحدثت الآنسة جهان عوني عن حقيقة التقمص فاستغربت العنوان ،وهل للماورائيات حقيقة ثابتة ؟ اراد الانسان ان يبقى في هذه الدنيا التي استحلاها فهام في اودية الخيال ، وما زال ينقض اليوم ما كان قرره امس وهكذا دواليك .

وفي ركن الكتب الحديثة تحدث الاستاذ عيسى الناعوري عن كتاب صدر حديثاً للاستاذ انيس الخوري المقدسي عن الاتجاهات الادبية في العالم العربي ، فأحسن الاستاذ الناعوري التلخيص والتقريظ معاً ، فأرانا ان هذا الكتاب هو تاريخ لتطورنا السياسي والادبي والاجتماعي والقومي . ان الاستاذ المقدسي قد لاحظ هذا التطور عن كثب وعالج هذا الموضوع غير مرة فلا بدع ان يوفق .

وكان حديثا الشهر للآنسة سميره عزام والاستاذ ميشال اسمر . تحدثت الآنسة عزام عن الاميرة دينا ملكة الاردن العتيدة ، فالبست حديثها طرازاً موشّى يليق بالعروس. كان الحديث وجيزاً فلم يستهلك الدقائق المعدودات ، فجاء مطابقاً للقول المأثور : خير الكلام ما قل ودل ولم يمل .

اما الأستاذ ميشال اسمر فكان متشائماً وما اسمعنا إلا نعياً : المؤسسات الثقافية عندنا قاصرة ، ووحدة الشعور الوطني مفقودة ، والثقافة المهنية معدومة ، وهكذا خرج مجتمعنا من تحت سن قلمه كصبيرة طمسن التي يضرب فيها المثل .

وتحدث الدكتور عبد الجليل ... عن دور المثقف في المجتمع ، وما كان مجتمع ما إلا من عمل المثقف الذي وصفه لنا المشترع كنفوشيوس فجعله المحور الذي تدور عليه الانسانية ، بل جعله حاملاً مسؤولية العالم الكبرى ، وان كل ما فيها من حق وجمال هو من صنع المثقف . أفاض الدكتور عبد الجليل في تقدير هذا الدور الخطير ، وما المثقفون إلا كواكب تظهر في كل دور فيسترشد بها السارون في لياليهم الظلماء .

وفي بريدنا الادبي كان حديث الاستاذ عيسى طعاش عن الحق والقانون ، وفي مثل هذه الأيام منذ اجيال دار كلام بين بيلاطس والسيد المسيح فقال يسوع : اتيت الى العالم لأشهد للحق فكل من كان من الحق يسمع صوتي . فقال له بيلاطس : وما هو الحق ؟ وخرج . وظل هذا السؤال بلا جواب . ان فكرة الحق قديمة قدم الانسان كما قال المتحدث ، ولا ندري متى يحق الحق ، ويعلو ولا يُعلى عليه .

الحق والخير والجمال ثلاث كلمات يترنم بها اليوم الكتّاب والشعراء فهي ضالّة الانسانية التي تنشدها دائماً وهيهات ان تجد إلا بعضها .

وكانت جلسة في ندوة الشرق الادنى دار الحديث فيها حول مشكلة

الشباب ، ولعلها ام المشاكل في نظري ونظر المتحدثين الاساتذة كامل النحاس وسليم كامل وعثمان نويه . الشباب رأس مال الأمة ، وكل أمة لا تعنى بتنمية رأس مالها خسرت تجارتها ، فعلينا وعلى شبابنا ان نتأهب للاضطلاع بالمسؤولية الكبرى قبل اتباع الهوى .

وسمعت في ركن المزارعين للاستاذ راشد الزغبي محاورة طريفـــة مفيدة اجريت بين والد وابنه حول زراعتنا وزراعتهم ، اي زراعة الذين استناروا بأضواء العلم الحديث وسخروا الجماد بدلاً من الحيوان الذي ما زلنا نستعبده ، وربوا شجراتهم كما يربون اولادهم طبقاً لقوانين علمية ، فبلغوا في الاستثمار ابعد مدى ممكن ، بينما نحن نقنع باليسير من محصولات ارضنا الخيرة ، إلا ان نور الأمل قد لاح في آفاقنا فما علينا الا ان نسير ولا نقف ، عملاً بالانشودة الـتي يفتتح بها هذا الركن النافع :

لمّن بالارض بتزرع　　خـــيرات بتعطيك

اما قصة الاسبوع وعنوانها « قارىء الكف » للسيدة ماهرة النقشبندي ، فكانت جيدة القص والسيرورة ، ولكنها رديئة القراءة ، ضعيفة العبارة ، فشا اللحن في كلامها كقولها مثلاً : انك لا تعمري .

ان القصة كما قلنا ونقول دائماً هي قطعة فنية ، كالقصيدة ، فيجب ان تخلو من كل عيب نحوي ولغوي ، فلا يكفي السيدة ماهرة ان تكون مـاهرة في القص ، بل يجب ان تقرأ وتكتب صحيحاً ، وهذا تحديد علم الكتابة عند الغربيين الذين اقتفينا آثارهم في هذا الفن .

وكانت روضة الشعر للشاعر محمود ابو الوفا ، فاسمعنا شعراً توجيهياً نستفيد منه شيئاً بعد اقفال المذياع . لقد قل هذا النوع من الشعر فلم نعد نسمـــع شاعراً يتحدث عن غير الحب الجسدي ، اما الحب الاجتماعي فالذين له صاروا نادرين ، ولذلك طربت لشاعر يقول كما قال ابن عربي : الحب ديني وايماني ،

كما يقول في قصيدته من الاعماق :

او ليس آدم واحداً او ليس دين الله واحد ؟

وكما يقول في قصيدة أريـد : اريد الحب في الدنيا يسود . وهو لا يعني الحب المعروف ، لأن هذاك سائد دون ارادة الشاعر وإرادتنا ...

فأبو الوفاء شاعر سهل الديباجة وتعبير القدماء « المعنى الشريف في اللفظ الشريف » يصح فيه ، وهو يستحق بكل جدارة لقب شاعر الحب .

النقد الحادي والتسعون

٢٠ / ٤ / ١٩٥٥

انشد الاستاذ العوضي الوكيل قصيدتين جيدتين ، الأولى ، وعنوانهـــا « لبنان » قصيدة سارحة كنسيمه في الربيـع ، ناعمة الجرس تترك في النفس أثراً بعيـد القرار . لا ينقطع رنينها فور الانتهاء من سماعها كأكثر شعر هذه الايام ، ولا عيب في هذه القصيدة الا ضرورة التجأ اليها الشاعر فقال : طلق اغانيها ، فالتأنيث اولى واجمل وقعاً .

اما الثانية ، وهي آخر ما انشد ، فموضوعها « غزوة بدر » ، وقد جاءت فخمة ، متينة ، متراصة البنيان ، جامعة بين الفخر والمجد والأسف على مـا فات والخوف مما هو آت .

وانشد ما بين هاتين القصيدتين مقاطع ، فقال في مقطع «مرحباً بالربيـع»: ونشقت الاعطار ، وجمع عطر عطور ، كما جمع في مقطع « الهوى » بين غيري وبدوري وعمري في قافية ، وهذا من عيوب الشعر .

اما ما انشده الاستاذ احمـد العبدالله ... في هذا الركن فمن الشعر الذي كثر قوّالوه . فكله على وتيرة واحدة كقوله مثلاً :

وشربنا من هوانا خمرة ضل فيها العقل من سكر وتاه

وكقوله : وحوانا النهر في راحته . وهو لو حاول ان يقول بين ذراعيه لجاءت الاستعارة جميلة .

وكانت جلسة نـــدوة الشرق الادنى في القاهرة ، ترأسها سيادة وزير

الأوقاف احمد حسن الباقوري ، وساجله فيها الاستاذان عبد الكريم الخطيب وعبد المجيد الغزالي ، وكان موضوعها شعر الشاعر البائس عبد الحميد الديب . ان لون شعر هذا الشاعر المجيد ، كما بدا لي مما سمعت له ، لون حزين باك شاك . قال الباحثون : ان الشاعر ليس واعظاً ولكنه فنان ، وهذه كلمة حق لا غبار عليها ، فالمصور ، مثلاً ، يصور الدعارة كما يرسم الطهارة ، ونحن في الحالين لا ننظر إلا الى فنه . الشعر ليس بموضوعه بل بما فيه من روعة وحياة نضعها في الصورة ، وصور الحياة شتى .

وكم كنت معجباً بالباقوري حين سمعته يقابل ، اللهم فنياً ، بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الشعر ، فليت هذا الباب ينفتح على مصراعيه ليرى الناس ان كتاب الله هو دعامة أدب الدنيا كما هو دعامة الدين. واننا نشكر لسيادة الوزير عنايته بجمع شعر هذا الشاعر المطبوع ونشره على الملاء في ديوان . ولينعم الديب بالاً فقد اخلده بؤسه وذكر الفتى عمره الثاني كما قال ابو الطيب ..

اما الاستاذ ابرهيم مطر فكان عنوانه « الدماغ البشري العجيب » ولكنه كان في واد وعنوانه في واد . وفي هذا الركن ايضاً تحدث الاستاذ عارف العزوني عن الابراج العاجية ونشأة هذه التسمية التي يسمع الناس بها ولا يعرفون اصلها .

وأخيراً اني أبشر الكتّاب والشعراء بزوال هذا الركن ، ركن النقد ، من برنامج محطة الشرق الأدنى . واني اشكر للمحطة ما اغدقته علي من نعمة التعرف بكتّاب الاقطار العربية وشعرائها . فهذه ثلاث سنوات ونصف نادمتهم وسامرتهم فيها . لا اعتذر لأحد لأني لم أحاب من اعرفهم ولم أتحامل على من اجهلهم . كنت اسمع ما يقال ولا يعنيني من هو القائل .

قال المتنبي : واجمل وجه في الورى وجه محسن ، اما أنا فأتصرف بهذا

طر لاقول: فأبشع وجه في الورى وجه ناقد . فاحمدوا الله، ايها الاخوان، انكم لم تروا وجهي ولم تسمعوا صوتي ، ففيهما يصح ما قيل في شهاب الدين خيه : كلا الأخوين .. ولكن مـــا الحيلة ، فلولا حفارو القبور لأنتنت ـض وفسد الهواء ، وكم من مهنة غير مستحبة ولكن لا بد لها من محترف ، كذا انا ، والسلام عليكم ووداعاً .

عاليه ١٥ / ١١ / ١٩٥٧